

المقتطف

الجزء الاول من المجلد التاسع والاربعين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٦ — الموافق ١ رمضان سنة ١٣٣٤

اللورد كتشنر

ولمعة من سيرتهِ

الطود العظيم تختلف وصف مناظرهِ باختلاف جهة الناظر اليهِ . فتارة يصف واصفهُ خضرتهُ واغمرتهُ وبهجة سفحهِ وجمال قمتهِ . وتارة اشجارهُ الغبياء وعيونهُ الثرارة ومياههُ الجيلاء . وتارة صخورهُ ووعورهُ الى غير ذلك من مختلف المناظر التي تستقبل الناظر

والرجل العظيم كالطود العظيم لهُ من السجايا والمزايا والافعال العظيمة والاخلاق الكريمة والخدم الجليلة والآثار النافعة والمساعي الجيدة ما يخط قلم البليغ المقالات العديدة في وصفهِ ولا يستوفي مع ذلك غير القليل من شرحهِ

نعى الينا البرق في اوائل الشهر الماضي رجلاً عظيماً ولا كالرجال وبطلاً مقداماً تعنو لهيبتهِ الابطال وطوداً منيفاً تخر لسطوتهِ الجبال . فالانكليز خسروا بفقد كتشنر سيداً ماجداً وقائداً مقداماً ومدبراً عظيماً ولكن خسارتهم هذه جاءت بعد ما قضى معظم سني عمرهِ في خدمة وطنهِ حتى انشأ بشدة ذكائهِ وفائق همتهِ الجيوش الانكليزية التي هي اليوم سياج الامبراطورية . فمصابهم بهِ عظيم من حيث كونهُ قطباً عظيماً في الامة وخسارتهم بفقدهِ كبيرة من حيث ما لهُ من نفوذ الكلمة وعلو المكانة في النفوس . لاننا ما سمعنا قبل قيام اللورد كتشنر ان امة انقادت لصوت رجل واحد من رجالها كما انقادت الامة الانكليزية الى صوتهِ ولبى شبانها دعوتهُ حتى انتظم منهم مليونان في الجيش الانكليزي طوعاً واختياراً اجابة لطلبهِ في عام واحد . وما زالوا يسارعون الى التجند حتى ناف عددهم على خمسة ملايين قبل تمام العامين . وقلما رأينا ضباط امة وجنودها يهابون قائدهم كما كانوا يهابون اللورد كتشنر لشدة

وطأته ومزيد تدقيقهِ في قيادتهِ ويهيمون مع ذلك في حبهِ ويطنبون في مدحهِ حتى انك لو سألت ايًا شئت منهم لكان يجيبك اننا نهجم على الموت طوع امرهِ ونتبعهُ الى ساحات الردى عن طيب نفس ولو كان اشد قوَّادنا علينا واقلهم رفقًا بنا. وما ذلك الاَّ لمزيد اعجابهم بهِ واحترامهم لهُ واستعظامهم لقدرتهِ وكفاءتهِ وبسالتهِ في قيادتهِ

ومع ان النقَّاد الحربيين يعدونهُ في مقدمة القواد العظام المدبرين والمنظمين لا القوَّاد المحاربين فهو في اعتبار السواد الاعظم من الامة الانكليزية بطلها الذي لا يبارى وفارسها الذي لا يجارى . فكان اذا مرَّ امامها عند عرض الجيوش مع غيرهِ من القواد وكبار الضباط او في موكب حافل برجال الدولة تهتف لهُ حتى يشق هتافها العنان وتظهر كل امارات الاعجاب والاستحسان . واذا ذكرتهُ في مسامراتها ومجتمعاتها اطنبت في مدحهِ واثنت بخصالهِ وفعالهِ كما يفعل عامة مصر والشام عند ذكر عنترة العبسي او ابي زيد الهلالي او ذياب بن غانم

كنَّا في بدء الحرب ببلاد الانكليز فقصدنا يومًا فندقًا على ضفة نهر التايمز يقصدهُ الناس في الصيف كثيرًا لحسن موقعهِ وجمال بقعتهِ وطيب هوائهِ وبهجة نزهتهِ ونزلنا مساء الى غرفة المائدة لتناول العشاء فرأينا رجلاً من فضلاء الانكليز واقفًا كالخطيب يهنئ الجالسين على الموائد بتعيين اللورد كتشنر وزيرًا للحربية الانكليزية ويعزو اليهِ من العجائب والغرائب ويروي عنهُ من القصص والنوادر ماجعل احدنا يهمس الى الآخر قائلاً صدق من قال ان كتشنر عنترة الانكليز . وقابلنا بعد ذلك جناب اللورد كرومر وهو يومئذٍ عليل يشكو السقام في منزلهِ فاشار الى فعل اللورد كتشنر في التجنيد وقال باسمًا لا يكثر على من مزق شمل الدراويش في بلادهم ان يجمع شمل قومهِ في بلادهِ

على ان خسارة اللورد كتشنر مهما عظمت على قومهِ فهي ليست من الخسائر التي تؤثر في الحرب بعد وقوعها لان تأثير كتشنر الفعلي في الحرب والتجنيد قلَّ بعد ما مالت الآراء الى جعل التجنيد الزاميًّا واصبح معظم تأثيرهِ في الحرب منذ ذلك الحين ادبيًّا

قضى خمسًا واربعين سنة دئبًا في خدمة دولتهِ وامتهِ ولعل اعظم خدمهِ هذه كانت مدة اقامتهِ في الديار المصرية من حيث ارتباطها بالامبراطورية الانكليزية فخسارة مصر بفقدهِ عظيمة كخسارة سواها ان لم نقل انها اعظم منها . جاء مصر وهو ضابط صغير واخبرنا احد اصدقائهِ انهُ اتاها من قبرس خفية خلافًا لامر رئيسهِ وطوعًا لاغرائهِ واغراء بعض الضباط رفاقهِ . وكان قصدهُ من هذه المخالفة الخفية مشاهدة ما تفعلهُ مدافع البوارج الانكليزية بحصون الاسكندرية ولولا حسن حظهِ وطلب السلطة العسكرية بقاءهُ في مصر لعاد الى

قبرس وعوقب على هذه المخالفة . وانتظم في الجيش المصري منذ اوائل انشائهِ وما زال يعظم فيهِ ويرتقي حتى صار سرداره وتم فتح السودان على يدهِ فطار صيتهُ في الآفاق ولاسيما بما اظهر من التدابير المحكمة والاعمال المتقنة وقلة الخسارة في الرجال والنفقة في الاموال . ففي مصر تمرس وتمرن وفي جيشها تقدم وارتقى ووضع اساس عظمتهِ وشهرتهِ . وان كان الضباط الانكليز يهابونهُ ويهيمون بهِ فالضباط المصريون اشد منهم هيبة لهُ وهياماً بهِ ومن منا لا يعلم مقدار حبهِ لهم وعطفهِ عليهم وتفضيلهُ مجالستهم ومعاشرتهم على مجالسة السادات والامراء في مجالس الانس والحفلات العمومية

ولو فارق الفقيد مصر بعد فتح السودان ولم يعد اليها بعد حرب البوير وتنظيمهِ جيش الهند لكان اعظم الذين يحزنون على فقدهِ في هذا القطر الضباط وغيرهم من الموظفين الذين عاشروهُ ولكن رجوعهُ الى مصر للاشراف على ادارتها والعناية بتدبير امورها والسهر على دوام الاصلاح فيها علّق بهِ قلوب الملكيين كما علق قلوب العسكريين لما لهُ من المآثر والآثار الحسان فيها . فامراء مصر ووزراؤُها ونوابها واعيانها وتجارها وعلى الخصوص المزارعون فيها يعدونهُ من الاصدقاء الصادقين لهم والمخلصين في غيرتهِ على خيرهم ويذكرون اعمالهُ بالثناء وهم جميعهم يعدون خسارتهُ اليوم اعظم خسارة ويشعرون بان فقدهُ فقد صديق عزيز على مصر ويحفظون لهُ في قلوبهم ذكراً جميلاً ابد الدهر

***

ولد اللورد كتشنر في ٢٤ يونيو سنة ١٨٥٠ بارلندا من والدين انكليزيين ودرس في مدرسة ولتش الحربية ثم انتظم في سلك المهندسين الملكيين سنة ١٨٧١ وكان قد تطوع في الجيش الفرنسوي سنة ١٨٧٠ وحارب الالمان في حرب تلك السنة الشهيرة . ثم عهد اليهِ في مسح فلسطين من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٧٨ . وزار لبنان مع شقيقتهِ واقام في قرية شملان بضعة اسابيع وفي عاليه وسواها من مصايف ذلك الجبل ثم مسح جزيرة قبرس وسافر منها الى الاستانة حيث تعلم اللغة التركية ثم غادرها الى البلقان وانتظم في سلك الجنود التي كان يقودها باكر باشا

وقدم القطر المصري في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٣ ودخل في خدمة الجيش المصري وفي السنة التالية انتدب مع اللفتننت وندل (الجنرال وندل الآن) للسفر الى بربر بالسودان ومساعدة مديرها على تسكين البلاد ولكن بربر سقطت بيد رجال المهدي قبل ان يتيسر لهما مغادرة كروسكو

وشبت الثورة في دنقلة فتطوع اللورد كتشنر للذهاب اليها واستجلاء الحقيقة فيها فبلغها في اول اغسطس سنة ١٨٨٤ فوجد مديرها منهمكاً بمحاربة الدراويش واستأذن الحكومة المصرية في مساعدته فابت عليه ذلك ثم تزيا بزي الدراويش واخذ يتنسم الاخبار عن الجنرال غوردون في الخرطوم وارسل تقريراً مسهباً عن حالة دنقله وما سمعهُ عن الجنرال غوردون الى الحكومة المصرية وكان لهُ شأن كبير في الحملة الانكليزية التي ارسلت بطريق النيل لانقاذ الجنرال غوردون في الخرطوم . وكان غوردون باشا شديد الاعجاب بهِ وقد تنبأ بان مستقبلهُ سيكون باهراً جداً

وظل اللورد كتشنر في خدمة الجيش المصري اول مرة الى ١٥ يوليو سنة ١٨٨٥ فرجع الى الجيش الانكليزي وبقي فيهِ الى ٢٥ اغسطس سنة ١٨٨٦ ثم عاد الى خدمة الجيش المصري وعين قومندانًا لسواكن وساحل البحر الاحمر

وهاجم عثمان دقنه في هندوب سنة ١٨٨٨ ففر هذا من امامهِ واصيب اللورد كتشنر برصاصة في وجههِ في هذه المعركة فجرحتهُ جرحًا بالغًا اضطر ان يسافر الى القاهرة بسببهِ . وشهد ايضاً معركة الجميزة بعد احد عشر شهراً من معركة هندوب وكان قائداً للواء الاول من الجنود السودانية . وامتاز في معركة طوشكي على الحدود المصرية بالبسالة والاقدام

وانتدبتهُ الحكومة المصرية في سنة ١٨٩١ مفتشاً عاماً للبوليس فكانت لهُ اليد الطولى في اصلاح شؤونهِ وتحسين حالهِ ووضع القوانين لهُ وقضى على عصابات الاشرار التي كانت تعبث في البلاد فساداً في تلك الايام

وعين بعد ذلك ادجوتانت جنرال الجيش المصري ثم استعفى الجنرال السر جون غرنفل من قيادة الجيش المصري فعين سرداراً مكانهُ في ١٢ ابريل سنة ١٨٩٢

وسيرة اللورد كتشنر معروفة للقراء بعد هذا التاريخ . فان الحكومة المصرية قررت في ١٢ مارس سنة ١٨٩٦ الزحف على دنقله والتظاهر بالزحف على بربر وفي ١٨ مارس سنة ١٨٩٦ ابتدأ الزحف على دنقله ولم يحل يوم ١٥ اكتوبر من تلك السنة حتى تم فتحها وانحلت الحملة

وقاد في سنة ١٨٩٨ الحملة على الخرطوم واتم استرجاع السودان في اواخر السنة التالية . وفي ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٨ التقى بالماجور مرشان (الجنرال مرشان الآن) في فاشوده بعد ان كاد الخلاف عليها يؤدي الى حرب كبيرة بين انكلترا وفرنسا .

وقد انعم عليهِ بعد استرجاع السودان بلقب لورد ومنحتهُ حكومتهُ ٣٠ الف جنيه مكافأة لهُ على ذلك وعين حاكماً عاماً للسودان مع بقائهِ سرداراً للجيش المصري

وفي ٢٠ دسمبر سنة ١٨٩٩ ندب رئيساً لاركان حرب اللورد روبرتس في جنوب افريقية وظل في هذا المنصب الى سنة ١٩٠٠ لما غادر اللورد روبرتس جنوب افريقية فتولى القيادة العامة مكانهُ حتى انتهت تلك الحرب فكوفئ بترقيتهِ الى رتبة جنرال ومُنح ٥٠ الف جنيه

وفي سنة ١٩٠٢ عين قائداً عاماً لجيش الهند فادخل عليهِ اصلاحاً كبيراً وعارض اللورد كرزن حاكم الهند حينئذٍ في بعض الامور فكان الفوز لهُ فيها واضطر اللورد كرزن الى الاستعفاء

وقد اجفل بهِ جوادهُ مرة في الهند فكسرت ساقهُ وكانت قد كسرت من قبل في سورية على ما يقال وظل يشكو من اثر هذا الكسر في ساقهِ لما كان معتمداً لدولتهِ في هذا القطر فكان يتوكأ على عصا وفي بعض الاحيان يصعب عليهِ المشي

وندبتهُ حكومتهُ سنة ١٩٠٩ لتعهد الدفاع في المستعمرات الانكليزية وزار اليابان في تلك الاثناء فجرى لهُ استقبال حافل فيها

وزار استراليا فكلفتهُ حكومتها ان يضع لها خطة عسكرية للدفاع الوطني فلبي طلبها ووضع الخطة التي سارت الحكومة الاسترالية عليها في تنظيم حامية بلادها

وعاد الى انكلترا وعين عضواً في لجنة الدفاع الامبراطورية ومنح رتبة فيلد مارشال

وعين بعد ذلك وكيلاً لدولة انكلترا وقنصلاً جنرالاً لها في القطر المصري خلفاً للسر الدن غورست واقام عليهِ منذ ثلاثة اعوام برتبة ارل وظل في هذا المنصب الى ان شبت الحرب وكان حينئذٍ عائداً من انكلترا الى مصر فاسترجعتهُ حكومتهُ من الطريق وعينتهُ وزيراً للحربية . وقد قابلت الامة الانكليزية تعيينهُ حينئذٍ بالارتياح والسرور وكانت ثقة الامة باصالة رأيهِ وبعد همتهِ وذكائهِ من اكبر العوامل التي حملت الانكليز على التطوع للخدمة في الجيش ومكنتهم من تجييش الجيوش وتنظيمها

وقد نال ارفع النياشين في الامبراطورية الانكليزية مثل نيشان الامتياز ونيشان الجارتر الذي لا يهدى عادة الأ الى الملوك والامراء

وفي الخامس من يونيو الماضي ركب طراداً صغيراً قاصداً روسيا مع ياورهِ الخاص وجماعة من اركان حربهِ فلم يكد الطراد يسير بهم حتى ضرب بطربيد او مسَّ لغماً فنسف وغرق اكثر الذين فيهِ وثبت ان اللورد كتشنر من الذين غرقوا فشمل الحزن عليهِ الامبراطورية الانكليزية والممالك المحالفة لها وكل الذين يتمنون ان يكثر الرجال العظام النافعون

المناعة في الامراض

المناعة في اصطلاح الاطباء هي عدم قابلية بعض الاجسام للاصابة ببعض الامراض او التأثر ببعض السموم . فمن المشهور ان من الناس من يعرضون انفسهم للعدوى بمرض من الامراض مراراً ولا يُعدَون بهِ في حين ان غيرهم يعدون بهِ او بايّ مرض معدٍ يتعرضون لهُ . أَلا ترى انك تلقح هذا الطفل بلقاح الجدري تكراراً فلا يؤَثر فيهِ وتلقح غيرهُ مرة واحدة فتملأ البثور بدنهُ . وتظهر اصابة بالدفتيريا بين عائلة كبيرة في الريف حيث لا تحوط ولا وقاية فيشفى المصاب او يموت ويبقى سائر افراد العائلة سليمين من شرّها

والمناعة ثلاثة اصناف خلقية . ومكتسبة . ومحدثة او مجلوبة

المناعة الخلقية

من الحيوانات ما لا تؤَثر فيهِ بعض اصناف السموم وهي تفتك بغيرهِ اشدّ فتك . فالنمس الهندي يقتل الافاعي ولا يؤَثر فيهِ سمّ الصل وهو اشد الافاعي سمًّا . والحمام لا يتأَثر بالمورفين ولو أُعطي جرعة كبيرة منهُ . والجرذان لا تصاب بالتدرن في حين ان الانسان والخنزير غينيا شديدا التأَثر بهِ . وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الطاعون تفشى بين السناجيب في ولاية كليفورنيا الاميركية فسعت حكومتها في استئصالهِ خشية انتقال العدوى منها الى الناس . ومن جملة الوسائل التي استخدمتها لذلك نقع الشعير في محلول سلفات الستركنين والقاؤُهُ في الاماكن التي يكثر تردد السنجاب اليها فيأْكل منهُ ويموت . ولكنهم خشوا ان تأْكل منهُ السماني التي يكثر وجودها في تلك الولاية فتنقرض . فاحالوا بحث هذه المسئلة الى لجنة من العلماء فظهر لها بعد التجارب الكثيرة انهُ يمكن اطعام السماني شيئاً كثيراً من سلفات الستركنين من غير ان تسمّ بهِ في حين ان السنجاب يموت لاقل شيءٍ يأْكلهُ منهُ . ثم ان الانسان لا يصاب بحمّى الخنازير وكوليرا الدجاج والطاعون البقري وليس بين الحيوانات نوع يصاب بالكوليرا التي تفتك بالنوع الانساني اعظم فتك . ومن المعروف ايضاً ان الدجاج والتماسيح لا تصاب بالكزاز ولا الجرذان البيضاء بالجمرة الخبيثة .

على ان المناعة المطلقة لا وجود لها فان السمّ يؤَثر في كل حيوان اذا كانت جرعتهُ كبيرة وكان الحيوان ضعيف الجسم

المناعة المكتسبة

ويراد بها المناعة التي يحصل الجسم عليها ضد مرض معين بعد اصابته به وشفائه منهُ · والمرجح ان الجسم يحصل على هذه المناعة طالت مدتها او قصرت في جميع الامراض المعدية · وقد عرف ان الذي يصاب بالجدري او الحمى التيفويدية او القرمزية لا يصاب بها ثانية مدى العمر او اذا اصيب بها فبعد سنين كثيرة من الاصابة الاولى

المناعة المحدثة

هذه نوعان الواحد ايجابيّ والثاني سلبيّ · فالايجابي يحدث بان يلقح الحيوان تحت الجلد بجرعة خفيفة من احد السموم بحيث لا تكفي لقتله فتزيد قوتهُ على المقاومة حتى اذا لقح مرة ثانية بجرعة اقوى من الاولى احتملها من غير ان يصاب بسوء · واذا كرر هذا العمل حصل على المناعة التامة حتى انه يحتمل جرعة لو اعطيها بادئ بدء لقتلتهُ · وقد تكون الجرعة بطريق الفم في بعض الاحوال · وهذا القول يصحّ ايضاً في سم الافاعي اذ يظهر ان الحواة في الهند يحصلون على المناعة من الصلّ بمثل هذا العمل · اما مكروبات الامراض والسموم التي تتولد منها فان المناعة ضدها تحصل بالحقن اولاً بجرعات صغيرة من المكروبات او المكروبات التي اضعفت بمزجها بمضادات الفساد او بتجفيفها او بامرارها في اجسام حيوانات حصلت على بعض المناعة ضدها او بوسائل اخرى معروفة في الطب

والغالب ان تكون هذه العملية (اي عملية الحصول على المناعة بالطريقة الايجابية) طويلة · فان جعل الحصان مثلاً منيعاً ضد الدفثيريا يقتضي بضعة اشهر من الوقت · وعليهِ كان بطء هذه الطريقة حائلاً دون الانتفاع بها في شفاء الامراض المعدية ولا سيما ان مدة المرض منها قد لا تزيد على بضعة ايام · واشهر الشواهد العملية على هذه الطريقة التطعيم ضد الجدري · فان الناس يطعمون بجدري البقر الخفيفة الوطأة ليحصلوا على المناعة من الجدري العادية الشديدة الوطأة · ومنها مداواة الكلَب بطريقة باستور فان الذي يعضهُ كلب كلِب يلقح قبل ظهور الداء فيه بجرعات من سمّ الكلَب بعد اخذهِ من ارانب ماتت بهِ · فمبدأ هذه الطريقة هو زيادة قوة الجسم لمقاومة فعل السموم مهما يكن نوعها

اما النوع السلبي فهو المشهور في معالجة الامراض المعدية ويعرف بانهُ مناعة اصطناعية تجلب بحقن الجسم بمصل دم مستخرج من حيوان حصل على المناعة بالطريقة الايجابية

السائمة الاخرى . واشهر الامثلة عليها معالجة الدفتيريا بالمصل المعروف . وهو يستخرج من الخيل التي حصلت على المناعة كما سبقت الاشارة اليه . وهذا المصل يقي الملقح به من الاصابة بالدفتيريا ويشفي المصاب اذا لقح به في الوقت الملائم وبالكميات اللازمة . ومبدأ الوقاية والشفاء به هو ان المصل يحتوي على مواد كيماوية مضادة للسم (انتوكسين) تولدت في خلايا دم الحصان او سائر انسجته فاذا اتحدت بالسموم (توكسين) التي تولدها مكروبات الدفتيريا ابطلت فعلها القتال

والرأي الآن ان هذه المواد التي يتألف الانتوكسين منها هي مواد البيومنية (زلالية) . اما كون فعلها ضد التوكسين كيماويًّا فيبرهن عليه بان تمزج المادتان معًا في اناء ثم يحقن حيوان بهما بحيث يكون في الحقنة من التوكسين ما يكفي لقتل الحيوان لو كان التوكسين وحده . فيتحد التوكسين بالانتوكسين ويبطل فعله ولا يفضي اتحادهما الى الحاق ضرر بالحيوان المحقون

ومن المعلوم ان كل سم من سموم الامراض المعدية يصيب نسيجًا معينًا من انسجة الجسم . فسم الكزاز مثلاً يصيب الجهاز العصبي وخلايا هذا الجهاز تولد الانتوكسين المضاد له . ومن رأي متشنيكوف ان الانتوكسين يتولد في خلايا الدم البيضاء فانها تحيط بالمكروبات من كل جانب ثم تضيق الخناق عليها فتضطرها الى التسليم والتشتت . وقد بنى رأيهُ هذا على مشاهداته في برغوث الماء المسمى دفنيا . فانهُ كثير في المستنقعات والمياه الراكدة يقتات ببزور نوع من المواد الفطرية . وقد لحظ متشنيكوف ان هذه البزور تخرق امعاء البرغوث وتدخل جوفهُ وتتضاعف فتهاجمها خلايا الدم البيضاء وتحيط بها وتلتهمها وتهضمها . على انهُ كثيراً ما كان يحدث ان البزور كانت تنمو بسرعة فتعجز الخلايا عنها ويموت البرغوث . والظاهر انهُ اذا كانت المكروبات قوية شديدة السم تمكنت من دفع الخلايا عنها فتنمو اذ ذاك وتتوالد بلا مانع ولا معارض

ويرى كثيرون ان الخلايا البيضاء لا تلتهم المكروبات الحية ولا تهضمها وانما تأكل الميتة منها وتمتصها . ويقولون ان سبب موت هذه المكروبات مواد كيماوية يولدها الجسم اجابة لداعي المواد السامة التي تولدها المكروبات

خسارة الالمان في الاراضي

قلّما يخطر على البال ان الالمان خسروا حتى الآن من املاكهم اكثر كثيراً من البلاد التي احتلوها في روسيا وبلجكا وفرنسا والسرب . نعم ان هذه البلاد عامرة كثيرة السكان والبلاد التي فقدوها عامرة في الغالب قليلة السكان . ولكن البلاد التي احتلوها لا يحتمل ان تبقى لهم او ان يحاولوا هم البقاء فيها لان سكانها يخالفونهم جنساً ولغةً ولا يحتمل ان يرضوا بالانضمام الى المانيا مهما تودّدت اليهم وتلطفت . واما البلاد التي خسروها فيحتمل او يرجّح انها لا تُرَدّ اليهم كلها او لا يرد اليهم الأ القليل منها وسكانها يفضلون الذين اخذوها على الالمان الذين كانت لهم

غير ان الالمان لم يتعبوا كثيراً في امتلاك البلاد التي اضاعوها الآن وان كانوا قد انفقوا نفقات طائلة على تعميرها . فبين سنة ١٨٨٣ و١٨٨٥ ذهب نحو مئة منهم ومعهم بعض المدفعيات الى الجنوب الغربي من افريقية ورفعوا الراية الالمانية على جانب واسع جدًّا من البلاد وادَّعوا امتلاكها ثم رفعوا رايتهم على جزيرة زنجبار وكل الساحل المقابل لها واوغلوا في شرق افريقية حتى بحيرة طنجنيكا . فامتلكوا في شرق افريقية وغربها ما مساحتهُ نحو مليون ميل مربع وعدد سكانهِ اكثر من ١٣ مليون نفس اي ان مساحة ما امتلكوهُ في افريقية نحو خمسة اضعاف مساحة بلادهم

ووجهوا نظرهم الى الجزائر الشرقية فقبضوا على بعضها وكادوا يمتلكون استراليا وينتزعون جزائر ساموى من الولايات المتحدة

وكان الانكليز اشد الناس مودَّة للالمان واكثرهم ملاينة لهم لاسيما وانهم كانوا يقولون ان مستعمراتهم زادت على حاجتهم وصار حفظها عناء كبيراً عليهم والالمان في حاجة الى مستعمرات واسعة يهاجرون اليها ويجلبون منها المواد الاصلية لصناعتهم . واسطولهم صغير حقير لا يجسر ان يقاوم الاسطول الانكليزي في مكان من الامكنة فلم يضنوا عليهم الا بزنجبار لكنهم اعطوهم جزيرة هليغولند بدلاً منها وهي عند مدخل ترعة كيال . ثم ادركوا الآن ان الصفقة كانت خاسرة جدًّا لان الالمان حصنوا تلك الجزيرة فصارت امنع من عقاب الجو وجعلوها قاعدة بحرية لهم لمقاومة الاسطول الانكليزي

وظلت المانيا كل زمن بسمارك تستخدم مستعمراتها للتجارة اي تجلب منها ما تحتاج اليهِ صناعاتها ولاسيما جوز الهند الذي تستخرج دهنهُ لعمل الزبدة الصناعية وتستخدم كسبهُ علفاً للمواشي ولم تحاول جعلها قاعدة حربيَّة لامتلاك غيرها

والبلاد التي امتلكتها المانيا في افريقية وجزائر البحر من اغنى البلدان في المعادن والاشجار ففيها الذهب والنحاس والماس وحراجها واسعة كثيرة الشجر وينبت فيها كل ما ينبت في المناطق الحارة والمعتدلة . لكن المانيا لم تكتف بما امتلكت وهو يزيد على بلادها اضعافاً مضاعفة كما تقدم بل بعثت اليهِ بالجنود والضباط لكي ينظموا جنوداً من الوطنيين ويعتدوا بهم على املاك الانكليز والفرنسويين والبرتغاليين والبلجيكيين كلما حانت الفرص

وهلنا ايضاً لم يقنع الالمان بل حدثتهم النفس بالاستيلاء على اميركا الجنوبية وبلاد الصين . ففي سنة ١٨٩٨ اعدوا اسطولهم لاجتياح اميركا الجنوبية وكانت حكومة الولايات المتحدة مشغولة حينئذٍ بمحاربة اسبانيا في كوبا ودرى الرئيس مكنلي بما كانت المانيا تقصده فارسل الى قواد اسطوله يأمرهم ان لا يواقعوا الاسطول الاسباني بل يحتفظوا بكل قنبلة في بوارجهم لمحاربة الاسطول الالماني وارسلت الحكومة الانكليزية اسطولاً كبيراً ليقطع الطريق على الاسطول الالماني ويغرقهُ . ورأى امبراطور المانيا ان قد كُشف امرهُ فاحجم وحاول التودُّد الى الانكليز والاميركيين . وبعد تسع سنوات حاول انتزاع مراكش من فرنسا فتصدَّت لهُ انكلترا فرأى ان المباغتة لا تنفع ولا بدَّ لهُ من الاعتماد على قوتهِ البرية ليضعف بها خصومهُ قبل ان ينال مأربهُ منهم فكانت هذه الحرب الزبون

والداعي الذي دعا الالمان الى امتلاك البلدان ليس ان بلادهم ضاقت بهم فطلبوا مهجراً يهاجرون اليهِ ومنتجعاً يرتزقون منهُ كلاَّ لان بلادهم لا تزال واسعة على سكانها متوسط ما في الميل المربع منها ٣١٠ انفس فقط وهم يرغبون الروس والبولونيين والايطاليين والسويسريين والبلغاريين في المهاجرة اليها والاقامة فيها . وليس في المانيا اناس يرغبون في سكنى المستعمرات ولذلك لا تجد في كل مستعمراتهم الأ نحو خمسة آلاف منهم وانما غرض المانيا من اجتياح المستعمرات استخدام الملايين من سكانها والاكتساب من عرق جبينهم بكل واسطة ممكنة ومعاملتهم كالانعام او كالآلات الميكانيكية واستخراج ثروة بلادهم الطبيعيَّة وجلبها الى المانيا لتغتني بها وتفوق ممالك الارض ثروةً وعزة .

قُتل اثنان من مرسلي الالمان في بلاد الصين في ولاية شانتنغ سنة ١٨٩٧ فاسرع اسطول الماني الى خليج كياوتشاو وقبض عليهِ دية للحكومة الالمانية عن قتل ذينيك الرجلين. وبنت الحكومة الالمانية هناك مدينة من اجمل المدن وانشأت حصوناً من امنع الحصون واقامت فيها الجنود وفي مرفإها البوارج وهي ترمي الى ما وراء ذلك فان ولاية شانسي المجاورة لشانتنغ قائمة على مناجم من الفحم الحجري ليس لها مثيل في الدنيا كلها وفيها ايضاً مناجم حديد

من اكبر المناجم والمعدنون الصينيون يكتفون باقل من القليل اجرةً حتى ان طن الفحم الحجري هناك لا تزيد اجرة استخراجه من الارض على خمسة غروش . وكان غرض المانيا ان تستولي على تلك المناجم وتستخدم لها المعدنين من الصينيين فتقبض على تجارة الفحم الحجري في الدنيا ترخصهُ اولاً حتى يبطل استخراجهُ من كل مكان آخر وتسد مناجمهُ ثم تغالي بثمنهِ كما فعلت بالسكر فتسترد ما خسرتهُ وتربح فوقهُ ربحاً ما عليهِ من مزيد ويصير امر الفحم الحجري في يدها . وكان مرادها ان تفعل مثل ذلك بتجارة الحديد فتقبض عليها بيديها لان اجرة العامل في استخراج الحديد في بلاد الصين اقل من نصف غرش في اليوم

والآن أخذت كياوتشاو من الالمان لكي تردَّ الى الصين فخسر حكام الالمان خسارة لا تعوَّض ولا تقابل بها كل خسارتهم المالية في هذه الحرب واضاعوا ايضاً كل جزائرهم في البحر الجنوبي وفي بعضها مناجم الفصفات التي اغنت مدينة همبرج فبطلت معاملها من حين استولى اليابانيون على هذه الجزائر . واكثر الجزائر الاخرى كثير النارجيل ولهذا السبب امتلكها الالمان فاخذها منهم الانكليز الآن

والخسارة الكبرى التي خسرها الالمان بعد املاكهم في الصين املاكهم في افريقية ولا سيما في الشمال الغربي منها حيث الاقليم يصلح لسكن البيض فانهُ لم يبقَ لهم منها الا بعض ما يملكونهُ في شرق افريقية والمرجح انهم سيخسرونهُ قبل انتهاء الحرب . وهاك جدول بما كانوا يملكون قبل الحرب

اسم البلاد		زمن الاستيلاء عليها	مساحتها	سكانها البيض	سكانها الاصليون
بافريقية	بلاد التوغو	١٨٨٤	٣٣٧٠٠ ميلاً مربعاً	٠٠ ٣٦٨ نفساً	١٠٣١ ٩٧٨ نفساً
	" الكمرون	١٨٨٤	١٩١ ١٣٠ "	٠١ ٨٧١ "	٢٦٤٨ ٧٢٠ "
	في الجنوب الغربي	١٨٨٤ - ١٨٩٠	٣٢٢ ٤٥٠ "	١٤ ٨٣٠ "	٠٠٧٩ ٥٥٦ "
	" " الشرقي	١٨٨٤ - ١٨٩٠	٣٨٤ ١٨٠ "	٠٥ ٣٣٦ "	٧٦٤٥ ٧٧٠ "
كل املاكهم بافريقية			٩٣١ ٤٦٠ "	٢٢ ٤٠٥ "	١١ ٤٠٦ ٠٢٤ "
في اسيا كياوتشاو		١٨٩٧	٠٠٠ ٢٠٠ "	٠٤ ٤٧٠ "	١٦٨ ٩٠٠ "
في جزائر الباسفيكي		١٨٨٤ - ١٨٩٩	٠٩٦ ١٦٠ "	٠١ ٩٨٤ "	٦٣٤ ٥٧٩ "
المجموع الكلي		١٨٨٤ - ١٨٩٩	١٠٢٧ ٨٢٠ "	٢٨ ٨٥٩ "	١٢ ٢٠٩ ٥٠٣ "

وبلاد التوغو في غرب افريقية من جهة الجنوب بين بلاد النيجر الفرنسوية ومستعمرة شاطىء الذهب وهي زراعية شديدة الخصب يزرع فيها الذرة واليام والتبيوكا والزنجبيل والموز والبن وفيها كثير من النخل الزيتي والكاونشوك والنارجيل . ومواشيها كثيرة جداً من

البقر والغنم والمعزى والخنازير والخيل . ومن صناعات السكان الاصليين الحياكة والحدادة والنجارة وعمل الخزف وهم يستخرجون الحديد ويسبكونهُ

وبلاد الكمرون الى الشرق من بلاد التوغو وسواحلها كثيرة الخصب ويزرع فيها النارجيل والبن والصمغ الهندي والنخل الزيتي وجربت فيها زراعة كبش القرنفل والفانلاَّ والزنجبيل والفلفل . والبلاد كثيرة الابنوس ونحوهِ من الاخشاب الثمينة وفيها الذهب والحديد

وافريقية الجنوبية الغربية سواحلها قليلة الخصب وقد جرب في داخليتها زرع القطن والكرم والتبغ والتوت لتربية دود الحرير ولكن اكثر الاعتماد على تربية المواشي لاتساع مراعيها وفيها من البقر ٢٠٥٦٤٣ ومن الغنم ٤٧٢٥٨٥ ومن المعزى ٥١٦٩٠٤ ومن الخيل ١٥٩١٦ ومن البغال والحمير ١٣٦١٨ ومن الخنازير ٧٧٧٢ ومن الجمال ٧٩

وفيها من المعادن النحاس والذهب وحجر القشلة . وقد استخرج منها ٢٧٥٠٠ طن من النحاس سنة ١٩١٢ و ٧٦٦٤٦٥ قيراطاً من الماس قدر ثمنها ٩٦٨٤٢٣ جنيهاً

واملاك المانيا في شرق افريقية اكثر مستعمراتها سكاناً سواحلها كثيرة الحراج من النارجيل والتمر الهندي والباوباب ونجودها كثيرة الاكاسيا وشجر القطن والجميز والبنيان ويزرع فيها البن والتبغ والفانلاَّ والكاوتشوك والشاي والقطن والشكونا وقصب السكر . وسنة ١٩١٢ كان فيها للوطنيين ٣٩٥٠٢٥٠ من البقر و ٦٣٩٣٣ رأساً من الغنم والمعزى . وفيها من المعادن الفحم الحجري والحديد والرصاص والنحاس واهم صادراتها الصمغ الهندي والكبرا والعاج والبن والسيسل وشمع الحشرات . وكياوتشاو صغيرة ولكن تحيط بها بلاد واسعة غنية ومن حاصلاتها الاثمار على انواعها والفول السوداني والباطاطا الحلوة ويربَّى فيها دود الحرير ويستخرج منها الفحم الحجري ويصنع فيها الصابون والمسكرات ويرد اليها كل سنة ما ثمنهُ ستمائة الف جنيه ويصدر منها ما ثمنهُ اربعة ملايين جنيه

وجزائر الباسيفيكي كثيرة واكثرها غني بالنارجيل والكاوتشوك والقطن والبن والافاويه ومناجم الذهب

وقد بذلت الحكومة الالمانية جهدها في تعمير هذه المستعمرات فانشأت فيها المرافئ وسكك الحديد والمدارس والمعامل وما اشبه واعتنت بالسكان الاصليين ولكن كما يعتني صاحب المواشي بمواشيهِ اي بذلت جهدها في وقايتهم وتشغيلهم حتى تستفيد منهم الفائدة الكبرى ولكنها لم تفتح امامهم سبل الارتقاء لكي يتمكنوا من الاستقلال يوماً ما او لكي يبلغوا ما يستطيعون البلوغ اليهِ من الارتقاء العقلي والادبي والمادي

السبيرتسم وعلاقتهُ بالجنون

المقالة الثالثة

مشاهدات طبية

شرحنا في المقالتين السابقتين الظواهر السبيرتية وما يماثلها و ينطبق عليها من الاحوال المرضية ووعدنا ان نختم البحث في هذا الموضوع بايراد بعض الحوادث التي لا يمل القارئ من مطالعتها لما فيها من الفكاهة والفائدة ولا يبقى بعد الوقوف عليها مجال للريب في علاقة السبيرتسم بالجنون

المشاهدة الاولى — حادثة وقعت تحت نظري ومراقبتي اثبتها هنا لاهميتها وحسن دلالتها على علاقة السبيرتسم بالجنون وهي ف — عمرهُ ٥٢ سنة لا سابقة مرضية لهُ ولا عادات سيئة حسن التربية قوي العقيدة بالدين وعلى معرفة من العلوم الابتدائية وقليل من الثانوية . بدأ الميل فيهِ منذ عشرين سنة الى اقتحام الاعمال الكبرى ولا سيما استنباط الماء من جوف الارض . وازداد هذا الميل منذ عشر سنين الى مزاحمة الشركات الكبرى وزعم انهُ يستطيع ان يكفي سكان القاهرة من الماء الزلال الذي يستنبطهُ من سفح المقطم واخذيتهم رجال الادارة بالغفلة والاغضاء عما تجنيهِ الاهالي من فائدة مشروعهِ . ومع انهُ لم يحضر جلسة سبيرتية ولا عرف شيئاً عن السبيرتسم كان يلجأ دائماً الى استشارة الطاولة و يعتقد بصدق انبائها وحاول اكثر من مرة ان يقنعني انا وسواي باستطاعتهِ تحريك الطاولة فجلسنا مرة حولها ووضعنا ايدينا عليها بعد ان وضع هو يدهُ عليها فلم نشعر بحركة ما واما هو فكان يحاول جهدهُ اقناعنا بحصول الحركة

وبدأ الاختلاط الذهني فيهِ منذ ثلاث سنوات وظهر اولاً في حاسة السمع فصار يسمع اصواتاً غريبة من نوع القرع ثم اصوات كلام مفهوم وبعد مدة امتدَّ الى حاسة البصر فصار يرى رؤى غريبة و بعدها الى الحس العام فصار يشعر بمجارٍ كهربائية مزعجة على سطح جسمهِ و يعتقد ان الارواح تعذبهُ بهذه الطرق الثلاث و يتّهم بذلك جيرانهُ الذين يسكنون شقة من البيت تحت شقتهِ فكان يقول انهُ يسمع كل ما يجري عندهم من المؤامرات ويرى كل ما يرتكب من الجرائم ولكنهُ لا يستطيع الى المقاومة سبيلاً لانهم كانوا ينومونهُ تنويماً مغنطيسيًّا و يعذبونهُ بالمجاري الكهربائية عذاباً اليماً

اصاب الاختلاط الذهني فيهِ ثلاثة مرا كز حسية واخذت اعراضهُ تشتدُّ شيئاً فشيئاً

حتى استولى على كل عمل من اعمالهِ وحركة من حركاتهِ وصار يرى جرائم القتل تتكرر عند الجيران كل يوم وساعة حتى امتلأَت الجنينة برمم قتلاهم وصار يخرج الى الشارع و ينبه على المارة والجيران ان يتقوا شر جيرانهِ شركاء الارواح الشريرة في الجرائم و ينشئ التقارير المسهبة للحكومة وخصوصاً لعميد الدولة المحتلة عن تلك الفظائع ويطلب منها والاقتصاص من مرتكبيها واصبح لا حديث لهُ الاَّ فيهم وعنهم وآل امرهُ منذ سنة الى السرايا الصفراء حيث يقيم الآن وحالهُ تحسن ببطوء

المشاهدة الثانية — نقلت عن جيلبر و باله وموموتيه فينار

في ٨ اكتوبر حضر المريض للعيادة وشكا من ان ارواحاً تضطهدهُ وطلب منا شهادة طبية يستند اليها في الشكوى من اناس يتهمهم بمشاركة الارواح في تعذيبهِ

كان حارساً في مقبرة برلاشيز والتقى منذ سبع سنوات بامرأة نظرت بختهُ في الورق وفسرت لهُ خطوط يدهِ وزعم انهُ لم يعر ذلك اهمية ولكنهُ اعترف بان ذهنهُ اظلم من ذلك الوقت ولم يعد يقوم بواجباتهِ حق القيام. وفي اغسطس سنة ١٨٩٦ رفت من مصلحتهِ بدون ان يعرف سبباً لرفتهِ و بعد سنتين ماتت امرأَتهُ عقيب ولادةٍ ومات ابنهُ بعدها بمدةٍ قصيرة و بعد موت امرأَتهِ بثلاثة اسابيع دُفع فجأَة بدافع لا يعلمهُ الى كتابة جملة قال ان روح امرأَتهِ املتها عليهِ وهي « انا امرأَتك التي تحبك أُنبئك بانك ستتزوج بالسيدة ماري ب الساكنة في شارع بارمانتيه نمرة ٢٨ » وكان ذلك بدء اتصالهِ بالارواح وقد ازعجتهُ هذه الظاهرة كثيراً لان روح امرأَتهِ كانت تتردد اليهِ كثيراً وتملي عليهِ جملاً عديدة وكثيراً ما كانت تراجع هذه العبارة « ستتزوج بتلك المرأَة وستكون سعيدًا »

ورغبة في استيضاح هذه الظاهرة دخل في جمعية سبيريتية فافهموهُ انهُ وسيط مهم وعلَّموهُ كيف يحرك الطاولة. ومن ذلك الحين جعل يرى الارواح ولا سيما ليلاً بصور شنيعة كصورة الافعى والضفدع والضب وكانت تكلمهُ وتقول لهُ دائماً « ان حياتك ستكون مملوءَة بالمحن ». وفي اثناء ذلك وقع في يدهِ اعلان مبصرة بالورق ينطبق اسمها وعنوانها تمام الانطباق على ما املت عليهِ روح امرأَتهِ وهو السيدة ماري بشارع بارمانتيه نمرة ٢٨ فذهب اليها فاخبرتهُ انهُ وسيط مهم وجعلتهُ يكشف الماضي والمستقبل لشخص كان حاضراً

اخذت هذه الظواهر تزداد فيهِ من ذلك الحين وصار يرى المبصرة الى جانبهِ على الدوام ولا سيما في الليل وكانت تعذبهُ وتطلب منهُ ان يكون عشيقها فيرفض لكونها عجوزاً شنيعة عدا انهُ كان يخشى شرها . وقد اصبح دائم الاتصال بروح امرأَتهِ فكان يلومها على مشورتها عليهِ

بالزواج بيمصنرة الورق القبيحة ويطلب منها ان تخلصهُ منها فلا يجاب الى طلبهِ · ومن ثم اخذ يقدم الشكاوي الى الحكام الواحدة تلو الاخرى ويطلب من البوليس معاقبة المبصرة وهذه تدافع عن نفسها بزيادة تعذيبهِ وكان يراها على الدوام قريبة منهُ وهي وزوجها يشتمانهِ ويهددانهِ بالقتل ان لم يسحب شكاويهُ ويرسلان اليهِ طائفة من الارواح الشريرة التي ترعبهُ بصورها الشنيعة وقد استيقظ صباح يوم فجأة مرعوبًا من افعى رابضة على صدرهِ ورأسها على كتفهِ واستحال عليهِ النوم بعد ذلك واخذ يحاول احيانًا صرف الارواح عنهُ كيدها بالرجاء والاستعطاف فلم ترعوِ ويحاول احيانًا ان يطردها بعصا ولكن العصا كانت تخترقها بدون ان تؤثر فيها لانها غير هيولية مع انهُ كان يراها بوضوح كما يرى المواد الهيولية · وفوق هذا كانت تنبعث من تلك الصور الشنيعة روائح كريهة كروائح المواد الآلية المحروقة وهذا يدل على ان حواسهُ الاخرى اصيبت ايضًا

وما عدا الارواح التي تضطهدهُ كان يرى ارواحًا صالحة تنصحهُ النصائح الحسنة تكلمهُ تارة فيسمع كلامها وتوحي اليهِ اخرى بطريق الفكر فيفهمها · واخبرنا انهُ رأى مرة روحهُ الخاصة جاءت اليهِ وخاطبتهُ بهيئة رجل مرتدٍ رداء اسود وانهُ رأى فجأة في رائعة النهار كرة من نار تتدحرج امامهُ على الشارع ثم اختفت وعقبتها رائحة كبريتية وادعى ان هذه الظواهر لا يشعر بها احد سواهُ وانهُ يمتاز بذلك بصفة كونهِ وسيطًا

ثم ان اتصالهُ بالارواح صالحة كانت او شريرة لم يقف عند حد الحواس بل تعدى الى الكتابة وقد املت عليهِ روح امرأتهِ امامنا الجملة الاولى التي مر ذكرها · واذا كتب فيكتب احيانًا كلامًا يسمعهُ باذنهِ واحيانًا كلامًا يوحى اليهِ في باطنهِ بدون ان يسمعهُ باذنهِ وفي هذه الحالة قد كتب تحت نظرنا ومراقبتنا العبارة الآتية « انت لص وكان يمكنك ان تعمل احسن من ذلك كثيرًا · انت لا تعمل حسنًا باهانتك هذه المرأة » واحيانًا يأخذ القلم ويشرع بالكتابة بدون ان يشعر انهُ يتبع املاء يملى عليهِ من الباطن او من الخارج لاننا القينا عليهِ سؤالًا ارتبك في الجواب عنهُ فاخذ القلم وشرع يكتب ما استحال عليهِ الجواب عنهُ لفظًا فدل ذلك على انهُ لا يدرك معنى الكلام الَّا بعد كتابتهِ على الورق · ثم سألناهُ من أملى عليهِ هذا الجواب فقال لا ريب في ان روحًا جعلتهُ يكتب ما كتب واكد لنا ايضًا انهُ لم يسمعها عند ما املتهُ عليهِ · والكتابة التي يكتبها باملاء الارواح تكون احيانًا صحيحة واحيانًا متنوعة واحرفها متقطعة وصورها متباينة وقراءتها صعبة وكثيرًا ما يرسم سلسلة خطوط غير منتظمة كثيرة المنحنيات والاشكال قد يملأ بها صفحة كاملة · وقد قرأ لنا مرة عبارة من

كتابة من هذا النوع لا تخلو من المعنى فاستعدناهُ قراءتها فلم يستطع ان يقرأها كما قرأها في المرة الاولى

وكان يتنبأ احياناً عن المستقبل و ينبئ بما يكون عليهِ الطقس في فصول السنة و يدل على العلل التي تصيب الناس وعلى مدتها وشدتها و يزعم ان لهُ تأثيراً كبيراً في شفاء الامراض ومن نحو سنة صار يدَّعي انهُ ينتقل من مقرهِ الى الاماكن البعيدة تارةً تجرهُ الارواح اليها رغماً عنهُ وتعذبهُ في الطريق بالسوائل المحرقة وتارةً ينتقل من نفسهِ ويجول في الفضاء ويسبح في الكواكب وقد جال في اكثرها واكتشف كثيراً منها وهو لا يعرف ما هي ولا يذكر اسماءها . و يحصل لهُ ذلك نصف الليل غالباً واكثر سياحاتهِ كانت الى عطارد وهناك يتجسم ويتخذ هيئتهُ وصورتهُ الاعتياديتين . وكتب لنا مرة رواية احدى سفراتهِ قال

رأيت سلسلة جبال على شطوط بحر عطارد ورأيت الشطوط تعلوها الصخور و يغطيها النبات وهي آهلة بالحيوانات الكثيرة الانواع ويمتد من سفوح الجبال سهول من اوسع السهول واخصبها وسكان البلاد نظيرنا . ولما لم يكن في امكاني ان اذهب الى كل مكان لاطلع بنفسي على كل شيء استعلمت عن بعض الاماكن من روح لا اعرفهُ فاراني قامة عطارد وافادني عن كل شيء وشرح لي عن مدينة لوفيفنوف وكنيستها وعن قسم كبير من مقاطعة استافانوف . وتعرفت بروح من عائلتي وهي روح والدتي ولكنني لم اتعرف بها الا حديثاً وقد ساعدتني على المحادثة مع سكان تلك المدينة . وانفردتُ في بعض المناخات فتعقبتني الارواح ولو اتخذتُ رفيقاً لانقيت شرها . ورأيت شخصين لم يكترثا لي فسألت والدتي وعطارد عنهما فقال عطارد تفرس فيهما جيداً هما يسوع ومريم العذراء وهما عدوان لك

وقد أطلعنا على معلومات اخرى وهي ان ملابس سكان تلك البلاد كملابسنا واشغالهم كاشغالنا وان لغتهم هي اللغة اليونانية القديمة مشوهة

المشاهدة الثالثة — نقلت عن سوليه و بواسيه وهي تشرح حالة امرأة مصابة بجنون الوسيط المزدوج مع هذيان النبوءة والرسالة واختلاطات ذهنية حسية ومحركة يخالطها عناصر من مصدر منزلي واجتماعي

المرأة — عمرها ست وثلاثون سنة عصبية المزاج كثيرة الاضطراب والتفكر لا تميل كثيراً الى طبع امها الرهبين ولا الى احد ممن يحيط بها لانها لم تجد فيهم من يفهمها وفضلت ان تتخلص منهم بالزواج رغم اعتقادها بانها لا تجد في الزواج ما يوافق رقة احساسها والغاية الشريفة التي تنشدها وهي محبة الانسانية ومحبة الديانة مع انها لا تعرف شيئاً مهماً عن

الدين لان تربيتها لم توجهْ اليهِ التوجيه الكافي . وكان خالها يهتم بالسبيرتسم وسمعتهُ احياناً يتكلم عنهُ فاستلفت ذلك نظرها الاَّ انها لم تحضر جلسة منهُ وبعد موت خالها زال هذا الموضوع من بالها

حسبت نفسها تعيسة مع زوجها لانها وجدتهُ فظّاً دنيّاً فانصرفت بكليتها الى احلامها السابقة وبدأَت تسمع صوتاً لطيفاً وواضحاً صادراً من صدرها يعزيها ويشجعها ويعدها بالمكافأَة في المستقبل عن مصائبها الحالية وكانت تصغي اليهِ وتجهد قواها العقلية احياناً لاستصدارهِ وتسألهُ من هو وتحسب انهُ لا بد ان يكون صوت ميت يهتم بها

ونظراً الى ما كانت عليهِ من الميل الى نشر مبادىء الحب والحنو والشفقة ولما كانت تقاسي من العذاب في بلوغ مطالبها السامية كانت ترى زوجها بارداً فاحتقرتهُ ومع ذلك فلما انحرفت صحتهُ واصيب بالنوراستينيا عقيب شغل عنيف اضطر الى الانقطاع عنهُ رافقتهُ الى سويسرا واعتنت بهِ اعتناء زائداً مفرطاً

كانت تعتقد ان الصوت الذي يكلمها هو صوت روح وكانت قد تعرفت بسيدة تحرك الطاولة فارتأى زوجها ان تجرب ذلك وحدها ففعلت واعتقد زوجها ان الطاولة تهجت تحت يدها اسم والدهِ فاقتنعت هي انها تخاطب الروح التي كانت تحامي عنها ولكنها لا تعرف روح من هي . ثم تعبت من خدمة زوجها واضطرت الى ملازمة الفراش واباحت لهُ حينئذٍ بسر الصوت الذي لم تبح بهِ لاحدٍ فاظهر لها اعتقادهُ باتصالها باحد الارواح . وفي مساء يوم جلست في سريرها واركعت زوجها امامها وقالت لهُ ان الروح مزمع ان يكلمها ثم فاهت بما قالتهُ الروح بدون ان تعلم ما تنوي ان تقولهُ فانحت عليهِ باللوم والتقريع وهو خلاصة ما كان يجول في ذهنها ضدهُ من مدة طويلة اما هو فلم يشك في صدقها لانهُ ايقن من امور كثيرة ان ذلك الصوت صوت امهِ التي لم تعرفها زوجتهُ الاَّ قليلاً ولكن تأثيرها فيها بقي قوياً

فعرفت الآن الروح التي كانت تحامي عنها وهي روح حماتها التي اصبحت مرشداً لها وثبت لها انها وسيط يقرع ويسمع و يتكلم واخذ زوجها يستعين بهذه الصفات على استحضار روح امهِ واستشارتها عند اللزوم فقادت هذه الممارسة المرأَة الى التهيج العصبي المفرط والأَرق والم الراس وخفقان القلب والرؤَى . فرأَت في احدى الليالي رؤْيا تذكر في تاريخ حياتها وهي نور اثار شعرها وتجلى لها الله بوضوح محاطاً باشخاص كانهم اجتمعوا لمشورة سماوية . وكلمها الله بلطف وخصها باسم راراهو ووعدها بمحبتهِ ومساعدتهِ وامرها ان تستمر على نشر الصلاح والرحمة وقد كانت تفكر منذ مدة طويلة في انشاء ديانة تكون الرحمة مبدأَها الاساسي وكان

صوت حماتها يشجعها على ذلك واصبح هذيانها بعد تلك الرؤيا جليًّا وواضحًا استوجب مداواتها والاعتناء بها اعتناء خصوصيًّا فحسنت حالتها بعد المداواة ولما دخلت في دور النقاهة نقلت الى باريس ودخلت السناتوريوم في اول يوليو سنة ١٩٠١ ولم تذكر مدة اقامتها فيهِ شيئًا عن ماضيها ولم تبح على الاطلاق انها اصيبت بحالة اختلاطية الاَّ انها كانت تتكلم مع روحها المرشدة بدون ان تدع سبيلاً لاكتشاف ذلك رغمًا عن كل مراقبتنا واستقصائنا . وكانت تحدث كثيراً بالفلسفة والآداب وتتكلم عن غايتها وهي ابدال الاديان المعروفة بدين الرحمة وتكتب افكارها باختصار عن الحب والقلب الانساني وكل ذلك بدون غلو وببساطة تخالطها حماسة امرأة تعدُّ نفسها في منزلة عالية . وافادتها العزلة والراحة سريعًا بازالة ما بقي من الانحطاط العصبي الذي اصيبت بهِ ونال زوجها الذي كانت تحتقرهُ الحظوة في عينيها واستدعتهُ ليكمل مدة نقاهتهِ في الجنوب في اواخر اغسطس سنة ١٩٠١

.الاَّ ان حديث العائلة عاد الى موضوع السبيرتسم فاحست انها مدفوعة بما لا تستطيع مقاومتهُ الى ان تسأل الطاولة وهذه لم تقتصر على الاخبار عن حماتها وخالها بل اخبرتها عن اناس لا يزالون احياء وقالت ان القيصر نقولا الثاني حضر بنفسهِ ووقف عند رجل الطاولة ليصادق على مشروعها ويشجعها على نشر دعوة الرحمة والسلام العام . فعاد اليها الهذيان قويًّا وزادت على مكالمة الارواح انها زعمت ان يسوع المسيح والله نفسهُ صارا يناجيانها والله الذي تجلى لها في سويسرا استعاد منها اسم راراهو وصار يناجيها من مصادر مختلفة من الراس ومن الصدر ومن الطاولة وبالرسائل المكتوبة وعيَّن لها نظامًا للاهوت وجعل تذكار حالاتها الانفعالية السابقة يعود اليها بدقة فترى الاشخاص الذين رافقوا الله في تجليهِ الوحيد لها في سويسرا وتقول ان الله يحكم الكوكب كيفاوس وهو اله الالهة واشرفهم واقدمهم وانهُ هو الذي يدبرها في المستقبل ويسلحها ويحميها وهو الذي يأمرها ان تخصص نفسها للدعوة الى ديانة الرحمة التي ستدعى الديانة الكامية باسمها وان الله يكتبها بحرف K لانهُ اشرف من حرف C وان اخت زوجها حضرت لكي تعتني بها لانها قرأت بالالهام التلبثي رسالة عتاب منها على تأخرها عن الحضور للاعتناء بها . ومن ثم اصبح الهذيان مزعجًا كثير الحماس والتهييج واقتضى الرجوع الى مداواتها بالعزلة والانقطاع التام عن ممارسة استحضار الارواح . ولما تحسنت حالها اعيدت الى باريس وادخلت الى السناتوريوم في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠١ وكانت في اشد الانحراف العصبي تصاب بالم في الراس وآلام في الاطراف وخفقان قلب وارق وتنميل وانحراف حساسة الجلد ونقصانها في بقع غير معينة وسرعة الفعال وضيق

ونوب وبكاء وثورات حرارة على سطح الجسم وهبوط ونوب اسهال عقيب اقل غيظ · وكل هذه الاعراض تزول وتعود على التعاقب حسب ما يحصل لها من دواعي السلوى او الغيظ وقد ضعفت بسببها وهزلت

ومع ان الهذيان صار على وشك الزوال كان لا يزال قويًّا والعمل الذاتي الانفعالي شديد الاثر والمريضة تمثل بمنظرها وموقفها وعبوستها استعدادها لهبوط الوحي وتتنبأ بلهجة الانبياء بكل رصانة وتلح كثيراً لاظهار مواصلاتها بعالم الغيب في ما لازمت السكوت عنهُ مدة اقامتها الاولى في السناتوريوم · وقد زادت اختصاصاتها الوسيطية ونمت عدداً وتركيباً وحافظت بنوع خصوصي على خاصة القرع · ورغمًا عن سهولة مخاطبتها للارواح بواسطة السمع بقي ميلها الى الرجوع الى الطاولة قويًّا جدًّا واذ كنا نعارضها في ذلك كثيراً ونشدد المراقبة عليها اخذت تقرع بقلم الرصاص ونكتب احرفًا على الكتاب او على الفراش و بعد منعها منهُ لجأت الى القرع باصبعها ومن ثم اصبح القرع داخليًّا ودماغيًّا محضًا اي ان الاحرف صارت تقرع بفكرها وفي رأسها واصبح هذا القرع الدماغي احدى الوسائل الرئيسية لمناجاة الارواح ولا سيما مناجاة الله الذي كان ملازمًا لها اكثر من الجميع

الأ ان قلم الرصاص بقي تحت يدها فكان يستهويها فيسحب يدها فتمسكهُ فيجرها على الورق وبذلك اصبحت وسيطًا رسامًا وكانت ترسم رسومًا عديدة وعيناها مغمضتان وترمز الى الله حارسها بصورة بشرية غير جلية يستدلُّ عليها بخطوط متعرجة تنشأ من نقطة واحدة وترمز برسوم اخرى الى المة اخرى او نجوم مجهولة وترفق كل رسم بكتابة تفسيراً لهُ اذ بدونها يبقى الرمز غامضًا لانهُ مركب من خطوط مستقيمة واخرى منحنية مع نقط رمزية تدل دلالة ضعيفة على تقاطيع الوجه

وقد كانت تزعم ان بعض كتاباتها تكشف اشياء مجهولة عن الالهة والكواكب والنجوم والمسائل العلمية وعمل تلسكوب جديد والوسائل المجهولة لشفاء الامراض والرسالة الكامية ووسائل الحصول على الفائدة منها وكانت تظهر في كل هذه الشروح اعجاب الله بها وشدة عطفهِ عليها

اما زوجها فكان في الجنوب ولم يرَ امرأتهُ في الدور الثاني من المعالجة ولكن عرف بوصول هذه الرسائل اليها وكان يعتقد بصحتها اعتقاداً لا يشوبهُ ريب ويعجب بها كثيراً ولم نتمكن من اقناعهِ بفساد هذه المواصلات الأ بصعوبة كلية

وفي ادوار الحدة كانت تلابس كل انواع الاتصال بالارواح من حماتها والقيصر نقولا

الثاني الى الآلهة المجهولة . وبعد هجوع الاعراض وتحسن الحالة صارت الاصوات تسكت شيئاً فشيئاً ولم يبقَ منها الاَّ اصوات الارواح المعزية وفي دور النقاهة لم يبقَ الاَّ صوت الله وحدهُ ومع ذلك صارت تجهد كل قواها لاستدعائهِ . وقد طالت مدة النقاهة وبقيت بحالة التصرف تخاطب الله بالطرق السبيرتية القانونية وتنصرف الى الصلاة وتصلي بدون انقطاع صلوات حارة ويحصل لها ذهول تشعر فيهِ احياناً انها بمقام كهنوتي . وقد حصل لها ذلك في سويسرا لما ظهرت لها الرؤيا ومن ذلك الوقت صارت في دور تشعر بنزاع لطيف وبمبارحة الحياة والارض والانتقال الى الفضاء وحاسة الجسد واقفة ومعطلة ويرافق ذلك استدعاء الله الحي الذي يستدعيها الى الفردوس ثم يعيدها الى الارض

واستمرت على المواصلة بينها وبين دليلها التلبثي بالقرع الدماغي والقرع السمعي واللغة الانفعالية وكانت تتحدى في كتابتها صيغة الانشاء التلغرافي احياناً وصيغة الانشاء النثري والشعري غالباً وتحليهِ بانواع البديع وكان الشعر يطاوعها فتنظم منهُ في كل مقاصدها وتقرض قصائد طويلة يدل بعضها دلالة واضحة على ازدواج شخصيتها وتعنون الواحدة بالصلاة والاخرى بالصوت وتشرح فيها تأثير اختلاطاتها الذهنية وذهولها

وسار التحسن سيراً قانونيًّا الاَّ انهُ كان بطيئاً ومذبذباً بسبب الاختلاطات المستعصية التي لم يمكن التغلب عليها بسهولةٍ لانها كانت اذا سكتت الارواح عن مخاطبتها تحزن وتتكدر فتستدعيها سرًّا لتعلم هل كانت لا تزال تلبي طلبها وكانت تقول انها تساق الى الطاولة كما «لو كانت مورفيناً» . وبالرغم من هذه الصعوبة تم الشفاء وهي الآن تقوم بدون عناء بواجبات الام والزوجة مع الواجبات البيتية ولا تزال نقية ورعة تهتم بالاعمال الخيرية وتزاول نظم الشعر بدون ملل لا هذيان فيها ولا اختلاط وقد فهم زوجها ومن يحيط بها حالتها فصاروا يعتنون كل الاعتناء بابعادها عن كل عمل سبيرتي

الخلاصة — اتضح لنا ان سدى السبيرتسم الوهم ولحمتهُ الخداع وانهُ ليس من العلم الصحيح في شيء لا ركن لهُ يستند اليهِ ولا قاعدة صحيحة يعول عليها . يستخدم اصحابهُ ذوي العقول المزعزعة ويعول دعاتهُ في تأييدهِ ونشرهِ على تلفيقهم وجعجعتهم وهذيانهم ولو كان علماً صحيحاً اولو اخلص اصحابهُ في بحثهم لنبذوا تلك الوسائل الدنيئة وعولوا على البحث العقلي الصادق والتجارب العلمية الصحيحة كما يفعل رجال العلم الصادقون الذين افادوا العالم باكتشافاتهم وانارو الانسانية بمعارفهم بدون جعجعة اوعجزلة لا غموض في اعمالهم ولا اسرار ولا رموز ولا تكهن ولا شيء آخر مما يغشي الاذهان ويضيع الرشد

وقد عرفنا كيف يتغلغل بين المتفرجين في قاعة السبيرتسم صغار العقول واصحاب الانحراف العصبي والجنون المستتر والهوس الديني والاستعداد الوراثي المفسود فيلقون بايديهم الى التهلكة اذ يقضي السبيرتسم على البقية الباقية من عقولهم المتخلخلة فينفضح المستور فيهم وينهدم المتخلخل من بنيانهم ويشتد الميل في كثير منهم الى الموت انتحاراً ويلحق اذاهم بالجمهور كما ثبت من الشواهد التي قدمناها وعرفنا منها ان الجنون السبيرتي يرتكب جريمة القتل عمداً او بغير عمد فضلاً عن ان جنون الوسيط يزعزع العقول الضعيفة بما يقدم صاحبهُ من الشواهد التي يدعي انهُ رآها بعينه او قام بها بنفسهِ شواهد من المعجزات والخوارق التي تعجز تلك العقول الضعيفة عن تعليلها فتميل الى تصديقها والايمان بها و يتولد فيها الميل الى القيام بمثلها فينمو هذا الزرع و يكثر الخلل وتفسد التربية

فعلى دعاة السبيرتسم ان يقيموا بنيانهم على اساس علمي وان يكشفوا لنا ان استطاعوا سراً جديداً من اسرار الطبيعة و يأتونا ببرهانهم ان كانوا صادقين

انتهى

الدكتور
امين ابو خاطر

سكان غربي اسيا

او تركيا اسيا

ليس في ارض الله بلدٌ مثل تركيا في تعدد اقوامهِ واختلاف اجناس سكانهِ لغة وبنية وديانة وعادات . وقد خطر لعالم الماني اسمهُ لوشان (وهو استاذ علم الانسان في جامعة برلين الآن) منذ ٣٥ سنة ان يتعهد تلك الاقوام و يرجع كلاً منها الى اصلهِ ففاز بهذه المهمة حيث اخفق غيرهُ . فان العالم روزن وهو من اكبر ثقات زمانهِ في البحث عن ام اسيا الصغرى وسورية قال في بعض كتاباتهِ ان معرفة اصل الاقوام النازلة في غرب اسيا ستبقى على الدوام لغزاً لا يحل . وقد قرأ لوشان بحثهُ هذا في الحفلة السنوية التي تعقد تذكاراً للاستاذ هكسلي بعد ان قضى فيهِ ثلاثين سنة من الزمان . وعدّ من سكان تركيا اسيا ٢٣ فرعاً بحث في اصل كلٍ منها واوضح بحثهُ بالصور . وسنلخص في هذه المقالة ما كتبهُ عن كل فرع من هذه الفروع

اما اسماء الفروع فهي كما يأتي : السود . الجركس . الالبان . البلغار . البوسنيون . الافرنج واللفنتين . اليهود . الغجر (النوَر) التركمان . اليوروق . الكرد . الطهطجية . البكتاش . الانصارية . القزيل باش الدروز . الموارنة . الايرانيون . العرب . الترك . الروم . الارمن .

(١) السود

هؤلاء اسهل الاقوام تمييزاً عن غيرهم لسواد بشرتهم . وقد كان اثرهم ضئيلاً في تاريخ البيض من اهل اسيا الصغرى وسورية و بناء مدنيتهم مع انهم جلبوا الى تلك البلاد من اول عصور التاريخ . ولا تكاد تجد حتى الآن بيتاً من بيوتات المسلمين الأ وفيهِ الخدم من العبيد والإماء او الجواري السود اللواتي ادخلن الحريم فولدن الاولاد من الاسمر الفاتح الى الغامق وما بينهما . وقد لا تجد مكاناً افضل لدرس اختلاط الاجناس من مدن الشرق الادنى الأ البرازيل . والغالب ان يسمي العبد الاسود في جنوب الاناطول عربيًّا . وليس في لون البشرة هناك ضعة على ما اعلم فان الخلاسيين يزاوجون البيض

(٢) الجركس او الشركس

بعد ما سلم شامل[1] هاجر نحو مليون مسلم من اهل القوقاس الى الاناطول وسورية فانزلتهم الحكومة على الرحب والسعة وقطعت لهم القطائع ولكن لما كانوا بلا زعيم يأتمرون بأمرهِ لم تكن لهم شكيمة تكبح جماحهم فسادت الفوضى واللصوصية وقام كلُّ رجل على اخيهِ فانقرضوا في معظم الاراضي التي اقطعوها . والذي زاد الطين بلة وساعد على انقراضهم ان تلك الاراضي كانت في الغالب آجاماً ومستنقعات فكانت بؤرة لحمى الملاريا ففتكت بهم فتكاً ذريعاً . اعرف مكاناً قرب « الاصلاحية » هاجر اليهِ نحو الف عائلة جركسية سنة ١٨٨٠ وليس فيهِ الآن سوى سبع منها وهي على اسوإ حال بسبب الحميات وسائر الامراض . وقلما يزوج الجركس بناتهم للترك او العرب

(٣) الالبان او الارنؤد

يقال ان عدد الارنؤد (او الارنؤط) في تركيا اسيا يبلغ مئة الف . وكثير منهم ينتظمون في الجيش و بعضهم اصحاب مناصب عالية في الحكومة وقليل منهم في السفارات والقنصليات وهم معروفون بذكائهم النادر . ومعظم « القوَّاسة » في القنصليات الاجنبية وعند كبار التجار من الارنؤد وكذلك الغلمان الذين يستخدمون أجراء في الحمامات التركية . واكثر الخانات في داخلية البلاد في ايدي الارنؤد

ومن السهل التمييز بين هؤلاء الارنؤد وسائر العناصر المسلمة التي تتألف السلطنة العثمانية منها وذلك لانهم كثيرو المباهاة بجنسهم والتمسك بلغتهم وقلما يزاوجون الغرباء عنهم فلذلك

(١) اسم زعيم قوقاسي مشهور حارب روسيا زماناً طويلاً ثم اسرتهُ في اواسط القرن الماضي

تراهم متجانسين في ملامحهم وصفاتهم الطبيعية الى حدٍّ لا يخطئ احد عندهُ في تمييزهم عن غيرهم · ومعظمهم سمر طوال القامة ذوو رؤُوس كبيرة مفلطحة او مستديرة

(٤) البلغار

في تركيا بضعة الوف من البلغار اكثرهم في الاستانة وبعض المدن التي على ساحل الاناطول الشمالي · ويسهل تمييزهم عن غيرهم بلسانهم وزيهم · وقلتهم منعت ان يكون لهم اثر في جيرانهم النازلين بينهم · وهذه هي حال الرومان والسرب المقيمين في الممالك العثمانية فنكتفي بالاشارة اليهم

(٥) البوسنيّون

لم تغادر باخرة من بواخر شركة لويد النمسوية مدينة تريسته الى الاستانة منذ سنة ١٨٧٩ الأ وعليها مهاجرون من اهل البوسنه والهرسك فراراً من حكم النمسا · وهم يفضلون السكنى قرب مدينة بروسه (او بورسه) · وهم يسمون في النمسا تركاً والحقيقة ان ليس في عروقهم دم تركي فانهم سلالة الصقالبة الجنوبيين الذين سكنوا البوسنه والهرسك في القرن الرابع عشر للميلاد فلما سقطت السلطنة السربية اسلموا · ولغتهم ليست من التركية في شيء بل هي مزيج من اللسان السربي والكرواتي

(٦) الافرنج واللفنتين

يسمى المسيحيون الاوربيون في جميع الشرق الادنى فرنجاً ويسمى نسل الاوربيين فيه من فرنسويين وايطاليين على الغالب لفنتين (اي شرقيين) وهم قلما يزاوجون اهل البلاد · ولا ريب عندي ان كثرة ما يرى من الشقر الالوان في داخلية الاناضول وسورية ليست ناشئة عن تزاوج اهل البلاد والاوربيين في الزمان الحديث بل سببها قديم

وقد اكد كثيرون ان متوسط وفيات الاولاد بين العائلات الافرنجية الشقراء في المدن الشرقية الشديدة الحرّ صيفاً اعظم منهُ بين السمر الالوان فاذا ثبت ذلك بالاحصاء الدقيق كان ذا شأن كبير من الوجهة العلمية ·

(٧) اليهود

لا يخفى ان اليهود الشرقيين لا يزاوجون الاقوام المقيمين بينهم فلذلك لا يؤثرون طبعاً في صفاتهم الجسمانية · وهم على اقسام اكثرهم عدداً اليهود المسمون سفرديم وهؤُلاء نسل

اليهود الذين طردوا من اسبانيا في القرن الخامس عشر ولهجتهم فرع من الاسبانية القديمة ، واثرهم كبير في تقدم السلطنة العثمانية عقليًا وماديًا

واقل منهم شأنًا بكثير اليهود الاشكنازيم او الشكناز نسل اليهود الذين هاجروا من شرق اوربا ولغتهم خليط من العبرانية العامية والجرمانية القديمة ٠ وكان الفرق بين هذين القسمين في مبدإ الامر جغرافيًا عرَضيًا ولكنهما ما فتئا يفترقان حتى امسى الاختلاف بينهما جوهريًا وحتى بات الجمع بينهما مستحيلاً ٠ عرفت عائلة شكنازية في الاناطول تفضل الامتناع عن اكل اللحم على اكله مذبوحًا بيد جزار سفردي ٠ وفي سنة ١٨٦٤ ابتاع يهود بخارست المنتمون الى طريقة سفرديم مقبرة خاصة لكي لا يشاركوا الشكناز في شيء حتى الموت ولم يتحقق هل بين الطريقتين فروق في المعتقد ٠ وفي معظم البلاد تجدهم اقل اختلاطًا ومعاملة بعضهم لبعض من البروتستانت والكاثوليك في اشد قرى اوربا تعصبًا ومع ذلك ليس لفريق منهما خواص طبيعية واضحة مميزة كما تميز الاجناس المختلفة بعضها عن بعض

على ان بعض اليهود يقولون انهم « ساميون صرف وشعب مصطفى مختار » وترى بعض الصحف العلمية الحديثة تحدثك عما في اليهود من التجانس التام ٠ ولكن هذا التجانس ليس لهُ في الواقع وحقيقة الامر وجود الا في الكتب ٠ فان في اليهود اناسًا ذوي عيون شهل وسود ٠ وشعور سبطة وجعدة ٠ وانوف شماء وفطساء وخنساء ٠ ويتراوح الدليل الجمجمي فيهم بين ٦٥ وهو اقل ما يكون في النوع الانساني و ٩٨ وهو اعظم ما بلغهُ فيهِ ٠ وليس بين علماء علم الانسان من لا يزال يقول بتجانس جماجم اليهود على ما اعلم ٠ والجميع يسلمون بان معظم جماجم اليهود مفلطح (مستدير) في حين ان جماجم الجنس السامي مصفحة (طويلة) ٠ ومع هذا كلهِ نسمعنا نتحدث بالوجه اليهودي وسهولة تمييزهِ عن غيرهِ ٠ ولكن هذه الخاصة ان صحت تسميتها خاصة نستسهل الشعور بها ونستصعب تحديدها ٠ وقد حدَّدها احد علماء الالمان واسمهُ جوزف جاكوبس بانها اتخاذ المنخرين شكلاً خاصًا بهما ٠ وقد نسب هذا الشكل اليهِ فسُمي "Jacobs's nostrility" اي شكل المنخرين على مذهب جاكوبس

وقد اراد العالم فيسنبرج ان يبرهن على ان لليهود خواص طبيعية تميزهم عن سائر اجناس الخلق فعرض مئة صورة فوتوغرافية من صور الروسيين المسيحيين واليهود على صديقين من اصدقائهِ احدهما روسي مسيحي والثاني روسي يهودي ولم يكن يميز المصوَّرين شيء الا ما سوى الا كان ذلك في اللباس او غيرهِ ، فاصاب الاول في نصف الصور واخطأ في النصف

الآخر . واصاب الثاني في ٧٠ بالمئة منها واخطأ في الباقي. على انني لا ارى هذه التجربة شافية وافية . فقد كان اجدر به ان يعرض على صاحبيه صور يونان وارمن وايرانيين اذاً لرأى ان الاصابة تكون اقل والخطأ اكثر ولاتضح له ان ما يسميه بالطرز اليهودي ليس الأ طرزاً شرقياً صرفاً .

وفي تركيا ومصر يهود من غير هذين الصنفين نزلوا تلك البلاد من عهد السبي ولكنهم قليلون ولم تسنح لي فرصة لقياس جماجمهم

(٨) الغجر (النَّوَر) وتوابعهم

يقال ان في انحاء تركيا ٣٠ الفاً من الغجر يعيشون على السرقة وعمل المناخل والغرابيل والسلال . وفيما سوى ذلك تجد عشرتهم طيبة والجمال بينهم ليس نادراً . وهم رحّل يرتادون في الشتاء السهول فينتقلون فيها بخيامهم المصنوعة من شعر المعزى وفي الصيف الجبال . ورأيت مرة قوماً منهم ضربوا خيامهم في مكان يعلو ثمانية آلاف قدم عن سطح البحر . ولا يعرف شيء عن اصلهم وفصلهم واول عهدهم بالمهاجرة وتاريخهم . فهم في الاناطول يتكلمون بالتركية وفي سورية بالعربية ويبالغون في اخفاء لغتهم او لهجتهم الخاصة بهم كل المبالغة حتى انني حاولت مراراً وتكراراً ان اقتنص منهم بعض عبارات منها فذهبت مساعيّ سدى

وقد لقيت في شمال سورية طائفة تسمّي نفسها طائفة الابطال وتتبرأ من الغجر ولكنني لم اجد فرقاً جوهريًّا بينها وبينهم لا في الصفات الطبيعية ولا في العادات الاجتماعية . ومن هذه الطائفة فئات تجول من مكان الى مكان رُباعَ او خُماسَ وتحمل كلٌّ منها راية كبيرة حمراء او خضراء . وفئات دأبها الشعوذة والرقية وإبصار البخت والحواية

ولا يخالط الغجر قبائل سورية والاناطول . وهم يقولون انهم مسلمون ويتسمون باسماء اسلامية ولكنهم يعاملون بالاحتقار والامتهان في كل مكان . والمسلمون في الاناطول قلما يلعنون واذا لعنوا احداً او شتموه فمن جملة شتائمهم قولهم « تشنجين » اي يا غجري

(٩) التركمان

التركمان الحقيقيون اي اهل غربي تركستان نادرون في الاناطول ولم ألقَ منهم احداً في سورية . وهم يرتحلون من مكان الى مكان بيتاً او بيتين معاً . ويسهل تمييزهم عن غيرهم ولو عن بعد بنوع جمالهم التي يقتنونها فانهم يقتنون الجمل ذا السنامين في حين ان

غيرهم من قبائل اسيا الصغرى تقتني الجمل ذا السنام الواحد او الهجين . رأيت مرة عائلة تركمانية في ليسيا الشرقية جاءت من نواحي سمرقند بتركستان وكان قد مضى عليها في ارض غربتها اربع سنوات وقالت لي انها تنوي الوصول الى الاستانة ثم تنقلب عائدة الى وطنها وقدرت ان ذلك يكون بعد خمس سنوات او ست . ولبعض التركمان عيون كعيون اليابانيين والصينيين . ورؤُسهم صغيرة مستديرة وهم قصار القامة قلما تزيد قامة احدهم على ١٦٠ سنتمتراً . ولا يخالطون الذين ينزلون بينهم

(١٠) اليوروق

اليوروق قبيلة من قبائل الاناطول الرحَّل وهم اكثر عدداً من التركمان بكثير . ومعنى الكلمة رحالة او جوَّالة . وقد سميت جميع القبائل الرحَّل يوروق فافضى ذلك الى خطإٍ كثير . اما اليوروق الحقيقيون فيتميزون بتشويه رؤُسهم تشويهاً صناعياً وطول جماجمهم . ولا يعرف وطنهم الاصلي . وهم يتكلمون التركية ولم يُهتدَ حتى الآن الى اثر من آثار لسانهم الاصلي . وقد ارتأَيت من قبل انهُ لا يبعد ان تكون لهم صلة قربى بالنَّجَر لما بين الفريقين من اوجه الشبه الطبيعي . ثم خطر ببالي بعد ذلك انهُ لا يبعد ايضاً ان يكون اسلامهم هو سبب ارتقائهم الادبي ودعتهم ومثابرتهم على العمل حتى اشتهرت نساؤُهم بعمل البسط والسجاد . ولكن هذا مجرد رأيٍ عنَّ لي اذ لا يبعد ايضاً ان تكون مشابهتهم للنَّجَر عرضية اتفاقية . وعسى ان احداً غيري يكون اكثر توفيقاً مني في العثور على تقاليد وحكايات وبقايا من لغتهم القديمة يهتدى بها الى حقيقة اصلهم

وبينهم وبين الذين يساكنونهم شيء من التحاسد حال حتى الآن دون تزاوجهم

(١١) الكرد

كردستان بلد الاكراد ارض جبلية الى الجنوب الشرقي من جبال ارمينية تبلغ مساحتها ضعفي بلاد اليونان . ومعظم الجزء الشمالي الغربي منها عثماني والجزء الجنوبي الشرقي ايراني . وقبائل الاكراد او عشائرهم كثيرة لم تتحد سياسياً فيما مضى بل كان كلٌّ منها خاضعاً لزعيم مستقلٍّ حتى جاءت تركيا في القرن الماضي فكسرت شوكتهم بمساعدة الجنرال مولتكي الكبير وكان حينئذٍ ضابطاً في جيش بروسيا

ولا يعلم متى اتخذت عشائر الاكراد كردستان موطناً لها ولعلَّ تاريخ اشور وما يستخرج من الدفائن والاحافير في اعالي دجلة والفرات يميطان اللثام عن هذا السرّ في مستقبل

الايام · اما ما نعلمهُ عن الاكراد فهو ان لغتهم آريّة اي شقيقة اللغات الاوربية المشهورة ورؤُسهم مصفحة وعيونهم زرق وشعورهم شقر على الغالب · ولقد فحصت ثلاث فئات من الاكراد فئة موَّلفة من ١١٥ رجلاً قرب قره قوش · وثانية من ٢٦ رجلاً في نمرود طاغ · وثالثة من ٨٠ رجلاً قرب سنجارلي · فوجدت في الاولى ٧١ رجلاً من البيض الناصعين (زانثوكروي) وفي الثانية ١٥ · وفي الثالثة ٣١ · اي ان البيض الناصعين بلغوا ٥٣ في المئة من المجموع (٢٢١) · وتراوح الدليل الجمجمي في الاولى بين ٧١ و٧٨ . وفي الثانية بين ٧٢ و٧٨ · وفي الثالثة بين ٧٤ و ٨٠

اما اكراد قره قوش ونمرود طاغ فيعيشون في عزلة عن الناس ولم أجد بينهم سوى تاجرين صغيرين من الارمن · واما اكراد سنجارلي فيسكنون على مقربة من قرى المسلمين والارمن · والمشهور انهم يخطفون بنات الارمن احياناً ويتخذونهم زوجات وكثيراً ما يتزوجون من المسلمين العثمانيين فباتوا لذلك ابعد عن عنصرهم الاصلي من الاكراد الآخرين

هذا فيما يخصّ الاكراد العثمانيين او الغربيين · اما الاكراد التابعون لايران اي الشرقيون فربما كان عدد السمر فيهم اكثر منهُ في العثمانيين ورؤُسهم اكثر استدارة

ولغة الاكراد كثيرة اللهجات ولكن يمكن قسمتها الى قسمين شرقيّ وغربيّ وكلاهما آريّ كما تقدم القول ذو صلة بالفارسية الحديثة والهندستانية · ومن رأيي أن الاكراد متشعبون من الجنس الآري او الفرع الذي يقطن منهُ شمال اوربا فالجرمان ابناء عمومتهم · ومما يوَيد ذلك ولا يمكن ان يكون مجرَّد اتفاق ان على بضعة اميال من حدود كردستان شمالاً بلدة بوغاز كوى عاصمة المملكة الحثية القديمة حيث اكتشف ونكلر سنة ١٩٠٨ آثاراً عليها كتابات حثية ناجى بها ملوك حثّ آلهة الآريين مترا وفارونا واندرا ونساتيا واستمطروا الرحمة منهم كما استمطروها من آلهة حثّ · وتاريخ هذه الكتابات سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد · وقد سمّي فيها ملوك حثّ وقومهم «هاري» · وفي كتابات فارسية وجدت بعد ذلك بتسعة قرون سمّى زركسيس ودار يوس نفسهما «هاريا» اي آريين

لذلك يقال ان الكرد سلالة غزاة الآريين وقد حافظوا على شكلهم ولغتهم ما يزيد على ٣٣٠٠ سنة

العلوم الحديثة وفضلها على الانسان

ذكر استوالد (Ostwald) في كتابهِ الفلسفة الطبيعية مذهبهُ في تعريف العلوم فقال «العلوم هي استنتاج ما سيحصل مما نعلمهُ من دقائق الامور المتكررة» وبين ان المعرفة التي لا نستطيع ان نتنبأ بواسطتها عن صورة المستقبل لا تعد من العلوم بل عدها ضمن اللعب. فالعالم الانساني لا يستفيد شيئاً من لاعب الشطرنج وهو لا ينبغي لهُ ان يتطلب اهتمام سواهُ بلعبتهِ كما لا ينبغي لسواهُ ان يمنعهُ عن التمتع بلعبها ما دامت لا تضر الانسان فالتاريخ على حسب هذا التعريف لا يعد من العلوم اذا تناسى المشتغلون بهِ او لم يستطيعوا ان يستنتجوا من علم ما مضى حوادث المستقبل فيستفيد العالم منهُ

هذا التعريف في ذاتهِ تعريف العلوم في اعم واوسع معانيها ولكن اريد ان اعرّف العلوم في هذا المقال تعريفاً نكون بهِ اقرب الى ادراك حقيقتها وفهم بعض مميزاتها ولذلك ارى ان اعرفها بطريقتها التي يتبعها الباحثون في ابحاثهم الحديثة والتي امتازت بها معارف العصور الحاضرة عن معارف العصور الغابرة واستطاع الانسان بها ان يقرب من الحقيقة. هذه الطريقة وصفها كارل پيرسن (Karl Pearson) بقولهِ «ان في ترتيب الحقائق وتكوين حكمنا مؤسساً على ذلك الترتيب لا على هوى النفوس — الغرض الذي ترمي اليهِ العلوم وجوهر الطريقة العلمية الحديثة» فطريقة العلوم الحديثة تبتدئ بجمع الحقائق وترتيبها لادراك انسجامها وارتباطها والوقوف على اهمياتها النسبية ثم تستنتج غير جاعلة لشعور شخصي او عاطفة دينية او قومية دخلاً في الامر. هذه هي الطريقة العلمية وارى ان كل ما يتبع فيهِ هذه الطريقة يعد من العلوم

وقد نتبع هذه الطريقة الآن في مباحث عدة تشمل موضوعات هذا العالم العظيم ولذلك تعددت العلوم الحديثة واختلفت ومع ذلك فان بينها جميعاً ارتباطاً تاماً ولا يصح لنا ان ننظر اليها نظرنا الى اقسام مستقلة لا علاقة بينها. فكان اذن موضوع تقسيمها ليس من الموضوعات السهلة. وقد اختلفت في هذا الشأن العلماء باختلاف العصور لاتساع دائرة العلوم بما يجرى من الابحاث والتجارب كل يوم. ولربما كان اكبر داع لتضارب آراء العلماء بخصوص تقسيم العلوم قصر بعض الموضوعات على بعض العلوم دون غيرها مع انهُ قد تتعدد مواضع الاشراف على تلك الموضوعات وتدخل بذلك ضمن عدة علوم

ولا يخلو موضوع تقسيم العلوم من مزايا فان البحث فيهِ مما ينبه العقول الى مسائل ذات

اهمية كبرى . فلا يخفى مثلاً ما في معرفة مركز علم الاجتماع بين سائر العلوم من الاهمية على المجتمع الانساني . وان درسنا للعالم لا يكون كاملاً ما لم تكن بين ايدينا خريطة تبين لنا علاقة العلوم المختلفة بعضها ببعض فان لها مع تعددها وكثرة فروعها وحدانية يجب ان نؤكدها لانها كلها ترمي الى غرض واحد . ولقد يقدَّر تقدمها نحو الكمال بادراكنا درجة القرابة بينها . والفروع التي تتفرع اليها العلوم اصطلاحية اكثر منها غير ذلك والغرض منها سهولة الغلبة على الموضوعات الكلية . فمع ان عامة الناس لا يصعب عليهم ان يتصوروا الفرق بين النباتات والحيوانات فان العلماء لا يستطيعون تحديد مبادئ تلك المملكتين تحديداً دقيقاً وكذا مثلاً في علمي الطبيعة والكيمياء

وقد قسم استوالد العلوم الى ثلاثة اقسام سمّى القسم الاول منها العلوم الدقيقة او العلوم المحكمة وهو يشمل علم المنطق والرياضة والهندسة والحركة . وسمى القسم الثاني العلوم الطبيعية وهو يشمل الميكانيكا والطبيعة والكيمياء . وسمى الثالث العلوم الحيوية وهو يشمل الفسيولوجيا والسيكولوجيا (علم النفس) والسوشيولوجيا (علم الاجتماع) وقد رتبها على هذا السياق لتأتي بحسب الاعم وبحيث يتوقف العلم على امهات العلوم التي تسبقهُ . فعلم الطبيعة مثلاً لا تفهم نظرياتهُ ويستحيل التوسع فيها بالمام يسير بالعلوم الرياضية . كما ان الرياضة نفسها تتوقف كلية على المنطق . وطالب الفسيولوجيا لا يمكنهُ درسها بدون ان يحيط بمبادئ العلوم الطبيعية من طبيعة وكيمياء . وعرَّف استوالد علم الفسيولوجيا بانهُ يبحث في الظواهر الحيوية ما عدا الظواهر النفسية او العقلية اي يدخل تحت لفظة فسيولوجيا علم النبات والحيوان وعلم وظائف اعضاء النباتات والحيوانات والانسان

ومما يدل على ان تقسيم العلوم اصطلاحي ان كثيراً من العلماء يعدون علم الميكانيكا فرعاً من فروع الطبيعة . ووجود فرع من علم الكيمياء يسمى الكيمياء الطبيعية يدل على انهُ لا يوجد حد فاصل بين الطبيعة والكيمياء

هذه العلوم العديدة توصلنا الى الوقوف على قوانين الطبيعة ودرس نظام العالم وظواهره . والاعتقاد الشائع ان العلوم تشرح اسرار العالم وتحل بها ألغاز الكون نشأ عن غلو ومبالغة . فالعلوم لا تشرح ظواهر الكون بالمعنى الذي يفهم من لفظة «شرح» وانما هي تحلل تلك الظواهر المعقدة الى عواملها التي تتركب منها . ولو قيل ان العلوم الطبيعية شرحت او علَّلت ظاهرة المد والجزر او ان العلوم الحيوية جعلت بعض وظائف الجسم اكثر بياناً ووضوحاً فلا يعنى بذلك الأ الوصول الى ادراك الحقائق المرتبطة بهذه الامور وكشف علاقتها

بقانون عام . كذلك اذا قلنا مثلاً ان العلوم عللت سير الكواكب في النظام الشمسي واوقفتنا على اسرار مجاريها فاننا لا نعني بذلك الاَّ اننا عرفنا علاقة ما يختص بحركة هذه الكواكب بقانون عام وهو قانون الجاذبية . وهذا القانون لا يتعدى كونهُ وصفاً لتلك الحركة كما كانت قوانين كبلر (Kepler) قبلهُ الاَّ ان هذا الوصف ادق واوجز بل ابلغ من تلك الاوصاف الثلاثة التي تعرف بقوانين كبلر لانهُ يشملها جميعاً و يمكننا استنتاجها منهُ

الى هنا تنتهي وظيفة العلوم فانَّ وظيفتها الحقيقية هي وصف العالم امَّا علة جري الكواكب على هذا القانون فليس البحث فيها من اختصاص العلوم . ولا غرابة ابداً في هذا التصريح فلو قيل مثلاً ان الكواكب تتجاذب لانها مادية فليس ذلك جواباً شافياً لان علة تجاذب المادة تظل غامضة . ولو قيل ان المادة تتجاذب لانها نافورات من الاثير يتدفق الاثير منها فان علة تكوين هذه النافورات الاثيرية تظل بعد ذلك غامضة . وفي هذه الايام وقد تقدم علم الطبيعة تقدماً مدهشاً حتى استطعنا ان نحلل الظواهر الطبيعية الى الالكترونات يبقى امامنا تعليل خواص هذه الالكترونات وكنهها حتى ولو ذهبنا الى انها مراكز اجهاد في الاثير يبقى امامنا الاثير سرًّا غامضاً . فالعلوم الحديثة لا تبحث في الكمية بل تبحث فقط في الكيفية وذلك بان تصف لنا كيفية حدوث امور هذا الكون كما نشاهدها وصفاً تامًّا موجزاً حيث تستعاض جملة قصيرة نسميها قانوناً طبيعيًّا بمعانٍ جمّة لا توفي حقها الاَّ مجلدات ضخام

وقد يذهب بعض الكتّاب الى وجوب اقرارنا بخروج بعض موضوعاتنا عن دائرة العلوم . الاَّ ان ذلك قول لا صحة فيهِ وقد بيَّن ذلك الاستاذ كارل بيرسن في مقال طويل حيث شنَّ الغارة على الفلاسفة « الذين يشرعون ظواهر الكون وهم لا يلوون ولا باليسير من مبادىء العلوم الطبيعية » فلو خرجت مباحث النفسيات او ما وراء المادة عن دائرة العلوم لكان ذلك اعدم اتباع الطريقة العلمية الحديثة في تلك المباحث اي اعدم الابتداء بجمع الحقائق وترتيبها والبحث في علاقاتها بعضها ببعض واستنتاج ما نستنتج من تلك الحقائق المجموعة غير مندفعين تحت تأثير اميالنا النفسية او عواطفنا التي يجب الاَّ يكون لها دخل في هذه الامور . فباتباع هذه الطريقة فقط يمكن الوصول الى الحقيقة . وقد لا يمنع البحث احياناً لاغترارنا بظواهر الامور واعتبارنا بعض الاباطيل والاوهام حقائق نجعلها اساس استنتاجاتنا واحكامنا او لعدم درسنا عدداً كافياً من تلك الحقائق تكون دعائم تقوى على حمل ما يبنى عليها

فظواهر السحر التي كانت تعد حقائق في القرون الوسطى اتضح لنا الآن انها ما كانت الاَّ اوهاماً ما لها دليل . اما كيمياء تلك القرون فقد كانت خليطاً بين اوهام وحقائق و بتوالي

البحث عزز جانب تلك الحقائق القليلة واضيف اليها عدد كبير غيرها حتى تدرج من كيمياء تلك القرون على الكيمياء الحديث

فعجز العلوم في وقتنا هذا عن ان تحكم حكماً نهائياً في المسائل الروحية او العقلية او غيرها لا ينبغي ان يحملنا على القول بان باع العلوم اقصر من ان يحلها فكما حُلّت مسائل عدت عويصة في الماضي سيحل رجال المستقبل المسائل التي تعدعويصة الآن · وما على رجال العلوم الآ ان يجمعوا من الحقائق ويجروا من التجارب ما يستطيعون به ان يعرفوا علاقة تلك الظواهر بعضها ببعض و بغيرها من الظواهر الطبيعية الاخرى

ولذلك قام في اواخر القرن الماضي جمع من رجال العلوم وعظماء الكتاب من الانجليز بتأسيس جمعية لجمع المشاهدات واجراء التجارب المتعلقة بما كان قد شاع وقتئذٍ من اخبار التنويم المغناطيسي وتحضير الارواح وغير ذلك من المسائل الروحية حتى يندمج البحث في هذه الامور ضمن المباحث العلمية لو كانت على حقيقة و يتأسس بذلك فرع من العلوم يبحث في الروحيات او يقام الدليل على بطلانها فتندمج ضمن الخزعبلات والاوهام كما اندمج مثلاً السحر من قبل · ويجب في هذه الامور عدم التحيز او الاسراع في الحكم (لانها لا شك لا تكون خالصة من الغش والتدليس) والآ نتشبث فننكر دائماً او نصدق دائماً بل يجب ان نبحث بحثاً دقيقاً حتى نصل الى الحقيقة ونقرَّبها وان آلمنا ايجادها على غير ما كنا نأمل

وان من مميزات العلوم اقرارها بالعجز عند العجز وليس في ذلك غضاضة عليها او على المشتغلين بها بل ان ذلك مما يضمن تقدمها في المستقبل اذ يظل باب الاجتهاد مفتوحاً لا يوصده جمود متخبط على غير هدى · ولا ينبغي صيانة لتقدم العلوم ان يتداخل في حقوقها وامورها فلاسفة ما وراء المادة او غيرهم من الكتاب فيقفوا حجر عثرة في سبيل تقدمها · ومن مميزاتها ايضاً الاذعان للحق عند ظهوره والاعتراف بالخطإ والسعي في تصحيحه وذلك علة ما يطرأ عليها من التغيير بتوالي البحث والدرس وليس ذلك مما ينقص من قدرها فهي في كل حالة من احوال تطورها تحتوي على مبادئ من الصدق والحق · ولا يصح لنا ان نعد قوانين الماضي ونظرياته خطأ فهي كما قال كارل پيرسن شبيهة بما يسميه الرياضيون التقريب الاول فاذا توصلنا اليها نجعلها عياراً للمقابلة والمقارنة فنرى عند ذلك تلك المقادير الدقيقة التي اهملها ذلك التقريب فلا تهمل تلك القوانين او النظريات بل يتوسع فيها حتى تشمل تلك المقادير الدقيقة ايضاً وتكون تلك القوانين او النظريات في كل حالة اقرب الى الحقيقة من الحالة التي قبلها · فنظرية الضوء مثلاً ابتدأت بان الضوء ذرات او دقائق صغيرة تخرج من الاجسام

المرئية الى العين. وقد كانت هذه النظرية كافية لشرح انتشار الضوء على خطوط مستقيمة وهي اول ما شرح على اصولها ظاهرتا الانعكاس والانكسار وهي التي مهدت الطريق لصنع المناظير المقربة والمكبرة ولكن استكشف بعد من الظواهر ما لم تستطع تلك النظرية ان تسعهُ في ارجائها فحلت محلها نظرية التموجات وهذه ايضاً لم تلبث على حال واحد فنظرية الايثر « الصلب المرن » تبعتها نظرية التموجات المغناطيسية الكهربائية وها هي اليوم نظرية پلانك (Planck) المعروفة بنظرية الدفعات موضع بحث لدى علماء الطبيعة وتدلّ الاستكشافات الحديثة في تأثيرات الضوء الكهربائية والاشعاع على صحتها

فالنظريات العلمية تخرج من حال الى حال ليكمل ما ظهر من النقص فيها . والعلوم في هذا الشأن تشبه بناء يزداد كبراً وفخامة . قد تهدم منهُ اركان لا لتترك مهجورة مخربة بل ليقام مكانها ما هو أصح واكثر ملاءمة لسائر البناء

ولا يُظن الآن انهُ سيأتي يوم ينتهي الانسان فيهِ من تشييد هذا البناء . وعلماء الطبيعة خصوصاً يدرون هفوتهم في ابان منتصف القرن الماضي حيث ظنوا ان علم الطبيعة بلغ منتهى ما يمكن الوصول اليهِ وظنوا ان كل ما سيجري من التجارب فيهِ لا يكون لاستكشاف جديد بل لدقة تقدير الكميات الطبيعية . والعالم يدري ما كان مآل تلك التجارب والابحاث فقد استكشفت اشعة الكاثود (Cathode Rays) وعُرفت الالكترونات ودرست الظواهر الراديومية وكشفت اشعة اكس ففتح بذلك باب جديد في علم الطبيعة وصلنا بولوجهِ الى نتائج ونظريات لم تكن تخطر على عقول رجال القرن التاسع عشر

ونشأت تدريجاً نظرية المادة الجديدة اي ان المادة جواهرها الفردة شحنات كهربائية صغيرة . ونأمل الآن الأ يقف تقدم هذه العلوم فاذا كان التاريخ ينبئنا عن عصور زهت فيها المدنية وتقدمت فيها المعارف تبعتها عصور اندثر فيها من العالم ما اكتسب من قوة وعلم الأ ان للتمدن الحديث مميزات يمتاز بها على تمدن قدماء المصريين واليونان وغيرهما فالعلوم الآن منتشرة ليست محلية محصورة في بلد واحد او قاصرة على قوم دون غيرهم والتمدن الحديث اساسهُ العلوم الطبيعية التي ندرس بها قوانين الطبيعة وليس اساسهُ سفسطة فيلسوف او خياليات شاعر

وهذه العلوم الحديثة لها على الانسان فضل لا نزال نجهلهُ في هذه البلاد فقد اهتمت بأمرها الامم الراقية وشيدت لها المعاهد فترعرعت وارتقت لديهم ونحن منصرفون عنها بما لا يغني ولا يفيد

ان اول ما يخطر بالفكر من فوائد العلوم الحديثة ما نراهُ من سهولة المواصلات وسرعة الانتقال وتوفر اسباب الراحة وغير ذلك ولكن للعلوم فضلاً اكبر شأناً من هذا فانها تدرب المشتغلين بها على عدم التقيُّد بعادة او برأي وعلى البحث عن الحقائق المجردة · اي ان العلوم تدرب العقول على الطريقة العلمية فلا تكون عرضة كغيرها لتلاعب الاهواء وللانقياد للعواطف الثائرة · وفي ذلك اول واعظم فائدة تعود على الانسان من العلوم · فرجل العلوم الحديثة الذي تعوَّد ان يجمع الحقائق ويرتبها ويستنتج منها ما يستنتج من قوانين الطبيعة لا يكتفي بزخرف القول ولا يركن الى خيال ولا ينقاد لعاطفة هائجة · ومن امثال ذلك الرجل يجب ان يكون قادة الامة وساسة امورها ورجال الاصلاح والتشريع فيها · فاول فائدة تعود على المجتمع الانساني من نشر الوية العلوم الحديثة وتشجيعها والحث على الاشتغال بمباحثها وموضوعاتها هي تدريب عقول افراد ذلك المجتمع على استعمال الطريقة الوحيدة التي يمكن الانسان ان يصل بها الى الحقيقة

وللعلوم تأثير كبير في حالتنا الاجتماعية ورقي جنسنا وتمدننا وقربنا من الكمال الانساني الذي ننشدهُ فبدرس القوانين الطبيعية التي تسير عليها الحياة والظواهر التي تؤَثر فينا وبوقوفنا على حقيقة ارتباطنا بالطبيعة وفهم ذلك الارتباط فهماً كليًّا يمكننا ان نقوي العوامل التي تعمل في ارتقاء الجنس الانساني ونساعد الطبيعة البطيئة في سيرها على ناموس الارتقاء · وعلى محبي الانسانية الذين يساعدون الضعفاء عقلاً والضعفاء جسماً ان يستنصحوا العلوم في امورهم حتى لا يعملوا بدون علم في توفير العوامل التي تدعو الى تقهقر الجنس وانحطاطهِ

وللعلوم سوى هاتين الفائدتين فوائد اخرى نتمتع بها كل يوم من ايام حياتنا فتقدم الطب والجراحة والصيدلة وتقدُّم الزراعة والصناعة واستخدام قوى الطبيعة في حاجياتنا وامور معيشتنا وغير ذلك من الامور التي يمتاز بها هذا العصر كل ذلك من فضل العلوم علينا · واملنا بمواصلة البحث في العلوم بلا انقطاع ان يأتي المستقبل بما لا نتوقعهُ الآن كما اتى هذا الزمن بما لم يك في حسبان اسلافنا

وهنا مسألة هامة تخفى على من يعترض على تضييع الاوقات والاموال في كثير من الابحاث الفنية والنظريات العلمية التي لا يرى فيها فائدة تعود على العالم ويفوتهُ انهُ يتعذر علينا ان نجني فائدة عملية او نتوصل الى اختراع جديد ما لم نهتم بتلك الابحاث والنظريات · فلو لم تكن نظرية كارنو (Carnot) مثلاً وعلم الحركة الحرارية لما بلغت الآلات البخارية وغيرها ما بلغتهُ اليوم من درجة الاتقان · ولو لم يكتشف غلفني ما حدث في ارجل الضفدع

عند لمسها قضبان الحديد والنحاس لما عرفت الكهربائية الديناميكية ولما درست قوانينها ولما خطرت التيارات المنتجة بالتأثير بفكر احد ولما اتصل الانسان الى استنباط التلغراف والتليفون ·
واري ان نشوء التلغراف اللاسلكي اعظم دليل على ان الابحاث والنظريات التي قد يبدو للانسان ان لا فائدة مادية منها هي التي اوصلت الانسان الى مخترعاتهِ المدهشة فلم يكن غرض كلارك مكسول عند وضع معادلاتهِ التفاضيلة التي تمثل القوى في المجال المغناطيسي الكهربائي وعند استنتاجهِ من تلك المعادلات معادلة تمثل انتشار تموجات مغناطيسية كهربائية الاَّ تأسيس نظرية جديدة في الضوء وقد كانت هذه النظرية وقتئذٍ لا تخلو من صعوبات ولم يكن هناك دليل عملي على وجود مثل هذه التموجات فقام اولفر لودج وهرتز بتجاربهما في التموجات الكهربائية فتوصل الاول الى احداثها في الاسلاك والثاني الى جعلها تنتشر في الاثير وهذا ما ادَّى توًّا الى التلغراف اللاسلكي · وقد استعملت في هذه التجارب نظرية وضعها كلفن وبيَّن بها ان التفريغ الكهربائي يكون تذبذبيًّا اذا توفرت شروط معلومة · فلولا معادلات مكسول ونظرية كلفن لما تنبهت العقول الى فكرة التموجات الكهربائية ولما توصل الانسان الى اختراع التلغراف اللاسلكي · وكذلك في كل المخترعات الاخرى فانها نتيجة الاشتغال بالعلوم ·

الاَّ ان العلوم لا توصلنا فقط الى المخترعات التي تعود على الانسان بالخير بل ان كل آلات الدمار والهلاك التي تستعمل الآن في هذه الحرب الهائلة من نتائج العلوم ولكن ليس اللوم راجعًا اليها فان الاتوموبيل مثلاً كما قال وليم كيل[1] قد يستعمل لنقل الطبيب لاسعاف المريض او لنقل اللص بعيداً عن يد القانون · حقيقة ان للعلوم هذه السيئة الاَّ ان حسناتها عديدة تمحو تلك السيئة · فلها مثلاً تأثير غريب على رجال العمل والسياسة · وقد ذكر شوستر في خطبة الرئاسة لمجمع تقدم العلوم البريطاني مثالاً لذلك قال انهُ كان عند احد اصدقائهِ الاميركيين تلسكوب كبير فزارهُ ذات ليلة رجل من رجال السياسة المتحمسين فيها وكان حينئذٍ زمن الانتخاب لرئاسة الولايات المتحدة وكانت الاحزاب مختلفة بين ان يكون المنتخب للرئاسة برين او تافت والنضال على اشده بينها فنظر الزائر الى مجاميع النجوم بالنظارة ثم قال لصاحبها

اتقول لي أن كل نجم من هذه النجوم شمس مثل شمسنا ؟ · فقال نعم · فقال لهُ وان لكل شمس منها سيارات تدور حولها كما تدور السيارات حول شمسنا · فقال نعم · فقال لهُ

(١) المقتطف « العلم والعمران » شهر نوفمبر سنة ١٩١٥

وانهُ قد يكون في كل سيارة منها احياء كما في الارض . فقال نعم . « ففكر الزائر قليلاً ثم قام وقال . اذاً لا فرق عندي سواء تم الانتخاب لبرين او لنغت » (١)

فالاشتغال بالظواهر الطبيعية ودرس قوانينها قد يصرف الانسان عن الاهتمام بامور هو في غنى عنها وقد يبعث في افراد الامم المختلفة روح الوئام والائتلاف اذ يتعاونون جميعاً لغرض واحد وهو درس الطبيعة واستكشاف قوانينها وتبيد بذلك منهم روح التعنت والتحزب اذ لا تعنت ولا تحزُّب في العلوم . فلا نخطئ اذن لو قلنا انهُ اذا انتشرت العلوم وارتقت بين الامم والشعوب ترتبط اطراف العالم بعضها ببعض وتصير المصالح متوقفة بعضها على بعض وتتوحد اغراض تلك الامم بتأثير العلوم فتقلُّ تدريجاً اسباب المنازعات وتصبح الارض وطناً واحداً لبني الانسان . ولقد تظهر اليوم هذه الفكرة حلماً ينقضهُ قصف المدافع وانين القتلى والجرحى في ميادين القتال الأ انها فكرة قد تحقق بمرور الزمن وان يكن بقاء الاقوى وتنازع البقاء ناموسين طبيعيين الأ ان القوة قد تكون قوة جثمانية وقد تكون قوة عقلية والباقي عادة هو الاصلح . فالاقوى كما قال الدكتور شبلي شميل في خاتمة كتابهِ في النشوء والارتقاء ليس الاصلح دائماً وليس الاصلح واحداً في كل حال

هذا وان للعلوم فضلاً آخر فهي تسد بعض ما تطلبهُ النفس من الجمال واللذة فالطبيعة لا شك منظرها جميل الأ ان لها غير جمالها الظاهري جمالاً لا ينكشف الأ بالعلوم فلا يعرف الانتظام التام بين اجزاء الطبيعة الأ بالعلوم الحديثة ومن يتتبع خطواتها يجد في ذلك لذة قد تفوق لذة الانسان بقراءة رواية او قصيدة . فتجارب السير جوزف طمسن مثلاً آلت الى استكشاف الالكترون . والنظريات الرياضية المتعلقة بالالكترونات التي وضعها لارمور ولورنتز وغيرهِ ذلك من الابحاث العلمية تدل لا شك على ما لهؤلاء الرجال من الذكاء وقوة الخيال الذي لا يتعدى عالم الحقيقة الى عالم الباطل والاوهام ويجد الانسان في معرفة هذه الاشياء فضلاً عن الاشتغال بها لذة عقلية عظيمة . ولا شك ان رجال العلوم لا يدعوهم الى البحث والاستكشاف الأ ما يجدونهُ من اللذة في ذلك واي لذة تضاهي ما يشعر بهِ الانسان عند الوقوف امام الطبيعة يتمتع برؤْية ما فيها من الانتظام وما بين اجزائها وجزئياتها بل الكتروناتها من التأثير والحركة اللتين تحدث عنها ظواهر هذه الطبيعة العظيمة

مصطفى نظيف B. Sc. Hons.
مدرس بمدرسة طنطا الثانوية

(١) مقتطف دسمبر ١٩١٥

مصر منذ تسعين سنة *

صحف التاريخ

(٧)

عزمت ان امكث بضعة شهور في بلاد العجائب والغرائب · واراني غير آسف لما اتحمله من العناء في هذه الغربة وما ابذله من النفقات الكثيرة للوصول الي غرضي ورأيت ان افضل واسطة لمعرفة الحقائق عن مصر والمصريين هي الائتلاف معهم وتعوُّد معيشتهم ومجاراتهم في عوائدهم مع الصبر والحزم وطول الاناة

فمصر مرآة الزمن الغابر وعلى آثارها ومبانيها وجوامعها ومشاهدها تقرأ صحف تاريخها القديم على اختلاف تقلباتها واحكامها السياسية قرناً فقرناً · فبغداد ودمشق والقسطنطينية وغيرها من مدن الشرق القديمة لم يبقَ منها في الوجود سوى آثار ناقصة غير معروفة · ففي بغداد عاصمة الماديين والفرس لا يجد السائح اثراً لهذه الامم البائدة سوى بعض آثار دارسة وكذلك دمشق لا يجد فيها اثراً لسكانها الاراميين الاقدمين سوى بعض آثار رومانية ويونانية · والقسطنطينية فقدت على اثر الفتح الاسلامي كل آثارها اليونانية ما عدا اثراً واحداً وهو جامع اجيا صوفيا وهذه المدينة تتجدد ابنيتها كل عشرين سنة مرةً لكثرة الحرائق التي تحدث فيها يومياً فيتغير شكلها وتتبدل معالمها كلها واما مصر فلا تزال قائمة فيها كل آثار فراعنتها الاقدمين وابنيتهم وهيا كل معبوداتهم ومصنوعاتهم حتى جثثهم اسرة فاسرة · وكذلك آثار من خلفهم من حكام اليونان والرومان والفرس والعرب والاتراك · فاينما جلت في مدنها وقراها تجد اثراً قديماً · وفي اي شوارع القاهرة مررت تقرأ على جدران الجوامع وابنيتها القديمة آثار حكامها السابقين من الامويين والعباسيين والفاطميين والتركمان والسلجوقيين والايوبيين والمماليك · وابنية هذه الآثار والمعالم والجوامع اتبعت فيها الهندسة الاندلسية والصقلية وارى ان هذا الطرز من هندسة الابنية بزنطي الاصل انتقل اولاً من القسطنطينية الى دمشق و بغداد ومنها الى الاندلس على عهد الامويين ثم اتبع في مصر على عهد الخلفاء الفاطميين · ولذلك ترى آثار ابنية الاندلسيين في غرناطة وقرطبة واشبيلية تشابه تمام الشبه هندسة الجوامع والقصور القديمة في القاهرة · واكثر من تولى مصر من الحكام المسلمين بنى جامعاً او قصراً او اقام سبيلاً او اثراً حميداً من عمرو بن العاص الى

ابن طولون وصلاح الدين و بيبرس الى الحاكم بامر الله والغوري الى امراء المماليك مما يدل على عظمة الاسلام في القرون المتوسطة

ومن الغريب ان جامع عمرو الذي بناه فاتح مصر واحد صحابة النبي والاثر الاول الديني للاسلام لم يبق منهُ سوى بعض جدران متهدمة ومجموع خرابات واما غيرهُ من جوامع الامراء والسلاطين فمتينة البنيان مشيدة الاركان . وجامع عمرو في بقعة منفردة وبرية خاوية خالية بين القاهرة ومصر القديمة تدعى الفسطاط اي الخيمة لان هذا القائد المعظم نصب خيمتهُ في تلك البقعة فبنيت بعدهُ حولها المدينة الاسلامية الاولى ودعيت الفسطاط وبناء هذا الجامع على الطرز البيزنطي تحيطهُ الاعمدة المرمرية تستند عليها قبة عظيمة . ورأيت داخلهُ محراب الامام وهو اجمل واقدم اثر مقدس للاسلام صنع في سنة ٩٤ هجرية . و يقال في تاريخ الفتح ان حمامة بنت عشها على خيمة عمرو وآوت فيهِ صغارها ولما بدأ بنيان الجامع لم يشأ فاتح مصر وقاهر الروم ان يهدم عش هذه الحمامة و يقلق راحتها فامر ان يبنى الجامع حول الخيمة وتركها آمنة مطمئنة على وكرها واولادها

وزرت بالقرب من باب النصر جامع الخليفة الحاكم بامر الله وهو الآن مجموع اطلال دارسة في فناء ارض مسورة بالجدران العالية فهذا الحاكم لم يكتف بلقب الخلافة و بسلطتهِ المطلقة الاستبدادية على كل بلاد الشرق من العراق الى العربية وسورية ومصر بل اراد ان يتشبه بنيرون في ظلمهِ وعتوهِ وبكاليغولا الامبراطور الروماني في كبريائهِ فالاول حرق رومية ليتفرج على خراباتها والثاني ادعى الالوهية و بنى لنفسهِ هيكلاً ليعبد فيهِ وكذلك هذا الحاكم انشأ ديناً خاصًّا بهِ وامر الناس بالسجود لهُ بعد ان ملأ البلاد ظلماً وجوراً

— الخماسين —

« الخماسين » وما ادراك ما هي خمسون يوماً تهب فيها الرياح الجنوبية والشرقية المحرقة المخمدة للانفاس المذيبة للاجسام و يصعب جدًّا على المرء ان يخرج من دارهِ في هذه الايام قبل الساعة الرابعة حينما تهب الرياح الشمالية فتنتعش النفوس بنسماتها البحرية . واكثر الناس هنا يقضون ايام « الخماسين » اما تحت الاقبية الارضية التي لا تصلها اشعة الشمس الحارة او في الحمامات . وعلى ذكر الحمامات اقول انها كثيرة في القاهرة مبنية على الشكل البيزنطي وفي وسط كل حمام بركة كبيرة تنصب فيها المياه بشكل يبهج النظر وفوقها قبة عالية متناسبة الشكل مكسوة بزجاج مختلف الالوان وحول صحن الحمام غرف عديدة للمستحمين في كل منها اجران من الرخام للماء السخن والبارد . وهناك مخادع عديدة للغسل

والفرك والتمسيد والغطس . وفي رحبة الحمام اسرَّة ومقاعد للنوم والاستراحة بعد الاستحمام تقدم فيها النارجيلة والقهوة والمشروبات حسب عادة اهل الشرق الميالين الى التنعم والراحة . ومما يجب ذكره ان اكثر هؤلاء المستحمين اصحاء الاجسام لا يُخشى من الاختلاط بهم خلافاً للحمامات العمومية عندنا فانهُ يجتمع فيها كثيرون من المرضى والمصدورين فالمستحمون في الشرق يطلبون التنعم والنظافة واما عندنا فيقصدون الاستشفاء

وعند ما تهب الرياح الشمالية من البحر بعد عصاري النهار يخرج الناس من منازلهم افواجاً افواجاً الى الخلاء والمروج والمتنزهات لاستنشاق النسيم العليل فالنساء المسلمات يذهبن الى المدافن ويجلسن على حجارة القبور واما المسيحيون واليهود رجالاً ونساء فيذهبون الى شبرا ويسرحون تحت ظلال شجر الجميز او يجتمعون زمراً على المروج الخضراء او يجلسون على ضفاف السواقي والبحيرات . والنساء الشرقيات لهن واسطتان للتخلص من التستر وضيق الحجاب بين جدران منازلهن وهما الحمامات وزيارة القبور والرجل منا كان شديد الغيرة على امرأته ليس في وسعهِ ان يمنعها عن الذهاب الى الحمام او المدافن ولو في الاسبوع مرة واحدة وهذا الامر من حقوقها بحكم العادة

وكل سائح اوربي اتبع طريقتي في المعيشة الشرقية واشترى مثلي جارية يجب ان يضع بازاء عينيهِ ما يأتي من المصاعب . وقعت في اشد الحيرة في كيفية التبرع بجاريتي . على امنعها من الخروج كباقي النساء وحرية الاوربي تأبى هذه المعاملة القاسية . ومن جهة اخرى كيف ادع فتاة ساذجة جاهلة عوائد البلاد غريبة ان تخرج وحدها وتسير في شوارع القاهرة بلا رقيب يحرسها . ثم اي زي تتبعهُ في لبسها أزي اوربية وعلى رأسها قبعة وهذا امر ممتهن يوجب السخرية والهزء لانها جارية . ام تلبس الملاءة والبرقع وتسير مع افرنجي جنباً الى جنب ؟ وكان يجب عليَّ ان احسب عواقب هذه المصاعب

وبينما كانت تصلح شعرها وتلبس ثيابها نزعت العصابة عن رأسها فرأيت على جبينها عند منبت الشعر اثر حرق مستدير على قدر قطعة النقود ومثلهُ على صدرها تحت عنقها وقد نقش عليهِ وشم ازرق يمثل قرص الشمس ولا اعلم هل كان ذلك من ضروب الزينة في بلادها ام سمة النخاس الذي اسرها . وقيل لي ان النخاسين يسمون جواريهم كما يسم الرعاة مواشيهم وغنمهم لتعرف انها ملكهم . وكان ترجماني قد قال لي انهُ يحق لي ان ارد الجارية اذا وجدت فيها عيباً ولكن نفسي الابية تأنف الالتجاء الى هذه الطريقة المعيبة وخصوصاً لان هذه الحروق ولو كانت قبيحة المنظر يمكن ان تستر بعصابة على الجبين او بحلية من الذهب

او بعقد على العنق . وكانت الجارية قد قصت خصلة من شعرها وجعلتهُ غرة على جبينها فلم يعد يرى عيبهُ . وكان انفها مخزوماً منذ الصغر للتحلي بالخزام وكفاها ورجلاها مصبوغة بالحناء على عادة نساء الشرق

***

وعند المساء سمعت خادمي ابرهيم يناديني وفهمت منهُ ان زائراً اتى لمقابلتي فنزلت ورأيت اليهودي يوسف جالساً في المخدع ينتظرني وهو يدخن فقال لي اتيت لزيارتك وقد بلغني انك اشتريت جارية رغماً عن نصحي لك . واني لا اقصد سوى خيرك . وربما غُششتَ في الثمن لان التراجمة يتفقون غالباً مع « الجلابة » على سرقة الاجنبي . فقلت لهُ ربما كان ذلك. فقال ولا بد ان عبدالله ترجمانك اخذ من النخاس كيساً على سبيل السمسرة . وقلت ما العمل فليس في وسعي رد ما فات . قال اذا شئت ان تبيع الجارية وتتخلص منها حينما ترجع الى بلادك هل تظن ان النخاس يستردها منك بالثمن الذي اشتريتها منهُ قلت ومن قال لك اني سابيعها اذا رجعت الى بلادي . قال لو اتبعت نصيحتي لكنت عقدت زواجك على فتاة قبطية من البنات اللواتي عرضنَ عليك ولكنت اقتصدت كثيراً من المال والنفقات . قلت اني لا اريد ان ارتبط بزواج ديني حسبما طُلب مني . قال ولكنك لا تعدم ايجاد وسائط اخرى وكان يجب ان تثقف بي . وفي امكاني ان اسعى لك في زواج تجددهُ متى شئت ولا يكلفك نفقات كثيرة . قلت وكيف ذلك . قال نفتش على رجل فقير صعلوك او خادم صغير من الاقباط او اولاد العرب يرضى بعقد الزواج بالفتاة التي تعجبك على حسابك ثم يطلقها و يتركها لك بدون ان يرى وجهها و يمكنك ان تجدد هذه العقد كلما شئت ابدال المرأة وهذا الزواج المستعار لا يكلفك في كل مرة سوى مال قليل

فطار صوابي من هذا الكلام المغاير لروح العدل والشرائع الانسانية وغلى الدم في عروقي وهممت ان اصفع هذا الرجل الا اني كظمت غيظي واظهرت عدم المبالاة ثم قهقهت ضحكاً . فالسائح في الشرق وخصوصاً في مصر يجب ان لا يعجب من امر ولو كان مدهشاً مستغرباً

ثم اوضح لي يوسف بالتفصيل حقيقة هذه المسألة وان كثيرين من الاوربين اتبعوها . وان اكثر النساء الفقيرات لا يرون بأساً في الزواج على هذه الطريقة اذ يجدن رجلاً يطعمهنَّ ويكسوهنَّ لكي يتخلصن من نقمة حاكم مصر الذي نفى كل المومسات الى الصعيد الاعلى وحرم على كل امرأة عزباء او ليست ذات بعل ان تسكن وحدها ان لم تكن مملوكة . وعلمت من مصدر ثقة انهُ كان في مصر منذ عشر سنين على اثر خروج الحملة الفرنسوية عدد كثير من

النساء المومسات حتى ان المشائخ علماء الدين قاموا يطلبون من الحكومة اسعادهن وابطال منازل الفجور العمومية لكن الحكومة لم تصغ الى شكواهم لانها تستفيد منهن اموالاً طائلة بما تفرضهُ عليهن من الضرائب . ولكي ترضي العلماء ابعدتهن الى المطرية في ضواحي مصر . فتفاقمت الشرور اكثر من ذي قبل وكان كثيرون من الناس يتركون زوجاتهم واولادهم ويقيمون مع العاهرات في تلك الضاحية فقام جماعة من العلماء المتدينين وعرضوا على الحكومة دفع الضرائب السنوية التي تأخذها من هؤلاء النساء وانهم يتبرعون بها عن طيبة خاطر بشرط ان تطهر مصر منهن فامر الباشا حينئذٍ بنفي كل العواهر الى اسنا في الصعيد الاعلى . واصبحت الآن هذه البلدة طيبة القديمة بؤرة الفجور والفساد ومحطاً للسياح والاجانب عندما يمرون من هناك لزيارة الآثار القديمة وصارت مدينة اسنا كابوى ثانية[1] وقد شيدت فيها القصور واقتنى فيها اولئك النساء عبيداً وجواري وحلى ثمينة على حساب السياح الاوربيين

وتأكدت ان صاحبنا يوسف لا يقصد من تكرار زياراته لي وكثرة مشوراته والتظاهر باخلاص الصداقة لي سوى منفعته الخصوصية . فقلت لهُ في اثناء الحديث ان ما دفعتهُ ثمناً للجارية وترتيب البيت وفرشه اضعف ما بقي وصرت مضطراً الى اتباع الاقتصاد . فقال لي ليتك وضعت بين يدي الخمسة الاكياس التي دفعتها ثمناً للجارية لكنت في مدة وجيزة ارجعتها لك اربعة اضعافها بتجارة ورق التوت لاني اتاجر بهذا الصنف مع بعض شركاء فنشتري الورق بالجملة من اصحاب الاملاك وهو على الشجر ثم نبيعهُ مجزءًا باثمان غالية للمزارعين الذين يربون دود الحرير ولكن يلزمنا رأس مال ندفعهُ نقداً ثمناً للورق . والنقود في مصر قليلة جداً حتى ان المتوسط المعتاد للفائدة القانونية ٢٤ في المائة ولكننا في تجارتنا هذه نربح في المائة ١٠٠ او ١٥٠ . ولما لم يأتِ مني جواباً قال لي . والآن عندي لك نصيحة اخيرة لا اقصد فيها سوى خيرك وهي ان لا تدع ترجمانك عبد الله يكلم الجارية او يأتلف معها ولا تجعل لهُ سبيلاً للاجتماع بها لما بينهما من وحدة الجنسية والدين فربما افسد اخلاقها الساذجة او شوش افكارها وجعلها تنفر منك وربما فرت من عندك يوماً ما والتجأت الى سيد آخر يحميها من رجل اجنبي

فهذا الكلام جعل في قلبي قلقاً وهمًّا ورأيت شيئاً من الصواب في نصيحته هذه ولو لم يقصد بها سوى النكاية بترجماني لكوني اشتريت الجارية بواسطته من غير ان استشيرهُ .

(١) كابوى مدينة في ايطاليا اشتهرت منذ القدم بالفساد والفجور ولم تزل الى الآن مجتمعاً لفاسدي الاخلاق والآداب تؤمها العواهر من جميع البلاد وهي محط رحال السياح من جميع انحاء اوربا وكلمة كابوى في المعجمات اضحت من مترادفات الفجور والفساد

وحقيقة الامر اذا كان يصعب على الشرقي المحافظة على زوجتهِ فكم بالاحرى يصعب عليَّ وانا اجنبي ان احافظ على فتاة غريبة عني جنساً وديناً ولغة واخلاقاً . والى الآن لا اعلم شيئاً من امرها سوى اسمها . هل اقتني عبداً خصياً (اغا) يحافظ عليها و يرافقها في خروجها ودخولها او هل اطلق لها الحرية والاستقلال في العمل كصاحبة رجل فرنسوي حرّ . ان يوسف اليهودي هذا يحذرني من ترجماني ولكن الفطنة تقضي عليَّ ان احذرهما كليهما معاً

وكان عبد الله قد تركني في الصباح وذهب الى السويس ليستقبل بعض الانكليز القادمين من الهند فعزمت عند رجوعهِ ان اصرفهُ من خدمتي اقتصاداً لمرتبهِ وفكرت في ان بُعدهُ عني يضطرني للاهتمام بدرس اللغة العربية او التقاط بعض عبارات ضرورية من الجارية تكفي لتبادل الكلام بيننا . قال اللورد بيرون ان افضل واسطة لمن يريد ان يتكلم لغةَ امرأةٍ يعيش معها منفرداً ولا يعتمد الاَّ على بعض كتب ابتدائية . وحقيقةً ان التمرن على الكلام افضل من الانكباب على المعجمات والتراجم . ولما انصرف يوسف من عندي صعدت الى غرفتي فرأيت زينب واقفة امام النافذة المطلة على الشارع تتطلع يميناً و يساراً من وراء « المشربية » فاقتربت منها وهي لا تشعر ورأيتها تحدق بنظرها الى بيت مجاور وكان هناك ضابطان تركيان جالسان عند مدخل الدار يدخنان فادركت ان وراء ذلك خطراً ادبياً يجب تلافيهِ ولما اردت ان افهمها بطريقة لطيفة ودية ان تبتعد عن النافذة امتنع عليَّ النطق بكلمة عربية تعبر عن رغبتي . وفكرت ان كلمة « طيّب » التي لا اعرف سواها تؤدي عكس المراد فخطرت على بالي اداة النفي « لا » فوقفت بازاء الجارية ووضعت كفي على جبهتي وقلت لها « لا لا » فحدقت بي تحديقاً يقرب الى البلاهة ورأيت انها لم تفهم قصدي فقبضت على يدها برفقٍ وقدتها الى المقعد واومأت اليها بالجلوس . ثم وضعت يدي على فمي مشيراً اليها ان قد حان وقت الاكل . وبعد قليل ناداني طباخي مصطفى فخرجت ورأيتهُ حاملاً مائدة مستديرة وعليها اطباق الاكل فقلت لهُ « بونو بونو » اي حسناً فعلت واومأت اليهِ بالانتظار ثم دخلت واظهرت لزينب اشارة ان تضع النقاب على رأسها ففعلت ودخل مصطفى ووضع السفرة وخرج واغلق الباب

وكان بين اصناف الاكل دجاجة مطبوخة بالارز وقلقاس ورؤوس بصل كبيرة عائمة في مرق متبل بالخردل فوضعت كرسيين حول السفرة وجلست على احداها واومأت اليها بالجلوس فاظهرت الاباء وحولت رأسها الى النافذة فظننت انها لا تتمكن من الاكل وهي على كرسيّ عالٍ والسفرة واطئة فنهضت واحضرت وسادة ووضعتها بدلاً من الكرسي واشرت

اليها بالجلوس فزادت اباء ونفوراً فقلت لها بلغتي هل تريدين يا عزيزتي المسكينة ان تموتي جوعاً

قلت ذلك وانا عالم انها لم تفهم كلمة واحدة ولكنني عبرت عن عواطفي نحوها ...

وامصيبتاه ما العمل كيف اتفاهم معها فجعلت اومئ اليها ان تجلس وتأكل مردداً لفظة «طيب طيب» وكل ذلك لم يفد شيئاً لانها ظلت محولة وجهها عني واخيراً بعد الالحاح قالت لي «ما فيش» فلم افهم قصدها فظننت بعد التفكر ان الفتاة جاوية وربما كانت على دين الهنود البراهمة وهؤلاء يحرمون ذبح الحيوانات ويمتنعون عن اكل لحومها ولا يقتاتون بسوى الاغذية النباتية. ولكي اتحقق هذا الامر اخذت قطعة من الخبز وقبّلتها ووضعتها على رأسي باحترام مردداً اسم «براهما» اله الهنود. الأ انهُ ظهر لي انها لم تفهم شيئاً من هذه الرواية الايمائية (بانتوميم) ونقمت في سري على النخاس عبد الكريم لانهُ باعني طيراً جميلاً ولم يقل لي بما يقتات. فقدمت لها قطعة الخبز واشرت اليها ان تأكلها فرفعت يدها علامة الاباء وقالت «ما فيش» وخطر على بالي ما جرى في باريس منذ بضع سنين فان احد اصحاب المراقص احضر من الهند بعض الراقصات وكن يمتنعن عن الاكل في المطاعم العمومية ويحضرن طعامهن بايديهن من الاغذية النباتية. فعزمت ان اخرج مع الجارية بعد الغداء الى الفندق لاستطلع كنه امرها بواسطة احد التراجمة وخطر على بالي ان اذهب اولاً الى مواطني جان ولكن رأيت من عدم اللياقة والادب ان ادخلها الى حانة يجتمع فيها كثيرون من العامة. واخيراً فكرت في مدام بونوم صاحبة المكتبة الفرنسوية واذ ذاك سُمع من الشارع قرع اجراس صغيرة فنهضت زينب واطلّت من النافذة فنهضت على اثرها ورأيت غلاماً يقود قطيعاً صغيراً من الماعز الحلوبة في اعناق بعضها الجلاجل فأومأت اليّ باصبعها وصرخت «أبوا أبوا» فعلمت انها تريد شيئاً من الحليب. فناديت الغلام وامرت مصطفى ان يملأ اناء من الحليب فاظهرت الجارية السرور والارتياح وقالت للغلام «تعال بكرا» ففهمت انها تدعوهُ للمجيء في الغد ايضاً ثم مدَّ هذا يدهُ نحوي وصرخ «الفلوس الفلوس» فنقدهُ الطباخ ثمن الحليب ومد يدهُ ثانية وقال «بقشيش يا سيدي» فقلت لهُ مقلداً الجارية «تعال بكرا». تعلمت وقتئذٍ كلمتين جديدتين وهما «الفلوس وتعال بكرا» وكانتا الامثولة الاولى من درس اللغة العربية

ثم اومأت اليها ان تتشح بالملاءة وتخرج معي فاظهرت الاباء والنفور وقالت «انا عاوزة حبرة» فعلمت ان هذه الجاوية تستنكف وهي مملوكة رجل افرنجي ان تظهر في الشوارع بزي النساء الفلاحات من العامة فاظهرت لها في دوري النفور والاباء وقلت لها «مافيش»

ديمتري نقولا

الحمى التيفوسية

تمهيد

منذ نحو شهرين والحميات منتشرة في القطر المصري ولاسيما في الوجه البحري كالحمى الراجعة والحمى التيفودية والحمى المستمرة والحمى المتقطعة ولكن اكثرها انتشاراً الحمى التيفوسية فما من قرية في الوجه البحري تقريباً الأّ دخلتها هذه الحمى

تاريخ الحمى التيفوسية في القطر المصري

شخصت هذه الحمى في القطر المصري منذ سنة ١٨٣٦ و يقول پرونر انهُ دخل مستشفى القصر العيني مرضى بهذه الحمى في ذلك الوقت لا يقلون عن ٣٠٠٠ من الجنود وان كثيرين من الاطباء اصيبوا بها وثلثي التمورجية وتوفي ثلث المرضى ما بين اليوم السابع والحادي عشر. وظهرت سنة ١٨٥١ و ١٨٥٢ وحدثت اصابات بها في القاهرة سنة ١٨٧٦ . وسنة ١٨٨٦ ظهرت في شكل وباء هي والحمى الراجعة في سجن طرة فمات من ٩٦٤ مسجوناً ١٤٨ في ابريل و ١٠٦ في مايو ومن ذلك الحين صارت او بئتها تتوالى حتى يومنا . والظاهر ان السبب الأكبر لذلك انهُ لم يكن يبلغ عن الامراض المعدية ولم يكن يعتنى بتشخيص الحميات

وقد حدث في بلاد السرب ما يشبه ذلك حينما دخلها النمسويون من عهد قريب وادخلوا معهم الحمى التيفوسية فانها انتشرت فيها انتشاراً مريعاً وتوفي بها نحو مائة طبيب من ثلثمائة ولولا وصول البعثات الاجنبية لما انقطع الوباء وبهمتهم انحطت نسبة الوفيات الى ١٦ في المائة

كيفية انتشارها

هذه الحمى معدية جدًّا تنتقل بسرعة الى الممرضات والاطباء والتمورجية وحلاقي الصحة فقد شاهدت في ١٤ مستشفى قرويًّا انهُ اصيب ستة من التمورجية والحلاقين و يعدى هؤلاء على الخصوص اذا كان الوباء شديد الانتشار لان الهواء يتشبع حينئذٍ بجراثيم المرض و يعتقد البعض ان جراثيم المرض تخرج من جسم المريض وتلتصق بالملابس والاثاث وانهُ يبقى كذلك مدة طويلة وعلى كل حال فالعدوى تنتقل بواسطة الاختلاط والازدحام وقد وجد اخيراً انها تنتقل بالقمل والبق ولذلك تشاهد في السجون والشكنات المزدحمة والمحلات التي لم تتوفر فيها الشروط الصحية وتشاهد عادة في اواخر فصل الشتاء وفي فصل الربيع

اسباب انتشارها في القطر المصري

اولاً الازدحام ومعيشة معظم الاهالي معيشة غير صحية وفي مساكن رديئة

ثانياً جهل الاهالي وتسترهم على المرضى وعدم اعتقاد معظمهم بالعدوى

ثالثاً تستر العمد والمشايخ على المرضى

رابعاً تستر بعض الاطباء على المرضى ايضاً لكي لا يغضبوا

خامساً معالجة المرضى في منازلهم فانهُ مهما كانت شروط العزل مستوفاة فليس ما يمنع الاختلاط

واذكر على سبيل المثال حالة عشر قرى انتشر بها التيفوس وبعض تفصيلات اخرى عنها : —

نمرة القرية	عدد السكان	عدد المصابين	عدد المتوفين	عدد الذين شفوا	النسبة المئوية
من يناير للآن					
١	٣٠٣٦	١٤١	١٥	١٢٦	نسبة الوفيات داخل المستشفيات ٣ و٦ في المائة
٢	١٥١٤٢	٣٨٩	٦٤	٣٢٥	
٣	٠٤٢٧٦	١٤٢	١٦	١٢٦	
٤	٠١٢٠٦	٠٤٨	١٦	٠٣٢	
٥	٠٠٣٢٤	٠٥٢	١٤	٠٣٨	
٦	٠٥٨٧٣	٠٥١	١٥	٠٣٦	
٧	٠١٢٣١	٠٣٧	٠٦	٠٣١	
٨	٠١٠٥٤	٠٣١	٠٥	٠٢٦	
٩	٠٢٦٧٢	٠٢٨	٠٢	٠٢٦	
١٠	٠٠٢٨٠	٠٣١	٠٢	٠٢٩	

اعراض المرض

شاهدت في هذا العام اصابات عديدة بهذا المرض وارى تقسيمهُ الى ثلاثة انواع النوع الاعتيادي والنوع الخبيث والنوع الخفيف . فالنوع الاعتيادي يشعر فيهِ المريض

في اول المرض بقشعريرة وألم في الرأس والظهر والساقين وترتفع حرارتهُ فتصل النهاية العظمى في اليوم الثاني او الثالث ويكون نبضهُ ممتلئاً وسريعاً ولسانهُ ابيض ثم يجف ووجههُ محتقناً وملتحمات عينيهِ محتقنة وهيئتهُ كئيبة وربما يحصل لهُ قيء وفي الاحوال الشديدة تظهر الاضطرابات العقلية من اول ظهور المرض فيحصل للمريض هذيان وتهيج شديد وقد شاهدت احياناً التهاباً شعبيًّا ويظهر الطفح في اليوم الثالث الى الخامس اولاً على الصدر والبطن ثم على الاطراف والوجه وهذا الطفح يكون بشكل بقع وردية على الغالب بعضهُ يزول بالضغط و بعضهُ يتأثر فقط والبعض لا يزول بالمرة و يشاهد هذا الطفح بعد الوفاة

وفي الاسبوع الثاني يجف الجلد وتشتد الاعراض السابقة ويزداد الضعف والهذيان والحمى و يستلقي المريض على ظهرهِ و يدل وجههُ على الغباوة وعدم التأثر بما حولهُ وتحمر وجنتاهُ وتحتقن ملتحمات عينيهِ وتنقبض حدقتاهُ ويسرع نبضهُ جدًّا و يضعف و يظلم وجههُ وقد ينحبس بولهُ · واذا كانت الحالة شديدة فقد تنفتح عينا المريض ولكنهُ لا يرى ويجف لسانهُ ويسمر لونهُ و يتشقق وتوجد قذرات على الاسنان ويزداد النفس سرعةً ويضعف القلب ويموت المريض من الضعف وفي الاحوال الاعتيادية ينام في نهاية الاسبوع الثاني نوماً عميقاً ويستيقظ رائق العقل وتنخفض الحرارة و ينقه بسرعة ويندر حدوث نكسة

واما سير الحمى في جميع ادوار المرض فانها تبدأ مرتفعة وتبلغ نهايتها من اليوم الثالث الى الخامس وتستمر كذلك ١٢ او ١٤ يوماً و يوجد فرق ضعيف بين درجة حرارة الليل والنهار وتصل الحرارة الى ٥ و٤١ درجة سنتجراد وفي الاحوال الاعتيادية لا تتعدى ٤٠ درجة سنتجراد وفي النهاية تنزل فجأة · وشاهدت في القلب ان الصوت الاول يصير ضعيفاً وشاهدت في بعض الاحوال خريراً (Systolic murmur) ويحدث احياناً احتقان في قاعدة الرئتين وزلال في البول

واما الاحوال الخبيثة فتشتد فيها هذه الاعراض جدًّا و يموت المريض في اليوم الثاني او الثالث · واما الاحوال البسيطة فلا تشاهد الاَّ في زمن الاوبئة وتشبه الانفلونزا وتشفى في ثمانية او عشرة ايام وعلى كل حال ففي جميع هذه الاحوال يكون دور التفريخ (الحضانة) من ١٢ الى ١٥ يوماً

المضاعفات

مما شاهدتهُ التهاب رئوي شعبي والتهاب سحائي والتهاب الغدة النكفية وخراج في الغدة النكفية وخراجات في النسيج الخلوي والمفاصل والتهاب في الاعصاب التي تغذي المثانة

والمستقيم والصفن وفي العصب الوركي ولم اشاهد ما سمعت عنهُ من حدوث غنغرينا في الرئة او الاصابع او الانف او شلل ولم اشاهد الالتهاب الكلوي الأ في حالة واحدة

التشخيص

ادعى الكثيرون انهم اكتشفوا جرثومة هذا المرض ولكن يظهر ان ذلك لم يثبت حتى الآن ولذلك نرى ان فحص الدم بكتريولوجيا لا يشخص المرض بل ينفي وجود جراثيم حميات اخرى كالملاريا والحمى الراجعة والتيفودية وغيرها . وفي زمن الاوبئة يسهل جداً تشخيص الحمى التيفوسية وطبعاً في اول يوم المرض قد تختلط بجميع الامراض المصحوبة بحمى ولكن عند ارتفاع درجة الحرارة وظهور الطفح والاعراض السابقة تميز بسهولة من باقي الحميات

الانذار

تحصل الوفاة عادة في الاسبوع الثاني من التسمم وفي الاسبوع الثالث من الالتهاب الرئوي وفي الاسبوع الرابع من الضعف ونسبة الوفيات من ١٢ الى ٢٠ في المائة

العلاج

لا يوجد لهذه الحمى علاج خاص بل تعالج ككل الحميات اي تعالج الاعراض وافيد دواء الهواء النقي اي تفتح جميع الابواب والنوافذ بحيث يكون المريض بعيداً عن التيار الهوائي وتوجد مركبات حديثة كالكلرجيرول قيل انها تشفي التيفوس ولكنها جربت كثيراً وتركه كثيرون استعمالها ويجب ازالة شعر رأس المريض وشعر الابطين والعانة ويغسل بالماء والصابون والبترول .

الوقاية

لا يوجد بمصر الآن مصل واقٍ من التيفوس وقد سمعنا بوجود مصل في اميركا ولكنهُ لم يصلنا ولا نعرف كفاءتهُ واحسن طريق للوقاية هو المعيشة الصحية وعدم الاختلاط بالمرضى وعزل المرضى من المستشفيات . ويعتقد البعض ان شرب المسكرات يقي من التيفوس والامر بالعكس اذ لا شبهة ان الاكثار من المسكر يضعف مقاومة الشخص ويجعلهُ عرضه لان يصاب اكثر من غيره واذا اصيب تكون اصابتهُ شديدة وقلما ينجو منها

الدكتور محمد زكي شافعي
بالمنصورة

علم الانسان

(٣) اللغة

اعظم ما يميز الانسان عن سائر الحيوان تلك القوة التي يستهل صبية المدارس انشاءاتهم بذكرها حيث يقولون « سبحان من خلق الانسان وميزه على الحيوان بالنطق واللسان » . فاذا صحّ ان اللغة بنت العقل صحّ كذلك ان العقل ابن اللغة . وكما ان العظم قوام اللحم كذلك النطق قوام حياتنا العقلية والروحية

خصّ الانسان بسيادة هذا الكون وآلة هذه السيادة العقل . ولا ريب انهُ لما استعان على العصر الجليدي بالنار وتمهد للموت ودب الكهوف فصرعها وعاش بعدها كان قد صار حيواناً عاقلاً ما فتئ يرتقي حتى بلغ الاوج الذي نراهُ فيهِ الآن . وكان قد صار حيواناً مفكراً وان كانت افكارهُ ضيقة المجال قصيرة المدى . بل ان هناك قوماً يقولون انهُ كان قد صار حيواناً ناطقاً يعبّر عن تلك الافكار الضيقة باصوات ذات مقاطع ولا يتحولون عن هذا القول الأ اذا ثبت لهم ضدهُ . وعندهم ان الانسان الاول حاول الكلام حالما تعلّم الوقوف منتصباً على قدميهِ فافلح في ذلك كثيراً او قليلاً

ولسنا نعلم بالتمام متى بدأ الانسان الكلام فقد تضاربت الآراء في اصل اللغة وخصوصاً في النصف الثاني من القرن الماضي لما كانت خواطر العلماء مشغولة بالمذهب الداروني . فذهب فريق الى ان مصدر الكلمات الاولى التي نطق الانسان بها اصوات حاكى بها نباح الكلب ومواء الهر وخوار الثور وعواء الذئب وهلمّ جرّا . وذهب فريق ثانٍ الى ان مصدرها الاصوات التي نستعملها عند هياج العواطف . وحاول فريق ثالث ان يقسم اللغات الى اصول شتى ثم يرجعها الى اصل واحد فيحل بذلك مسئلة اشكلت على العلماء حتى الآن وهي مسئلة تفرق الاجناس المختلفة وتوزعها على وجه الارض

على ان هذه المذاهب كانت اشبه شيء بفقاعات زاهية الالوان ما عتّمت ان انفجرت واضمحلت . فان البحث في لهجات الهمج المعاصرين لنا لم يسفر عن وجود الشيء الكثير من أسماء اصوات والتقليد كما ذهب اليهِ اهل الفريق الاول والثاني . ثم ان المقابلة بين اللغات الآرية او بما تسمّى بالهندية الاوربية (ومنها الفارسية والهندستانية) ترجعنا الى الوراء ثلاثة آلاف سنة او اربعة آلاف في الاكثر وليست هذه المدة بالشيء المذكور بالنسبة

الى زمن الانسان . وقد دل البحث ايضاً على وجود لغات ولهجات لا عداد لها حيث كان بعض العلماء يحاولون ارجاع اللغات كلها الى اصول قليلة . ففي اميركا الشمالية وحدها خمسون لهجة مستقلاً بعضها عن بعض . وعليهِ ازداد الاعتقاد بان الجنس واللغة ليسا متلازمين اذ اي عالم من علماء اللغات كان يستطيع — اعتماداً على درس اللغة الفرنسوية الحديثة وحدها دون مساعدة التاريخ — ان يكتشف ان جمهور اهل فرنسا من سلالة الغاليين القدماء الذين كانوا يتكلمون اللغة الكلتية[1] حتى اكرههم غزاة الرومان على استبدالها بشكل من اشكال اللغة اللاتينية . ثم ان اللغة الكلتية في دورها كانت قد حلت قبل ذلك بزمان قصير محل لغة اخرى ربما كانت قريبة من اللغة الباسكية[2] التي لا تزال حية الى الآن . ولكن ذلك لا يستلزم كون غزاة الكلتيين حلوا محل الذين غزوا بلادهم كلهم ومحوهم كما محت اللغة الكلتية اللغة السابقة لها . والخلاصة ان الاجناس سهلة التمازج اما اللغات فلا تتمازج الأ نادراً

ولكن طرق تفاهم الناس عموماً واحدة في كل مكان وان تكن لغاتهم متباعدة تباعداً تامًّا . وهذه الطرق[3] المشار اليها هي الكلام والرمز والاشارة والكتابة وقرع الطبول وايقاد النيران وغير ذلك مما يكاد شيوعهُ يحجب عنا عظم شأنهِ ومعناهُ

وغنيٌّ عن البيان ان علم الانسان لا تقوم لهُ قائمة بلا مساعدة علم اللغة . فان فهم لغة قوم تريد البحث في اصلهم وفصلهم انما هو اهم ادوات البحث . لذلك لا غنى عن ان يكون الباحث في علم الانسان متضلعاً من علم اللغة عارفاً بوضع كل لغة يدرسها من التاريخ قادراً على بيان ادوار نموها وتقلبها تبعاً لحاجات زمانها و بيان علاقة الالفاظ بالمعاني

لو سئل رجل غير متضلع من علم اللغات ما هي الصورة القائمة في ذهنك عن لغة هذه القبيلة او تلك من القبائل الهمجية لأجاب انها اولاً قليلة الالفاظ . وثانياً ان تلك الالفاظ قصيرة المباني شاملة المعاني او هي اصول قليلة الفروع اولا فروع لها كرجل ودب واكل وقتل وهلم جرًّا . والحقيقة ليست كذلك . فان اهل ارخبيل تيرا فويجو مثلاً (الارخبيل الواقع

---

(١) الكلتية او السلتية Celtic

(٢) لغة الباسك في غرب فرنسا وشمال اسبانيا بشرق

(٣) وقد سماها العرب الدوال او الدلالات وقال بعضهم انها اربع و بعضهم خمس وهي اللفظ والاشارة والعقد والخط والنصبة او الحال الناطقة بسكوتها

في اقصى اميركا الجنوبية جنوباً) ليسوا من الحضارة في شيء ومع ذلك فقد وجد عالم حاول وضع قاموس للغتهم ان فيها ٣٠ الف كلمة بعد طرح كثير من الكلمات التي لا شأن لها . ففي تلك اللغة عشرون كلمة او ضميراً بمعنى هو وهي . وفيها اسمان للشمس واسمان للقمر واسمان للبدر . وفي كلّ من الاسمين الاخيرين اربعة مقاطع وليس احدها مشتقًّا من الآخر او مشتركاً معهُ في اصلهِ . فالالفاظ عندهم كثيرة والمعاني قليلة وهم يعبرون بتلك الالفاظ او الاصوات طالت ام قصرت عن مرادهم ولو بطريقة ناقصة ولكنهم لا يتبادلون الافكار والآراء التي هي وحدها « نقود » الفكر الصحيح

مثال ذلك « قطعت ساق النزال عند مفصلهِ بقطعة صوان » فان هذه العبارة تؤدي الى ذهن المخاطب معنى المتكلم مجرَّداً من غير نظر الى ما قد ينطوي تحت ذلك من التفاصيل والمعاني الاخرى ككون المتكلم كان جائعاً ومتعجلاً يهيئ صيدهُ لنفسهِ ولغيرهِ الى آخر ما هنالك . وما يقال في لغة هؤلاء الاقوام يقال ايضاً في لغة سائر الهمج فانهم يحشدون عدداً كبيراً من الاصوات والمقاطع في كلمة او عبارة واحدة لتعبر عن مرادهم مفصلاً من مثل العمل وغايتهِ وآلتهِ ووقتهِ وسائر ما يتبع ذلك من الحركات والسكنات . فكلمة « ماميهلابينتابيا » في لغة الفويجيين المذكورين تعني « نظر كلٌّ الى الآخر وهو آملٌ انهُ يقترح عمل شيء يرغب كلٌّ منهما فيه ولكنهما يأبيان عملهُ » . ولما كانت هذه الحالة لا يمكن ان تتكرر بجميع مفصلاتها وكانت الكلمة المذكورة موضوعة لها دون غيرها فظاهر ان هذه الكلمة قد لا يلفظ بها الأ مرة واحدة في العمر . وعليهِ لا يفتح الواحد منهم فاهُ الأ ليلفظ بكلمة او عبارة جديدة لا وجود لها قبلاً . وهذا امرٌ على غرابتهِ يفسّر لنا ميل الاقوام الهمجية الى تغيير اخلاقهم وصفاتهم في زمن وجيز

مثال آخر من لغة اخرى وهي لغة « هورون اروكويز » ففيها لفظة « اسكوبرهون » تعني « ذهبت الى الماء » ولفظة « ستسنها » « اذهب الى الماء » ولفظة « اوندكوها » « في الدلو ماء » ولفظة دوسنتيواشاريت « في القدر ماء » . ولكنهم اذا ارادوا الماء وحدهُ فعندهم لهُ لفظة « اوين » . كذلك تستطيع بهذه اللغة ان تعبر باصوات خاصة عن عشرين نوعاً من انواع القطع المختلفة مثلاً ولكن لا كلمة فيها للقطع المجرَّد . فلا عجب والحالة هذه اذا رأى العالم المشار اليهِ انهُ مضطر الى وضع قاموس ضخم للغة الفويجيين . ولكلمات « ابي » و « ابوك » و « ابوهُ » و « ابيها » في لغة الزولو الفاظ تختلف بعضها عن بعض

غير مشترك في شيء اي ان لفظة اب الموجودة في الكلمات الاربع المذكورة ليس لها ما يقابلها في لغة الزولو

من هذا ترى ان ارتقاء اللغة ما هو انتقالها من هذه الصور التركيبية الى الصور التحليلية فان الفاظ اللغة اسماءها وافعالها وحروفها اشبه الاشياء بصندوق القطع الخشبية التي يلهى بها الاطفال فانك لا تستطيع ان تركّب بها تراكيب جديدة على ما تشاء الا اذا كانت مستقلاً بعضها عن بعض . وترتيب الكلمات ووجود النبرة فيها كافيان لتركيب الجمل والعبارات . والواجب ان تكون كل كلمة مستقلة عن غيرها قائمة بنفسها . وكل ما يطرأ عليها من التغيير بانتقال النبرة من طرف فيها الى طرف او بادخال المزيدات عليها يفضي الى تخصيص معناها وتضييق دائرة استعمالها . وقد يبقى معنى الكاتب مضطرباً مشوشاً مع استعماله ابسط العبارات والتراكيب ولكنه لا يبلغ الى درجة سامية في التعبير عن معانيهِ اذا كانت لغته قاصرة ليس لالفاظها معانٍ محدودة . نعم ان التفكير بلا كلام ليس مستحيلاً ولكن كون الكلمات مفرغة في قوالب معينة يسهّل تفاهم الناس وتخاطبهم اذا عبرنا عن كل معنى باللفظ الخاص بهِ

ومن غريب ما يذكر عن بعض لغات الهمج ان في تراكيب الفاظها مميزات تختلف باختلاف المعاني . فعندهم علامة للعاقل وعلامة لغير العاقل . وعلامة للملك الثابت واخرى للمنتقل . فاذا اراد احدهم ان يقول « يدي » وهي ملك ثابت استعمل ضميراً يخالف الضمير الذي يستعملهُ للفظة « قاربي » وهي ملك منتقل . « ووالدي » عندهم مثل « يدي » اي ملك ثابت غير منتقل . واذا ارادوا الكلام عن الرجل بحضوره قالوا « ابنيها » وعن المرأة بحضورها قالوا « اناها » اما الغائب والغائبة فلها الفاظ اخرى تعبر عنها وعن اختلاف حركاتهما . واذا كان الرجل والمرأة جالسين قالوا عن الاول « هنيها » وعن الثانية « هانيها » وهكذا اذا كانا ماشيين او راكبين او نائمين او كان الكلام عنها منفردين او مشتركين مع غيرهما

وفي البعض الآخر صورتان للضمير « نحن » صورة تعني « كلنا » وصورة تعني « بعضنا » ولذلك ترى المبشرين في هذه القبائل يعنون باختيار الصورة اللازمة . فاذا اراد احدهم ان يقول « نحن اخطأنا » اي كلنا وجب ان يستعمل الكلمة الشاملة والأ ظن السامعون ان طغمة المبشرين التي هو منها اخطأت دون غيرها . واذا وقف للصلاة واراد القول « نحن اخطأنا » وجب ان يستعمل الصورة الثانية التي تعني « بعضنا » لئلاً يدخل الله سبحانهُ

في ذلك الحكم . ومثل هذا لفظة « انا » فقد يكون معناها « انا في الجملة » او « انا وحدي دون غيري » . واذا شاء الاب ان يتكلم عن نفسه وعن ابنه استعمل لذلك ضميراً يختلف عن الضمير الذي يستعمله لو اراد الكلام عن نفسه وعن رجل آخر معهُ غير ابنه . ولهم صور متعددة للدلالة على عمل اثنين مع واحد او اثنين او اكثر من اثنين في الماضي والحاضر

***

هذا وقد كان المذهب الشائع قبلاً ان لغات البشر متفرعة كلها من اصل واحد ولكنهُ مذهب لا يؤيدهُ برهان فقد يمكن ان تكون اللغات فروعاً من اصل واحد ولكنها اختلفت كل الاختلاف في كلماتها وصور تلك الكلمات حتى لم يبقَ فيها شيء يدل على وحدة ذلك الاصل . وقد يمكن ايضاً ان تكون لهجات الناس الاولين اولغاتهم متعددة في الاصل وهذا الفرض يسهّل تفسير ما يرى من الاختلاف الكلي وعدم وجود وجه للشبه بين لغات الباسك والصينيين واهل بيرو والهوتنتوت والسنسكريت مثلاً

قلنا فيما مرَّ ان الجنس واللغة ليسا امرين متلازمين اي ان لغة قوم ما ليست في نفسها برهاناً شافياً على جنسيتهم . فسكان هذا القطر من قبط وعرب وترك وسور يين يتكلمون العربية وهم من اربعة اجناس مختلفة . وقس على ذلك اهالي سورية و بر الاناضول وبلدان كثيرة

وفي معظم امم الارض او كلها تزاوج الغزاة الغالبون والمغزيون المغلوبون و بذلك قد تكون اللغة المتكلّم بها نتيجة تغلّب الامم بعضها على بعض كما تكون نتيجة التقليد او اكثر منهُ . وليس حلول اللغة العربية في مصر والشام محل القبطية واليونانية والارامية سوى مثل من امثلة عديدة على موت لغات قديمة وقيام لغات جديدة مقامها

فظاهر من ذلك اي من فناء بعض اللغات وحلول لغات اخرى محلّها في عهد التاريخ انهُ لا يصح قسمة الناس الى آريين وساميين و تورانيين وغير ذلك اعتماداً على شهادة اللغة فقط اذ اللغة شاهد مجروح الشهادة

بين النسر والسنور



سمّيهِ نسراً فهو أليق بهِ ولو قال علماء الحيوان انهُ العقاب · وصف احد الكتّاب حرباً خيالية دارت رحاها بين النسر والسنور البري قال صمتَ الزاغ وهو نادر الصمت وسكنت القطا وهي دائمة الحركة · واسرعت الارانب الى اوجارها او وقفت على مقربة منها حتى تبادر اليها عند اقل اشارة كأن هذه الحيوانات توقّعت عدواً مفاجئاً وشراً مستطيراً

أخافت من الصقر · هامكهُ على صخرةٍ واقفاً مبهوتاً لا يبدي حراكاً ولو أتيح لهُ لقلّد النسر على جاري عادتهِ وعاث بينها فساداً لكن لسان الحال ناداهُ أطرق كرى ان النعامة في القرى · فوقف ولكنهُ لم يطرق بل احدق في الجو كأن شيئاً فيهِ استهواهُ

ومن عادة السنور البري وهو اكبر الضواري في ذلك الوادي ان يخرج ويتشمّس في الضاحية فهرول الآن الى وجرهِ ووقف فيهِ وعيناهُ تقدحان شرراً حتى تحسبهما متراجين وقّادين

واتضح حينئذٍ ان كل الحيوانات التي هناك كانت ترقب شيئاً آتياً من جهة الشمس ولم

بكن الا نقطة سوداء في الجو ثم جعل يكبر رويداً رويداً باقترابه من تلك الحيوانات كأنه رآها مع بعده الشاسع عنها كما رأته هي فزف اليها المطايا

ولم يكن الا لحظات قليلة حتى بان انهُ طائر من الجوارح ثم اتضح انهُ النسر بعينهِ ملك الطيور. وكأن هاتفاً قال لتلك الحيوانات اسمعي فقد جاء الملك. والملك نفسهُ اعلن قدومهُ بصفير سمعهُ القاصي والداني ثم حوَّم وجثم على قنة اعلى الصخور وضمَّ جناحيهِ متأنياً غير عجول

بقي الصمت احرى كأن لا طير في تلك البقعة ولا وحش ولا شيءٌ من خشاش الارض ولكن ملك الطيور ادرى لانهُ مارس الامور فلا تخدعهُ الظواهر وما صمتُ هذه الحيوانات في حضرتهِ الا برهاناً على هيبتهِ وسطوتهِ

ونابت الشمس وارخى الليل سدولهُ وبزغت الكواكب ثم غابت ودار الفلك دورتهُ وطلعت ذكاء بجلالها وملك الطيور واقف على صخرهِ ينظر في عينها تارة ويجيل بصرهُ فيما حولهُ اخرى ولكنهُ لا يلقي نظرهُ حتى تُرَدّ اليهِ نظرات من سكان الانجم والاشجار والاوكار والاوجار فانها كلها ادركت شأنهُ بسليقة موروثة ولو لم يرهُ اكثرها مرأى العين من قبلُ. وكان اميرها الذي تعنى لامرهِ فيتصرف فيها كما يشاء تصرُّف المالك بملكهِ صقراً غشوماً لهُ مع الغربان مواقع مشهورة

وقام من الغربان حينئذٍ زاغ احمق اخذ منهُ نزق الشباب كل مأخذ لاسيما وانهُ كان عاشقاً يفتش عن زاغة تيمتهُ فنشر جناحيهِ وطار من شجرة الى اخرى وكانهُ جهل وجود الملك على مقربة منهُ او عدَّ النسور من الصقور. الا ان الملك لم يتجاهلهُ فنهض وبسط جناحيهِ واقبل نحو الوادي فالتفت الزاغ واذا بملك الطيور منقضٌ عليهِ ومخالب رجليهِ تلمع كانياب اغوال فاعتراهُ الذهول وكادت روحهُ تزهق من بين جنبيهِ لكن بداهتهُ لم تفارقهُ فبسط جناحيهِ باسرع من البرق وفرَّ نحو اسفل الوادي ولسان الحال ينشدهُ اين المفرُّ والقضاء المدركُ. فان النسر انقضَّ عليهِ انقضاض البرق وخطفهُ من ايدي القدر وعاد بهِ الى مجثمهِ وبعد قليل جعلت الريح تعبث بريشهِ وملك الطيور ينعم باكل لحمهِ ومص دمهِ وسائر انواع الحيوان تتطلع وتعتبر

فلتدعهُ هنيهة يأكل هنيئاً مريئاً. ثم نلتفت اليهِ فنراهُ ينظف مخالبهُ بمنسرهِ ومنسرهُ يسنه على الصخر. ومن يأكل لحماً ولا ينظف يديهِ وفاهُ فهو قذر يجهل قوانين الصحة وشروط النظافة. ثم تمحجس ووقف على قدميهِ وبسط جناحيهِ والقى بنفسهِ في الهواء واطلق جناحيهِ

للريح وجعل يدور دوراناً لولبيًّا و يعلو رويداً رويداً الى ان بلغ عنان السماء وكاد يغيب عن الابصار كأَنهُ قصد الدنو من الشمس ليتمتع ببرآها قبلما يزف و ينقض على فرائسه اما هو فلم يفعل ذلك ومن ادرى منهُ بمعرفة ما يصلح لهُ وقد علمتهُ التجارب وحنكتهُ السنون بعد ان بلغ من العمر عتيًّا

و بعد ساعة زمانية انحدر فرآهُ الطيور والوحوش فهرب بعضها من وجهه ووقف البعض الآخر في مكانه كالاصنام ومن ذلك القطا والحجال والارانب البرية واكثر الطيور انطوائض ودجاج الغاب وثلاث من الاراوي كانت ترد الماء من بحيرة في قلب الوادي وكان النسر جاء وارداً ايضاً فلم يكد يدنو منها حتى اطلقت سوقها للريح بجد ورااها كأَنهُ يحاول اقتناصها وما هو الا لاعب ثم عاد الى البحيرة وغاص في الماء فاضحى اضحوكة الناظرين. ومَن يمالك نفسهُ عن الضحك اذا رأى واحداً يحاول السباحة وهو لا يحسنها ولو كان ملكاً رفيع الشأن. وجعل يخبط كانهُ يفتش عن شيءٍ اضاعهُ ثم وثب من الماء ووقف على الشاطيء وفي مخالبه سمكة حية وانتقل من الشاطيء الى قمة صخرة وجعل يرق السمكة ويزدردها الى ان اتى عليها كلها ثم نظف مخالبهُ ومنسرهُ

وفي غضون ذلك نشب الخصام بين ذكرين من ذكور القطا فاستيقظ السنّور البري من قيلولته وجعل يتلصص الى ان دنا منها ثم وقف وفزَّ متهيئاً للوثوب عليها واذا بظل ظليل مرَّ عليه وصوت حفيف اجنحة صم اذنيه. فالتفت فرأى النسر طائراً فوقهُ فنفش ذنبهُ ونشب كالسهم الى اعمق مكان في وجره اما النسر فاستمر في طريقه الى ان اصاب ارنباً كانت رأتهُ اكل السمكة فظنت انهُ شبع واكتفى فلم تحاذر فاختطفها وصعد بها الى معقله ومزَّق لحمها والتهم نصفهُ ثم ارخى جناحيه وجثم لا يبدي حراكاً لا هو بالنائم ولا هو بالمستيقظ بل بين بين كأَنهُ يفكر في امرٍ عويص شغل بالهُ. وقبلما غابت الشمس استيقظ وجعل يتفلى و ينظف ريشهُ من اوضار الصيد والقنص ثم تمطى مراراً وزف جناحيه وسقط نحو البحيرة فعب منها كفافهُ وعاد الى الصخر فجثم وقضى الليل كلهُ لم يغمض لهُ جفن حتى اذا لاح الفجر نهض واطلق جناحيه للريح والتفتت الطيور والوحوش فلم ترهُ لكن هيبتهُ بقيت في نفوسها وهي تقول ان الملوك تذهب وتأوب فلم تجسر على الخروج الا بعد الضحى وحينئذٍ بادر الصقر الى رمة الارنب والغراب الى عظام الزاغ وجعل سكان ذلك الوادي يجولون على جاري عادتهم وتمطى السنّور واستلق على صخر واغمض عينيه آمناً لان ملك الطيور كان حينئذٍ محلقاً في عنان السماء على خمسة عشر الف قدم فوق الارض وفي مكان يبعد عن هذا المكان مئات من

الاميال وهو لا يرى شيئاً على البسيطة لان السحب كانت تحجبها عن بصره

بعد نحو اسبوع من الزمان خرج السنور الى صخر يحيط بهِ العوسج واستلقى عليهِ في عين الشمس وجعل يتمرّغ ويتمطى و يتثاءب ثم اغمض عينيهِ ولو لم يغمضها لرأى ظلين يجريان على جانب الاكمة التي امامهُ ظلي نسرين لا نسر واحد فان النسر كان قد ضرب في بلاد الله يفتش عن زوجة مع انهُ بلغ من العمر عتيًّا فوجدها وامتلكها بقوة مخالبهِ وجاء بها . ولما اقتربا من سياج العوسج رأيا السنور فافترقا ووقف احدهما وهو الذكر على صخر يبعد عنهُ نحو مئة ذراع وبقيت الانثى تحوم فوق السنور لكنها لم تستطع ان تخفي صوتها فسمعهُ السنور وفتح عينيهِ واذا مخالبها فوق رأسهِ وفي تلك اللحظة عينها ادركت اعصابهُ الخطر قبل الوقوع فيهِ فحركت عضلاتهِ كلها واستفزتها لعمل ما فيهِ النجاة بل ادركت اعصابهُ ذلك من مجرَّد سماعهِ الحركة قبلما فتح عينيهِ فلما فتحهما كان جسمهُ قد انسلَّ بسرعة البرق وابتعد عن مخالبها وارتمى بين العوسج فاندفعت وراءهُ ولكن تعذَّر عليها الوصول اليهِ واشواك العوسج قائمة في وجهها سياجاً لهُ

الى هنا فعل السنور فعل الحكيم المدبّر ولو وقف عند هذا الحد لنجا من مخالب الموت ولكن الغرور او حب الوطن زيَّن لهُ ان لا سلامة الاَّ في وجرهِ وهذا شأن السنانير فانها حكيمة اذا فعلت بالبداهة ولم تفكر وجاهلة اذا اعتمدت على عقلها السقيم وتفكيرها العقيم وكان بينهُ وبين وجرهِ خمس اذرع في ارض مكشوفة وخصيمتهُ بين العوسج يعسر عليها التملص سريعاً ولكن زوجها كان على مقربة متربصاً فلم يكد السنور يعود نحو وجرهِ حتى انقضَّ عليهِ كالقضاء المبرم . ورأى السنور ذلك فقال قضي الامر ولكن النفس عزيزة ولو نفس سنور فانقلب على ظهرهِ وكشر عن نابيهِ وابدى مخالب كالمناجل ووقع النضال بينهُ وبين النسر وكان النسر في غيبتهِ قد التقى بقرن عنيد فحاربهُ وعاد من حربهِ مثخناً بالجراح لكنهُ بقي بعدُ نفسهُ كفأً لعشرة من السنانير فاشتدَّ النضال على السنور الى ان قضى عليهِ وكانت انثاهُ قد تخلصت من العوسج فلما وقع نظرهُ عليها هش اليها وبش وصار كلهُ صبابة ونسي انهُ من القشاعم فترك لها السنور كلهُ حاسباً اياهُ وليمة العرس

وفي اليوم التالي اخذ النسران يبنيان وكرهما في قنة ذلك الشاهق وعزما على الاقامة هنالك ما دام حبل الحياة موصولاً وبطلت الفوضى في ذلك الوادي وصارت مملكة نعمى الملك مستبد

النقود العربية القديمة

القسم الاول

في نقود الارتقيين والاتابكيين والايوبيين

تواتر في هذه الايام ذكر سيرة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب . ونقل صاحب السعادة احمد زكي باشا امين سر مجلس الوزراء صورة قطعة من نقود الملك المذكور بالفوتوغراف وكتب الى جانبها باللغة الفرنساوية ما ترجمتهُ :

« نقود صلاح الدين من فضة ضُربت سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) ونُقش عليها « تمثال السلطان وهو معمَّم جالس جلسةً شرقية على عرشٍ وفي يسراهُ كرة والسبحة على ذراعهِ اليسرى »

قال وهذه النقود المحفوظة في دار العاديَّات البريطانية مُمَرة برقم ٢٧٦ على ما ذكرهُ الاستاذ ستانلي لين پول في فهرست النقود العربية وانَّ منها في ذلك المتحف ثلاث قطع غيرها مُمرة برقم ٢٧٥ و ٢٧٧ و٢٧٨ . اهـ

ولمَّا كنتُ مولعًا بدرس النقود القديمة عزمتُ مع قصر باعي على البحث في هذا الموضوع ليتضح نوع النقود التي كانت متداولة في الاونة التي عاش فيها السلطان صلاح الدين الايوبي فيعلم هل كانت الصورة المنقوشة على نقودهِ هي صورتهُ

قال الاستاذ ستانلي لين پول في وصف الدرهم الذي نمرتهُ ٢٧٦ — وقد ذكرهُ مع نقود الدولة الايوبية — ما ترجمتهُ :

الوجه الواحد : صورة [رجلٍ] معمَّم متربع على كرسي مربع يمثل العرش وفي يسراهُ كرة (وهو يشبه نقود بني ارتق المشروحة في الجزء الثالث من هذا المصنف صفحة ١٦٨) ويعلو العرش اربع شُرفات :

Obv. Area : "Figure seated crossed-legged within square representing throne: wearing turban and holding orb in left hand : (similar "to Urtukees cp. vol. III p. 168). Throne surmounted by four pinnacles"

وكتب حول الصورة ما يأتي :

« الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن ايوب »

وعلى الوجه الثاني « الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين » وعلى دائرهِ « ضرب هذا الدرهم سنة ستة وثمانين وخمسماة »

وقد وصفهُ الاستاذ ستانلي لين بول كما وصف النقود الثلاثة التي تماثلهُ من النقود النحاسية لا الفضية(١) واشار الى كل واحد منها بحرفي Æ المستعملة عند ارباب الفن للنقود النحاسية كما ان الذهب يشار اليهِ بحرفي AV متصلين (Aureus) أو .G (Gold) والفضة بحرف .S (Silver) في الكتب الانكليزية وبحرفي .AR (Argent) في الكتب الفرنساوية وهاك صورتهُ :





وفي دار الآثار بالقسطنطينية نقود مثل هذا باسم صلاح الدين الأ انها تختلف قليلاً في الضرب(٢) وقد وصفها ادهم غالب بك مع النقود النحاسية في كتابهِ الموسوم « بفهرست نقود التوكمان » المطبوع في الاستانة سنة ١٨٩٤ م صفحة ١٥١ وهي مصورة في اللوحة الثامنة من الكتاب المذكور رقم ١٨٨ وقد ضربت سنة ٥٨٦ هـ وقطرها ٢٩ مليمتراً

علينا الآن ان نبحث اين ضُرب هذا الدرهم المنسوب الى صلاح الدين وما هي الصورة المنقوشة عليهِ . ولكي نتوصل الى معرفة ذلك يجب ان نلقي نظرة اجمالية على اشكال النقود العربية التي ضُربت في الممالك الاسلامية منذ نشأتها الى عهد الدولة الايوبية

— نظرة اجمالية —

ضُرب على عهد الخلفاء الراشدين والامويين نقود مصورة اي منقوش عليها بعض الصور على طرز النقود الساسانية والرومية وكانت تعرف عند المؤرخين بالدراهم والدنانير الكسروية والهرقلية او القيصرية . وفي خلافة عبد الملك بن مروان وهو خامس خلفاء الامويين بطل صك هذه النقود وصكت النقود العربية الخالصة المعروفة عند الخاص والعام

(١) وسنأتي على ايضاح كونها من النحاس ولو سميت دراهم

(٢) ان المسكوكات القديمة لا يشابه بعضها بعضاً تماماً الأ في ما ندر وكثيراً ما يقع فيها بعض الاختلاف وان كانت مضروبة في تاريخ واحد وباسم ملك واحد

وذلك ابتداء من سنة ٧٤ — ٧٧ للهجرة . وحذا حذو عبد الملك سائر من خلفهُ من الامويين والعباسيين والفاطميين حتى الايوبيين

قال جودت باشا في تاريخهِ صفحة ٢٧٦ ما نصهُ :

« في زمن الرسالة المحمدية لم يقع اعتناء بامر السكة نظراً لكون الملة كانت في ابتداء أمرها ساذجة مع بداوة العرب . فاستمرت النقود المتداولة بين الناس على الحال التي كانت عليهِ وفي الاكثر كانت تستعمل المقادير الميزانية وبالجملة فان السكة التي كانت جارية في بلاد العرب هي الدراهم والدنانير التي كانت مسكوكة بسكة ملوك الفرس والمجوس والهند والروم . وفي زمن الخلفاء الاربع رضوان الله عليهم اجمعين واوائل الدولة الاموية كانت الهمم والانظار متعلقة بامر الغزو والجهاد . ولذلك لم يقع اهتمام بضرب السكة ثم ان بعض الولاة والعمال في جهة الشرق ضربوا سكة فضية على الطرز الكسروي اعني على طرز السكة الساسانية التي كانت بالحروف البهلوية فكانوا يكتبون على حرف دائرتها اسماءهم بالحروف العربية وفي وسطها البسملة والهيللة « لا اله الاّ الله » وقد نظرتُ الفقير كثيراً منها . واقدم سكة رأيتُها ضُربت في سنة (٢٨) هجرية في قصبة هرتك من بلاد طبرستان ورأيت مكتوباً في دائرها بالخط الكوفي « بسم الله ربي » . وفي خلافة حضرة علي كرَّم الله وجههُ كان مكتوباً على دائرة السكة التي ضُربت في سنة (٣٧) بالخط الكوفي « ولي الله » وقد رأينا مكتوباً على دائرة السكة التي ضربت (سنة ٣٨ و٣٩) بسم الله ربي » على المنوال السابق »[١]

وسنزيد الكلام ان شاء الله على النقود التي ضربت في اوائل الدولة الاموية في القسم الثاني من هذا البحث

وبعد ان مضى اربعة قرون ونصف قرن من تاريخ ابطال النقود المصورة التي كانت تضرب في اوائل الدول الاسلامية قام بنو ارتق وبنو اتابك ورجعوا الى الاسلوب الاول فنقشوا على نقودهم رسوماً ورموزاً مختلفة . وكثيراً ما كان عليها صور اشخاص يتوهم من يراها انها شبه الامراء والملوك الذين اسماؤُهم مكتوبة فيها وهي غير ذلك كما سيجيء . وها نحن شارحون الآن نقود بني ارتق ثم نقود بني اتابك ثم نقود الدولة الايوبية ولاسيما ما ضُرب منها في عهد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب .

(١) ان المسكوكات التي شاهدها جودت باشا صاحب التاريخ كان اكثرها موجوداً عند صبحي باشا احد الوزراء العثمانيين وهو اول من اهتم في المشرق بجمع النقود القديمة وتأليف الكتب في وصفها

(١) نقود بني ارتق

الامير ارتق بن اكسك من قبيلة تركمانية دخل في خدمة الب ارسلان السلجوقي سنة ٤٥٥ هـ فنال عنده حظوة لانه كان شجاعاً محنكاً في الحروب فولاه مراقبة حدود مملكته — وفي سنة ٤٧٧ هـ ارسله ملك شاه بن الب ارسلان مع فخر الدولة بن جهير لفتح ديار بكر فبذل له الامير شرف الدولة صاحب آمد (ديار بكر) مالاً وسأله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد . فاذن له في الخروج وكان هو على حفظ الطرق والحصار[1] وخاف الامير ارتق عاقبة تساهله مع صاحب آمد فالتجأ الى تتش بن الب ارسلان ملك دمشق ودخل في خدمته وعاونه في فتح مدينة حلب ، وجزاء على مساعدته ولاه تتش بيت المقدس في سنة ٤٧٩ فملكه ومكث اميراً فيه الى ان مات سنة ٤٨٤ . فخلفه ولداه سكمان او سقمان[2] وايل غازي — وفي سنة ٤٩٠ سار امير الجيوش الافضل من مصر واستولى على بيت المقدس ففرّ سكمان الى الرها وسار اخوه الامير ايل غازي الى العراق

وتملك سكمان حصن كيفا وانشأ مملكة تعرف بالطبقة السكمانية ثم امتد ملكه الى آمد ومكثت هذه الطبقة مالكة حتى سنة ٦٢٩ هـ

تقدم ان الامير ايل غازي رحل الى العراق فدخل بغداد وتولى شحنة البلد ثم سار الى ماردين سنة ٥٠٢ واسس فيها مملكة ايل غازي ويعرف خلفاؤه باصحاب ماردين وميا فارقين

هذان الفرعان اهم فروع دولة بني ارتق — وهاك اسماء ملوك الطبقة السكمانية اصحاب حصن كيفا وآمد ووصف بعض نقودهم وهي كلها من نحاس :

	سنة ابتداء ملكه
الاول — الامير سكمان بن ارتق بن اكسك	٤٨٣ هـ
الثاني — ابرهيم بك سكمان	٤٩٨ «
الثالث — ركن الدين داود بن سكمان	٥٠٢ «
الرابع — فخر الدين قرا ارسلان بن داود	٥٤٣ «
الخامس — نور الدين محمد بن قرا ارسلان	٥٧٠ «
السادس — قطب الدين سكمان (الثاني) بن محمد	٥٨١ «
السابع — ناصر الدين محمود بن محمد	٥٩٧ «
الثامن — ركن الدين مسعود بن محمود	٦١٩ «

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير جزء ١٠ — ص ٤٥ طبعة مصر سنة ١٣٠٢

(٢) كتب اسمه على نقوده سكمان كما كتبها ابن خلكان . وفي تاريخي ابن الاثير وابي الفدا سقمان بالقاف

وكان انقراض ملكهم سنة ٦٢٩ وهي السنة التي فيها انتزع الملك الكامل مدينة آمد من صاحبها مسعود وجاء به الى مصر واعطاه اقطاعاً جليلة بديار مصر[1]

وقد رسمنا في الشكل الاول نقود بعض هؤلاء الملوك وهاك قراءة الاستاذ مرسدن الانكليزي لها وعنهُ نقلنا هذه الرسوم

رقم ١ — من نقود نور الدين محمد بن قرا ارسلان (ضرب سنة ٥٧١)

على وجههِ : صورة طائر رأسهُ رأس انسان او هو شبه ملاك وحول رأسهِ هالة وكتب على دائرهِ : سنة احد وسبعين وخمس مائة

وعلى قفاه : (ملك) الامرا محمد (بن) قرا ارسلان بن (داود بن) سكمان بن ارتق

وعلى الدائر : الامام المستضي بامر الله امير المؤمنين . وقطرهُ ٢٨ مليمتراً

رقم ٢ — من نقود قطب الدين سكمان بن محمد (ضرب سنة ٥٩٠ او ٥٩٦)

وعلى وجههِ : صورة ملك[2] جالس في قبة والكرة بيدهِ اليمنى وعلى رأسهِ شبه تاج وفوق القبة ملاكان مجنحان : وعلى دائرهِ : سنة ... وتسعين وخمسمائة

وعلى قفاهُ :

الناصر

ملك الامرا ....

بن ......

داود بن سكمان

بن ارتق نصيرا

معين الامام | لدين الله

امير المؤ

رقم ٣ — من نقود الملك المذكور (ضرب سنة .... وخمس مائة)

على وجههِ : صورة رأسين متخالفين وفوقهما : « ... خمسمائة »

وعلى قفاهُ :

الملك العادل قطب

الدين سكمان بن

محمد بن قرا ارسلان

بن ارتق معين الامام

الناصر

لدين الله | امير المؤمنين

(١) تاريخ ابي الفدا الجزء ٣ ص ١٥٢ طبعة مصر

(٢) لا يمكن تحقيق اي ملك او امير هو اما الهيئة فاشبه بملوك الفرس او الهنود

واما اصحاب ماردين او ملوك ايل غازي فهم :

		تاريخ ابتداء ملكه
الاول	نجم الدين ايل غازي بن ارتق بن اكسك	سنة ٥٠٢ هـ
الثاني	حسام الدين تمرتاش بن ايل غازي	« ٥١٦ «
الثالث	نجم الدين البي بن تمرتاش	« ٥٤٧ «
الرابع	قطب الدين ايل غازي (الثاني) بن البي	« ٥٧٢ «
الخامس	حسام الدين يولق ارسلان بن ايل غازي (الثاني)	« ٥٨٠ «
السادس	ناصر الدين ارتق ارسلان بن ايل غازي (الثاني)	« ٥٩٧ «
السابع	نجم الدين غازي (الاول) بن ارتق ارسلان	« ٦٣٧ «
الثامن	قرا ارسلان بن غازي (الاول)	« ٦٥٨ «
التاسع	شمس الدين داود (الاول) بن قرا ارسلان	« ٦٩١ «
العاشر	نجم الدين غازي (الثاني) بن قرا ارسلان	« ٦٩٣ «
الحادي عشر	عماد الدين علي البي بن غازي (الثاني)	« ٧١٢ «
الثاني عشر	شمس الدين صالح بن غازي (الثاني)	« ٧١٢ «
الثالث عشر	داود (الثاني) بن صالح	« ٧٤٠ «
الرابع عشر	عيسى بن داود (الثاني)	« ٧٧٨ «
الخامس عشر	شهاب الدين احمد بن عيسى	« ٨١١ «

وكانت نهاية ملكهم سنة ٨١٤

وترى في الشكل الاول رسم نقود بعض هؤلاء الملوك

رقم ٤ — من نقود حسام الدين تمرتاش بن ايل غازي

على وجهه — رأس ملك مكلل ناظر الى اليمين وهو شبه رأس الملك انطيوخوس السابع (كما في نقود ملوك سورية المعروفين بالسلوقيين) وعلى عنقه اسم « نجم الدين » مقلوباً

وعلى قفاه :

ايل غازي

الملك العالم

العادل حسا

م الدين

رقم ٥ — من نقود نجم الدين البي بن تمرتاش

على وجههِ : صورة رأسين متواجهين نقش فوقهما «نجم الدين» وتحتهما «ملك ديار بكر» وبعدها اشارة رمزية

وعلى قفاهُ : صورة العذراء رافعة يدها لتبارك الملك (وهو اشبه بنقود البزنطيين في ايام ملوك كومنينوس) وعلى دائرهِ «ابو المظفر البي بن تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق»[1]

رقم ٦ — من نقود الملك المذكور

على وجههِ : صورة انسان طويل الشعر مشتمل بثوب وعلى دائرهِ «الملك العالم العادل نجم الدين ملك ديار بكر»

وعلى قفاهُ : صورة رجل في عنقهِ قلادة وعلى رأسهِ تاج . وعلى دائرهِ : «ابو المظفر البي بن تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق سنة ثمان وخمسين وخمسماية»

رقم ٧ في الشكل الثاني — من نقود قطب الدين ايل غازي (الثاني) بن البي

على وجههِ : صورة شاب مكلل (ضمن شكل مربع ينظر الى العلا من الجهة اليمنى وهو اشبه بصورة الملك قسطنطين الكبير في بعض نقودهِ) ونقش على دائرهِ : —

«بن البي بن تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق»

وعلى قفاهُ : ايل غازي

لمولانا الملك العالم

العادل قطب الدين

ملك الامرا شاه

ديار بكر

رقم ٨ — من نقود حسام الدين يولق ارسلان بن ايل غازي [الثاني] (ضرب سنة ٥٨١ هـ)

على وجههِ : تمثال رجل ملتفت الى الامام وعلى رأسهِ شبه اكليل وشعرهُ معقوص وعلى دائرهِ : «حسام الدين يولق بن ايل غازي»

وعلى قفاهُ : ضمن نجم مسدس : «الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن ايوب ضرب سنة احدى (و) ثمانين وخمس ماية»

رقم ٩ — من نقود ناصر الدين ارتق ارسلان بن ايل غازي (الثاني)

على وجههِ : صورة امير متربع في جلوسهِ على (كرسي) مربع وبيدهِ اليسرى كرة مستندة

(١) انظر المقتطف السنة الرابعة ص ٣٣١

الى صدرهِ ورأسهُ خارج الكرسي وحول رأسهِ نجمان — وعلى الدائرة :

« ناصر الدين ارتق ارسلان »

وعلى قفاهُ :

بالله

الامام المستنصر

امير المؤمنين

الملك الكامل

محمد

انتهى الى هنا ما اخترناهُ من شكال نقود الدولة الارتقية ونأتي الآن على نقود دولة بني اتابك ثم نذكر الاسباب التي لاجلها نُقشت الصور على هذه النقود

(٢) في نقود الاتابكية اصحاب الموصل

في سنة احدى وعشرين وخمسمائة تولى اتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر شحنكية بغداد اسندها اليهِ السلطان محمود[١] «وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما صعد من واسط في التجمل والجمع الذي ذكرناهُ وقام في حفظ واسط والبصرة وتلك النواحي القيام لذي عجز غيرهُ عنهُ عظم في صدر السلطان وصدور امرائهِ . فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح ان يلي شحنكية العراق يأمن معهُ من الخليفة فاعتبر امراءهُ واعيان دولتهِ فلم يرَ فيهم من يقوم في هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار في ذلك فكلٌّ اشار بهِ . . . فاسند اليهِ الولاية وفوضها اليهِ مضافة الى ما لهُ من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمأن قلبهُ من جهة العراق فكان الامر كما ظن »[٢]

وفي سنة ٥٢٢ فتح مدينة حلب وفي سنة ثلث وثلثين ملك بعلبك وفي سنة اربع وثلثين ملك شهرزور واعمالها وفي سنة تسع وثلثين فتح مدينة الرها من الفرنج وحاصر قلعة البيرة — وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة قتل عماد الدين وهو يحاصر قلعة جعبر — وكان سيف الدين غازي ولدهُ بمدينة شهرزور وهي اقطاعهُ فارسل اليهِ زين الدين علي كوجك نائب ابيهِ عماد الدين زنكي بالموصل يستدعيهِ الى الموصل — فحضر واستقرّ ملك سيف الدين على البلاد — وبقي اخوهُ نور الدين بحلب وهي لهُ

(١) مختصر تواريخ الدول لابي الفرج ص ٣٥٢

(٢) تاريخ الكامل لابن الاثير جزء ١٠ - ٣٢٨ الطبعة المذكورة

وهاك اسما ملوك الموصل من آل اتابك : سنة ابتدا الملك

الاول : عماد الدين اتابك زنكي بن اقسنقر	٥٢١ هـ
الثاني : سيف الدين غازي (الاول) بن زنكي	٥٤١ «
الثالث : قطب الدين مودود بن زنكي	٥٤٤ «
الرابع : سيف الدين غازي (الثاني) بن مودود	٥٦٥ «
الخامس : عز الدين مسعود (الاول) بن مودود	٥٧٦ «
السادس : نور الدين ارسلان شاه (الاول) بن مسعود	٥٨٩ «
السابع : عز الدين مسعود (الثاني) بن ارسلان شاه	٦٠٧ «
الثامن : نور الدين ارسلان شاه (الثاني) بن مسعود	٦١٥ «
التاسع : ناصر الدين محمود بن مسعود	٦١٦ «

ومن اتابكة الموصل فرع آخر ملوكهُ الآتي ذكرهم :

الاول : بدر الدين لؤلؤ	ملك سنة ٦٣١ هـ
الثاني : ركن الدين اسمعيل بن لؤلؤ	« « ٦٥٧ «
الثالث : اسحق بن لؤلؤ (صاحب جزيرة ابن عمر) (١)	« « ٦٥٩ «
الرابع : علي بن لؤلؤ (صاحب سنجار) (٢)	« « ٦٦٠ «

وترى في الشكل الثاني صور النقود التي ضربها بعض اتابكة الموصل وهي

رقم ١٠ — من نقود قطب الدين مودود بن زنكي

على وجههِ : رأس انسان ملتفت قليلاً الى الشمال وفوقهُ ملاكان مجنحان وكتب على الدائر : « ستة وخمسين وخمسمائة »

وعلى قفاهُ :

بن زنكي
الملك العادل
العالم ملك امرا
الشرق والغرب
طغرلتكين اتابك

(وعلى الجانبين: زنكي بن اقسنقر)

(١و٢) انظر تاريخ ابي الفدا الجزء ٣ – ٣ و ٢١٢

رقم ١١ — من نقود سيف الدين غازي [الثاني] بن مودود (ضرب بالجزيرة سنة ٥٧٥ هـ)

على وجهه: صورة رأس عليه قلنسوة (اشبه بالنقود اليونانية)

وعلى الدائر: «لا إله الا الله محمد رسول الله»

وعلى قفاه: ملك الامر

اءغازي بن

مودود

وعلى دائره: «بسم لله ضرب بالجزيرة سنة خمس وسبعين وخمسمائة»

رقم ١٢ — من نقود ناصر الدين محمود بن مسعود

على وجهه: صورة انسان متربع ماسك الكرة بيده اليسرى وعلى جانبي رأسه نجمان
وكتب على الدائر: «ناصر الدين . . . . . د [محمود]

وكتب على قفاه: بالله

الامام المستنصر

امير المؤمنين

الملك الكامل

محمد

ثم على الدائر: سنة سبع عشر وستمائة

رقم ١٣ — من نقود الملك المذكور (ضرب بالموصل سنة ٦٢٧)

على وجهه: صورة رجل متربع وهلال بين يديه مسند الى صدره

وعلى الدائر: «ضُرب بالموصل سنة سبع وعشرين وستمائة»

وعلى قفاه: لا اله الا الله محمد رسول الله الامام المستنصر بالله امير المؤمنين

وعلى دائره: ناصر الدنيا والدين اتابك . . . . . . الاشرف»

ستأتي البقية

يوسف اليان سركيس

شكسبير

أسباب شهرتهِ

ابنا في الجزء الماضي ان شكسبير اشهر رجل قام في اوربا واميركا بعد نبوليون بونابرت اذا اعتبرنا مجموع ما كُتب عنهُ في الانسكلوبيذيات المشهورة. واما اذا اعتبرنا ما كُتب عنهُ في غير الانسكلوبيذيات وما لهُ من الشأن في نفوس الاوربيين والاميركيين خاصتهم وعامتهم كما يظهر من استشهادهم باقوالهِ والاقبال على مشاهدة رواياتهِ فهو اشهر من نبوليون ايضاً. ولرواياتهِ واشعارهِ المقام الاول عند الانكليز والاميركيين بعد التوراة والانجيل فترى كتّابهم وشعراءهم وخطباءهم وجمهورهم رجالاً ونساء يرصعون اقوالهم بالدرر المقتبسة من بحرهِ

وهذه الشهرة لم يحلم بها ولا توخّاها ولا كان لهُ في عصرهِ شيء يذكر منها بل لو بنينا حكمنا على ما نالهُ منها وهو حي ثم وهو ميت الى ان مضى على وفاتهِ مئة عام لرأينا انهُ عاش ومات مثل اواسط الكتّاب فلم يبلغ مبلغ كبار العلماء والشعراء وقواد الجيش وامراء البحر مثل نيوتن وتنسن وولنتن ونلسن بل كان كما قال فيهِ احد واصفيهِ كالمحارة التي تفرز المادة اللؤلؤية حول ذرة في جسمها فيتكون منها جوهرة غالية الثمن ترصَّع بها تيجان الملوك وهي لا تدري انها فعلت شيئاً

يدلُّك على انهُ لم يكن يعلم قيمة رواياتهِ انهُ لم يهتم بطبعها ونشرها والذين طبعوها ونشروها في حياتهِ لم يستأذنوهُ في ذلك ولا استشاروهُ ولا اعطوهُ شيئاً من ريعها ولعلهم غيَّروا وبدلوا فيها ما شاؤوا وهو لاهٍ عنهم مكتفٍ بالمال القليل الذي كسبهُ من تمثيلها كما سيجيء في ترجمتهِ. ولم يخلف اولاداً يغارون على اسمهِ ويستفيدون من شهرتهِ فيستخدمون وسائل الشهرة العادية كحفلات التأبين واستنشاد الشعراء والنشر في الجرائد فانهُ رزق ابناً وحيداً وابنتين فابنهُ توفي قبلهُ بعشرين سنة وابنتاهُ تزوجتا ولكن مات اولادهما في حياتهما وانقطع نسلهما

ولم يكن من بيت غنيّ ومجد فان اباهُ كان لحاماً او بائع جلود وكان في اول امرهِ على شيء من السعة ثم افتقر الى درجة الاملاق. وهو نفسهُ تزوج بفتاة اكبر منهُ سنّاً لانها كانت على شيء من الثروة ثم هرب من وجه القضاء ولجأ الى التمثيل للتعيش ولم يكن في اول الامر

ممثلاً بل كان خادماً في دار التمثيل يمسك خيول الذين يأتون راكبين ولا خدم معهم تمسك خيولهم · ثم لما انتظم بين الممثلين وظهرت براعتهُ في التمثيل وفي تأليف الروايات التمثيلية اكرمهُ اهل وطنهِ كما يكرمون كل ممثل بارع ومنشىء بليغ ولكنهم لم يغالوا في اكرامهِ · ولما توفي رثاهُ بعض اصدقائهِ ولم يبالغوا في مدحهِ بل وصفوهُ بالانس والظرف · ويستدلُّ من ذلك كلهِ ان الشهرة التي لهُ الآن مكتسبة نشأت بعد موتهِ وتزايدت على مرور الزمن فكيف ذلك

التمثيل فن جميل وتجارة رابحة ومجالهُ واسع جدًّا عند الاوربيين والاميركيين لان النساء يشاركن الرجال فيهِ ولا تأنف اجمل النساء والبنات واطربهنَّ صوتاً ان تكون في عداد الممثلات · ولا يخفى ان المناظر الجميلة والاصوات المطربة تستهوي القلوب واذا اقترنت بروايات تاريخية او فكاهية كثيرة الحوادث غريبة النوادر مدهشة الوقائع مشتملة على تاريخ الامة صار لها اعظم وقع في النفوس · واذا كانت كثيرة الاشعار والاغاني وتكررت مرة بعد اخرى استظهر السامعون كثيراً منها فالفتها آذانهم وادمغتهم فصاروا يرتاحون اليها ولا يصبرون على الانقطاع عنها · واذا كانت كثيرة النكات الادبية والفكاهية مملحة بالمواعظ والحكم وجوامع الكلم طرب لها كل احد حتى العلماء وخدمة الدين · واذا تناولت كل اعمال الناس ومعايشهم رجالاً ونساءً حتى يرى فيها كل احد شيئاً مما يهمهُ او يسرُّهُ تناول الاقبال عليها كل الطبقات

ولكن ذلك كلهُ لا يكفي ليصير لها الشان الذي صار لروايات شكسبير بل لا بدَّ من اناس يحملون الجمهور على الرغبة في مشاهدة الروايات بكل طرق الترغيب · واتفق ان رأى البعض في صناعة التمثيل مجالاً واسعاً للكسب لانها تحتمل الرواج الى ما لا حدَّ لهُ فاستخدموا لها امهر الرجال في الالقاء والتمثيل واجمل النساء واطربهنَّ صوتاً وارشقهنَّ حركات ودفعوا لهم ولهنَّ الاجور الطائلة وجهزوا مشاهد التمثيل بما يمثلون بهِ ازياء الناس في كل العصور وانواع اسلحتهم واشكال منازلهم وطرق معيشتهم واختاروا امهر الكتاب لوصف التمثيل وانتقاد الممثلين والممثلات وصورهم صوراً ترتاح لها النفوس وذكروهم وذكروهن بما لا مزيد عليهِ من المدح والتبجيل فصار المرء في اوربا واميركا يهمهُ ما يدفعهُ لمشاهدة التمثيل كما يهمهُ ما يدفعهُ لمشترى طعامهِ ولباسهِ ويهتم بهِ اكثر مما يهتم بالمال الذي ينفقهُ على تعليم اولادهِ · والكل في ذلك سواء غنيهم وفقيرهم · ورأى هؤلاء المتاجرون بالتمثيل المكتسبون منهُ ان روايات شكسبير مُلك مشاع لا صاحب لهُ ولا يطالبهم احد بحق كما يطالبهم المنشئون فاكثروا من تمثيلها

وترغيب الناس فيها فزاد اقبالهم عليها اقبالاً وصقلتها الالسنة على مرور الزمن واشربت الافئدة معانيها ومبانيها . وقد اجمع كبار المنتقدين من الانكليز انها حرية بذلك بل هي احرى به من غيرها ولو صحَّ لنا ان نبدي رأياً لترددنا كثيراً في موافقتهم ولو اتيح لنا ان نترجم هذه الروايات الى العربية لحذفنا من كل رواية ثلثها على الاقل

وقد التفتنا قُبَيْل كتابة هذه السطور الى ما في هذه الروايات من الاقوال التي يتمثَّل الانكليز بها فاخترنا من الرواية الاولى وهي رواية النوء (Tempest) الاقوال التالية وترجمناها وهي

الموت في البرّ افضل . فدان من القفر ولا غلوة من البحر . ماذا ترين في الزمن الغابر والظلام الدامس . تركتُ الدنيا وانقطعت لتثقيف عقلي . امتهنَ ذاكرتهُ حتى صار يصدق اكاذيبهُ . لقد كانت مملكتي خزانة كتبي . نِعْم الارحام ولكن بئس البنون . لا يسكن الشر في بيت من الخير

ان كان للشر بيت مثل ذا طلبتْ ملائكُ الخير ان يبقى لها سكنا

كل ما فيها حسن غير ما تحيا بهِ . الشقاء يقود الى معاشرة الاشقياء . لا يطالب ميت بدَيْن . بلاغة ولا نطق

مضى زمن التصابي والاماني كاحلام بهـا يوماً نعمنا

فلا قصر ولا برج بباقٍ وما من هيكل الاَّ ويفنى

ودنيانا سيدركها زوالٌ ولا يبقى لها في الكون مغنى

وعمر المرء نوم وهو حلم وليس لهُ ولا للعمر معنى

ولو جرينا على هذا النسق في سائر الروايات لملأنا بمثل هذه الامثال والاقوال المأثورة خمسين صفحة من صفحات المقتطف فان العالم جون بارتلت جمع منها ما ملأَ ١٢١ صفحة من كتابهِ المعنون بالمقتبسات المألوفة "Familiar Quotations" مع انهُ لم يستطع ان يجمع من اقوال باكون الفيلسوف الانكليزي المشهور الاَّ ما ملأ ثماني صفحات

ثم قلَّبنا بعض الروايات جزافاً من غير اختيار فترجمنا منها الاقوال التالية

سقياً لمن قوتهُ قوة جبار وتعساً لمن يستعمل قوتهُ كالجبار . آهٍ من الانسان وخيلائهِ مُنِح طرفاً من السلطة وهو اجهل الخلق بما يعد نفسهُ اعلمهم بهِ . لا دواء لضيق العيش غير الامل . الم الموت في الخوف من الموت . اشد الرزايا الشيخوخة . الالم والفقر والسجن لا تقاس بالخوف من الموت . الفضيلة لا تخشى والصلاح لا يهاب احداً .

كم يضمر المرء من شرٍّ بباطنهِ ووجههُ كملاك النور اشرقا

لا كانت فاهٌ خائنٌ ولا عيون مغرية

وقبلة الحب خداعٌ من شفاهٍ مزرية

ربيع المحبة مثل الربيع تراهُ دواماً اليف التقلُّب

ليس بانسان من لا يستطيع ان يرضي المرأة باللسان . ما اقوى المزاولة على ترسيخ العادات . لولا تقلُّب الانسان لكان كاملاً . لا تحرجني فتخرجني . انت وما تملك لغيرك وما الانسان الاَّ كمصباح نورهُ لغيرهِ لا لنفسهِ . مَن لا ينتفع الناس بفضلهِ لا فضل لهُ . الطبيعة مُرابٍ تنتظر الشكر الكثير مِمَّن تعطي والربا لما تعطيهِ . شكوكنا عدوة لنا تخسر بها ما نكسبهُ بدونها لانها تحملنا على ترك العمل رهبةً . قد يكون بين القضاة مَن هو اكبر جرماً ممَّن يقضون عليهِ . قد يعلو اناس بالنقائص و يهبط غيرهم بالفضائل . اقضِ على الخطإ لا على مرتكبهِ . بالبشاشة والترحيب تطيب الوليمة . كلام الحب همس . الصمت دليل السرور . من يسهل عليهِ التعبير عن فرحهِ ففرحهُ قليل . لا يعرف الحزن الاَّ من يعانيهِ

هذا وقد نشرنا في مجلدات المقتطف الماضية طائفة كبيرة من حكم شكسبير وجوامع كلمهِ التي جرت مجرى الامثال عند الانكليز فلتراجع في اماكنها .

وقد اجمع النقَّاد على ان شكسبير كان من اعلم الناس بطبائع الناس حتى ان الذين طبعوا رواياتهِ في حياتهِ على غير علمٍ منهُ جعلوا الوصف المرغّب في مشتراها انها تشرح طبائع الناس على اختلاف درجاتهم وعناصرهم . ولما رثاهُ صديقهُ الحكيم بن جنصن جعل بيت القصيد في رثائهِ ما ترجمتهُ .

ان الطبيعة فاخرت فيهِ الملا وتسربلت ما حاكهُ في وصفها

ونظر اليهِ شعراء الانكليز كلهم من عهدهِ الى الآن نظر التلميذ الى استاذهِ حتى قال الشاعر در يدن اني بالرهبة والوقار اطلب بركتهُ وانا اكتب

فالشهرة التي حازها حازها بما في رواياتهِ واشعارهِ من البلاغة والتعبير عن عواطف الناس واميالهم في كل اطوارهم ودرجاتهم وبما بذلهُ اصحاب مشاهد التمثيل من العناية بترغيب الناس فيها ولولا ذلك لاهملت كما اهمل غيرها



استغلال الارض

اركانهُ وكيفياتهُ

(٦)

منزلة الموظفين من المالك في مزرعته منزلة الرأس المدبّر لها والعين الساهرة عليها والقوة الفعالة فيها فيجب ان يكونوا في القيام بمهام اعمالهم على المشرب الذي يبتغيهِ و يرتضيهِ كما تكون الاعضاء السليمة في اداء وظائفها تضامناً ونظاماً واقتداراً فهل كانوا كذلك دائماً؟ كلا لاحوال عند بعضهم

منها عدم النزاهة اذ يتصرفون في شؤون المزرعة لا حسبما تقتضيهِ مصلحتها فقط كما هو الواجب بل تبعاً لاغراضهم الذاتية فيستشعر من دونهم من سائر العمال وجمهور اهل المزرعة ان حاميها حراميها كما يقول المثل فيستشري الفساد في العمل تبعاً لفساد القائمين بادارتهِ واذاً يثلم شرفهم ومستقبلهم من جهة و يسوء حال المزرعة من جهة اخرى

ومنها تقصيرهم عن إيفاء العمل حقهُ من العناية والرعاية فيأتي كيفما اتفق بلا نظام يلتزمهُ عمالهُ ولا حسيب يرقبونهُ ولا رقيب يحذرونهُ

ومنها نبذهم التضامن الواجب في العمل وانصرافهم الى التخاذل فيهِ والتحاسد وتجريح بعضهم بعضاً واذاً تضيع مجهوداتهم فيما يضرهم و يضر المزرعة بهم

ومنها استبداد رؤسائهم بمرؤسيهم وحسبانهم ان الرئاسة لا تقوم الاَّ بالاستعلاء عليهم ومراغمتهم ولو بالباطل واذاً تنقبض نفوس ذوي الكرامة من المرؤسين عن العمل وينفسح المجال لصغار النفوس منهم الذين يستمرون خطة المداهنة والتملق و ينصرفون الى ذلك عن العمل لخير المزرعة

ومنها الغفلة عن تقدير الظروف الملابسة للعمل حق قدرها كعدم الحرص على تنفيذ ارادة المالك او الرئيس الأكبر في بعض الاعمال بالدقة التي يأمرونهُ بها و ينظرونها — او التهاون في مراعاة مقتضيات العرف والآداب الخ

ان كثيراً من الموظفين بارتكابهم هذه السيئآت والاغاليط وما حاكاها قد كسفوا كفاءاتهم فخبا نورها ووصموا انفسهم وصمة عار يعسر محوها واضرُّوا باخوانهم الابرياء حتى صار الموظفون كافة والاصل فيهم في عرف الملاك التهمة لا البراءة

ولقد كانت هذه السيئات على اشدها حينما كان الزعم الفاسد زعم ان الفلاحة لا تستدعي من الكفاءات ما يستدعيه غيرها من الفنون الاخرى منتشراً بين جمهور الملاك وكان هؤلاء لا ينظرون الى موظفي مزارعهم الا كنظرهم الى الشيء الحقير وكأن اولئك كانوا يستعيضون عما يفوتهم من التوقير الادبي من الملاك بالعبث في مزارعهم عبث الدناءة والحقارة اما الآن وقد اخذ نور الحقائق يكشف عن الفلاحة واهلها ما يغشيها من الابهام والاوهام فالأمل ان يصل ذوو الفضل والجد الذين كثر عددهم في المزارع الآن الى احسن ما يستحقون

احمد الالفي

حشرة جديدة

دودة ساق الارز الثاقبة — Schœnobius bipunctifer.

لفت نظري في صيف العام الماضي اذ كنت في جهات دمياط ابيضاض رأيتهُ في بعض سنابل الارز بكل الغيطان التي وقع عليها نظري ولما كانت هذه الحالة غريبة. عمدت الى البحث عن السبب فاذا انا اجد هذه السنابل ايضاً فارغة من حبوبها . اما النبات فكان سليماً من حيث بنيتهُ فادهشني الامر جدًّا واخذت أتفحص اجزاء النبات هنا وهناك فلم اعثر على شيء فعمدت الى شق الساق على طولها فاذا انا اجد فيها دودة صغيرة بيضاء اللون ذات رأس كبير . وكانت مستقرة على باطن الساق وقد احتفرت فيها طريقاً بسبب اكلها مادة الساق . وكنت ارى هذه القناة حمراء ضاربة الى السواد

ثم انتقلت الى غير البقعة وفحصت عدة من سوق ما وجدت في سنابله ابيضاضاً وفراغاً من الحب فاذا كلها تشتمل على دودة صغيرة كالسابقة سواءً بسواء . فايقنت بهذا الاستقراء ان ما يصيب الارز انما هو بسبب فعل هذه الدودة الجديدة . وقد لفتُّ اليها نظر حضرة معاون وزارة الزراعة بمركز فارسكور وهذا ارسلها الى وزارتهِ ولكن علمت انها لم تستطع ان تربي هذه الدودة تربية تمكنها من معرفة تاريخ حياتها بالضبط لانهم لم يستطيعوا ان يحصلوا من كل الدود الذي ارسل اليهم الا على فراش واحد والشرنقة التي خرجت منها . ولعل ذلك انما كان بسبب ان من دأب هذه الدودة الضعف والموت اذا هي خرجت من الساق

التي كانت فيها . فضلاً عن انها كانت لا تقدر على العيش على الساق اذا اصابها الجفاف لصلابة مادتها وامتناع مأكول الدودة

وانا ايضاً لم استطع ان اربيها لان الموسم كان قد انقضى ولكن رأيت بيضها على شكل لطع صفراء على ورق الارز وجمعت كثيراً من فراشها .

ولما كانت هذه الدودة تهدد محصول الارز في مصر تهديداً كبيراً . وكان الله قد وفقنا الى العثور عليها وهي في دور اذاها الاول حتى تلفت نظر ولاة امورنا العاملين اليهِ لتلافي الخطب قبل ان يدهمنا . ولما لم اقف على تاريخ حياة اطوار هذه الحشرة فقد رجعت الى ابحاث مصلحة الزراعة بالهند في الحشرات فاذا انا اجد وصف حشرة تصيب الارز في الهند تنطبق اوصافها على ما عثرت عليهِ انطباقاً تامًّا . كتبتهُ مصلحة الزراعة في بومباي في نشرة قائمة بذاتها . ولذلك لم اتردد في نقل ما جاء عن هذه الحشرة بتلك النشرة مراعياً في ذلك وجه العلاقة بينهُ وبين المزروعات المصرية

***

صفات الفراش — ان فراش الدودة التي نحن بصددها صغير الجسم ضعيفهُ . اجنحتهُ صفراء . وعلى الجناحين الاماميين نقطتان سوداوان . والانثى اكبر جسماً من الذكر وعلى موّخر بطنها شعر اصفر كثيف تغطي بهِ كتل البيض بعد وضعهِ على اوراق النبات . وتوجد غالباً معلقة في اطراف الاوراق او ملتصقة بالساق . وفي زمن وضع البيض تشاهد بكثرة على الاوراق ولاسيما في الجهات المظللة من الحقل . والضوء يجذبها اليهِ لشدة حبها لهُ وبذلك يسهل اعدام كثير منها بهذه الواسطة

البيض ووضعهُ — لم يشاهد مطلقاً وضع الانثى للبيض نهاراً اذ جميع ما جُمع منها في الحقل وما ربي في الصناديق لم يضع بيضهُ الاَّ في الليل وتضع الاناث البيض على اوراق الارز وبعض الحشائش الاخرى ولا تزيد مساحة كتلة البيض على نصف سنتي متر عرضاً واثنين طولاً . وترى بسهولة لمن اراد البحث عنها . وتوجد غالباً على غير ورقة النبات او على احد جوانبهِ . وفي نادر الاحوال ترى على الورقة الواحدة كتلتان او ثلاث . ولون كتل البيض اصفر لانهُ يكون مغطى بشعر الانثى وهو اصفر وعلى ذلك فهي ترى كبقع صفراء وسط اوراق الارز الخضراء . والبيضة بمفردها صغيرة الحجم جدًّا ذات شكل كمثري وهي بيضاء اللون وتكون في الكتلة في صفوف متقاربة بعضها فوق بعض . ويتراوح عدد بيض الكتلة الواحدة بين ٤٠ و ٢٢٠ بيضة

الدود — يفقس البيض بعد ستة ايام من وضعهِ ويصير لون الكتلة اسود قبل الفقس بيوم او اثنين . وبعد الفقس تخرج الديدان وهي سوداء اللون ورأسها كبير بالنسبة لجسمها اذ هو نحيف صغير يبلغ طولهُ مليمترين ثم تنتشر الديدان على الورقة وفي هذا الطور تحدث خطوطاً طولية في البشرة السطحية من الورقة بأكلها لها وبعد ان تبلغ من العمر ٣٠ ساعة تتجه صوب ابط الورقة حتى تبلغهُ فتبدأُ بثقب الساق عند هذه النقطة . وقد وجد هذا الدود في الساق الواحدة في النهاية العظمى اثنتا عشرة دودة . اما باقي الدود فينتقل الى سوق نباتات اخرى مجاورة لهذه بواسطة الاوراق لتقارب بعضها من بعض . ومن يوم دخول الدودة في الساق تبتدئ باحداث الضرر في النبات وفي الوقت نفسهِ تصبح غير مرئية فهي آمنة من كل ما يؤْذيها . تتغذى داخل ساق النبات وتأخذ في الكبر فتمتلئ الساق المجوفة ببرازها ولا يوجد في هذا الوقت من الدود غير واحدة في كل ساق . وبعد ان تبلغ الحد النهائي من النمو يصير طولها سنتمترين ونصف سنتيمتر تقريباً

ومن المتعذر تربية هذه الدودة في الصناديق لانهُ بمجرد خروجها من ساق النبات الذي دخلتهُ يصبح من الصعب عليها ثقب غيرهِ ودخولهُ . وقد قدرت المدة التي تعيشها الدودة المرباة تربية صناعية بنحو ٢٧ يوماً في حين ان الدودة التي تترك التعيش عيشة طبيعية داخل الساق في الحقل تعيش مدة دون هذه طولاً

الشرنقة — بعد ان تبلغ الدودة نموها النهائي تأخذ في احداث ثقب مستدير قطرهُ نحو ثمانية مليمترات وذلك حفظاً لحياة الفراش المقبل . والقطعة التي احدثها الثقب في الساق لا تنفصل عنهُ بل تظل مكانها كأن الساق لم يحدث فيها شيء وذلك بواسطة نسيج تنسجهُ الدودة حولها وبالقرب من هذا الثقب تنسج شرنقة حريرية خفيفة لتشرنق داخلها . ويتجه رأس الحشرة نحو الثقب دائماً حتى اذا اصبحت فراشة وجدت امامها الثقب المغطى فتزيل الغطاء وتخرج من الساق . وطول الشرنقة سنتمتر ونصف تقريباً وعرضها مليمتران ونصف . ولونها اسمر . وهي تمكث مشرنقة نحو تسعة ايام ثم تتحول الى فراشة فتبدأ بوضع بيضها وبذا تتم دورة حياة هذه الحشرة

سلوك الحشرة في الرز — لهذه الحشرة ايام وجود الارز في الحقل نسلان . دود النسل الاول لا يسهل العثور عليهِ لان النباتات التي يصيبها تموت لصغرها فلا يتمكن الباحث من رؤْيتها لتكاثف النباتات ولان القطع التي تموت نباتاتها يشغل غيرها . اما دود النسل الثاني فانهُ عند ظهورهِ تكون اغلب النباتات قد بلغت اشدها . وفضلاً عن هذا فانهُ يشاهد

بكثرة على اصناف الارز البدرية وتصيب ديدان النسل الثاني نباتات هذه الاصناف قبل ازهارها بزمن يسير جداً . ولهذا فبعضها لا يزهر مطلقاً والبعض يزهر غير انهُ لا يكون حبوباً وعند حلول ميعاد الحصاد تترك الديدان الجزء العلوي من النبات لجفافهِ وتذهب الى الجزء الاسفل من الساق فيبقى عدد من الديدان والشرانق داخل الجزء الباقي من الساق بعد الحصد ومن هذا العدد يظهر النسل الثالث لهذه الحشرة

تمضي هذه الحشرة الشتاء في بقايا سوق الارز وداخل جذورهِ وفي بعض الحشائش التي تنمو معهُ او قريبة منهُ

طرق المقاومة — تنحصر طرق المقاومة فيما يأتي

(١) ازالة جميع بقايا الارز وذلك بحرث الارض بعد الحصد وجمع هذه البقايا وحرقها فلا تترك كما يفعل بعض المزارعين في الاراضي التي يريدون زراعتها برسيماً عقب الارز لتدفئتهِ لان الاضرار التي تلحق بالارز اعظم بكثير من الفائدة التي تعود على البرسيم

(٢) ازالة كتل البيض : عوامل المقاومة جمع كتل البيض واعدامها وذلك بقطع اطراف النبات الذي تظهر عليهِ الكتل بكثرة بشرط أن يكون هذا النبات لم يزهر لانهُ ان ازهر اصبحت هذه العملية غير جائزة وهذه الكتل تشاهد بسهولة لان لونها يلفت النظر من بُعد فضلاً عن مخالفتهِ للون كتل بيض الحشرات الاخرى وهو اصفر فاتح — فيجب على كل مزارع توجيه عنايتهِ الى هذه النقطة فعليهِ وحدهُ يعود نفعها وعليهِ كذلك معرفة الفراش بلونهِ الاصفر الفاتح الذي يميزهُ من باقي فراش الدود الثاقب حتى اذا ما رآهُ في جهة من الحقل بادر الى جمع ما عساهُ يكون وضعهُ من البيض

(٣) جمع الفراش بواسطة الضوء — يفيد الضوء كثيراً في جمع فراش هذه الدودة لفرط تهافتهِ عليهِ فيحسن اذاً انارة لمبة قوية الضوء ووضعها في صيدة بها ماء وبترول في الحقل المصاب فنور اللمبة يجذب الفراش فيسقط في الماء والبترول فيموت او يجمع ويقتل وبهذه الطريقة يمكن التغلب على عدد عظيم من الفراش فيقل البيض وعليهِ تقل الدودة . غير انهُ للحصول من الضوء على هذه النتيجة عاملان اولها معرفة ايام خروج اغلب الفراش من شرانقهِ ثانيهما ان تكون ايام ظهور الفراش لياليها مظلمة لا قمر فيها حتى يتمكن ضوء اللمبة من جذب الفراش اليهِ ولكن يعترض هذه الفكرة كثير من الظروف تجعلها تارة عديمة الفائدة وطوراً تصيرها مضرة لانها كثيرة النفقة بالنسبة للفائدة التي يحصل عليها منها . وهي عادة تكون عاملاً قوياً في اصابة الحقل الموضوعة فيهِ اللمبة اصابة عظيمة لان الفراش يأتي من كافة

الحقول المجاورة لهُ ولا يصل كثير منهُ الى المصيدة وان فرض ووصل فكثير منهُ يضع بيضهُ في الحقل قبل وصوله فالواجب اذا وضع اللمبة في حقل لا يكون مزروعاً ارزاً والأ فلا اشير باتباع هذه الطريقة مطلقاً

(٤) اقتلاع النبات جميعهُ : ان انجع الطرق لاستئصال هذه الحشرة مراقبة كل فلاح محصولهُ مراقبة شديدة حتى اذا ما ظهرت سنبلة بيضاء اللون فارغة من الحب بادر الى استئصال نباتها جميعهِ واحراقهُ في الحال وبهذه الوسيلة السهلة تباد الحشرة وينجو المحصول من شرها

محمد مختار الجمال
بوزارة الزراعة

بحث في تحسين زراعة القطن

اذا كانت الحرب الطاحنة القائمة الآن بين دول اوربا قد شغلت المزارع فجدير به ان يترك السياسة لمن يعنيه امرها و يتبع ادوار الحرب الاقتصادية التي قامت بين مزارعي اميركا من جهة و بين غزالي القطن من جهة أخرى كل فريق يسعى للوصول الى غاية خاصة الاول يسعى لرفع اسعار القطن والآخر لتخفيضها

وقد ابتدأت هذه المنافسة من سنة ١٩٠٢ اذ رأى مزارعو القطن في الولايات المتحدة ان تجار القطن يتحكمون فيهم و يأخذون منهم القطن بسعر لا يكاد يوازي نفقاتهم فتباحثوا في الامر ورأوا ان لا خلاص لهم من هذه الكارثة الأ بالاتحاد فانشأوا النقابات الزراعية في كل الولايات وانشأوا جمعيتين تربط هذه النقابات بعضها ببعض حتى صارت قوتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضهُ بعضاً وشرعت هذه النقابة العظمى او نقابة النقابات في تأسيس مخازن عمومية في انحاء البلاد وصارت تقبل اقطان المزارعين وتخزنها فيها مقابل اجر زهيدة لا تتجاوز ثلاثة قروش عن البالة في الشهر واوجدوا المال الكافي للتسليف على القطن حتى لا يضطر المزارع الى البيع اذا كان السعر منحطاً فكانت النتيجة انهم رفعوا اسعار القطن فابلغوها السعر الذي يلائم مصلحتهم وربحت هذه الجمعيات من ٣٣ الى ٤٠ في المئة علاوة على ما ربحهُ المشتركون في الانتفاع بارتفاع اسعار قطنهم ثم اهتمت هذه الجمعيات بحث المزارعين على تقليل مساحة القطن كلما رأت بقية من محصول الى محصول آخر فحفظت بذلك الاسعار من النزول

ولما رأى الغزالون ما حصل عليهِ الزراع من فوائد الاتحاد اسسوا منهم جمعية اتحاد الغزالين بناء على دعوة الغزال الانكليزي الكبير السرجون مكارا الذي قدم مصر في نوفمبر سنة ١٩١٤ مع وفد من جمعيتهِ وجعلوا مركز هذه الجمعية مدينة منشستر واقبل الغزالون على الاشتراك فيها من جميع انحاء العالم . وجعلت هذه الجمعية غايتها تخفيض اسعار القطن باتخاذ الطرق الثلاث التالية

اولاً — ايجاد اراض وبلاد جديدة لزرع القطن فيها وزيادة مقدارهِ

ثانياً — تقليل مقطوعية القطن بتقليل ساعات العمل

ثالثاً — تخزين كمية من القطن لحساب الغزالين ليضغطوا السوق بها عند ارتفاع اسعار القطن بسبب قلة الموجود منهُ وقد اهتمت هذه الجمعية بتجربة زراعة القطن في جميع الاراضي الصالحة لذلك « وهي التي تكون المياه فيها صيفاً كافية ولا تزيد درجة حرارتها في هذه المدة عن ١٧ درجة بميزان سنتغراد » فنجحت في تجارب عديدة وثبت لها ان الاراضي الصالحة لهذه الزراعة كثيرة مثل السودان ونيجيريا والكمرون والجزائر ومراكش وتونس وتركستان ولكن لما شرعت في تطبيق هذه التجارب تطبيقاً تاماً تجارياً لم تنجح على الاطلاق لاسباب عديدة اهمها عدم وجود ايد عاملة كافية لهذه الزراعة وعدم وجود طرق مواصلات مسهلة لنقل المحصولات او عدم ثبات الاسعار على حالة واحدة او عدم معرفة اهل تلك البلاد بطرق الزراعة او عدم وجود وابورات للحلاجة في تلك البلاد

واذا فحصنا حالة الولايات المتحدة رأينا انها لا تميل الى زيادة الاراضي المزروعة قطناً لانها ترى زراعة الحبوب وسائر الاصناف انفع لها من القطن ولاسيما ان زراعة القطن تحتاج الى عمال كثيرين واجرة العامل هناك غالية جداً فهي من دولار (ريال) الى دولارين في اليوم فالزراعة هناك محدودة فلا تتعدى الزمام المعين لها ولما كان محصول اميركا يقدر باثني عشر مليون بالة الى ستة عشر مليوناً اي ثلاثة ارباع محصول العام فهي مكتفية بهِ ويرى المزارع الاميركي ان الاصناف الاخرى تعود عليهِ بأرباح اكثر من القطن الذي محصول فدانهِ نحو قنطارين فقط

ولا ينتظر ايضاً زيادة محصول القطن في الهند زيادة مفيدة لان كل المساعي التي بذلت لهذه الغاية ذهبت ادراج الرياح اذ الهند بلد يحتاج الى الحبوب اكثر منهُ الى سائر المزروعات بدليل القحط والمجاعات التي تنتابهُ مراراً علاوة على ان زراعة القطن لا يجنى منها محصول وافر لان محصول الفدان الواحد ٧٥ رطلاً ومجموع محصول الهند من اربعة الى خمسة ملايين بالة

ويحتاج القطن في بلاد الهند الى ارواء غزير وقد جرب القطن المصري في الهند ولم ينجح لانهُ احتاج الى اثنتين وعشرين رية في العام واحتاج الى مدة تزيد شهرين عن القطن المصري وكان نوعهُ رديئاً ولم يكن من يشتريهِ وارادت الحكومة جمعهُ وبيعهُ لتجار بمباي الذين يغزلون القطن المصري فوجدوهُ مخلوطاً وفضلوا عليهِ المشترى من الاسكندرية ولهذا فشلت هذه التجربة ايضاً

وقد جرب القطن المصري في الولايات المتحدة فلم ينجح النجاح المنتظر ولهذا عدلوا عن زرعهِ . فليس والحالة هذه مزاحم للقطن المصري الاَّ القطن الاميركي المعروف « بسي ايلند » وكميتهُ محدودة جدًّا ويزرع في اماكن خاصة

فنرى مما تقدم ان مزارعي اميركا وصلوا الى الغاية التي يرومونها ويرغبون فيها من حفظ اسعار القطن وان الغزالين على الضد من ذلك فانهم لم يتوصلوا الى غايتهم رغم جهادهم العظيم ورغم تخفيض ساعات العمل . وزاد ارتباكهم اولاً الزيادة المطردة في عدد الانوال فقد زادت الثلث في اثناء عشر سنوات مع ان كمية القطن لم تزد على هذه النسبة . ثانياً زيادة المقطوعية التي لا تكاد الآن تترك بقية من عام الى آخر وحاجات العالم كل عام في ازدياد

كل هذه النظريات تحملنا على ان نتأكد ان الحاجة شديدة الى محصول قطننا وان اسعارهُ الحالية ليست اسعار مضاربة او اسعاراً اصطناعية بل هي مبنية على قاعدة اقتصادية متينة قاعدة العرض والطلب . فالطلب كثير والعرض قليل . فلهذا لا يخشى عليهِ من هبوط اسعارهِ وان هبطت فهبوطها لا يكون الاَّ لاسباب عرضية وقتية تزول بزوال السبب وان ما حصل في سنة ١٩١٤ من بيع القطن المصري بسعر عشرة ريالات كان جريمة اقتصادية وقع في شركها المزارع لجهلهِ الاحوال الاقتصادية العامة وقيمة محصولهِ وعدم احتياطهِ للطوارىء

هذا ولما رأت جمعية اتحاد الغزالين ما نجم عن اتحاد زرّاع اميركا ارادت ان تتفاوض معهم لتوفق بين مصالح الفريقين فاجتمع وفد من اعضائها باعضاء جمعيات التعاون الزراعية في اميركا وعقدوا مؤتمراً في مدينة اتلانتا باميركا فما كان اعظم دهشة وفد الغزالين لما رأوا في الصباح اعلانات كالاعلانات التالية معلقة على جدران المدينة « لا تناولن مفتاح مخازننا الاَّ بسعر ١٥ سنتاً الليبرا » (اي ٣٠٠ قرش القنطار) ولم يحصل اتفاق بين الفريقين وعاد الوفد بالفشل بعد ما اقنعهم حاكم المدينة ان طلب المزارعين عادل وان قنطار القطن يكلفهم تلك القيمة

ولنبحث الآن في مصاريف زراعة القطن عندنا ونقابل بين ايرادها وايراد اهم الحاصلات الاخرى التي يمكن ان تقوم مقامها كزراعة القمح والذرة ونبحث ايضاً عن السعر الذي يجب ان نبيع قطننا بهِ لكي يكون ايراد الفدان من زراعة القطن مساوياً لايراد الفدان من القمح والذرة

فمن المعلوم في ارض يزرع نصفها قطناً والنصف الآخر ذرة وقمحاً ان القطن يشغل الارض المدة التي يشغلها في النصف الآخر الذرة والقمح فلننظر في مصاريف الفدان المزروع قطناً من جهة والمزروع ذرة وقمحاً من جهة اخرى ونأخذ متوسط محصول كل من الفدانين وثمن هذا المحصول ونطرح منهُ المصاريف لنرى الربح الصافي فيتيسر لنا بذلك ان نعرف الثمن اللازم للقطن لكي يساوي ايراد فدانهِ ايراد الفدان من الصنفين الآخرين. وقد اخذنا متوسط محصول القطن ومتوسط المصاريف ونحن عالمون ان الاراضي يختلف بعضها عن بعض في النفقة والجودة ولكننا بنينا حسابنا على المتوسط بصفة عامة

مصاريف فدان القمح بالمليمات: ٤٠٠ حرث و٨٠٠ تقاوي و٦٠٠ ري و١٠٠ تنقية حشايش و٢٠٠ ضم و٢٠٠ مشال و٦٠٠ دراس و١٥٠ دراوه وغربله وجنيه و٥٠٠ سماد. المجموع ٤ جنيهات و٥٥٠ مليماً

مصاريف فدان الذرة: ٤٠٠ حرث و٢٥٠ تقاوي و٥٠٠ ري و١٥٠ عزيق و٢ جنيه سماد و١٠٠ قطع و١٥٠ مشال و٢٠٠ تقشير. فالمجموع ٣ جنيهات و٧٥٠ مليماً

مصاريف فدان القطن: جنيه حرث و٤٠٠ مليم تقاوي و٧٥ زرع و٢٠٠ مسح خطوط و٥٠ خف القطن وجنيه عزيق وجنيه ري واجرة ري و٣٠٠ مليم تنقية دودة و٨٠٠ جني و١٥٠ قطع حطب وجنيه سماد. المجموع ٥ جنيهات و٩٧٥ مليماً

فاذا فرضنا ان محصول الفدان الذي زرع قمحاً ستة ارادب وكان ثمن الاودب جنيهاً مصرياً ومئتي مليم وستة احمال تبن سعر الحمل ثلاث مئة مليم كان ثمن محصولهِ تسعة جنيهات و٥٥٠ مليماً فيكون ايرادهُ الصافي اربعة جنيهات و٤٥٠ مليماً

واذا فرضنا ان محصول الفدان الذي يزرع ذرة عشرة ارادب بسعر ٩٠٠ مليم الاردب كان ثمن محصولهِ تسعة جنيهات ثم نطرح من ذلك قيمة المصاريف وقدرها ثلاثة جنيهات و٧٥٠ مليماً فيكون ايرادهُ الصافي خمسة جنيهات و٢٥٠ مليماً فاذا اضفنا الى هذا المبلغ صافي ايراد الفدان من زراعة القمح كان مجموع الايرادين تسعة جنيهات و٧٠٠ مليم

واذا فرضنا ان محصول الفدان الذي يزرع قطناً ثلاثة قناطير و ٩٢ رطلاً وهو متوسط السنين الاخيرة فضت علينا الضرورة ببيع القنطار بسعر اربعة جنيهات حتى يساوي ثمنها بعد طرح مصاريفهِ صافي محصول القمح والذرة (١)

ولرب معترض يقول من اين لنا الحصول على هذا السعر ونحن تحت رحمة التجار والمضاربين يتحكمون فينا كيف شاءوا . كذلك كانت حال مزارعي اميركا قبل ربع قرن وكان قطنهم يباع باربعة ريالات ولكنهم لم ييأسوا بل اتحدوا والفوا النقابات والجمعيات حتى تحكموا في اسعار القطن وصار التجار تحت رحمتهم ولم يحتاجوا الى مال كثير والتجأوا الى الطرق الاقتصادية التي ابلغتهم هذا الغرض . والفرصة سانحة لنا الآن لان نبحث فيما يوصلنا الى هذه الغاية لان افكار حكومتنا السنية متجهة الى مساعدة المزارع وتحسين حالهِ وليس الامر من الصعوبة بالمكان الذي نتخيلهُ ومن ينعم النظر فيهِ يجد ان الوصول اليهِ ليس بالامر المستحيل لانهُ متى الفت النقابات ووجدت نقابة جامعة لكل النقابات وفرض على كل قنطار من القطن مبلغ قليل في بادىء الامر لمساعدة المشروع وتكوين رأس المال وبنيت شون لتخزين القطن والتسليف عليهِ وساعدت الحكومة في تجزئة الاموال على اشهر عديدة وتحسنت حالة المزارع المالية نوعاً وصلنا الى هذه الغاية . واساس كل ذلك الاتحاد والتعاون وتبادل الثقة

محمد ابو الفتوح عن المقطم

تغذية النبات الصناعية

يقال انهُ يسهل تغذية اثمار النبات تغذية صناعية كما يغذَّى الحيوان فقد جاء في السينتفك اميركان ان بعضهم امتحن ذلك في اليقطين فغذاهُ بمذوب السكَّر على هذه الصورة : — اذاب السكَّر في الماء حتى تشبَّع الماء منهُ ووضع هذا المذوَّب في انائين الى جانب يقطينة حالما عقدت وشقَّ عنقها شقًّا غائراً من جهتين ولكنهُ غير نافذ واوصل فتيلة من فتائل مصابيح البترول بين كل شق ومذوب السكر في الاناء المجاور لهُ فكبرت اليقطينة في اربعة ايام وصارت عشرة اضعاف ما كانت . ولكن يظهر لنا ان اليقطين يكبر كذلك من غير ان يغذى بمذوب السكر كما هو معلوم

---

(١) [المقتطف] الفدان الذي محصولهُ عشرة ارادب من الذرة ينتظر ان يكون محصولهُ من القطن خمسة قناطير او اكثر لا مثل متوسط زراعة القطن كلها لكن ذلك لا يغير مرمى هذه المقالة النفيسة

مياه الري وري القطن

القطر المصري يختلف عن كل الاقطار الزراعية في انهُ يعتمد في زراعتهِ على الري الصناعي فقط لان لا مطر فيهِ يروي مزروعاتهِ كسائر اقطار المسكونة

والبلدان التي تروى اشجارها ومزروعاتها بماء المطر اهتمت بما فيها من الانهر والينابيع فاستخدمت مياهها للري وقتما ينحبس ماء المطر وتحكمت في ذلك حسب مقتضيات الزراعة وهي في الغالب اما بلدان صناعية تجارية لا تلقي كل اعتمادها على الزراعة واما بلدان زراعية ولكن الاراضي الزراعية فيها واسعة جدًّا كثيرة المراعي والمواشي حتى اذا قلَّ محصولها بسبب قلة المطر او قلة ماء الري لم يؤثر ذلك في معايش اهلها تأثيراً يذكر لاعتمادهم على صناعتهم ومواشيهم

اما القطر المصري فاعتمادهُ كلهُ على ماء الري واطيانهُ ضيقة يخص النفس من سكانهِ اقل من نصف فدان فاذا اخطأ مقسمو ماء الري حتى زاد على بعض الاطيان او قل عن حاجتها قل بهِ محصولها وساءت حال اصحابها لان ليس لهم مورد رزق آخر يعتمدون عليهِ

ويخطئ من يظن ان ماء الري يعطى لاصحاب الاطيان مجاناً كأنهُ هبة من الحكومة لهم تتصرف فيها كما تشاء . وانما هو بضاعة مشتراة بثمن غالٍ لان متوسط مال الفدان في القطر المصري مئة غرش في السنة وهذه الضريبة الفاحشة التي لا مثيل لها في بلد آخر اكثرها ثمن ماء الري الذي يروى بهِ ذلك الفدان . وكان الواجب ان توزع مياه الري على الاطيان حسب الضرائب ولكن اذا كان الماء الذي يصل الآن الى اطيان مربوط الفدان منها ١٥٠ غرشاً في السنة كافياً لتلك الاطيان فلا داعي لزيادتهِ . واذا كان الماء كافياً لري الاطيان الزراعية والاطيان البور واصلاحها فلا موجب لمنع هذه الزيادة عن هذه الاطيان لاصلاحها لان الاطيان المصلحة في غنى عنها . ولكن ان كان ماء ترعة لا يكفي لري الاطيان المزروعة المربوطة بالمال وري الاطيان البور المعفاة من الضرائب فالعدل يقضي بان تروى الاطيان المزروعة اولاً ولا تروى الاطيان البور الاَّ مما يفيض عن الاطيان المزروعة . وهذا ما يفعلهُ كل مالك في هذا القطر باطيانهِ ولكن لا يفعلهُ رجال الري الذين لا يريدون ان يتعبوا انفسهم او يعكروا مزاجهم او يغيروا كلمة قالوها كما حدث فعلاً حيث توزع مياه الري على الاراضي المزروعة والاراضي البور بالسواء وهي لا تكفي لهذه وتلك فيضطر صاحب الاطيان الصالحة كلها للزراعة ان يبور بعضها لكي تكفي مياههُ للبعض الآخر . والمالك الذي الجانب الاكبر

من اطيانهِ بور لا يصلح للزراعة يترك المياه الغزيرة التي يعطاها تجري هدراً ورجال الري يرون ذلك بعيونهم ولا يستطيعون ان يقولوا كلمة كأن تقسيم المياه جرى حسب شريعة مادي وفارس التي لا تتغير

ومما يجري هذا المجرى ترتيب المناوبات في ري القطن فان رجال الري يدّعون ان القطن نبات صيفي يحتمل العطش فلا يموت اذا طالت المناوبات عليهِ . وهذا صحيح وقد يعيش من غير ماء مطلقاً ولكن لا يجنى منهُ قطن حينئذٍ . ونحن نزرع القطن ونرويهِ لا لكي يعيش ولا يموت ولا لكي نجني من الفدان قنطاراً او قنطارين بل لكي نجني من الفدان أكثر ما يمكن ان يجنى منهُ باية طريقة من الطرق . وقد ثبت بالامتحان انهُ اذا جاد القطن بلغ محصولهُ عشرة قناطير كبيرة من كل فدان فاذا ثبت ايضاً ان للري يداً في زيادة المحصول وانهُ اذا قصرت مدة المناوبات من نصف يونيو الى آخر يوليو زاد محصول الفدان قنطاراً او قنطارين وجب على مصلحة الري ان تبذل كل واسطة وتستقلَّ كل نفقة في سبيل الوصول الى هذه الغاية لان زيادة قنطار كبير في محصول الفدان بمثابة مليون وسبع مئة الف قنطار او نحو سبعة ملايين من الجنيهات في السنة او فائدة مئة وخمسين مليوناً من الجنيهات . فالوصول الى هذه النتيجة يستحق كل اهتمام رجال الري وتستقلُّ في جنبهِ كل نفقة مهما كانت

وحبذا لو اشترطت وزارة الاشغال على مهندسي الري ومفتشيهِ في المستقبل ان يدرسوا الزراعة علماً وعملاً حتى يصح تعيينهم في وظائف الري

تعب الارض من عدم الزرع

يقال ان الارض تتعب من توالي زرعها سنة بعد اخرى وهذا صحيح ولاسيما اذا زرعت نوعاً واحداً سنة بعد اخرى . ولكنها تتعب ايضاً وتفسد اذا لم تزرع . فيجب ان تزرع دائماً سنة بعد اخرى كاكثر اراضي هذا القطر ولكن يجب تنويع زراعتها كما هو جارٍ في هذا القطر ولو دعت الحال الى تكرير زراعة الصنف الواحد فيها مرةً كل سنتين فاننا نعرف اطياناً تزرع منذ سنين كثيرة نصفها قطناً والنصف الآخر فولاً او برسيماً وذرة دواليك فزراعة القطن تأخذ سنة كاملة ويزرع بعدهُ برسيم ثم ذرة او فول ثم ذرة ومحصولها دائماً فوق المتوسط ولكنها تسبخ وتخدم جيداً ولو تركت سنة او سنتين من غير زراعة لبارت وفسدت .

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحبوب في الطعام

الحبوب التي يعتمد عليها الانسان في طعامهِ في هذا القطر والقطر السوري هي القمح والشعير والذرة الشامية والذرة البلدية اي الحبوب التي يصنع منها الخبز ويضاف الى ذلك الارز . ويكاد طعام الفقراء يقتصر عليها اي ان ما تحتاج اليهِ اجسامهم من المواد التي تنمو بها وتقوى على العمل وتعوّض عمَّا يفقد منها اكثرهُ هذه المواد ان لم نقل كلها يأتي من الخبز الذي يأكلونهُ سواء كان مصنوعاً من دقيق الحنطة او من دقيق الذرة او منهما كليهما واما في البلدان الاوربية والاميركية فيكثر اكل اللحم والدهن والبطاطس فينال الجسم جانباً كبيراً من غذائهِ منها . وهاك كلاماً موجزاً عن كل نوع من هذه الحبوب وما فيهِ من الغذاء

القمح

القمح اكثر الحبوب استعمالاً لعمل الخبز في اوربا واميركا وسواحل بحر الروم ولا يفوقهُ في هذا القطر الا الذرة البلدية فان اكثر اعتماد الفلاحين في خبزهم عليها لا على القمح . والعناصر الجوهرية في القمح هي الكربون والاكسجين والهيدروجين والنتروجين والكبريت . ومتوسط ما فيهِ منها نحو ٥١ في المئة من الكربون ونحو ٢٣ في المئة من الاكسجين ونحو ٧ في المئة من الهيدروجين ونحو ١٧ في المئة من النتروجين ونحو واحد في المئة من الكبريت

ويصنع الدقيق من القمح بطحنهِ وقد مرَّت قرون كثيرة وهو يطحن بين حجرين هما حجرا الرحى ثم ينخل فتخرج قشورهُ نخالة (رضة) ويقطف ثانيةً فيفصل الجزء الخشن منهُ الحاوي للنخالة الدقيقة خشكاراً وما بقي فهو الدقيق الناعم الذي يعجن ويصنع الخبز منهُ

وقد أُبدل حجرا الرحى الآن باسطوانات من الحديد الصلب يمر القمح بينها فتسحقهُ وتطحنهُ وتفصل بين النخالة والنشا او المادة البيضاء فصلاً تامًّا فيأتي الدقيق اشد بياضاً مما لو طحن

بالرحى . الأ ان الدقيق الابيض الناتج من الطحن بالاساطين الحديدية لا يزيد وزنهُ على ثلاثة ارباع وزن القمح ومنهُ يصنع الخبز الابيض والربع الباقي يكون نخالة وخشكاراً فيباع علفاً للمواشي . والخشكار كثير الغذاء والغذاء في الرطل منهُ اكثر من الغذاء في الرطل من الدقيق الابيض الناعم ولو كان لونهُ اصفر ولذلك يفضل كثيرون بقاءهُ مع الدقيق الابيض وعمل الخبز منهما كليهما معاً

والطحن بالمطاحن ذات الاساطين يكون على درجات فاوّلاً ينظف القمح من كل ما يخالطهُ من التراب ونحوهِ ويمر بين اسطوانتين سطحاهما مخدَّدان فتهرسانهِ هرساً . ويجري القمح المهروس الى مناخل تنخلهُ فيخل منهُ بعض الدقيق الذي خرج منهُ بالهرس وباقي القمح المهروس يمرُّ بين اساطين اخرى فيزيد هرسهُ رويداً رويداً لان البعد بين كل اسطوانتين يكون اقل من البعد بين اللتين قبلهما فينفصل الدقيق عن النخالة (الرضة) فصلاً تامًّا لا كما يحدث بالطحن بالارحاء حيث يطحن بعض النخالة ويمتزج بالدقيق

وعليهِ فالطحن بالاساطين يفصل النخالة كلها عن الدقيق ويفصل معها الجراثيم التي تنمو اذا زرعت حبوب القمح لكن المناخل الكثيرة التي تنخل هذا الطحين في طريقهِ من اسطوانة الى اخرى تفصل الخشكار عن النخالة ثم تطحنهُ ثانية حتى تسهل اضافتهُ الى الدقيق لاسيما وانهُ يكون فيهِ من المادة المغذية اكثر ممَّا في الدقيق الابيض وزناً لوزن ومتى اضيف الى الدقيق الناعم صار ملمسهُ خشناً نوعاً . ولذلك فالدقيق الناعم جدًّا لا يعد اجود انواع الدقيق لان المادة المغذية اي الغلوتين تكون قليلة فيهِ فيقل حيلهُ

وقد تفنَّنت بعض المطاحن التجارية ذات الاساطين في طحن القمح وفصل بعضهِ عن بعض حتى تجد فيها اربعين نوعاً من الاساطين والمناخل يمرُّ الدقيق عليها كلها في طحنهِ ونخلهِ فيخرج منهُ اربعون صنفاً من الدقيق ثم يخلط بعضها ببعض حتى تتكون منها الاصناف المطلوبة . والغالب ان الاصناف الجيدة تكون ٧٢ في المئة من القمح اي ان كل مئة رطل من القمح يخرج منها ٧٢ رطلاً من الدقيق الجيد ورطلان او ثلاثة ممَّا دونهُ قليلاً .

ويمتاز الدقيق النظيف بصفاء لونهِ وشدَّة حيلهِ وقلة النخالة فيهِ او انعدامها منهُ بالمرة . والدقيق الذي دون هذا اقل حيلاً منهُ لقلة المادة الغروية فيهِ ولكنهُ اكثر منهُ غذاء لكثرة البروتين فيهِ

وقد حُلِّل الدقيق وتوابعهُ من مطحنة تجارية ذات اساطين كثيرة تحليلاً كيماويًّا فوجد فيها من المواد ما تراهُ في الجدول التالي

	ماء	بروتين	دهن	كربوهدرات	رماد
دقيق درجة اولى	١٠٫٥٥	١١٫٠٨	١٫١٥	٧٦٫٨٥	٠٫٣٧
« « ثانية	١٠٫٤٩	١١٫١٤	١٫٢٠	٧٦٫٧٥	٠٫٤٢
دقيق نظيف درجة اولى	١٠٫١٣	١٣٫٧٤	٢٫٢٠	٧٣٫١٣	٠٫٨٠
« « ثانية	١٠٫٠٨	١٥٫٠٣	٣٫٧٧	٦٩٫٣٧	١٫٧٥
دقيق مسمر	٠٩٫١٧	١٨٫٩٨	٧٫٠٠	٦١٫٣٧	٣٫٤٨
دقيق كامل	١٠٫٨١	١٢٫٢٦	٢٫٢٤	٧٣٫٦٧	١٫٠٢
نخالة	٠٩٫٩٩	١٤٫٠٢	٤٫٣٩	٦٥٫٥٤	٦٫٠٦

يظهر من هذا الجدول ان البروتين في الدقيق الاسمر اكثر منهُ في غيرهِ ولكن الطلب عليهِ اقل من الطلب على غيرهِ و يطلق عليهِ بالانكليزية اسم الكلب الاحمر وقلما يصنع الخبز منهُ وكان الخبز يعجن ويخبز في كل البيوت في الزمن الغابر ولا يزال كذلك في بلاد الفلاحين ثم انشئت الافران لخبز ما يعجن في البيوت والآن صار اهالي المدن يشترون خبزهم فلا يتعبون بتنقية القمح ونصو يلهِ وطحنه ونخلهِ وعجنهِ وتقريصهِ ورقهِ وخبزه كما كان يفعل اسلافهم . واهتمت الحكومات الراقية بمراقبة الخبز الذي يباع من حيث نوعهُ وخبزهُ ووزنهُ لكي لا يغش المشترون فيدفعوا من الثمن اكثر مما يستحقهُ الخبز . ومن الغريب ان الحكومة المصرية لا تهتم بما يبيعهُ اصحاب المخابز من نوع الخبز ووزنهِ وثمنهِ فقد وزنا مرةً بعض الارغفة من الخبز المخمَّر بخميرة البيرة فوجدنا ان ثمن الاقة منهُ نحو ثمانية غروش وهو ثمن فاحش جدًّا ولكن الذين اعتادوا اكل هذا الخبز او نحوهُ ولا يستطيعون ابتياعهُ باقل من ذلك يضطرون ان يشتروهُ باي ثمن طلبهُ اصحابهُ . وما دام الخبز من الحاجيات لا من الكماليات فلا بدَّ من تعيين سعر لهُ . وحبذا لو عاد الناس الى عمل خبزهم في بيوتهم كما كان اسلافهم يفعلون وكما يفعل سكان الارياف

الشعير .

اكثر استعمال الشعير علف للخيل والحمير وقد يقشر فيبقى حبوبًا كاللؤلؤ تباع لعمل الشور با وهي من افضل ما يكون لذلك . وقد يطحن ويمزج دقيقهُ بدقيق القمح وهو مغذٍ مثل دقيق القمح كما ترى في هذا الجدول

	الشعير كلهُ	الشعير اللولوءي	دقيق الشعير
رطوبة	١١٫٩ في المئة	١١٫٣ في المئة	١٠٫٣ في المئة
بروتين	١٠٫٥ «	٨٫٥ «	٨٫٠ «
دهن	٢٫٢ «	١٫١ «	١٫٧ «
كربوهيدرات	٧٢٫٨ «	٧٧٫٨ «	٧٩٫٣٥ «
رماد	٢٫٦ «	١٫٣ «	٠٫٦٥ «
فصفور	٠٫٩٥ «	٠٫٤٦ «	٠٫٣٠ «
حديد	٠٫٠٠٤ «	٠٫٠٠١٣ «	٠٫٠٠١ «

والحديد والفصفور من مواد الرماد. ويراد بالكربوهيدرات كل المواد الهيدروكربونية كالنشا والصمغ . واذا نقع الشعير وابتدأ ينبت تتولد فيهِ مادة خميرية تحول نشاءهُ الى سكر والسكر يختمر ويصير الكحولاً وعلى هذه الطريقة تصنع البيرة من الشعير النابت

الذرة الشامية

الذرة الشامية اصلها من اميركا وقد انتشر زرعها في الشرق كلهِ ولكن زرعها على اكثرهِ في الولايات المتحدة الاميركية ويبلغ محصولها فيها في السنة نحو ثلاثة آلاف مليون بشل اي نحو ٥٧٢ مليون اردب وهي تزرع في اكثر من خمس الاراضي الزراعية واكثرها يطحن ويباع دقيقاً. والغذاء في الذرة لا يقل عن الغذاء في القمح كما ترى في الجدول التالي

	الذرة	دقيق الذرة
رطوبة	١٠٫٧ في المئة	١١٫٦ في المئة
بروتين	١٠٫٠ «	٩٫٠ «
دهن	٤٫٣ «	٤٫٣ «
كربوهيدرات	٧١٫٨ «	٧٢٫٥ «
الياف	١٫٧ «	١٫٥ «
رماد	١٫٥ «	١٫٣ «
فصفور	٠٫٧ «	٠٫٧ «

واصناف الذرة كثيرة مختلفة ويمكن تأصيلها حتى يزيد ما فيها من البروتين والدهن فقد اخذ اثنان من مجلس الزراعة في ولاية الينويز باميركا صنفاً فيهِ ١٠٫٩ في المئة من

البروتين و ٤,٧٠ من الدهن واستنباته عشر سنوات فتولّد معها صنف فيهِ ١٤,٢٦ في المئة من البروتين على الاكثر وصنف فيهِ ٨,٦٤ من البروتين على الاقل . وصنف فيهِ ٧,٣٧ من الدهن على الاكثر وصنف فيهِ ٢,٦٦ على الاقل

والمواد غير متوزعة على السواء في حبة الذرة فالقشرة تعدل ٥,٠ في المئة من الحبة كلها والجرثومة ١٠,٢ والكربوهيدرات وهو المادة النشوية ونحوها البقية اي ٨٤,٣ ومركبات كل من هذه الاجزاء كما ترى في هذا الجدول

	البروتين	الدهن	الكربوهيدرات	الالياف	الرماد
الحبة كلها	١٢,٦ في المئة	٠٤,٣ في المئة	٧٩,٤ في المئة	٠٢,٠ في المئة	٠١,٧ في المئة
قشرتها	٠٦,٦ «	٠١,٦ «	٧٤,١ «	١٦,٤ «	٠١,٢ «
الجرثومة	٢١,٧ «	٢٩,٦ «	٣٤,٧ «	٠٢,٩ «	١١,١ «
اللب «	١٢,٢ «	٠١,٥ «	٨٥,٠ «	٠٠,٦ «	٠٠,٧ «

والظاهر من التحاليل الكيماوية التي اطلعنا عليها للذرة المصرية ان نتروجينها اقل من نتروجين الذرة الاميركية المشار اليها آنفاً ومع ذلك فالامر يحتاج الى عناية وزارة الزراعة لكي تحلل الاصناف التي تزرع الآن في القطر المصري وتبين ايها اكثر غذاء

مرق مغذٍ

ضع رجلين من ارجل العجول في كسارولا وصب عليهما رطلين من الماء ورطلين من اللبن واغلِ الجميع اربع ساعات او خمساً ثم صفِّ المرق بعد ان تضيف اليهِ ما يكفي من الملح والقرفة او جوز الطيب لتطييب طعمهِ فيكون منهُ مرق مغذٍ جدًّا للاولاد والناقهين من المرض

خذ رطلاً من رقبة عجل وانزع منها كل الدهن والاوتار وافرمها جيداً وضعها في قدر واغمرها برطلين من الماء السخن وضع القدر في اناء واسع فيهِ ماء غالٍ واتركهُ قرب النار خمس ساعات او ستًّا وصفِّهِ بعد ذلك فيكون منهُ مرق مغذٍ جدًّا



الفنون العقلية في مصر[1]

عرضت مصنوعات تلاميذ مدرسة الفنون والصنائع السلطانية ولم تكتب الجرائد من عربية وافرنجية عن هذا المعرض الجميل الا شيئاً قليلاً ولربما يستغرب بعض محرري الجرائد اذا علم بوجود مدرسة تضم بين جدرانها نحو خمسين طالباً مجدين مجتهدين في انماء ما خلق فيهم من حب الفنون الجميلة بارشاد استاذ متضلع ومساعديه

ومن نظر نظرة عامة الى اعمال التلاميذ مدة السنة وخصوصاً ما صنع في الاسبوع الاخير لامتحان الدبلوم ظهر له جلياً ان نصيب مصر من المواهب الفنية مولود بين جدرانها ولكن نقطة البحث هي هل طريقة التعليم المدرسية الحالية تكفي للدلالة على كل اصحاب هذه المواهب المتفرقين في انحاء القطر؟ وعندنا ان مواهب مصر الفنية لا تظهر ولا يمكن التنقيب عنها قبل ان ينال كل ولد مصري قسطاً من التعليم لاختبار قواه العقلية ولربما تجد الموهبة في اولاد الفلاحين وبناتهم او بين ابناء النجارين او الحدادين او البنائين او في البنات الفقيرات من خياطات وغسالات لانها لا تستقر في عقول فئة مخصوصة من الناس فهي تولد حيثما تشاء وعندها الفقير والباشا والفلاح على السواء

تنتخب مدرسة الفنون والصنائع في الوقت الحاضر تلاميذها من تلاميذ المدارس الابتدائية الذين لم ينالوا حظاً من التعليم يساعدهم على تمضية اختبار في علوم لها علاقة بالفنون فالمسألة موكولة للحظ لو انتجت المدرسة احياناً تلاميذ من النوع المطلوب . ان العالم اجمع في احتياج للرجال ذوي المقدرة والكفاءة فيجب على مصر ان تفرزهم من بين سكانها باكتشاف احسن الطرق لتعميم التعليم لجميع طبقات ابنائها وبناتها

يلوح لي ان الحرف الاولية في المدرسة هي الحياكة والحدادة وخراطة الخشب وعلى ظني ان الحياكة تأخذ المرتبة الاولى لاهميتها وحسن نقوشها واتقان قطع العينات صنع التلاميذ وتاليها الحدادة كعواميد السلم وقوائم المصابيح والشمعدانات والدماعات وغيرها . ثم خراطة

(1) من مقالة لجناب المستر روبرت وليمز المهندس المعماري وعضو بالجمعية الملوكية البريطانية المهندسين المعماريين نشرت في مجلة الاركيتكت وعربها حضرة سمعان افندي عبد السيد المهندس المعماري الحائز على دبلوم كلية الجامعة بلندن

الخشب وعمل ارانيك من الطين . ونبشر الاعمال التي عملت في هذه الحرف بمستقبل حسن في التصميم وحسن التغييرات الجديدة والذوق الجميل . وكثير من التلاميذ يدرسون فن الزخرفة و يظهرون استعدادهم الوراثي للزخرفة بالالوان القاتمة التي هي من مميزات وطنهم ولهم فيها نقوش جميلة . ان زخرفة الحيطان والسقوف تفقد السكينة التي يحب الانسان ان يراها في المنازل الانكليزية . والالوان القاتمة توافق الطقس المصري الأ اننا نوجه انظار التلاميذ الى استعمال صبغات اخف واهدأ والى عمل ارانيك مجسمة من نقوش وزخارف السقوف . عرضت ايضاً موبليات كطاولات وكراسي وعلب للشاي و براويز للصور والنياشين منقوشة نقشاً بديعاً مما يدل على ان التلميذ يستعمل آلات العمل بسهولة ومقدرة وهي من علامات المستقبل الباهر ويرجع الفضل في جميع هذه المعروضات الى المستر ستورت الذي استلم نظارة المدرسة من مدة قريبة لا تتعدى الاربع سنوات وذلك لشدة اعتنائهِ بتعليم التلاميذ فن الرسم والتصميم بنفسهِ او بملاحظتهِ . لذلك خطت مدارس الفنون والصنائع خطوة واسعة ولا بدع اذا نظرنا الى المستقبل بعين ملؤها السرور والارتياح . وامام المدرسة مستقبل باهر اذا اخذت على عاتقها تعليم حرف وصنائع حديثة واحياء الحرف القديمة فان جميع الحرف والصنائع تقريباً التي تمارس في اوربا الآن قد مورست في مصر في زمن من الازمان على نوع ما كما يظهر جلياً لمن يتفقد الاثار الموجودة في دار التحف المصرية ودور التحف في المدن الاوربية والاميركية

فالحياكة هي احدى الحرف المصرية القديمة العهد جداً لكنها قابلة للتحسين و يسرنا ان مدرسة الصنائع سائرة في تحسينها . ففي المحلة الكبرى حائك من يوركشير بانكلترا يعلم التلاميذ احسن الطرز الحديثة الجميلة والانسجة الحريرية المطرزة بنقوش من الصناعات المصرية القديمة التي اضمحلت ولكنها ابتدأت في النمو . وفي وقت قريب ترى اكثر الطاولات في المنازل المصرية مغطاة بهذا الصنع المنزلي الجميل . ويحسن الفور بقي الاوربي عملاً اذا لم يقاوم هذا التيار والا كسدت تجارتهُ فكلما سدت مصر احتياجاتها بنفسها زادت تجارتها مع اوربا لكثرة البضائع التي يمكن التبادل بها

البلاد المصرية هي ام النول اليدوي فالنول موجود تقريباً في جميع القرى المصرية فيجب ان لا يستبدل بآلات النسيج الضخمة معما حسن النسج بها . حسّن النول ولكن ابقِ الصناعة في القرى . صنع قدماء المصريين الزجاج والمصري الحديث يحب الزجاج الملون فيلزمهُ الاقبال على صناعتهِ في المدرسة ليس بالوان اولية زاهية بل بظلال هادئة جميلة

بالوان كالتي تظهر في سماء مصر عند غروب الشمس · ويلزم التلميذ ان يكون سريعاً في ملاحظتها واقتباس الوانها لانها لا تستمر طويلاً و يلزمهُ ايضاً ان يبكر احياناً ليراقب الالوان الرقيقة التي تظهر بلون وردي عند الفجر على الجبل الاحمر مثلاً · هذه البلاد بلاد الخزف فيمكن صنع فخار لامع وآنية مزخرفة واشياء اخرى جميلة لوجود كمية وافرة من الطين الصالح للاستعمال · يوجد في مصر كمية وافرة من الاحجار النادرة كالالبستر والجرانيت (الاحمر والاسمر) والمرمر وغيرها فما هي الاشياء التي لا يمكن الصانع والناحت ان يعملها منها؟

توجد مجموعة نفيسة من المعادن في دار التحف الجيولوجية فيجب على التلاميذ درسها والتأمل في نقوش اجزائها البديعة التي يدل جمالها وحسن بنيانها على ان الانسان قلدها في احسن ما صنع · و يتساءلون هل هذه النقوش والزخارف الطبيعية الجميلة دليل على منبع الفنون؟ وهل رسمها مهندس ماهر؟

مدرسة الفنون والصنائع لا بد من تقدمها فيجب على الشعب المصري ان يميل الى الصناعات الفنية التي تعمل في وطنهِ ويفسح المجال لذوقهِ الفني الذي اشتهر بهِ اهل هذا الوادي من زمان طويل

ابان الاستاذ بيتري في كتابهِ النفيس عن النقوش المصرية القديمة انها اساس كل النقوش في دورها الاول والتلميذ المصري وارث لهذه الملكة و يقول اوليبث في كتاب مفيد لهُ «في الحقيقة ليس في الصناعة المصرية شيء يدل على تفوق ومهارة» وقال ذلك عن حرفة الصناع الذين صوروا بالالوان والحفر اشكال ملوك واناس ومصورين ومهندسين وكهنة وعمال اثناء اعمالهم العديدة للفراعنة وايضاً رسموا الحيوانات والطيور والاسماك وجميع حركات الرجال والنساء اثناء الحرب والسلم · وعملوا من آلاف من السنين كيف يرسم الفرس في عدوهِ · فهؤلاء الذين عملوا هذه الاعمال المجيدة باتقان وعناية حتى بقي الشيء الكثير منها على ما هو عليهِ من الجمال بالخط والتظليل كما كان منذ آلاف من السنين لجديرون بان يقال عنهم انهم صناعون مهرة · ثم يتكلم في موضع آخر عن الهندسة المعارية العربية (وهو بمثابة العصر الحالي بالمقارنة مع تاريخ المصريين الاول) فيوجه اقسى الكلام الى بنائي العرب ومهندسيهم المعاريين فيذكر انتفاخ المباني التي بالطوب وسقوطها و يندد بكيفية بنائها ضارباً صفحاً عن المباني الحجرية الضخمة والعقود الحادة والكرانيش العظيمة التي في جامع السلطان حسن او المباني التي بنيت بالاجر (الطوب الاحمر) من احد عشر قرناً مضت في جامع ابن طولون · وغرض الكاتب من بحثهِ في الفنون المصرية في

العهد القديم والمتوسط بلا شفقة هو بيان ان الفنون والحرف تظهر حياة الانسان واخلاقهُ وعذا البحث مفيد جدًّا لتلاميذ الفنون الجميلة لحياتهم واخلاقهم تظهر في صنع ايديهم ويمكنهم ان يحسنوا او يفسدوا جمال الأثر الذي سيتركونهُ بعدهم . ويقول الكاتب ان عدم التغيير في شكل حرف المصريين القدماء وعدم مللهم من التكرار سببهُ « ظلم النيل » فهو يظن ان فيضان النيل سنويًّا جعل الفنون المصرية القديمة واقفة لا تتقدم ولست ادري لماذا اثر انتظام الحرث والبذر والري والحصاد والدراس والطحن والخبز تأثيراً سيئًا في الذوق وفي نفس الكاتب ؟ فانهُ اذا فقد الناس عامة والمصري خاصة نظام الحصول على القوت فماذا يكون مصيرهم . فجمال النيل وعظمتهُ تظهران في وفائهِ بالوعد القديم وكأنهُ قال لابنائهِ جدوا واجتهدوا في فنونكم رقوا الهيرونليفي الجميل انقشوا عظات على الحجر ليقرأها من يعيشون على جانبيَّ والسائحون الذين يؤمون شاطئيَّ بعد آلاف من السنين وانا كفيل لكم بأكثر مما تحتاجون اليهِ من الخبز . فهل هذا ظلم من النيل كلا وانما هو حنان الام ورقة قلبها

بنى العرب جامع احمد بن طولون بالاجر المصنوع في موضع قريب ببواكيهِ الجميلة والعقد البديع التناسب محمول على عواميد مستطيلة القاعدة ولكن زواياها مستديرة بقاعدة ثلاثة ارباع الدائرة ولا يزال الى يومنا هذا . ومن الغريب ان رباط الطوب المستعمل هو ما يسمى بالرباط الانكليزي (english bond) وهو اقوى الاربطة ولذا لا يوجدوهن ولا اضمحلال في البناء كما قال الكاتب المشار اليهِ فان العقود والعواميد بنيت لتعيش الى الابد . لم يأت بناؤون انكليز ليعلموا العرب هذه الطريقة فممن تعلموها اذا ؟ الجواب سهل وواضح فانهم تعلموها من الكرنك الذي بني منذ الوف من السنين واستمرت هذه الطريقة التي يحق لنا ان نسميها الطريقة المصرية القديمة بدلاً من الانكليزية مستعملة الى ان استعملت الطريقة الفلمنكية ولربما اول من استعملها في مصر الفرنسيس وقد ابتدأت الطريقة الانكليزية تأخذ مركزها الاصلي من الشيوع للتقدم المحسوس المستمر في البناء بالطوب

إني الاحظ البائع في الشوارع يزين عربتهُ بنقوش جميلة وبديعة والنقاش العامي يجتهد ان يحكي حكايتهُ برسوم ملونة على جدران عشتهِ والفخاري المصري يصيغ قللهُ في اشكال بديعة والنساء لم تزل تطرز اشكالاً ونقوشاً جميلة بالابرة (كورشيه) وعندهنَّ ايضاً ذوق سليم في انتقاء حليهنَّ وقد مضى عليَّ هنا نحو الاربع عشرة سنة والعمال المصريون خصوصاً يقدرون رسومي وتصميماتي حق قدرها وسألني بعضهم ان القي عليهم دروساً عن طريقة البناء الجديدة وذلك اني اضطررت مرة ان اهدم جزءا من حائط بني بدون ملاحظة الاربطة

وكان البناؤون المصريون والاوربيون مشتركين في المقطمة ثم بني ثانية بالرباط الانكليزي فكان سروري عظيماً حينما اتى بناؤون مصريون يطلبون ان القي عليهم دروساً ويقولون «احنا عاوزين درس منك انت» فالقيت عليهم بعض تعليمات وايضاحات عن البناء بالطوب وحذرتهم من الغلطات السهل الوقوع فيها. ولم تكن هذه الرغبة عند البنائين فقط بل النجارين ايضاً حضروا الى مكتبي لسماع دروس في النجارة. وهذه علامات تبشر بالخير وتحيي الامل بالنهوض المصري



تقويم النيل

لواضعهِ صاحب السعادة امين سامي باشا

هذا كتاب الشهر في نظرنا بل كتاب السنة بل كتاب القرن والقرنين لاننا لم نر كتاباً عربياً انشئ في هذا القرن او الذي قبلهُ يضاهي هذا الكتاب في مقدار ما بذلهُ مؤلفهُ الفاضل من التعب والعناء في جمع موادهِ وتنسيقها وتبويبها واستنتاج النتائج منها فقضى خمساً وعشرين سنة يستنسخ ويجمع ويقابل ويلخص ويستنتج ولم يكتفِ بما وجدهُ في خزائن الكتب المصرية بل بحث في خزائن الكتب الاوربية وكلف بعض اصدقائهِ البحث والتنقيب واقام اياماً عديدة في دار الكتب الاهلية بباريس يغدو اليها في الصباح ويعود منها في المساء ويقضي النهار كلهُ باحثاً محققاً ملخصاً. فكانت نتيجة هذه الاعمال الشاقة والبحث المستمر كتاباً كبيراً في ثلاثة مجلدات ظهر المجلد الاول منها الآن وفيهِ مقدمة مسهبة تملأ ١٣٤ صفحة كبيرة جداً واكثرها بالحرف الدقيق وفيها كثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بالنيل وفيضانهُ من سنة ٢٠ هجرية الى سنة ١٣٠١ منقولة عن كتب شتى للمقابلة بينها. واستنتاج ما يصح التعويل عليهِ من هذه الجداول

مثال ذلك. جدول تحاريق النيل وفيضانهِ من سنة ٢٠ هجرية لغاية سنة ٨٥٥ ﻫ لجامعهِ كاترمير نقلاً عن كتاب النجوم الزاهرة

وجدول تحاريق النيل وفيضانهِ من سنة ٨٥٦ هجرية الى سنة ٨٧١ عن النجوم الزاهرة رأساً

وجدول تحاريق النيل وفيضانهُ من سنة ٢٠ لغاية سنة ٣٥٣ مصححاً على نسخة بخط مؤلف النجوم الزاهرة

وجدول ما وجد من تحاريق النيل وفيضانهِ من السنة الاولى الهجرية لغاية سنة ٧٣٦ من كتابي درر التيجان وكنز الدرر

التحاريق والفيضان سنة ٥٩٦ و٥٩٧ و٥٩٨ من كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي

فيضان سنة ٨٨٩ وتحاريق سنة ٨٩٣ من كتاب كوكب الروضة لشيخ الاسلام جلال الدين السيوطي

التحاريق والفيضان في عدة سنين من سنة ٨٨٣ الى ٩٢٨ هـ من كتاب نشق الازهار لابن اياس

فيضانات سنة ١٠٤٤ و١٠٥١ و١٠٥٤ و١٠٥٥ هـ من كتاب قطف الازهار للشيخ ابي السرور البكري

فيضانات النيل من سنة ١١٥٠ لغاية ١٢١٥ هـ للمسيو لوبير احد رجال البعثة العلمية الفرنسية

فيضانات النيل وتحاريق بعض السنين من سنة ١٢٤١ هـ لغاية ١٣٠١ لجامعهِ محمود باشا الفلكي

جدول تحاريق النيل وفيضانهِ حسب مقياس اسوان من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٩١٤ والنتائج المتعلقة بهِ الخ الخ

وهذه المقابلة والنتائج مذكورة بالاسهاب في المقدمة و يليها فصول عن التحاريق الزائدة وما وقع بسببها من الغلاء والوباء مراراً . ثم كلام مسهب على مقاييس النيل في الازمنة الغابرة والحاضرة ومقدار الفيضان في العصور الغابرة كما ذكرها المؤرخون الاقدمون وتأثير البلاد المجاورة للقطر المصري في فيضان النيل وتحاريقهِ وآراء الذين بحثوا في هذا الموضوع من المتقدمين والمتأخرين ورأي المؤلف في اختيار احسن السبل لمعرفة التجددات من احوال النيل . ويلي ذلك فصول في ايضاح النتائج التي ترتبت على تكيفات النيل وعلى تأثير تلك الحوادث في ارض القطر المصري وسكانهِ منذ العصور الاولى الى الآن

ومما نقلهُ المؤلف في هذا الصدد ان عمرو بن العاص جبى مصر سنة ٢٥ هجرية (٦٤٦م) اثني عشر مليون دينار وكانت الجباية دينارين على كل ذكر بلغ من العمر ١٢ سنة فاكثر واستنتج ان عدد سكانها كان حينئذٍ ١٨ مليوناً من النفوس وان عبدالله ابن ابي سرح الذي خلف عمرو بن العاص سنة ٢٥ للهجرة جباها ١٤ مليون دينار اي كان سكانها قد بلغوا ٢١

مليونًا من النفوس في سنة واحدة او بضع سنوات وهذا مما لا يعقل وقد بيَّن المؤلف بعيد ذلك ان مساحة اراضي مصر الزراعية كان في زمن الخليفة المأمون اي سنة ٢١٧ للهجرة ٢١٢٨٥٠٠ فدان ولا يعقل ان مليوني فدان تكفي لمعيشة عشرين مليونًا من النفوس فلا بدَّ ان الذين ذكروا جباية مصر في عهد عمرو بن العاص وعبد الله ابن ابي سرح اخطأوا في ما ذكروهُ او اخطأ الذين نقل عنهم. ومما ذكرهُ المؤلف انهُ لما تولى محمد علي باشا الديار المصرية سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) اقام ابنهُ ابرهيم باشا سنة ١٢٢٨ على مساحة القطر المصري ومعهُ المعلم غالي رئيسًا للمساحين فبلغت مساحة اطيان القطر المصري وضرائبها كما ترى في هذا الجدول

	الضرائب بالجنيه المصري	المساحة بالفدان
الوجه البحري	٢٩٦٥٨٤	٩١٧٩٦٦
الوجه القبلي	٣٦٣١٢٣	١١٣٨٦٧٤
المجموع	٦٥٩٧٠٧	٢٠٥٦٦٤٠

اي مرَّت ١٢٠٠ سنة على القطر المصري من حين الفتح الى زمن محمد علي باشا واطيانهُ الزراعية تنقص وضرائبها تقل

وفي هذه المقدمة خرائط ملونة تمثل حركات الرياح وضغط الجو ووقوع الامطار في قارتي افريقية واميركا ورسم انهر المنطقة الاستوائية والبحيرات والانهر التي تسبب الفيضان وبحيرة آسانا في الحبشة

ويلي المقدمة الجزء الاول من الكتاب وفيهِ ٢٥١ صفحة كبيرة حافلة بالفوائد التاريخية مع قياس النيل في كل سنة من السنين من اول الهجرة الى سنة ٩٢٢ هجرية

وغاية المؤلف من كتابهِ الاستدلال على حالة النيل في كل سنة من السنين المقبلة بقواعد استنبطها من درس احوالهِ في السنين الماضية. فان كان قد وفق الى استنباط القواعد الموصلة الى ذلك فيكون قد خدم هذا القطر خدمة لا مثيل لها. خدمة لو كوفئ عليها بمئات الالوف من الجنيهات وبأسمى الرتب والنياشين لكان ذلك قليلاً في جنب النفع الذي يجنيهِ القطر من استنباطهِ هذا. وقد وعد بنشر هذه القاعدة او القواعد في الجزء الثالث من كتابهِ

فنتقدم الى سعادتهِ بجزيل الشكر على هذا الكتاب النفيس الذي يحتاج اليهِ ويستفيد منهُ كل من يريد ان يعرف شيئًا عن تاريخ القطر المصري واحوال نيلهِ وكل ما يتعلق بهِ. ونرجو ان يوفق الى نشر الجزئين التاليين قريبًا

ديوان عبد الرحمن شكري

الجزء الرابع

اهدى الينا حضرة صاحب الديوان الجزء الرابع من ديوانهِ فاذا هو كما سبقهُ من الاجزاء في جزالتهِ وسلاستهِ وجدة مواضيعهِ وحسن اختيارها . فقد نظم في سمو النفس ومصارع النجباء وابناء الشمال واحلام الصيف وعشيق القمر وغير ذلك — ٤٣ موضوعاً في ٦٢ صفحة وصدَّر هذا الجزء بمقدمة طويلة نفيسة في الشعر جاء فيها :

«كل شيء في الوجود قصيدة من قصائد الله والشاعر ابلغ قصائدهِ . الشاعر هو الذي لا يعيش مثل اكثر الناس مقبوراً في الاحوال التي تحوطهُ . هو الذي اذا عاش كان لهُ من شاعريتهِ وقاء من عداء قتلى المظاهر فاذا مات كانت الشهرة زهرة على قبرهِ فاذا لم تسعدهُ الشهرة هبطت روح الطبيعة على قبرهِ تظللهُ بجناحها وتفرخ فوقهُ ابناءها الشعراء تلك الارواح التي تستمد الوحي من عظامهِ وتسقيهِ من دموع الرحمة والحب والحنان

« وليس الشاعر الكبير من يُعنى بصغيرات الامور ولكنهُ الذي يحلّق فوق ذلك اليوم الذي يعيش فيهِ ثم ينظر في اعماق الزمن آخذاً باطراف ما مضى وما يستقبل فيجيءُ شعرهُ ابديًّا مثل نظرتهِ وهو الذي يلج الى صميم النفس فينزع عنها غطاءها وهو الذي اذا قذف باشعارهِ في حلق الابد ساغها . فعيب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة الشاعر . لقد كان بالامس نديم الملوك وحلية في بيوت الامراء ولكنهُ اليوم رسول الطبيعة ترسلهُ مزوداً بالنغمات العذاب كي يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نوراً وناراً فعظم الشاعر في عظم احساسهِ بالحياة وفي صدق السريرة الذي هو سبب احساسهِ بالحياة . واذا رأيت شاعراً يأخذ الحقير أخذ الجليل من الامور ويحسب الحوادثُ الصغيرة من الحوادث الكبيرة فاعلم انهُ ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث ولا يعلم ان حوادث النفس على ضمتها اجل الحوادث

« سئل وردزورث الشاعر الانكليزي عن شعر شاعر فقال انهُ ليس من الحتم في شيء فكأنهُ يقول ان اجل الشعر ما يخالهُ المرء قطعة من القضاء لا بد من حدوثها فاذا اردت ان تميز بين جلالة الشعر وحقارتهِ فخذ ديواناً واقرأهُ فاذا رأيت ان شعرهُ جزء من الطبيعة مثل النجم او السماء او البحر فاعلم انهُ خير الشعر واما اذا رأيتهُ واكثرهُ صنعة كاذبة فاعلم انهُ شر الشعر فالشعر هو ما اتفق على نسجهِ الخيال والفكر ايضاحاً لكلمات النفس وتفسيراً لها» انتهى

وحبذا لو تأنى الشاعر في نشر ديوانهِ فاصدرهُ جزءًا او جزءين بدل اصدارهِ اجزاء

صغيرة كما يصنع الآن — اذاً لكان ديوانهُ املأَ للعين واوقع في النفس · ثم ان اضطراره في اصداره الى ما بعد الحرب يساعدهُ على اتقان الطبع وانتقاء ورق احسن من الورق الحالي وترويج بضاعتهِ · فان سوق الادب كاسدة في مصر وبضاعتهُ مزجاة في ايام السلم فما بالك بها في ايام الحرب وليس للناس شغل الاَّ انباؤُها وتقلبها من حال الى حال

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر فنكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ماضي الانسان ومستقبلهُ

ميت ابو خالد · محمد افندي بيومي · اين نحن واين كنا والى اين نذهب

ج · لا نعلم من هذه الاينات الثلاثة الاَّ الاول فاننا نعلم بكل وسائل العلم التي فينا اننا قائمون على وجه هذه الكرة ونعلم مقرها في الكون ونسبتها الى غيرها من اجرام السماء · اما اين كنا قبلما ولدنا اي اين كانت عناصر اجسامنا والى اين تذهب قوانا المدركة بعد ما نموت فالعلم الطبيعي عاجز حتى الآن عن الاجابة · فان اجسامنا مركبة من عناصر معلومة وقد كانت كلها في الارض قبلما تكونت منها اجسامنا وستعود الى الارض بعدما نموت وتنحل هذه الاجسام · وفينا غير العناصر المادية قوى طبيعية مرجعها الى الحركة وهي مستمدة من حرارة الشمس ونورها وكهربائيتها · وقد تكون العناصر المادية كلها هي والقوة التي فيها دقائق كهربائية · ولكن فينا شيئاً آخر مدركاً غير المادة وغير الحركة اوغير الكهربائية وعلومنا الطبيعية قاصرة عن معرفة ماهية هذا الشيء والمكان الذي كان فيهِ قبلما وصل الينا والمكان الذي يذهب اليهِ بعد ما يفارق اجسامنا · ومن المحتمل ان ما عجزت علومنا عن معرفتهِ حتى الآن تتيسَّر لها معرفتهُ بعد حين · ويقول البعض ان لديهم ادلة علمية مقنعة على ان قوانا المدركة تبقى في هذه الارض زماناً طويلاً بعد مغادرتها لاجسامنا · وقد اطلعنا على ادلتهم فلم تقنعنا لاننا وجدناها ممزوجة بالوهم والاستهواء الداخلي ولكن ذلك لا يمنع ان تقوم غداً ادلة اخرى اقوى منها

(٢) بعض الكتب

مصر . مدرسة الهندسة السلطانية .

وح . من اين يمكن ابتياع كتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة وكتاب عباس الثاني للورد كرومر

ج . الكتابان الاولان موجودان في المكاتب المصرية . والثالث يسهل على كل كتبي اوربي في مصر جلبه من انكلترا

(٣) التلغون اللاسلكي

ومنهُ . ما الذي تمَّ في مسألة التلغون اللاسلكي

ج . لا يزال استعمالهُ يتقدَّم حيث يصعب مد الاسلاك لهُ

(٤) الكاوتشوك

ومنهُ . هل يمكن صنع الكاوتشوك في مصر ومجاراة الممالك الاوربية في ذلك

ج . اذا اردتم الكاوتشوك الصناعي فهذا عملهُ مقيَّد بامتياز للذين اكتشفوا كيفية عملهِ فلا يستطيع احد عملهُ الاَّ باتفاق خاص معهم . والظاهر ان عملهُ لم يبلغ حتى الآن الدرجة التجارية . واذا اردتم الكاوتشوك الطبيعي اي تنقية الكاوتشوك وعجنهُ وكبرتتهُ وسبكهُ فلا نرى ما يمنع صناعتهُ في القطر المصري الأ قلة مقطوعيتهِ في جنب النفقات اللازمة لاقامة معمل لهُ . فاذا زادت مقطوعيتهُ بزيادة استعمال الاتوموبيل فمن المحتمل ان ينشأ لهُ معمل هنا كما انشئ في اسبانيا

(٥) الوراقة

ومنهُ . كيف يصنع الورق وهل المواد اللازمة لهُ متوفرة في مصر

ج . لقد وصفنا عمل الورق بالاسهاب في المجلد السادس من المقتطف فلا داعي لاعادة الكلام في ذلك لانهُ اذا انشئ معمل للورق وجب ان يؤْتى اليهِ باحدث الآلات واكثرها توفيراً وبصناع ماهرين متدربين على عملهِ . اما المواد اللازمة فاولها القوَّة البخارية او المائية ولا وجود لها في هذا القطر . ويتلو ذلك المواد التي يصنع منها الورق ثم المواد التي يبيَّض بها فاذا اريد عمل الورق الجيد الغالي الثمن الذي يصنع اكثرهُ من الخرق (الكهنة) فلا يتعذر عملهُ هنا من باب صناعي تجاري والمعمل اللازم لهُ يكفيهِ ثلاثون الف جنيه او اربعون الف جنيه ومن المحتمل ان يباع ورقهُ كما يباع الورق الاوربي المماثل لهُ ويبقى منهُ ربح كاف لراس المال ولاسيما اذا اخذت الحكومة المصرية كل ورقها منهُ . واذا اريد عمل الورق الرخيص الذي يستعمل لطبع الجرائد فهذا اكثر مادتهِ من رب الخشب ولا وجود لهُ هنا . والانكليز انفسهم يجلبونهُ الى بلادهم من اسوج ونروج . ولقد كان اكبرهم اللورد نورثكلف صاحب الديلي ميل كيفية عمل الورق لجريدتهِ حتى اشترى غابات واسعة جدًّا من الاشجار في بلاد كندا باميركا واقام

فيها معامل تصنع الورق لجو بدته ثم يأتي به الى انكلترا . ومعلوم ان هذا الورق كان رخيصاً جداً قبل الحرب وسيعود الى رخصه بعدها فلا يمكن ان يصنع الأ حيث توجد القوة الرخيصة مائية كانت او بخارية وحيث توجد الاشجار بكثرة لسحق خشبها وعمل الورق منهُ او حيث يسهل جلب ربه بنفقة قليلة . وهذه الشروط كلها غير موجودة في القطر المصري فاذا حاولنا عمل ورق مثل هذا كان ثمنهُ علينا اغلى من ثمن الورق الذي نجلبهُ من اوربا . و يحتمل ان ينوب بوص الذرة وحطب القطن مناب الخشب في عمل الورق ولكن لا يستغنى عنهما وقوداً وقد تبلغ نفقة نقلهما الى المعمل مبلغاً يمنع استعمالها

(٦) جمعية للمحدبين

الاسكندرية . ي غ . سمعنا بوجود جمعية للمحدبين برمل الاسكندرية فهل تتكرمون علينا بالافادة عن اسمها ومحلها وباي محطة هي

ج . لا نعرف شيئاً عن جمعيّة بالوصف الذي وصفتموهُ ولكن ما دمتم مصدقين ما سمعتم وراغبين في الوصول الى هذه الجمعية فلا يصعب عليكم الوصول اليها ان كانت موجودة حقيقة كما سمعتم ومن جدّ وجد

(٧) عاقر قرحا والمليون

ومنهُ . عثرنا على الكلمات التالية في كتاب طب عربي قديم وهي عاقر قرحا واشتبوان وهليون . فما هي ترجمتها بالانكليزية وما هو معناها

ج . عاقر قرحا النبات الذي يستعمل مسحوقهُ دواء للبراغيث ويسمى بالمسحوق الفارسي واسمهُ العلمي Pyrethrum والهليون نبات معروف وينادى عليه في مصر والاسكندرية باسم اسبراجي وهو تلك الاغصان البيضاء التي يؤتى بها من اوربا في علب او تزرع في مصر وتباع وتكون في الغالب ادق مما يأتي من اوربا وقد يكون لونها مخضراً واما الاشتبوان فلم نقف لهُ على اثر في كتب اللغة وابن البيطار وابن سينا

(٨) الزراعة في استراليا

مصر . احد المشتركين . سمعنا ان فلاح استراليا يزرع نحو خمسين فداناً منفرداً مع ان فلاحي مصر لا يزرع الواحد منهم اكثر من فدانين ونصف فهل الفدان الاسترالي كالفدان المصري مساحة وهل يزرع هناك محاصيل كالتي تزرع هنا مثل القمح والفول والبرسيم والذرة والقطن وهل طرق الري هناك مثلها

ج . الفدان الاسترالي كالفدان المصري تقريباً من حيث المساحة والاطيان الزراعية في استراليا كثيرة جداً تبلغ مساحة ما يزرع منها في السنة اكثر من ١٤ مليون فدان ولكن ثمن محاصيلها في السنة نحو ٤٥ مليون جنيه فقط اي مثل محصول ثلاثة

ملايين فدان في القطر المصري ، وعدد السكان هناك قليل جدًّا في جنب مساحة الارض الزراعية فانهم نحو خمسة ملايين نفس ومع ذلك لا ينتظر ان الواحد منهم يزرع خمسين فدانًا وحدهُ الاَّ اذا كان المراد انهُ يترك نصفها مراعي للمواشي . وقد كانت مساحة الاراضي المزروعة سنة ١٩١٤ هكذا

قمح	٩٢٩٥٠٠٠ فدان
هرطمان	٨٦٠٠٠٠ «
شعير	٢٢٣٠٠٠ «
ذرة	٣٣٧٠٠٠ «
عشب وحشيش	٢٧٥٦٠٠٠ «
بطاطس	١٧٠٠٠٠ «
قصب السكر	١٦١٠٠٠ «
كروم عنب	٠٦١٠٠٠ «

والمرجح ان عدد الرجال المشتغلين بالزراعة لا يزيد على مليون واربع مئة الف نفس فمتوسط ما يزرعهُ الواحد منهم في سنتهِ نحو عشرة افدنة ولكن الزراعة هناك بسيطة كما ترون فاكثر الاطيان يزرع قمحًا والغالب ان يكون الحرث والضم والدرس والتذرية بآلات بخارية والعشب ينبت من نفسهِ . ولا يحتاج الى الخدمة الاَّ الذرة والبطاطس وقصب السكر ومساحتها كلها نحو ٦٦٠ الف فدان لاغير والري بماء المطر من غير عناء وقد شرعوا في الري الصناعي للمحصولات الصيفية .

(٩) مصلحة العموم ومصلحة الفرد

ومنهُ . هل يصحُّ دائمًا القول بان مصلحة العموم لا تنافي مصلحة الفرد وهل يصح عكس هذا القول

ج . يصحُّ ذلك عند التعميم لا عند التخصيص . مثال ذلك ان مصلحة العموم في هذا القطر تقوم بتوسيع السكك وتمهيدها واصلاحها ولكن قد يتفق ان توسيع سكة من السكك يأخذ جانبًا من ملك زيد اومن بيتهِ فيُضرُّ من تلك الجهة ولكنهُ يستفيد من عموم المشروع من جهات اخرى فيسهل المشي عليهِ وعلى اولادهِ ودوابهم ومواشيهم في البلاد كلها فيقتصد في قوتهِ وقوة دوابهِ ومواشيهِ في بضع سنوات اكثر مما خسر بما اخذتهُ السكة من ارضهِ . ومثالهُ ايضًا ان مصلحة انكلترا العامة تقوم بان تخرج من هذه الحرب ظافرة ولكن هذا الظفر يستلزم ان يقتل كثير من رجالها فالمرأة التي يقتل زوجها والولد الذي يقتل ابوهُ والشريك الذي يقتل شريكهُ وصاحب المعمل الذي يقتل عمالهُ كل هؤلاء يخسرون خسارة فاحشة ولكن فوز الامة الاخير يعود عليهم وعلى اولادهم واولاد اولادهم بربح كبير يوازي هذه الخسارة او يزيد عليها . هذا بنوع عام . ولكل قاعدة شذوذ فقد يخسر واحد في مصلحة الامة ولا يستفيد هو ولا ذووهُ شيئًا يذكر في جنب ما خسر

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر يوليو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٨	١	٥٥	مساء
البدر	١٥	٦	٤٠	صباحاً
الربع الاخير	٢٢	١	٣٣	«
الهلال	٣٠	٤	١٥	«
القمر في الاوج	١	٦	١٢	«
« « الحضيض	١٥	٢	١٨	«
« « الاوج	٢٨	٩	٢٠	«

السيارات

عطارد كوكب الصباح في اول الشهر ثم يشاهد في آخره

الزهرة لا تشاهد في اول الشهر ثم تصير كوكب الصباح في آخره

زحل لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب الصباح في آخره

المريخ يكون كوكب المساء

المشتري يشرق نحو نصف الليل

من اجل اللغة العربية

قرأنا انهُ عقد في اوائل مايو الماضي اجتماع في نادي الجمعية الاسيوية الملكية بلندن للبحث في انشاء جمعية هناك لترويج آداب اللغة العربية ٠ وكان الاجتماع برآسة الاستاذ مرجليوث استاذ اللغة العربية في جامعة اكسفورد فخطب بالانكليزية مادحاً هذا المشروع واقترح ان يكون في مبتدإِ امرهِ تحت رعاية الجمعية المذكورة تسهيلاً لانفاذهِ ٠ وتلاهُ حضرة الدكتور احمد ابو شادي نجل الاستاذ ابو شادي بك المحامي المشهور فخطب في بيان غرض المشروع

ومن الذين خطبوا في هذا الاجتماع حضرة قرياقص افندي ميخائيل وحسن افندي البكري و بنيامين افندي ٠ ثم انتخبت لجنة تنفيذية وانتخب حضرة الدكتور احمد ابو شادي وقرياقص افندي سكرتيرين لها٠ وسيكون عملها اعداد بيان للعمل وقانون للجمعية ومنشور يوزع في جميع البلاد العربية لبسط هذه الفكرة على جميع محبي اللغة العربية ومريدي خيرها ٠ وسيعقد اجتماع آخر في اول سبتمبر القادم تعرض فيهِ اللجنة نتيجة عملها فاذا كانت وافية بالمرام بدأ انفاذ المشروع حالاً والاَّ اجل الى فرصة اخرى فعسى ان يوفقوا الى نيل الغرض الشريف الذي يسعون اليهِ

مصل يشفي من الاختناق

جاء في السينتفك اميركان ان جماعة من اطباء مستشفى جونس هبكنس باميركا اكتشفوا مصلاً يقال انهُ يردّ الحياة الى الحيوان بعد ما يغرق ويختنق. وانهُ اذا غرق حيوان ودلّت الدلائل كلها على انهُ اختنق ومات ثم حقن بهذا المصل بعدما اختنق باربع ساعات عادت اليهِ حياتهُ ولكن قد يشتد ضغط الدم حينئذٍ حتى يميتهُ ثانية. ويظن انهُ يمكن استعمال هذا المصل لرد الحياة الى الغرقى من البشر ولو بعد غرقهم ببضع ساعات

ندرة الاصباغ

كانت معامل اوربا واميركا تعتمد قبل الحرب على المانيا في الحصول على الاصباغ اللازمة لصبغ ما ينسج فيها من الانسجة. فلما نشبت الحرب وضيَّق الحلفاء نطاق الحصر البحري على المانيا قلّت وارداتها وصادراتها قلّت الاصباغ في هذه المعامل ثم باتت نادرة حتى انقطع العمل في بعضها وغلت اثمان بعض الاصباغ فبلغت اضعافاً مضاعفة. ومما انقطع من الاصباغ بوجه خاص صباغ الانيلين وما يصبغ بهِ من الالوان الزرقاء على اختلاف درجاتها من فاتح وقاتم وذلك لان المانيا احتكرتهُ فلم يكد يخرج الأ منها مع إن مكتشفهُ رجل انكليزي. على ان الحلفاء انتفعوا بهذه الازمة فقام كيماويوهم يشحذون القرائح للحصول على الاصباغ اللازمة لمعاملهم باكتشاف مواد جديدة ومزج مواد قديمة بعضها ببعض. وآخر ما قرأناهُ بهذا الصدد ان كيماويين ايطاليين استخرجا من لحاء بعض الاشجار مادة للتلوين باللون الاصفر. فاذا مزجت بالشب خرج من مزجها لون اصفر ثابت. او بمركبات القصدير خرج لون برتقالي جميل. او بالكروم خرج لون اصفر قاتم او بالنحاس فلون اصفر مكمد. او بالحديد فلون اصفر زيتوني

بعثة شكلتون

في خريف سنة ١٩١٤ شخص السر ارنست شكلتون الرحالة الانكليزي المعروف في جماعة من رجالهِ لاجتياز البلاد المسماة قارة القطب الجنوبي من طرف الى طرف. وكان يرجو عند سفرهِ ان يكمل رحلتهُ في بضعة اشهر ولكنهُ حسب حساباً للتأخر سنة فوق الاشهر القليلة التي قدرها فلا يعود الى انكلترا حتى ربيع هذه السنة. على ان الطبيعة عاندتهُ فاخطأ حسابهُ فيما قدر لرحلتهِ من المدة الاصلية والعلاوة. فانهُ خرج في ٦ دسمبر سنة ١٩١٤ في سفينة اسمها «انديورنس» من جزيرة جورجيا الجنوبية في جنوب الاتلانتيك وشرق جزر فوكلاند

المشهورة . فسار جنوباً بشرق ثم بغرب حتى اكتشف مكاناً على ساحل القارة المذكورة سماهُ ساحل كايرد طولهُ مئتا ميل ثم انقلب شمالاً لما لم يعد يستطيع السفر جنوباً وكانت نقطة انقلابهِ تبعد ٦٥٠ ميلاً عن القطب الجنوبي . وانكسرت السفينة في اثناء الطريق فنزل شكلتون ورجالهُ في جزيرة الفيل في منتصف ابريل وهناك ترك ٢٢ من رجالهِ وترك لهم زاداً يكفيهم الى آخر مايو وركب هو واربعة آخرون قارباً من قوارب السفينة عائداً الى جزيرة جورجيا التي سافروا منها فبلغوها سالمين في ١٠ مايو الماضي ثم قصدوا بونس ايرس في اميركا الجنوبية فبلغوها في ٣١ مايو . ولما بلغ شكلتون الجزيرة المذكورة ارسل قسماً من الزاد الى رجالهِ الذين تركهم في جزيرة الفيل . وقد وعدت الحكومة الانكليزية بتقديم المال اللازم لمساعدتهم واعادتهم الى بلادهم

صادرات الورق من اوربا

بلغت قيمة صادرات الورق من المانيا الى الخارج نحو ٢٦٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٣ ومن النمسا نحو مليوني جنيه . ومن انكلترا نحو ثلاثة ملايين جنيه ونصف . اما في سنة ١٩١٥ فانقطع صادر الورق من المانيا والنمسا الى الخارج بسبب الحصر البحري وهبط الصادر الانكليزي الى نحو ٣ ملايين جنيه والصادر الفرنسوي الى نصفهِ اي من نحو $4\frac{1}{2}$ مليون الى نحو $2\frac{1}{4}$ مليون

ضرر زيوت الشعر

ثبت لرجال الحكومة الاميركية المتوظين بمراقبة الصيدليات ومخازن الادوية ان ما يباع فيها باسم « كوزماتيك » لانماء الشعر وتقويته مضرٌّ بالصحة لاحتوائهِ على الكحول المستخرج من الخشب وخلاّت الرصاص ونترات الفضة وغيرها من العقاقير الجديدة مثل البارافنيلين والديامين والرسورسين . وثبت لهم ايضاً ان الغسول والمساحيق التي تستعملها السيدات لوجوههنَّ تحتوي على كربونات الرصاص ومركب آخر من مركبات الرصاص والسليماني وتحت نترات البزموث وغير ذلك . وهناك ادلة عديدة على ان امتصاص الجلد لمركبات الرصاص هو سبب كثير من الامراض المختلفة والاضطرابات العصبية . ثم ان الكوزماتيك يسدُّ مسام الجلد ويهيجهُ فتختل وظيفتهُ الطبيعية

وعلى ذكر الكحول المستخرج من الخشب قرأنا في « السينتفك اميركان » ان الجمعية الوطنية للصيدلة في اميركا وافقت على قرار فحواهُ منع استعمال الكحول الخشبي في جميع الادوية التي توصف للناس . وان ولايتين من الولايات المتحدة سنتا القوانين

لمنع ادخاله في الاطعمة والمشروبات والادوية التي يستعملها الناس من الداخل والخارج · وسن بعض المدن الكبرى مثل نيويورك وشيكاغو قوانين بمعنى ما تقدم

خداع البصر

في ليلة ١٣ فبراير الماضي اقترن السياران المشتري والزهرة فظنهما الجمهور في بعض مدن فرنسا بالونين من بالونات تسبلن الالمانية فدبّ الرعب في بعض القلوب وخصوصاً في مدينة روان واتخذت التحوطات المعتادة لمقاومة الطيارات ولكن ما عمّت الحقيقة ان ظهرت فزال الرعب من القلوب بعد زوال السيارين تحت الافق

مواقف الغربان

تكثر الغربان في بعض جهات اميركا وتختار بعض الاماكن الكثيرة الاشجار المتناسقة لتبيت عليها ولاسيما اذا كانت مما لا يعرى من ورقهِ كالصنوبر · ويقال انهُ قد يجتمع في الموقف الواحد ١٥٠٠٠٠ غراب الى ٢٠٠٠٠٠ غراب· وذكر بعضهم انهُ قدّر عدد الغربان في موقف من هذه المواقف بمليون غراب لكن هذه الغربان تتفرق في النهار وتطلب رزقها في اماكن مختلفة ولو اجتمعت في حقل واحد لما ابقت فيهِ زرعاً

خسارة الجرمان في البالونات والطيارات

قدرت احدى الصحف الايطالية منذ شهرين ان المانيا خسرت من اول الحرب الى ذلك الحين ٤٧ بالوناً من بالونات تسبلن و ٣٦٨ طيارة · وان عدد الذين فقدوا من الطيارين ١٤٠٠ من قتيل واسير · وقالت ان المانيا شرعت في بناء ٤٠ بالوناً جديداً فاتمت ٣٠ منها والباقي يوشك ان يتم · اما النمسا ففقدت جميع بالوناتها و١٨٤ طيارة

الغازولين والبترول

يقدرون ان في ولاية كولورادو احدى ولايات اميركا الشمالية من الاشيست ما يكفي لان يستخرج منهُ ٢٠ الف مليون (٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) برميل من البترول الخام او الفا مليون برميل من الغازولين بعد تكريرهِ ولكن الحكومة الاميركية لم تعتنِ بهذه المناجم حتى الآن لكثرة ما يستخرج من البترول فيها من آبارهِ العديدة

قوة الطيارات الحربية

لما نشبت الحرب الاوربية كانت الطيارة الحربية التي فيها آلة قوتها تسعون حصاناً تعدّ من الطيارات القوية اما الآن فصنعت طيارات قوة آلة الواحدة منها ١٦٠ حصاناً او اكثر وسرعتها نحو مئة ميل في الساعة

الغواصات الالمانية

روى تاجر اميركي كبير ساح في بلاد الدول المحاربة واستقصى انباءها ان الحلفاء اصطادوا بالمصايد التي اخترعوها لمقاومة الغواصات الالمانية ١٣٠ من هذه الغواصات حتى الآن

تطهير التربة من الحشرات

اكتشفوا في اميركا آلة لتطهير التربة من الحشرات المؤذية للزراعة والنباتات الطفيلية وهي مؤلفة من جهاز لتوليد البخار الحار ومن دولاب ذي مناخس حادة مثقوبة فاذا اديرت الآلة اندفع البخار الحار الى المناخس وهذه تغرز في الارض فيقتل البخار الذي يخرج منها كل ما في التربة من الحشرات ودودها والاعشاب التي تضر الزراعة ولا تفيدها

النار من السجاير

جاء في احصاء انهُ شب في مدينة نيو يورك وحدها ١٣٠٦ حرائق سنة ١٩١٥ كانت السجاير سببها . وقد حسبوا ان متوسط ما تتلفهُ النار في كل حريقة يبلغ نحو ٥٧٠ ريالاً فالمجموع يبلغ نحو ٧٤٠ الف ريال او نحو ١٥٠ الف جنيه . وبلغ مجموع الحرائق في تلك السنة من عيدان الكبريت ١٣١٤ حريقة

الغربلة بالكهربائية

استنبط بعضهم غربالاً تحركهُ الكهربائية بسرعة فائقة فيغربل الحبوب ونحوها باسرع من لمح البصر حتى يقال انهُ يغربل باسرع مما يستطيع رجل ان يلقي الحبوب فيهِ

بين طيارة وغواصة

راقب بعضهم معركةً وقعت بين طيارة وغواصة وذلك ان غواصة عثمانية رأت طيارة بحرية روسية راسية على وجه الماء في البحر الاسود فدنت منها خلسة ورمتها بطربيد فمرَّ الطربيد لصق جناح من جناحيها ولكنهُ لم يلحق بها اذى فنهضت الطيارة حالاً وحلقت فوق الغواصة والقت عليها القنابل فاغرقتها

قتل الجرذان بالكهربائية

كثرت الجرذان في الخنادق حيث يقيم الجنود الفرنسويون فاستنبطوا طرقاً مختلفة لقتلها افتكها الكهربائية وذلك انهم حفروا حفرة كبيرة في طريقها ونصبوا فوقها اسلاكاً كهربائية متوازية فاذا ارادت المرور فوق الحفرة اضطرت ان تدوس على هذه الاسلاك فتقع للحال ميتة

نيزك كبير

سقط نيزك كبير في بعض انحاء البرازيل وقد وزنوهُ فبلغ ثقلهُ ٢٠ طناً

فهرس الجزء الاول من المجلد التاسع والاربعين

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والاربعين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢ شوال سنة ١٣٣٤

تذكار لورد كتشنر

حديث سلطاني عظيم الشان

تشرفت برفع فريضة التبريك لمولانا السلطان المعظم بحلول شهر الصوم المبارك فتفضل عظمتهُ وحادثني في مواضيع شتى وبالطبع ابتدأ الحديث عن حر القاهرة بالنسبة الى الاسكندرية في هذه الايام واشتداد الحر في القطر كلهِ فوق المعتاد . فقال عظمتهُ انهُ رأى بعينيهِ فائدة هذا الحر في نمو القطن فقد وجدهُ نما في الثلاثة الاسابيع الماضية نمواً لم يعهد لهُ مثيلاً . ومن المحتمل ان يكون هذا الحر قد اتلف جانباً كبيراً من دود القطن او منعهُ من الخروج من بيضهِ واماتهُ فيهِ الأ ان ذلك لا يعفي البلاد من الاهتمام باستئصال هذه الآفة وكل الآفات التي تصيب موسم القطن لان عليهِ اعتماد القطر المصري معاشياً

ثم قال عظمتهُ « واني اشكر الله لان الحرب الطاحنة الناشبة الآن لم تمنعنا من اصدار قطننا وبيعهِ بثمن جيد يقوم بالنفقات المتزايدة » . واستطرد الكلام الى الخسارة الفادحة التي حلت بالامم المحاربة في المال والرجال — والى الخسارة الكبرى التي خسرتها بريطانيا العظمى وتشاركها مصر فيها وهي غرق لورد كتشنر القائد العظيم والاداري الحكيم الى ان قال « وقد سرني ان اهل بلادي يقدرون قدر الرجال حتى اهتم اهالي الاسكندرية باقامة تذكار للورد كتشنر اهتماماً يذكر فيشكر ولكن لو كان لورد كتشنر حيًّا الآن واستشرناهُ فيما يريد ان يكون هذا التذكار الذي نقيمهُ لهُ اكنت تظن يا دكتور انهُ يشير باقامة تمثال لهُ . كلاَّ بل لاشار بما هو اهم من ذلك اي بما تحتاج اليهِ البلاد التي كان يحبها حبًّا جمًّا . فاني اعرف لورد كتشنر تمام المعرفة . عرفتهُ وهو ضابط صغير وعرفتهُ في كل درجات ارتقائهِ الى ان بلغ اسماها وعرفت ما كان يتمناهُ لهذا القطر . فانهُ كان يعرف ان القطر المصري محتاج الى

الضروريات قبل الكماليات محتاج الى ما يصلح شؤُون الجمهور الاكبر من سكانهِ الى ما يزيد ثروتهم ويحسن صحتهم ويوفر راحتهم ويثقف عقولهم . انظر الى ما اشار هو بهِ وبذل اقصى جهدهِ في انشائهِ تذكاراً للبطل غوردون باشا وهو مدرسة غوردون الكلية في الخرطوم التي قصد ان تكون مصدر علمٍ ونور في بلاد السودان وواسطة ترقية السودانيين علماً وصناعة

« نعم لو كان لورد كتشنر بيننا الآن واستشرناهُ فيما يريد ان نقيمهُ تذكاراً لهُ او لرجل مثلهِ خدم هذا القطر كما خدمهُ هو لوقف في مجلس الاسكندرية البلدي ورفع صوتهُ جهرة وقال انظروا ما هي المنشآت العمومية النافعة التي تحتاج اليها مدينتكم وبلادكم وليكن هذا التذكار من نوعها

« وما اكثر المنشآت العمومية النافعة بل الضرورية التي نحن في حاجة ماسة اليها فليس عندنا مثلاً مستشفى خاص بالنساء ولاسيما بالفقيرات المعوزات منهنَّ حيث ينفسن ويطببن ويعتنى بهنَّ الاعتناء الواجب . ومستشفى مثل هذا لا تكون فائدتهُ مقصورة على تطبيب النساء فقيرات كنَّ فيطببن مجاناً او غنيات فيدفعن اجور تطبيبهنَّ بل يكون بمثابة مدرسة تتعلم فيهِ الطبيبات امراض النساء ويتمرنَّ على معالجتهنَّ وتمريضهنَّ . ولا شبهة ان تعليم فن الطب للنساء امر مهم جدًّا وقد تأخر الاوربيون في فتح مدارسهم الطبية لتعليم النساء هذا الفن الجليل ولكنهم رأوا غلطهم اخيراً وجعلوا يعلمونهنَّ فن الطب كما يعلمونهُ للرجال فقام منهنَّ طبيبات مشهورات وقد برعنَ في بعض الممالك الاوربية حتى جارين مشاهير الاطباء . ونحن في هذه البلاد الشرقية احوج من اهالي اوربا الى الطبيبات كما لا يخفى ولو لتطبيب النساء فقط ونحتاج الى مئات منهنَّ . ولا افضل من مستشفى مثل هذا لتخريج الطبيبات الماهرات اللواتي يقرنَّ العلم بالعمل قبلما يخرجن لممارسة صناعة الطب . ولا شبهة عندي ان بناتنا قادرات على تعلم فن الطب وممارستهِ والنبوغ فيهِ فقد رأيت اللواتي تعلمن فن التعليم ومارسنهُ في المدارس التي زرتها فوجدتهنَّ قائمات بما يطلب منهنَّ احسن قيام فلماذا لم يفكر رجال المجلس البلدي الفضلاء في انشاء مستشفى مثل هذا تذكاراً للورد كتشنر مهما بلغت نفقات انشائهِ . اما ما يقتضيهِ نظام الدروس اللازمة لطالبات الطب فهو موضوع اهتمامي وسيدبر على احسن سبيل

« ثم ان الاسكندرية محرومة من مستشفى للمصابين بالامراض العقلية . والآن يرسل الذين يصابون بهذه الامراض الى مستشفى العباسية . وقد بلغني ان مدير ذلك المستشفى طالما شكا من وجودهِ في مكان حارٍ جافٍ الهواء كالعباسية او الخانقا وود لو كان في مكان

من ابرد الامكنة هواء في القطر المصري كضواحي الاسكندرية لان نوبات الجنون تشتد غالبًا وقت اشتداد الحر فلا يكون من الحكمة ولا من الشفقة ان يرسل المصابون بالامراض العقلية من الاسكندرية الى العباسية بل واجب الشفقة يقضي ان ينشأ لهم مستشفى في ضواحي الاسكندرية مهما قلَّ عددهم . وغنيٌّ عن البيان ان كل بلاد عدد سكانها مثل عدد سكان القطر المصري تحتاج الى مستشفيين او ثلاثة او اكثر للذين يبتليهم الله بالامراض العقلية من سكانها . فهذا ملجأ خيري آخر تحتاج اليهِ البلاد وفائدتهُ كبيرة جدًّا في شفاء الامراض العقلية سواء كان المصابون بها من سكان الاسكندرية او غيرها

« ومما يجري هذا المجرى واستغرب جدًّا كيف لم يحلَّهُ فضلاء الاسكندرية المحل الذي يستحقهُ من الاهمية اقتداءً باخوانهم اهالي العاصمة هو انشاء ملجإٍ للاسعاف في الحوادث الفجائية فان من يرى رجال جمعية الاسعاف في القاهرة يبادرون حالاً الى كل مكان يدعون اليهِ حيث يصاب احد باصابة ما لا يسعهُ الأ شكرهم والاعجاب بهمتهم والتنويه بفضلهم وفضل الذين انشأوا هذه الجمعية وملجأها . فلماذا لا يكون في الاسكندرية وهي العاصمة الثانية لبلادي ملجأ مثل هذا و يسمى ملجأ لورد كتشنر للاسعاف

« هذه مشروعات ثلاثة خطرت على بالي الآن واذا شاء اهالي الاسكندرية بل اهالي القطر المصري عمومًا ان يكتتبوا لانشاء اثنين منها او ثلاثة فانا مستعد ان افتتح قائمة الاكتتاب بخمس مئة جنيه ولي الامل الوطيد ان ارى من غيرة اهالي بلادي ما يحقق ولو امنية واحدة من هذه الاماني . و يحسن ان يمتد زمن الاكتتاب لغاية شهر نوفمبر المقبل»

وكان عظمتهُ يتدفق في الكلام تدفقًا كمن يشعر في اعماق نفسهِ ان منفعة بلادهِ يجب ان تكون الغاية العظمى التي اليها يسعى وبها يهتم ولاسيما اذا امكن الجمع بينها و بين غاية اخرى ادبية وهي تكريم جندي باسل واداري حازم ورجل فاضل كان يقول ان اقصى ما يتمناهُ هو نفع هذا القطر

ولما اتم عظمتهُ هذا الكلام الذي هو عين الصواب استأذنتهُ في كتابة ما وعتهُ الذاكرة منهُ ونشرهِ فقال

« ان كنت يا دكتور قد ادركت غايتي تمامًا فانا اسمح لك بنشرهِ و بان تقول عن لساني انني افتتح قائمة الاكتتاب بخمس مئة جنيه »

فكررت الشكر لعظمتهِ وخرجت من الحضرة وانا ادعو بطول عمرهِ واغبط مصر لان الله منَّ عليها بسلطان حكيم كريم متفان ٍ في خدمتها ورفع منارها

حديث مع فخامة نائب الملك

وبعد اثني عشر يوماً قابلت فخامة نائب الملك ووقفت على رأيهِ في هذا الشأن . فبعد المذاكرة في مواضيع عمومية مختلفة قال انهُ هو والشعب الانكليزي عموماً شاعرون في اعماق نفوسهم بما ابداهُ لهم الشعب المصري من العواطف الكريمة في الخسارة الفادحة التي المت بانكلترا حديثاً وبما اظهرهُ المصريون من تلقاء انفسهم من الرغبة في اقامة تذكار لذلك الرجل العظيم الذي اشتغل بينهم زماناً طويلاً . ولقد اثر ذلك في نفسهِ تأثيراً عميقاً لا ينساهُ ابداً . قال « ومما يدعو الى السرور والارتياح التام اتفاق الجميع على الغرض الذي يرمون اليهِ فلم يبقَ على بساط البحث الاَّ الاسلوب الذي يحقق بهِ هذا الغرض

« وعند الاعتراف بالاعمال الجليلة التي عملها ذلك المرشال العظيم وهو في منصبهِ الاداري يحسن ان لا يبرح من البال نوع تلك الاعمال فان اكثرها كان من النوع الذي منهُ نفع عملي اي مما يدعو الى اصلاح احوال الحياة . والذين يعرفون لورد كتشنر تمام المعرفة لا يرتابون انهُ لو كان حاضراً بيننا الآن وابدي رأيهُ في المشروعات المختلفة التي اشير بها تذكاراً لهُ لاختار منها ما ينفع المصريين وتزيد بهِ راحتهم ورفاهتهم ولذلك فكل مشروع ادبي مثل اقامة تمثال يجب ان يعتبر على نوع ما من قبيل الكماليات التي تضاف الى مشروع عملي لهُ نفع عام ولو كان التمثال من المفاخر التي تطلب لذاتها . وهذا ما فعلتهُ بعض مدن الاقاليم التي اطلقت اسم لورد كتشنر على بعض السكك والشوارع والاسبلة

« والمشروع الذي اتجهت اليهِ الانظار الآن وكان الفضل في اقتراحهِ لصاحب العظمة السلطان هو انشاء مستشفى كبير للنساء في القاهرة يسمى مستشفى كتشنر ويكون محتوياً على مدرسة وقاعات لالقاء الدروس الطبية وعمل العمليات الجراحية لاجل تعليم الطبيبات وتمريتهن حتى يصرن اهلاً للتطبيب في هذا القطر ويكون منهن طبيبات لمستشفيات النساء التي تنشأ في المديريات في المستقبل . والادلة كثيرة على لزوم مستشفى مثل هذا فانهُ ليس في القطر المصري الآن مستشفى للنساء . ولقد كان معدل وفيات الاطفال اكثر مما هو الآن كما هو معلوم بسبب جهل نساء الارياف وقلة وسائطهن الصحية وظلت الحال كذلك حتى وجه لورد كتشنر عنايتهُ الى هذا الموضوع فاشار باقامة القوابل في قرى الارياف ودل بهذا على اهتمامهِ بامور العامة واحوالهم الصحية . وهذا الاهتمام من المزايا التي امتاز بها

الرجل الذي نريد الآن اكرام ذكراهُ فالاستمرار على المبدأ الذي عني بهِ هو وتوسيع نطاقهِ حقيقان بان تتجه اليهما الانظار في هذه الآونة »

ثم قال الخامة « ان تذكار لورد كتشنر لا يلزم ان يكون مقيداً بهذا المشروع الذي بسطتهُ فاذا خطر على بال احد مشروع انفع منهُ قوبل بالترحيب وبما يستحق من البحث والتروي . واذا اتفق لمدينة او جماعة ان تجد اسباباً خصوصية لاقامة تذكار محلي عندها فليس ما يمنع النظر في ما تريد النظر فيهِ بالطرق المعتادة »

وافاض في الحديث بعد ذلك عن كيفية انشاء هذا المستشفى وادارتهِ في المستقبل . ويظهر لي ان الخامة مقتنع تمام الاقتناع بشدة الحاجة اليهِ وواثق ان اهالي القطر يلبون نداء سلطانهم ويقبلون على الاكتتاب في مشروع تعود فائدتهُ عليهم لان الطبيبات اللواتي يتخرجن في هذا المستشفى تنشأ لهن مستشفيات في سائر انحاء القطر لكي تستفيد البلاد كلها منهن

شكسبير

كيفية وصولهِ الى الشهرة

اشرنا في الجزئين الماضيين الى الدلائل التي تدل على ما لشكسبير من الشهرة الواسعة واسبابها ووعدنا ان نشير الى كيفية وصولهِ اليها عسى ان يكون في ذلك ما يدعو الى اصلاح التمثيل العربي

والشهرة اثمن المقتنيات فلا تنال عفواً ولا يشتهر احد في مطلب من المطالب الا وفي طبعهِ واحوالهِ ووسائلهِ ما ينيلهُ هذه الشهرة . والشعراء ارباب الخيال الذين يجردون الصور البديعة من الطبيعة والحكم البالغة من التاريخ والمعاني الرشيقة من القرائح يجب ان يكونوا في بلاد كثرت نجادها ووهادها وانهارها وغدرانها وسهولها ووعورها ورياضها وغياضها كالشام وسويسرا وفرنسا وانكلترا وبعض جهات اليمن ونجد وان يقفوا على التواريخ القديمة والحديثة واخبار الامم وواقع الحروب وسياسات الدول واساليب الاحكام . ويتضلعوا مما انشأهُ ارباب الكلام ونالهُ جواهر المعاني من نحو العبرانيين والمصريين والاشوريين واليونانيين والرومانيين والفرس والعرب والهنود وغيرهم من امم المشرق والمغرب . اذا اجتمعت للشاعر هذه الوسائل وكان بالفطرة الموروثة ميالاً الى ابتكار المعاني ونظم القريض سهل عليهِ التبريز على الاقران والاستيلاء على العقول . وكان شكسبير من

هذا القبيل كما سنبينهُ في هذه العجالة معتمدين على ما جاء في ترجمتهِ في الطبعة التاسعة من الانسكلوبيذيا البريطانية بقلم الدكتور بينس استاذ المنطق والبيان في جامعة سنت اندرو وعلى بعض ما جاء في الطبعة الحادية عشرة بقلم العالم هيو كريشلم

ولد شكسبير بمدينة ستراتفورد في اواخر شهر ابريل سنة ١٥٦٤ وهي مدينة قديمة على نهر اڤون عُرفت هي وما يحيط بها من قبل عهد الرومان الذين اجتاحوا البلاد الانكليزية واضافوها الى ممالكهم وانشأُوا فيها القصور والمعاقل . واشتهرت في الحروب الاهلية التي توالت بعد ذلك وتقام فيها سوق للمواشي من اشهر الاسواق في تلك البلاد

ولا يعرف جمال البلاد الانكليزية الاَّ من زارها وتنقل في ربوعها فصعَّد في جبالها وصوَّب في وهادها واوغل في حراجها وادغالها وراقب تحدُّر شلالاتها واجال طرفهُ في ما حولهُ من البلاد فرأَى مشارفها بين كاسٍ تجللهُ الحراج والادغال وعارٍ علاهُ الثلج والغمام وقد قامت بينها القصور والابراج معاقل امرائها الاقدمين واغنيائها المحدثين وكل شرفة من شرفاتها تنبئك بتاريخ فارس مغوار او غادة حسناء واخبار تداولها الخلف عن السلف وبنوا عليها اشعارهم واغانيهم . هذه حال البلاد التي لم يفتح شكسبير طرفهُ الاَّ وقع عليها فاعادت اليهِ ذكرى سكانها السالفين . واهالي البلدان الجبلية يكثر تحدثهم باخبار اسلافهم فلا بدَّ من ان يكون شكسبير قد سمع الكثير منها ووعاهُ في ذاكرتهِ واستعادهُ حينما الَّف رواياتهِ بعد ان وقف على التواريخ المكتتبة واستخرج منها ما نظم منهُ تلك القلائد

وكان من بيت لهُ شان في ستراتفرد.فان جدَّهُ رتشرد كان يسكن بيتاً كبيراً على نحو ثلاثة اميال او اربعة من تلك المدينة ولهُ مزرعة واسعة هناك وكان لهُ ولدان جون وهنري فانتقل جون الى ستراتفورد واقام فيها تاجراً وهو ابو صاحب الترجمة وكان يبيع الجلود وما يصنع منها واشتغل ايضاً ببيع الصوف والخشب والحبوب ويقال انهُ كان لحَّاماً ايضاً ولا غرابة في ذلك لان ستراتفورد مركز بلاد زراعية وهي سوق لها ومن كان عملهُ الزراعة وانتقل اليها يغلب ان يتاجر بالسلع الزراعية . والظاهر انهُ كان عالي الهمة ذكيَّ الفؤَاد مقداماً فلم يمضِ عليهِ خمس سنوات حتى جُعل من اعيان المدينة وتدرَّج الى ان صار عمدة لها ورئيساً لمجلسها البلدي ومحكمتها المحلية وكان ذلك سنة ١٥٦٨ . وتدلُّ الدلائل على انهُ كان قد صار من ذوي السعة فانهُ اشترى بيتين في المدينة سنة ١٥٥٦ واقترن في السنة التالية بسيدة من بيت وجيه اسمها ماري اردن ورثت من ابيها جانباً من المال ومزرعة فيها نحو ستين فداناً وبيتان او ثلاثة فاتسعت ثروتهُ بذلك ثُم اشترى بيتين آخرين ويقال ان

ابنهُ صاحب الترجمة ولد في احدهما . ثم قلب لهُ الدهر ظهر المجن فخسر اكثر ثروتهِ لانهُ كان كريمًا متلافًا قليل التدبير سريع التأثر لا يعنى بالطفائف ولا يدقق في اعمالهِ وكان فوق ذلك محبًا للجاه والتأنق فلما كان عمدة للمدينة اتى بجماعات من الممثلين وجعلهم يمثلون في دار المجلس البلدي احتفالاً بارتقائهِ الى هذا المنصب فغرس في نفس ابنهِ محبة التمثيل لان ما يشاهدهُ الفتى في حداثتهِ يؤثر فيهِ تأثيرًا شديدًا وقد يغير مجرى حياتهِ · وطلب من نقيب الاشراف حينئذٍ ان يحسبهُ بينهم ويعطيهُ سمة الشرف اي ان نفسهُ كانت جانحة الى المعالي وحب الشهرة مع انهُ كان لا يزال تاجرًا من عامة التجار في بلد صغير · فهذه الاخلاق كلها آلت الى فقدانهِ ما جمع من الثروة فرهن املاكهُ واستغرق في الدين واضطرت زوجتهُ ان تبيع املاكها لايفاء جانب من دينهِ وظل في حالة ضيق شديد الى ان افلح ابنهُ وساعدهُ على ايفاء ديونهِ واسترداد بعض الاملاك التي باعها . ولكن فقرهُ لم يحط منزلتهُ في عيون قومهِ لاسيما وانهُ بقي ينفق كاغنيائهم

اما زوجتهُ ماري اردن فكانت من عائلة قديمة وجيهة كما تقدم ومن اسلافها رجل اسمهُ الدن صاهر بيت الملك المعروف ببيت الثلستين ولذلك فدمها ممزوج بدم اشراف النورمنديين وقام من اسلافها رجال اشتهروا بمناصرة الملوك في حروبهم . ووجهاء الانكليز ممتازون عن عامة الشعب بآدابهم واخلاقهم امتيازًا كبيرًا رجالاً ونساء وقد كانت ام شكسبير من الطبقة العليا ولا بدَّ من انها اثرت فيهِ تأثيرًا كبيرًا بآدابها واخلاقها وبما يعرف من تاريخ اهلها ووجاهتهم لاسيما وانهُ بكرها والامهات يعنين خاصة بتربية البكر من اولادهن · فلما كان والداهُ في سعة تعلم وتهذب ورأى من بشاشة امهِ وطلاقة وجهها ما ساعدهُ على وصف النساء وهنَّ في اوج مجدهنَّ ولما ضاقت الاحوال وجاءت ايام البؤس رأى من صبرها وطول اناتها ما ساعدهُ على وصف النساء وهنَّ في حالة البؤس والشدة · فاليسر والعسر اللذان اصابا والديهِ اثرا في نفسهِ تأثيرًا شديدًا كما اثرت اخلاقهما فيهِ · ثم ان ما حلَّ بهما من الضيق حملهُ على بذل اقصى جهدهِ لكي يكتسب مالاً يساعدهما بهِ ويردهما الى الحالة التي كانا فيها ففعل عن طيب نفس وزاد بذلك لينًا ودعة

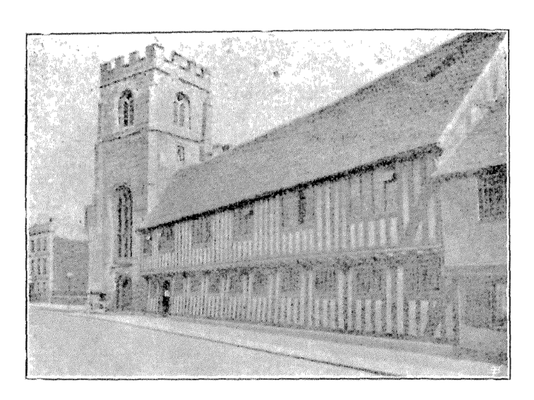
ولا شبهة في ان شكسبير ورث اخلاقهُ كلها من ابيهِ وامهِ واسلافهما فورث السعي والاقدام من والدهِ والذكاء والشمم من والدتهِ وورث منها ايضًا الدعة والعطف على الاهل والتدقيق في الامور المالية

ولا يُعلم بالتدقيق يوم ميلادهِ ولكن وجد في سجلات كنسية ستراتفورد انهُ عُمِّد في ٢٦ ابريل سنة ١٥٦٤ والمرجح انهُ ولد في ٢٣ ابريل حسب المتواتر · وفي شهر يوليو

تلك السنة فشا الطاعون في ستراتفورد فامات سدس سكانها وهو بكرُ والديهِ من الصبيان وكان ابوهُ في يسرٍ تام لما ولد فنشأ كما ينشأ الاولاد في المدن الصغيرة المجاورة لبلاد الفلاحين والذين اقاربهم من كبار الفلاحين اي نشأ وهو يقضي أكثر ايامهِ في الشوارع والمزارع والحراج يرى الشوارع غاصة بالمواشي وباعة الحبوب والاثمار والمزارع والحراج تربض فيها القطعان ويتولى الناس اعمال الزراعة على انواعها وضفاف نهر افون يرتادها الصيادون يوماً بعد يوم. وكان يحضر الاسواق والمآتم والافراح ويزور بيت جدهِ لامهِ ويجول في حديقتهِ الغناء فيقابلهُ الخدم والحشم بما يستحقهُ من الاكرام وارث الوارثة لذلك البيت. ولما شبَّ صار يشترك في الاعياد المختلفة وحفلاتها الباهرة

وكان في البلاد الانكليزية كثير من اجواق التمثيل وكانت هذه الاجواق تزور مدن الارياف وتمثل فيها الروايات الدينية ومن المرجح انها زارت ستراتفورد لهذه الغاية مراراً او على الاقل لما دعاها ابوهُ وسمح لها ان تمثل في دار المجلس البلدي. ومن المؤكد انها كانت تزور كوفنتري وهي على مقربة من ستراتفورد ويبعد عن الظن ان لا يكون شكسبير من الذين ذهبوا لمشاهدة تلك الروايات وتتبعوا فصولها فصلاً فصلاً

وكان في ستراتفورد مدرسة كبيرة من القرن الخامس عشر تعلم اللغة اللاتينية وشيئاً من اليونانية مع الانكليزية ولكن أكثر الاعتماد كان على تعليم اللاتينية وآدابها فيتعلمها التلميذ قراءةً وكتابةً وتكلماً. ويُعلم الآن ماذا كان التلامذة يدرسون في كل سنة مدة اقامتهم في تلك المدرسة وما هي الكتب التي كانوا يدرسونها ومن هم اساتذتهم وما هي مؤلفاتهم وما هي شهرتها. ويظهر من رواياتهِ انهُ اتقن درس اللاتينية واستخدامها اي انهُ جعلها وسيلة لا غاية. والظاهر انهُ اقام في تلك المدرسة ست سنوات فلا بدَّ من ان يكون قد قرأ كثيراً من تواريخها ودواوينها ورواياتها واستظهر من درر العبارات وجوامع الكلم ما كان لهُ اكبر عون في انشاء رواياتهِ التمثيلية واشعارهِ الحكمية. وكان يعرف ايضاً شيئاً من اليونانية وقد اشار الى ذلك صديقهُ الشاعر بن جنصن لما رثاهُ ولولم ينسب اليهِ التضلع من اللغة اللاتينيَّة ولا غضاضة على شكسبير في ذلك لان المتضلعين من العلوم قلما يفلحون في تعاطي الاعمال وهذا بن جنصن لا يذكر اسمهُ الآن مرة حتى يذكر اسم شكسبير الف مرة واساتذة شكسبير في اللاتينية لم تعلم اسماؤُهم الاَّ بعد البحث الطويل. وقبل ان اتم شكسبير دروس تلك المدرسة ساءت احوال ابيهِ المالية فاضطرَّ ان يتركها سنة ١٥٧٨ وعمرهُ ١٤ سنة فقط ومن ثمَّ صار اعتمادهُ على العمل وهو مدرسة التعلُّم كما سيجيءُ



دار المجلس البلدي في ستراتفورد والمدرسة التي تعلم فيها شكسبير
في الطبقة العليا منها



غرفة من غرف التدريس في هذه المدرسة

حبائل الحب

وضع السر كونان دو يل رواية بديعة خلاصتها ان ضابطاً من ضباط الجيش البريطاني قتل فتاة اسمها اناغارنير واعترف بجريمتهِ في نقطة البوليس ولكنهُ قال انهُ لا يدافع عن نفسهِ و يبيّن الحامل لهُ على فعلتهِ الأَّ امام محكمة الجنايات · وشاع حينئذٍ انهُ قتلها غيرةً فلم ينفِ هذه الاشاعة ولا اثبتها بل قال انهُ سيثبت جلية امرهِ امام المحكمة

ولما عقدت محكمة الجنايات وجيءَ بهِ اليها لم يرضَ ان يدافع عنهُ احد بل تولّى الدفاع بنفسهِ فسمع القاضي والمحلفون اقوال النائب العمومي وشهادات الشهود التي تثبت الجريمة على القاتل وهو لا يبدي اعتراضاً ولما جاء دورهُ للدفاع نهض واخرج ورقة من جيبهِ وتلاها بصوت رزين قال ما خلاصتهُ

لقد كان في الامكان ايها السادة المحلفون ان آتي بامهر المحامين للدفاع عني لا لانني غنيٌّ استطيع ان ادفع اجورهم بل لان اخواني الضباط عرضوا عليَّ ان يدفعوا هم اجورهم كرماً منهم · ولقد فضلت ان ادافع عن نفسي بنفسي لا لانني مغترٌّ بقدرتي حاسب اني كفوء لذلك بل لانني معتقد ان قضيتي واضحة جدًّا وانني اذا بسطتها لديكم بالبساطة التامة اقنعتكم ببراءتي اكثر مما لو تولّى الدفاع عني امهر المحامين · ولقد سمحت لي المحكمة كرماً منها ان اكتب دفاعي واتلوهُ على مسامعكم لكي اتمكن من ايراد الحقيقة بلا زيادة ولا نقصان

تذكرون انني لم اشأ ان ادافع عن نفسي وقت التحقيق امام البوليس منذ شهرين بل قلت انني لا استطيع ان افعل ذلك الأَّ بعد ايام وقد مضت هذه الايام وصرت قادراً على الدفاع وساوضح ذلك الآن بالتفصيل واخبركم ماذا فعلت ولماذا فعلتهُ فاذا رأيتم بعد ذلك انني مذنب و يجب عقابي احتملت العقاب الذي تحكمون بهِ عليَّ صامتاً

مضى عليَّ في سلك الجيش ١٥ سنة وانا الآن في رتبة كبتن (يوز باشي) وقد حاربت في جنوب افريقية وذكرني روٴسائي بالمدح · ولما نشبت الحرب الحاضرة عُينت لتعليم اورطة نظمت حديثاً في ردنشرش فنزلت في بيت المستر مريفيلد والتقيت هناك بمس انا غارنير

وليس من اللياقة ان اتولى وصف هذه الفتاة في هذا الوقت وفي هذه الاحوال ولكن لا بد لي من ذكر بعض اوصافها لارتباط ذلك بقضيتي اشدَّ الارتباط فاقول انها كانت في الخامسة والعشرين من عمرها طويلة القامة جميلة المنظر جدًّا فاحببتها حالما رأيتها وصار همي الوحيد ان اقترن بها ولم يكن امر الزواج يخطر ببالي قبلاً ولكن روٴية هذه الفتاة غيَّرت كل

افكاري وصرت احسب ان سعادتي متوقفة على قبولها الاقتران بي · ولكنني اقول انصافاً نفسي انني بقيت احسب شرفي كجندي ورجل اعلى واسمى من حقوق المحبة · وسترون انني فعلت فعلة تنقض هذا القول ولكن كل ما فعلته بعدئذٍ كان لاجل التكفير عن تلك الفعلة

واتضح لي ان الفتاة تميل اليَّ كما ملت اليها وكانت قد جاءت الى ذلك البيت من مونبليه في جنوب فرنسا منذ سنة من الزمان لانها قرأت في الجرائد اعلاناً يطلب بهِ صاحبهُ معلمة فرنسوية لاولادهِ فجاءت ولم تطلب اجرة بل رضيت بالاقامة في البيت ضيفةً فيهِ · وفهمت منها انها تحب الانكليز و بلادهم وتودُّ ان تكون كل اقامتها فيها ثم لما نشبت الحرب زاد كرهها للالمان وحبها للانكليز حلفاء بلادها فرنسا · واخبرتني ان جدها قتل في حرب السبعين وان لها اخوين وهما في الجيش الفرنسوي · ولما كانت تتكلم عن الفظائع التي ارتكبها الالمان في البلجيك كان صوتها يرتجف من شدة الغيظ · وكثيراً ما رأيتها تقبّل سيفي ومسدسي لانها كانت ترجو ان استعملها في قتل العدوّ · ومن هنا ترون انهُ كان لتعلقي بها اكبر مسوغ وكنت اود ان اقترن بها حالاً اما هي فكانت تقول ان ذلك لا يمكن ان يتم الاَّ بعد الحرب والوقوف على ارادة اهلها حسبما تقتضيهِ شروط اللياقة في فرنسا

وكانت من امهر النساء في ركوب الموترسيكل وقد جرت عادتها ان تركب هذه الآلة وتخرج وحدها وتغيب ساعات متوالية ولا تأذن لي في مرافقتها · وكنت اراها في بعض الاحيان كانها مفرغة في قالب اللطف والدعة وفي احيان اخرى تجتنبني لغير سبب واذا الححت عليها طالباً ان تفصح لي عن السبب تنظر اليَّ شزراً ثم تفعل شيئاً يسرني فيزول ما خامر نفسي من الغيظ

وكانت اشغالي لا تسمح لي بمشاهدتها الاَّ في المساء لكنها كانت تقيم احياناً في الغرفة التي تعلم فيها الاولاد وتقول لي صريحاً انها مشغولة ولا تستطيع ان تراني واذا رأت بعد ذلك اني اغتظت منها تضحك وتعتذر عما فعلت مبدية الغنج والدلال فيزيد افتتاني بها

ولا انكر اني كنت غيوراً عليها بل شديد الغيرة · ثم وجدت انها تعرف كثيرين من الضباط وقد تقدم انها كانت تركب الموترسيكل وتغيب ساعات متوالية فداخلتني الظنون واشتدت الغيرة بي ولاسيما حينما كنت اسألها عن ماضي حياتها فاجدها سرًّا غامضاً وكثيراً ما كان عقلي يحذرني منها فيقوم قلبي و يتغلب عليهِ ولاسيما وانها كانت فتانة تتبسم في وجهي فتنسيني كل الشكوك والظنون او تعتذر عما فرط منها اعذاراً محكمة مقبولة

ورأيت مرةً على مكتبها صورة شاب وتحتها اسم " فاردين " فحسبتهُ اسم صاحب الصورة ويظهر من تجعد زواياها انها تحملها في جيبها فسألتها عن صاحب الصورة فقالت انها لا تعرفهُ

ولا رأته مطلقاً فاغتظت منها ورفعت صوتي لجاءت صاحبة البيت ولامتني على ما بدا مني من الغيرة والحدة . وكانت الفتاة فتانة في منظرها ودلها ففارقتني سورة الغيظ حالاً لكن بقي اسم هذا الرجل في ذهني واجتهدت لاعرف من هو بكل الوسائل فلم استطع

ثم عينت في وزارة الحربية فاضطررت ان اقيم في لندن وكانت اشغالي هناك فوق رأسي تستغرق كل وقتي واخيراً نلت اجازة بضعة ايام فاسرعت الى ردنشرش حيث فاتنتي لاراها وكانت ردنشرش على خمسة اميال من المحطة فوجدتها في المحطة واقفة في انتظاري . ولا استطيع ان اصف لكم ايها السادة كيف يضل الانسان ويظلم بصيرته في الحالة التي كنت فيها فان استطعتم ان تتصوروا ذلك من تلقاء انفسكم فبه والاً فلا يمكنني ان اجعلكم ترون غير ما ساذكره لكم من واقعة الحال فاني ارتكبت اعظم ذنب ارتكبته في حياتي وانا سائر مع تلك الفتاة من المحطة الى البيت الذي كانت فيه وذلك اني اطلعتها على سر مهم جداً كان يمكن ان يغير مجرى هذه الحرب ونخسر بسبب افشائه الوفاً كثيرة من الرجال . وقد فعلت ذلك على غير انتباه وقبل ان اعرف انها ادركت المراد . فاني رأيتها متألمة متنغصة تكاد تبكي لان الالمان كانوا واقفين امام جنود الحلفاء كسد من حديد يمنعونهم من الحركة . فقلت لها ان الالمان مهاجمون ونحن الواقفون امامهم كسد من حديد يمنعهم من التقدم . فقالت « ولكن ابيقون في فرنسا وفي بلجكا ولا نستطيع ان نطردهم منها بل نكتفي بالوقوف امامهم راضين بامتلاكهم عشر ولايات من فرنسا . اواه يا حبيبي اواه بالله عليك قل لي كلمة تزيل كآبتي وتنعش فؤادي قل لي كلمة تلقي في قلبي شعاعة من الامل ما اقسى قلوب الانكليز وما اطول روحهم واكثر جلدهم اما نحن الفرنسويين فلسنا مثلكم نحن شديدو التأثر وهذه الحالة موت اليم . قل لي بحقك انه لم ينقطع الامل ولم يزل في جعبة الرجاء منزع . ولكن كيف اسألك هذا السؤال وانت موظف صغير لا تعرف اسرار القواد العظام »

فقلت لها اني اعرف اكثر مما تظنين فلا تقلقي لانه لا بدّ لنا من اتخاذ خطة الهجوم قريباً

فقالت قريباً يعني بعد سنة او سنتين

فقلت كلا ليس بعد سنتين ولا بعد سنة .

فقالت ايمكننا ان ننتظر شهراً ونحن على هذه الحال . فقلت ولا شهراً

فشدت بيديها على يدي وقالت اواه يا حبيبي لقد انعشت فؤادي ولكن ما اصعب الانتظار . ان انتظار اسبوع واحد يقتلني

فقلت وقد لا يكون اسبوعاً

فقالت قل لي شيئًا واحدًا هل يكون الهجوم من جنودنا البواسل ام من جنودكم الاشاوس. مَن ينال مجد الهجوم

فقلت الفريقان

فقالت لا فضَّ فوك اذن يهجم الفريقان معًا حيث يتصل احدهما بالآخر

فقلت كلاَّ لا يهجمان معًا

فقالت ولكنني فهمت منك ان الهجوم يكون مزدوجًا ولكن النساء لا يفهمن هذه الامور

فقلت لنفرض ان الفرنسويين يهجمون عند ڤردون والانكليز عند ايبر فيكون هجومهما معًا ولو كان بينهما مئات من الاميال

فصفقت بيديها وقالت الآن فهمت انهم يهجمون من طرفي الخط في وقت واحد حتى لا يعرف الاعداء الى اي جهة يرسلون المدد

فقلت لها اصبتِ هذا هو المراد وهو هجوم فعلي في ڤردون وتظاهر بالهجوم عند ايبر

ولم اكد اتلفظ بهذه الكلمات حتى اعترتني قشعريرة ولا ازال اتذكر كيف تنحَّيت عنها حينئذٍ ونظرت في وجهها وقلت لها لقد بحت لكِ بما لا يجوز لي ان ابوح بهِ لاحد فهل تعدينني بالكتمان التام

فاستاءت من ارتيابي بها وقالت « اني اقطع لساني ولا انفوه بكلمة لمخلوق ممَّا قلتهُ لي » فاطمأَنَّ بالي وحسبت ان لا داعي للخوف مطلقًا ثم نسيت ذلك بما وجدتهُ من دواعي السرور

وكنتُ مكلفًا اداء رسالة الى الكولونل وروِل فذهبت اليهِ وغبت ساعتين. ولما رجعت سألت عنها فقالت لي الخادم انها دخلت غرفتها بعد ان قالت للسائس ان يعدَّ لها الموتوسيكل ويضعهُ امام الباب. فاستغربت كيف تفارقني وزيارتي لها قصيرة جدًّا ودخلت الغرفة التي تعلم فيها الاولاد وجلست امام مكتبها الذي تكتب عليهِ فوقع نظري على الورق النشاف الذي امامها فاذا عليهِ بحروف مقلوبة اسم ڤاردين وهو نفس الاسم الذي على الصورة الفوتوغرافية وكان جزءًا من عنوان ورأيت في اسفل العنوان حروفًا تدلُّ على فرع من فروع البوسطة بلندن فعلمت انها تكاتب ذلك الرجل وانها كتبت اليهِ في ذلك اليوم مع انها قالت لي انها لا تعرفهُ ولا رأَتهُ. فثار ثائر الغيظ في رأسي حتى فقدت صوابي وامسكت بدرج مكتبها وكان مقفلاً فكسرتهُ ولو كان من الحديد لكسرتهُ واذا بالمكتوب الذي كتبتهُ هو الى هذا الرجل لانهُ مبدوءٌ باسمهِ فاجلتُ نظري فيهِ من اولهِ الى آخرهِ قبل ان اقرأهُ فوجدت فيهِ كلمة ايبر فاعترتني رعشة وقرأت الكتاب كلهُ وهذه ترجمتهُ

عزيزي المسيو ڤاردين

اخبرني سترنجر انهُ اطلعك على اخبار تشلمسفورد وكلشستر فلم اهتم بالكتابة اليك عنها. وقد نقلوا لواء الجيش المتطوع والمدافع الكبيرة الى الساحل عند كرومر لكي يمرنوهُ على كيفية النزول الى السفن

اما اهم اخباري فمستقاة من وزارة الحربية رأساً فانهُ في اقل من اسبوع سيأخذ الفرنسويون خطة الهجوم الشديد في ڤردون و يتظاهر الانكليز بالهجوم الكبير في ايبر فيجب ان ترسل رسولاً هولندياً مخصوصاً الى فون سترمر باول سفينة وارجو ان اقف الليلة على يوم الهجوم بالضبط التام وسائر التفاصيل ولكن يجب ان لا تؤخر ارسال الخبر الذي اخبرتك بهِ

ولم اجسر ان ارسل هذا الكتاب بالبريد من هنا ولذلك سآخذهُ بنفسي الى كلوشستر فيضعهُ سترنجر مع تقاريرهِ التي تسلّم اليك يداً ليد صوفيا هفنر

لم اكد اتم قراءة هذا المكتوب حتى شعرت كأنَّ صاعقة نزلت على رأسي. فبهتُّ ودهشت وتولاني غيظ شديد لا استطيع التعبير عنهُ اذ رأيت ان هذه الفتاة التي يحق لها باعظم سر هي جاسوسة المانية. يحق لها بسر من وراء الاباحة بهِ قتل الوف ومئات الالوف من اهل وطني وحلفائهم. وبينما انا جالس مذهول سمعت صوت وقع قدميها فدخلتْ ونظرتْ اليَّ ومكتوبها في يدي ودرج مكتبتها مكسور فقالت كيف تجاسرت ان تكسر مكتبتي وتسرق مكتوبي

فلم اجبها بل احدقتُ بنظري اليها وانا افكر في ما يجب ان افعل. ثم هجمتْ عليَّ كاللبوة وحاولت خطف المكتوب من يدي فامسكت يدها ودفعتها الى مقعد امامي وقرعت الجرس وطلبت من الخادم ان تنادي صاحب البيت. وكان رجلاً فاضلاً عامل هذه الفتاة كأنها ابنتهُ فاخبرتهُ انها من جواسيس الالمان ولم استطع ان اريهُ المكتوب فذهل من هذا الخبر وقال لي ماذا تشير علينا ان نفعل فقلت لا بدَّ من القبض عليها حالاً ومنع اتصالها بغيرها قبل القبض عليها لان لها اعواناً في هذه القرية فهل تستطيع ان تتولى حفظها الى ان اخبر قائد الجيش هنا ونحضر الامر بالقبض عليها

فقال نعم يمكننا ان نضعها في غرفتها ونقفل بابها

فقالت هي ابقوني هنا وانا اعدكم باني لا ابرح مكاني ولكن لا تنسَ يا كبتن فولر انك كثيراً ما تتعجَّل وتندم فاذا قبضتم عليَّ واعتقلتموني وشاع في طول البلاد وعرضها انك

اطلعتني على اسرار الحكومة التي اؤتمنتَ عليها خسرت يا صاح خسارة لا تعوَّض

فقلت لصاحب البيت ان يضعها في غرفتها و يقفل الباب فقالت لا مانع ومشت معنا ولم نكد نخرج حتى افلتت منا وركضت الى الموترسيكل فادركناها وقبضنا عليها فجعلت تعض وتخمّش كالقطة ولقينا صعوبة شديدة في جرها الى غرفتها فادخلناها اليها واقفلنا بابها ٠ وقال لي صاحب البيت حينئذٍ ان غرفتها عالية تعلو عن ارض الحديقة التي تحتها ٤٢ قدماً وانهُ سيبقى امام بابها الى ان ارجع

فقلت لهُ خذ هذا المسدس وكن على حذر لاننا لا نعلم مَن لها من الاعوان في هذا المكان ووضعت رصاصتين في المسدس فقال ان عصاهُ كافية والبستاني قريب ٠ فاسرعت انا لجلب الامر بالقبض عليها فوجدت ان لا بدَّ من معاملات قانونية كثيرة يقتضي العمل بها كلها ساعات فتممت بعضها وعدت الى المنزل مسرعاً وكانت الشمس قد غابت وكاد الليل يرخي سدولهُ فلا يرى المرء امامهُ الى اكثر من ثلاثين خطوةً ولم اكد اسير طويلاً حتى سمعت صوت موترسيكل مقبلاً نحوي بسرعة فائقة فحدت من الطريق قليلاً لكي لا يصدمني واذا انا بهذه الفتاة وهي حاسرة الراس وشعرها محلول تعبث بهِ الريح فمرت امامي كالسهم فرأيت في لحظة كل ما يمكن ان يحدث من نجاتها ونظرت الخطر الذي يحدق بنا و بحلفائنا من معرفة الالمان للسر الذي افشيتهُ لها ٠ وفي اللحظة الثانية كان المسدس في يدي ورصاصتان خارجتان منهُ فسمعت صرخةً وصوت آلة وقعت ثم سكوت تام ٠ ولما وصلت الى الآلة وجدتها في الخندق الى جانب الطريق وتلك الجاسوسة الخائنة مطروحة لا حراك بها ٠ و بينما انا واقف مذهولاً وصل صاحب المنزل يلهث واخبرني انها نزلت من شباك غرفتها متمسكةً باغصان اللبلاب المتعرش عليها واسرعت الى الموترسيكل وركبتهُ قبلما استطاع ان يلحق بها ٠ ووصل حينئذٍ الجنود الذين كانوا آتين للقبض عليها فقبضوا عليَّ

وقد طُلب مني وقت التحقيق ان اشرح واقعة الحال فلم استطع لئلاَّ افشي سر الهجوم قبل وقوعهِ والآن عرفتم قصتي كما هي وانا معترف بذنبي الاكبر وهو افشائي سراً كان الواجب عليَّ ان لا افشيهُ لاحد ولكنكم لا تحاكمونني الآن على هذا الجرم بل على جرم آخر وهو قتلي لهذه الجاسوسة اما انا فكنت اعد نفسي مجرماً اكبر جرم لو لم اقتلها

والآن اترك امري في يدكم فاذا برأتموني فاني ارجو ان اكفر عن ذنبي الاكبر حيث يصح التكفير عنهُ وعسى ان القى منيتي هناك فاستريح من تونيب ضميري واذا لم تبرئوني فاني ارحب بالعقاب الذي تعاقبوني بهِ مهما كان

حياة الامم بالعلم

اطلعنا على خطبة بليغة لاحد روساء مجمع تقدم العلوم الاميركي تلاها في اجتماع ذلك المجمع الاخير جعل موضوعها لزوم البحث العلمي لحفظ كيان الامة وقال فيها ما خلاصتهُ

اذا شاءت الامَّة الاميركية ان لا تموت وتتلاشى وجب عليها ان تزيد قوةً وكفاءةً اجتماعيًّا وصناعيًّا وسياسيًّا واذا شاءت ان لا يعتدي عليها غيرها ولا تغل يدها بتعرُّض الاجانب لها او تسلُّطهم عليها فالواجب ان لا تتوكَّل ولا تترك امورها لتصاريف الزمن ولهذا السلْم الذي ليس لهُ سياج منيع من القوَّة

فقد رأينا امم اوربا ماسكاً بعضها بخناق بعض تتجالد وتتفانى كانها الوحوش الضارية لا تحجم عن قتل ولا عن تخريب ولا تأخذها رأفة ولا شفقة . حرب ضروس ونار آكلة وقودها الرجال والاموال ورمادها شقاءٌ تعجز عن تصورهِ العقول

ديست العهود ومزّقت المواثيق وامتُهنت شرائع الله وشرائع الناس ولم تبقَ الاَّ شريعة السيف . افلا يحتمل ان توجَّه بعض هذه القوى يوماً ما نحو اميركا فتفوّق اليها سهام الغزاة الطامعين في الاستعمار واذا حدث ذلك فهل نحن من المنعة في حرز حريز

كثيرون من قومنا لا يرون رأي القائلين بالتأهُّب للحرب حاسبين ان في الضعف قوَّة . ولا يُكسَر الاَّ الصلب وان علينا ان ندعو الناس الى التآخي لا ان نلبس عدة الحرب ونبرز الى ميدان القتال

لا شبهة ان الحرب مكروهة لذاتها ولا رغبة لنا فيها ولكن لا شبهة ايضاً ان الامة التي لا تستطيع ان تمنع اعتداء الغير عليها في هذا الزمن يزول شأنها ولا يبقى لها مقام بين امم الارض

ومن لا يذدْ عن حوضهِ بسلاحهِ يهدَّم ومن لا يتقِ الشتمَ يُشتمِ

فاول ما يُطلَب منا لانفسنا ونوع البشر عامَّةً ان نقي انفسنا ونجعل ابناءنا قادرين على وقاية انفسهم والاحتفاظ بما لهم من الحقوق والشرائع والقوانين

وعلى صحة افراد الامة وقوتهم تتوقف سلامتها و يتوقف استمرارها على السير في سبل الارتقاء . فلننظر الآن الى بعض الشواهد الدالة على ان قوتنا آخذة في الانحطاط عسى ان ذلك يلجئنا الى ان نطلب من حكومتنا تعيين لجنة مؤلفة من خمسة عشر رجلاً من اكبر رجال العلم واشهرهم تبحث في اسباب ضعفنا وتشير بما يزيل هذه الاسباب و ينيلنا القوة التي نحتاج اليها

ان التقدُّم في العلوم والفنون والاختراعات قد اراحنا من كثير من المشاغل العقلية والمتاعب الجسدية فاعطانا الصحة والراحة والرفاهة ومهَّل علينا اكتساب العلوم والفنون الى حدٍّ لم يخطر على بال اسلافنا. وازال من سبيلنا كثيراً من المخاطر واطال اعمارنا وذلك كلهُ من الفوائد التي نعترف بها شاكرين

ولكن المشاغل والمتاعب نقصت من بعض الوجوه وزادت من غيرها وعمراننا لم يقتصر على جلب المنافع بل جلب ايضاً بعض المضار لانهُ عوَّدنا عادات تفضي الى المخاطرة والمجازفة وضعف الاجسام

الاَّ ان البعض ينظرون الى المنافع ولا ينتبهون للمضار فاذا رأوا قلَّة الوفيات وزيادة متوسط العمر حسبوا ان الامة آخذة في النمو عدداً وقوةً ولكن لو انعموا نظرهم لوجدوا ان قلَّة الوفيات ناتجة كلها تقريباً من قلة وفيات الصغار وهؤُلاء كانوا يموتون بامراض عارضة تعرض لهم فقلَّت وفياتهم بمقاومة هذه الامراض لا بزيادة في قوة بنيتهم فكأننا قللنا وفياتنا لا بتقوية اجسامنا بل بتجنب بعض اسباب الموت

اننا نباهي بما نلناهُ من الغنى الوافر واسباب الراحة الناتجة عن تسهيل الانتقال والاعتماد على الآلات في عمل الاعمال . ولكننا افرطنا في ذلك فنتج عن افراطنا ان زادت مشاغلنا وصرنا نحاول ان نعمل كل اعمال الحياة ونجمع كل مسراتها في سنين قليلة فنفرط في الاكل والشرب واللعب كما نفرط في العمل فزاد ضعاف الابدان منا وزيادتهم مطَّردة

ثم ان شدة اعتماد افرادنا على انفسهم قوَّت فيهم الاثرة والانانية فصار الواحد منهم لا ينظر الى الامور الاَّ حيث تأول الى راحتهِ ورفاهتهِ فداس القيود والقوانين التي تقيد حريتهُ الشخصية ولو كانت من قوانين الصحة . ومن استقلَّ بنفسهِ ولم يعنَ الاَّ بها ابطل الاهتمام بامتهِ وحسب انهُ غير مديون لاحد بشيءٍ فيخشى ان تطلبهُ بلادهُ في ساعة الشدة ليدافع عنها فلا تجد منهُ معيناً لانهُ فقد عاطفة الاجتماع والنعرة القوميَّة وصار همهُ كلهُ موجهاً الى راحتهِ ورفاهتهِ فما فائدة الامة من رجل مثل هذا

والناس الذين هذا شأنهم هم الذين يكثر فيهم الانتحار او قتل الغير لان قيمة الحياة زهيدة في عيونهم

ومما يجب ان لا نغضي عنهُ ان تفانينا في عدم اضاعة الوقت جعلنا شديدي الاهتمام ضعيفي الاجسام لان الذي يخاف ان يضيع دقيقة من وقتهِ يبطل المشي والحركة فصرنا كلنا

نُسرع في سيرنا ونعجّل في اعمالنا واقوالنا وابطلنا اساليب المعاشرة والمفاكهة القديمة وابطلنا معها التبصر وإعمال الفكر وصرنا نوجز في كل شيء ونبدي احكامنا باسرع ما يمكن وتملكتنا ملكة الضجر والحدة فاثّرت في موازنتنا العقلية وهذا سبب ما نراهُ من ازدياد التهيج العصبي · ولا بدّ من ان يؤثر هذا التهيج في اعضاء الجسم الرئيسة كالقلب والشرايين والكليتين ولا سيما في المجموع العصبي كلهِ فكيف يقوى اناس اصيبوا بهذه الافات على دفع اعدائهم والذود عن حوضهم

وقد كان لتقليل الاعمال الجسدية اثر سيء في حياة الامة فان الملايين منا ولدوا من آباء عاشوا عيشة خلوية صحية لكنهم لم يقتفوا خطوات والديهم بل اقاموا في المكاتب والمخازن والمعامل حيث لا سبيل لاجهاد اجسامهم ولا لترويضها ولا لتشغيل عقولهم · وقد قلّ العمل البدني حتى في الارياف فكانت نتيجة ذلك كلهِ ضعف الابدان وتعرضها للامراض وسيزداد هذا الضعف رويداً رويداً بازدياد المكتشفات والمخترعات التي يختصر بها الوقت ويُغنى بها عن التعب

اذا دُعي الناس ليحاربوا ويدافعوا عن وطنهم فاول ما يُطلَب منهم ان يكونوا اصحاء اقوياء ولذلك يُنتقَون انتقاء ويرفض كل من كان ضعيفاً منهم ويطلب من القوي ان يتولى الدفاع عن الضعيف ولكن نظامنا الصناعي آل الى اضعاف ابداننا كلنا · ففي الولايات المتحدة ٢٨ مليوناً سنهم بين ١٨ و ٦٠ وثمانية ملايين ونصف مليون منهم مصابون بامراض في اعضائهم الرئيسة فعلاً او ظهرت فيهم بعض اعراضها ولا يحتمل ان تتوقف هذه الامراض او تشفى الاً اذا جروا على قوانين الصحة في معيشتهم · ومعلوم اننا اذا نظمنا جيشاً كبيراً للدفاع عن الوطن وجب ان ننظمهُ من هذه الطائفة طائفة العمال ومن اقويائهم لا من ضعفائهم واساليب الحرب الحالية تستلزم ان يكون الجندي على تمام القوة البدنية والعصبية فكيف يصلح لها رجال الفوا القعود والسكون ولم يتمرنوا قط على تجشم المشاق

أختير في الصيف الماضي جماعة من اهالي بتسبرج ليسيروا سير الجنود فوصف بعضهم ذلك السير قال

« سرنا سيراً حثيثاً مسافة اميال ودببنا على الارض كما يفعل الجنود في ميدان القتال الى ان أصبنا بالدوار من شدّة الاعياء · فان مَن يزحف على بطنهِ مسافة ميل او يعدو حاملاً ٣٨ رطلاً وهو يطلق بندقية ثقلها ثمانية ارطال بعد ان يكون قد قطع مسافة طويلة لا يكون عملهُ الاَّ شاقاً ولو لم تنفجر القنابل فوق رأسهِ

« والاعتماد هنا على القوة البدنية وقد ثبت لنا حينئذٍ ان هذه القوة تنقصنا كامة فان جماعتنا كانت منتقاة من المصارعين ولاعبي الكرة والصولجان وكرة القدم والاساورة صيادي الوحوش الضارية وامثالهم وقد مُرّنت على الحركات العسكرية شهراً كاملاً ومع ذلك لم نستطع ان تسير كلها اكثر من عشرة اميال ولكن الفرقة الثلاثين من الجيش النظامي سارت حينئذٍ ٣٢ ميلاً ووصلت وموسيقاها تعزف ولسان حالها يقول هكذا يكون الرجال »

فان كان الرجال الاشداء الذين تطوعوا وتمرنوا شهراً كاملاً لم يستطيعوا ان يجاروا الجيش النظامي بوجه من الوجوه فكم من الزمن يلزم لتمرين عامة السكان الضعاف الابدان على مجاراة الجيوش النظامية ومحاربتها

واساليب المعيشة الحالية قد اضعفت اعضاءنا الرئيسة القلب والشرايين والكليتين واعضاء الهضم . فكثرت الوفيات الناتجة من ضعف هذه الاعضاء وهذا يدل على ان الضعف اخذ يستولي على الامة كلها ولا بدَّ من المبادرة الى مقاومته

وقد قلَّ عدد المواليد ولكن ما كسبناهُ بتقليل موت الاطفال لا يوازي ما خسرناهُ بقلة المواليد . واقوى اسباب هذه القلة الاحجام عن الزواج فقد ظهر بالاحصاء الاخير ان عندنا ١٧ مليوناً في سن الزواج من الرجال والنساء وهم غير متزوجين فيجب الاهتمام بذلك وبكل ما يصلح النسل

ثم لخص الخطيب ما ذكرهُ في هذه الخطبة وما لم يذكرهُ فيها من الدلائل الدالة على ضعف الامة الاميركية ناظراً الى غرض واحد وهو المبادرة الى تلافي هذا الضعف وتقوية الامة لا لكي تعيش عيشة هادئة مطمئنة ولا لكي تزيد راحتها ورفاهتها ولا لكي تكون قدوة لامم الارض في إجراء العدل والانصاف بل لكي تستطيع ان تقهر غيرها اذا حاول الاعتداء عليها

بلاد يزيد سكانها الآن على مئة مليون من النفوس وهم من اغنى الناس واعلمهم وامهرهم يقف رئيس جمعية علمية فيهم ويخطب خطبة طويلة مغادها التأهب للحرب

لا حول ولا قوة الاَّ بالله اين خطب رؤساء المجامع العلمية التي لم تكن تشير الى الحرب بكلمة بل كانت تدور حول ابعاد النجوم وتسلسل الحيوانات وتولُّد قوى العقل وتحوُّل قوى الطبيعة ونشوء الاديان وتواريخ الامم وعادات الشعوب وعوادي الادواء واساليب الشفاء ووسائل الانتقال وجواهر المادة ونظام الكون

اين خطب مؤتمرات السلام التي كانت تمنينا بيوم تزول فيهِ الحروب وتنقطع الخصومات ويفصل في كل خلاف بين الامم بالتحكيم الى ان يستولي الاخاء العام على نوع الانسان

اين مواعظ الكنائس والمعابد التي كانت تعلّم الانسان ان يحب قريبهُ كنفسهِ وان الناس كلهم اخوة من دم واحد ويجب ان يعامل كل احد غيرهُ كما يريد غيرهُ ان يعاملهُ

اين تعاليم الحكماء والفلاسفة ومشترعي الاديان . ماذا اصاب نوع الانسان في هذا العام والذي قبلهُ . ماذا فعلت المانيا بعقول الناس . أكان كل الفضلاء في العصر الماضي والعصور الغابرة منافقين مخاتلين يبسطون طلاء كاذبًا على نفوس وحشية ويلبسون ثياب الحملان وبواطنهم ذئاب خاطفة . معاذ الله . ولكنْ وباء معديًا تولّد في المانيا وجنونًا مطبقًا نشأ فيها وترعرع وانتشر منها الى كل اقطار المسكونة كما ينتشر الطاعون اوكما تنتشر بعض انواع الجنون . ولا بدَّ من ان يفيق الناس من سكرتهم ويروا ما فعلوا بعضهم ببعض فيجدوا انهم يتقاتلون على عَرَض فانٍ وان غاية ما يصلون اليهِ ويبقى لهم اشبار من الارض يضطجعون فيها

الانسان ازاء المدنية (1)

ايها السادة

عندما وقفت هذا الموقف منذ خمس سنوات ما كنت اظن اني ساعود اليهِ اليوم ولكن الجمعية الكريمة رضيت عني على ما يظهر فلم تنسَ دعوتي الى حفلاتها التالية عامًا بعد عام ولم تبرح حتى اضطرتني الى الخضوع ايضًا هذه المرة فعدت اليها شاكيًا منها شاكرًا لها . بل كيف اشكو منها وقد هزَّني الشوق اليها واليكم يا كرام طنطا فجئت اشهد عن كثب فلاحها واظهر اعجابي بثباتها ومع الاسف العظيم ان آمالي لم تتحقق تلك الآمال التي عقدتها في خطابي السابق ان تكون هذه الجمعية مدرسة للشرقي يتعلم فيها قيمة الاتحاد فيتشبه بها . فقد مرَّت السنون كالحلم وليس لهذه الجمعية اخوات في القطر المصري تنشأ مثلها للاحسان فتجمع تحت لوائها من كل عقيدة ويمشي فيها الناس جنبًا الى جنب على اختلاف المذاهب والاديان ولم ارَ حتى الساعة في غير طنطا من تجرأ ان يظهر في هذا المظهر كأنهُ كُتب على الشرقي ان يظل في انقسام الى آخر الايام

(1) خطبة القاها حضرة الدكتور نقولا فياض في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا في ١٤ مايو سنة ١٩١٦

وما اخص بالرجال شكري واعجابي بعد ان رأيت في هذا الاجتماع من همة السيدات وانضمامهنَّ الى هذا العمل المبرور ما يشدّد الامل في النفس ويمهّد للفكر سبيلاً الى الرضى والتعزية فانتِ يا سيدتي رفيق هذا المجاهد وكل خدمةٍ منك في هذا الجهاد هي درع من العفاف تنسجهُ يدك الجميلة لاخيك البائسة . وما احراك ان تكوني رسول التساهل والاتحاد والوئام انتِ التي انهموها ظلماً من خلال العصور بكلّ تعصّب وخصام . وما عساي ان اقول فيكِ من جديدٍ لم يقلْهُ من قبلي كاتب او خطيب حسبي يا سيداتي ان النور الذي اشرق في هذا النادي قد وصل الى قلبي شعاعٌ منهُ . وهذه الرؤُس الجميلة الساطعة الاقمار الضاحكة كالازهار قد تركت في رأس هذا العاجز نشوة سرور وامتنان ، فالسلام عليكنَّ وعلى ما تحملْنهُ من الاحسان ، هنا وفي كل مكان

وما اكتم عنكم العناء الذي لقيتهُ في اختيار موضوعٍ أطرف بهِ جمعكم هذا المساء فقد ترددت طويلاً بين السياسة والطب والشعر . اما السياسة فلم آنس من النفس ارتياحاً اليها ولم اظفر من الذهن بحومة عليها . واما الطب فلم يخلق للمنابر كما تعلمون واني ار بأُ بنفسي ان اكون ساقياً يدور عليكم بجرعة من المنومات في ساعة هي وايم الحق للّهو والادب لا للنوم والغطيط . واما الشعر فقد مضى العهد بهِ . ايام كان القلب شديد الخفوق والفكر محلقاً في سماء الخيال ولم يبقَ اليوم بعد ان همدت جذوة الشباب وتبددت احلام الصبي الأ ان يطرح الكاتب سلاحهُ ويطوي هزار الادب جناحهُ

حينئذٍ تمثل امام عيني المشهد الهائل الذي يقيم العالم المتمدن ويُقعدهُ منذ عامين . اعظم حرب خاض غمارها اعظم البشر عدة وعديداً . فقلت في نفسي ماذا جرى لابن آدم فهذه الملايين التي تتفانى هي زهرة ارتقاء العصور وهذه الآلات الفتاكة هي بنت التقدم والاختراع والسعادة بالعلم وهذا الرجل الذي يطلق النار على اخيهِ ويعمل فيهِ السيف وينفث حولهُ السم كان بالامس في مكتبهِ يدعو الناس الى الرحمة والحب او في معملهِ يسعى الى اختراع ما يخفف الالم ويزيل الشقاء ويطيل الحياة على الارض . فما هذا التناقض وكيف اختلَّ ذلك النظام ؟ الم يكن التقدم الأ وهماً والرقيُّ الأ حلُماً وذلك البناء الشاهق الذي شيدهُ العقل البشري على مدى العصور الأ بيتاً من العنكبوت . هل افلس العلم وضاعت آمال البشرية الراقية . هذه التأملات شغلتني حيناً عن موضوعي ثم ساقتني اليهِ من حيث لا ادري فقلت أحدثهم عن العلم ازاء التمدن عما عمل العلم وما سيعمل صفحة من تاريخ البشرية

امرّ فيها بسرعة البرق على الاطوار التي تقلب فيها هذا الموجود والمظاهر التي تعددت عليه منذ انبجس له الوجود مستنتجاً ما اردت استنتاجهُ ان العلم لم يفلس قط وهذه الزوبعة العاصفة في العصر العشرين ستزول كما زال غيرها في سالف العصور . والانسانية لا تزال قائمة . تقدمها دائم . ورقيها في اضطراد . الى ان يقطع الانسان المسافة الباقية لهُ على الارض . فيعود الى الظلمة التي خرج منها

لو أُعطي لنا ان نخرق حجب الزمان الغابر . ونطلّ على لجة الماضي العميق . لبدا لنا دبيب الانسانية في حال الطفولة وسمعنا صياحها في معترك الجهل والشقاء . لا اذكر لكم الارض من يوم كانت كتلة من السديم المائر . او جذوة نار سائلة . الى قشرة باردة . تغمرها سيول الامطار . ولا الحياة من اضطراب الخلية الاولى في ظلمات البحار الى اسمى مظاهرها الحاضرة . بل نتبع الانسان منذ ظهر على الارض . عاري البدن عاري العقل خمسون الفاً من السنين على حساب البعض ومئة الف او مئتان على رأي البعض الآخر قضاها هذا المسكين في تلك الحالة الفطرية بين اشجار غريبة باسقة . وحيوانات ضخمة هائلة سلاحهُ الحجر . ومأواهُ الغابات والكهوف . ليل طويل مدلهم الظلام . مملوء من الفقر والآلام . لم يؤتَ فيهِ الأ القليل من الخبرة والقليل من الصناعة والقليل من النظام . ثم اخذ الموج البشري يتدفق على الارض متعاظماً عصراً بعد عصر هادماً بالصبر الطويل كل حاجز في طريقهِ حتى ضاقت الارض بالسلائل البشرية فمشى الانسان شمالاً ومشى جنوباً قاطعاً القفار المحرقة والثلوج الخالدة الي ان قامت الممالك فوق الممالك وامتزجت الامم بالامم فتحضر الانسان وغلت مراجل الحياة في الشعوب وتبدل وجه الارض بتأثير الايدي العاملة وانتشرت فوقها مظاهر العمران فقامت من كل جانب الابنية والهياكل . والمدن والمعاقل . بينما كان الفاتحون الغزاة يمرون على مسرح الاجتماع . سكارى بخمرة الفوز والاطماع . تاركين وراءهم شعاعاً من المجد وسيلاً من الدماء

هكذا درج الانسان من مهد الطفولة . وقد ارتقى شعوراً واكتسى بالتدريج عقلهُ خبرةً وفؤادهُ نوراً . كان فقيراً فصار غنيًّا وجاهلاً فاصبح عالماً وضعيفاً فصار قويًّا . ولو اردنا في هذه النظرة القصيرة التي القيناها على الماضي الطويل ان نعرف اين تجلت مظاهر تلك القوة وذلك العلم والغنى . لبدت لنا صفحات التاريخ كشاهد الصور المتحركة فمرت من امامنا الامم والاجيال تباعاً تتناوب حمل مصباح التمدين يسرجهُ كلٌّ بدورهِ . ثم يدخل في ظلمات الماضي و يبقى المصباح وهاجاً منيراً

هذه مصر في طليعة تلك الامم . مصر وطن الآلهة . مصر واهرامها وتماثيلها وعمدها وازدحام الشعوب في ساحاتها . هياكل ضخمة . شرائع قاسية . تقاليد راسخة . عقول غارقة في سبات عميق

وهذه صور وصيداء . مهد الفينيقيين . تجار البر والبحر . طلاب المال والفخر . ثم اشور ومدنها الفخمة . وملوكها الطغاة . تخمهم الولائم . وتنفخهم الكبرياء . في قصور مذهبة . تحميها الثيران ذات الاجنحة . ثم الهند مهد الاحلام . ومطار الخيال قاتلة الارادة والالم والشعور . ثم الصين وراء سورها المنيع . عاملة بالصبر والحكمة محتقرة كل غريب . مسرعة في سيرها . مسرعة في نومها

في تلك الايام يا سادة بلغ العلم في بعض فروعهِ درجة يكاد يحسده عليها العصر الحاضر . وهذه آثار المصريين في التحنيط والبناء شاهدة على ما كان عليهِ علم الكيمياء والهندسة لذلك العهد . حسبكم هرم الجيزة فانهُ حير عقول العلماء بما فيهِ من دقة الوضع واحكام البناء فان سطوحهُ متجهة الى جهة الخوافق الاربع بضبط لا مثيل لهُ . وقاعدتهُ الصخرية مشيدة باتقان يحملنا على التساؤل ما هي العدد التي استعملها مهندسو تلك العصور . وزوايا الانحناء في الجهات الاربع بالغة من الكمال في الصنعة ما يتعذر على مهندسي اليوم وعلمائهِ الوصول اليهِ

والى جانب هذا العلم الراقي كانت الحرب اتوناً دائم الضرم اذا خبت نارهُ من جانب شبت من جانب . وآثار مصر ونينوى وبابل تقص علينا اهوال تلك الغارات الدموية وفظائع ذلك الحكم المستبد الظالم . ولولا الهند لم يسمع العالم القديم كلمة رحمة ولم يسطع في ارجائهِ شعاع للمحبة . قيل ان بوذا خرج يوماً للنزهة فصادف في طريقهِ فقيراً ومريضاً وميتاً ولم يكن قبلاً قد رأى مثل هذا المشهد المحزن فعاد ادراجهُ الى القصر وسأل اباهُ الملك ألم يكن في طاقتهِ منع الفقر والمرض والموت فاجابهُ ابوهُ انك تطلب مني المستحيل يا بنيَّ . وكان هذا الجواب كافياً للامير ان يتبين بطلان تعاليم البراهمة . فاعتزل لساعتهِ العالم وانقطع للتأمل والبحث عن الحقيقة . ومن هذه العزلة خرجت تلك الديانة القاتلة لشهوات الانسان واحساسهِ . ومن هذه العزلة ارتفع صوت يقول بغرور الحياة . وبين مفاسد العصر القديم قام رجل يدعو الناس الى تجافي مضاجع السرور واللذة قائلاً الرغبة بالتأمل! والتأمل بالغيبوبة والغيبوبة بالفناء حتى يصل الى الغاية القصوى من الخير وهي « السذفانا » اي العدم . رسم بوذا للعالم القديم طريق الخلاص كما رآها وقال لهُ : لا تنسَ في هذه الطريق

ان تمدَّ للانسانية يد الاسعاد فترحم كل حيّ وتعفو عن كل مذنب وتنسى كل اهانة وتعامل بالحب والرأفة والجود اخوانك في هذا الوجود

هكذا كانت الامم تمثل ادوارها على ملعب الحياة . عند ما انبثق فجر المدنيّة اليونانية من ضفاف المتوسط فامتدت شعلة الفكر الى كل صوب وسطع نور الجمال في كل افق وتجلت الحرية على عرشها الكريم فشعر الانسان لاول مرة بما في الحياة من جمال . والوجود من عظمة وجلال

وجاءت رومة ملكة العالم . ممدنة البرابرة . فاقامت الابنية الواسعة وخطت الطرق التي لا تمحى رسومها . ووضعت ذلك النظام الاجتماعي العظيم وتلك الشرائع التي لا تزال تهتدي بنورها حكومات العصر الحاضر . وجمعت تحت لوائها الامم أحلافاً متضافرة كأنها أسرة واحدة من ضفاف الاتلنتيك الى شواطئ الفرات ومن مجاهل الشمال الباردة الى صحارى افريقيا المحرقة وهكذا انتشر السلم الروماني مخيماً برواقه فوق غنى العالم القديم

الى هنا انتهى الشوط الاول من الرقي وكأن الانسان تعب من فرط ما عمل فاتخذ لنفسه فترة سكون ونام . فلما استيقظ كان ذلك البناء الشاهق قد تداعى بعد ثلاثة قرون داواها في البذخ والبسط والفساد . فجاء البربر واكتسحوا رومه العظمى وبددوا شمل تلك الشعوب الرائعة في بحبوحة العز . ولكنهم لم يقووا على هدم شرائعها ومحو لغتها بل سرت فيهم روحها الى مدة فابتلع المغلوبُ الغالبَ وبقيت تلك الاحكام تدير دفة الرقي واخذ الانسان من غير ان يشعر ينتقل من حال الى حال قاطعاً بالتدريج الشوط الثاني وهو ما يسمونهُ بالعصور الوسطى . وكلكم يعلم ما كانت عليهِ تلك العصور

ثم اشرق فجر جديد للفكر البشري لم تقوَ المشانق على اخفاء نوره ولم تتمكن النار التي التهمت ضحاياهُ الكثيرة من حجب ضيائهِ بل كان صوت الحقيقة يعلو كل صوت من افواه شآبها الالم . فطار العقل في فضاء الحرية والابداع وارتقت الانسانية بين الحكمة والجنون والعدل والشقاء والسياسة والطمع فاهتدى الانسان الى دورة الارض ودورة الدم واستكشف ناموس التجاذب وعدَّ النجوم وقاس الابعاد واستخدم البخار وكان كل خطوة منهُ فتحاً مبيناً . كأن العصر الثامن عشر قام قومة واحدة ليدفع الانسانية في طريق الارتقاء . وما زالت العلماء تبحث والفلاسفة تنقب والادباء تكتب والعالم كلهُ يتمخض حتى ولدت الثورة الفرنسوية ولم تكن فقط ثورة في السياسة بل في الافكار فجاء القرن التاسع عشر تاجاً على هامة القرون . واذا رجعنا اليوم قليلاً الى الوراء لا نكاد نصدق انهم آباء

هذا الجيل اولئك الذين كانوا من قرن ونصف قرن يسترقون الانسان ويذيقونهُ الذل ضروباً . ويعذبون من خالفهم في العقيدة تعذيباً . ولا يرون في الجور والاعتساف والقتل امراً غريباً

ايها السادة . هذه المسافة التي وصفتها لكم في بضعة اسطر جازها الانسان في بضعة آلاف من السنين . وهي مدة قصيرة بالنسبة الى الزمن الذي طواهُ جهل الفطرة . واما الخطوة الكبرى التي يحق لنا ان نسميها خطوة الجبابرة فقد كانت في الخمسين سنة الاخيرة . فقد فتح العلم فيها مغالق الارض والسماء فعرف الانسان عمر هذه الكرة والكائنات التي عاشت عليها وشهد مولد العوالم من السديم المائر الى النجم الساطع ورسم مكان الكواكب والافلاك التي تدور فيها وحلل نور الشمس وغيرها من ملايين السُرُج المستطيرة في الفضاء حتى تلك التي تحتاج اشعتها الى مئات من السنين في اللأنهاية قبل ان تصل الى مرصده على الرغم من سرعتها الهائلة

وخضعت لهُ قوى الوجود فصرَّفها كيف شاء من حرارة الى نور الى كهربائية . فحوَّل الشلالات الى قوى تحمل الخصب والحياة الى الاراضي المقفرة وامتطى قبَّة الفلك وخاض في احشاء البحار قاطعاً اوربا بثلاثة ايام والعالم بثلاثة اسابيع كانهُ من آلهة هوميروس تطوف السماء بثلاث خطوات

وجعل للاجسام الكثيفة شفوفاً تخرقهُ الابصار وحول الليل الى نهار واحيا الميت بالتمثيل صوتاً وحركةً ولباساً وقبض على عنان البرق فجعلهُ رسول افكاره يسيرهُ حيث شاء . واذاب الحجر الصلد وبخَّرهُ واسأل الهواء وجمَّدهُ . وبعد ان كانت الكيمياء سبيلاً الى قضاء طمعهِ لا يعرف ان يسألها غير الذهب وهي تضنُّ بهِ عليهِ فضَّ اسرارها فعدَّ ملايين الجواهر الفردة التي تتألف منها نقطةُ الماء وحبَّة الملح وقرَّب بين الاجسام المتباعدة وقلَّد الطبيعة وفاقها احياناً في اختراع الروائح وتصوير الالوان

ولم يلهِهِ ذلك عن النظر في شؤُون نفسهِ الخاصة فقرأ آيات الدم الجاري والقلب الخفَّاق والدماغ الآمر والعضل المنقبض والرئة التي تتنفس والمعدة التي تهضم . وتغلغل في اعماق المادة بما اخترعهُ من المناظير والمكبّرات فاشرف على تلك الكائنات المتناهية في الصغر التي تشهر عليهِ في الخفاء حرباً دائمة وادرك اي سلاح قلدتهُ الطبيعة للدفاع عن نفسهِ في صدر هذا العدو الجرَّار . واذا حق للطب اليوم ان يفتخر بما وصل اليهِ من الارتقاء فرجع الفخر الى الكيمياء التي شقت لهُ الحجاب عن هذا العالم الجديد بما كشفتهُ من اسرار

الاختبار . واذا قلت الطب فلا اقصد بهِ وسائل التشخيص والعلاج فقط بل الجراحة ايضاً . نقد كان الجرّاح فيما مضى لا يقوم على اجراء ادنى عملية تخوفاً من عواقبها الوخيمة واقلها الغنغرينا والموت ولم يكن من فرق يذكر بين المزيّن والجراح وكثيراً ما قام الاول بعمل الثاني . اما اليوم فقد صار الجراح بفضل التطهير والتعقيم يفتح البطن والجمجمة والصدر ويطل على المخ والرئة والقلب ويستأصل العظم والرحم والاحشاء ولا يخطئ مشراطهُ الشفاء وعلى علم المكروب هذا موقوف امل الاطباء بدفع اذى الامراض كلها كما سأبينهُ لكم فيما يلي

قلت في بدء خطابي انني لا احب ان اسقيكم منوماً فلا تحسبوني ناسياً ما قلت . ولكنني طبيب قبل كل شيء وشرف الصناعة لا يسمح لي ان امرّ على الديار ولا اسلّم . وان هي الاّ وقفة قصيرة اشهد فيها معكم حرباً عواناً لا تقل هولاً عن الحرب الحاضرة الاّ انها خفية لا تراها العين ولا تسمع فيها الاذن لعلعة المدافع ودوي القنابل المتفجرة وهذه الحرب ليست في الخنادق تحت الارض ولا بين الخافقات في الجو او الحراقات في البحر ولكنها في جسم الانسان

الجسم الانساني ميدان واسع يخترقهُ كثير من المجاري وكثير من الخيوط . اما المجاري فهي الاوعية من شرايين واوردة تنقل الى جميع نواحيهِ الغذاء والدواء بفضل الدم الجاري فيها . واما الخيوط فهي الاعصاب ممتدة كاسلاك الكهربائية تنقل الشعور الى المركز النخاعي الشوكي مقرّ القيادة العامة وترجع عنهُ بالاوامر الى سائر الجهات . ويحيط بهذا الميدان عدو عنيد شديد الخطر اسمهُ المكروب يحاول اخذهُ على غرّة حيناً عن طريق الجلد وحيناً عن طريق الاغشية بالغذاء نتناولهُ او الهواء نستنشقهُ

فاذا عرفتم ان كمية الدم الدائر في الجسم لا تربي على خمسة لترات وان دورتهُ تتم في بضع ثوان فيمر بالرئتين في اليوم الواحد عشرون الف لتر من الدم تبين لكم السرعة الهائلة التي يغزو بها المكروبُ الجسم اذا اتيح لهُ الدخول اليهِ . ولكن هذا السائل الاحمر يحتوي على كريات بيضاء وظيفتها الدفاع عن الجسم وهي في نسبتها الى الكريات الحمراء عدداً على حد قول الشاعر

تعيرنا انَّا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليلُ

هذه الكريات مستقلة في عملها . اي ان الدم لا يستطيع حملها في تيارهِ اذا هي أبت ذلك فتتشبَّث بجدار الاوعية وتغير شكلها بما لها من خاصية التمدد فتصير متطاولة بعد

ان كانت مستديرة وتنفذ الى الخارج لتصد العدو الغازي ولا تقتصر مهمتها على صد العدو فهي تتلقف في طريقها كل جسم غريب . ومنها ما يسطو على خلايا الجسم التي يصيبها الهرم فتبتلعها وتنظف منها ذلك البناء

ولهذه الكريات مستودعات ومصانع تذخر فيها . منها العقد اللمفاوية والغدد والكبد وغيرها. فهذه المصانع هي اشبه شيء بالقلاع والحصون منتشرة في اكناف الجسم يرابط فيها جيش عظيم من الكريات ليدفع في صدر العدو المهاجم ويقطع عليهِ خط الرجعة . واهم هذه القلاع الكبد فهي من المناعة بمكان لا يستخف بهِ ويحق لنا ان نسميها « فردون » الجسم. فكم زحف المكروب بجيشهِ الجرار وضيق عليها نطاق الحصار فلم يفز منها بطائل وحاق بهِ الدمار

فلنفرض الآن ان المكروب جاز الحدود ودخل الجسم عن جرح في اليد مثلاً وشهرت الحرب بينهُ وبين الكريات والخلايا فكيف يكون الهجوم وكيف يكون الدفاع

يتأثر بادئ بدء عصب الجلد الحاس فينقل اثرهُ حالاً الى المركز الدماغي الشوكي وعنهُ يصدر الامر الى الشرايين بواسطة العصب ايضاً ان تمدد وتتسع ليتكاثر الدم فيها وهذا ما يعلل لكم الالتهاب الموضعي واحمرار مكان الجرح . ثم تقترب الكريات البيضاء وتنفذ الى خارج الاوعية وتمد نحو المكروب ما يشبه الايدي فتقبض عليهِ وتجذبهُ نحوها وتبتلعهُ وتسرع في هضمهِ حتى لا يبقى لهُ اثر مستعينةً على ذلك الهضم بمادة خاصة بمصل الدم

وعلى هذا الوجه تنحصر المعركة في نقطة معينة ويقضى الامر . وقد يكون المكروب قويًّا فلا يُغلَب على امرهِ تماماً بل يلبث في حال الجمود الى ان يتوالد ويشتد فيعيد الكرة عند سنوح الفرصة ولكنَّ للكريات البيضاء فرقاً من الحرس تتنقل في خلال الانسجة وترود اطراف الجسم ساهرةً على ما وكل اليها قاعدة للعدو كل مرصد فاذا آنست منهُ ادنى غدر هجمت عليهِ وبطشت بهِ

وهذا الالتهاب الموضعي الذي ذكرتهُ لكم الناتج عن تمدد الشرايين وورود الدم بكثرة الى موضع الالم لا يحدث الاَّ اذا كان المكروب في حال متوسطة من القوة وفي خلاف ذلك فاما ان يكون ضعيفاً فتميتهُ الخلايا الثابتة بسهولة بدون حاجة الى معونة الكريات المتنقلة واما ان يكون قويًّا جدًّا فيفرز من السموم ما يمنع تمدد الشرايين فينتشر الداء في الجسم بدون حدوث التهاب موضعي . فالالتهاب الموضعي هو عمل نافع يحق لنا ان نفرح بهِ لانهُ حاجز دون انتشار المكروب ولكنهُ قد يضرّ احياناً لان الجسم يعبئ من الجيش على غير هدى اكثر مما يلزم فتضيق بهِ الارض على فسحتها وينجم عن ذلك خطر الازدحام اي الاختناق

كما يحدث في امراض الحلق اذ تتورم الحنجرة من عظيم الدفاع وشدة التهيج فيضيق بها التنفس

قلنا ان المكروب اذا كان قويًا جدًا لم يحدث التهابًا موضعيًا لان الكريات البيضاء تعجز عن الدفاع فكلما حاولت الدنو منهُ ردّها بافراز سم خاص كأنهُ الغازات الخانقة فتنهزم من وجههِ ويخلو لهُ الجو للتقدم لكن القلاع التي ذكرتها لكم لم تسقط بعد ولم تسلم وعليهِ ان يخترقها ليسهل عليهِ احتلال الارض الجديدة التي افتتحها . ولنا برهان على قيام هذه الحصون بحق الدفاع فيما نراهُ من تورمها واحتقان الدم والسائل الليمفاوي فيها فجرح اليد مثلاً يحدث ورمًا في العقد تحت الابط . وجرح الرجل يحدث مثل ذلك في العقد الاربية وقس عليهِ . فاذا رجحت كفة المكروب في هجومهِ وتم لهُ اختراق تلك الحصون العديدة اخذ سبيلهُ نحو الاوعية الكبرى حيث الدم في اعظم جيشانهِ فلا يطيب لهُ البقاء في هذا التيار الشديد الأدقائق معدودة ينساب من بعدها الى الشرايين الصغيرة المتشعبة في الاعضاء ويخندق فيها

وهناك تكون الوقعة الاخيرة الفاصلة يبتدئ المكروب بالاستعداد فيتوالد و يتكاثر تكاثرًا هائلاً و يعدّ ذخيرتهُ التي يتكل عليها في احراز النصر الاخير وهي سمهُ الذي يعرقل عمل الكريات و يفتك بها . ولا تقف الخلايا مكتوفة الايدي بل تستعد هي ايضًا مثل ذلك الاستعداد من التكاثر وافراز سم يشلّ بهِ المكروب . وفي هذه الاثناء تكون الخلايا القريبة من خط القتال قد احتملت الهجمة الاولى و بادت سموم المكروب فاخذت هذه السموم تسري في الدم لتضعفهُ الأ انها توقظ الخلايا من سباتها وتنبه قواها الحيوية الى افراز سم جديد يجتمع بهِ للجسم في زمن قصير سلاحان لا مثيل لهما : سم ضد المكروب وسم ضد سموم المكروب . وعلى هذين السلاحين يتوقف سير المعركة اي المرض ونتيجتها من انتصار فيهِ الشفاء او انكسار من ورائهِ الموت ولا يتمكن الجسم من صنع هذه الذخيرة من السلاح بالكمية الوافية والسرعة اللازمة الأ اذا كان نشيطًا مستريحًا وهذا ما يبين لكم منافع الحياة المعتدلة التي لا تنفق القوى فيها سدًى ووجوب الغذاء الكافي الملائم والعلاج الموافق عند الحاجة الى العلاج

ستأتي البقية

النقود العربية القديمة

(٣) نقود الايوبيين في ميافارقين

لمَّا كان الغرض من بحثنا تحرّي نقود الملك صلاح الدين الايوبي وخلفائهِ وضعنا هنا شكلاً خصوصيًّا — نقلناهُ عن كتاب غالب ادهم بك المطبوع في القسطنطينية وفيهِ صور نقود ملوك الايوبيين في ميافارقين — يتضح من وصفها الذي سنأتي عليهِ ان هذه النقود تختلف في نقشها عن مسكوكات الدولة الايوبية المضروبة في الممالك المصرية والحلبية والشامية كما ترى فيما يلي

رقم ١٨٨ : من نقود الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب (ضُرب سنة ٥٨٦ هـ)

وهو يشابه ما نقل بالفوتوغراف عن كتاب ستانلي لين پول واشرنا اليهِ في بداية هذا البحث ورسمناهُ في الصفحة ٥٧ في مقتطف يوليو الماضي ومنهُ قطعتان في دار الآثار بالقسطنطينية

ووصف غالب ادهم بك نقداً غيرهُ من نحاس عليهِ اسم صلاح الدين يوسف بن ايوب وتمثال رجل ماسك بيدهِ الهلال (اشبه بالصورة رقم ١٣ في الجزء الماضي) واسم ناصر الدين محمود بن مسعود. قال وقطرهُ ٢٣ مليمتراً ولم يرسمهُ في كتابهِ بل ذكر انهُ مكتوب في قفاهُ ما يأتي :

. . . . . .

الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب

رقم ١٩٠٫١ — من نقود الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب (ضُرب سنة ٥٩١ في ميافارقين)

على وجههِ : صورة رجل لابس التاج وشعرهُ مسدول على كتفيهِ متوشح بثوب على كتفيهِ — وقد كتب حول رأسهِ : « ضرب سنة احد تسعين »

وعلى دائرهِ : الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب



مقتطف اغسطس ١٩١٦
امام الصفحة ١٣٢

وعلى قفاهُ داخل دائرتين الفلس

لا الـــه الاَّ الله

وحـــده لا شر

يكله الامــــام

النـــاصر لدين

الله امـــير المؤ

منـــين

رقم ١٩٢ - من نقود الملك المذكور (ضرب سنة ٥٩١ في ميافارقين)

على وجهه : صورة طير ما تقدم - وكتب حول الراس « وتسعين وخمسمائة »

وعلى الدائر : « ضُرب هذا الدرهم بميافارقين سنة احد »

وعلى قفاهُ : سيف الدين

لا الـــه الاَّ الله

محمــد رسولـــ

الله الامـــــام

النـــاصر لدين

الله امــير

المؤمنـــين

رقم ١٩٣ - من نقود الملك المذكور (ضرب سنة ٥٩٨ بحران)

وعلى وجهه : وتسعين

الملك العادلـــ

:: — ::

وخمسمائة

وعلى قفاهُ : ضرب بحرانـ

ابو بكر بن ايوب

سنة ثمان

رقم ١٩٤ — من نقود الملك الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل (ضُرب سنة ٦٠٥)

على وجههِ : صورة انسان لابس التاج وعلى كتفهِ فرجية ذات ثلاث طيّات وحول راسهِ « سنة خمسة وسة مائة »

وعلى دائرهِ : الملك الاوحد نجم الدنيا والدين شاه ارمن ايوب بن الملك العا (دل)

وعلى قفاهُ : نجم مسدس في وسطهِ : « لا اله الاَّ الله محمد رسول الله » وفي رواياهُ

الاما | النا | لد | الله | امير | المؤ

الملك | العادل | سيف | الدين | ابو بكر |

بن ايوب

رقم ١٩٦ — من نقود الاشرف مظفر الدين موسى بن العادل (ضرب سنة ٦١٢ هـ)

على وجههِ : صورة انسان جالس وركبتهُ الواحدة فوق الاخرى وعلى صدرهِ كرة بيدهِ اليمنى وكتب حول راسهِ : « سنة ثنا عشر وستمائة » وعلى الدائر : « الملك الاشرف مظفر الدين شاه ارمن ابو الفتح موسى »

وعلى قفاهُ : ضمن دائرة منين

الامام الناصر

لدين الله

امير

المؤ

وحولها : « الملك العاد | ل سيف الدين | ابو بكر بن ايوب

رقم ٢٠٠ — من نقود الملك المذكور (ضرب في سنجار سنة ٦١٧)

على وجههِ : صورة انسان متربع ويدهُ اليمنى على ركبتهِ وعلى رأسهِ هالة وقد كتب حولهُ : « سنجار سبع عشر وستمائة » وعلى الدائر : « الملك الاشرف وشاه ارمن موسى بن ابي بكر »

وعلى قفاهُ : الامام الناصر

لدين الله

امير المؤمنين

الملك الكامل

محمد رسو

رقم ٢٠١ — من نقود الملك المظفر شهاب الدين غازي (ضربت سنة ٦١٨ بميافارقين)

وعلى وجهه :

لا اله الاّ الله

الامام الناصر
احمد الملك ا
لكامل محمد

رسول الله — وحده لا

وعلى قفاه :

ضرب ميا

الملك الاشرف
موسى الملك ا
لمظفر غازي

فارقين سنة

ان النقود التي ضربها الملوك الايوبيون عند تملكهم ميافارقين وما يجاورها من البلاد تشابه كما رأيت نقود الدولة الارتقية والاتابكية واما الصور التي نقشت عليها فتختلف عنها بعض الاختلاف وهي من نحاس ومن نوع نقود التركمان

قال ادهم بك ما معناه ان النقود المرسومة التي عليها اسم صلاح الدين على طرز النقود المذكورة لم ينقش عليها اسم المدينة التي ضربت فيها لكنها أُرخت تقريباً في الزمن الذي فيه فتح صلاح الدين بلاد ميافارقين ولهذا وضعناها في باب النقود التركمانية ولاسيما ان الملوك الذين خلفوه في تلك البلاد ضربوا اكثر نقودهم في ميافارقين على طرز السكة المتداولة في تلك المملكة ومنذ ما ملكها الملك العادل صارت تعرف بالدولة الايوبية في ميافارقين انتهى

اما الاسباب التي لاجلها كان بنو ارتق والاتابكة ينقشون الصور على نقودهم وتبعهم في ذلك الايوبيون اصحاب ميافارقين فكثيرة منها انهم كانوا مجاورين للامم التي اعتادت من قديم الزمان صك النقود المصورة فاحبوا الاقتداء بهم ولا يخفى انهم كانوا في حالة همجية عند تأسيس ممالكهم ولم يكن لهم قاعدة ملك معروفة وكانت الحروب قائمة على قدم وساق بينهم وبين مجاوريهم من الامراء والملوك فلم يتيسر لهم الاهتمام بالمسائل الاقتصادية ولا بجمع الاموال التي تسمح لهم بضرب الدراهم والدنانير من الفضة والذهب . فضربوا النقود النحاسية وقلدوا بها نقود جيرانهم لتسهيل المعاملات التجارية

والظاهر ان قيمة القطعة النحاسية عندهم كانت توازي قيمة الدرهم الفضة المستعمل في

سائر الممالك الاسلامية بدليل انهم نقشوا على كثير منها « ضرب هذا الدرهم » بدلاً من قولهم ضرب هذا « الفلس » كما كان يكتب على النقود النحاسية المستعملة في الشام وحلب ومصر

ثم ان احوالهم تحسنت فيما بعد وكان في استطاعتهم تغيير النقود المصورة ولكن الشعوب التي كانت خاضعة لسلطتهم اعتادت استعمال النقود المصورة من القديم فاقروها على حالها

ومما ذكرنا من وصف مسكوكات بني ارتق رقم ٣ واصحاب ماردين رقم ٨ يُرى ان هؤلاء الملوك اخذوا يذكرون اسم السلطان صلاح الدين الايوبي في نقودهم وذلك حبًّا بالتزلف اليه ولكي ينالوا منهُ المعاضدة عند الاقتضاء لما حدث لهُ من الملك والقوة . بل انهُ جرت بينهُ وبينهم شروط ومعاهدات كما جاء في تاريخ ابي الفداء في حوادث سنة ٥٨١ هـ[1] حيث قال :

« لما رحل السلطان عن الموصل الى اخلاط جعل طريقهُ على ميافارقين وكانت لصاحب ماردين الذي توفي وليها من يحفظها من جهة شاه ارمن صاحب اخلاط المتوفى فحاصرها السلطان وملكها في سلخ جمادي الاولى — ثم ان السلطان رجع عن قصد اخلاط الى الموصل فجاءتهُ رسل عز الدين مسعود يسألونهُ الصلح . واتفق حينئذٍ ان السلطان صلاح الدين مرض وسار من كفر زمار عائداً الى حران فلحقتهُ رسل صاحب الموصل بالاجابة الى ما طلب وهو ان يسلم صاحب الموصل الى السلطان صلاح الدين شهرزور واعمالها وولاية القرابلي[2] وجميع ما وراء الزاب وان يخطب للسلطان صلاح الدين على جميع منابر الموصل وما بيده وان يضرب اسمهُ على الدراهم والدنانير وتسلم السلطان ذلك واستقر الصلح وامنت البلاد »

هذا ما حمل الامراء والملوك فيما بين النهرين على ان يضربوا السكة باسم الملك صلاح الدين او يذكروا اسمهُ على مسكوكاتهم مع ذكر اسمائهم — ولكن لا يسوغ لنا ان نستنتج من ذلك انهم نقشوا تمثالهُ على تلك النقود — واليك اهم الاسباب التي تجعلنا نرتأي غير ذلك

اولاً ان الصور والتماثيل التي كانت تنقش على نقود الدولة الارتقية والاتابكية والايوبية في ميافارقين لم يظهر قط انها كانت شبه الملوك والامراء المكتوبة اسماؤهم فيها بدليل ما رأيناهُ من صور ملوك اليونان والروم والبيزنطيين على كثير منها . ولا نعلم ان احداً من المؤرخين او من ارباب فن النقود قال ان الصور المنقوشة عليها هي صور ملوكها[3]

ثانياً ان النقود التي نُقش عليها اسم ملوك بني ارتق واصحاب ماردين مع ذكر اسم

(١) الجزء ٣ – ٦٩ طبعة مصر سنة ١٣٢٥ (٢) وكتبها ابن خلكان : ولاية قالي قلا

(٣) رب معترض يذكرنا برواية المقريزي الذي قال : « ان معاوية (الخليفة الاموي) ضرب دنانير عليها تمثالهُ متقلداً سيفاً » – فنبين خطأ هذه الرواية في القسم الثاني عند بحثنا في النقود الاموية والعباسية

السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب كان على كثير منها صور مختلفة مع انها قد تكون لملك واحد فهل يمكن ان نقول ان للملك صوراً مختلفة او ان لصلاح الدين صوراً مختلفة

ثالثاً لا شبهة في ان النقود المصوّرة التي نقش عليها اسم صلاح الدين هي من طرز نقود الارتقيين والاتابكيين ومضروبة في ممالك بين النهرين ولاسيما انهُ ضُرب على هذا المنوال نقود غيرها باسم صلاح الدين وحدهُ منها قطعة في دار الآثار بالقسطنطينية وعليها صورة تخالف عن الصور التي وصفناها في رقم ١٨٨ فهل يسوغ لنا ان نقول ان لصلاح الدين صورتين مختلفتين — ومنها نقد مرسوم في كتاب ستانلي لن پول في سيرة صلاح الدين المطبوعة سنة ١٨٩٨ صفحة ٣٢٣ لم يصفهُ بل قال انهُ من نحاس باسم صلاح الدين الايوبي ولما كانت الكتابة ممحاة لم اتمكن من قراءتها بل رأيت منقوشاً على الوجه الواحد شكل نسر حول النسر ما يشبهُ صورة رأسين » — فهذه النقود وما يماثلها كلها مضروبة في تلك البلاد ولا اثر فيها لصورة صلاح الدين

رابعاً وان قال قائل ان السبحة التي تشاهد في يد السلطان صلاح الدين على النقود المرسومة في الرقم ١٨٨ او التي نُقلت بالفوتوغراف عن كتاب ستانلي لن پول هي برهان يرجح كون الصورة لصلاح الدين نظراً لما نعهدهُ من تقواهُ ومواظبتهِ على القواعد الدينية وملاحظتهِ للامور الشرعية كما وصفهُ ابن شداد فاجيب على ذلك ان لا اثر للسبحة في تلك النقود لان الاختصاصيين في علم النقود الذين رأوها رأي العين ووصفوها كادهم غالب بك وستانلي لن پول وغيرهما لم يذكروا قط ان هناك سبحة — واذا تأملنا اشكال نقود تماثلها وعليها نقشٌ يشابه شكل السبحة كالتي صورناها في رقم ١٨٨ لم نرَ انها سبحة

خامساً واخيراً ان الديار المصرية والبلاد الشامية والحلبية التي كانت خاضعة رأساً للسلطان صلاح الدين ضُربت فيها نقود كثيرة مختلفة من الذهب والفضة والنحاس منها في ايامهِ ومنها في عهد خلفائهِ ومع ذلك لم نجد قط واحداً منها نُقش عليهِ صورتهُ او صورة من اي شكل كان — ولهذا لا يصلح ان تدرج النقود المصورة والمنقوش عليها اسم صلاح الدين او اسم اخيهِ الملك العادل سيف الدين ومن تبعهُ في مملكة ميافارقين بين نقود الدولة الايوبية كما اوردها الاستاذ ستانلي لن پول. وقد اصلح هذا الخلل من جاء بعدهُ من الاختصاصيين في علم النقود فضمها الى مسكوكات بني ارتق واتابك كما رأيت. وفي العدد الآتي نبحث في نقود الدولة الايوبية التي ضربت في الديار المصرية وفي الممالك الشامية والحلبية

ستأتي البقية يوسف اليان سركيس

الشيخ ابراهيم الحوراني

(١) آثارهُ في التعليم

قلت في العجالة التي لخصتُ فيها ترجمة الفقيد ونشرها المقتطف في الجزء الاسبق انهُ برح دمشق واستوطن بيروت حيث تعيَّن استاذاً في المدرسة الكلية الاميركية لتعليم فنون اللغة العربية · وفاتني القول انهُ بعد ما ترك التعليم في المدرسة الكلية وتولى رئاسة كتابة «النشرة الاسبوعية» وترجمة وتصحيح الكتب الدينية والعلمية والادبية ناط بهِ المرسلون الاميركيون — علاوةً على هذه الاعمال — تعليم آداب اللغة العربية في المدرسة الاميركية للبنات · فقضى في هذه الخدمة عدة سنوات كان فيها خير معوانٍ لتلك المدرسة الشهيرة على تهذيب الفتيات وتثقيف عقولهنَّ وإعدادهنَّ لان يكنَّ في طليعة الواضعات لاساس نهضة المرأة الشرقية والرافعات لنبراس الفضائل والآداب في الهيئة الاجتماعية · وكثيرات من تلميذاتهِ هنَّ الآن من فضليات الزوجات والامهات القائمات بتدبير منازلهنَّ وتربية اولادهنَّ على سنن الحكمة والفضيلة وبينهنَّ عدد ليس بقليل من المعلمات والكاتبات والشاعرات وكلهنَّ يذكرنَ فضلهُ ويأسفن على فقدهِ اشدَّ الاسف

وسنة ١٨٩٤ انتدبهُ رئيس المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت لتعليم فنون اللغة العربية فيها ساعتين في اليوم · فاجاب طلبهُ وظلَّ تسع سنوات يتوفر على تعليم الطلاَّب وتغذية عقولهم بلبان المعارف والآداب · وبين خرّيجي تلك المدرسة الشهيرة في هذه السنين التسع كثيرون هم الآن من نوابغ الشعراء والكتّاب وكبار الاساتذة والمعلمين · وكان لفقيدنا معظم الفضل في تثقيف أذهانهم وترويض افكارهم وتذكية قرائحهم وتشحيذ أقلامهم وتوسيع دائرة معارفهم وتمليكهم اعنة البراعة في الانشاء نثراً وشعراً وتعويدهم احتذاءهُ والنسج على منوالهِ في اطّراح الركيك السخيف والعويص الغريب واختيار افصح الالفاظ وأبلغ التراكيب

وفي صيف سنة ١٩٠٢ استقال رئيس تلك المدرسة التعليم وألحف في الطلب فلم يرَ الرئيس بدّاً من إقالتهِ · لكنَّ تركهُ التعليم في المدرسة البطريركية لم يخفف عنهُ شيئاً من عبء اعمالهِ التي سبقت الاشارة اليها لان المرسلين الاميركيين زادوا عليها أن فوَّضوا اليهِ تفسير الكتاب المقدس مبتدأً من اسفار العهد القديم · وما أبطأوا أن اضافوا الى هذا كلهِ انتدابهُ لتعليم البيان والانشاء والمنطق في مدرسة اللاهوت

وظلَّ قائمًا بأعباء الكتابة والترجمة والتصحيح وتفسير الكتاب المقدس والتعليم في مدرسة اللاهوت الى خريف سنة ١٩١٣ حين أصابهُ داء ذات الرئة وشدَّ وطأتهُ عليهِ حتى كاد يودي بهِ لولا قوَّة بنيتهِ وما بذلهُ الاطباء وكريمتهُ نجلاء من العناية بهِ والسهر عليهِ

ولما زرتهُ في بيروت في صيف سنة ١٩١٤ وجدتهُ قد أبلَّ من دائهِ لكنهُ لم ينصل من برحائهِ . فكان ناحل الجسم خائر القوة وعلى محيَّاهُ آثار ما عاناهُ من شدة السقم والالم . وبعد شهرين زرتهُ مودعًا فشاهدتُ تحسنًا بينًا في حالتهِ ورأيتُ وجههُ مشرقًا بنور الصحة والعافية . فودعتهُ آسفًا على فراقهِ ومسرورًا من تحقُّق شفائهِ وسلامتهِ . ولم يدر قطُّ في خلَدي انهُ لن يعيش سوى بضعة عشر شهرًا تُدركهُ بعدها الوفاة وأنَّ اجتماعي بهِ حينئذٍ كان آخر عهدنا باللقاء في هذه الحياة

هذه خلاصة آثار الفقيد في التعليم وستُبقيهِ حيًّا في تلاميذهِ وتلميذاتهِ المتفرقين في سورية ومصر واميركا وكثيرٌ ما هم

(٢) آثارهُ العلمية والادبية

امَّا آثارهُ العلميةِ والادبية ففي مجلدات النشرة الاسبوعية مدة اربعٍ وثلثين سنة وفي عشرات من الكتب والرسائل الدينية والعلمية والادبية التي ترجمها او صحح ترجمتها وفي كتابهِ « الآيات البيِّنات في غرائب الارض والسموات » و « مناهج الحكماء » و « الحق اليقين » و« جلاء الدياجي » وفي مجلة « الرئيس » التي اصدرها ثلث سنوات بالاشتراك مع الدكتور لويس الخازن واودعها ادقَّ المباحث العلمية واهم الفوائد اللغوية . وفي ديوانهِ الكبير الذي سأُعنى بجمعهِ وطبعهِ عندما تسمح الاحوال

وكان مع شدَّة تضلُّعهِ من العلوم اللغوية ضاربًا بسهمٍ كبير من العلوم العقليَّة والطبيعيَّة والرياضيَّة . ونظم في صباهُ ارجوزة سمَّاها « البديعة في علم الطبيعة » . وكان راسخ القدم في علم الهندسة واسع الاطلاع في علم الفلك شديد الشغف بكواكب القبَّة الزرقاء كثير التحدُّث بجمال شموسها واقمارها . فاذا جنَّ الليل خرج بزائريهِ الى شرفة منزلهِ ووقف بينهم كالفلكيّ في مرصدهِ يُريهم كيف تُرقَب الكواكب وتُقدَّرُ منازل الشهب الثواقب في جنح الغياهب . واذا خلا بنفسهِ وطاب لهُ النظم استلَّ يراعهُ ونشر طرسهُ واستقلَّ مطيَّة التصوُّر وحلَّق بها في جوّ الخيال ناشبًا في الفضاء نشوب النيازك في عنان السماء . حتى إذا جاز بها مطار النسر وجاس مدار السماك استقرَّ على ضفاف المجرَّة ينظم دراريَّ الافلاك نظم الدرّ في الاسلاك . وقلَّما نظم قصيدةً او مقطوعة لم يرقَ فيها الى النجوم — الثوابت والسيَّارة

ليأخذ منها فرائد تلك التقصارة على سبيل التورية او التوجيه او الاستخدام او الاستعارة

(٣) أسلوب كتابتهِ

وكان لهُ في الكتابة — نظماً ونثراً — اسلوب خاص امتاز بصحة اللفظ وسلامة التركيب ووضوح المعنى . فلم يتكلف الاسجاع في نثرهِ ولا المحسنات البديعية في شعرهِ الأ اذا جاءتهُ عفواً وعنت لهُ طوعاً بلا تعمّل ولا التزام . وكان في كليهما غزير المادَّة سريع الخاطر قليل الترسُّل . يجلس للكتابة في اي موضوع عرض لهُ فيرصف الكلام كما شاءت الرقة واراد الانسجام ويرسل النثر كمن ينثر الزهر . ثم تأتيهِ القوافي منقادةً فتشق صفوف الجمل والتراكيب وتحلُّ المرابط والمواقف وتحوّل الفصائل الى فواصل والنثر المرسل الى نثر مسجَّع او درّ مرصَّع . وكثيراً ما كان الوزن يتسرَّب في اسجاعهِ ويحوّلها الى مقاطيع شعرية مختلفة الاوزان كما في الرُّقم التي انشأها في اواخر حياتهِ وأدرجها في النشرة الاسبوعية وبلغ فيها غاية الإبداع ونهاية الافتنان

وجملة القول ان اسلوبهُ في الشعر والنثر كان اوضح مثالٍ لما يسهل على القارىء فهمهُ ويصعب على الشاعر والناثر تقليدهُ وهذا هو السهل الممتنع . طالع كلَّ ما خطَّهُ يراعهُ تجدهُ نسيج وحدهِ في وشي بردهِ ونظم عقدهِ . اذ ترى المعنى في اللفظ من حيث الجلاء والصفاء كالصهباء في الاناء يشرق في الطرس إشراقها في الكأس ويفعل بالنفس فعلها بالرأس

هذا وفي قولي انهُ كان نسيج وحدهِ في إجادة الانشاء لا ابني حكمي على ما طالعتهُ من آثار يراعهِ المطبوعة والمنشورة على صفحات الكتب والصحف . فانها على كثرتها وصدق دلالتها على صحة هذا الحكم قد يبعث على الغض من قيمتها مظنة الاتئاد في كتابتها والترسُّل في تنقيحها وتهذيبها قبل طبعها ونشرها . ولكني اقول هذا بناءً على ما تحققتهُ بنفسي عن غزارة مادتهِ وسرعة خاطرهِ في عدة مواقف واستناداً الى ما عرفتهُ عنهُ من هذا القبيل بعد استقرائي الطويل لاسلوب إنشائهِ في كتبهِ الخصوصية

ولا يخفى ان الكاتب المتمهل مهما يكن من شدة حرصهِ على الترسُّل في ما يكتبهُ للطبع والنشر فانهُ في كتبهِ الخصوصية الى الاهل والاقرباء يترك التكلُّف ولا يعنى بهِ فيجري كلامهُ فيها مجراهُ الطبيعي مفرغاً في قالبهِ الحقيقي بالغاً في جودة إنشائهِ الدرجة التي تمكّنهُ منها بداهتهُ بلا تعنٍ ولا إعنات

وعندي من كتب الفقيد الخصوصية ما ينيف على الثلثين كتاباً كتب بعضها اليَّ

وبعضها الى غيري من انسبائهِ في اوقات مختلفة ومواضيع متنوّعة وبين اقدمها تاريخًا واحدثها عهدًا مدةٌ لا تقلّ عن ثلثين سنة . وهي كلها على اختلافها في التاريخ والموضوع وتفاوت منزلة الذين كُتبت اليهم في العلم والمعرفة تراها اذا طالعتها متفقةً اتفاقًا تامًّا في جمال الاسلوب وحسن انتقاء اللفظ وشدَّة متانة التركيب والتناهي في جودة السبك ورشاقة التعبير . ولا يخامرك اقلّ ريب في كونها مكتوبة على البديهة من غير توقُّف ولا تفكُّر . ولو أردتَ نشرها وعرضتها قبل طبعها على ابرع الناقدين لما وجدفيها أقلّ حاجةٍ الى التنقيح والتصحيح . وسأنشر بعضها في ذيل ديوانهِ

وللفقيد معي ومع غيري من معارفهِ وأصدقائهِ كثيرٌ من لطائف الحوادث الشاهدة على توقُّد قريحتهِ واستعدادها لتلبيتهِ كلما أراد الابتداء والارتجال . ولضيق المقام أكتفي بذكر واحدة منها وهي

زرتهُ يوم احدٍ في اوائل شهر يوليو سنة ١٩٠١ فرأيتهُ يتأهب للذهاب الى المدرسة البطريركية لالقاء خطبةٍ في احتفالها السنوي فصحبتهُ في طريقهِ اليها . وفيما نحن في المركبة لاح لي انهُ منقبضٌ فسألتهُ : — ممَّ تشكو ؟ قال من ضعفٍ شديد في ذاكرتي فأشعر كأنها ماتت او كادت . قلت وكيف القريحة ؟ قال على ما تعهدها من شدَّة المضاء قلت أجزْ إذًا « أسفًا عليها ذاكرهْ » قال لبَّيك يا عديل وانشد « سكنت ديار الآخرهْ » قلتُ « كانت تدور على النُّهى » فاجاب على الفور « دارت عليها الدائرهْ » . وقد علمت منهُ بعد ذلك انهُ استهل خطبتهُ بهذين البيتين

وكان من ابرع قالة المعنَّى (١) واشهر الذين حازوا قصب السبق في ميدانهِ . ولهُ فيهِ مطالع (٢) روائع سأقتطف شيئًا من بعضها للدلالة على علو كعبهِ ورسوخ قدمهِ في هذا الفن

ولقد شهدتهُ غير مرة يجول في هذا المضمار فكنت اراهُ يتدفق في القول تدفُّق السيل بادهًا سامعيهِ بمرتجلاتهِ الشائقة ومبتكراتهِ الرائقة ويرتقي بالفاظهِ شيئًا فشيئًا من هضم العامي وحضيض المبتذل الى قنَّة الفصيح البليغ ويتدرَّج في مراعاة الإعراب والمحافظة على الوزن

---

(١) المعنَّى شعر العامة في جبل لبنان وما حولهُ كالزَّجل في مصر. ولهُ اوزان مخصوصة يقرب بعضها من اوزان ابحر الوافر والكامل والمتدارك في الشعر. ويراعى في نظمهِ القافية ومحافظةٌ يسيرة على الوزن بلا التفات الى صحة اللغة والاعراب. واكثر ما يقولهُ اربابهُ ارتجالاً فينظمونهُ في مواضيع مختلفة ويلتزمون فيهِ اكثر ما يلتزم في الشعر من البديع اللفظي والمعنوي والالغاز والمعميات ويأتون في ذلك كلهِ بالعجب المطرب . ومنهُ ضرب يعرف بالعديات او القراديات (٢) جمع مطلع وهو في المعنَّى كالحمل في الزَّجل

فما يشعر سامعوهُ الاَّ وقد انتقل بهم فجأة — وهم لا يدرون — من قول المعنَّى الى قرض الشعر بل من نثر الزهر الى نظم الدر· كما كان ينتقل في انشاءِ الرَّقُم من النثر المرسل الى النثر المقفَّى الى الشعر الموزون

وكان فَكِهاً جدّاً فكهٍ وطروباً ايّ طروبٍ شديد التصابي كثير المطايبة والمؤانسة حتى لاصغر الاولاد رقيق الحاشية ليّن العريكة · اذا غنَّاك شعراً او انشدك معنًّى رأيتهُ يتصابى و يتمايل من شدّة طربهِ · ودام على ذلك الى آخر حيانهِ كانهُ هو الناطق بلسان البهاءِ زهير : —

" اني كبرت وانما تلك الشمائل باقيه
وتفوح من عطفيَّ انفا س الشباب كما هيه
عندي من الوجد القديم بقية في الزاويه "

وكثيراً ما اشار الى ذلك في قصائدهِ الغزلية

وكان شديد الشغف بسماع الغناء فيطرب لكل صوت رخيم سواءٌ كان افرنجيًّا اوعربيًّا — مصريًّا او شاميًّا او عراقيًّا · يدلُّك على ذلك كثرة منظوماتهِ في كتاب الترانيم الروحية للطائفة الانجيلية في بيروت والاناشيد الادبية في احتفالات المدارس والمواليات المربَّعة والمسبَّعة والاغاني الموافقة « للعتابا » ولكثير من الادوار المصرية

(٤) آثار قلمهِ

(١) في المعنَّى والعدَّيات

قال من عديَّة في فتاةٍ حسناء شاهدها تبكي :

خلّي لي اللولو منظومْ في عينين بتسبي الرومْ
منثور عاورْد الخدَّينْ شبهدتلو بالحسن نجومْ

ومنها

لولو عاياقوت الخدْ وقطرات الندى عا الوردْ
دمعكْ وحدو جوهر فردْ مثلو من العالم معدومْ

وقال في ختامها

مخمّن عرق جبينكْ كلّل وردك تايزينكْ
مرّ بدربو عاعينكْ توهمنا دمعك مسجومْ

وقال من عدّية يصف فيها حسان دمشق الشام في مجلس انس

شبَّانِك يا شام اقمار ... وصباياكِ البيض شموس
ما في مثلن في الاقطار ... بحسن الخلقه والملبوس
ما في مثلن اقمارِك ... في كل بلاد الافرنج
بخدودن لمعت نارك ... وحول النار تلالا التاج
وشموسك علو مزارك ... عا اهل التقديس والحج
تكثر غزلان ديارك ... ويبقى منزلها مأنوس

وهي طويلة قال في ختامها: —

قولوا لي يا صبايا ... واحكوا الدغري بالتمام
كيف شفتوا ها القضايا ... فيها شي كله حرام
لولا ربّ البرايا ... ما كان عابد الأَ هام
ولولا خوف المنايا ... ما دقّ الراهب ناقوس

ومما قالهُ في مطلع غرامي التزم فيهِ الجناس التام: —

حتي على المحبوس في سجن الهوى ... ضاقت عليَّ الارض من أربع اقطار
سهرت عيوني وطال ليلي في النوى ... من طول ليلي نسيت شو شكل النهار
سهرت عيوني وطال ليلي في النوى ... يا من شفافِك تمر خالي من النوى
غنيت لحن حجاز وعراق ونوى ... حتى بكوا طيور الدنيا ولانوا الحجار

ومنهُ

حتى بكوا طيور السما ولان الصفا ... وزاد نهر الدمع عانهر الصفا
يا حسرتي حلّ الكدر بعد الصفا ... وصار الفي وصاحبي وحش القفار

ولهُ من مطلع غزل في لبنانية حسناء مهذبة: —

ريح الصبا بحياة غصن البان ... والورد والنسرين والريحان
من اين جبتِ المسك في جيوبك ... تخمين مرّيتِ على الخلان
من اين جبتِ المسك في جيوبك ... وطابت الاقطار بطيوبك
كان الحبيب بفرق دروبك ... حتى نشرتِ العطر في البلدان

ومنهُ

ريح الصبا يا راحة الارواحْ ملّي بتذكار الهوى الاقداحْ
ذكرى حبيبي لا مصفّى الراحْ منها على طول المدى سكرانْ

ومما قالهُ مطلع مخمّس مذهّب مرصّع مردوف . وهو من مبتكراتهِ وقد اودعهُ ما شاء من سحر البلاغة والبيان و بلغ فيهِ حدّ الاعجاز وغاية الاجادة والاتقان

الرّدة

يا من تركني وسارْ في الاسحارْ يا مخجل الانوارْ والاقمارْ
سرّكْ مصونْ بمهجة المفتونْ ما يتدركوا الانظارْ والافكارْ

(الثلثة من الخمسة من المخمّس)

سركْ مصونْ بمهجة المفتونْ لولا دموعي والعيونْ عيونْ
يا عينْ سيفكْ دائمًا مسنونْ

(التذهيب)

قطّع أكباد الغزلانْ وجندلْ آساد الفرسانْ واستعبدْ ميّ وغيلانْ
وليلى وعاشقها المجنونْ

(الترصيع)

ولحظكْ صاب اسود الغابْ برشقْ حرابْ وشقّ كبودْ
ودار الراحْ بغير أقداحْ وبلبل صاحْ بلحن العودْ
ومال البانْ وسرّي بانْ وكان الكانْ بكاف ونونْ

(الردف)

سرّ الهوى مدفوقْ مع دمعة العاشقْ يا فتنة المخلوقْ يا آية الخالقْ
قلب الفتى مسروقْ ولحاظك السارقْ

(تكملة التخميس)

سحر العيونْ يسرق الارواحْ ويظهر الاخفى من الاسرارْ

ولهُ من مطلع آخر :—

آمنت انا برهانْ ما يلزمْ انك نبي الزهرة وبدر التمْ
من طور خدّك ماقربْ موسى من اين جبت المنّ للمبسمْ

(٢) في المواليات

ولهُ من المواليات المربعة : —

اهل المحاسنْ على اهل الهوى حكّامْ والعشق جايرْ على المشتاقْ في الاحكامْ
سلوى اسير المحبة جنّة الاوهامْ بيصيد طيف الحبيب بشبكة الاحلامْ

ولهُ منها : —

يا مفرد الحبّ مالي في الهوى ثاني ومهجتي عن جمالك ما لها ثاني
اسقي بدمعي وردك والسوى جاني عليّ تجني وقلبي يعشق الجاني

ولهُ منها : —

يا ناعس الطرف حبّك ناظرو ساهرْ ما جنّ في الحبّ لولا لحظك الساحرْ
يا كاشف السرّ مالي في الهوى ساترْ خلّيت خلّك مثّلْ في العاشقين ساير

وكان قد انشدني غير مرّة بعض موالياتهِ المسبّعة المعروفة « بالبغدادي » ولكن لم يبق منها شيء في محفوظي

(٣) الاغاني والاناشيد

حضر الفقيد في ايام صباهُ مجلس انسٍ وغناء في دمشق الشام فاقترح عليهِ بعض الحضور ان ينظم شيئاً على اغنيةٍ مصريةٍ قديمة كان المغني آخذاً في إنشادها ومطلعها « يابو الحديد الوردي ارحم شجيّك وموله » فقال

هبّت نسيماتُ الرندِ من بان سلمى والأجرعْ
وهيّجت نارَ الوجدِ لما سنى سلمى لمعْ

ومنها

بالاعين السود النجلِ قد حلّلت سلمى قتلي
يا حاملاً سيفَ العذلِ أسيافُ جفنيها اقطعْ

ومنها

دعْ عنك عذل المشتاقِ وانهج سبيلَ الاشواقِ
وان تكن سلمى الساقي فاسجد لباريها واركعْ

وأقترح عليهِ في مجلس آخر ان ينظم على اغنية « عاليانا يانا من غرامو يانا » فقال

لازمة

بالقد سلمى تُخجل الاغصانا واللحظ يسبي الغيدَ والغزلانا

دور

دارتْ علينا من لماها الراحُ وفي هواها راحت الارواحُ
وكم بدا من لحظهـا اقداحُ اصبحت منهـا والهـاً سكرانا

دور

يا عاذلي دمعي سلافُ الحانِ والحبُّ ديني والهوى ايماني
نحن النصارى ربُّنا ذو الشانِ بالحبِّ في انجيلهِ اوصانا

ونظم انشودة وداعية لاحدى المدارس قال فيها :—

سلامٌ سلامٌ على ذي الربوعْ سلامُ وداعٍ أذابَ الفؤادْ
وليس عجيباً ففيهِ ولوعْ يُذيبُ لظاهُ فؤادَ الجمادْ
ننوح ونبكي لفقد النعيمْ بمغنى الدراري ومجلى الشموسْ
وحين نسير بدمعٍ سجيمْ تسير الجسومُ وتبقى النفوسْ

وهي طويلة قال في ختامها :—

سلامُ وداعٍ لمغنى الصباء وارواح روض لبرء الجراحْ
وازمان رغدٍ مضت بالصفاءْ ومرّت سريعاً كمرّ الرياحْ
فنستودع الله كلّ الصحابْ بشكر يقصّر عنهُ الكلامْ
وللكلِّ نرجو عظيم الثوابْ وطول بقاءٍ وحسنَ الختامْ

ونظم سنة ١٨٨٤ لمدرسة البنات الاميركية في صيداء نشيدة طويلة تقع في عشرين دوراً مطلعها :—

بنتَ امِّ المجد صيدا أمَّ صورٍ في العِظَمْ
ظبية الادهار صيدا صِدتِ آساد القدمْ

ومنها

مشهدَ العهد القديمِ جارةَ البحر الكبيرْ
انتِ جناتُ النعيمِ ربعكِ الروض النضيرْ

ومنها في الختام

وليدم اهلك طرّاً في امانٍ وسلامْ
وليكن بحراً وبرّاً حفظهم حسن الختامْ

ستأتي البقية اسعد داغر

سكان غربي آسيا

او تركيا آسيا

(١٢) الطهطجية

في شبه جزيرة ليكية (ويسميها الترك ايضاً ليقا وهي تابعة لولايتي قونيه وايدين) نحو خمسة آلاف نسمة يسمون انفسهم طهطجية اي نشّارين لاتخاذ جمهورهم النشارة حرفة لهم. وفي ليكيه الغربية قوم اسمهم ألالأوية وربما كانت هذه الكلمة مشتقة من عليّ الله او ما سمّاهم المؤرخ ليارد « علي الهية » اي عبدة علي . وهم يقطنون اعالي الجبال ينزلون في مضارب مسقوفة باللباد ولا يخالطون جيرانهم من اهل ليكية . ولسانهم التركية وكانوا يحسبون في مبدإ امرهم مسلمين ولهم اسماء اسلامية ولكنهم في واقع الامر لا يدينون بالاسلام . بل يعتقدون بتناسخ الارواح بعد الموت و بوجود الملائكة والشياطين او رسل الخير والشر . ويعدّون الارانب والديوك الرومية نجسة و يقولون ان الشيطان متجسّد في الطاووس

اما ملامحهم فمتجانسة كل التجانس فهم سمر الالوان كثيرو شعر الوجه وشعرهم سبط مسترسل وعيونهم سوداء ضيقة وانوفهم قنوٌ ورؤُسهم قصيرة عالية . والدليل الجمجمي فيهم يتراوح بين ٨٢ و ٩١ (شكل ١)

(١٣) البكطاش

هذه طائفة تقطن مدن ليكية وخصوصاً بلدة « المالي » ولا يعرف مذهبهم ولاسيما انهم يبالغون كل المبالغة في كتمانه وهم يدعون الاسلام كالطهطجية ولكنهم لا يزاوجون المسلمين بتاتاً . ودليلهم الجمجمي يتراوح بين ٨٤ و ٨٩

(١٤) الانصارية

يقابل الطهطجية والبكطاش من سكان جنوب الاناضول الانصارية او النصيرية من سكان شمال سورية . وهم يسمّرن في بعض البلاد كانطاكية مثلاً فلاحين لان الفلاحة حرفتهم . ولا نعلم عن معتقدهم اكثر مما نعلم عن معتقد الطهطجية(١) وكثيرون منهم يشبهون الطهطجية في ملامحهم . ودليلهم الجمجمي يتراوح بين ٨٠ و ٩٤

---

(١) [المقتطف] في العربية رسالة حسنة في مذهب النصيرية وضعها نصيري تنصر وقد اقمنا في بلاد النصيرية شهرين وعاشرناهم وكلمناهم ونرجح صحة اكثر ما جاء في تلك الرسالة

(١٥) القزل باش

يقطن اعالي العراق حتى جبال طورس غرباً قرب مرعش طائفة من الناس غريب امرها . واسم هذه الطائفة قزل باش ومعناها الراس الاحمر. ولا يعرف سبب هذه التسمية فان ذوي الشعور الحمراء فيهم ليسوا اكثر منهم في جيرانهم وطرابيشهم ليست اشدّ حمرة من طرابيش غيرهم من العثمانيين

وفي غربي كردستان قوم يشبهون القزل باش في ملامحهم ويسمون هناك يزيدية ولكنهم يتبرأون من القزل باش و يقولون ان ليس ثمة جامعة تجمعهم بهم . وقد قيل لي ان يزيدي وقزل باش اسمان لمسمى واحد وان الاول عربيّ والثاني تركيّ . ولا أعلم ما في هذا القول من الصحة . وكل ما أعلم ان معتقد الفريقين واحد ومعيشتهم واحدة تقريباً . وقد قست رؤس ١٨٩ رجلاً منهم وكانوا كلهم ما عدا ثلاثة منهم سود العيون والشعور سمر الالوان فوجدت الدليل الجمجمي فيهم يتراوح بين ٨٣ و ٩٢ . وعندي انهم هم واليزيدية بقايا شعب قديم وقد حافظوا على ديانتهم اتم محافظة . ثم ان امتناعهم عن مزاوجة جيرانهم مكنهم من الاحتفاظ بصفاتهم الطبيعية القديمة

(١٦) الدروز

ان الباحث في اوصاف الدروز والموارنة من اهل لبنان يرى ما للعزلة الدينية من الاثر الواضح في المحافظة على الصفات الطبيعية القديمة كما هو الحال في القزل باش واليزيدية

الدروز قوم يقطنون جنوبي بيروت وقسماً كبيراً من لبنان الغربي والشرقي . عددهم نحو ١٥٠ الف نسمة وعقيدتهم الدينية مكتومة كل الكتمان ولكن الكاتب الفرنسوي دي سامي تمكن سنة ١٨٣٨ من درسها فحكم بانها مزيج من اليهودية والمسيحية والاسلام تحتوي على افكار كثيرة غريبة في الشرك والتناسخ وتجسد الله مراراً وعبادة الطبيعة . اما لغتهم فالعربية وهم معروفون رسمياً بانهم مسلمون ولهم اسماء اسلامية ولكن ليست لهم صلة باطنة بالاسلام . ومن رأي مكس فون اوبنهيم انهم نسل العرب الذين هاجروا الى سورية في اول القرن الثامن للميلاد . وهذا الرأي يطابق تقاليد الدروز فيما يرجح ولكنهُ يناقض الصورة المجملة التي نستخلصها من البحث في صفات الدروز والعرب من طبيعية ومعنوية .

فقد قست ٥٩ رجلاً منهم فلم أرَ الدليل الجمجمي في احدهم مطابقاً لما هو معروف في العرب الخُلّص

وجميع الدروز من ذوي الرؤُس المستديرة او المفلطحة جدًّا والدليل فيهم يتراوح بين ٨٤ و ٨٩ ولم يشذّ عن ذلك بين الذين قست رؤُوسهم سوى رجل ممرور قال لي انهُ كان من موظفي المطبخ السلطاني في الاستانة وانَّ عليًّا متجسدٌ فيهِ وقد قست رأسهُ فوجدت الدليل فيهِ ٧٦ فقط ولكن شهل عينيهِ واختلاف بعض اوصافهِ الاخرى عن اوصاف الدروز حملاني على اغفال امرهِ وعدم حسبانهِ منهم

(١٧) الموارنة

يجاور الدروز في الشمال الموارنة وهم طائفة مسيحية يقال انها سلالة احدى الطوائف المسيحية القديمة التي كانت تذهب الى ان للمسيح طبيعة واحدة · ومعلوم ان اصحاب هذا المذهب انشقوا عن كنيسة رومية بعد المجمع الخلكيدوني الذي عقد سنة ٤٥١ للمسيح وقد سموا بهذا الاسم نسبة الى يوحنا مارون الذي اختاروهُ اسقفاً عليهم بعد انفصالهم عن كنيسة رومية ولكن صفاتهم الطبيعية اقدم من انشقاقهم الديني بكثير· وقد حافظوا عليها اتم محافظة وذلك لسكنهم الجبال منعزلين عن الناس ولعدم مزاوجتهم لجيرانهم من المسلمين والدروز · واعظم ما يميزهم عن غيرهم كثرة من فيهم من ذوي الجماجم العالية والمسطحة من القفا · فهم حسن شاهد على ما سماهُ طولد الالماني بالقفا المسطح · وشدة تسطح اقفيتهم حملتني على الظن انهُ لا يبعد ان يكون ذلك نتيجة تشويه صناعي فبذلت اقصى جهدي في تحقق هذا الامر وفحصت جماجم نحو مئة طفل في اسرتهم لاعلم هل لاضجاع الطفل على ناحية من نواحي ارأسهِ تأثير في شكل جمجمتهِ فلم اجد ما يؤيد ذلك · وعليهِ لا نرى مناصاً من حسبان تسطح القفا في الموارنة واشباههم صفة طبيعية لم تجلبها صناعة (شكل ٢)

وقد قست جماجم ٢٠ رجلاً معظمهم من بعلبك وطرابلس فوجدت الدليل فيها بين ٧٩ و ٩١ وكانوا جميعهم شديدي السمرة

(١٨) الايرانيون

يبلغ سكان ايران نحو عشرة ملايين نسمة ومع ذلك لم يقس سوى جماجم ٣٠ رجلاً منهم ولم تدرس واحدة منها درساً يعود بفائدة على علم الانسان

وفي ايران طائفتان كبيرتان من السكان الواحدة الشيعية وهم على الغالب مخضرون

والسنية ومعظمهم اهل بادية وقبائل رحل · اما الاولون فسلالة القدماء من اهل فارس ومادي · واما الثانون فهم تركان ومنهم دولة كاجار الحاكمة وهم اهل همة وعزم وفي ايديهم معظم الاراضي · وهناك ما عدا هاتين الطائفتين نحو مليون من الكرد والعرب والارمن والنساطرة والنجر

وقد أُتيح لي قياس جماجم ١٥ رجلاً من الايرانيين الذين لقيتهم في الاستانة وازمير ورودس واضاليا وكانوا كلهم شديدي السمرة فوجدت دليلهم يتراوح بين ٧٣ و ٩٠ اي ان معظمهم من اهل الرؤُوس المفلطحة المستديرة وثلاثة فقط من اهل الرؤُوس المصفحة الطويلة ولا يبعد ان يكون بين الايرانيين كثيرون من ذوي الجماجم الطويلة وربما لا اكون مخطئاً اذا قدرتهم بسدس المجموع · ولم أرَ ايرانيًّا واحداً بشعر اشقر وعينين زرقاوين ولكن قيل لي ان في بعض الاسر الشريفة عدداً ليس بقليل من ذوي الشعر الاشقر والعيون الزرقاء

ولسنا نعلم شيئًا عن الصفات الطبيعية في الذين ينتمون الى السلالة الآرية (البيضاء التي منها اهل اوربا) والذين جاؤُا بلهجة آرية الى ايران · ولا يبعد انهم كانوا صهباً ورؤُسهم طويلة كاسلاف الاكراد المعاصرين لنا ولكنهم كانوا قلالاً فلم تؤَثر ملامحهم في ملامح الايرانيين

(١٩) العرب

سمّى فردريك ملر الالماني سكان غربي اسيا عرباً سواءٌ في ذلك اهل شبه جزيرة العرب وفلسطين وسورية والعراق وذلك لانهم كلهم يتكلمون العربية · ولا ريب ان هذه التسمية خطأٌ لما بينهم من الاختلاف البيّن في صفاتهم الطبيعية والمعنوية

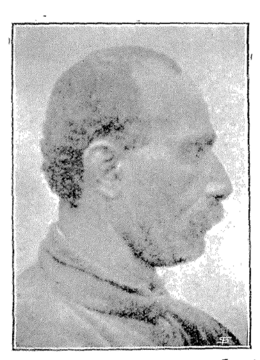
اما بلاد العرب فاننا نعرف عنها اقلّ مما نعرف عن سائر بقاع الارض المأهولة فالحكم على طبيعة اهلها بناءً على نفر عرفناهم منهم عرضة للخطإِ الكثير · فقد قست جماجم ٣٨ رجلا من عرب عنزه (شكل ٣) لقيتهم في حلب سنة ١٨٨٣ · وكذلك جماجم ١٨ بدويًّا من عرب شمّر النازلين بين الموصل والاسكندرونة و ٢٠ مسلماً من اهل مدينة حماه · و ١٥ آخرين من المسلمين في سائر مدن سورية · و ٦ من رجال الدين في الجزيرة · و ٥ من عرب مدينة حايل في بلاد العرب · فالمجموع ١٠٢ منهم ٦١ من البدو الصراح و ٤١ من اهل المدن · وهاك جدولاً يبيّن نتيجة قياسي لجماجمهم



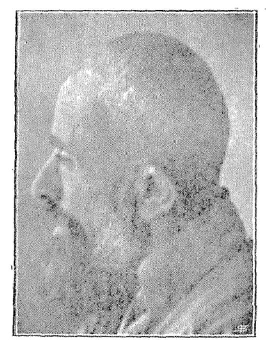
شكل (٢) صورة لبناني من الشويفات



شكل (٣) صورة بدوي من عرب عنزه



تابع شكل (٣) صورة عربي من بيروت



شكل (٤) صورة تركي قحّ

مقتطف اغسطس ١٩١٦

امام الصفحة ١٥٠

	عددهم	الدليل الجمجمي
بدو		
من عرب عنزه	٣٨	٦٨ — ٧٨
من غيرهم	١٨	٧١ — ٨١
من حايل	٥	٧٠ — ٧٤
حَضَر		
من حماه	٢٠	٨٥ — ٨٩
من سائر مدن سورية	١٥	٧٦ — ٨٩
رجال دين من الجزيرة	٦	٨٣ — ٨٦

وكان شكل الانف فيهم مختلفاً كلَّ الاختلاف . فانوف البدو قصيرة عريضة وانوف سائر الذين يسمون عرباً شماء دقيقة

(٢٠) الترك

جرت العادة في معظم اللغات الاوربية بان يسمَّى المسلمون من رعايا سلاطين عثمان تركاً ، ولكنها تسمية غامضة مبهمة تفضي الى كثير من الخطإ والخطل . فان العثمانيين وهم قبيلة تركانية في الاصل بدأوا فتوحاتهم منذ سنة ١٢٨٩ واضطروا كثيرين من اهل البلاد التي فتحوها الى التكلم بالتركية وانتحال الاسلام ديناً فكان من جراء ذلك تقريب مسافة الخلف بين الغالبين والمغلوبين وتزاوجهم . ولكن لما كان الغالبون قلالاً في جنب المغلوبين بقي معظم سكان السلطنة العثمانية الذين يسمون تركاً محافظين على ملامحهم التي كانت لاسلافهم قبل غزو الترك لهم

وقد قست رؤس ٥٦٩ تركيًا من اهل جنوب الاناضول وشمال سورية غير الذين اشرت اليهم في كلامي على الطهطجية وعددهم١٨٧ فالمجموع ٧٥٦ يتراوح دليلهم الجمجمي بين ٦٩ و ٩٦ منهم ١٧٢ من ذوي الجماجم المصفحة . و٤٣٣ من ذوي الجماجم المفلطحة . و ١٥١ بين بين (شكل ٤)

(٢١) الروم

ما قيل عن الترك يصح ان يقال عن الروم من سكان الاناضول وسورية . فان بعضهم من نسل الايونيين والدوريين والايوليين القدماء بلا جدال ولكن اكثرهم متسلسلون من بطون وافخاذ اخرى كانت اليونانية لسانها والاثوذكسية مذهبها

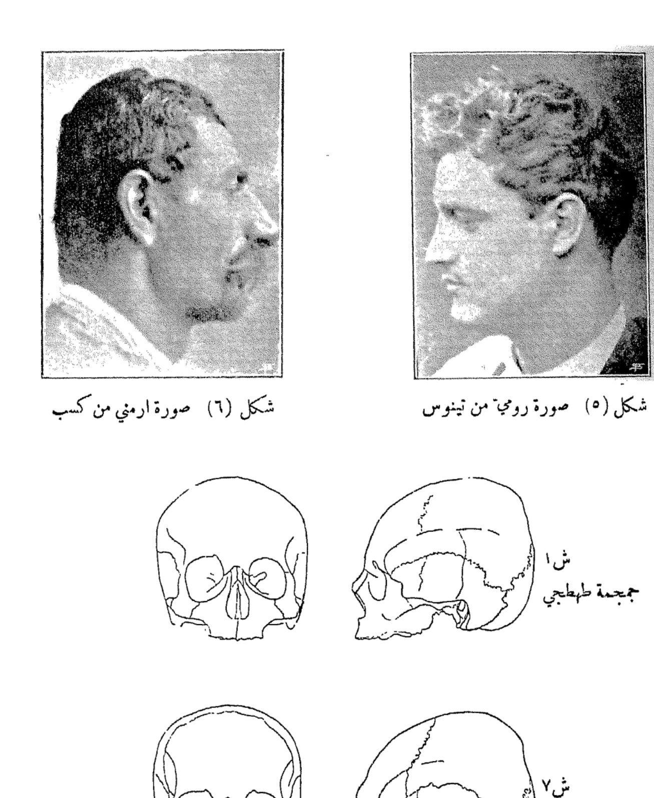
قست رؤُس ١٧٩ رجلاً يقولون انهم ومذهبهم الارثوذكسية فوجدت ٧٩ بينهم من ذوي الرؤُس المستطيلة و ٨٤ من ذوي الرؤُس المفلطحة و١٦ بين بين ومتوسط الدليل الجمجمي نحو ٨٠ وهو يقارب الدليل الجمجمي في ٩٥ جمجمة من جماجم اليونان القدماء من اهل اسيا واوربا قاسها فيسباخ فوجد متوسط دليلها ١٨٤٢ . و يقارب ايضاً الدليل الجمجمي في الجماجم التي قاسها كلون ستيفانوس فوجده ٨٠٤٨ في يونان اوربا و ٨٠٤٧ في يونان اسيا

اما الرؤُس القصيرة (المفلطحة المستديرة) في روم الاناطول فتشبه رؤُس الترك مساكنيهم . واما الرؤُس الطويلة فعلى نوعين فمنها رؤُس طويلة عالية كرؤُس الانكليز ورؤُس الاكراد . ومنها رؤُس طويلة واطئة كرؤُس البدو وربما كان اصل اصحابها سامياً اذ معظمهم يسكنون مدناً وقرى كانت مستعمرات سامية زاهرة منذ القدم ومنظرهم يشبه منظر الساميين اجمالاً (شكل ٥)

(٢٢) الارمن

يختلف الارمن عن الترك والروم في كون الارمن اكثر تجانساً منهم في ملامحهم لان الترك والروم مزيج من عنصرين مختلفين كل الاختلاف في صفاتهم الطبيعية وربما كان هناك اكثر من عنصرين . ولست اقول ان دم الارمن صرف غير مشوب بدم غيرهم من الامم ولكن يقال بوجه عام ان جمهورهم كثير التجانس والتشابه في صفاته الطبيعية ولاسيما اهل شمال سورية منهم فان افرادهم متشابهون في بعض الاماكن تشابه بيض الدجاج في منظره الخارجي . ثم ان عزلة الارمن الدينية وعزلتهم الطبيعية اي سكنهم قرى الجبال النائية ساعدتا على احتفاظهم بصفاتهم الطبيعية القديمة حتى يصح القول انهم نموذج صادق لما كان عليه اسلافهم من قبل

اما رؤُسهم فاكثر تسطحاً في قفاها من رؤُس سائر الاقوام الساكنين في غرب اسيا فهي من الصنف المفلطح العالي . وانوفهم ضيقة بارزة (شكل ٦) وهم سمر في الغالب ودليلهم الجمجمي يختلف من ٨٣ الى ٩٦ (شكل ٧)



شكل (٥) صورة روميّ من تينوس

شكل (٦) صورة ارمني من كسب

ش ١ جمجمة طهطجي

ش ٧ جمجمة ارمني

مقتطف اغسطس ١٩١٦
امام الصفحة ١٥٢

علم الانسان

(٤) النظام الاجتماعي

اذا شئت درس حال امة من الامم للوقوف على دخيلة امرها وحقيقة مركزها الاجتماعي وجب من مبتدإ الامر ان تلمّ تمام الالمام بنظامها الاجتماعي في جميع صوره واشكالهِ اذ يستحيل العلم باخلاق امة او بواطنها قبل العلم بظواهرها . فسبيل الباحث والحالة هذه هو السعي الى معرفة الاخلاق الباطنة بطريق النظامات الظاهرة

ربّ سائل يسأل كيف وجدت صور النظام الأجتماعي . هل اخترعها احد . وهل تنطوي فكرة النظام على منظم سابق لهُ ام تنمو تلك الصور نموّ البلورات بالاضافة اليها من الخارج . والرأي ان الضرورة الطبيعية والحرية العقلية عاملان متداخلان في حياتنا وان لكل منهما يداً في ابلاغنا هذه النتيجة او تلك . ولنسمِّ الضرورة الطبيعية قوة الظروف القاهرة والحرية العقلية قوة الارادة او القصد العاقل

قال الباحثون في الحياة الانسانية ان العوامل الرئيسة التي تتسلط عليها وتكيفها هي التربية والنظام الاجتماعي وعدد الشعب والطعام والاختراع وكل منها معتمد على ما يليهِ . وترى في هذه السلسلة ان طرفيها اي التربية والاختراع عاملان معنويان والحلقات التي بينهما اثنتان منها ماديتان وهما العدد والطعام والثالثة اي النظام الاجتماعي بين بين . والذين جعلوا الاختراع الركن الاكبر في هذه السلسلة واسّ نظام المعيشة الانسانية خالفوا مذهب القائلين بان النشوء الانساني عمل طبيعيٌّ صرف . وعندهم ان الحياة الانسانية اصطناعية وبعبارة اخرى ان يد الصناعة ظاهرة كل الظهور فيها وان اعظم ما يميز الانسان عن غيرهِ من الحيوانات هو تأثرهُ بالصناعة

لا يخفى ان اختراع الآلات في اواسط القرن الثامن عشر افضى الى ثورة صناعية لا يزال اثرها في السياسة والاجتماع باقياً الى يومنا هذا وهو كلّ يوم على ازدياد . والحق يقال ان التاريخ الانساني ليس الاّ تاريخ الاختراعات العظيمة . ولكن طبيعة البلاد تساعد على تعيين نوع الطعام ومقدارهِ بوجه الاجمال حتى انهُ لا يمكن انبات القمح مثلاً في البلاد المتجمدة مهما اتسعت حيلة الانسان في الزراعة فلا يقصدها الاّ طلباً للصيد

ولنفرض ان مخترعات امة من الامم كافية لاخراج مقدار معلوم من الطعام وحينئذٍ

يمكن الانسان على ما قال ملثوس وداروين ان يتوالد و ينتج من النسل ما يتكافأ مع ذلك المقدار و بعبارة اخرى يمكنهُ تكثير ولدهِ الى حدٍّ يكون بينهُ و بين الطعام نسبة ثابتة

قلنا فيما مرَّ ان النظام الاجتماعي يعتمد على العدد فلننظر الآن في وجه ذلك الاعتماد . فقد حاول بعض العلماء ان يبين انهُ يمكن التوفيق بين مقدار معلوم من السكان و بين كل درجة من درجات ارتقائهم في السلّم الانساني حتى يبلغوا ارقى درجة من الحضارة . مثال ذلك ان بعض القبائل الواطئة في سلّم الارتقاء كالاقزام موءلفة من جماعات صغيرة جدًّا كلٌّ منها تشتمل على عشرة اشخاص الى اربعين. والجماعات التي ارقى منها قليلاً كالاستراليين الاصليين موءلفون من قبائل في كلٍّ منها ٥٠ شخصاً الى ٢٠٠ . ومعظم قبائل اميركا الشمالية وهم ارقى من الاستراليين موءلفون من جماعات عدد كلٍّ منها ١٠٠ الى ٥٠٠ . وقد سُمّي هذه القبائل كلّها متوحشة واهمُّ خواصها ومميزاتها من الجهة الاقتصادية انها قبائل رحَّل تعيش بالصيد والقنص

واستطرد في قسمتهِ هذه فقسم الامم التي هي ارقى قليلاً من المتوحشة الى ثلاثة اقسام سماها كلها برابرة. اما القسم الاول فيشمل القبائل التي تستقرُّ في مكان من الارض لاحتراف الزراعة او ترحل من مكان الى مكان انتجاعاً للكلاء كقبائل الهنود الاميركيين المسماة اريكويز وقبائل الموري في زيلندا الجديدة . والقبيلة منهم تتألف من ١٠٠٠ الى ٥٠٠٠. والثاني يشمل القبائل التي لها بعض النظام كقبائل الداهومي والاشنتي في غرب افريقية . وقد يبلغ عدد القبيلة منها مئة الف . والثالث القبائل التي هي ارسخ نظاماً كالحبشان واهل مدغسكر وعدد كلٍّ منهم نحو نصف مليون

هذه هي زبدة تقسيمهِ . و يقال اجمالاً ان اختلاط النظام الاجتماعي وتلاوءُم اجزائهِ في اوائل عهد الارتقاء الانساني تابعان لحجم الجماعة . ولما كان حجمها تابعاً لطريق معيشتها الاقتصادية فلا بدع اذا سميت جماعة الطعام اي الجماعة التي يتوقف مقدارها على مقدار ما تجدهُ من الطعام

وهناك حالة اولية غير الطعام توءثر في النوع الانساني تأثيراً جوهريًّا وهي الميل الى الزواج واخلاف النسل. فبذلك يكون نظام الاجتماع ذا وجهين الواحد وهو الاهم وجه طلب الطعام ، والثاني وجه طلب الزواج . فقد كان الناس في حال فطرتهم الاولى يطلبون الصيد جماعات كسائر الحيوانات الاجتماعية ويعيشون جماعات ايضاً و ينحصر تزاوجهم فيهم ولكن لما جعل كل بيت منهم يتزوج من غيرهِ بات امر التزاوج اعظم شأناً من امر الطعام لان

الحصول على الطعام سهل تستطيعهُ القبيلة نفسها في حين ان تزوج غريبة انما هو من المسائل الصعبة التي يقتضي حلُّها اخذاً وعطاء من الطرفين

وعلى ذكر نظام الزيجة الخارجية نقول ان العلماء مختلفون في هل كان الناس في حال فطرتهم الاولى يتزوجون اقاربهم الاقربين ام يتزوجون الاباعد عنهم . و بعبارة اخرى اية العادتين كانت السابقة عادة التزوج الخارجي ام عادة التزوج الداخلي . فقد وجد بعض الباحثين في عادات قبيلة الفيدا من سكان غابات سيلان ان فئة منها تتزوج من الفئات الاخرى بحكم عادة قديمة وان فئة اخرى لا تتزوج من الغير . ومن رأيهم إن الفئة التي يتزاوج رجالها ونساؤُها كانت فيما مضى تتزوج من الخارج ثم طرأ عليها ما حال دون ذلك فوقعت بين شرين فاما ان تتزوج من الداخل واما ان تمتنع عن التزوج بتاتاً فاختارت الاول وهو الاصغر . و يقول البعض انها عادة الانسان الاول ولكن ليس ثمة دليل بيّن على صحة هذا القول

ومن اكثر العوامل تأثيراً في النظام الاجتماعي وتكييفهِ مبدأُ ملكية الافراد وخصوصاً الملكية العقارية . فان قسمة الناس الى غنيّ وفقير هي اعظم ما يميز طبقاتهم المختلفة بعضها عن بعض . وقد يقسمون في بعض البلاد الى احرار وعبيد . او الى اصحاب حرف شريفة وحرف دنيئة ولكن اساس هذه التقاسيم كلها ملكية الفرد كما تقدم اذ قد جرت العادة بان يسمى من الحرف شريفاً ما عاد على صاحبهِ بريع حسن وما قلَّ ريعهُ فهو الخسيس الدنيءُ

قلنا ان نظام الاجتماع يتوقف على العدد وهذا على المهارة التي تبذل في طلب الطعام . ولكن هذا القول يصحُّ الى حدٍّ محدود اذ لا مشاحة في ان تركيب الجمعية البشرية وتنظيمها يتوقفان على الفهم والادراك . فانهُ ان كان نظام الاجتماع نتيجة طبيعية لنمو السكان فهو كذلك من صنعة العقل الانساني الذي شحذ غرارهُ لاختراع طرق واساليب شتى في جمع الناس جماعات كبيرة للتعاون على العمل معاً

لذلك اذا نظرنا الى الجمعية الانسانية نظراً خارجيًّا صرفاً خيِّل الينا انها لا تخرج عن كونها آلة مسخرة لقضاء غاية اي انها نتيجة الادراك لا الادراك نفسهُ . ولكننا سنرى فيما يلي ان هذه الآلة الاجتماعية تتحرك من نفسها ومتى اطلعنا على تركيبها الداخلي والممنا بقوتها المحركة لها اضطررنا اذ ذاك الى العدول عن رأينا الاول فيها وحكمنا بانها ليست مجرد آلة صماء عمياء بل جسم حيّ بل اكثر من ذلك — اي انها مجموعة نفوس وعقول مستقلة ولكنها متداخلة بعضها في بعض تسعى معاً في طلب استقلال الفرد والحرية

معركتا كورونل وفوكلند

لا يستطيع احد ان يصف الحروب البرية والبحرية مالم يشاهدها بعينهِ او ينقل اخبارها عن الذين شاهدوها. والذين يشاهدون معركة من المعارك لا يحيط الواحد منهم بتفاصيل كل ما يقع فيها لسعة نطاقها فلا بدَّ من جمع اقوال كثيرين من الذين شاهدوها في جهات مختلفة ومقابلتها بعضها ببعض ونقدها وتمحيصها حتى يقلَّ الخطأُ ما امكن وتكون الخلاصة اقرب ما يكون الى الحقيقة ولهذا لا ينتظر ان يكتب تاريخ صحيح مدقق للحرب الاوربية الحاضرة الاَّ بعد بحث دقيق مدى سنوات عديدة لكنَّ الروايات عن بعض المعارك لا يخلو ذكرها من فائدة ولا سيما اذا كتبها اناس شهدوها واشتركوا فيها ودلَّت الدلائل على انهم وضعوا الغرض جانباً حينما كتبوا وانصفوا وانتصفوا في ما رووهُ عن خصومهم. ومن ذلك رواية كتبها رجل اسمهُ ستفنصن كان في الطراد الانكليزي الصغير المسمى غلاسكو [1] حينما وقعت المعركة البحرية في كورونل [2] التي تغلب فيها اسطول امير البحر سبي الالماني على السفن الانكليزية ثم دارت عليهِ الدائرة في المعركة التي تلتها في فوكلند [3] لاسيما وان هذا الطراد نجا من المعركة الاولى وحضر المعركة الثانية ثم قطع نحو سبعين الف ميل وهو يفتش عن فولها كما سيجيء. قال ما خلاصتهُ

كنا في جنوب اميركا حينما نشبت الحرب الاوربية وكانت مهمتنا هناك قد انتهت وأُمرنا بالرجوع الى انكلترا فجعلنا نشتري الهدايا لاقاربنا واصدقائنا من اسواق ريوجنارو عاصمة البرازيل فلما طيَّر الينا البرق خبر نشوب الحرب لم نغتنظ ولا أُسقط في يدنا لان الجندي لا عمل لهُ الاَّ الحرب ولا يسرُّ الاَّ بها وللحال اطلقنا ما كنا اشتريناهُ من الطيور وطرحنا كل ما ظننا انهُ يعيق حركاتنا وقت الحرب من الامتعة وجعلنا نفتش عن سفن العدو. ومضى علينا شهران كأَنهما دهران ونحن نفتش في البحار والمرافئ من غير ان نهتدي الى سفينة المانية. ثم غنمنا سفينة فيها ما يساوي ٢٥٠ الف جنيه فطابت نفوسنا لان الغنيمة

---

(١) غلاسكو Glargow طراد خفيف تفريغهُ ٥٠٠٠ طن وسرعتهُ ٢٥ ميلاً بحرياً في الساعة وفيهِ مدفعان قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات و٦ مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ٤ بوصات

(٢) كورونل Coronel مينا في بلاد شيلي

(٣) فوكلند Falkland جزائر في الاتلنتك الجنوبي الى الشرق من راس مجلان وهو الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية وهي من الاملاك الانكليزية

للذين غنموها. وبلغنا حينئذ ان الطراد درسدن(١) الالماني اغرق سفينة انكليزية تجارية واتجه نحو ساحل اميركا الجنوبي الشرقي فاسرعنا وراءه والتقينا في طريقنا بالطراد منموث(٢) من طراداتنا فسررنا برؤيته لانهُ اول سفينة من اسطولنا وقع عليها نظرنا بعد نشوب الحرب فسرنا معهُ ٦٠٠ ميل الى سنت كاترينا بالبرازيل حيث بلغنا باشارة لاسلكية ان الطراد درسدن كان واقفاً هناك ليتناول الفحم لكننا لم نجد لهُ اثراً واتضح لنا حينئذ ان الاشارة التي بلغتنا كانت خداعاً من الالمان - والتقينا في طريقنا بالطراد غودهوب(٣) فصرنا ثلاثة طرادات فاتجهنا نحو الجنوب نفتش عن العدو الى ان وصلنا الى بورت ادغار في جزائر فوكلند فاقمنا هناك اياماً

وشاع ونحن هناك ان الطراد درسدن اتجه الى اميركا الجنوبية وسار الى طرفها الجنوبي فتبعناهُ ولكننا لم نعثر عليهِ ودرنا حول الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية الى ساحلها الغربي وبلغنا حينئذ ان الطرادين الالمانيين المدرعين شارنهرست(٤) وغنسنو(٥) هربا من وجه اليابانيين من المياه الصينية وهما آتيان الى اميركا الجنوبية وانهُ ستأتينا نجدة من بوارجنا لكي نستطيع مقابلة هذه الطرادات الكبيرة لان طراداتنا الثلاثة كانت صغيرة في جنبها. وذهبنا الى فلباريزو في بلاد شيلي لكي نبتاع ما نحتاج اليهِ من المؤونة ونستلم ما يحتمل ان يكون قد اتانا من البريد بعد ان انقطع عنا شهرين كاملين وسرنا من هناك جنوباً الى كورونل حيث وجدنا كثيراً من السفن الالمانية المعتقلة ولما دخلنا المرفأ نزل قارب من احداها واسرع نحو الشاطىء كالسهم . وبعد نصف ساعة رأينا ناراً مشبوبة على رأس اكمة فقال واحد من البحارة ان هذه النار اضرمت اشارة لبوارج الاعداء تنبئها بمجيئنا فكان كما قال ولم يخطر ببالنا حينئذ ما خبأ لنا القدر من الدواهي السود

---

(١) درسدن Dresden طراد محمي ترينة ٣٦٠٠ طن اعلاهُ مدرَّع وفيهِ ١٢ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٤ بوصات وانبوبان للتربيد وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحرياً في الساعة

(٢) منموث Monmouth طراد انكليزي ترينتهُ ٩٨٠٠ طن واعلاهُ مدرَّع بدرع سمكهُ ٤ بوصات وفيهِ ١٤ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وانبوبان للتربيد وسرعتهُ ٢٣ ميلاً بحرياً

(٣) غود هوب Good Hope طراد كبير قديم ترينتهُ ١٤١٠٠ طن اعلاهُ مدرع بدرع سمكهُ ٦ بوصات وفيهِ مدفعان قطر فوهة كلٍّ منها ٩ بوصات و١٦ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وانبوبان للتربيد وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحرياً في الساعة

(٤) شارنهرست Scharnhorst طراد مدرع حديث ترينتهُ ١١٥٠٠ طن وسمك درعهِ ٦ بوصات وفيهِ ٨ مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ٨ بوصات وعشرة و٦ مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات واربعة انابيب للتربيد وسرعتهُ ٢٣ ميلاً بحرياً في الساعة (٥) غنسنو Gneisenau مثل شارنهرست تماماً واحدث منهُ بسنة

وخرجنا من مرفإ كورونل الساعة العاشرة صباحاً و بعد نحو ساعتين التقينا بالغودهوب والمنموث و بالطراد الصغير أترنتو وكان البحر هائجاً جداً حتى تعذر علينا انزال القوارب لمخابرة الاميرال في الغودهوب وكنا نعلم ان بوارج العدو على مقربة منا فابعد طرادنا لكي يتيسر لنا الاستطلاع . ونحو الساعة الرابعة بعد الظهر شاهدنا ثلاثاً من بوارج العدو فطيرنا الخبر الى رفاقنا وكان البحر لا يزال مضطرباً جداً لكن الشمس كانت مشرقة في اشد لمعانها فتقدم الاميرال كرادوك بطراده الغود هوب وامر الطرادات الثلاثة الباقية ان تتبعهُ وخلع المدفعية ارديتهم كلها ما عدا قمصانهم استعداداً للقتال وكانت بوارج الالمان اربعاً وظهر لنا ان غرضها الاول ان تبقى الى الغرب منا لكي تكون الشمس وراءها وفي وجهنا فتعمي ابصارنا وسهل عليها ذلك لانها اسرع منا في سيرها فبقيت بعيدة عنا لا تصل اليها قنابل مدافعنا الى ان تمكنت من الوقوف الى الغرب منا ولما ابتدأ القتال كنت واقفاً على الظهر الاعلى ارقب بوارج الاعداء حتى اذا صارت الى الغرب منا تماماً جعلت تطلق قنابلها على الاترنتو وكان غير مدرع فرأى الاميرال انهُ يستحيل عليهِ ان يثبت طويلاً امام تلك القنابل فامرهُ ان يلوذ بالفرار . فسدد الشارنهرست والغنسنو مدافعها الى الغودهوب والمنموث والطرادان الآخران سددا مدافعها الى الغلاسكو

ولم يكن لنا اقل امل بالفوز او بالنجاة لان سفن العدو اقوى من سفننا جداً وكان فيها امهر مدفعيتهِ وكانت مدافعها اكبر من مدافعنا واطول مدى فكانت قادرة ان تقف بعيداً عنا حيث تصيبنا مدافعها ولا تصيبها مدافعنا وزد على ذلك ان اضطراب البحر الشديد كان يقلقل سفننا لصغرها وخفتها ولا يقلقل سفنهُ لكبرها وثقلها ولذلك كانت الامواج تعلو فوق مدافعنا غالباً اي ان عناصر الطبيعة كانت ضدنا وكان علينا ان ننازل عدوًّا عنيداً تقصر قنابلنا عن الوصول اليهِ . وكم كنا نتمنى ان تغيب الشمس و يرخي الليل سدولهُ حتى نتمكن من الدنو من العدو ومنازلتهِ عن قرب . وانهالت القنابل على الغلاسكو كالمطر ولكنها وقعت في الغالب حولهُ فلم ينلنا منها ضرر لاسيما وانها كانت صغيرة ومن طرادين صغيرين وأما الغودهوب طراد الاميرال فكانت القنابل الكبيرة من اكبر طرادات الالمان تنهال عليهِ وهو لا يستطيع ان يكيل لها صاعاً بصاع . وبعد قليل انفجر مخزن البارود فيهِ فنسف مداخنهُ وما حولها واطارها في الهواء وابتلعتهُ لجة البحر . ولما رأت مدفعيتنا ذلك اشتد بها الحنق فاستبسلت في رمي القنابل على الطراد الخفيف الذي كان ينازلنا حتى عطبتهُ فاضطر" ان يتنحى عن ميدان القتال وجاءنا طراد آخر حل" محلهُ و بعد قليل أُصلح الطراد الاول شأنهُ

وعاد الينا فاجتمع علينا ثلاثة طرادات خفيفة تحاول تغريقنا · ولما غرق الغودهوب صب الطرادان المدرعان نارهما على الطراد منموث حاسبين ان الطرادات الثلاثة الباقية كافية للقضاء على طرادنا فاصابنا منها ضرر غير قليل ولكنها لم تتمكن من القضاء علينا وقد مرّت قنبلة من قنابلها قرب انبوب البخار على خمسة اصابع منهُ ولو اصابتهُ لغرقنا كلنا ولم يبقَ منا من يكتب وصف هذه المعركة · ودخلت قنبلتان مخزن الفحم ولكن الفحم كان كثيراً فيهِ فاضاع فعل انفجارهما ودخلت قنبلة غرفة الربان وانفجرت فيها فلم تبقِ ولم تذر · وثقبت قنبلة جانب الطراد ثقباً كبيراً لكننا سددناهُ حالاً بما تيسر واضطررنا ان نسند السطح فوقهُ باخشاب كبيرة لئلاَّ يقع · وجرح بعض رجالنا ولكن لم تخر عزيمة احد فواظبنا على مواصلة العدو بنار حامية كلَّ مدة القتال · وقلنا حينئذ لربان المنموث ان يتحول الى جهة الشمال الشرقي لعلهُ ينجو فاجابنا انهُ لم يبقَ لهُ امل بالنجاة لكثرة ما دخل طرادهُ من الماء ولكنهُ سيحاول نطح احد طرادي العدو او رميهُ بالطربيد قبلما يغرق ودنا من الطرادين لهذه الغاية : أما نحن فكنا ننازل ثلاثة طرادات في وقت واحد ولم يكن لنا اقل امل بالتغلب عليها او النجاة منها اذا بقينا امامها ورأينا ان البقاء في ذلك المأزق ضرب من الانتحار لان سرعة طرادنا قد تمكننا من النجاة اذا حاولنا الفرار فادرنا دفتنا ولذنا بالفرار وعددنا نحو سبعين طلقة اطلقت على المنموث ثم غاب عن ابصارنا

واقتفت طرادات العدو اثرنا لكننا سبقناها كلها وادرنا آلاتنا البخارية بسرعة ٢٧ ميلاً بحرياً في الساعة لكننا لم نكن نسير الاَّ ٢٤ ميلاً لشدة اضطراب البحر ووجود ثقب كبير في جانب طرادنا فسرنا الليل كلهُ على هذه الصورة والتفتنا في الصباح فوجدنا ان العدو عدل عن مطاردتنا لكن حزننا على رفاقنا الذين غرقوا انسانا الفرح بنجاتنا فقد مضت علينا مدة طويلة ونحن مرافقون للغودهوب والمنموث وصرنا مع بحارتهما من اعز الاصدقاء فشق علينا ان نُحرَم من مشاهدتهم بعد الآن

و بعد ثلاثة ايام وصلنا الى مضيق مجلان من غير ان نري سفينة في طريقنا ثم وصلنا الى بورت شيلي بعد خمسة ايام اخرى ومن هناك ارسلنا خبر هذه المعركة الى وزارة البحرية وكنا قد ابعدنا عن محلها ٣٥٠٠ ميل · وكان لا بدَّ لنا من الوصول الى ريو جنارو مسافة الف ميل اخرى قبلما نتمكن من اصلاح ما اصاب طرادنا · وكنا نظن دائماً ان طرادين من طرادات العدو يجدان السير وراءنا ولكننا علمنا بعد ذلك انهما تبعانا اولاً ثم اضطرا ان يدخلا مرفأ فلباريزو لكي يصلحا ما اصابهما

وبعد ما اصلحنا طرادنا التقينا بالسفن كورنول[١] وكارنارفون[٢] وكنت[٣] وبرستل[٤] ثم بالطرادين المدرعين الكبيرين الانفنسل[٥] والانفلكسبل[٦] ولواؤها معقود للاميرال ستردي فسار هذا الاسطول الكبير لكي يأخذ بثار الغودهوب والمنموث وظللنا عشرة ايام نفتش البحار عن سفن الاعداء الى ان وصلنا الى بورت ستنلي في جزائر فوكلاند واخذنا منها ما نحتاج اليهِ من الفحم وعدنا نفتش عن الاسطول الالماني وفي صباح الثامن من دسمبر سنة ١٩١٤ رأينا دخاناً في الافق وبعد قليل بانت لنا سفن العدو وكانت طراداتنا الكبيرة لا تزال تأخذ الفحم أما الطرادات الصغيرة فكانت قد اتمت اخذ فحمها واستعدت لمقابلة العدو وكان طرادنا الغلاسكو في مقدمتها فاطلقنا بخارنا وقلنا جاءت ساعة الاخذ بالثار · وكان غرض الاميرال سبي من المجيء الى جزائر فوكلند تخريب مكان التلغراف اللاسلكي ولذلك دنا من الشاطىء ولكن بارجتنا كنوبس[٧] بادرتهُ بمدافعها التي قطر فوهتها ١٢ بوصة فاندهش من هذه المفاجأة ورأى حينئذ انهُ صادف خصماً عنيداً لا كالخصم الذي لقيهُ في النوبة الاولى فادار دفتهُ وحاول الفرار فجددنا وراءهُ ونحن نطلق المدافع ونكثر من اطلاق الدخان حتى لا يرى طرادينا الكبيرين يتناولان الفحم وبعد قليل اتما تناول فحمهما وتبعانا باشد سرعتهما ومدافعهما تقصف كالرعد القاصف وكانت بوارج الالمان كلها قد لاذت بالفرار ولكن اين المفر وذانك الاسدان وراءها كالقضاء المبرم يزأران ويبرقان ويرعدان فسبقا كنت وكارنرفون وكورنول وأما طرادنا الغلاسكو فبقي مجارياً لهما لسرعة سيرهِ وكنتُ واقفاً على ظهرهِ مع كثيرين من البحارة ارقب سير القتال واطلاق القنابل

(١) كورنول Cornwall طراد مدرع تفريغهُ ٩٨٠٠ طن وسمك درعهِ ٤ بوصات وفيه ١٤ مدفعاً قطر كلٍ منها ٦ بوصات وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحرياً

(٢) كارنارفون Carnarron طراد تفريغهُ ١٠٨٥٠ طناً وسمك درعهِ ٦ بوصات وفيهِ ٦ مدافع قطر كلٍ منها سبع بوصات ونصف و٦ مدافع قطر كلٍ منها ٦ بوصات وسرعتهُ ٢٢ ميلاً بحرياً ونصف ميل

(٣) كنت Kent طراد تفريغهُ ٩٨٠٠ طن وسمك درعهِ ٤ بوصات وفيهِ ١٤ مدفعاً قطر كلٍ منها ٦ بوصات وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحرياً

(٤) برستل Bristol طراد خفيف تفريغهُ ٥٠٠٠ طن فيهِ مدفعان قطر كلٍ منها ٦ بوصات و٦ مدافع قطر كلٍ منها ٤ بوصات وسرعتهُ ٢٥ ميلاً بحرياً

(٥) الانفنسبل Invincible طراد كبير مدرع من نوع الدردنوط تفريغهُ ١٧٢٥٠ طناً وسمك درعهِ من ٧ بوصات الى ١٠ وفيهِ ثمانية مدافع قطر كلٍ منها ١٢ بوصة وسرعتهُ ٢٧ ميلاً بحرياً في الساعة

(٦) الانفلكسبل Inflexible مثل الانفنسبل تماماً

(٧) كنوبس Canopus بارجة قديمة تفريغها ١٢٩٥٠ طناً وسمك درعها ٦ بوصات الى ١٢ وفيها اربع مدافع قطر كلٍ منها ١٢ بوصة و١٢ مدفعاً قطر كلٍ منها ٦ بوصات ولكن سرعتها ١٢ ميلاً ونصف ميل فقط

ولما رأى العدو ان الفرار متعذر امر طراداتهِ الخفيفة ان تنجو بنفسها ووقف الطرادان الكبيران شرنهرست وغنسنو ليشاغلانا عنها . فامر الاميرال ستردي طرادنا ان يجد في اثر الطرادات الالمانية الخفيفة ويمنعها من النجاة ولم يمضِ علينا وقت طويل حتى ادركنا الطرادين نورنبرج(١) وليبتسك(٢) فحاولا منازلتنا معاً لكن مدافعنا كانت اقوى من مدافعهما فمنعناهما من الاجتماع فاضطر الطراد نورنبرج ان يفترق عن رفيقهِ فطاردهُ الطراد كنت واغرقهُ وبقينا نحن على مطاردة ليبزك الذي قال قبطانهُ انهُ يستطيع ان يغرق سفينة انكليزية كل يوم فاصليناهُ ناراً حامية حتى صار شعلة نار ثم جاء الكورنول وعاوننا عليهِ حتى اغرقناهُ وانقذنا بعض ضباطهِ وبحارتهِ وسمعنا منهم اخباراً سداها ولحمتها الكذب فقد قيل لهم ان اسطولنا هو كل ما بقي من الاساطيل الانكليزية ولم يدر في خلدهم ان طرادنا هو الغلاسكو لاعتقادهم ان الغلاسكو غرق في المعركة الاولى . ومما قيل لهم ايضاً ان المانيا استولت على فرنسا كلها واحتلت مدينة لندن . وقد راعهم ما لقوهُ من حربنا وقالوا ان قنبلة من قنابلنا اصابت ضابطاً من ضباطهم وهو يلبس منطقة النجاة فوسطتهُ وان جماعة منهم كانوا في غرفة التبريد فاقفلت عليهم وشووا بها شيًّا

وحالما قضينا على الطراد ليبزك بعث الينا الاميرال ستردي يقول قد اغرقنا الطرادات الكبيرة فاين البقية فاجبناهُ ان الطراد درسدن نجا من ايدينا لعظم سرعتهِ ونحن مشغولون باخيه ليبزك وقتل من طرادنا رجل واحد وجرح آخر جرحاً بالغاً مات منهُ وجرح ثمانية او تسعة غيره جروحاً غير بالغة وعدنا الى بورت ستانلي حيث انزلنا الجرحى والاسرى وفي اليوم التالي تليت علينا رسالة الملك تهنئنا بالظفر

ولم يبقَ من الاسطول الالماني الا الطراد درسدن(٣) وكنا نتوق الى منازلتهِ ولكننا بقينا ثلاثة اشهر نفتش عنهُ حتى التقينا بهِ وكان البرد شديداً جدًّا في تلك الاقطار وكثيراً ما كنا نمر بين جبال الجليد الطافية في البحر واخيراً التقينا بهِ عند جزيرة روبنصن كروزو وفي اقل من دقيقة اضرمنا النار فيهِ فنشر الذين فيهِ الراية البيضاء علامة التسليم فرضينا بذلك وابطلنا اطلاق المدافع عليهِ وارسلنا اليهِ قارباً فيهِ طبيب ليعتني بالجرحى وكنت انا

---

(١) نورنبرج Nurnburg طراد محمي تفريغهُ ٣٤٥٠ طناً وفيهِ عشرة مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ٤ بوصات وانبوبان للتربيد وسرعتهُ ٢٣ ميلاً بحريًّا ونصف ميل (٢) ليبزك Leipzig مثل نورنبرج

(٣) درسدن Dresden طراد محمي تفريغهُ ٣٦٠٠ طن وفيهِ ١٢ مدفعاً قطر كلٍّ منها ٤ بوصات وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحريًّا في الساعة

في القارب فوجدنا ان الجرحى انزلوا كلهم الى البر وهم نحو اربعين جريحًا فجدفنا الى البر ولما بلغناهُ سمعنا صوت انفجارين عظيمين فالتفتنا واذا الدرسدن اخذ يغرق اما لان النار وصلت الى مخازنهِ فانفجر بارودها او ان رجالهُ نسفوهُ لكي لا يقع في يدنا وهو آخر الاسطول الالماني في تلك البحار

مصر منذ تسعين سنة

الترجمانة

خرجت مع زينب الى مكتبة مدام بونوم وكنت لم ارها بعد ليلة التمثيل اذ كانت الممثلة الاولى فتلطفت في استقبالنا وجعلت تترجم بيني وبين جاريتي. وكان لها دكان ملاصق للمكتبة تبيع فيهِ بعض الاقمشة والتحف والالبسة الاوربية للسيدات فوقفت زينب امام هذا الدكان مبهوتة بمنظر تلك البضائع والتحف والاقمشة المطرزة

فاوضحت لمدام بونوم ما جرى لي بعد ان اشتريت الجارية وما اعانيهِ من الصعوبات في الحديث والتفاهم معها وذكرت امتناعها عن الاكل وطلبها لبس الحبرة واستشرتها فيما يجب ان افعل وطلبت منها ان تسألها اولاً هل هي راضية من السكنى معي. وهل ترغب ان اردها الى النخاس. فكلمتها السيدة طويلاً لتعلم دخائل افكارها واخيراً قالت لي يظهر ان جاريتك هذه ساذجة جاهلة ولكنها طيبة القلب وتقول انها مسرورة جدًّا من امتلاكك اياها ولا تريد ان ترجع الى النخاس. وانما تأبى ان تخرج معك بالملاءة كنساء العامة وترغب ان تلبس حبرة «كالهوانم» او ان تلبس البرنيطة على زي النساء الاوربيات. فقلت لها اني لا اجعل نفسي هزءًا وسخرية كيف اخرج وذراعي في ذراع هذه الجارية الصفراء الجنس وهي على الزي الاوربي. فقالت اترك الامر فانا ارضيها. ثم نهضت واخذت من الرف قبعة بيضاء من التيل المخرم كقبعات الممرضات والخادمات عندنا ووضعتها على رأسها فرأَت انها لا تليق بلونها الاصفر وظهرت فيها كريضة خرجت من المستشفى. ثم عمدت الى طاقية حمراء رومية مطرزة بشريط القصب كطواقي الروميات والالبانيات فرأَيتها اكثر مناسبة ولباقة لهيئتها ولما وقفت امام المرآة ورأَت نفسها بهذه الطاقية المزركشة اللامعة اظهرت السرور والارتياح واستغرقت في الضحك وبدأَت تصفق بيديها فرحًا فاشتركت معها في التصفيق والسرور

ثم طلبتُ من مدام بونوم ان تسألها عن بلادها وماضي حياتها فقالت انها لا تعلم اسم

البلاد التي نشأت فيها غير انها تذكر انها ولدت في بلاد بعيدة يحيطها البحر وان اباها واهلها اغنياء ومن اعيان المدينة وقد خطفها وهي صغيرة القرصان العرب الذين كانوا يجولون بمراكبهم حول شواطىء بلادها لاقتناص الجواري . فلم اشك حينئذ من لون بشرتها انها من جاوى او من جزائر المحيط الهندي المأهولة بالجنس الاصفر . وقالت انها بيعت اولاً لاحد امراء مسقط في عمان ثم اشتراها احد مشايخ القبائل في بلاد الحجاز وعرضت للبيع على النخاس عبد الكريم في موسم الحجاج فاشتراها واحضرها الى مصر مع الجلابة . وقالت لي مدام بونوم ان سنها لا تتجاوز الثانية عشرة واني دفعت في ثمنها مبلغاً كبيراً فلو لم اشترها لكانت بقيت عند النخاس زمناً طويلاً لان الاتراك والاعيان في مصر يفضلون الجواري الحبشيات والسودانيات والروميات على الجواري الصفر . ثم قلت لها ان تسألها لماذا امتنعت عن الاكل وهل تتدين بالبرهمية الهندية فاجابت لا بل هي مسلمة ولا تعرف معنى الديانة البرهمية وانها لم تتعلم سوى لغة بلادها « الجاوية » وانما تفهم قليلاً اللغة العربية تعلمتها مدة اقامتها في الحجاز ولكنها لا تحسن النطق بها كالمصريين . واما امتناعها عن الاكل فلكونها كانت صائمة حتى مغرب الشمس . فقلت لها — ولكن انقضى رمضان شهر الصوم اجابت انها امتنعت عن الصيام في يوم من ايام رمضان وتصوم الآن بدلاً منهُ

النزهة في الروضة

كان قنصل جنرال فرنسا وعدني عند ما زرتهُ في المرة الاخيرة ان يدعوني يوماً ما يختارهُ لنزهة في ضواحي القاهرة وكنت بانتظار هذا الموعد اذ اركب العربة القنصلية تحت حراسة القواسة والخدم . والعربات في القاهرة نادرة ولا وجود لها الاّ عند الباشا الحاكم ومعتمدي الدول ولا يجوز لاحد غيرهم ان يقتني عربةً الاّ باذن خاص . وطرق القاهرة ضيقة مترِبة غير مستوية لا تصلح لمرور العربات وخصوصاً لكونها مزدحمة بالمارّة والكلاب . وفي صباح اليوم التالي جاءني قواص القنصل وقرع باب منزلي برأس عصاهُ الفضية قرعاً عنيفاً متواصلاً لينبه الجيران ويظهر لهم منزلتي وحقيقةً ان كثيرين من السكان نساء ورجالاً اطلوا من ابواب بيوتهم ونوافذها ونظروا اليَّ بعين التجلة والاحترام . وقال لي القواص على مسمع منهم « ان سعادة القنصل ينتظرك غداً للنزهة في الروضة كما وعد حضرتك »

ولما ذهب القواص بدأت افكر فيما يجب ان اصنعهُ مع الجارية هل اتركها وحدها مع الطباخ والبواب والخدم وليس من اللياقة والادب ان اصحبها معي في عربة القنصل وهو لا يعلم بعد اني اقتنيت جارية . فهذا الامر جعلني في حيرةٍ وعزمت ان اتخلص من هذه

الورطة باستشارة مواطني جان فذهبت اليهِ وذكرت لهُ حيرتي واوضحت لهُ حرج موقفي ورجوتهُ ان يدلني على اسرةٍ قبطية معروفة بحسن السمعة والاداب لاودع الجارية عندهم مدة تغيبي فدلني على رجل كهل قبطي متقدم في السن يدعى منصور ومن حسن الحظ انهُ يتكلم قليلاً اللغة الفرنسوية وقال لي انهُ من الاقباط الذين كانوا في خدمة الحملة الفرنسوية وانهُ بعد خروجها من مصر خاف على نفسهِ فاتبع الجنود الفرنسويين مع من لحقهم من الاقباط ومكث في فرنسا مدة طويلة · ولما نفي بونابرت الى جزيرة البا وتبوأ آل بوربون عرش فرنسا اضطهد حاكم مرسيليا البوربوني كل الاقباط الموجودين في هذه المدينة لكونهم على زعمهِ من رجال الحملة ومن الحزب البونابرتي ونفاهم من فرنسا فرجعوا الى مصر وبعضهم ألقي في البحر وكان منصور هذا بينهم فنجا سباحة الى شاطىء آخر في ضواحي مرسيليا والتجأ الى كوخ صياد ثم ركب من هناك سفينة ورجع الى مصر(1) فاخذني جان الى بيت هذا الرجل في حي الاقباط ولم يكن عندهُ سوى امرأة كهلة مثلهِ وكان منزلهُ كبيراً واسعاً الأ ان سقوفهُ متداعية للسقوط وجدرانهُ آيلة للخراب وفرشهُ حقير قذر والاوساخ متراكمة فيهِ فلم أرَ هذا البيت صالحاً لسكنى الفتاة ودعوت الرجل وزوجتهُ لان يأتيا الى منزلي ويسكنا عندي ويقوما بخدمتي مدة اقامتي بمصر مقابل اجرة معينة وهي غرش ونصف في اليوم فقبلا هذه الدعوة بسرور وهكذا اطمأن بالي بعد ان رتبت حالة داخليتي ومعيشتي

وفي صباح اليوم التالي خرجت من منزلي وقصدت دار القنصل فرأيت العربة عند الباب وحولها فارسان من القواصة لحراستنا في هذه النزهة ورأيت داخل العربة القنصل وقونشلير القنصلية وشيخاً معمماً طويل اللحية مهيب الطلعة عرفني بهِ القنصل · وقال لي هذا

(1) ذكر لي حضرة وهبي بك الناظر السابق للمدارس القبطية نقلاً عن بعض الرواة الثقات ان عدد الاقباط الذين رافقوا الحملة الى فرنسا نحو بضعة آلاف رجل بين جنود وتراجمة وخدمة وكان بينهم لياس بقطر صاحب القاموس الكبير المشهور باسمهِ الذي طبع في فرنسا تحت نظارة برسيفال المستشرق الفرنسوي · وذكر لي نقلاً عن سعادة باسيلي باشا تادرس المستشار السابق في الاستئناف انهُ في عهد اسماعيل باشا حضرت جوقة من الممثلين والممثلات الفرنسويات وكانت الممثلة الاولى بينهنَّ سيدة تدعى مدام منصور كان ابوها قبطياً يدعى المعلم منصور من بقايا الحملة التي خرجت من مصر وتزوج في مرسيليا بفتاة فرنسوية وولدت لهُ هذه الابنة ولما شبت مالت الى فن التمثيل ونبغت فيهِ وكانت لم تزل تذكر اسم ابيها · ومن نوادر ذلك العهد ايضاً ان احد اغنياء الاقباط المدعو ابو طاقية استدان منهُ الجنرال بونابرت خمسين الف ريال بصك رسمي ممهور باسمهِ وبعد اربعين سنة وجد ورثتهُ هذا الصك فذهب احدهم الى فرنسا يطالب الحكومة بالدين وكانت الامبراطورية الاولى قد سقطت فرفضت ايفاء هذا الدين القديم لمرور الزمن الاَّ انها وهبت الرعوية الفرنسوية لابناء هذه الاسرة

هو الشيخ ابو خالد من العلماء المدققين وهو متضلع من العلوم العربية والادبية والدينية وميال الى العلوم والاداب العصرية ويحسن التكلم باللغة الايطالية ومحسوب من الشعراء المجيدين في مصر · وقد دعاهُ القنصل لمرافقتنا في هذه النزهة للاستفادة من معلوماته · فخرجنا من القاهرة وسرنا في الشارع المؤدي الى بولاق ومن هناك انعطفنا جنوباً الى جزيرة الروضة· وفي الطريق تبادلنا الحديث وقال لي القنصل ان هذا الشيخ من محبي الاصلاح المصري الراغبين في الانحلال من قيود التقاليد القديمة فهو بين علماء العرب كفولتير بين علماء العهد السابق · يميل الى اصلاح الاحكام المطابقة للتمدن العصري وكان من اصدقاء قواد الحملة الفرنسوية · فسألتهُ هل في مصر نوابغ من الشعراء فاجاب · نعم انهم كثيرون ولكننا لسنا في عصر هارون الرشيد والمأمون وغيرهما من ملوك الاسلام الذين كانوا يملأُون فم الشاعر درًّا لبيتين من الشعر يرتجلها او يهبونهُ بدراً من المال لقصيدة ينشدها · فنحن الشعراء الآن فقراء صعاليك اذا نظم احدنا قصيدة غراء مديحًا في امير فلاجل غداء او طعام يقتات بهِ وحكامنا اتراك لا يعرفون الشعر والامة جاهلة فقيرة لا تسر الأ بسماع اشعار عنترة او ابي زيد الحماسية في المنتديات والقهاوي واكثرهم اميون [1] ·وفي اثناء الحديث قال لي اني

(١) لم يصدق هذا الشيخ فيما زعم عن حكام مصر وقتئذٍ لان محمد علي باشا وابنهُ ابرهيم كانا يقدران العلماء والشعراء حق قدرهم وكان لمحمد علي باشا شاعر معروف يدعى شهاب الدين وقد قرأْت سياحة اخرى لاحد علماء فرنسا المدعو تيودور نافيل وهو من رجال الادب والصحافة زار مصر قبل جيرار دي نرفال وقابل محمد علي باشا وقال انهُ كان يجلُّ العلماء كثيرًا وكان لابرهيم باشا شاعر يدعى ابن انصراف او ابن اشراف Ebn Esrof لهُ كتاب في الشعر والادب دعاهُ « حياة النفوس » وهو آية في البلاغة والنظم وسمو المعاني ولو قوبلت منظومات الشاعر لامارتين بها لكانت دونها بالمقابلة بها كثيرًا مدرسي · وقال هذا الصحافي ان محمد علي باشا ابى اولاً ان يقابلهُ وهو يحسبهُ جاسوسًا او جزويتيًا وكلاهما مكروهان عندهُ ولكنهُ لما تأكد انهُ صحافي من رجال الادب سمح لهُ بمقابلتهِ مرارًا وفتح لهُ صدرهُ وكلمهُ في السياسة والعلم والاصلاحات العصرية وقال عنهُ انهُ شيخ جليل ذو طلعة مهيبة ومن نوابغ الزمن في الذكاء والفهم ومن ذوي العزائم الشماء فسألهُ الصحافي في الزيارة الثالثة عند الكلام عن السياسة · لماذا لا تعلن سموك استقلال مصر المطلق عن تركيا · اجابهُ اني اخشى حملات جرائد الاحرار عندكم فربما لا تؤيدني في الاستقلال · وقال عنهُ ايضاً انهُ كان واسع الاطلاع ملمًا باحوال السياسة الاوربية وبدخائل الاحزاب الفرنسوية وانهُ مشترك في اكثر جرائد فرنسا وانكلترا والتراجمة يقرأُون لهُ ملخصها · وقال انهُ كثير الاعجاب بنابوليون ومواقعهِ الحربية وكان يدعوهُ « بونابارديو » القائد العظيم وقال عن ابرهيم باشا انهُ رجل حربي غزا بلاد اليونان وايد فيها سلطة الباب العالي وانهُ اسر كثيرين من غلمان الاروام ونسائهم حتى ملأ مصر منهم · وقال انهُ قبل رحيلهِ من مصر ودع محمد علي باشا واهدى اليهِ مجموعة كاملة من رسوم ملابس جنود الحرس الامبراطوري من عمل شارليت الرسام الشهير فاعطاهُ عوضًا عنها خنجرًا مرصعًا ورمحًا من رماح المماليك كان للامير مراد بك

معجب باثنين من طائكم الفرنسو يين نبغا في علوم اللغة العربية الفصحى وعرفا اسرارها ودرسا شواردها واشعارها ومعجماتها اللغوية درساً مدققاً · فقال القنصل انهُ يعني الدكتور بيرون المستشرق الشهير والمسيو فرسنل قنصل فرنسا في جدة · واستأنف الشيخ الكلام فقال « ان علماءنا يقضون حياتهم في درس العلوم الدينية وكتب اللغة وحواشيها وهم متربعون على الابسطة يدخنون بالنارجيلة ويأبون الخروج من تقاليدهم القديمة ويستنكفون اقتباس علوم الافرنج مع ان هؤلاء اخذوها منا حينما كان الشرق زاهراً في العلوم عند العرب في الاندلس »

وبعد مسير ساعة في طريق متسعة مغروسة على جانبيها الاشجار وصلنا الى مروج خضراء وحقول مزروعة فيها اشجار التوت والنخل والتين ومسيجة بنبات الصبيّر (التين الشوكي) وهي من اراضي ابراهيم باشا كانت قبلاً بوراً قاحلة فجعلها جناناً عامرة ورياضاً زاهرة وبنى فيها القصور الفخمة (وهي اراضي القصر العالي)

وواصلنا السير جنوباً الى ان وصلنا الى قناطر شاهقة حيث ترعة الخليج وكانت اقنية يجري الماء بها الى القلعة ومن هناك عبرنا الى جزيرة الروضة · وهذه الترعة فرع من النيل على ضفتيها المقاصف البديعة والبساتين النضرة وعلى حسب التقاليد القديمة ان ابنة فرعون التقطت موسى الطفل هناك اذ كان ملقىً بين البردي فانتشلتهُ وربتهُ عندها في قصر ابيها الملك كما جاء في التوراة

الروضة والمقياس

والروضة جزيرة صغيرة زاهرة بين النيل وترعة الخليج وهي من املاك ابرهيم باشا جعلها جنة فيحاء وبنى فيها القصور والمقاصف وخصوصاً مقصف المقياس وارضهُ واعمدتهُ من المرمر وبالقرب منهُ جامع بديع الصنع حولهُ الحدائق الغناء وقد غرس فيها كل الاشجار المثمرة التي اتى بها من جميع انحاء الشرق وجلب اليها من الهند كل الاشجار الغريبة كالباو باب والبامبو والغاب والنارجيل والغوافا والمانجا · وطرق هذه البساتين مظللة بالنباتات المتعرشة ودوالي العنب وعلى جانبيها الزهور والرياحين فاصبحت هذه البقعة الجميلة كمعرض نباتي حاوٍ كل الاشجار الشرقية والهندية · وان كثيراً من المعارض النباتية الاوربية اتت بهذه المغروسات من الهند فلم تنمُ فيها مع شدة المحافظة عليها والوسائط التي استعملت لانمائها والفضل كلهُ في عمران الروضة يرجع خصوصاً الى ابرهيم باشا

قضينا نزهة جميلة تحت قباب الباوباب وظلال اشجار التمر الهندي والنارجيل وحولنا

مروج نضرة يعطر الارجاء شذا ازهارها ورياحينها العطرية · وعند مجاري السواقي اشجار الصفصاف الباسقة · وجلسنا على ضفاف النيل تحت ظلال الصفصاف الباكي (المستحي) تسبح اغصانهُ مع مجرى الماء كانما تحت فسطاط زمردي · وتلطف ناظر الروضة ففتح لنا باب ايوان القصف عند المقياس وكلهُ من المرمر وجلسنا لتناول الطعام · ثم انتقلنا الى كشك الحديقة وهناك « جبلاية » اصطناعية يصعد اليها بسلالم بديعة من اغصان الشجر حولها الزهور والرياحين وفي اعلاها كشك بنوافذ زجاجية تطل على مناظر بديعة تأخذ بمجامع القلوب

وكانت الشمس قد مالت الى الغروب فظهرت امامنا من جهة مصر ومنائرها وجوامعها وقبابها الشاهقة ومن جهة اخرى مصر القديمة وجامع عمرو ومن الغرب الاهرام الكبرى الثلاثة وراء الجيزة كأنها تناطح السحاب تلك الاهرام التي بنيت منذ اربعة آلاف سنة والتي وقف بونابرت عندها يخاطب جنودهُ بقولهِ « ان اربعين قرناً تنظر الى انتصاراتكم المجيدة » واني لست من رأي استاذي فولتير الذي قال « ان اهرام مصر لا توازي قن دجاجي » بدعوى ان هذا البناء العظيم شيد بدماء الملايين من البشر لاجل دفن جثة انسان واحد

ثم جلسنا في الكشك نتحدث وبدأ الشيخ ابو خالد يروي لنا عن بناء الاهرام روايات غريبة وقال ان بانيها جيَّان بن جيَّان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة تبعاً لوحي احد الكهنة المصريين المدعو اقليمان وقد تنبأ بحدوث طوفان عام يعم المسكونة كلها فامر ببناء الاهرام لتكون منجاة لاهل مصر وملوكها من الغرق وقال ان في داخلها كتابات علوم السحر والفلك وهي ملأى بالكنوز والطلاسم الى آخر ما هناك · وبعد ان تفرجنا على المقياس وقصر الباشا وكان وقتئذٍ خالياً ذهبنا الى الناحية الشمالية من الروضة ورأينا مدافن اسرة ابرهيم باشا وحرمهِ واولادهِ وعددها نحو ستين قبراً وكلها مبنية بالرخام الابيض والاعمدة المرمرية وعلى شواهدها الاقمشة الثمينة من الكشمير الفاخر والدمقس وحول هذه القبور الاشجار الباسقة وقصاري الزهور · ومن غرائب الاقدار انهُ رغماً عن كثرة نسائهِ لم يعش لهُ ولد واحد من ذريتهِ · ثم وصف لنا الشيخ معيشة حرم الباشا ونساء الحكام والامراء في داخل قصورهنَّ · وعند المساء رجعنا الى المدينة

(وفي المقالة التالية وصف الاهرام وما جرى لهذا السائح من الحوادث الغريبة والنوادر الفكاهية مع جاريتهِ ومنصور القبطي · واحد العلماء الالمان من اعضاء البعثة العلمية البروسية

ديمتري نقولا



استغلال الارض

(٧)

لا يمكن ان ترقى حالُ مزرعةٍ ما الى المثل الاعلى ربحاً ووجاهة مهما كانت وسائلها المادية وافية الاَّ اذا راعى ذوو الشأن في ادارتها ملاَّكاً كانوا او موظفين او فلاحين افضل المبادئ في تصرفاتهم ولكن منهم من ينحرف عن الطريقة المثلى في سياسة عملهِ عن جهل او سوء تقدير او إيثاراً للهوى ومن اثر ذلك ان نجد الملاَّك ساخطين على الموظفين انهم قليلو العناية والنزاهة وعلى الفلاحين انهم اغبياء خطافون ونجد الموظفين شاكين من الملاك اسرافهم في تقدير ما لهم من الحقوق وانقباضهم عن آداء ما عليهم من الواجبات ونرى الفلاحين باكين من ارهاق الملاك وموظفيهم لهم وفتك الآفات بزرعهم

وقد ذكرت فيما مضى وسأذكر فيما يأتي امثلة من الخطأ الشائع في الفلاحة وادارتها وسوء اثرهِ في اهلها وعندي انهُ لو تحري ذوو الشأن فيها مع تحامي هذا الخطأ — المبادئ الحسنة في معاملة بعضهم بعضاً لقضوا على هذا التظالم والتنافر الذي يتجرعهُ بعضهم من بعض

فمن جهة تجد من الملاك ورؤساء مزارعهم من يشوب معاملتهُ من دونهُ من جمهور اهل المزرعة وعمالها بالتحكم وسوء الظن والاستهانة والقسوة والقضاء على من لا يستكين منهم لذلك

ومن جهة اخرى نجد من الموظفين من يخلو عملهُ من مزايا الاخلاص والغيرة والجهد في تحري الاصوب والانفع فيأتي عملهُ في صورة جافة فاترة ولا قصد لهُ منهُ الاَّ تبريرهُ اخذ مرتبهِ واكل ما يمكنهُ اكلهُ بالباطل وسواء عندهُ بعد ذلك خصبت المزرعة او اجدبت ربح مالكها او خسر

ومن جهة ثالثة نجد من الفلاحين من يجمع بين التواني وعدم التبصر واضمار السوء فان اخصبت سنة اضاع ربحهُ منها فيما لا يفيد ولا يعيد وان كسدت اخرى تحيل ولو بالسلب على اخذ ما يقيت بهِ نفسهُ وماشيتهُ وليس للمالك الاَّ ما يبقى بعد ذلك وهو دون اجرة ارضهِ حتماً

ان ما ذكرتهُ آنفاً ليس من المبالغات بل هو بيان للواقع وقد يجتمع كلهُ في بعض المزارع وهي التي تغلّب فيها سوء الادارة تغلباً عظيماً وقد لا يكون في مزارع اخرى الاَّ بعضهُ على قلة او كثرة حسبما يكون في ادارتها من وسائل الاتقان والانصاف

هذا وسآتي في مقالات تالية على تفصيل ما اجملتهُ في مقالاتي السابقة تفصيلاً يشرح موجزهُ ويكشف مبهمهُ بقدر ما يتيسر لي الالمام بهِ من هذه الموضوعات التي لم يعالجها باحث غيري فيما اعلم احمد الالفي

زراعة القطن ومحصولهُ

مهما عظم اهتمام سكان هذا القطر بالحرب وحوادثها في هذا الصيف فانها لا تلهيهم عن التفكير في زراعة القطن والاهتمام بمحصولهِ فالسواد الاعظم من سكان مصر يصبحون ويمسون وهم ينظرون الى الحقول المزروعة قطناً ويقولون في نفوسهم ترى هل تتحقق الآمال في هذا العام فنستعيض فيهِ مما ضاع منا في العامين الماضيين عام الحرب وعام تضييق مساحة مناطق القطن

ولا يلام الزارع الذي قضى الاشهر في العمل الشاق مع اهل بيتهِ اذا كان اهتمامهُ ينحصر في تجبيرات زراعتهِ ولا يعذل المالك الذي يعلم ان وراءهُ البنك يطالبهُ بالاقساط والفوائد والصرّاف يتقاضاهُ الاموال الاميرية ومصاريف التعليم لاولادهِ ونفقات العائلة اذا دعا الله وسألهُ ان يمن على القطر المصري بمحصول كبير يجني منهُ ما يسد حاجاتهِ ويقيل عثرة المشتغلين بالزراعة من سكانهِ

نشرت وزارة الزراعة تقريرها الشهري عن حالة الزراعة المصرية في شهر يونيو وهي بالاجمال تبعث على الرضى والارتياح فان المزروعات كانت في ذلك الشهر فوق المتوسط بقليل او دونهُ بقليل وما دامت اسعار المحاصيل الزراعية على ما هي عليهِ من الارتفاع فالنقص القليل في معظمها تعوضهُ الزيادة في السعر كما لا يخفى

ولكن في كلام الوزارة عن زراعة القطن اموراً تشف عن الشعور بالخطر الذي يهدد هذه الزراعة الثمينة كل عام في مثل هذا الاوان فقد جد الزرّاع في تحسين اساليب زرع القطن والعناية بهِ حتى بلغوا في ذلك مبلغاً لا يستهان بهِ وتبارى اذكياؤهم في تحسين التقاوي وتجنيسها وساعدت مصالح الحكومة في ذلك فصار لنا من القطن اصناف جيدة جدًّا وبذلت الهمة في اصلاح الري فصارت مصر في مقدمة البلدان التي تروى ارضها ارواء صناعيًّا وبلغ

من اهتمام الحكومة بهذا الامر انها صارت تحكم في ماء النيل وترعهِ ومصارفهِ تحكماً عجيباً ولكنها مع ذلك تطلب المزيد لتكفل لمصر الكفاية من الماء لجميع زراعاتها

ولكن الزراعات المصرية ولا سيما زراعة القطن معرضة لآفات واخطار لا يهون تلافيها ولم يفتح على الناس بعد طرق درئها مع شدة ما تبذلهُ الحكومة والجمهور من العناية والهمة والاجتهاد بإبادة الدودة المعروفة بدودة القطن والدودة المعروفة بدودة اللوز والدودة القرنفلية التي تهدد القطر كل سنة وتلحق بهِ خسارة مالية عظيمة تقدر بملايين الجنيهات وهذه الملايين تنقص من ثروتهِ وتقلل قيمة اطيانهِ بنقص ايرادها لانهُ لا يخفى ان ايراد الفدان المزروع قطناً اذا سلم من فتك الديدان يزيد زيادة تذكر من غير ان يكلف زارعهُ غرشاً واحداً من المال او درهماً واحداً من التعب زيادة على ما ينفق عليهِ منهما بل ان سلامة الزراعة من الديدان توفر على الزارع مبلغاً طائلاً يصرفهُ كل سنة في تنقية اللطع والدود واقتلاع الحطب وحرقهِ الى آخر الاعمال التي قضت بها الرغبة في تلافي شر الدودة

وقد انقضى لحسن الحظ الزمان الذي كان جمهور الزراع يعتقد فيهِ ان الدودة تفتك بالقطن بامر الله وقضائهِ فلها رزقها ولا يجوز حرمانها منهُ كما ان للناس رزقهم وصار الزراع اشد الناس اهتماماً بإبادة الدودة ومكافحتها لا يحتاجون الى من يحثهم على مقاومتها ولا ينتظرون من يعاقبهم على الاهمال في اداء هذا الواجب · وانقضى مع ذلك الزمان زمان الاختراعات العجيبة والادوية الغريبة التي كنا نسمع بها منذ بضع سنوات والتي كان «مخترعوها» و«مكتشفوها» يقلقون راحة وزارة الزراعة وادارات الصحف بها واتجهت الافكار الى مكافحة الآفات والتخلص منها بالطرق العلمية المعقولة بتسليط الآفات على الآفات والبحث عن اصلح الاوقات للزرع والتبكير فيهِ حتى تنمو الشجيرات وتزهر قبل ميعاد ظهور دودة اللوز وتجنيس القطن حتى يتوصل الزراع الى الحصول على اصلح بزور تقوى على مكافحة الآفات الطبيعية والاحوال الجوية التي لا تلائم زراعة القطن في شهر سبتمبر

وقد ظهرت نتائج هذه المساعي بعض الظهور في محصول هذا العام فاخبار الجهات متفقة على ان التبكير في زرع القطن افاد فائدة تذكر كما افاد توسيع نطاق زرع صنف السكلاريدس

على ان بين العوامل التي ساعدت زراعة القطن على النمو والسلامة من دودة القطن عاملين لا يد للبشر فيهما الاول اشتداد حرارة الجو والثاني تكاثر الحشرات التي تفتك بهذه الدودة

اما حرارة الجو فلا سبيل الى التحكم فيها ولا يستطاع التنبوء بما تكون عليهِ في فصل من الفصول غير متوسطها الشهري واما الحشرات فيمكن الانتفاع بها بالطرق العلمية وذلك

بدرس طبائعها و بذلِ الهمة في تربيتها وتكثيرها حتى تكون منها آفـة على الدودة تبيدها وتنجي القطن من شرها . وهذا هو الاسلوب الذي اشار بهِ رجال العلم من اول الامر فانهم ثبطوا عزائم الذين وجهوا افكارهم الى صنع السوائل السامة والمساحيق التي ترش الشجيرات بها واشاروا بالبحث عن حشرات تسطو على الديدان وتفتك بها . وقد كان للمقتطف والمقطم يد في هذه المباحث يذكرها قراؤهما ولكن الصحف والمجلات قلما تستطيع التفرغ لمثل هذه الابحاث التي تعنى بها دور العلم الطبيعي ولذلك قال بعض افاضل الكتاب الذين تناولوا الموضوع في مقالاتهم المنشورة في المقطم كحضرة يوسف بك نحاس وغيرهِ انهُ يجب على الحكومة ان لا تدخر وسعاً ولا تضن بالمال في هذا السبيل وان تستقدم العلماء الاختصاصيين ليساعدوا رجالها الزراعيين في البحث عن هذه الحشرات وتربيتها طلباً لسلامة المحصول

وما دام اعتماد البلاد الاكبر في ايرادها على القطن فالواجب ان تضاعف المساعي لصون زراعتهِ من الآفات والاكثار من التجارب حتى نختار اصلح الاوقات لزرعهِ وافضل التقاوي ونكتشف انفع الطرق في تعطيشهِ واروائهِ وتسميدهِ ونجد في مكافحة الآفات التي تسطو عليهِ فان النجاح في هذه الامور يزيد في ايراد القطر بضعة ملايين من الجنيهات كل عام وفي ثروتهِ الاصلية اكثر من مئة مليون جنيه فوق ما يقتصدهُ سكانهُ ولاسيما الزراع منهم في القوة التي يمكن صرفها في سبل أخرى تعود عليهم بالربح الكثير

دودة لوز القطن

قانون بالاحتياطات التي تتخذ لابادتها

المادة الاولى — تقلع جذور شجيرات القطن والتيل والبامية او تقطع الى ما تحت سطح الارض بحيث لا تخلف نبتاً وذلك في كل عام قبل اليوم الخامس عشر من شهر دسمبر في مديريات بني سويف والفيوم والمنيا واسيوط وجرجا وقنا واصوان وقبل اليوم الحادي والثلاثين من شهر دسمبر في مديريات الجيزة والقليوبية والشرقية والغربية والدقهلية والمنوفية والبحيرة

يستثنى من ذلك المراكز الآتية التي يكون الميعاد بالنسبة لها لغاية الخامس عشر من شهر يناير وهي مراكز فوه ودسوق وكفر الشيخ وشربين (بالغربية) ومراكز رشيد وكفر الدوار وابو حمص (بالبحيرة) ومراكز دكرنس وفارسكور (بالدقهلية)

المادة الثانية — جميع اللوزات التي تبقى ملتصقة بشجيرات القطن يجب نزعها والتي

توجد منثورة على الارض يجب جمعها وذلك في كل عام بعد جني المحصول مباشرة وعلى اي حال قبل التواريخ التي تحدد سنوياً لكل مركز او منطقة بقرار يصدره وزير الزراعة بعد استشارة مجالس المديريات

واللوزات التي تنزع وتجمع على وجه ما تقدم يجب اعدامها في الحال باحدى الوسائل التي تعين لذلك في قرار يصدره وزير الزراعة

ويجب ان يحصل نزع اللوزات واعدامها على كل حال قبل الشروع في تقليع او قطع جذور شجيرات القطن المنصوص عليه في المادة السابقة

المادة الثالثة — على صاحب الارض او مستأجرها العمل بالاحكام الواردة في المادتين السابقتين فاذا كان للمالك او المستأجر وكيل يتولى شؤون الزراعة فيها او يلاحظ تلك الارض فعلى ذلك الوكيل العمل بتلك الاحكام

وكل مخالفة لاحكام المادتين السابقتين يترتب عليها العقوبة بالحبس مدة لا تتجاوز اسبوعاً وبغرامة لا تزيد على جنيه مصري واحد او باحدى هاتين العقوبتين فقط

المادة الرابعة — فضلاً عن كل محاكمة جنائية تقوم السلطة المحلية او عمال وزارة الزراعة الذين ينتدبون لهذا الغرض بما يأتي:

(١) عند مخالفة احكام المادة الاولى اجراء تقليع الشجيرات تحت مراقبتهم وان اقتضت الحال فبواسطتهم مباشرة

(٢) عند مخالفة احكام الفقرة الاولى من المادة الثانية اجراء نزع اللوزات وجمعها واعدامها تحت مراقبتهم وان اقتضت الحال فبواسطتهم مباشرة

(٣) عند مخالفة احكام الفقرة الثانية من المادة الثانية ضبط اللوزات واعدامها

(٤) عند مخالفة احكام الفقرة الثالثة من المادة الثانية ضبط الشجيرات واعدامها

وتحصل نفقات العمليات المتقدم ذكرها بالطرق الادارية طبقاً لاحكام الامر العالي الصادر في ٢٥ مارس سنة ١٨٨٠ على ان لا يطلب ويحصل على نفقات العملية المبينة في الفقرة الثانية من هذه المادة ما يزيد على خمسين قرشاً عن الفدان الواحد في اي حال

المادة الخامسة — كل من ينقل او يبقى عنده او يعرض للبيع او يبيع او يشتري اولاً احطاب القطن التي نزعت من الارض ولكنها لم تجرد من اللوزات وثانياً اللوزات التي كان يجب اعدامها بمقتضى الاحكام المتقدمة يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في المادة الثالثة المتقدم ذكرها

وفضلاً عن كل محاكمة جنائية تضبط الاحطاب واللوزات وتعدم في الحال بواسطة السلطة المحلية او العمال الذين تندبهم وزارة الزراعة لهذا الغرض

المادة السادسة — يراقب العمد والمشايخ تنفيذ احكام هذا القانون بمساعدة الخفراء تحت ملاحظة مفتشي وزارة الزراعة ووكلاء مفتشيها ومعاونيها والمديرين ومأموري المراكز والعمال الآخرين الذي يعينون لهذا الغرض

المادة السابعة — رجال الضبطية القضائية او عمال وزارة الزراعة الذين يندبون لذلك هم الذين يجوز لهم اثبات كل مخالفة لاحكام هذا القانون

محصول القطن المصري

شاع منذ مدة ان الاطيان المزروعة قطناً هذا العام في القطر المصري تزيد على اطيان كل عام من الاعوام السالفة حتى اوصلها بعضهم الى مليوني فدان . والظاهر ان الذين قالوا ذلك رأوا ازدياد المساحة المزروعة قطناً في بعض جهات الوجه القبلي فحسبوا ان القطر كلهُ جرى هذا المجرى مع اننا نعرف اكثر من مزارع في الوجه البحري قللوا زرع القطن هذا العام او ابطلوهُ تماماً لكثرة ما عانوهُ من الدودة القرنفلية التي اتلفت محصولهم في العام الماضي . وقد جاء احصاء وزراة المالية الذي نشرتهُ في اواسط يوليو فصل الخطاب في هذا الباب فانها قالت ان مساحة الاطيان المزروعة قطناً في الوجه البحري والقبلي تبلغ ١٦٥٥٥١٢ فداناً فقط وعليهِ فمجموع المساحة قلَّ عما كان في بعض السنين الماضية ولو زاد قليلاً في بعض جهات الوجه القبلي

هذا من جهة المساحة اما المحصول اي متوسط محصول الفدان فقد يأتي اربعة قناطير ونصف قنطار كما كان في بعض سني الخصب الخالية من الآفات وقد يأتي ثلاثة قناطير ونصف او اقل كما كان في السنين الكثيرة الآفات . فانهُ بلغ سنة ١٩٠٩ ثلاثة قنطار و ١٣ في المئة من القنطار لا غير

وحتى كتابة هذه السطور لم يصب الا القليل منهُ بدودة القطن واقل من ذلك بدودة اللوز ولكن الاختبار في العامين السالفين يدل على ان دودة اللوز ولاسيما الدودة القرنفلية تتأخر الى اغسطس وسبتمبر واكتوبر فتكثر في الزراعات الخصبة التي يبلغ محصول الفدان منها ستة قناطير فاكثر وتقل في الاطيان الضعيفة التي يبلغ محصول الفدان منها عادة اقل من

اربعة قناطير . وقد رأينا قطناً في العام الماضي قدّر متوسط محصولهِ بثمانية قناطير الى عشرة فلم يبلغ وقت الجني الا قنطارين وثلاثة ارباع القنطار لكثرة ما اصابهُ من الدودة القرنفلية . ومنظر القطن هذا العام في اكثر الغيطان يدل انهُ سيكون مما يقصدهُ فراش الدودة القرنفلية لما يظهر عليهِ من دلائل الخصب فاذا كان فراش هذه الدودة لا يزال كثيراً في القطر المصري كما كان في العام الماضي فالمرجح ان الاصابة بهِ ستكون هذا العام اشد مما كانت في العام الماضي ولكن ان كان هذا الفراش قد تلف بسبب من الاسباب لم يبقَ محل للخوف منهُ . غير ان وجود بعض الدود في الطرح الباكر يدلُّ على ان الفراش لا يزال موجوداً ولكن لا يعلم حتى الآن هل هو كثير كما كان في العام الماضي او قليل كما كان في الاعوام السابقة وان كان كثيراً فلا سبيل الآن لاتقائهِ مطلقاً ولا ينتظر ان يعلم ذلك قبل اغسطس وسبتمبر

فاذا فرضنا ان الدودة القرنفلية تلاشت من القطر المصري لسبب من الاسباب وكذلك تلاشت دودة اللوز الرمادية ودودة نبات القطن وجرى الموسم مجراهُ الطبيعي وبلغ متوسط محصول الفدان اربعة قناطير ونصف قنطار مثل افضل السنين الماضية فالمحصول الحالي سيبلغ سبعة ملايين ونصف مليون قنطار . ولكن اذا كانت الدودة القرنفلية باقية في القطر وفتكت باللوز فالمرجح ان فعلها يكون هذا العام اشد من فعلها في العام الماضي لما يظهر فيهِ من خصب القطن وحينئذٍ يقل المحصول جداً حتى اذا كان متوسطهُ ثلاثة قناطير و ١٣ في المئة من القنطار كما كان سنة ١٩٠٩ فالمحصول لا يبلغ سوى خمسة ملايين و ١٨١ الف قنطار

محصول القطن الماضي

يؤْخذ من النشرة الشهرية التي اصدرتها مصلحة الاحصاء العام عن شهر يونيو الماضي ان مديريات الوجه البحري اصدرت الى الاسكندرية من القطن من اول سبتمبر في العام الماضي الى شهر يونيو المنصرم ثلاثة ملايين و ٣٤٨ الف قنطار مقابل اربعة ملايين و ٨٣٦ الف قنطار في المحصول السابق فنقصت في المحصول الماضي مليوناً و ٤٨٨ الف قنطار

وأصدرت مديريات الوجه القبلي في هذه المدة مليوناً و ١٨١ الف قنطار مقابل مليون و ٤٧٥ الف قنطار فنقصت في المحصول الماضي ٢٩٤ الف قنطار

وهذا بيان لصادرات القطن من كل مديرية من المحصول الماضي حتى آخر شهر يونيو وما يقابلها في مثل هذه المدة من المحصول السابق

المديرية	محصول ١٩١٥ — ١٩١٦ بالقنطار	محصول ١٩١٤ — ١٩١٥ بالقنطار
المحافظات	٦٥٠٠٠	٢٧٠٠٠
البحيرة	٦٨٩٠٠٠	٧٦٠٠٠٠
الدقهلية	٣٧٩٠٠٠	٥٦٥٠٠٠
الغربية	١٥٤٤٠٠٠	٢٢١٣٠٠٠
المنوفية	٩٦٠٠٠	١٤٩٠٠٠
القليوبية	٢٠١٠٠٠	٤٧١٠٠٠
الشرقية	٤٢٩٠٠٠	٥٩٣٠٠٠
اسيوط	١٠٣٠٠٠	١٩٩٠٠٠
بني سويف	٤٤٧٠٠٠	٥١٥٠٠٠
المنيا	٣٩١٠٠٠	٥٥٢٠٠٠
الفيوم	٢٢٦٠٠٠	٢٠٦٠٠٠
الجيزة	١٤٠٠٠	٣٠٠٠
والجملة	٤٥٨٥٠٠٠	٦٣٣٨٠٠٠

وبلغت الواردات من القطن على الاسكندرية من اول سبتمبر سنة ١٩١٥ الى ٣٠ يونيو الماضي اربعة ملايين و٧٧٣ ٥٦٧ قنطاراً قدرت قيمتها بسبعة عشر مليونًا و٨٣١ ٥٤٢ ٢ جنيهاً اي ان متوسط سعر القنطار ١٩ ريالاً وعشرا الريال يقابل ذلك في المحصول السابق ستة ملايين و٣٠٤٤٠١ قنطار قدرت قيمتها بخمسة عشر مليونًا و١١٦٠٩١ قنطاراً اي بمتوسط سعر القنطار ١٢ ر يالاً فتكون واردات المحصول الماضي قد نقصت عن واردات المحصول السابق مليونًا و٧٣٦٦٢٨ قنطاراً ولكن قيمتها زادت مليونين و٤٢٦٧٤٠ جنيهاً مصريًا

وبلغت واردات البزرة في هذه المدة مليونين و١٤٣ ٤٨٧ اردبًا قدرت قيمتها بمليونين و٦٣٧ ٦٣٢ جنيهاً اي بمتوسط سعر الاردب مئة وخمسة غروش وثمانية مليمات يقابل ذلك في المحصول السابق ثلاثة ملايين و١٣١ ٧٠٣ اردبًا قدرت قيمتها بمليونين و ٨٨٧ ٤٨١ جنيهاً اي ان متوسط سعر الاردب سبعة وستون غرشًا فتكون واردات البزرة من المحصول الماضي قد نقصت عن مثلها من المحصول السابق مليونًا و ٩٨٨ ٢١٥ اردبًا ومع ذلك زادت قيمتها ١٥٠ ٧٥٠ جنيهاً

وقد بلغت قيمة محصول القطن الماضي حتى ٣٠ يونيو المنصرم عشرين مليونًا و٤٦٨ ١٧٥ جنيهًا يقابلها في المحصول السابق سبعة عشر مليونًا و ٩٧٨ ٥٩٧ جنيهًا فيكون المحصول الماضي قد زادت قيمتهُ عن المحصول السابق مليونين و٤٩٠ ٥٧٧ جنيهًا مصريًّا مع عظم النقص الذي وقع في كمية المحصول الماضي

وزادت الصادرات من المحصول الماضي عن مثلها من المحصول السابق ٨٨٧ ١٩٣ قنطاراً الى اميركا و ١٥٠ ١٥٠ قنطاراً الى فرنسا و٤٦٦ ٧٣ قنطاراً الى اليابان و٣٢٣ ٢٩ قنطاراً الى روسيا

ونقصت ٦٣٣ ١١ قنطاراً الى اليونان و٢٢٣٣ قنطاراً الى الهند و ٩١١ ١٤٢ قنطاراً الى ايطاليا و ١٧٣ قنطاراً الى البرتغال و٢٧٩١٨ قنطاراً الى اسبانيا و٥٩١ ٧٤٣ قنطاراً الى سويسره و١٠٢ ١٩ الى بريطانيا العظمى

دودة لوز القطن

انشأ المستر ددجن المستشار الزراعي لوزارة الزراعة رسالة في هذا الموضوع نشرت اولاً في اعمال المؤتمر الزراعي الدولي الذي عقد في لندن سنة ١٩١٤ قال فيها ما خلاصتهُ

كان اسم دودة اللوز خاصًا في مصر بالنوع المسمَّى (*Earias insulana*) وذلك قبل سنة ١٩١١ ولكن ظهر تلك السنة دودة جديدة تصيب لوز القطن سميت دودة لوز القطن القرنفلية للونها الاحمر القرنفلي · والدودتان من نوعين مختلفين وهذه الرسالة خاصَّة بالنوع الاول منهما اما النوع الثاني فاسمهُ العلمي *Gelechia gossypiella*

ولم يظهر ان القطن المصري اصيب بالحشرات الا بعدما شاع زرعهُ في البلاد بار بعين سنة وحينئذٍ ظهر نقص في المحصول ولدى البحث عن سبب النقص اكتشفت دودة اللوز وكان يعلم قبل ذلك انها موجودة في بلاد الهند فيحتمل انها اتت القطر المصري من هناك[1] · ومن المعلوم ان الدودة القرنفلية اتت حديثًا من هناك · ودودة لوز القطن المصرية هي نفس الدودة التي يصاب بها لوز القطن في بلاد الهند وهي تختلف عن دودة لوز القطن الاميركية لان هذه لا تقيم داخل اللوزة دائمًا كالدودة المصرية والهندية ولذلك يختلف علاج الواحدة

(١) [المقتطف] وجدنا في البندق الاخضر الذي يرد الى القطر المصري من بر الاناضول وبلاد اليونان دودة مثل دودة لوز القطن المشار اليها آنفاً فلا يحتمل ان يكون هذا الدود جاء في البندق الاخضر

عن علاج الثانية · ودودة لوز القطن الاميركية توجد في القطر المصري ايضاً ولكنها قليلة نادرة ولم يحصل منها ضرر كبير حتى الآن

وفراش دودة اللوز من النوع الليلي وقطر البيضة من بيضهِ نصف مليمتر ويختلف لونها حينما تبيضها الفراشة من الازرق الفيروزي الفاتح الى الاخضر المزرق ثم يصير لونها اخضر وفي اعلاها حلقة سمراء والبيضة كروية على نوع ما عليها شبه تاج · واذا وضعت الفراشة بيضتها على شيء شعري كوبر نبات البامياء بقيت كروية ولكنها اذا وضعتها على شيء مسطح وضغطتها صار اسفلها مسطحاً و يكاد شكلها يشبه شكل رأس الخشخاش

و يوضع البيض غالباً على لوز القطن واطراف الاغصان وقد يوضع على الازهار والاوراق · والغالب ان الفراشة تبيض بيضة واحدة على كل لوزة وقد تبيض بيضتين او اكثر وقد تجيء فراشات كثيرة الى اللوزة الواحدة في اوقات مختلفة وتبيض عليها فينقف بعضها قبل بعض و يغلب ذلك في اواخر مدة القطن · وتفضل الفراشة ان تضع بيضها في احد الحزوز الغائرة قرب رأس اللوزة . واذا وضعت بيضها على التيل والبامياء اختارت القرون وقد شاهد الكاتب على قرن بامياء عشرين بيضة

والفراش يضع بيضهُ ليلاً او في بداءة الليل لانهُ لا يطير في النهار الاَّ اذا ازعج وحينئذٍ يطير قليلاً ثم يقع

ولا يعلم كم تبيض الفراشة الواحدة في الغيط ولكن فراشة حفظت في المعمل في شهر سبتمبر فباضت في الليلة الاولى ٩٦ بيضة وفي الثانية ٥٨ بيضة وفي الثالثة ٤٩ بيضة وفي الرابعة ١٩ بيضة وفي الخامسة والاخيرة ١١ بيضة والمجموع ٢٣٣ بيضة

و ينقف الدود من البيض في ثلاثة ايام او اربعة صيفاً ولكن في الشتاء واواخر الخريف تطول المدة الى ١١ يوماً او ١٢ يوماً وقد يظهر البيض اسود قبيل خروج الدودة منهُ · والدودة تخرق غلاف البيضة وتخرج منها وقد تفعل ذلك في ثلث ساعة وقدلا تستطيع خرق الغلاف في اقل من خمسين دقيقة وقشرة البيضة الباقية بعد خروج الدودة منها تكون بيضاء شفافة

و يكون طول الدودة عند خروجها من البيضة مليمتراً واربعة اعشار المليمتر و يكون لونها ضارباً الى الصفرة وعليها خطوط خضراء مزرقة ثم تزول هذه الخطوط و يكون رأسها اسود او اسمر ضارباً الى السواد لماعاً فيهِ شعر طويل دقيق وعلى بدنها شعر كثير دقيق مصفر

و بعد خروجها من البيضة تدب على ظهر اللوزة ثم تخرقها وتدخل قلبها

ومتى بلغت اشدها صار طولها سنتمتراً ونصف سنتمتر او اكثر قليلاً ومقدمها اثخن من

موَخرها ويختلف لونها من الاسمر المحمر المنقط بنقط مصفرة او برتقالية الى الاخضر المزرق المنقط وفي جلدها بروزات لحمية فيها شعر وهو مما تمتاز بهِ ورأسها لمّاع اسود او اسمر فيهِ شعر دقيق قصير (واسهب في سائر الاوصاف التي يستغنى عنها لان من رأى هذه الدودة مرةً لم يخفَ عليهِ منظرها) ومدة حياة الدودة في الصيف اسبوعان وفي الخريف والشتاء اكثر من ذلك كثيراً

ومتى بلغت اشدها تخرج من اللوزة وتصنع لنفسها شرنقة شبه القارب في غلاف الجوزة او بين فصوصها او بين الوريقات التي في اسفلها او في مكان آخر يصلح لها ولا يلزم ان تصنع الدودة شرنقتها على اللوزة التي كانت فيها بل قد تنتقل الى لوزة اخرى وتصنع شرنقتها فيها وكثيراً ما تنفصل الشرنقة وتقع على الارض ٠ وقد تلصق بشجرة القطن نفسها او بورقة منها وقد تدب الدودة على ساق الشجرة وتغور في الارض وتصنع شرنقتها فيها ولكن المرجح ان اكثر الشرانق يبقى لاصقاً بنبات القطن ٠ وقد تلصق الشرنقة بنبات التيل او الباميا

وغلاف الشرنقة حريري صفيق يختلف لونهُ من الابيض الى التبني الى الاسمر وهو غلافان الواحد داخل الاخر والخارجي هو الاسمر واما الداخلي فالغالب ان يكون ابيض براقاً وتصعب روَية الشرنقة السمراء ولاسيما اذا كانت لاصقة بغلاف لوزة القطن او بنبات التيل

ويكون طول الزيز داخل الشرنقة ٩ مليمترات الى ١١ مليمتراً ونصف ولون رأسهِ وجناحيهِ وغلاف ارجلهِ اسمر مصفر وعنقهُ مسود او قرمزي قاتم ٠ ومدة الزيز في الصيف ١٠ ايام الى ١٤ يوماً وفي الخريف والشتاء اطول من ذلك كثيراً واذا تكونت الشرنقة في دسمبر او يناير فقد يبقى الزيز فيها شهرين او اكثر قليلاً

وتتكون الفراشة من الزيز ولها اربعة اجنحة السفليان منها ابيضان فيهما زرقة او صفرة ولون العلويين اخضر فستقي في الصيف واوائل الخريف وقد يكون في كلٍّ منهما مشحة سمراء واما بعد ذلك فيصير لون الجناحين العلويين اصفر في الغالب او مخلوطاً من الاصفر والاخضر مع مشحات سمراء ٠ وطول جسم الفراشة ٩ مليمترات وطولها باسطة جناحيها العلويين من طرف الجناح الواحد الى طرف الآخر ٢٢ مليمتراً

ومن رأي الباحثين في موضوع حشرات القطن ان ضرر هذه الدودة اشد من ضرر دودة القطن اي التي تأكل ورق القطن

واول من راقب هذه الدودة في القطر المصري ودرس طبائعها نيوفتش بك وذلك من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٧٢ ونشر خلاصة بحثهِ عنها سنة ١٨٧٣ ستأتي البقية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب الاعراس عند الانكليز

ما يطلب من والدي العروس

يطلب من والدي العروس ان يرسلا اوراق الدعوة قبل العرس باسبوعين او ثلاثة وتكون من والد العروس ووالدتها وتكون الدعوة الى الكنيسة ثم الى المكان الذي يستقبل فيهِ العريس والعروس الذين دعوا الى عرسهما

ويوم العرس تذهب العروس الى الكنيسة في مركبة مع ابيها وتذهب امها في مركبة اخرى مع سائر بناتها و بكنَّ شبائن العروس واذا كانت العروس وحيدة سبقها ابوها الى الكنيسة وذهبت هي مع امها

وتتقدم العروس الى الهيكل ماسكة بذراع ابيها اليمني واذا كان ابوها ميتًا تقدمت مع اخيها الاكبر او عمها او اكبر اقاربها واذا لم يوجد احد من هؤلاء كلهم فمع اكبر صديق لعائلة ابيها من الحضور · وتسير شبائن العروس وراءها ووراءهنَّ امها مع ابنها الاكبر او احد اقاربها ويقف والد العروس عن يسار ابنتهِ الى ان تبدأ صلاة الاكليل فيتركها و يقف الى جانب زوجتهِ · و بعد الاكليل يتقدم العريس والعروس الى حيث السجل و يكتبان اسميهما و يكتب ابو العروس اسمهُ ايضاً و يحسن ان تكتب امها اسمها · واذا كان بين الحضور رجل ذو مقام رفيع فالغالب انهُ يدعى ليكتب اسمهُ كشاهد واذا كان بينهم امرأة ذات مقام رفيع فالغالب ان ابا العروس يدعوها لتكتب اسمها ايضاً

ويخرج العريس والعروس من الكنيسة اولاً و يتبعهما والدا العريس والعروس ويذهب الجميع الى مكان الاستقبال فاذا اعدَّ والدا العروس مائدة للمدعوين ليأكلوا جلوساً سار اليها العريس والعروس اولاً ثم والد العروس مع والدة العريس ووالد العريس مع والدة العروس ثم الشبائن والاشبنة ثم سائر المدعوين من غير ترتيب مخصوص ويجلس العريس الى جانب العروس على رأس المائدة ويجلس ابو العروس على يسار ابنتهِ وام العريس على

يمين ابنها و يجلس الشبائن والاشبنة على الجانبين ثم بقية المدعوين والمدعوات · واذا جلس العريس والعروس في وسط المائدة جلس الشبائن والاشبنة امامهما على الجانب الآخر · واذا كان الطعام من نوع البوفه التي يأكل منها المدعوون وقوفاً فليس لوقوفهم حولها ترتيب مخصوص

الارز

الارز اكثر الحبوب استعمالاً في طعام الناس لكثرة ما يؤكل منهُ في الهند والصين واليابان · وكلمة ارز العربية مأخوذة من اليونانية أُرُز دلالة على ان اليونان عرفوهُ من قديم الزمان لكن الصينيين زرعوهُ قبل ذلك بقرون كثيرة فقد نقل بعضهم ان احد ملوك الصين واسمهُ تشنغ تنغ الذي كان قبل المسيح بالفين وثمانمائة سنة زرع حبوب الارز بيدهِ وامر ان يقتدي بهِ خلفاؤُهُ ولذلك يظن ان الصينيين هم اول من زرع الارز ولكن ظن البعض ان الهنود سبقوهم الى ذلك لان الارز ينبت بريًّا في بلاد الهند

والبروتيين في الارز كالبروتيين في الذرة الشامية ولكن الدهن في الارز اقل من الدهن في الذرة كما ترى في هذا الجدول

	الذرة	الارز المقشور	الارز المبيَّض
رطوبة	١٠٫٧	١١٫٨٨ في المئة	١٢٫٣٤ في المئة
بروتيين	١٠٫٠	٠٨٫٠٢ «	٠٧٫١٨ «
دهن	٠٤٫٣	٠١٫٩٦ «	٠٠٫٢٦ «
الياف	٠١٫٧	٠٠٫٩٣ «	٠٠٫٤٠ «
كربوهيدرات	٧١٫٨	٧٦٫٠٥ «	٧٩٫٣٦ «
رماد	٠١٫٥	٠١٫١٥ «	٠٠٫٤٦ «
فصفات	٠٠٫٧	٠٠٫٦٥ «	٠٠٫٢٠ «

وواضح من ذلك ان الارز قليل المادة الدهنية اي قليل الدسم ولهذا جرت العادة ان يطبخ باللحم المدهن او بالسمن · ومما يجب الانتباه لهُ ان المواد المغذية اقل في الارز المبيض منها في الارز غير المبيض · فلا موجب لتفضيل الارز المبيض على غير المبيض بل يجب ان يفضَّل غير المبيض على المبيض لان فيهِ من البروتيين والدهن والفصفور اكثر جدًّا مما في الارز المبيض

وقد عرف منذ عهد بعيد ان الذين يعتمدون في طعامهم على الارز الابيض من اهالي اليابان وجزائر فيلبين يصابون احياناً بمرض البري بري و اذا اكلوا الارز غير الابيض لم يصابوا بهذا الداء وذلك لان الارز الابيض يفقد شيئاً من البروتيين يسمى فيتامين . ولا يظهر عندنا هذا الداء مع اننا نأكل الارز الابيض لان الناس هنا لا يعتمدون في طعامهم على الارز بل على خبز القمح والذرة ولكن ذلك لا ينفي ان يكون الارز غير الابيض اكثر غذاء من الابيض ويجب ان يفضل على الابيض

تنظيف مغطس الحمام

ينظف بفركه بالبترول ثم يفتح الشباك لتزول رائحة البترول ويمكن ان يفرك بعد ذلك بقوة خامضة مغموطة بالملح

غسل جلد الشمواه

انفضهُ جيداً حتى ينظف من التراب والغبار ثم اغسلهُ بماء فاتر وصابون بعد ان تضيف الى الماء نقطاً من الامونيا ثم اغسلهُ بالماء والصابون من غير فرك ولا قرص وامغطهُ جيداً قبل ينشف لئلا ينكمش

شرب مبرد

اغلِ رطلاً من السكر في رطلين من الماء نحو ربع ساعة وامرث رطلين من الفريز الشليك او كبوش القش ، وصبهما فوق مذوب السكر وهو سخن وصفهِ واضف اليهِ فنجان شي من الشراب الذي يكون في علب الاناناس ورطلين من الماء المثلج فيكون من ذلك شراب مبرّد

تليين لحم الفراخ

العادة ان تذبح الفرخة او الدجاجة او الديك قبل طبخها بيوم او يومين حتى يلين لحمها ولكنها قد تتعرض للفساد حينئذٍ ولاسيما في ايام الصيف وخير من ذلك ان تذبحها حينما تريد طبخها وتضعها في ماء غالٍ وانت تنتف ريشها فيلين لحمها كأنها ذبحت منذ يوم

نزع لطخ الحبر

اجبل قليلاً من الخردل المدقوق الناعم بماء وابسطهُ على لطخ الحبر واتركهُ عليها ٢٤ ساعة ثم انزعهُ بسفنجة مبلولة بماء البارد فينزع معهُ اثر الحبر

هضم الاطعمة

المدة التي تهضم فيها الاطعمة تختلف باختلاف انواعها وطريقة طبخها وتحضيرها وقد حقق بعضهم ذلك بالامتحان ووضع الجدول التالي

دقيقة	ساعة		دقيقة	ساعة	
٠٠	١	ارز	٠٠	٣	فول يابس
٣٠	٣	بطاطس مسلوق	٠٠	٢	كبد بقر مسلوق
٣٠	٢	« مشوي	٠٠	١	كرش
٣٠	٣	بيض مسلوق جامد	٠٠	٢	كرنب اخضر
٠٠	٣	« « برشت	٣٠	٣	كرنب مسلوق
٣٠	٣	« مقلو	٠٠	٣	لحم بقر روستو
٠٠	٢	تبيوكا	٠٠	٤	« « مسلوق
٣٠	١	تفاح ناضج حلو	٠٠	٤	« بط اهلي
٤٥	٣	« حامض	٣٠	٤	« « بري
٣٠	٣	جبن	٣٠	٢	« حمل مسلوق
١٥	٣	خبز ذرة	١٥	٣	« غنم روستو
٣٠	٣	خبز قمح	٠٠	٣	« « مسلوق
٠٠	٢	ديك رومي روستو	١٥	٥	« خنزير روستو
٣٠	٣	زبدة	١٥	٣	« « مسلوق
٤٥	١	ساغو	٣٠	٤	« عجل مقلو
٠٠	٤	سمك سمون	١٥	٢	لبن غير مغلي
٠٠	٤	شوربا لحم بقر	٠٠	٢	« مغلي
٠٠	٣	« « فراخ	٠٠	٢	لحم وز روستو
٣٠	٢	فول اخضر	٣٠	٣	لفت مسلوق

ومن الاطعمة السهلة الهضم جدًّا الاروروط والمليون والقنبيط والتفاح المشوي والبرتقال والعنب والشليك والخوخ . ومن الاطعمة السهلة الهضم نوعًا التفاح والخبز والشكولاتا والقهوة ومطبوخ الاثمار . ومن الاطعمة العسرة الهضم الجوز واللوز والاجاص والبرقوق اولكرز والخيار والقثاء والبصل والمكابيس والكعك والجزر



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف . ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجار على المطولة

السبيرتسم

سيدي المحترم العلامة مدير وصاحب المقتطف الاغر

سلام . وبعد فاني من المقالات الثلاث التي دبجها يراع جناب الفضل الدكتور امين ابو خاطر عن السبيرتسم ونشرها المقتطف الزاهر بالتتابع وممَّا تلاهُ جنابهُ من اقوال ثقات وايدهُ اختبارهُ الطويل ان السبيرتسم مرض يختلف ظهورهُ باختلاف مزاج المصاب وطبعهِ وميلهِ واعتقادهِ وسعة عقلهِ الخ . غير اني قرأْت مقالاً في هذا الموضوع احتلهُ مجلة لندن الانجليزية محلاً رفيعاً بين اعمدتها وقدم لهُ رئيس تحريرها مقدمة ذكر فيها ان مظاهر السبيرتسم الواردة في تلك المقالة المشار اليها لا يمكن نكران صحتها مطلقاً

ومما جاء في هذه المقالة :-

(١) ان مخاطبة ارواح الاموات لاصحابهم او اقربائهم على الارض مسأَلة قابلة التمحيص وفي وسع من يشك ان يحضر الى مخاطبة سبيرتية وان يتحدث مع روح صديق لهُ متوفى وان يسأَلهُ مسائل خاصة بهِ ولا بد ان يحظى بجوابها ولهُ بعد ذلك ان يحكم بصحتها من فسادها

(٢) ان في اعتقاد طائفة عظيمة الشأْن من اقطاب العلم بصحة السبيرتسم واقتناعهم بامكان وقوع مخاطبة ارواح الاموات لمن على الارض لبرهان قوي على صحة هذه النظرية . وذكر من بين هؤُلاء العلماء السر اوليفر لودج والمرحوم السترستد ولكونت ميتوفتش سفير الصرب في لندن . والماجور جنرال السر ترنر والمرحوم الدكتور الفرد رسل ولس وغيرهم

(٣) في حدوث المشاهدات السبيريتية علانية امام شهود عين دليل واضح على نيل غرض القائمين بها وعدم تضليل العامة في شيء ورغبتهم التامة في تقدم هذا العلم على اساس وطيد

(٤) كثيراً ما سُمعتْ ارواح الاموات تتكلم بلغات متعددة كالعربية والسريية والهولندية والفرنساوية والجرمانية والعبرية والهندستانية والتليانية والنوروجية والاسبانولية وغيرها من اللغات التي لا يمكن لوسيط ان يعرفها ويخدع اصحابها

(٥) وقوع مشاهدات سيبيريتية علانية · فمن ذلك حديث روح المستر ستيد مع ابنتهِ ستيلا فقد شوهد مرة انهُ لبث اكثر من ساعة يتحدث معها عن اوراقهِ الخصوصية · وكذا ظهور روح ابن متوفي لوالديهِ في منزل مسز ريد فقد كتبت والدتهُ تقول :—

ولما ان ظهر ولدنا العزيز هرولد سألتهُ هل تتذكر سيريل اسم قطٍ لم · وقد اخترت هذا السؤال لانهُ ما كان يخطر على بال احد الحاضرين هل كان هذا اسم قط او ولد او كلب او اي شيء آخر · فاجاب نعم وكنت اغيظهُ · الم يتألم من ذلك يا ماما · ومن ثم اخذ يقلدهُ فضحك الحاضرون · وكان عندي هذا اعظم برهان بان التي خاطبتني هي روح ابني بلا شك

فهل بعد هذا يقال ان سدى السبيرتسم الوهم ولحمتهُ الخداع · نرجو المقتطف الزاهر ان يتكرم بافادتنا عن حقيقة الحال فهو مرجعنا في كل حال ولهُ الفضل سلفاً

بني سويف خله غبرانيوس

لو طالعتم كل ما نشرناهُ في المقتطف في هذا الموضوع منذ عشرين سنة الى الآن لوجدتم ان لا صحة لشيء من الدعاوي المتقدمة او انهُ لم يقم حتى الآن دليل قاطع على صحتها. وتصديق رجال من العلماء لها مثل لدج وستد وامثالها لا يقوم دليلاً على صحتها لان العالم في الكيمياء مثلاً لا يلزم ان يكون من اعلم الناس في كل الامور بل ان اختصاص الانسان ببعض العلوم يصرفهُ غالباً عن النظر في غيرها ويضيق دائرة ادراكهِ · ونحن نعرف المرحوم المستر ستد جيداً وكنا نجلس معهُ على الطعام ساعتين متواليتين ولسانهُ لا يقف عن الكلام فاذا تكلم في السياسة وما وقع لهُ مع الملوك والوزراء والعظماء وما ابدى لهم من الآراء وجدتهُ فيلسوفاً سياسيًا واذا عُرضت المسائل النفسية تكلم فيها كالعجائز والاطفال · وامامنا الآن كتاب السر اوليفر لدج في بعث الانسان وهو يتكلم في بعض فصولهِ مثل اسذج المصدقين

بالخرافات . فما نشره الدكتور ابوخاطر في هذا الموضوع صحيح حسبما اثبته العلم الى يومنا هذا فاذا اثبت العلم غداً ان نفوس الناس تعود الى الارض وتتقمص في اجسام الضفادع وتتكلم بكل اللغات وجب ان نصدق ما تقوله ولكنه لم يثبت شيئاً من ذلك حتى الآن . وقد تقولون كيف يكون الاثبات العلمي فنجيب : نفرض ما فرضتم اخيراً وهو انه جاء رجل وقال ان ضفدعة تكلمت امامه بالعربية والانكليزية والفرنسوية وقالت ان فيها نفس فلان المتوفى الذي كان يجيد التكلم بهذه اللغات الثلاث . فاثبات ذلك يكون في هذه الصورة . يستدعى نفر من العلماء المشهود لهم بدقة البحث العلمي والصدق والاستقامة والبعد عن تصديق الاوهام والخرافات والاسم تسمم فيجلسون في غرفة كبيرة فارغة من كل شيء غير الكراسي التي يجلسون عليها . ويؤتى بالضفدع ويقفل الباب وتستنطق وتسأل عن سيرة الرجل الذي تدعي ان نفسه حلت فيها . فاذا لم تخطئ في شيء يعيد هذا الامتحان اناس غير الاولين من المشهود لهم بالذكاء وصحة النظر وهلم جرًّا الى ان يثبت ثبوتاً ينفي كل ريب ان دعوى هذه الضفدع صحيحة

ثم يعاد الامتحان في كثير من الضفادع فاذا ثبت ان في كل ضفدع منها نفس انسان فالدعوى صحيحة والاَّ فلا

وان كانت الارواح تجيء وتخبر عن الماضيات والمستقبلات فلماذا لا تجعل اخبارها مما يفيد فتدل مثلاً على القتلة والسرقة وامثالهم من الذين يرتكبون الجنايات ولا يعلم من هم وتخبر بما يقع من الحروب والمجاعات وما اشبه

كتاب السرب

حضرة محرر المقتطف المحترم

بعد الاحترام بين كتبي التي عثرت عليها بالبحث كتاب في الطبيعيات مترجم عن اليونانية في اوائل الدولة العباسية لم يطبع بعد ولا وجد في مكتبة من المكاتب العمومية ولا الخصوصية فيما اعلم وهذا ما كتب في ديباجته

كتاب السرب

المسمى كتاب العلل الجامع للاشياء للحكيم المينوس الاول ترجمة عن اليونانية سرجيوس المتطبب احد النقلة الذي ترجم كتب جالينوس الستة عشر ورد ذكره في عيون الانبا بلفظ سرجس

محتويات الكتاب

تكلم فيهِ اولاً على علة الخلق والايجاد · ثم على علة الحركة والطبائع · ثم على علل الافلاك السبعة · ثم على علل الكواكب السبعة · ثم على علل البروج الاثني عشر· ثم على الرياح · ثم على اشراق الكواكب السبعة وعلل طبائعها· ثم على علة كون الملائكة والارواح التي في الافلاك· ثم على علل العناصر فالامطار والغيوم والاصوات في العالم ثم على دوران الافلاك وتقلّب الليل والنهار · ثم على علل المواليد الثلاثة وتكونها بتأثير الاجرام السماوية العلوية · ثم على الكباريت والزرانيخ والاملاح والاحجار الكريمة · وكيّات المعادن واجناس النبات والثمار وعللها · وختمهُ بالكلام على اصل الاصول

وهذه النسخة بخط دقيق في ١٠٠ صحيفة كتب سنة ١٠٣٢ وهي الوحيدة فما رأيكم في درجة اهمية هذا الكتاب القاهرة جميل العظم

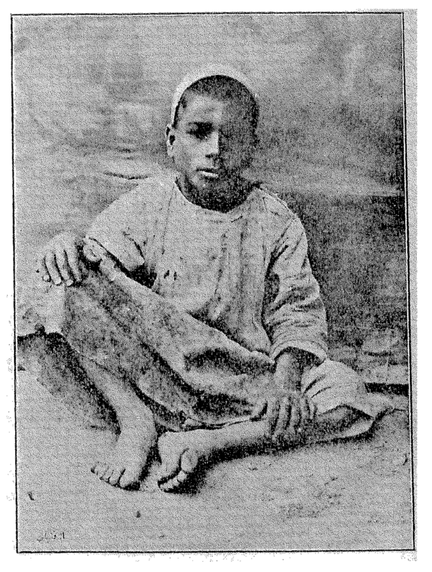
[المقتطف] لا بلينيوس الاول او الاكبر كتاب مشهور في التاريخ الطبيعي Historia Naturalis في ١٦٠ مجلداً وهو حاوٍ لكل ما وجدهُ في كتب الذين تقدموهُ في النبات والحيوان والجماد والجغرافيا والاحداث الجوية والفلك والشرائع والمخترعات والمكتشفات · ويحتمل ان الكتاب الذي تشيرون اليهِ مقتطف من كتابهِ هذا ولكن لا يعلم ذلك بالتحقيق الاَّ بعد المقابلة بين الكتابين · وتسهل المقابلة لان ليتره ترجم كتاب ابلينيوس وطبعت الترجمة مع الاصل اللاتيني · ويحتمل ايضاً ان سرجيوس لفّق هذا الكتاب او لخصهُ تلخيصاً وقال انهُ ترجمهُ عن اليونانية ليأخذ اجرة عملهِ

غلام بست اصابع

حضرات العلماء الاعلام اصحاب مجلة المقتطف

بمناسبة جوابكم لسؤَال عزيز افندي سوريال في احد اجزاء مقتطف ١٩١٦ ارسلت طيهُ صورة فوتغرافية لغلام اسمهُ شاكر مقيم في عزبتنا بمركز الفيوم وكما يرى من الصورة لهُ ست اصابع في كل من يديهِ ورجليهِ والجملة اربع وعشرون اصبعاً والاصبع السادسة ليست اثرية بل متكاملة النمو النسبي كما هو واضح فنرجو نشرها كما هو واضح في الصورة لاطلاع العموم عليها وابداء رأيكم في ذلك الفيوم الدكتور

يوسف غبريل



غلام بست اصابع

مقتطف اغسطس ١٩١٦

امام الصفحة ١٨٦

[المقتطف] ان وجود ست اصابع في كلٍّ من اليدين والرجلين نادر جدًّا ولكنهُ امر واقع على ندرتهِ ولهذا وُجد لهُ اسم في العربية وهو العنش فقد جاء في القاموس نقلاً عن الصاغاني الاعنش من لهُ ست اصابع ولم يذكرهُ صاحب لسان العرب . وسبب الزوائد في الجسم ان الجرثومة الاولى لكل عضو من الاعضاء قد يزيد اغتذاؤُها لسبب من الاسباب فيتولد منها عضوان بدلاً من عضو واحد



فتوح البلدان للبلاذري بالانكليزية

عني حضرة الدكتور فيليب خوري حتي احد اساتذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت سابقًا واحد مدرسي جامعة كولمبيا باميركا حالاً بترجمة كتاب فتوح البلدان للبلاذري الى اللغة الانكليزية . ولم يكتفِ باتقان الترجمة على ما في لغة الكتاب من التعقيد بل الحق كل فقرة منهُ بكلمات تدلُّ على موضوعها وعلق عليها من الحواشي ما يوضح غامضها ويؤيد سندها ويدلُّ على سعة اطلاعهِ وبحثهِ . وقد اهدى الينا الآن المجلد الاول من هذه الترجمة وهو نحو نصف كتاب فتوح البلدان ولذلك ينتظر ان يتم الكتاب كلهُ في الجزء الثاني

وقد عثرنا على هفوات قليلة فيما قرأناهُ من الترجمة . ففي الصفحة الاولى ترجم قول البلاذري « رددت من بعضهِ على بعض » في قولهِ « نسقت حديثهم (اي حديث اهل العلم واختصرتهُ ورددت من بعضهِ على بعض » بما معناهُ « حمّلتُ بعضهُ ببعض » . مع ان المراد انهُ قابل بينهُ او انتقد بعضهُ ببعض من رد فلان خطأً « كأن البلاذري لم يكتفِ بالنقل بل محص ما نقلهُ بان عرض بعضهُ ببعض للوصول الى الحقيقة . وترجم الضفائر في الصفحة ٨٣ بما معناهُ انها جدران بلا طين فيحتمل ان تكون من اللبن او الآجر ومعناها في كتب اللغة مبانٍ بحجارة بلا طين . وابقى الهجرة الى المدينة في الصفحة التالية بلفظها العربي محرَّفةً مع انها هنا مصدر وكان حقها ان تترجم . وفسر العقب في الصفحة ١٧٢ بكلمة ... والعقب هو ... . نعم اننا نتساهل احيانًا في المقالات الادبية فنترجم كلمة ... نسرًا

كما فعلنا في الجزء الاخير من المقتطف ولكننا نشير الى تساهلنا هذا ولا نفعل ذلك عند التحقيق العلمي· وترجم الطوامير في الصفحة ٣٨٣ بكلمة fabrics وهي القراطيس اي صحف البردي ويظهر لنا انها يونانية وقد تكون محرفة من طامياس ويراد بها اللوائح او القوائم التي يكتب فيها ما تحت يد المحاسب فان الطامياس حافظ الكنوز المقدسة في حصن اثينا· الاَّ ان هذه الهفوات الطفيفة لا تحط من قيمة الترجمة وما اضيف اليها من الحواشي المفيدة فنهنئ حضرة المترجم بنجاحهِ في اخراج هذا الكتاب النفيس الى اللغة الانكليزية على هذه الصورة· وياحبذا لو اعاد طبعهُ بالعربية واضاف اليهِ الحواشي التي اضافها الى الترجمة الانكليزية

ديوان العقاد

لا يحسب الناظم شاعراً الاَّ اذا جمع بين امرين دقة المعنى ورقة اللفظ وهذه الاخيرة هي ما يسمى بالديباجة وها هما قد اجتمعتا لعباس افندي محمود العقاد في ديوان اهداهُ الينا وسماهُ « ديوان العقاد » وهو واقع في ١٢٧ صفحة جمع بين دفتيهِ اشتات المواضيع من فرضة البحر الى الخريف فانس الوجود فالشاعر الاعمى فمحمود فرعون فالحب الاول (وهو مساجلة شعرية) فسباق الشياطين فالكروان فالبدر في الصحراء فكثير من المقطعات

من جميل نظمهِ ابيات في « الوردة » للشاعر الانكليزي وليام كوبر وحكايتها ان صديقة للشاعر قطفت وردة وقدمتها الى صديقة اخرى فعرضتها هذه عليهِ تستندي قريحتهُ فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت اوراقها فندم واستعبر ونظم الابيات المشار اليها فعربها العقاد بما يلي واجاد

اتتنى بها من خدّها مثل لونها	مبللة الاوراق باكية السن
جنتها فزفتها اليها خليلة	حصان وقد يجني على الورد من يجني
كأَن نديَّ الطل دمع أَطلهُ	فراق وُريدات صغار على الغصن
فأَمسكتها خجلى الحيا أَهزها	لتنشط من خوف وتبسم من حزن
فما كان اقساني لقد فاض روحها	وطارت بداداً في التراب الى الدفن
ولو لطفت كفي لفاحت وازهرت	كما شئت من عطر وما شئت من حسن
كذاك يكون اللوم طعناً وربما	حوى بلسماً يشفي الجريح من الطعن
وكم راح تعنيف الشجيّ بروحهِ	أَلا ان بعض العذل يضني ولا يثني
ولو لمتَ في رفق رأيت ابتسامة	تجول مكان الدمع من جانب العين

وختم ديوانهُ بقصيدة بديعة يلوم كتبهُ ويشكو ظلمها وهي بعنوان « يا كتبي » قال منها

يا كتبي اشكو ولا أغضبُ ما أنت من يسمع او يعتبُ
يا كتبي أورثتني حسرة هيهات لا تُنسى ولا تذهب
يا كتبي ألبست جلدي الضنى لم يغنِ عني جلدك المُذهب
أنفقت مني ما يضن الورى بهِ على الله ولم يذهبوا
من ضوء عينيَّ ومن صحتي سدى ومن وقتي وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعتهُ فما انا الأ الفتى الأشيب
في ذمة الطرس وفي حفظهِ عمر تقضى شطرهُ الاطيب
لا رحم الرحمن فيمن مضى من علم العالم ان يكتبوا

والديوان كلهُ يشهد للعقاد بانهُ شاعر عصري مطبوع يعدّ اذا عدّ الشعراء

دودة لوز القطن

وضع جناب المستر ددجن المستشار الزراعي لوزارة الزراعة رسالة مسهبة في الدودة التي تصيب لوز القطن المصري وهي غير الدودة القرنفلية التي تتلف بزرة القطن وقد لخصنا هذه الرسالة في باب الزراعة من هذا الجزء

كتاب المواساة

او عزاء النفوس

كتاب ادبي الفهُ حضرة احمد افندي عطيه مهندس الزراعة بطاي واهداهُ الى حضرة شقيقهِ الفاضل محمد بك لبيب عطيه سكرتير النيابة العمومية

لغة الكتاب من السهل الممتنع وفصولهُ ادبية كلها في نعيم الحياة والسلامة من المرض والسعادة والفقر والحاجة وثورة الغضب والندم والانتحار والخوف والانتقام والحسد ونحو ذلك. وقد ساق المؤلف كلامهُ فيها بالترغيب والترهيب والنصيحة والمثل الصالح ولا بدَّ من ان يؤثر ذلك في القراء. نعم ان الاخلاق قلما يرجى تغييرها وتأبى الطباع على الناقل ولكن قد يكون المرء في مفترق الطرق فيدفعهُ نصح زيد الى اليمين حيث يجد الراحة والهناء او يدفعهُ تغرير عمرو الى الشمال حيث يجد التعب والشقاء. وفي هذه الاحوال وهي كثيرة يفيد النصح

والمثل الصالح ويغر التغرير والمثل الطالح · والمرجح ان الفائدة الكبرى تكون والمرء طفل اذا ربي تربية صالحة ثم اذا عني بتهذيبهِ مدرسون يعرفون قوى النفس وكيف تدرّب · وحبذا لو سُلّم هذا الكتاب لطلبة المدارس ليستفيدوا منهُ لغة وادباً

لغة الفؤاد

او صور الشعر في روضة البحرين

بقلم امين افندي حمدي مؤلف الحياة القومية قال في ديباجتها

لغة الفؤاد عواطف منظومة   خفقت بها بين الرياض جوانحي
ومدامع منثورة غصّت بها   عين تفيض على حبيب نازح
في روضة البحرين قد دبجتها   ديوانُ اشواق لهُ ومدائح

وقال انهُ جمعها من بين متفرق الجرائد والمجلات التي كانت تنشر فيها ولم يغير منها حرفاً · وحبذا لو ذكر مع ما اعاد طبعهُ نظماً ونثراً تاريخ نشرهِ اولاً فقد يكون في ذلك فائدة للذين يبحثون في تنوُّع القرائح واختلاف مظاهرها باختلاف السن والزمان

ونثر هذه الصور عالٍ بليغ واكثر شعرها كذلك وقد اهدى الكتاب الى صاحب السعادة محمد بك حدايه محافظ القنال

سوانح الفراغ

نظمها حضرة مرسي افندي شاكر الطنطاوي وقدم لها مقدمة وجيزة نودّ لو كانت كتاباً كبيراً · وهي ابيات حكمية في كثير من المواضيع الادبية كقولهِ في النعم

ثلاثة ليس لحي في الورى   من دونها في عيشهِ اغتباطُ
يهون قدر المال دون بعضها   العلم والصحة والنشاطُ

وقولهِ في اباء الضيم

حرية الامم العزيز جنابها   تأبى على الافراد ذل المرتعِ
وكفاك شاهد امة اليابان اذ   صحت عزائمها بطلقة مدفعِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تفسير حكمة

مصر. ممدوح افندي فكري . لم استطع ان افهم فهماً معقولاً الحكمة الآتية وهي «واما الافكار فلا ترسخ الاَّ في البحر المزبد» فما غرض الحكيم من هذا القول

ج. يظهر لنا ان العبارة مترجمة ولو عرفنا اصلها لسهل علينا ايضاح معناها ومع ذلك يحتمل ان يكون المعنى ان قولاً يسمعهُ الانسان ودماغهُ متهيج يؤثر في نفسهِ اكثر مما لو سمعهُ ودماغهُ ساكن

(٢) الحامض اليوريك

مغاغه . محمد افندي حنفي . ما هو الحامض اليوريك الذي يوجد في البول وكيف يوجد وما اسبابهُ وعلاجهُ

ج. الحامض اليوريك Uric acid مادة بلورية تذوب قليلاً في الماء مركبة من الكربون والنتروجين والهيدروجين والاكسجين هكذا $ك_٥ ن_٤ هـ_٤ ا_٣$ اذا كان نقياً فهو ابيض ولكن اذا رسب من البول فلونهُ اصفر ومعنى اليوريك البولي فوُصف كذلك لانهُ يوجد في البول ولا يخلو البول منهُ. وفي حال الصحة يخرج مع بول الانسان في اليوم نحو ١٠ قمحات من الحامض اليوريك وهو يتكون في الكبد او في الجسم كلهِ من التعضي ويجري مع الدم الى الكليتين فتفرزانهِ منهُ فيخرج مع البول الذي يتحلَّب من الكليتين ويزيد مقدارهُ اذا افرط الانسان من اكل اللحم وكان قليل الحركة واذا اصيب بمرض النقرس او اصيب بمرض تكثر فيهِ الكريات البيضاء في الدم ولما كان الحامض اليوريك قليل الذوبان في الماء فقد يرسب منهُ ومن مركباتهِ رواسب في الاقنية البولية فيكون منها رمل او حصى

فاذا كان سببهُ كثرة اكل الاطعمة اللحمية وقلة الحركة فيعالج بتقليل اللحم وتكثير الحركة واذا كان سببهُ النقرس او كان هو سبباً لهُ فيعالج بمعالجة النقرس واذا كان سببهُ كثرة الكريات البيضاء في الدم فيعالج بمعالجتها . اما النقرس فنادر في هذه البلاد ويعتمد في معالجتهِ على تقليل الاطعمة

الحيوانية واستعمال المسهلات كالكلومل مع بي كربونات البوتاسا اوخلات البوتاسا واكثر الاعتماد في معالجته على الحنظل . فانهُ يساعد على افراز الحامض اليوريك من الجسم والمستعمل منهُ غالباً خمر الحنظل او خلاصة الحنظل ولا بد من ان يراقب الطبيب استعمالهُ

والامراض التي تكثر فيها الكريات البيضاء من امثلتها اللبوكيميا اي الدم الابيض وهو مرض خبيث مستعصٍ عسر العلاج ويعتمد في معالجتهِ على تحسين المعيشة واستنشاق الهواء النقي والراحة وقد افادت فيهِ اشعة رنتجن تطلق على المعدة فانها اصلحت الدم وقللت حجم الطحال بعدما كبر كثيراً

(٣) الحامض اليوريك والبول السكري

ومنهُ . هل الحامض اليوريك جزء من البول السكري او هو حامض مخصوص وهل اعراضهُ كاعراض البول السكري

ج . هو حامض مخصوص كما تقدم ولا علاقة بينهُ و بين البول السكري

(٤) علاجهُ

ومنهُ . ما هي المستلزمات العلاجية الواقية منهُ

ج . لقد اتضح لكم مما تقدم ان الحامض اليوريك عرض لمرض آخر او لحالة مرضية في الجسم فيقل بمعالجة المرض الذي سبَّبهُ وبالاقلال من اكل اللحوم ولاسيما اللحوم الحمراء وبالاعتدال في الاكل عموماً

(٥) اليوريك واكل الفواكه

ومنهُ . هل يستحب اكل الفواكه لمن كان مصاباً بالحامض اليوريك

ج . نعم يحسن اكل الناضج منها السهل الهضم

(٦) الطيران وجاذبية الارض

البلدية . رزق الله افندي جرجس . اذا طار انسان بطيارة هوائية من مكان معلوم في خط عمودي رأسي واستمرَّ في الهواء ثلاث ساعات ثم نزل كما صعد في خط عمودي فهل يصل الى المكان الذي صعد منهُ تماماً

ج . اذا رأيناهُ صاعداً في خط عمودي فقد كان بالطبع مائلاً في صعودهِ الى جهة المشرق مع الارض في حركتها شرقاً

ولنفرض انهُ صعد حيث محيط الارض ٢٤٠٠٠ ميل فهي تدور دورة كاملة الى الشرق في ٢٤ ساعة فتقطع ١٠٠٠ ميل في الساعة اونحو ١٦٫٦ الميل في الدقيقة ولنفرض انهُ استمرَّ دقيقتين في صعودهِ وارتفع الى علو ميلين فيكون قد سار مع الارض شرقاً ٣٣ ميلاً وارتفع في الجو ميلين اي سار في وتر شكل قاعدتهُ ٣٣ ميلاً وارتفاعهُ العمودي ميلان وهذا الخط يكاد يكون افقياً ولو رأيناهُ عمودياً وشعر هو انهُ عمودي ولا يبقى فوق رأسنا دائماً اذا كنا واقفين في النقطة التي طار منها الاَّ اذا مال قليلاً الى الشرق لانهُ يصل الى مكان اسرع قليلاً

الى الشرق من المكان الذي طار منهُ . واذا وقف هناك في الهواء بلا حركة فالنقطة التي تحتهُ تماماً تبقى تحتهُ لانهُ يكون مرتبطاً بالارض بالجاذبية ودائراً معها الى الشرق في دورانها على محورها فاذا وجّه نظرهُ الى هذه النقطة وهو نازل وصل اليها ولكنهُ لا يكون نازلاً في خط عمودي بل في خط مائل غرباً ولو رأيناهُ نحن نازلاً في خط عمودي ورأى هو نفسهُ نازلاً في خط عمودي ولكنهُ اذا رمى حجراً من النقطة التي وصل اليها وفرضنا انهُ لا يوجد هواء يقاوم هذا الحجر في حركتهِ فانهُ يصل الى الارض في ٢٧ ثانية اي في نحو نصف دقيقة ويكون في الاصل متحركاً نحو الشرق بسرعة اشد من سرعة النقطة التي نحن فيها بمعدل واحد من الفين . وقد قلنا ان الارض تقطع ١٦ ميلاً في الدقيقة فهي تقطع ٨ اميال في نصف الدقيقة او نحو ٤٢٠٠٠ قدم وعليهِ فالحجر يقع بعيداً عنا الى الشرق نحو عشرين قدماً . ولا ندري ما فائدتكم او فائدة كل قراء المقتطف من سؤال مثل هذا

(٧) الطيران ورؤية الشمس

ومنهُ . اذا طار طيار الى اقصى مكان في الجو واستمرَّ هناك اربعاً وعشرين ساعة فهل في كل ساعة منها يرى الشمس بالنسبة لثبوتها

ج . لم نفهم مرادكم ولا معنى لقولكم الى اقصى مكان في الجو فان غاية ما استطاع الطيارون ان يصلوا اليهِ نحو ستة اميال فوق سطح الارض واما اقصى مكان في الجو فيبعد عن الارض مسافة لو سارت اليها كرة مدفع بسرعتها العادية لما وصلت اليها الاَّ بعد اكثر من مليون مليون مليون مليون سنة . وحسبكم ان تفهموا ان الارض تجذب كل ما على سطحها حتى يدور معها وتجذب ايضاً كل طائر وطيار يطير فوقها فيدور معها في دورانها على محورها

(٨) الكابوس

مصر . حامد افندي احمد مصطفى بمدرسة القضاء الشرعي . من اي شيء يكون الكابوس حتى نتقيهُ

ج . من كثرة الطعام وما احسن ما قالهُ الدكتور فان ديك في باثولوجيتهِ في وصف الكابوس . قال بتصرُّف : تأخر زيد في عشائهِ ثم اكل كبيبة وكفتة وسمكاً وارزاً ومحشياً مع بعض الحوامض والمخللات ثم اكل كنافة وبقلاوة و بعض المربيات وشرب كاس خمر ثم اكل صحن فواكه مشكلة متنوعة وحاول النوم فركبهُ الكابوس وشاهد الابالسة والشياطين واستيقظ مرعوباً مغموماً . صادفتهُ وهو نازل الى عملهِ فسألتهُ عن سلامتهِ فقال اذا صبر عليَّ اصحاب الديون هذا النهار ابيع املاكي واوفي ما عليَّ واقفل محل تجارتي لانني على حافة الافلاس ولا بد لي من ان اذهب

بمائلتي الى الخارج لان صحتها معتلة واخاف ان يموت احد اولادي . ولما سألتهُ عما اكل البارحة واخبرني سكت وقلت في نفسي الكابوس من الكبيبة . ومشاهدة الابالسة والشياطين من السمك والحوامض . والافلاس من الخمور واعتلال صحة العائلة من الحلوى والفواكه . ثم رأيتهُ بعد ما اخرجت معدتهُ ما فيها فوجدت محلهُ التجاري ناجحًا ولا دين عليهِ وصحة عائلتهِ على ما يرام ولا يخطر على بالهِ الافلاس وقد عدل عن بيع املاكهِ والذهاب الى الخارج . هذا والمعدة بيت الداء والاعتدال في الطعام والشراب رأس الادوية

(٩) ماء الترع والشرب

ومنهُ . تعرفون ان ماء الترع في هذه الايام وخصوصًا اذا لم يكن جاريًا آسن وغير مقبول فبماذا تشيرون على اهل القرى . أيشربون من تلك المياه ام من طلمبات الآبار

ج . لا شبهة في ان مياه طلمبات الآبار انقى واسلم ويحسن باهالي القرى ان لا يشربوا الآن منها او من ماء الترع الجاري اذا رشحوهُ بزير

(١٠) ضرر تاخير الزواج

ومنهُ . اذا مكث الرجل لم يتزوج حتى بلغ الثلاثين من عمرهِ ولم يلتجئ الى الزنا افلا يصيبهُ من وراء ذلك ضرر بصحتهِ

ج . كلاَّ ولكن الضرر من تأخير الزواج قومي فان الامة التي يتأخر رجالها عن الزواج لا يزيد عددها زيادة كافية فتبقى صغيرة مستضعفة . وانتم ترون ان الامم القوية المستعزَّة هي الامم الكبيرة كالامة الاميركية والامة الروسية والامة الالمانية والامة الانكليزية والامة الفرنسوية والامة اليابانية . هذا واذا تساوت بقية الاحوال ولذلك فالرجل الذي يتأخر عن الزواج وإخلاف النسل يضرُّ امتهُ او لا يساعدها المساعدة الواجبة

(١١) طيران الحدأَة

ومنهُ . كثيرًا ما نرى الحدأَة محلقة في الجو تجري بدون ان تحرك جناحيها فكيف يتم لها ذلك

ج انها تجد مجرًى في الهواء فتجري معهُ او تقاومهُ على زاوية منحرفة حتى يدفعها معهُ كما يفعل الملاحون اذا ساروا مع التيار في النيل او ساروا بشيء من الانحراف فانهم يجرون من غير ان يجدفوا وكذا اذا ساروا مع الريح تمامًا او على انحراف

(١٢) ماء فيشي

دمنهور . احمد افندي الالفي ما رأيكم في المعالجة بماء فيشي على انواعهِ

ج . ان الذين يزورون اماكن المياه المعدنية للاستشفاء بشربها يقيمون في اماكن طلقة الهواء وتقدم لهم اطعمة خفيفة مغذية وينقطعون عن الاشغال وعن كل ما كان يتعبهم ويضطرهم الى الاستشفاء فهذه كلها

وامثالها توءثر فيهم فيستفيدون منها اكثر مما يستفيدون بما في المياه نفسها من العناصر الدوائية المفيدة · وزد على ذلك فعل الوهم فان اعتقاد الانسان بان العلاج الذي يستعمله مفيد له يوءثر فيه تأثيراً فعليًّا

اما مياه ڤيشي فكانت معروفة مشهورة في زمن الرومانيين ثم بطلت شهرتهما ونسي امرها الى اواخر القرن السابع عشر حينما زارتها مدام ده سفنيه ووصفتها · وفيها شيء من بي كربونات الصودا وطعمها قلوي فتفيد في حموضة المعدة وتكثير العصارة المعدية ولكن القليل من كربونات الصودا يغني عنها · ويقال انها تفيد في مرض البول السكري والحصاة والنقرس ولكن المرجح ان فعلها هذا قليل جدًّا او هو من قبيل الوهم وفيها ايضاً كثير من الحامض الكربونيك فتفعل فعل الغازوز · وقد حللت فوجد فيها المواد التالية

بي كربونات الصودا	٤,٨٨٣
« « البوتاسا	٠,٣٥٢
« « المغنيسيا	٠,٣ ٣
« « الكلسيوم	٠,٤٣٤
سلفات الصودا	٠,٢٩٢
كلور يد الصوديوم	٠,٥٢٤
حامض كربونيك	٢,٦٠٠

فهي قلوية من جهة مضادة للحموضة وغازية من جهة اخرى تحرك بها مواد الطعام في المعدة ويزيد ادرار البول

(١٣) نقود النكل المخرومة

مصر · احد المشتركين · هل من داعٍ يدعو لعمل النقود المصرية الجديدة المصنوعة من النكل مخرومة من الوسط

ج · الظاهر ان الغرض من عملها كذلك هو الاقتصاد وصعوبة التقليد فتقل مادتها من النكل ويصعب سبك مثلها

(١٤) سبب اختلاف الجو

ومنهُ · ما سبب اختلاف جو مصر في هذا الشهر فقد كان معتدلاً ثم صار حارًّا جدًّا ثم اعتدل جدًّا ثم زادت حرارتهُ قليلاً

ج · لا يعلم السبب المباشر لاختلاف الحرارة والبرودة في الشهر الواحد من سنة الى أخرى ولا لتعاقبها في شهر واحد ولكن يقال بنوع عام ان الحرارة تصل الى الارض من الشمس وسطح الشمس مضطرب وتنتأ منهُ مشاعيل تمتد الى ابعاد شاسعة في اوقات مختلفة لا ضابط لها فتوءثر في جو الارض تأثيراً لا ضابط لهُ هذا عدا ما يكاد يكون مضبوطاً من تغير الفصول الجاري على سنن واحد تقريباً · فيحتمل ان يمتد مشعل نحو الارض وقتما يكون نصفها الشرقي متجهاً نحو الشمس ويحتمل ان يمتد وقتما يكون نصفها الغربي متجهاً نحو الشمس او غير ذلك مما لا يقع تحت حصر ولذلك يقع هذا الاختلاف في جو المكان الواحد من شهر الى شهر ومن يوم الى آخر

(٥) سكنى القمر

ومنهُ . هل القمر مسكون وما شكل سكانهِ وهل هم على علم كسكان الارض

ج . لا يحتمل ان يكون مسكونًا بمخلوقات حية مثل المخلوقات الارضية لانهُ يكاد يكون خاليًا من الماء

(١٦) كتاب في علم الانسان

احمد افندي عبد العال سلامه . ما هو الكتاب الانكليزي الذين تعولون عليهِ في علم الانسان

ج . الكتب في علم الانسان كثيرة مختلفة ولعلَّ اوفاها بالغرض كتاب الاستاذ تيلر E. B. Tylor's Anthropology

(١٧) اعظم عمل هندسي

ومنهُ . ما اعظم عمل هندسي قام بهِ الانسان

ج . ترعة بناما

(١٨) مدارس تعلم بالمكاتبة

مصر . فؤاد افندي كنعان . ما هي الجامعات او المدارس التي تعلم بالمكاتبات وتعطي شهادات في انكلترا وفرنسا واميركا

ج . في الزيتون رجل اسمهُ المستر جورج جردم يعلن عن مدارس مثل هذه في المقطم فخاطبوهُ في هذا الموضوع

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر اوغسطس

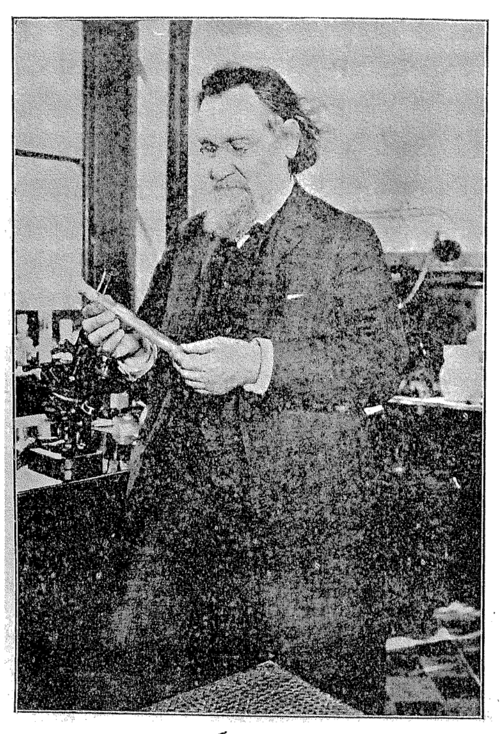
	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٦	١١	٦	مساء
البدر	١٣	٢	٠	٠
الربع الاخير	٢٠	٢	٥٣	٠
الهلال	٢٨	٧	٢٥	٠
القمر في الحضيض	١٢	١١	١٨	صباحًا
" " الاوج	٢٤	٧	٠	مساء

السيارات فيهِ

يكون عطارد والمريخ كوكبي مساء . والزهرة وزحل كوكبي صباح ويشرق المشتري نحو الساعة ١٠ مساء

وفاة العالم متشنيكوف

فجع العلم والطب برجل من اعظم رجالهما بوفاة الاستاذ ايلي متشنيكوف المشهور . استأثرت رحمة الله بهِ بالغًا واحدًا وسبعين عامًا قضاها في الدرس والبحث والتنقيب فيما يفيد البشر ويرد عنهم مضض الاوجاع والاسقام ويزيد حياتهم راحةً وهناء فهو من العلماء الذين نفعوا بني الانسان نفعًا لو قدرت لهُ قيمة مالية لوازنت الجبال ذهبًا



الاستاذ متشنيكوف

مقتطف اغسطس ١٩١٦

امام الصفحة ١٩٦

وفضة نقداً يشترك فيهِ اهل المشارق والمغارب على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم ودرجاتهم

وقد كان في نية علماء الارض ان يحتفلوا ببلوغهِ السبعين في شهر سبتمبر الماضي احتفالاً فخماً كالذي اقاموهُ لبستور ولستر زميليهِ ولكن الحرب حالت دون ذلك فاقتصر الاحتفال على اجتماع وفود الجمعيات العلمية من بلدان الحلفاء والحايدين والقاء الخطب في تبيان فضل المحتفل بهِ على العلم والبشرية

ذاع صيت متشنيكوف في الآفاق منذ ٢٥ سنة ببحثهِ في خلايا الدم البيضاء فانهُ اثبت ان هذه الخلايا الصغيرة تقتل المكروبات المرضية فتعين الانسان على حفظ صحتهِ فمهد بذلك السبيل لكل ما تم في الطب الواقي وضمن نتيجة ابحاثهِ من هذا القبيل كتاباً ضخماً نشرهُ في سنة ١٩٠٦ بعنوان «المناعة في الامراض المعدية»

واستطرد الى البحث في امور اخرى تتعلق بحياة اعضاء الجسم وموتها ووضع في ذلك كتاباً نشرهُ سنة ١٩٠٣ في «طبيعة الانسان»

واخيراً اتجه بحثهُ الى منع الشيخوخة واطالة الحياة وكان قد انتبه لذلك منذ سنوات لما رأى ان الفلاحين في بلاد البلغار يعمرون طويلاً ووجد انهم يكثرون من اكل اللبن الرائب فظن ان بين تعميرهم واكلهم لهذا اللبن علاقة سببية وجعل يبحث عن هذه العلاقة فوجد ان اللبن الرائب يحمض طعمهُ بسبب مكروب يسمى مكروب الحامض اللبنيك ولذلك يكون فيهِ مقدار كبير من هذا المكروب. ثم وجد بالبحث ان هذا المكروب يدخل المعدة مع اللبن و يصل الى المعى الغليظ و يتكاثر فيهِ و يلطف بعض السموم التي تكون فيهِ وتضر بالانسان اذا انتشرت في بدنهِ

لما رأى ذلك اشار باستعمال اللبن الرائب علاجاً فشاع هذا العلاج واستعملهُ كثيرون من الاطباء ولكن بقي فريق كبير منهم لا يعتقد بنفعهِ

وظن متشنيكوف ان نفع هذا المكروب يقل اذا لم يجد في الامعاء ما يكفيهِ من الغذاء الصالح لهُ فاهتمَّ بالبحث عما يزيد هذا الغذاء في الامعاء واخيراً اكتشف المسيو ولمن مساعدهُ في معهد بستور مكروباً يولد السكر فسمي غليكو بكتيريوم اي بكتيريوم السكر او مكروب السكر. وقد وجد هذا المكروب اولاً في امعاء الكلاب ولكن يمكن استنباتهُ وتربيتهُ في المعامل واذا دخل جسم الانسان نما فيهِ فيفيد في توليد السكر طعاماً لمكروب الحامض اللبنيك فيقوى هذا المكروب على القيام بعملهِ المفيد وهو ابطال فعل السموم التي تكون في الامعاء

ولا يخفى انهُ اذا نجح اكتشاف متشنيكوف فلا يظهر نجاحهُ جليًّا واضحاً كما ظهر فضل قتل مكروبات الامراض السريعة الفتك

ولكن النتيجة البعيدة التي يؤدي اليها هذا الاكتشاف لا تقدر لها قيمة ولا تكون اقل شأناً من منع الامراض

وكان متشنيكوف استاذاً في دار مباحث باستور في باريس وعضواً في اكاديمية الطب الفرنسوية وفي جمعية الطب الملكية الانكليزية وسائر الجمعيات الطبية المعروفة في العالم . ونال جائزة نوبل سنة ١٩٠٨ مكافأة لهُ على ابحاثهِ المفيدة في الطب

وفي المقتطف مقالات عديدة سابقة الاذيال عن ابحاثهِ المفيدة نشر آخرها في شهر فبراير الماضي

وآخر الاوسمة التي نالها قبل وفاتهِ « مدالية البرت » التي تمنحها جمعية الفنون الملكية الانكليزية للنابغين . وقد قالت انها منحتها لهُ « اعترافاً بقيمة مباحثهِ في اسباب المناعة في الامراض المعدية مما افضى الى تغيير عظيم في صناعة الطب والى تأييد مبادئ لا بدَّ ان تكون ذات نفع كثير في تحسين الصحة العامة »

وآخر ما نشرناهُ من قلمهِ مقالة افتتحنا بها مقتطف فبراير الماضي بعنوان « مكروب اطالة العمر »

وفاة السر وليم رمزي

نعت التلغرافات في اواخر الشهر الماضي السر وليم رمزي العالم الكيماوي الشهير . وهو من اشهر علماء الارض في الكيمياء ولا سيما الكيمياء الطبيعية وقد اعترف بفضلهِ ملوك الممالك العظيمة فقلدوهُ النياشين مكافأة لهُ على خدمتهِ للعلم والصناعة وأحرز جائزة نوبل سنة ١٩٠٤ وعين عضواً في الجمعيات الكيماوية في انحاء العالم

وهو في الاصل طبيب ولكنهُ انقطع الى درس الكيمياء والمباحث الكيماوية فاجاد فيها وأفاد ولهُ رسائل وتآليف اكسبتهُ شهرة فائقة وقد نقلنا كثيراً من آرائهِ الى المقتطف وبسطناها فيهِ وسنأتي على ترجمتهِ في العدد القادم

ادواء الامم

ظهر في الشهر الماضي كتاب بالانكليزية عنوانهُ « إلاهة الخضوع — درس في اخلاق الالمان » . وقد حلل فيهِ كاتبهُ هذا الخضوع فقال انهُ مركَّب « من طاعة حبًّا للطاعة وشره في اصدار الاوامر والنواهي وإباء تحمل المسأولية والابتداء بالاعمال وعجز عن مقاومة السلطة الاستبدادية » . وقال ان هذه العيوب هي عيوب الامة الالمانية فان الاغلبية خاضعة للاقلية خضوع الرَّقيق وهي في يدها ألين من الشمع . وبعد ما صيَّر الالمان انفسهم بروسيين أرادوا ان يتسلَّوا عن ذلك باكراه غيرهم على قبول سلطة بروسيا وانشاء سلطنة كبيرة في العالمين

وظهر كرّاس آخر بقلم استاذ برتغاليّ عنوانهُ « الحرب والطب » وهو يتضمن خلاصة خطاب القاهُ الاستاذ ريكاردو جورج على جمعية لشبونة الطبية قال فيهِ ان الذين بأيديهم مقاليد الامور في المانيا مصابون بفنّ من الجنون اسمهُ « بارانويا » ومعهُ اخلاط شديدة من عقلية ونفسية وهي تزداد كل يوم حدَّةً وقد سماها «بنتوتوتانيا» ومن رأيهِ ان جميع الامم تصاب بامثال هذا الداء من آن الى آن ولكن داء الامة الالمانية الحالي أعظم داء عقلي من نوعه بدليل تطرقهِ الى جمهور العلماء الاعلام

ملجأٌ لاهل الادب

توفيت في انكلترا ابنة السر جورج أفرست الذي سميت أعلى قمم حملايا باسمهِ . وقد اوصت بجعل منزلها ملجأً للذين أدركهم الاعياء من المشتغلين بعقولهم وخصوصاً الكتاب والمصوّرين . وبجعل حديقة المنزل عمومية وحرماً للطير تربي فيهِ الطيور على أصنافها فلا يمسها احد باذى . وتركت لهذه الغاية ثمانية الاف جنيه

تلسكوب عاكس كبير

أوصت حكومة كندا احد المعامل الاميركية بصنع تلسكوب عاكس كبير قطر مرآتهِ ٧٢ بوصة فأتم المعمل صنعهُ وركبهُ على سبيل التجربة وقد بلغ ثقلهُ جملة ١٣٠ الف رطل منها ٨٠ الفاً ثقل اجزائهِ المتحركة . وهو سهل الحركة الى الدرجة القصوى حتى ان العجَل الذي يحرك التلسكوب يمكن ادارتهُ بالاصبع وثقلهُ اربعة الاف رطل

الزراعة في الهند

بلغت مساحة الارض التي زرعت رزاً في الهند سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ ثمانين مليون فدان أي عشرة أضعاف الارض التي زرعت رزاً في اليابان . والتي زرعت قمحاً ٢٩ مليوناً وهي أعظم مساحة منها في أي البلاد ما عدا الولايات المتحدة الاميركية . والتي زرعت قطناً ٢٥ مليوناً وهي ثلثا مساحة الارض التي زرعت قطناً في الولايات المذكورة

بعض الاوهام الجنيسة

ألف احد الكتاب الانكليز كتاباً أدحض فيهِ بعض الاوهام الشائعة عن تفاضل الامم في هذه الخلة أو تلك فقال ان كلمة « آرية » الكثيرة الاستعمال لا معنى لها اذا أريد بها الجنس فقولنا شعوب آريّة خطأ لقصور علمنا في هذا الموضوع وكل ما نعلم ان بعض الشعوب يتكلمون لغات آرية لا غير اذ ليس هناك دليل على ان الشعوب التي تقطن أوربا الآن هي نسل الغزاة الذين ادخلوا اللغة الآرية الاولى اليها

ومن هذه الاوهام ذهاب كثيرين من الكتّاب الى ان أهل الرؤوس الطويلة انبغ من أهل الرؤوس المستديرة ويستدلون على صحة هذا الزعم بالاسوجيين فانهم من ذوي الرؤوس المستديرة وليسوا من الفروع المتفوقة بين فروع الجنس الابيض · وقد ظهر بالاستقراء ان النابغين منهم ذوو رؤوس أقل استدارة من غيرهم

ومنها دعوى الالمان ان اسلافهم فاقوا غيرهم في احترام المرأة وبالغوا في ذلك كثيراً فان فلوطرخس اثبت ان الايغوريين فاقوهم في ذلك كما فاقهم الهنود الاميركيون ايضاً ·

وقد جرى الالمان اخيراً على خطة ألها تمجيد كل ما في المانيا ونسبة فضائل الى الالمان ليست لغيرهم والمعروف عند المؤرخين ان قسماً من المانيا الشرقية سلافي الاصل وان اهل البلجيك وشمال فرنسا اعرق في الجرمانية من اهل بافاريا

العلم والحق

نظم شاعر انكليزي بيتين يخاطب بهما العلم والحق فيقول لهُ :

« انت لي كاليابسة للبحر فان أصلك ثابت وعلى قدميك التطم على الدوام · لكن من رؤوس شواهقك العالية القائمة تنحات الرمال وتتساقط فيلتقط مدّي منها التبر كل يوم»

حديقة الحيوانات في برلين

كان الالمان يطعمون الحيوانات آكلة اللحوم في حديقة الحيوانات ببرلين قبل الحرب لحم الخيل كما يفعلون في حديقة الجيزة ولكنهم استبدلوهُ الآن بالسقط الذي يطرح في السلخانات وبفضلات المعامل التي تصنع اللحوم المقددة والمحفوظة في علب · وكانت الحيوانات آكلة البقول تطعم الشوفان فصارت تطعم الآن الجذور وتفضلها اذا قدمت اليها مسلوقة

تجربة في السل

تبرعت احدى جمعيات التأمين على الحياة في اميركا بمبلغ ٢٠ الف جنيه لجمعية درس السل ومنعهِ على ان تجرب تجارب تثبت انهُ يمكن كبح جماح التدرن الرئوي وايقافهُ عند حدهِ · وقد اشترطت ان تجرب هذه التجارب في جماعة او مدينة تمثل الامة الاميركية اقرب تمثيل فيعيّن بينها نفر من الاخصائيين يدرسون حالة كل رجل فيها اصيب بالسل او تعرّض لهُ وتدوم التجربة ثلاث سنوات · وغرضها من ذلك مالي كما هو اجتماعي لانهُ اذا قلت وفيات المسلولين زاد ربحها من التأمين على الحياة

رماد الدخان

كتب بعض طوال الروح والوقت مقالة

في احدى المجلات الكيماوية قدّر فيها ما يمكن جمعهُ من رماد التبغ الذي يشرب في انكلترا كل عام وقال ان ذلك القدر اذا اجتمع عاد بالنفع العظيم على الامة لان في هذا ٣٠ في المئة من البوتاس . وهاك كيفية تقديره قال :

في السيجار العادي ٦،٥ ١٠ القمحة من التبغ وفي السيجارة ٢٧ قمحة وفي « البيب » ٢٥،٥ القمحة . فيخرج من الاول ٦،٥ القمحة رماداً ومن الثانية ١،٧٥ ومن الثالث ١،٠١٦ . ويمكن ان يجمع من غرفة التدخين في كل نادٍ من الاندية العادية الحجم ٩ $\frac{٢}{٤}$ الاوقية من الرماد والدخان غير المحروق في كل ثمانية ايام . ومن غرفة التدخين في الفندق الكبير ٢٦ اوقية في الوقت عينهِ . ومن المطعم الكبير ٢ $\frac{١}{٢}$ رطل في ١٠ ايام . ومن قاعة الموسيقى ٤ اواقٍ بعد كل جلسة . وقد ظهر لهُ بعد الحساب عن سنة آخرها ٣٠ مارس سنة ١٩١٤ ان زنة الرماد الذي كان يمكن جمعهُ فيها تبلغ ١٣٣٥٩ طنًّا فيها ٢٦٧٢ طنًّا من البوتاس وثمنها ١٠٥ الف جنيه على حساب الثمن قبل الحرب . فما ينفق على جمعها يا ترى

الموصلات للكهربائية

اذا كانت قوة سلك النحاس لايصال الكهربائية ١٠٠ فقوة سلك الالومينيوم المماثل لهُ لايصالها ٥٨،٤ وقوة سلك الزنك ٢٨،٥ وقوة سلك الحديد ١٢،٥ فقط . ولما قلّ النحاس في المانيا بسبب الحرب امرت الحكومة بابدالهِ بالزنك لايصال الكهربائية على ضعفهِ في جنب النحاس

النور الكهربائي في الخنادق

لما رأى الفرنسويون ان الخنادق العميقة يكون الظلام فيها شديداً دامساً فلا يرى جنودهم بعضهم بعضاً بل يلتبس عليهم الصديق بالعدو اعطوا كل جندي في فردون قنديلاً كهربائيًّا صغيراً توضع بطريتهُ في جيبهِ فيعرف كلٌّ منهم صديقهُ بهِ مهما اشتدَّ الظلام وهذه القناديل تجعلهم هدفًا لرصاص الالمان ولكن نفعها اعظم من ضررها

الكهربائية في الزراعة

جربت سيدة اسكتلندية اسمها مس ددجن تجارب كثيرة في الكهربائية وفعلها بزراعة البطاطس والشوفان فزاد محصول فدان البطاطس بها ١٢٠٤ ارطال سنة ١٩١٢ و ١٤٥٦ رطلاً سنة ١٩١٣ و ٢٥٧٦ رطلاً سنة ١٩١٤ وزاد محصول الشوفان ٣٠ في المئة في السنة الاولى ومحصول تبنهِ ٣١ في المئة ايضاً . وظهر ان الكهربائية تجعل مواد التربة سهلة الذوبان وتسهل على جذور النبات امتصاص الغذاء منها وتزيد تكوّن السكر والنشا

الدقيق الابيض

ذكرنا في الكلام على الارز في باب تدبير المنزل ان الارز المبيض يفقد مادة اسمها ڤيتامين فيتعرَّض الذين يعتمدون عليهِ في طعامهم لمرض البري بري . وقد قام الآن ثلاثة من العلماء ونشروا رسالة ادعوا فيها ان الڤيتامين يكون في نخالة القمح والذرة والمادة الجرثومية فيهما فاذا طحنا ونخلا بحيث لا يبقى في دقيقهما شيء من النخالة خسر دقيقهما هذه المادة النافعة جدًّا

قتل الجراد بغاز الكلور

لما استعمل الالمان غاز الكلور لقتل خصومهم انتبه احد العلماء الى استعمالهِ في جزائر فيلبين لقتل الجراد الذي يكثر فيها فيطلق هذا الغاز على ارجال الجراد فيميتها حالاً ويمكن استعمالهُ لقتل الجنادب ايضاً (النطاط) لكن اهالي فيلبين يستعملون لقتل الجراد طريقة اقل نفقة واكثر ربحاً وهي انهم يمسكون الجراد ويشوونهُ ويأكلونهُ ويستطيبونهُ جدًّا وعرب البادية يفعلون ذلك ايضاً والذين ذاقوا الجراد المشوي يقولون انهُ لذيذ الطعم كالسراطين المشوية

ضماخ روماني

وجد خنجر قديم من عهد الرومان في بلد تشينو بسو يسرا فيهِ ضماخ اسمر مصفر حُلِّل كيماويًّا فظهر انهُ مركب من شمع العسل والدهن والميعة وزيت التربنتينا وقليل من الطرطير او الخمر الذي بقي منهُ الطرطير

حرير الرتيلاء

رأينا هذا الحرير وما ينسج منهُ في معرض باريس منذ ١٦ سنة وكان قد اتي بهِ من مدغسكر ووصفناهُ في المقتطف حينئذٍ . وقد اتضح الآن من البحث فيهِ كيماويًّا ان تركيبهُ الكيماوي يشبه تركيب الحرير العادي وانهُ اذا غطس في الماء ثخن وقصر وهو دقيق جدًّا قطر الخيط من خيوطهِ نحو سبعة اجزاء من الف جزء من المليمتر

مساعدة اميركا لفرنسا

في اميركا جمعية اسمها « جمعية اصدار المصنوعات الاميركية » بين اعضائها مئات من أكبر اصحاب المعامل والمتاجر الاميركية وقد شكلت نقابة صناعية زارت فرنسا في شهري يونيو ويوليو الماضيين لدرس احوالها الاقتصادية درساً مستفيضاً واعادة تنظيم اعمالها التجارية والصناعية بعد الذي نالها من هذه الحرب وترميم معاملها ومصانعها وتجهيزها باحدث الآلات لتمكينها من النهوض والجري في حلبة السباق التجاري الهائل الذي ينتظر بعد الحرب فتكون من المجليات فيها

الفلاح والتعليم

تألفت في الولايات المتحدة الاميركية جمعية غرضها تجربة التجارب لمعرفة تأثير التربية والتعليم في الفلاحين . وقد قابلت بين ٥٥٤ فلاحاً تعلّموا علوماً بسيطة في المدارس الابتدائية . و١٠٢ تعلموا سنتين في المدارس الثانوية فوجدت ان دخل الفلاح من النوع الثاني يزيد ٦٠، ٧١ في المئة على دخل الفلاح من النوع الاول

النحل والثمر

بحثت احدى الجمعيات الزراعية الايطالية فيما يقال عن اضرار النحل بالاثمار فرأت ان التهمة باطلة لان النحلة لا تستطيع خرق قشرة الثمرة وهي لا تمصّ عصارة الاثمار المعطوبة الا نادراً . اما الضرر الذي يعزى اليها من هذا القبيل احياناً فسببهُ الطيور الداجنة والبرية والرياح والبرَد وبعض الحشرات كالزنابير وفراش الكرم وغيرها . على ان النحلة تنفع الكروم والبساتين ولا تضرّها بنقل اللقاح بين الازهار للحصول على اجود الاثمار وبامتصاص العصارة واللبّ من الاثمار المعطوبة وخصوصاً العنب فتمنع انتقال العطب منها الى السليمة . وظهر لتلك الجمعية ايضاً ان البساتين والكروم التي يتردد النحل اليها اكثر جنى من غيرها

المدافع لمقاومة الطيارات

يستعمل الالمان الآن لمقاومة الطيارات مدفعاً قطر فوهتهِ ١٠٤ مليمترات وطولهُ ٤ امتار و٦٨ سنتمتراً وهو يقذف قنبلة ثقلها ١٥ $\frac{1}{2}$ كيلو الى علو اربعة كيلو مترات ويمكن اطلاق ١٥ طلقاً منهُ كل دقيقة اي طلقاً في كل اربع ثوانٍ . ويقال ان قنبلة الشرابنل التي يطلقها تتطاير شعاعاً ويخرج من انفجارها ٦٢٥ شظية

عمل القلب في الاماكن العالية

راقب طيار فرنسوي عمل القلب في اثناء الطيران فظهر لهُ ان النبض يزداد سرعة في الطيران من الارض الى علو ٧٥٠ متراً . ومن هذه المسافة الى علو ١٢٥٠ متراً يبقى على ازدياد ولكن بسرعة اقلّ من الاول . ثم بعد ذلك اي فوق ١٢٥٠ متراً يعود الى سرعتهِ الاولى . وسبب بطء سرعتهِ بين ٧٥٠ و ١٢٥٠ متراً هو ان الهواء يكون عند هذا الحدّ اهدأ مما يكون تحتهُ والريح اكثر انتظاماً في هبوبها . وفوق هذا الحد يشتدّ البرد فتزداد سرعة النبض باشتدادهِ . وكلما عصفت بالطيارة ريح زاد نبض راكبها اسراعاً . واذا همّ الراكب بالهبوط اسرع نبضهُ قليلاً ثم ابطأ . وسبب ذلك الاسراع تهيبهُ وشعورهُ ببعض الخوف لوقوف حركة آلتهِ وقتياً

السيجار والاتحاد الالماني

ألّف لورد ردسديل كتاباً عما رآهُ ووقع لهُ في العواصم الاوربية ذكر فيهِ القصة التالية قال . كان نواب المالك الجرمانية الكبيرة والصغيرة يجتمعون كل سنة في مدينة فرنكفورت ينظرون في امورهم ويختمون اجتماعهم بوليمة يشتركون فيهـا وكان نائب النمسا يرأس الاجتماع والوليمة لان النمسا باتفاق الجميع الوارثة للامبراطورية الجرمانية الرومانية ويقول للنواب في ختام الوليمة انهُ صار يجوز لهم ان يشعلوا سيجاراتهم . وفي منتصف القرن الماضي كانت بروسيا قد قويت واستعزَّت فشق عليها ان تبقى السيادة للنمسا في التحالف الجرماني لا سيما وان جانباً كبيراً من سكان النمسا لم يكونوا من الجرمان . ورأى بسمارك ان بروسيا لا تستطيع ان تنال هذه السيادة الاَّ بالسيف فاعدَّ عدَّتهُ لذلك حتى اذا اجتمع النواب واكلوا وشربوا تناول بسمارك سيجاراً وأشعلهُ قبل الكونت بول نائب النمسا ثم قدم عود الكبريت الذي اشعل سيجارهُ الى الكونت بول ففهم النواب من هذا العمل البسيط ان بروسيا عزمت ان تتولى سيادة المالك الجرمانية . وبعد قليل تحينت فرصة لمحاربة النمسا فحاربتها وقهرتها فتمت لها السيادة فعلاً . ثم حاربت فرنسا وانتزعت منها الالزاس واللورين بدعوى انهما من ممالك الجرمان اصلاً واضرمت في العام الماضي نار الحرب الاوربية لكي تكون لها السيادة على اوربا كلها

الجامعة المصرية

نشر مجلس ادارة الجامعة المصرية تقريرهُ عن السنة المكتبية ١٩١٥—١٩١٦ فاذا دخلها في السنة التي انتهت في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٥ بلغ ٦٧٥٥ جنيهاً وهذه مواردهُ

مليم	جنيه	
٠٠	٢٧٠٠	اعانة وزارة الاوقاف
٠٠	١٩٩٦	« « المعارف
٩٠٠	٠٠٠٣	اعانة شركة التلفون
٠٧٠	٠١٣٩	رسوم تعلم وامتحان
٢٠٥	١٠٦٦	تشغيل النقود
٢٤٧	٠٧٥٣	ايراد الوقفيات
٨٥٤	٠٠٨٦	ايرادات مختلفة
٤٧٦	٦٧٥٥	المجموع

فهل يمكن ان تقوم جامعة وطنية ودخلها من اوقافها لا يبلغ الف جنيه . ولا نرى لصيرورة هذه الجامعة في الدرجة التي يريدها لها محبوها الاَّ سبيلاً من سبيلين اما ان يوقف عليها اغنياء القطر ما يزيد ريعهُ على عشرة آلاف جنيه او عشرين الف جنيه واما ان تعطى للحكومة لتنفق عليها كما تنفق على سائر مدارسها . وعسى ان تتجه عناية مولانا السلطان الى هذه الجامعة حتى لا تبقى في حالتها الحاضرة من حيث قلة دخلها

نيويورك عاصمة الامم

مدينة نيويورك باميركا اكبر مدينة يهودية لان فيها مليونًا من اليهود . واكبر مدينة ارلندية لان فيها اكثر من ٦٧٥ الفًا من الارلنديين . وفيها ٧٢٣ الفًا من الالمان و ٧٣٥ الفًا من الروسيين و ٣٠٦ آلاف من النمسويين . وقد بلغت نفقات مجلسها البلدي في العام الماضي اكثر من ٤٢٤ مليون ريال . وفيها من رجال البوليس ١٠٦٧٤ وتبلغ نفقاتهم في السنة اكثر من ١٦ مليون ريال . ويدخل هذه المدينة كل يوم او يخرج منها بسكة الحديد ٢٦٠ الف نفس . ويولد فيها مولود كل اربع دقائق . وفيها ٣٨٠٠٠ معمل رأس مالها ١٨٠٠ مليون ريال تصنع في السنة مصنوعات ثمنها ٢٩٠٠ مليون ريال . ورأس مال بنوكها ٢١٦ مليون ريال وفيها من الودائع ما يساوي ٥٣٧٧ مليون ريال . وعدد فنادقها ١٥٠٠ وتياتراتها ٢٥٠ وكنائسها ١٥٣٥ ورياضها ١٩٨ . وفي مدارسها ٨٠٢٥٧٣ تلميذاً وتلميذة و ٢٠٠٦٣ معلمًا ومعلمة وفيها ١٠٢ من المستشفيات تكفي لنحو ٢٢ الف مريض

برد كبير

وقع برد كبير في ماريلند باميركا في العام الماضي قيس بعضهُ فكان قطر البردة اربع بوصات الى ثلاث بوصات ونصف اي انهُ كان مثل البرتقال وكان وزن بعضهِ سبع اواقي وكانت كل بردة مؤلفة من طبقات مظلمة فشفافة وقد عدَّ في بعضها ٢٥ طبقة متراكزة . ولا يعلم كيف تبقى حبوب كبيرة مثل هذه في الهواء حتى تتكوَّن عليها هذه الطبقات كلها ولكننا نظن انها تكون متحركة بعاصف يصعدها ويخفضها دوامًا

ريع احدى هبات كارنجي

ظهر التقرير السنوي العاشر عن هبة كارنجي لتقدم التعليم فاذا ريع هذه الهبة في السنة الماضية بلغ ٦٩٧٨٦٢ ريالاً اي نحو مئة واربعين الف جنيه مصري . وقد بلغت النفقات على تقدم التعليم تلك السنة ٧١٢٨٥٢ ريالاً او اكثر من ١٤٢ الف جنيه فلينظر مجلس ادارة الجامعة المصرية الى ذلك ويستندوا اكف مثل هذا الكريم

الاقتصاد دواء عسر الحال

انفق الانكليز على هذه الحرب الى الآن الفين وثمانمئة مليون جنيه اي نحو سبع كل ثروتهم وهم يقولون انهم لا يستطيعون ان يستردوا الاموال التي انفقوها الاَّ اذا اقتصد السكان كلهم في نفقاتهم البيتية في المأكل والمشرب والملبس . وهذا ما يقولهُ الالمان والفرنسويون

والروسيون والنمسويون والايطاليون . وهذا ما يجب ان نقولهُ نحن في هذا القطر ولو لم نشترك في الحرب فعلاً لان القطر المصري خسر لقلة موسم القطن السابق ورخص الموسم الذي قبلهُ من عشرين الى ثلاثين مليونًا من الجنيهات فوق ما خسرهُ بارتفاع اسعار الحاجيات والكماليات التي يؤْتى بها من الخارج كالفحم الحجري والبترول والمنسوجات على انواعها . وقد اختلف ثمن الواردات في العام من سبعة وعشرين مليونًا من الجنيهات الى اقل من عشرين مليونًا كما ترى في هذا الجدول وهو عن السنوات العشر الاخيرة

السنة	قيمة الواردات
١٩٠٦	٢٤ ٠١٠ ٧٩٥
١٩٠٧	٢٦ ١٢٠ ٧٨٣
١٩٠٨	٢٥ ١٠٠ ٣٩٧
١٩٠٩	٢٢ ٢٣٠ ٤٩٩
١٩١٠	٢٣ ٥٥٢ ٨٢٦
١٩١١	٢٧ ٢٢٧ ١١٨
١٩١٢	٢٥ ٩٠٧ ٧٥٩
١٩١٣	٢٧ ٨٦٥ ١٩٥
١٩١٤	٢١ ٧٢٤ ٦٠٦
١٩١٥	١٩ ٣٢٨ ٩٩٣

فاذا اعتدل اهل القطر كلهم اغنياؤُهم قبل فقرائهم في نفقاتهم حتى لا يزيد ثمن الواردات على عشرين مليونًا من الجنيهات استطاع القطر ان يسترد في اربع سنوات ما خسرهُ في هاتين السنتين والاَّ زاد تراكم الديون عليهِ وفقد جانبًا كبيرًا من اطيانهِ التي هي ثروتهُ الحقيقية

اقتباس انكلترا للنظام العشري

اصدرت الجمعية العشرية الانكليزية تقريرًا قالت فيهِ ان الحرب الحاضرة اظهرت لانكلترا خطأَ تمسكها بنظام المقاييس المتبع فيها وحدها دون غيرها . وان وجود عدد كبير من الجنود الانكليزية في فرنسا والبلجيك ساعد كثيرًا على تقريب النظام العشري من افهام الجمهور الانكليزي . ثم ابدت املها ان الحكومة تغتنم هذه الفرصة السانحة لاقتباس النظام العشري اسوة بسائر امم اوربا فلا يغبن التاجر الانكليزي وتكسد تجارتهُ بسبب اصرارهِ على نظام المقاييس الحالي المتبع في بلادهِ

مجموعة بيانوات قديمة

اهدى احد الاميركيين الى متحف وشنطن مجموعة من البيانوات القديمة عددها ٧٠ اقدمها بيانو صنع في اواخر القرن الثامن عشر . ومع هذه المجموعة مئات من الصور الفوتغرافية لبيان ادوار ارتقاء هذه الصناعة من اول عهد الناس بها الى اواسط القرن الماضي

عالم الماني يعتذر

يذكر القراء المنشور الذي كتبه ٩٣ عالماً من كبار علماء المانيا في اوائل الحرب ونشروه في جميع انحاء المسكونة يبرئون فيه حكومتهم من وصمة هذه الحرب ويقولون كل اللوم على الحلفاء على ان احدهم وهو الاستاذ بلانك استاذ الطبيعيات الرياضية في جامعة برلين ارسل اخيراً كتاباً الى صديق له من علماء انكلترا اعترف فيه بان لهجة المنشور كانت شديدة الى حد افضى الى سوء فهم العواطف الحقيقية التي كانت تدب في صدور كاتبيه وهذا مما يبعث على الاسف. قال «اما رأيي الذي يشاركني فيه اربعة من زملائي (وقد ذكر اسماءهم) فهو ان المنشور كتب وامضي في اسابيع الحرب الاولى والعواطف الوطنية في اوج حدتها وشدتها. ولا يمكن احداً الآن ان يبدي رأياً معقولاً مبنياً على الحقائق الحقيقية في المسائل التاريخية العظيمة المتعلقة بهذه الحرب. ولكن الذي اريد ان اوجه نظرك اليه هو انه بالرغم من الحوادث الهائلة التي تجري حولنا بت اعتقد ان وراء حدود حرب الامم منطقة ادبية وعقلية وان التعاون الشريف وتنمية العلاقات الثمينة بين الامم المختلفة واحترام مزايا الاعداء احتراماً شخصياً --- هذه كلها لا تناقض البتة حب المرء لبلاده حباً جماً وخدمته اياها بجميع جوارحه»

ترشيح ماء الشرب

من رأي احد علماء الانكليز ان طريقة ترشيح الماء التي اخترعها بويش وشابال هي خير الطرق لتصفية الماء اقتصادياً وصحياً. وخلاصتها امرار الماء في صفائح محتوية مواد مختلفة الحجم من الحصى الكبيرة في اعلى الصفائح الى الرمل الدقيق في ادناها فتحجز معظم الشوائب التي في الماء وترسب على الحصى وما تحتها فاذا بلغ الماء الرمل كان خالياً من الشوائب. اما تطهير الماء مما فيه من المواد الآلية فيتم بواسطة حيوينات تكون في الرمل ويكون عملها تحويل الامونيا الى حامض النيتروس والنيتريك. وعنده ان هذه الطريقة البطيئة افضل من طريقة المرشحات السريعة التي تعتمد على ضغط الماء وامراره بقوة ذلك الضغط وسط مواد المرشحات

المسيو غستون مسبرو

نعت الجرائد العلمية المسيو غستون مسبرو اكبر علماء الآثار المصرية ومدير دار الآثار المصرية سابقاً توفي فجأة بباريس في ٣٠ يونيو الماضي وسنأتي على ترجمته في المقتطف التالي

فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والاربعين


اعلانات المقتطف


الرجاء من حضرات القراء ان يذكروا المقتطف عند مخابرة المعلنين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والاربعين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٦ — الموافق ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٤

شكسبير

كيفية وصوله الى الشهرة

ذكرنا في الجزء السابق ان شكسبير اضطرَّ ان يترك المدرسة وعمرهُ اربع عشرة سنة لان اباهُ احتاج اليهِ لكي يساعدهُ بعد ما اصيب بضيق مالي · وقد ذكر بعض معاصريهِ انهُ ساعدهُ فعلاً في بعض الاعمال التي اكتفى بها بعد ان ضاقت دائرة عملهِ لضيق ذات يدهِ اي ذبح الغنم والبقر وبيع الجلود والصوف · وروي انهُ علَّم ايضاً في مدرسة صغيرة لانهُ كان عارفاً باللاتينية ودخل مكتب احد المحامين مساعداً لهُ · وسواءٌ صحَّت هذه الروايات اولم تصحَّ فلا شبهة في انهُ اقام بضع سنوات بعد خروجهِ من المدرسة يتوخَّى مختلف الاعمال لكي يكتسب ما يعين بهِ اباهُ كما يفعل كثيرون من الشبان لدى خروجهم من المدرسة · والحاجة تفتق الحيلة ولاسيما اذا عاش المرء في نعمة ثم حُرِمها · والظاهر ان الالعاب التي شاهدها في صباهُ كانت تخطر على بالهِ وهو ميال اليها بالطبع ومجالها واسع في ستراتفورد في النهر والحقل والغاب فشارك الشبان فيها الى ان صار يدخل حرم الاغنياء ويصطاد ما فيهِ من الغزلان وهو امر محرَّم عندهم لكن الذي يقدم عليهِ تقوى فيهِ ملكة اقتحام المخاطر لانهُ ليس سرقةً تُعاب على اصحابها بل هو نوع من التسلي فيهِ شيءٌ من الكسب · ومن هؤلاء الاغنياء رجل اسمهُ السر توماس لومي · ويقال ان هذا الرجل قاضاهُ لاعتدائهِ على الصيد في حرمهِ فنظم شكسبير قصيدةً في هجائهِ فزاد غيظاً وخاف شكسبير تبعة عملهِ فهجر ستراتفورد وجاء لندن · ويقال ان السر توماس لومي كان من المتحمسين في مذهب البروتستانت وكانت ام شكسبير من الكاثوليك وقد قصد واحد من اقاربها ان يغتال الملكة اليصابات فحوكم وحكم عليهِ بالقتل وان ذلك حمل السر توماس لومي على الانتقام من شكسبير لما دخل حرمهُ

للصيد فيهِ فزاد شكسبير غيظاً منهُ لانهُ جعل التعصب وسيلة للانتقام وحفظ الصيد واشار الى هذه الحادثة في بعض رواياتهِ مورّياً عنها

وفي تلك الاثناء اقترن بفتاة اسمها حنة هاثواي وكان عمرهُ تسع عشرة سنة لا غير وعمرها سبعاً وعشرين سنة وكانت الصداقة محكمة بين بيت ابيها و بيت ابيهِ وتدلُّ الدلائل كلها على ان زواجهُ الباكر جعلهُ « يركز » و يقلع عن سخافات الصبا و يوجه كل قواهُ الى ما يصلح شؤُونهُ ويرفع مقامهُ بين قومهِ وكانت زوجتهُ من فضليات النساء فعاونتهُ وادارت بيتهُ بالحكمة والسداد حتى أغنتهُ عن الاهتمام بهِ ومكَّنتهُ من الانصراف الى عملهِ فانهُ من حين تزوج غيَّر سيرهُ السابق وعكف على العمل المنتج. ورزق منها ابنة في السنة الاولى وتوأمين بعد سنتين ابناً وابنة فصار لهُ زوجة وثلاثة اولاد وهو في الحادية والعشرين من عمرهِ. فثقل الحمل عليهِ . والحازم الندب لا يرزح تحت الحمل الثقيل بل يزيد همةً ونشاطاً فنظر الى ما حولهُ ورأى ان لا سبيل لهُ للكسب الكافي الاَّ في العاصمة وفي ملاعبها وكان قد مارس التمثيل في بلدهِ ورأى بعض بوادر الفلاح فيهِ

ولا يُعلَم تماماً في اية سنة قصد مدينة لندن لهذه الغاية ولكن يعلم ان ثلاثة « اجواق » من اجواق التمثيل جاءَت ستراتفورد سنة ١٥٨٧ وكان في احدها ثلاثة من ابناء بلدهِ فلا يبعد ان يكون قد رافق واحداً منها حينئذٍ الى لندن ومن المحتمل ان يكون قد ذهب الى لندن قبل ذلك وعاد الى بلدهِ مع احد الاجواق التي جاءَتها سنة ١٥٨٧ . و يروى انهُ لما ذهب الى لندن اولاً لم يكن يباح لهُ ان يشترك في التمثيل بل كان يقف امام باب الملعب يمسك خيول الذين يأتونهُ من جلَّة القوم راكبين واستخدم لذلك بعض الاولاد فكانوا يسمون اولاد شكسبير . وليس في هذه الرواية ما يحط من قدرهِ ان صحت بل هي تدلُّ على حبهِ للعمل ومقدرتهِ على تنظيمهِ

والمرجح انهُ عُني حينئذٍ بتعلم الفرنسوية والايطالية لكي يقرأ ما فيهما من التواريخ والقصص التي تساعدهُ في صناعة التمثيل وتأليف الروايات. وكان استاذهُ في هاتين اللغتين رجل اسمهُ جون فلوريو وقد وُجدت قصيدة في مدح فلوريو هــذا والمرجح انها من نظم شكسبير اي انهُ مدح فلوريو لعلمهِ وفضلهِ كم ذمَّ السر توماس لوسي لبخلهِ وتعصبهِ فاستخدم قريحتهُ في الحالين للتعبير عما في نفسهِ . وقد وجدت نسخة من مقالات مونتانيه الكاتب الفرنسوي المشهور وثبت بالادلة القاطعة انها كانت تخص شكسبير وعليها اسمهُ بخطهِ وهي التي حررها وطبعها فلوريو. وكان فلوريو وشكسبير صديقين للورد سوثهمبتون وكان

هذا الشريف يجلّ قدرها لانهُ كان كريماً جوّاداً ومن انصار الآداب والمعارف واليهِ اهدى شكسبير قصيدتهُ البليغة التي سماها تموز والزهرة (ادونس وڤينس)وقصيدتهُ الاخرى المساة لوكريس

وتعلّم شكسبير للايطالية والفرنسوية لمطالعة كتبها ورواياتها لا ينفي ان يكون قد قرأ بالانكليزية ما تُرجم اليها منهما في ذلك العهد وبنى عليهِ كثيراً من رواياتهِ . وقد كان كثيرون من شركائهِ في التمثيل عارفين باللغة الايطالية ومن الذين ساحوا في ايطاليا وشاهدوا التمثيل فيها

وواظب على ممارسة التمثيل والاستعداد لهُ بدرس اللغات والمؤلفات الى ان بلغ سنة ١٥٩٢ درجة يُحسَد عليها . والمرجح انهُ كان حينئذٍ قد انشأ ثلاثاً من رواياتهِ التمثيلية ونجح في اختيار المواضيع التاريخية لها ففاق بذلك معاصريهِ وجمع بين التمثيل وانشاء الروايات كما يظهر من طعن احد معاصريهِ عليهِ وهو عالم اسمهُ غرين فانهُ انف من ان قروياً مثل شكسبير يخرج في مدرسة عالية يزاحمهُ في صناعتهِ ويفوقهُ فيها . لكن غرين هذا لم يسعهُ الا ان شهد لشكسبير بالاجتهاد والمقدرة والنجاح كممثل وكمنشيء . وزاد شكسبير همّة ونشاطاً بعد ذلك فنظم في ست سنوات قصيدتيهِ تموز والزهرة ولوكريس وخمس عشرة رواية من رواياتهِ وبعضها من نوع التراجيديا وبعضها من الكوميديا وبعضها من الروايات التاريخية وعُرف حينئذٍ انهُ من نوابغ الشعراء واكابر المؤلفين والممثلين

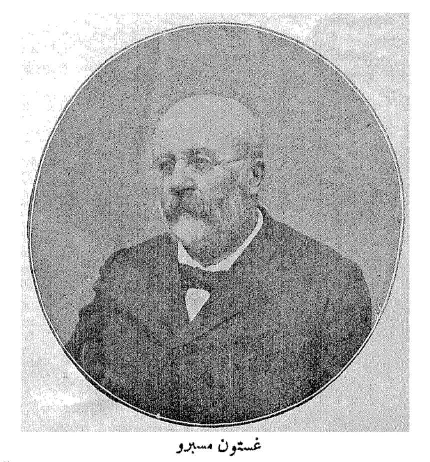
واتفق ان العصر الذي قام فيهِ كان عصراً تزهو فيهِ القرائح ولا تخمل وتموت . عصر الملكة اليصابات المشهور في تاريخ البلاد الانكليزية بارتقاء كل شيء وطني وبكسر قيود التقاليد والاوهام وحسبانها الد اعداء الانسان وانصراف الناس الى ما يعلي شأن وطنهم ويعيد لهم ذكرى ملوكهم السالفين . فتهيأت للتمثيل الوطني افضل المعدات في الافكار والآراء كما كادت تتهيأ للتمثيل العربي في هذا العصر اذا عرف الممثلون كيف ينتهزون هذه الفرصة التي يراد بها اعادة مجد العرب . وكما تهيأت في اثينا على عهد بركليس

وكانت دور التمثيل قد انشئت في ضواحي لندن واجيز لها رسمياً ونسبت الى عظماء المملكة وتعددت الاجواق التي تمثل فيها . والجوق الذي انتظم شكسبير فيهِ كان اسم رئيسهِ برباج وهو رجل همام اقام داراً خصوصية للتمثيل في لندن نفسها سميت بالتياتزو وهي اول مشهد تمثيلي اقيم في لندن ثم اقام داراً ثانية مسقوفة وعليهِ فلما اتى شكسبير لندن كانت دور التمثيل منتشرة فيها وفي ضواحيها وهي مكشوفة كلها الا الدار الاخيرة التي

اقامها برباج في بلاكفريز فانها كانت مسقوفة يُمثَّل فيها زمن المطر . وكان حاكم المدينة وشيوخها وبعض القسوس غير راضين عن التمثيل لكن اذا وضع الشيء في محله فالمقاومة تزيدهُ رسوخاً كما تفعل الرياح بالاشجار فان بيت الملك واشراف المملكة وجمهور الشعب كانوا راضين عن التمثيل راغبين فيهِ . ثم اشتركت الاجواق كلها واختير منها اثنا عشر ممثلاً سموا بممثلي الملكة وكان اكثرهم من جوق امير لستر فكانوا يمثلون امام الملكة اليصابات وحاشيتها. وتوفي برباج وخلفهُ ابنهُ رتشرد برباج وكان اعلى منهُ همة فاعاد بناء التياترو المسقوف ووسعهُ واشترك مع شكسبير لانهُ رأى براعتهُ في التمثيل وفي انشاء الروايات التمثيلية فنال جانباً كبيراً من الربح . وبني حينئذٍ التياترو الكبير المعروف بتياترو الكرة ودامت روايات شكسبير تمثَّل فيهِ خمس عشرة سنة في فصلي الصيف والخريف وفي التياترو المسقوف في الشتاء والربيع ولما آل الملك الى الملك جمس الاول اغدق نعمهُ على ممثلي الملكة فسموا ممثلي الملك

وقد حقق كتَّاب الانكليز اي الروايات مثّل في هذا التياترو اولاً وايها مُثل في ذاك وكيف توسَّع شكسبير في تأليفها من وقت الى آخر فزاد فيها ونقص منها وكيف انهُ كان يكتفي بالتأليف او بكتابة رؤوس الاقلام وغيرهُ ينسخ ويحرر وينقح مما لا حاجة بنا الى الاطالة فيهِ لان ليس غرضنا ان نبين ما انشأهُ هو وما يقال ان غيرهُ انشأهُ ونسب اليهِ وانما غرضنا ان نبين اسباب نجاحه

والظاهر ان التمثيل نفسهُ كان قد ارتقى في عهد شكسبير من حيث انشاء الروايات ومن حيث تمثيلها وكان قد انقسم فرعين كبيرين واختار طريقين مختلفين الواحد اعتمد على ما يسمَّى باللغة الفصحى والامور القديمة كما لو انشأ عندنا منشئٌ رواية باللغة التي كانت مستعملة في عصر امرىء القيس واكثر فيها من الالفاظ المفخمة والتعابير المقعرة والامثال القديمة لكي يعلو عن مدارك الجمهور والف آخر رواية على اسلوب عصري واكثر فيها من التعابير المألوفة والامثال المأنوسة ولو عامية . وقد اختار بعضهم اسلوباً متوسطاً بين هذين الاسلوبين كما يختار المؤلف منا في انشائهِ ما يسمَّى بالسهل الممتنع فلا تقعروا كالمتفاصحين ولا ابتذلوا كالمتهتكين بل جمعوا بين قصص القدماء ومعانيهم واساليب المحدثين في التعبير الصحيح عنها وطبقوها على عصرهم ورصَّعوا رواياتهم بالشعر النفيس والغناء المطرب وكل ما يلذ للخاصة والعامة ويهذب اخلاقهم ويثقف عقولهم ويزيد حبهم لوطنهم. وظهر شكسبير في تلك الاونة فحقق كل ما ينتظر من ذلك الاسلوب بعد ان وطد اركانهُ واعلى منارهُ وربما توسعنا في هذا الموضوع في فرصة أُخرى



غستون مسبرو

مقتطف سبتمبر ١٩١٦
امام الصفحة ٢١٣

غستون مسبرو

نعى البرق الينا المرحوم السر غستون مسبرو المدير السابق لدار الآثار المصرية واكبر علماء الآثار المصرية في هذا العصر. توفي فجأة في ٣٠ يونيو الماضي بباريس وهو يشهد جلسة لمجمع الكتابات القديمة والآداب. وقد جاءتنا مقالة عنهُ لحضرة صاحب الامضاء قال فيها ما خلاصتهُ:

مثل مسبرو من تظهره اعمالهُ وامثالهُ قليلون. وهو ايطالي الاصل ولكنهُ ولد في باريس في ٢٣ يونيو سنة ١٨٤٦ فيكون قد عاش ٧٠ سنة واسبوعاً واحداً

اسس المتحف المصري ماريت باشا في عهد سعيد باشا والي مصر ولا يزال لهُ في سقارة منزل معروف باسمهِ. وقد مات في مصر ودفن في حديقة المتحف الذي أسس اولاً في بولاق واقيم لهُ تمثال في المتحف الجديد بقصر النيل وسمي اكبر شارع تجاه المتحف باسمهِ. وتولى ادارة المتحف من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٨١. وخلفهُ مسبرو لاول مرة حتى سنة ١٨٨٦ ثم جريبو الى سنة ١٨٩٢. ثم دي مورجان الى سنة ١٨٩٧. ثم لوريه الى ١٨٩٩. ثم صاحب الترجمة من ١٨٩٩ الى ١٩١٤ حينما استقال في اوائل هذه الحرب وعاد الى باريس. وكان لهُ نجلان هنري وجان. فانتظم جان في الجيش الفرنسوي وقتل في اوائل سنة ١٩١٥. فلما وافى اباهُ نعيهُ أُصيب بداء عضال ما زال به حتى قضى عليهِ. وكان ابنهُ جان كاتباً لهُ ثلاثة مؤلفات في النظامات الحربية المصرية في عهد الدولة البيزنطية. واشتغل بالفهرس العام لدار الآثار المصرية وهو ثلاثة اجزاء صحح الاخير قبلما قُتل موتهِ. فانهُ كان قد أُصيب بجرح ومنح اجازة قضاها في تصحيح هذا الجزء. وقد طبعهُ والدهُ بعد وفاتهِ وصدَّرهُ بمقدمة بليغة شرح فيها عظم مصابهِ بابنهِ وختمها ببيان مؤلفاتهِ ومقالاتهِ العديدة المطبوعة في المجلات العلمية

كتب المترجم كثيراً وخطب كثيراً في الاندية والمجتمعات العلمية. وكان شاعراً يظهر اثر شعرهِ وخيالهِ السامي في وصف آثار مصر المدهشة فاذا وصف حقائق المدنية المصرية القديمة لم يترك مجالاً لقائل. وكان غاية في التواضع حتى لم يكن يرضى الوقوف امام المصوّر لاخذ صورتهِ فلذلك نرى صورهُ الفتوغرافية قليلة لا نعرف منها غير صورة اخذت يوم رأس المعهد العلمي المصري في القاهرة ووجدت لهُ صورة اخرى صورت سنة ١٩١٢. وهي تمثلهُ واقفاً بجانب آثار دير المدينة او الدير البحري في طيبة بعد اكتشافاتهِ المشهورة. وقد بلغني ان حضرة احمد بك كمال الامين المصري لدار التحف السابق مشتغل بوضع ترجمة وافية للفقيد يذكر فيها اعمالهُ وآثارهُ ونعم العمل

والى القراء اسماء موءلفاتهِ نقلاً عما هو محفوظ في دار الكتب السلطانية

الكتابة المنقوشة في هيكل ايدوس (العرابة المدفونة في البلينا) • نقلها وترجمها الى الفرنسوية وعلق عليها واتبعها بنبذة في شباب سيزوسترس • طبع في باريس سنة١٨٦٧ طبعة حجر في ٨١ صفحة

مديح النيل • نقلهُ عن النصوص المحفوظة في دار التحف البريطانية • طبع في باريس طبعة حجر سنة ١٨٦٨ في ٣٢ صفحة • وقد ترجمهُ احمد بك كمال ونشرهُ في كتاب العقد الثمين في محاسن اخبار وبدائع آثار الاقدمين من المصريين وهو مذكور في تاريخ المشرق الذي ترجمهُ سعادة احمد زكي باشا

موءلف في اصول اللغة المصرية القديمة باشكالها الثلاثة — الهيروغليفية والديموتيقية والهيراتيقية • طبع على حجر في باريس سنة ١٨٧١ • وكان عارفاً باللغة القبطية نطبع شذرات من العهد القديم بالقبطية الصعيدية وجدت في الدير الابيض باخميم • واشتغل بالاوراق البردية واطال البحث فيها بعد ان اكثرت متاحف اوربا من اقتنائها وتهافت العلماء على الفلاحين لمشتراها منهم • وكان الفلاحون يجدونها في اكوام السباخ

تاريخ امم المشرق القديمة • وهو في ثلاثة اجزاء طبع في باريس من سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٩ وترجم الى الانكليزية بقلم الاستاذ سايس وماك كلور وبرابورت في ١٢ جزءا

تحقيق قضائي في طيبة في عهد العائلة العشرين • طبع في باريس سنة ١٨٧١ في ٨٦ صفحة

وقد ترجم من اللغات الاوربية الى الفرنسوية ما رآهُ نافعاً في موضوعهِ كما ترجمت موءلفاتهُ الى تلك اللغات • وكان يوافي الجرائد والمجلات بمقالات ونبذ ورسائل نافعة كلما سنحت لهُ الفرصة وبيانات اعمال مجمع الكتابات والآداب في باريس من سنة ١٨٨٠ وكان سكرتيرهُ الدائم • وفي قاعة محاضراتهِ قبض الى ربهِ كما تقدمت الاشارة اليهِ • وكان يتحف اعضاءهُ كلما امَّ باريس لقضاء اجازتهِ السنوية فيها بمقالات لها المقام الاول او يراسل بها الرئيس فتقرأ بين اعجاب الاعضاء وثقتهم بعلم صاحبها • وكان عضواً في معهد فرنسا العلمي (الانستتو) وفي لجنة تحرير مجلة العلماء التي تصدر في باريس منذ قرن من الزمان وفي جمعيات علمية كثيرة اجنبية كالجمعية الاسيوية الملكية في انكلترا وفي ايطاليا

وكان عالماً باللاتينية وقد وضع رسالة بها سنة ١٨٧٢ في مكان كركميش وعلاقتها بالتاريخ القديم • وعلى بحثهِ في التاريخ القديم صنعت الاطالس والخرائط القديمة • ولم يعقد موءتمر دولي للمستشرقين الا ولصاحب الترجمة المقام الاول فيهِ • وكان يختار لرآسة القسم

الشرقي فيهِ عامة او القسم المصري خاصة · وكان يكتب بعض المقالات او مقدمات الكتب بالانكليزية والايطالية والالمانية واليونانية القديمة مما دل على تضلعهِ منها

واشتغل بوضع مؤلف خاص بالحكايات المصرية القديمة وجمع المواويل وما ينشد نظماً في مصر باللغة العربية العامية وترجمهُ الى الفرنسوية وطبعهُ بها · وكان يكتب في المجلة المعروفة باسم مجلة اللغة المصرية ولهُ فيها مؤلفات عديدة في القضاء المصري في عهد الفراعنة · وكانت الحكومات الاجنبية التي اقتنت آثاراً مصرية تنتدبهُ لايضاحها وبيان مكانها من تاريخ مصر · ومن اعظم آثارهِ فهرست المتحف المصري اتمهُ في مدينة موسيليا سنة ١٨٨٩ · وقد جمع شتات ابحاثهِ في مجلدين طبعهما معاً · وصدر بادارتهِ ٣٥ مجلداً من مقالات المشتغلين باللغة المصرية القديمة من الفرنسويين وعلق عليها ما عنَّ لهُ من الآراء

وكانت الحكومة الفرنسوية قد اوفدت الى مصر جماعة من العلماء عرفت باسم البعثة الفرنسوية الاثرية فبدأت عملها سنة ١٨٨٠ واصدرت نحو ٣٠ مجلداً في آثار مصر من فرعونية واسلامية عربية فشاركها صاحب الترجمة في اعمالها واختص بالعهد الفرعوني · ثم غير اسمها الى المعهد الفرنسوي العلمي ومقرهُ الآن في المنيرة حيث مدرسة الحقوق الفرنسوية · وقد عهدت الحكومة المصرية اليهِ في الاشراف على اعمال الحفر والنقب عن العاديات بعد ما ثبت لها انهما عملان متلازمان · فعين في كل مديرية مفتشاً للآثار واقام الخفراء للمحافظة على الآثار خوف تلاعب الطامعين بها بعد ان نهبوا منها ما نهبوا ولكنهُ لم يكن يمنع البعثات العلمية الاوربية من الحفر على نفقاتها وسنَّ لها قانوناً نقح مراراً

وآخر ما اشتغل بهِ في هذا القطر المعابد المصرية التي غمرها ماء النيل بعد بناء خزان اسوان من جزيرة انس الوجود الى النوبة · وسعي جهدهُ فرممها لتقوى على صروف الحدثان · وسرعان ما تولى ادارة المتحف المصري حتى طبع سنة ١٨٨٣ الدليل المشهور · وقد تكرر طبعهُ بزيادة ما اكتشف من الآثار سنة فسنة · وآخر طبعة لهُ كانت سنة ١٩١٤ وفيهِ مقدمة من انفس ما كتب عن انشاء المتحف وسبب تأسيسهِ والادوار التي تقلب عليها حتى بلغ دورهُ الحاضر

واما انفك يكتب في المجلات المصرية ويخطب في الاندية المصرية · ولطالما شنف اسماع اعضاء نادي المدارس العليا في القاهرة والجمعية الاثرية في الاسكندرية ونادي رمسيس في القاهرة · وخطبتهُ الاخيرة في نادي رمسيس مشهورة فانها طبعت على حدة وعربت بعد موافقتهِ على تعريبها وطبعها وقد القاها في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ وموضعها الروابط التي تربط سكان مصر الحاليين بسكانها القدماء (وقد نشرت في مقتطف يناير سنة ١٩٠٩)

ومما يدلُّ على شدة حبهِ لمصر وآثارها وغيرتهِ على مصلحتها الحادثة الآتية · وخلاصتها ان المدعو محمد احمد عبد الرسول من اهل القرنة عثر على كنز ثمين للملكة هاتاسو من العائلة الثامنة عشرة في معبد الدير البحري غربي لقصر فسلب منها مع افراد عائلتهِ شيئًا كثيرًا وباعوهُ للسياح · وما عتم ان طار صيت هذه الكنوز في اوربا فسمع مسبرو بذلك وقدم مصر واخبر داود باشا مديرقنا يومئذٍ بالامر · فبالغ في ارهابهم وسجنهم شهرين ليعترفوا بخبيئتهم فما ازدادوا الأ انكاراً فاطلق سراحهم· ولكن وقع نزاع بين السارقين فارسل محمد المذكور تلغرافًا الى مصلحة الآثار في يوليو سنة ١٨٨١ يخبرها فيهِ بحقيقة الحال ويرشدها الى مكان الكنز فباشرت مصلحة الآثار الحفر في اطلال المعبد اسبوعين فوجدت نواويس وجثثًا للعائلة الثامنة عشرة الى الحادية والعشرين بينها جثة رمسيس الكبير من العائلة التاسعة عشرة فنقلت كلها الى المتحف المصري وهي من انفس الآثار

اما العمل الاكبر الذي اقدم عليهِ فهو الفهرس العام للآثار المصرية المحفوظة في متحف القاهرة· ولم يبدأ بهِ الأ بعد ترتيب الآثار وتمييزها في مكانها الحالي · وقد عرفت الحكومة قيمة هذا العمل النافع فطبعت هذا الفهرس الوافي على نفقتها وعينت المكافآت للعلماء الاختصاصيين من فرنسويين وانكليز والمان وغيرهم وندبت لكل قسم من يشتغل بهِ و يصف محتوياتهِ· وقد طبع بعض هذا الفهرس ولايزال يطبع الى الآن ومما يذكر انهُ لما وفد اعضاء المؤتمر الدولي الثاني للآثار اليونانية على هذا القطر لعقد مؤتمرهم في القاهرة باعتبار ان مصر كانت يونانية من عهد اسكندر المقدوني مؤسس الاسكندرية والبطالسة خلفائهِ كان المترجم اول من رحَّب بهم باسم علماء مصر وانتخب رئيساً للمؤتمر وخصوصاً القسم الاثري فيهِ

واشترك في المعارض الاوربية والاميركية منظماً للمروضات المصرية كما فعل ماريت باشا اذ نظم القسم المصري في معرض باريس العام الذي عقد سنة ١٨٦٧ فباهت مصر بآثارها · ولا يخفى انها كانت في ذلك العهد عهد اسمعيل باشا في طور التكوين ولم تكن آثارها المكشوفة قد بلغت عشر معشار ما بلغتهُ الآن بفضل ما بذل مسبرو عليها من السهر والعناية· فلا بدع اذا اقيم لهُ اثر وسمي احد الشوارع باسمهِ اسوة باهل الفضل على مصر من قومهِ مثل ماريت باشا وكلوت بك وسواهما

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية

هذا ولم نجد للمترجم صورةً تصلح لان تحفر وتطبع فان كان لدى احد اصدقائهِ صورة فوتوغرافية تصلح لذلك فنرجو ان يتكرَّم علينا بها

الشيخ ابراهيم الحوراني

(٤) في الشعر

مما اروِيهِ من اوائل شعرهِ بيتان نظمها ليكتبا تحت رسمهِ وهما : —

يا معشرَ الاهل ذا رسمٌ يذكركم ... أوفى محبٍّ بفي بالعهد للابدِ
اودعتُ روحي حماكم بعد فرقتكم ... فبشروا الروحَ هذي صورةُ الجسدِ

و بيتان آخران بهذا المعنى وهما : —

رسمي يمثّلني لمقلةِ من بهِ ... وَلَهي وروحي في حماهُ تُقيمُ
يعقوبُ أشواقٍ اليكم مهجتي ... وانا بدينِ الحبِّ ابرهيمُ

وصاغ ابياتاً في السواك قال فيها : —

شاهدتها وسواكها في لؤلؤ ... بين العقيق فكان دمع الباكي
قالت بكى حسداً فقلتُ يغيرني ... تقبيل عود بشامةٍ وأراكِ
قالت وهبتُ لك السواك فقلت لا ... ولماكِ مالي حاجة بسواكِ

ونظم تقريظاً لديوان المولى عثمان الضرير العراقي قال في مطلعهِ : —

نشر العراق على المقيم بشامهِ ... أرَجاً تحنُّ لوردهِ وبشامهِ

ومنهُ

يا ناظمَ الشهبِ الثواقب في الدجى ... اتركتَ للشعراء غير ظلامهِ
ما انت عثمانُ الضرير حقيقة ... بل انت ذو النورين في ايامهِ
لكنما اغمضتَ عن هذا الورى ... كي لا ترى ذا الجهل فوق مقامهِ

وقال متغزلاً في قصيدة يمدح بها احد السلاطين : —

اعلمتِ ايَّ جوى وايَّ ولوعِ ... بين الجوانح ساعة التوديعِ
حملتكِ جاريةُ المحيط كأنها ... برق سرى ليلَ النوى بهجوعي
جرت السفينة بالبخار ونارها ... جمر الحشى والماء لجُّ دموعي
ما انسَ لا انس التفاتتها وقد ... عبث الفراق بشملنا المجموعِ
ونأت تلوّح للعميد تحيةً ... بمدبجٍ بهجٍ كزهر ربيعِ
منديل كفٍّ طيبهُ من جبهةٍ ... تندى بلمحةِ عاشقٍ ممنوعِ

يعلو ويخفق في الهواء كأنهُ علمٌ على حصنٍ اشمَّ منيعِ
ما كان اشبههُ ببهجةِ صبها لولا سلامتهُ من التقطيع

ومنها في المدح :—

ظلُّ الاله على الرعية سيفهُ قطع الذئاب فصان كلَّ قطيعِ
محمولُ امِّ المجد موضوعُ العلى روحي فدى المحمولِ والموضوعِ

والقى في احد المحافل خطبة صدَّرها بقصيدة مطلعها :—

قدم الزمان وصبوتي تتجدَّدُ فكأنني في كلِّ عصرٍ أولدُ

ومنها

قالت مشيبك أسودٌ في ناظري قلت الحقيقة ان لحظكِ أسودُ

وخطب في محفل آخر مفتتحًا خطبتهُ بقصيدة حسب عادتهِ قال في مطلعها :—

يا ميُّ لستُ أخا الصبابةِ فاسألي عمَّن يهيم بغير هذا المنزلِ

ومنها

ذهب الشبابُ على جناح نعامةٍ واتى المشيبُ على اغرَّ محجَّلِ
قالت مشيبك عند ارباب الحجى لهب الهوى بظباء دارة جلجلِ
تحت المشيب جواهرٌ لو قلَّدوا جيدي بها مشت النجوم بمجملي
فاجبتها ولقد رقصت لقولها رقصَ الغصون على غناء البلبلِ
لم يبقَ من تلك الجواهر غيرُ ما خبأتهُ لرجالِ هذا المحفلِ

ونظم قصيدة عنوانها « العالم في الشرق » وهي من غرر قصائدهِ ومعجز شعرهِ مطلعها :—

ذو العلم بين الطرس والمرقمِ كالثَّبْتِ بين العضْبِ واللهذمِ
كلاهما يبغي علاءً ولا ينالهُ الأَ بسفك الدمِ
والاوَّل الاولى بغنمٍ لما في سعيهِ من شامل المغنمِ
فكم جرى ذو العلم في مجهلٍ حتى جرى ذو الجهل في معلمِ
وكم رعى في مهمهٍ كوكبًا حتى اهتدى السارون بالانجمِ
يجتاب ارجاء العلى رغبةً في كشف ما في الاطلس المظلمِ
طوراً تراهُ في جوار السهى وتارةً في جبيرة المرزمِ
يرسم من كيوانَ خطًّا الى يوحى بلا نقسٍ ولا مرسمِ

ومنها

يا ويل من يعلم في بلدةٍ فيها كثير الوفر لم يعلمِ
يسقي الروى الظمآي ولكنهُ اظمأ من وملٍ ومن غيلمِ
يكسو عراة الحيّ من نسجهِ لكنهُ اعرى من المبرمِ

وقال في ختامها

ذي حالة العالم في موطنٍ يكوى بهِ ذو الفضلِ بالميسمِ
يركبهُ الجاهل من حملهِ والممتطي صنوٌ لذي المحزم
لو انصف الدهر امتطى كلُّ ذي علمٍ اخا جهلٍ فلم يظلم

وقال في زوال الدنيا وقصر الحياة : —

يا غافلين تنبهوا ازف السرى وحدت مطيَّ رحيلها الركبانُ
وحياً الى دار البقاء فليس في دار الفناء لعاقل او طانُ
غبراؤها سوق الوغى وسماؤها فلك النحوس نجومهُ الاحزانُ
لا يسلم الجبار في حوماتها والمشتري في افقها كيوانُ
حكت العبادُ بها الهشيم وأُصليت نارَ المصائبِ فالحياةُ دخانُ

وقال مقرظاً المقتطف في سنتهِ السادسة : —

هذي ثمار العلم ذُقها تعترف من لم يذق ثمر المعارف ما عرفْ
قطفت نخذها دون اتعاب الجنى بجميع اثمار النهى في المقتطف

ونظم موشحاً دينيًّا مطلعهُ : —

لا يزيلُ الحزنَ او يروي الظما غيرُ صهباءِ الحبيبِ المؤنسِ
ربّ جود طهرت منهُ الدما كلُّ مختارٍ لهُ من دنسِ

دور

سيد الاكوان ان العبد لكْ بالذي ترضى لهُ كل الرضى
لا لقدّيس شهيدٍ او ملك قلبهُ بل للذي عنهُ قضى
ذاك شمس البرّ في اعلى فلكْ لاح فيهِ كلُّ مفديّ مضى
اشرق الابرار فيهِ انجما نيراتٍ في سماء الاطلس
رنمت بالشكر حتى رنما كلُّ شادٍ بالمقام الاقدسِ

وهو طويل قال في ختامهِ : —

ايها الهادي غوى قلبي ولم   يسأل الرشد فعلمهُ السّنن
طالما حادت بهِ هوج الظلم   عن سبيل القصد لم يهدَ السَّنن
فاتخذهُ اليوم من بعض الخدم   واثقاً بالنشر لا يخشى الكفن
واكسهُ التبريرَ ثوباً معلَما   بالسنى يزري ببرد السندسِ
واختم التقديس حتى يختما   بالتبني قبل ختم المرمسِ

وقال في وجوب التيمُّن وترك التشاؤم : —

توسَّم الخيرَ في كلِّ الامور ولو   شاهدتَ نارَ الرزايا في بوارقها
واستنجد الصبرَ في حرب الخطوب وخذْ   رجاءك النصرَ سيفاً في مفارقها
ولا يسوءك غروب الشمسِ في غسقٍ   فانها كلَّ صبحٍ في مشارقها

وقال بعنوان « صوت الحق » : —

سِرْ في سبيل الحقِّ لا تخشَ الردى   ابداً ولو زأرتْ قساورةُ الرَّدى
واشهد بان اللهَ ربَّك قادرٌ   يحيي الرفاتَ غداً ولو طال المدى
ما كانت الاكوانُ من قدم ولم   يخلقْ حكيم الكون دنيانا سدى
لغداً يحاسب كلَّ نفسٍ بالذي   فعلت ويرفل بالسنى اهلُ الهدى

وقال في ختام تأبينهِ للعلامة المرحوم بطرس البستاني الشهير : —

يا غرسَ فضلٍ لم يزلْ بستانهُ   تجني بهِ ثمرَ العلوم الانفسُ
غادرتَ اثمارَ الجنان بارضنا   وغدوتَ في فردوس ربك تغرسُ
وملكتَ مفتاحَ السماء على الثرى   فدخلتَ ابواب العلى يا بطرسُ

ثم شفع التأبين برثاة عصماء مطلعها : —

وطن الصفا نضبت عيون جنانهِ   تجرى من الاجفان ذوب جنانهِ
وذوت حدائقهُ فناحت ورقهُ   اسفاً فلبَّتها بلابلُ بانهِ
عبثت بهِ هوجُ الردى فأُستأصلت   غرساً فنونُ العصر من افنانهِ
لولا فروعُ الفضلِ في جنَّاتهِ   نضبتْ ثمارُ العلمِ من بستانهِ

وفي سنة ١٨٨٤ كتب في النشرة الاسبوعية مقالةً وجيزةً موضوعها المغفور لهُ الخديوي محمد توفيق باشا فزانها برسمهِ الكريم وختمها بقصيدة في مدحهِ مطلعها : —

ما لاح من صوب العُذَيب بريقهُ   الاَّ ودمعُ الصبِّ سال عقيقهُ

ربع اليهِ برى الركابَ يقودهُ شوقٌ يبرّح والغرامُ يسوقهُ
اجرى بهِ عبراتِ قيسٍ عندما سُدَّت الى ليلى عليهِ طريقهُ
اذ بات يلقى من نوى سكّانهِ ما صات في الاسكندرية بوقهُ
ايامَ دلالُ النوازلِ والردى راجت بضاعتهُ وقامت سوقهُ
فرأيت قطرَ الانس يرهب وحشةً من ان يبينَ قبيلهُ وفريقهُ
بفتِ الاعادي حفضةً فوقاهُ من رفع السماء وصانهُ «توفيقهُ»

وفي سنة ١٨٩٦ فجع بابنهِ المرحوم نسيب وهو في السابعة عشرة من عمرهِ فنظم فيهِ ثلث مراثٍ قال في مطلع الاولى : —

ما للمرابع اصبحت اطلالاَ وتحوّل الروض الاريضُ رمالا
تجري الرياح فلا تصادف في الوى وادي الحدائق بانةً او ضالا
وغدا المرنّم في المغاني نائحاً يجد الهجيرَ ولا يُصيبُ ظلالا
اترى عدت باليفهِ عيس النوى سحراً فحوّل عدوُها الاحوالا

ومنها مشيراً الى والدة المرثي

كانت خلالاً لاشتمالك بالضنى فغدت وقد نزلت شعوب خيالا
وقفَتْ على ذاك السرير كانها فلقُ الشراعِ يجاذبُ الادقالا

وقال في مطلع الثانية : —

صيّرتُ دمعي شرابي والاسى قوتا حتى جرى من جفوني الدرُّ ياقوتا
وواصلتني عذارى لوعتي بنوى مَن بات حبل اقترابي منهُ مبتوتا
وسامرتني وأمُّ النجم راقدةٌ بناتُ نعشٍ وبات النجم مسبوتا
كانهنّ بواكٍ فوقهُ قمراً يحكي نسيباً فأنساها المواقيتا

وقال في الثالثة مخاطباً والدة فقيدهِ : —

قلب الغريب على مصاب نسيبكِ رهن البليّةِ مثل قلب قريبكِ
اشبهت اخيلةَ الفقيد من الضنى فخصوركِ الموهومُ مثل مغيبكِ
ما وقّعتْ ورقٌ على عيدانها لحنَ النوي الاّ بصوتِ نحيبكِ
تبكين يوسفكِ العشيةَ والضحى والحزنُ يلهب في حشى يعقوبكِ

وتوفي حينئذٍ المرحوم فؤاد نجل خليل افندي سركيس فقال يرثيهِ ولم يخرج عن رثاء ولدهِ لكثرة العلاقات والمناسبات بينهما : —

ألا يا ساجعات الورق نوحي على الغصن المسجّى في الضريح
خذي بدل الغضا والبان مروا سقتهُ كلُّ دامية الجروح
هنالك نادبٌ غصناً كسيراً يعلمك النواح على الصحيح
هنالك موجعٌ يبكي «فؤاداً» وذو الم ينوح «نسيب» روح
خليلي محنة باتا وكلٌّ بكى نجلاً كاسحق الذبيح

ومنها

حملنا يا شريك الحزن وقراً بهِ الجبارُ كالنضو الطليح
فكم عزَّيتني وأساك نامٍ كسيل دمي من الجفن القريح
وكم عزَّيتكم والجرح دامٍ وذا عطف الجريح على الجريح

ونظم في المرحوم الشيخ عبد الباسط الفاخوري الشهير مرثاة مطلعها: —

بني الحزن من تنعون فاز بقربهِ بديع البرايا ناظراً وجه ربهِ
فما مات عبد الباسط البرُّ بل مضى الى جنة اقطابها بعضُ صحبهِ
وأُطعم فيها ما اشتهى من اطايبٍ وأُوردَ تسنيماً فلذَّ بشربهِ

وفي سنة ١٩٠٦ توفي المأسوف عليهِ المرحوم شاهين شقير فرثاهُ وعزّى اخاهُ سعيد باشا شقير بقصيدة مطلعها: —

من اعظم الأرزاء عمرٌ مديدْ ما زدتَ عيشاً فالبلايا تزيدْ
هذا اختبارُ بعد ما مرَّ بي ما عشرهُ شيَّب رأسَ الوليدْ
تنغيص دنيانا قديمٌ فما على اديم الارض شيءٌ جديدْ
مدرسة الدهر التي هذبت ايوب شيدت منذ عهدٍ بعيدْ

ومنها

ما كوننا يا ليتنا لم نكن انفاسنا نارٌ ونحن الوقيدْ
كونٌ شقيٌّ كلُّ احداثهِ نوازلٌ لم ينجُ منها «سعيد»
ذو الجاه رب الفضل مولى النهى والعلم والآداب بيت القصيد
سهمُ الردى أصمى على غرَّةٍ شاهينهُ نسرَ النجوم المجيدْ

ومنها

يا ايها الشهم الذي رأيهُ في معرك الارزاء سهمٌ سديد
ما رمت ارشاداً بما قلتهُ بل رمتُ ذكري للخبير الرشيد
ذكَّرتكم حرصاً على مهجةٍ إحسانها عقدٌ على كل جيدْ

وفي هذا القدر كفاية للدلالة على منزلتهِ الرفيعة بين الشعراء والمنشئين وارباب الحجى وما لهُ من الفضل على تلاميذهِ ومريديهِ . واختم مقالتي هذه بالقصيدة التي نظمتها رثاء لهُ وإكباراً لمصاب الشرق فيهِ رحمهُ الله عداد ما نفع وافاد وعزّى عن فقدهِ كل ناطق بالضاد .

قلت بعنوان « النفس الحزينة »

حشاك وناراً في فؤادي قادحهْ ودعني وشأني فالرزيئة فادحهْ
ولا ترجُ لي صبراً فنفسي حزينة وليست الى غير التفجع جانحهْ
تروح وتغدو والرزايا تسابق الـ رزايا اليها غاديات ورائحهْ
اقامت على قلبي الغموم منيخة بكلكلها طول المدى غير بارحهْ
احاول بالسلوى التئاماً لجرحي الـ قديم فتدميهِ الحوادث جارحهْ
ففي كل يوم لي الى الحزن والبكا دواعٍ واسبابٌ جفوني قارحهْ
وفي كلها ابكي فتروي الطيور عن شجوني وتغدو متن حزنيَ شارحهْ

***

أكتّم ما بي والسواجم لانتي تنمّ على رغمي بسريَ بائحهْ
تسحّ وبما يستزيد انهمارها دواهٍ شداد للخلائق جائحهْ
دهتهم واصداء الدمار امامها زواقٍ وغربان المنية صائحهْ
صلتهم لظى حرب ضروس دماءهم اطلّت فشجّت في الصحاصح سائحهْ
دماء الملايين التي طمّ سيلها فاضحت بهِ الانجاد كالغور طافحهْ
دماءٌ احلّتها زبانية الشقا فكانت لها في هذه الحرب سافحهْ
بحرب محيا الشام غشّت خطوبها لهُ بسموم الضيم والضنك لافحهْ

***

بلاد لجنات النعيم وطيبها غواليهِ في اقصى البسيطة نافحهْ
ولكن هذي الحرب ردّت نعيمها جحيماً والقاها البلاء مطارحهْ
وعاثت بها ايدي الرزايا لسعدها بصمصام نحس مرهف الحدّ ذابحهْ
وشدّت عليها ضغطة الحصر فاغتدت تقلّب تحت البهظ والخسف رازحهْ
وسدّت على الاهلين حتى منافذ الـ هواء اليهم للردى الباب فاتحهْ
فان لم يموتوا فيهِ جوعاً فمن جرى تباريح كرب سانحات وبارحهْ
وكم من عزيز بينهم قد قضى وما سمعنا عليهِ بيننا صوت نائحهْ

يشق عليهِ الاهل ثم جيوبهم ونحن هنا نغشى الهنا ومسارحهُ

***

كذا غاب ابرهيم عنا ونحن في توقع انوار بلقياهُ لائحه
تناقلت الافواه همساً نعيهُ وظلّت توري عنهُ غير مصارحه
الى ان تجلّى الامر فيهِ واصبحت حقيقته لا تقبل الشكَّ واضحه
اجل دار ابرهيم شيخ العلوم والـ ـمعارف شطت عن محبيهِ نازحه
مضى تاركاً في الشرق آثار فضلهِ نوافحها تبقى مدى الدهر فائحه
وشق على قلب البراع فراقهُ فثلم شقيهِ ودقَّ جوانحه
وفقدانهُ هال القريض وآلم الـ ـمصاب بهِ اقطابه وجحاجحه
وهل بعد ابرهيم للناس مطمع بساجعة في روضة الشعر صادحه
ومن بعدهُ ان انشد الشعر شنفت قصائدهُ الاسماع بالدرّ نافحه
وهل بعدهُ في سامر الحي تشتهي مساجلة زند القرائح قادحه
ومن بعده للكبح والحل ان عصت علينا عويصاتُ المسائل جامحه
وهل بعدهُ من صالح لامارة الـ بيانِ فيحميهِ ويرعى مصالحه
وهل تسمح الايام للناس يا ترى بثانٍ لهُ هيهات ليست بسامحه

***

عليك أيا سلفي العزيز حشاشتي تفيض جوى والعين بالدم ناضحه
قف انظر فتلقى ابنيك وابنتك الالى نعيك فيهم كان اكبر فادحه
فنجلاك في مصر يذوبان لوعةً و« نجلاك » في بيروت تنحب نائحه
فقدناك فقد البدر سار بتيهِ تعدّته آثار الهدى عنهُ ماصحه
وليس عجيباً ان يجرّعنا الاسى عليك كؤوساً بالتفجع طافحه
فقد كنت ريحان النفوس وطيبها وكانت ترى جذلانة بك فارحه
ولما افترقنا منذ عامين كان بال تلاقي تأسيها فترتاح ذامحه
وما كان في حسباننا ان فرصة الـ لقا واجتماع الشمل ليست بسانحه
تغمدك الرحمن بالعفو والرضى وعمتك منهُ رحمة عنك صافحه
ختمت بتقواهُ الحياة هنا ففي الـ حياة هناك انعم بأيمن فاتحه

اسعد داغر

المعرّي وفلسفتهُ

(١) مذهب النشوء

ان كان مذهب دارون حديثًا فتنازع البقاء قديم شعر بهِ الناس منذ وجدوا وصرح بهِ حكماؤُهم وشعراؤُهم في الامثال والاشعار كلٌّ على طريقتهِ ومنوالهِ . فمنهم من وصفهُ ولم يفطن اليهِ ومنهم من فطن اليهِ ولم يعممهُ ومنهم من شعر بهِ شعور المتألم منهُ المنكر عليهِ. ولعلَّ اشد شعراء الامم نقمة على تنازع البقاء وذكراً لهُ في نظمهِ ونثرهِ ابو العلاء المعري . ولا عجب في ذلك فان المعري نزل الى معترك هذه الحياة العصيب عزلاً من الاسلحة المنجحة فيهِ . نزل اليهِ يتيماً فقيراً سوداوي المزاج مفرطاً في الحس وكان ارفع خلقاً من ان يُسف الى منافسة امثالهِ الشعراء على ما يتكسَّبون بهِ . وكان رحيماً رحمة كادت تكون مرضاً وناهيك بمن يشفق على البرغوث أن يُقتَل وعلى النحل ان يشتار عسلهُ . وليس بواحدة من هذه الخلال يحمد المرء غب تنازع البقاء أو يكون ممن يغفلون عن وطأتهِ و ينظرون اليهِ بعين الرضى والارتياح وهو ما هو عنفاً وقسوة واثرة وخداعاً وانتهاكاً في معظم الاحيان لحرمات الاخلاق الفاضلة والمبادئ الرفيعة . فلذلك شعر بهِ المعري شعور المقاتل الاعزل بالهزيمة واوحى الالم والاشفاق الى وجدانهِ قبل تسعة قرون ما اوحاهُ الاطّلاع والاستقصاء والتنقيب الى فكر دارون في الزمن الاخير

ولو كانت اشارة المعري الى تنازع البقاء كلمة بنت لحظة ابتعثها الالم فسطَّرها القلم لما كان في هذه الاشارة ما يجيز لنا قرن اسمهِ بتنازع البقاء ولكان الأحرى بتلك الاشارة ان تُردد في معرض الاستشهاد كغيرها من الخواطر الشعرية . ولكن اشارات المعري في هذا المعنى كانت اشبه بالتدقيق العلمي منها باللمحة الشعرية واقرب الى التأَمل الدائم المتسلسل منها الى النظرة العارضة التي لا تبدأ في الخلد حتى تنتهي و ينطوي اثرها . فانك لا تقلب صفحة من اللزوميات او غيرها الأَسمعت منها انة او انات يتغير موضوعها ومبناها ولا يختلف مضمونها ونحواها وكلها نعي وتبكيت للعالمين على ظلمهم وتنافرهم ومكر بعضهم ببعض . وكأَن الآلام المبرحة التي يعرفها المخذول في كل حرب و يجهلها الظافر قد جسمت هذه الحالة لهُ وغلظتها فاحاط بدقائقها البعيدة ولم تخفَ عنهُ خافية من وجوهها المختلفة بين انواع المخلوقات لحظ التنازع بين الناس على حقيقتهِ وهو اقرب الاشياء الى اذهان الناس لو التفتوا اليهِ

ولكنك على كثرة الشعراء لا تقرأهُ ممثَّلاً في شعر احد كما هو ممثَّل في شعر المعري . فمن قولهِ في ذلك : —

أما لكمو بني الدنيا عقولٌ تصد عن التنافس والتعادي
اذاة من صديق او عدوٍ فبؤساً للاصادق والاعادي

واوضح منهُ في هذا المعنى قولهُ : —

تنازع في الدنيا سواك وما لهُ ولا لك شيء في الحقيقة فيها
ولم تحظَ في ذاك النزاع بطائل فمتفقوها مثل مختلفيها

واوضح من قوليهِ هذين قولهُ : —

تناهبت العيشَ النفوس بغرة فان كنت تسطيع النهاب فناهبِ

وزاد على ذلك فبين ضرورة هذا الخلاف فقال : —

لولا التخالف لم تركض لغارتها خيل ولم تُقن ارماح وأسيافُ

واحسبهُ استطرد من النظر في اطوار الانسان الى النظر في اطوار المخلوقات كافة فاجمل الحكم عليها في هذا البيت الجامع : —

ولا يُرى حيوان لا يكون لهُ فوق البسيطة اعداء وحسادُ

وفصَّل هذا القانون العام في عدة مواضع من لزومياتهِ فقال : —

يهاجر غابهُ الضرغام كيما ينازع ظبيَ رمل في كناسِ
سجايا كلها غدر وخبث توارثها اناسٌ عن اناسِ

وقال : —

تدري الحمامة حين تهتف بالضحى ان الاجادل لا تطيل جدالها

وقال وفيهِ الماع الى توارث الخوف بين الحيوانات : —

تتبع آثار الرياض حمامة ويعجبها فيما تزاولهُ النقرُ
تهم بنهض ثم تثني برغبة فما شعرت حتى اتيح لها صقرُ
وقد عرَّفتها امها امس شرهُ وان الردى يقرو المكان الذي تقرو

وهو لا يفرق بين الاقوياء والضعفاء في هذا النزاع بل يشملهم بهِ جميعاً فيقول : —

ظلم الحمامة في الدنيا وان حسبت في الصالحات كظلم الصقر والبازي

ومن كلامهِ ما يصح ان يعد تلميحاً الى غاية هذا النزاع وهي بقاء الاصلح وانتفاع الغالب برجحانهِ على المغلوب كما يؤْخذ من قولهِ : —

ولو علمتم بداء الذئب من سغب اذنْ لسامحتمْ بالشاة للذيبِ

ومثلهُ قولهُ : —

ولولا حاجة بالذئب تدعو لصيد الوحش ما اقتُنص الغزالُ

ومثلهُ ايضاً : —

وسخط الظباء بما نالها تولد منهُ رضى الحابلِ

واحياناً يتجاوز القول بتنازع البقاء وبقاء الاصلح الى تقرير هذا الرأي الذي قررهُ النشوئيون حديثاً وهو ان لكل حي على الارض سلاحاً خاصاً يتقي بهِ عدوهُ ويكدح بهِ لنفسهِ . وليس أصرح في هذا الرأي من هذا البيت : —

وما جُعلت لاسود العرين اظافيرُ الاَّ ابتغاء الظَّفرْ

واقل منهُ صراحة في ذلك البيتان : —

اذا كُفَّ صلٌ افعوان فما لهُ سوى بيتهِ يقتات ما عمر التربا

ولو ذهبت عينا هزبر مساور لما راع ضأناً في المراتع اوسربا

فاذا راجعت الابيات المتقدمة مع كثير من امثالها التي اكتظَّت بها دواوين المعري امكنك ان تجزم بان الرجل سبق أسبق المتأخرين الى ادراك تنازع البقاء وما يلابسهُ من الافكار . ادركهُ متكرراً جامعاً لا متفرقاً طارئاً . فاذا قيل ان دارون واضع المذهب في عالم العلم ساغ لنا ان تقول : والمعري واضعهُ في عالم الادب والشعر

ويظهر ان فرط الشعور بتنازع البقاء لا ينفك عن فرط الشعور بالمحافظة على الذات وهذا امر طبيعي معقول اذ لا يعرف قيمة الشيء كمن يعرف مقدار التزاحم عليهِ . ولذا كثر كلام المعري في حب الحياة والافتتان بالدنيا كما كثر كلامهُ في التنافس والتباغض فهو يرددهُ في قصائدهِ ولا يبرئ منهُ نفسهُ ويتهم من يظهر خلاف ذلك بالكذب والمراء كما قال في لزومياتهِ : —

شقينا بدنيانا على طول ودها فدونك مارمها حياتك واشقها

ولا تظهرنَّ الزهد فيها فكلنا شهيد بان القلب يضمر عشقها

وكما قال ايضاً

ومن العجائب انْ كلاًّ راغبٌ في ام دفر وهو من عيَّابها

الى كثير غير ذلك . وهو لا يكتفي هنا ايضاً بالحكم على الانسان فحسبُ بل يشمل بحكمهِ الاحياء جميعاً فيقول : —

أرى حيوان الارض يرهب حتفهُ و يفزعهُ رعدٌ ويطمعهُ برقُ

ويقول كذلك : —

تسريحُ كفك برغوثاً ظفرتَ بهِ أبرُّ من درهم تعطيهِ محتاجا
كلاهما يتوق والحياة لهُ حبيبة و يروم العيش مهتاجا

وتعميم المعري الحكم على الانسان والحيوان معاً كما نسب الى الانسان خلقاً من الاخلاق طريقة ذهنية عجيبة لا نستطيع تأويلها الاّ اذا قلنا بان الرجل كان يعتقد ان الانسان والحيوان من عنصر واحد وانهُ كان في صميم نفسهِ نشوئيًا بالغريزة وان لم يعلم بذلك فكراً علماً يصح الاستدلال بهِ

(٢) مذهب التشاؤُم

على ان هذا الارتباط بين الشعور بتنازع البقاء والشعور بحب البقاء يفسر لنا سر فلسفة المغالين في التشاؤُم المبالغين في النقمة على الوجود فليسوا هم باشد الناس كرهاً للحياة كما قد يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى ولكنهم اشد الناس حبًا لها وضنابها . وهم لا يسبون الحياة سبَّ المحتقر المزدري بل سب الرجلِ المرأة التي يتولَّه بها و يعبدها ثم لا يحظى بطائل منها ولا يجد عندها صدى غرامهِ بها

وقد انتهى بالمعري النظر في هذا المعترك الضروس كما انتهى بعدهُ بامام المتشائمين ارثر شوبنهور فكلاهما يقول : — ما دامت الدنيا كفاحاً لا راحة فيها وما دام الغالب اليوم يغلب غداً والموت يهلك الغالب والمغلوب على السواء فالحياة وقر فادح والعيش عبث والعدم افضل من الوجود» . الى آخر ما اتفق عليهِ مزاجهما من ايثار العزلة والاستئناس بالحيوان والقول بارادة الحياة مع التنفير منها واحتقار النساء وتحريم الزواج . ومن هنا يظهر خطأُ الاثنين بل خطأُ المتشائمين جميعاً في التعقيب على تنازع البقاء . فلا شك انهُ لو وقعت هذه الخواطر لاناس ذوي مزاج مخالف عن مزاجهم لما استخلصوا منها هذه النتيجة ولرأوا ان الاولى بهم ان يقولوا : ما دامت الدنيا غلاباً فكن انت الغالب وما دام الموت قضاءً لا مفرَّ منهُ فلا يهمك امرهُ وليهمك ان تنال من الحياة اقصى ما يُنال فلأَن يدركك الموت سيداً خيرٌ من ان يدركك مسوداً » . وليس العجيب ان يتفاوت حكم الناس في المسأَلة الواحدة من النقيض الى النقيض ولكن العجيب ان نعلم بما للدنيا من الوان لاعداد لها و بما للناس من حالات واميال لا يحصرها الفكر ثم نطالبهم بالاتفاق على الكبائر والصغائر او نقدح مثلاً في فلسفة المتشائمين لانهم يرون الحياة من جانبها المظلم ونحن لا نراها الاّ من الجانب الابيض المنير . ومن الخطإ

ان يرفض النقّاد فلسفة التشاؤُم جملة لبعد اصحابها عن حياة الأعمال الدنيوية ولا يذكروا ان هذه الدنيا غاصة بالنقائص وان هناك جبلات اسرع الى استكناه هذه النقائص من سواها وليست هي جبلات اهل الاعمال لان هوُلاء مصروفون باعمالهم عن مشاهدة ما يقع حولهم — ومن اين للمقاتل المنهمك في المعركة ان يحيط بما يجري في غضونها ؟

وانما قلنا اتفق مزاج المعري وشوبنهور ولم نقل اتفق عقلهما لاننا نعتقد ان المتشائمين كلهم من مزاج واحد وهذا علة اتفاقهم في الاقيسة التي يذهب فيها الناس مذاهب شتى وادراكهم المسائل على وتيرة واحدة وان كانت مما تتشعب فيهِ الافكار فقد اتفق المعري وشوبنهور على كل رأي اشتركا في الالمام بهِ ولو لم يكن من اصول فلسفة التشاؤُم . خذ مثلاً ادراكهما للزمان فان المعري يتصوره ُ كأنهُ نفس طائر في اثر نفس وكانهُ اجزاء متفرقة يجمعها كلٌ واحد فيراقبهُ مراقبة من لا يسهو عنهُ ويتبع كل نفس يمر بحسرة المشيع الآسف ومن هذا النحو قولهُ : —

نَفَس بعد مثلهِ ينقضي فتمر الدهور والاحيانُ

وقولهُ

لهفي على ليلة ويوم تألّفت منهما الشهورُ

وقولهُ

اما المكان فثابت لا ينطوي لكن زمانك ذاهب لا يثبتُ

ويلحق بهِ قولهُ

قدم الزمان وعمره ان قستهُ فلديهِ اعمار النسور قصارُ

وكذلك يقول شوبنهور مع الفرق بين الاسلوبين الشعري والفلسفي : « الزمن هو ذلك الذي يفتأُ يجعل الاشياء لا شيء في ايدينا فتفقد بذلك قيمتها » ويقول « نحن نسلب يوماً كل مغرب شمس » ويقول : « ان وجودنا مستقر على الحاضر الذي ما ينيي ابداً متسرباً طائراً فلا بدَّ لهُ اي لوجودنا من ان يتلبس بالحركة الدائمة الدائبة بلا امل في الوصول الى الراحة التي ننشدها . مثلنا في ذلك مَثَل المنحدر من جبل عالٍ فهو يسقط اذا حاول الوقوف »

ولا يشعر بالزمن هذا الشعور الا الذي يحصي كل لحظة تمر بهِ سآمة والماً كالسائر المتعب الذي يلتفت بعد كل خطوة يخطوها الى المسافة التي خلّفها وراءهُ والمسافة التي لا تزال امامهُ . ولا تخطر فكرة استقرار الوجود على الزمن الا لمن يرى ان الحياة إنْ هي الا زمن يمر لا تكوين يستتم قواهُ وجزءٌ من الطبيعة يأخذ منها وتأخذ منهُ . ولسنا نقول ان الزمن

ثابت والمتشائمون يتصورونهُ غير ذلك وانما نقول ان تصورهم هذا خاص بمزاجهم . فكم من الناس حتى الفلاسفة والمفكرين والعلماء لا يشعرون بالوقت منعزلاً عن الحياة لانهم يقيسون الحياة بحركاتهم التي هم مستغرقون فيها لا بحركات الافلاك والسيارات . وكم من الناس في قرار وجدانهم لا يتصورون للوقت وجوداً فضلاً عن تصورهم ان الوجود مستقر عليهِ

وهما اي المعري وشوبنهور سيان في الرأفة بالحيوان واستطلاع اطوارهِ وعاداتهِ. وقد رأيت كيف كان المعري يستعرض اخلاق الانسان في طبائع الحيوان فانظر ماذا يقول شوبنهور . يقول: « اي لذة تداخلنا عند ما نرى حيوانًا مطلقًا يدبر شؤونهُ بنفسهِ غير معترض ولا مسوق . تراهُ إما يلتمس طعامهُ او يتعهد صغارهُ او يخالط الحيوانات من جنسهِ الى نحو ذلك. ان هذا لهو الذي ينبغي ان يكون وهو الذي لا يمكن ان يكون سواهُ . فان كان ذلك الحيوان طائراً متعت نفسي بالنظر اليهِ برهة من الزمن. لا بل فليكن فأراً مائياً او ضفدعاً فذلك لا ينقص من سروري بالنظر اليهِ . ويعظم سروري بهِ ان كان قنفذاً او عظاة او إيّلا او غزالاً . وما كان التأمل في احوال الحيوانات ليسرنا لولا اننا نأنس فيها حياتنا مصغرة بسيطة »

ولم يعدُ شوبنهور الصواب في هذا التعليل الاَّ اننا لا نجد الناس كلهم يسرون بالتأمل في احوال الحيوانات كما يسر بذلك المتشائمون . ولا نظن هذا السرور آتيًا الاَّ من فرط احساسهم بالحياة فهم يعطفون على كل حي ويبحثون عن مظاهر الحياة في جميع طبقاتها . وسيطول بنا الشرح لو تمادينا في المقارنة بين المعري وشوبنهور على هذا النمط فانما المقارنة بينهما بمثابة تحليل لمزاج واحد . ولكن لعل اعجب ما اتفقا عليهِ وفاؤهما لوالديهما وفاء لم نعهدهُ في الفلاسفة الذين يغتبطون بالحياة ولا يشكون غصصها . فشوبنهور اهدى كتابهُ (الدنيا كارادة وفكرة) الى والدهِ واثنى عليهِ اطيب الثناء في كلمة الاهداء . والمعري رثى اباهُ ابلغ رثاء وهو القائل

على الولد يجني والد ولو انهم   ملوك على امصارهم خطباء

فما اعجب هذا الوفاء ممن يعد الولادة جناية من الآباء على الابناء !

عباس محمود العقاد

الانكليز وسياسة التوفير

قدّر ما انفقتهُ انكلترا على الحرب في سنتها الاولى بمبلغ ١١٠٠ مليون جنيه . وتقدر ثروة الامة الانكليزية في انكلترا بمبلغ ١٦ الف مليون جنيه وفي خارجها بمبلغ ٤ آلاف مليون فالمجموع ٢٠ الف مليون جنيه . ولا يخفى ان دخل الحكومة الانكليزية في السنة لا يتجاوز ٢٠٠ مليون جنيه وخرجها اقل من ذلك قليلاً فالوفر لا يكاد يذكر في جنب النفقات غير الاعتيادية التي جرتها الحرب فلا بدّ اذاً من ضرب الضرائب او عقد القروض او الامرين معاً . ومن رأي بعض العارفين انهُ سواء سدّت النفقات بالضرائب او بالقروض فان ذلك لا يؤثر في مقدار ما يجب على الامة توفيرهُ لايفاء ديونها . والفرق بين الطريقتين ان الاقتراض يحمل الاجيال القادمة حملاً لا تحملهم اياهُ الضرائب

ومعلوم ان انكلترا تستمد من الولايات المتحدة الاميركية معظم ما تحتاج اليهِ من السلاح والذخيرة في الخارج وقد حسب بعضهم انها تستطيع الحصول من اميركا على مبلغ ٢٥٠ مليون جنيه لدفع ثمن السلاح والذخيرة وذلك ببيع بعض ما لها من الاسهم والسندات في الاسواق الاميركية وبعقد القروض فيها ايضاً فيبقى عليها ٨٥٠ مليون جنيه ثمن سلاح وذخيرة وغيرهما مما يلزم الجيش . ودخل الامة الانكليزية في السنين العادية ٢٢٠٠ مليون جنيه توفر منها ٥٣٠ مليوناً . وليس معنى ذلك انها تخزنها في البنوك كما يفعل الافراد بل تنفقها على بناء معامل ومصانع ومد سكك حديد واستنباط مناجم وبناء مبانٍ وحرث مزارع وعمل غيرها من الاعمال المنتجة ذات الدخل . اما في هذه السنين سني الحرب فلا تكاد تفعل شيئاً من ذلك اي انها تنفق ذلك الوفر على اخراج مواد حربية للاستهلاك لا للانتاج . ولكنهُ لا يكفيها بل لا بدّ لها ايضاً من ٥٠٠ مليون اخرى لسد نفقاتها الحربية السنوية . ومعنى ذلك ان الامة مضطرة ان تضاعف هذه السنين ما توفرهُ في السنين العادية لتستطيع ايفاء ديونها . وهذا يقتضي احداث ثورة في طريقة عيشتها

والذي يقابل بين عقد القروض وفرض الضرائب يجد ان الطريقة الاولى اسهل واسرع ولكنها اكثر نفقة واضعف مفعولاً . وقد اعتمدت الحكومة الانكليزية حتى الآن عليها اذ لم تبلغ زيادة الضرائب التي قررتها في السنة الاولى من الحرب سوى ٦٣ مليون جنيه . ويرى الخبيرون ان معظم الضرر الناشئ من عقد القروض ليس تحميل الاجيال

المقبلة عبء نفقات الحرب الحاضرة بل تأجيل اقتصاد الافراد الذي يعدّ لباب المالية الصحيحة. والفرق الاكبر بين طريقة قروض الحرب الاختيارية وضرائب الحرب الالزامية ان الاولى تأتي بالمال اللازم من غير ان توجب على الامة الاقتصاد المروم اما الثانية فتجبر الناس على الاقتصاد . ولما كانت زبدة المسئلة كلها مضاعفة ما توفرهُ الامة بتقليل ما تنفق على الكماليات وكان عقد القروض لا يؤدي الى هذه الغاية لم يرَ اهل الرأي مندوحة من زيادة الضرائب . نعم ان معظم الاواسط اخذوا في الاقتصاد والتوفير مما ينفقون في منازلهم وعلى اشخاصهم واعيادهم وولائمهم ولكنهم مهما بالغوا في التوفير من هذا الباب لم يزد ما يوفرونهُ على ١٠ في المئة وهي لا تذكر في جنب الدين الهائل . ومعظم الذين شرعوا في التوفير يعتقدون انهم يعملون اكثر مما يجب عليهم ان يعملوا وان ليس ثمة ضرورة وطنية تقضي بذلك الاقتصاد . ومع كثرة ما خطب الخطباء وكتب الكتّاب من الوزراء والزعماء المسئولين في وجوب الاقتصاد ومدحهِ وذمّ الاسراف لم يخفض الجمهور نفقاتهِ الى الحدّ الذي تقتضيهِ الحالة المالية لا لانهُ يأبى التضحية في سبيل الخدمة الوطنية بل لانهُ لا يقدر المحنة الحاضرة حق قدرها

ولذلك سببان الواحد اطمئنان الحكومة للحالة المالية وعدم قلقها منها . والثاني اعتقاد الجمهور بان نشاط البلاد الصناعي والتجاري ورفاهها العامّ يمكنانها من حمل الاعباء التي اضيفت الى مواردها من غير اضطرار الى الاقتصاد البالغ حدّ الشح والتقتير . وزاد هذا الاعتقاد فيهم زيادة الحركة الصناعية في بعض مراكز الصناعة الكبرى وارتفاع اجور العمال وارباح الشركات . وتناقص اهل البطالة شيئاً فشيئاً ثم اختفاؤهم اذ وجد كلّ منهم عملاً . وزيادة ساعات العمل الى حدّها الاقصى . وانضمام كثير من النساء والاولاد الى صفوف العمال . وهذا كلهُ خفف وطأة اخراج ثلاثة ملايين من الشبان الاشداء من حرفهم ومهنهم المختلفة ووطأة الشعور بالخسارة التي خسرتها الصناعة والتجارة وسائر مرافق العيشة العادية بخروجهم من اعمالهم وانضمامهم الى المحاربين والمشتغلين بالحرب وشؤونها . ومما يجب ذكرهُ بهذا الصدد ان انضمام كثيرين من تلاميذ المدارس والاطباء والمحامين ومن شاكلهم الى الثلاثة الملايين المذكورين لم يفضِ الى خسارة مادية مباشرة ولكن انضمام عدد كبير من الصناع اليهم وما عقب ذلك من الاضطراب والخلل في الحركة الصناعية افضى الى قلة دخل البلاد في حين ان الحاجة تدعو الى التوفير منهُ لسدّ نفقات الحرب

وهذا يبين لنا كيف ان عقد القروض لا يجدي نفعاً ولا يحسب اداة خير للتوفير المروم .

فان سهولة الحصول على مقادير كبيرة من الاموال بالقروض الحربية و بيع سندات الخزينة افضيا الى اغتباط ذي خطر لا يزول من الاذهان الاَّ اذا أدركت حقيقة هذه الطرق المالية وحقيقتها ان بناءها على فساد

الحرب وموارد الرجال

متى تنتهي هذه الحرب الطاحنة ولمن يكون الفوز فيها اخيراً . هاتان مسألتان تخطران على بال كل احد ولا عجب اذا خطرتا كل يوم على بال كل من يقرأ الجرائد اليومية . وكثيراً ما يستنتج المرء اليوم استنتاجاً ينقضهُ غداً ولو كان من كبار رجال السياسة لكثرة العوامل التي تعمل في الممالك الواسعة المشتركة في هذه الحرب . ولقد كان المظنون في اول الامر ان الحرب لا تطول الاَّ بضعة اشهر او اقل من ذلك . والمرجح ان هذا كان اعتقاد الالمان والاَّ ما اقدموا عليها واعتقاد الروس ايضاً والاَّ ما خاطروا بكل قوتهم حتى استنزفوا ما عندهم من الذخيرة في الاشهر الاولى من الحرب . اما قوّاد الانكليز فلم يكن هذا رأيهم ولا يزال قول لورد كتشنر يرنُّ في الآذان وهو انهُ يستلم وزارة الحربية مدة السنوات الثلاث الاولى من سنوات الحرب ثم يتركها لمن يخلفهُ فيها . والمرجح ان قواد الانكليز لم يغيروا رأيهم هذا اي انهم لا ينتظرون ان تضع الحرب اوزارها قبل انتهاء السنة الثالثة حتى لقد قال لنا قائد من قوادهم بالامس انهُ مستعد ان يراهن كل احد على ان الحرب لا تنتهي قبل اواخر سنة ١٩١٧

هذا من حيث مدة الحرب اما الفوز فيها فالحلفاء قالوا من اول الامر انهم لا يغمدون سيوفهم ما لم يتحقق لهم الفوز التام ولم يزالوا على قولهم . وقد قال خصومهم هذا القول ايضاً في اول الحرب وزادوا فيهِ تأكيداً رويداً رويداً باتساع البلدان التي احتلوها في اوربا ثم اخذت سورتهم تخمد رويداً رويداً والظاهر انهم صاروا يودون الآن ان يعقدوا الصلح لا عليهم ولا لهم

كتب الجنرال تشتندن الاميركي في المجلة العلمية الشهرية يقول ان الحرب الحاضرة قد مر عليها الآن من الشهور ما استنزف الاستعداد السابق لها وجعل مصيرها متوقفاً على مقدار ما تستطيعهُ الامم المتحاربة من الصبر عليها اي على مقدار ما عندها من الرجال والمال . ثم بيَّن مقدار ما عند كل دولة من الدول المتحاربة من الرجال الذين تستطيع ان تسلحهم وتسوقهم الى ميدان القتال . فان كان الجنود يجندون من الذين سنهم بين ١٨ و ٤٥ او بين ١٧ و ٥٠ بلغ عددهم من كل مئة الف من السكان ما تراهُ في الجدول التالي

	في انكلترا وويلس	في المانيا	في فرنسا	في اميركا
من سن ١٨ الى ٤٥	٤٢٤٠٦	٣٩٧٢٧	٤٠١٩٠	٤٣١٠٠
" " ١٧ الى ٥٠	٤٧٧٥٦	٤٦٧٠٠	٤٧٩٠١	٤٩٩٠٠

واذا عُرف عدد سكان بلاد فاضربهُ في العدد المذكور ههنا واقسم الحاصل على مئة الف فيكون لك عدد الذين في السن المطلوب. ونصفهم من الذكور والنصف الآخر من الاناث تقريباً ولكن لا بدَّ من ان يطرح من هؤُلاء كل الذين لا يصلحون للخدمة العسكرية والذين يجب ابقاؤُهم لتعاطي الاعمال الضرورية . وقد قدَّروا عدد الصالحين فعلاً للخدمة العسكرية ١٦ في المئة من السكان اذا كان سنهم بين ١٨ و ٤٥ و ١٨ وثمانية اعشار في المئة اذا كان سنهم بين ١٧ و ٥٠ وعليهِ فالذين يصلحون للخدمة العسكرية و يمكن تجنيدهم في كل البلدان المتحاربة هم كما في الجدول التالي .

	عدد السكان	بين ١٨ و ٤٥	بين ١٧ و ٥٠
المانيا (احصاء ١٩١٦)	٦٧ ٨٠٠ ٠٠٠	١٠ ٨٥٠ ٠٠٠	١٢ ٧٤٠ ٠٠٠
النمسا والمجر " (١٩١٠)	٥١ ٨٠٠ ٠٠٠	٠٨ ٢٩٠ ٠٠٠	٠٩ ٧٤٠ ٠٠٠
تركيا " (١٩١٠)	٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٢٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٧٦٠ ٠٠٠
بلغاريا (١٩١٤)	٠٤ ٨٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٦٠ ٠٠٠	٠٠ ٨٧٣ ٠٠٠
المجموع	١٤٤ ٤٠٠ ٠٠٠	٢٣ ١٠٠ ٠٠٠	٢٧ ٢١٣ ٠٠٠
روسيا (١٩١٢)	١٧٣ ٣٥٦ ٠٠٠	٢٧ ٧٣٧ ٠٠٠	٣٢ ٥٩١ ٠٠٠
بريطانيا (١٩١٣)	٠٤٦ ١٨٥ ٠٠٠	٠٧ ٣٩٠ ٠٠٠	٨ ٦٨٣ ٠٠٠
فرنسا (١٩١١)	٣٩ ٦٠٢ ٠٠٠	٠٦ ٣٣٦ ٠٠٠	٠٧ ٤٤٥ ٠٠٠
ايطاليا (١٩١١)	٣٥ ٢٣٩ ٠٠٠	٠٥ ٦٣٨ ٠٠٠	٠٦ ٦٢٥ ٠٠٠
بلجيكا (١٩١٢)	٠٧ ٥٧١ ٠٠٠	٠١ ٢١١ ٠٠٠	٠١ ٤٢٣ ٠٠٠
صربيا (١٩١٤)	٠٤ ٥٤٧ ٠٠٠	٠٠ ٧٣٢ ٠٠٠	٨٥٥ ٠٠٠
الجبل الاسود (١٩١٤)	٠٠ ٥١٦ ٠٠٠	٠٠ ٠٨٣ ٠٠٠	٠٠ ٠٩٧ ٠٠٠
المستعمرات	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٤ ٧٠٠ ٠٠٠
المجموع	٣٢٢ ٠١٦ ٠٠٠	٥٢ ١٢٧ ٠٠٠	٦٢ ٤١٩ ٠٠٠

ولا يخفى انهُ لا يمكن الاعتماد الأَ على قليلين من رجال البلجيك والسرب والجبل

الاسود وان عدد سكان المستعمرات تقريبي ومع ذلك يبقى عدد الحلفاء اكثر من مضاعف عدد الجرمان مع تركيا و بلغاريا

قال الجنرال تشتندن انا اذا حسبنا ان جنود الحلفاء المشتركين فعلاً في الحرب يجب ان لا يقلوا عن ٨ ملايين وجنود الالمان يجب ان لا يقلوا عن ٦ ملايين لحفظ الموازنة وان الحلفاء يخسرون في السنة بين قتيل وجريح واسير ثلاثة ملايين وخصومهم يخسرون مليونين ونصف مليون فالحلفاء استخدموا حتى نهاية السنة الثانية ١٤ مليونًا ثمانية ملايين منها بقيت في ميدان القتال وستة فقدت بين جرحى وقتلى واسرى . وخصومهم استخدموا حتى نهاية السنة الثانية ١١ مليونًا خمسة ملايين منها فقدت بين جرحى وقتلى واسرى وستة بقيت في ميدان القتال . وسيبلغ ما استخدمهُ ويستخدمهُ الحلفاء حتى نهاية السنة الثالثة ١٧ مليونًا وخصومهم ١٣ مليونًا ونصف مليون

فلا مجال اذاً للقول ان قلة الرجال تستلزم ان تنتهي الحرب بعد سنة او سنتين او ثلاثة لاننا اذا جرينا على الحساب السابق بلغ عدد من يكون قد استخدم من رجال الفريقين كل سنة كما ترى في الجدول التالي

	الحلفاء	خصومهم
في نهاية السنة الاولى	١١٠٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠
« « الثانية	١٤٠٠٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠٠
« « الثالثة	١٧٠٠٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠٠
« « الرابعة	٢٠٠٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠٠
« « الخامسة	٢٣٠٠٠٠٠٠	١٨٥٠٠٠٠٠
« « السادسة	٢٦٠٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠٠٠
« « السابعة	٢٩٠٠٠٠٠٠	٢٣٥٠٠٠٠٠

ففي السنة السابعة يبقى عند الحلفاء اكثر من عشرين مليونًا يمكن تجنيدهم ولا يبقى عند خصومهم غير الجنود المجندة ولا عبرة بالذين يبلغون من الفتيان في غضون هذه المدة لانهُ يموت من الكهول او يشيخ رجال يساوونهم عدداً . ولكن لا ينتظر ان تدوم الحرب سبع سنوات لانها ليست متوقفة على عدد الرجال فقط بل هي متوقفة ايضًا على درجة تأهبهم للحرب وعلى سهولة نقلهم من مكان الى آخر وعلى ما يمكن ان يقدَّم لهم من الذخيرة . وهذه الشروط تغير منهاج الحرب لانهُ اذا استطاع احد الخصمين ان يسلح في سنة مَن ينتظر تسليحهم في سنتين او اكثر ويضرب بهم خصمهُ فلا يبعد ان تنتهي الحرب حالاً . انتهى

التنقيب العلمي

وتقويم قيمتهِ المالية (١)

لا ريب ان الاوربي او الاميركي ينظر الى العالِم الباحث نظر احترام واعجاب ولكنها احترام واعجاب مبهما الحدود كمن ينظر الى شيء من خلال سحابة . وليس ذلك بالغريب اذ قلَّ من رأى من اهل اوربا واميركا عالماً او اجتمع بهِ . واقلُّ من ذلك من دخل داراً تقام فيها الابحاث العلمية وشهد العلماء وهم يبحثون و ينقبون

فلا بدع والامر على ما وصفنا ان لا يكون في ذهن الاوربي او الاميركي العادي صورة لما نسميهِ بالعالِم وان لا يفقه معنى البحث العلميّ و يقال اجمالاً ان الجميع يسلّمون بان العالِم رجل واسع العلم (وليس ذلك صحيحاً في الغالب) يعيش عيشةً غير راضية ورأسهُ مدفون في كتاب او عينهُ متصلة بالتلسكوب او المكرسكوب كأنما الصقت بهما بالغراء وريح المواد الكيماوية الكريهة تهبُّ من ثيابهِ

وكثيرون منا يعلمون اننا مديونون بما نعرف عن اشعة اكس مثلاً والتلغراف اللاسلكي او الطيارة لهذا العالم او ذاك ولكن قليلين منّا يعلمون اننا مديونون بجميع هذا المحيط المادي الذي يحيط بنا و بجزء كبير من المحيط الاجتماعي والادبي للسوقة ال...

لو سأل سائل ما قيمة العلم للانسان لاجبناهُ بأن قيمتهُ هي جميع قيمة العالم الذي نعيش فيهِ الآن او الفرق بين قيمة هذا العالم والعالم في عهد الانسان قبل التاريخ . ولزيادة الايضاح نقول حدثت في سنة ١٨١٣ حوادث جمة . فان قوة نابليون اخذت تتضعضع فقام بعدهُ عدد لا يحصى من المؤرخين فكتبوا صحائف لا تحصى في وصف الحوادث الكبيرة والصغيرة التي افضى اليها سقوطهُ ولكن حادثة واحدة من حوادث تلك السنة لم يذكرها المؤرخون فيما كتبوا وسطروا وهي اكتشاف السر همفري دافي للرجل الذي سيبقى على مرّ العصور المثل الاعلى للعلم الصحيح الا وهو ميكائيل فارادي . اما كيفية اكتشافهِ فبينة في حديث دار بين السر همفري وصديق لهُ اسمهُ بييز

همفري — لست ادري ما انا صانع يا بييز . فقد اتاني كتاب من شاب اسمهُ فارادي شهد خطبي في المعهد الملكي وهو يطلب الاستخدام في المعهد . فما العمل

بييز — خذهُ يغسل الزجاجات فاذا رفض لم يصلح لشيء

(١) من قلم الاستاذ روبرتسن احد اساتذة جامعة كليفورنيا الاميركية

همفري — «كلاَّ ثم كلاَّ — لا بدَّ لنا من تجربتهِ في عمل احسن من هذا» . فاستخدمهُ في المعمل الكيماوي باجرة اسبوعية . وقد كان لهمفري مكتشفات جمة ولكن ليس فيها ما هو اهم من اكتشافهِ لفارادي . ولعمر الحق ان دخول فارادي للمعهد الملكي سنة ١٨١٣ ليس اقلَّ عائدة على بني الانسان من جميع الحوادث التي حدثت في تلك السنة . ففي صباح عيد الميلاد من سنة ١٨٢١ دعا فارادي امرأتهُ الى المعمل لمشاهدة دوران المغنطيس حول المجرى الكهربائي لاول مرة في تاريخ الانسان . وبذلك وضع اساس الكهربائية المغنطيسية وعليهِ بنى ذلك البناء المعلى في الاربع عشرة سنة التالية . وانتجت الاعمال التي عملت فيها المحرك الكهربائي والمولد الكهربائي واستخدام قوة انحدار الماء في توليد الكهربائية والمركبة الكهربائية والنور الكهربائي والتلفون والتلغراف وسائر ما ينتسب الى الكهربائية . وقد كان المغنطيس الدائر الصغير الذي اراهُ فارادي لامرأتهِ اول محرك كهربائي

اما قيمة هذا الاكتشاف المالية فتظهر مما يلي :

قدرت سنة ١٩٠٧ قيمة النور الكهربائي ومحطات توليد التيار الكهربائي في اميركا وحدها فبلغ [illegible] مليون ريال . وقيمة ما فيها من التلفونات تبلغ ٢٣٠ مليون ريال . ومجموع الدخل السنوي منهما كليهما يبلغ ٣٦٠ مليون ريال او نحو ٧٢ مليون جنيه . وفي اميركا شلالات يمكن الانتفاع منها بما تعادل قوتهُ قوة ١٥٠ مليون حصان واستخدام هذه القوة انما يكون باستخدام المحرك الكهربائي المنسوب الى فارادي . ولو قدرنا قيمة قوة الحصان الواحد في السنة بعشرين ريالاً — وهو تقدير معتدل — لبلغ مجموع الدخل ٣٠٠٠ مليون ريال وهو فائدة رأس مال قدرهُ قدرهُ ٧٥٠٠٠ مليون ريال على حساب ٤ في المئة

وقد مات فارادي سنة ١٨٦٧ فقيراً معدماً لا لأن فرص الغنى قليلة ولا لعجز فيهِ عن انتهاز هذه الفرص بل لانهُ خيّر مخيّراً من احد امرين فاما طلب العلم واما طلب المال اذ حسب ان طلب العلم وطلب المال لا يجتمعان فاختار الاول كما قال تلميذهُ تندال الشهير وهو فقير لانهُ اختار الفقر . ما يجب ان يفعل وما نعن جمهور العلماء قبلهُ . ولكن الامر الذي يثبت ذكرهُ هو انهُ من الغنى الوافر الذي جلبهُ فارادي للعالمين لم يرد جزءا من مليون بل اقل من ذلك على العلم لترويج شأنهِ ومداومة البحث والتنقيب فيهِ . وان المعاهد التي خصت بالبحث العلمي في العالم كلهِ تعد على الاصابع . فهي معهد سولفاي في بروكسل . ونوبل في ستوكهلم . وباستور في فرنسا . وواحد في فرنكفورت . وآخر في برلين . وواحد في كل من بطرسبرغ وفينا ولندن وادنبرج واكسفورد . واربعة معاهد في الولايات المتحدة الاميركية .

على ان اثنين منها اي معهدي بروكـل وفرنكفورت انشئا بمساعي عالمين هما سولفاي في الاولى وارليخ في الثانية · وقد بذلا جهدهما في الجمع بين طلاب المال والعلم فوقفا المال الذي جمعاه على ترويج العلم الذي كان سبب الحصول على المال

حسبت سنة ١٩٠٠ قيمة الاعمال الصناعية التي انشئت في اميركا بناءً على اختراعات علمية مسجلة فكان دخلها السنوي نحو ٤٠٠ مليون ريال وهو ريع مال قدره ١٠٠٠٠ مليون ريال · ولا يمكننا ان نقدر ولو بالتقريب ما يعود من هذا المال على العلم مساعدة للباحث الذي ينشئ الثروة المستقبلة · ولكننا نعلم ان راس مال معهدي روكفلر وكارنجي — وهما اغنى المعاهد العلمية في الدنيا — لا يزيد على ٢٩ مليون ريال · وحسب دخل معاهد العلم العليا في اميركا سنة ١٩١٣ فكان ٩٠ مليون ريال لم ينفق فيها على البحث العلمي سوى النزر اليسير

فان كان العلم الطبيعي يعود على الناس بمثل هذه الثروة الطائلة أفما من سبيل الى ردّ عشر معشار هذه الثروة عليه لاستئناف البحث والتنقيب ولاسيما ان القليل من المال الموقوف على العلم ينتج اكثر من الكثير · فان المال المقطوع لمعهد الكيمياء الطبيعية في برلين بلغ ٤ آلاف جنيه فقط سنة ١٩١١ · ولمعهد فرنكفورت حيث اكتشف علاج « ٦٠٦ » لم يزد على هذا القدر سنة ١٩١٣ · ولمعهد المباحث الطبية في بتروغراد بلغ ١٩ الف جنيه · ولمعهد التجارب الطبيعية في انكلترا ٨ آلاف جنيه · وهذه المعاهد من اشهر معاهد البحث العلمي في الدنيا وقد عادت على الناس بمنافع لا تقدر من الوجهات المالية والادبية

وفي سنة ١٨٥٦ اكتشف كيماوي انكليزي اسمهُ بركن صبغاً من اصباغ قطران الفحم الحجري · وكانت نفقة هذا الاكتشاف قليلة لا تذكر ومع ذلك استوردت اميركا من هذه الاصباغ ما قيمتهُ ٦٣٥ ١٦٤ ٥ ريالاً سنة ١٩٠٥ · وباعت المانيا منها في تلك السنة ما بلغ ثمنهُ ٠٠٠ ٠٦٥ ٢٤ ريال

وحسنت شركة الكهربائية العامة في اميركا الاسلاك التي توضع في المصابيح الكهربائية فنتج عن هذا التحسين اقتصاد فيما ينفق من الكهربائية بلغ ٢٤ مليون ريال للبائع والمشتري في خلال عشر سنين مع ان المعمل الكهربائي العلمي الذي تم هذا التحسين على يده لم ينفق على مباحثه في خلال المدة المذكورة سوى ١٠٠ الف ريال

وكان هكسلي يقول ان اكتشاف باستور لعلاج البثرة الخبيثة (الانثركس) وامراض دود الحرير وكوليرا الدجاج اضافت الى ثروة فرنسا كل سنة قدراً يساوي الغرامة التي دفعتها فرنسا الى المانيا بعد حرب سنة ١٨٧٠

ان الانسان لم يفرغ من مصارعة الطبيعة حتى الآن بل لم يكد يبدأ . وامامهُ الزمان يعدُّ لا بعشرات السنين ولا بالمئات ولا بالالوف بل بالملايين على الراجح كما يخبرنا علم الفلك. وقد مضى عليهِ الى الآن ثلاثة آلاف سنة وهو يبحث ويستقصي فادنى اليهِ اطراف الارض حتى كأنها على ابوابهِ . واقام معالم الحضارة وأزال معالم الهمجية. ولم يأتِ عليهِ مئتا عام منذ كان عبداً لعناصر الطبيعة فاصبح سيداً لها — من بَرٍّ وهواء وماء. وعرف ما يكنُّهُ بطن الارض . وكبح جماح كثير من الامراض والآلام . بل لم تأتِ عليهِ اربعون سنة منذ استعمل مضادات الفساد في طبهِ وستون سنة منذ استعمل المخدرات في جراحتهِ . فما بالك بما تذخرهُ لهُ ملايين السنين من اسباب الحول والقوة . ومهما يخبئهُ المقدور لهُ فهو سيبقى انساناً وبقاؤُهُ انساناً يجعلهُ يستقبل المستقبل غير هيّاب علماً منهُ بانهُ سوف يكون افضل من الحاضر

وليس زمام المستقبل في ايدينا فنعجل مجيئهُ الينا ولكن قد لا يعيينا ان نتصدَّى لهُ ونستحث مسيرهُ ولو بعض الشيء . صحيح اننا لا نستطيع خلق النوابغ ولا تبيُّنهم في غالب الاحيان ولكننا اذا تبيَّناهم فليس ثمة ما يمنعنا من استخدامهم للنفع العام . ولا ينكر ان الاكتشاف والاختراع توقفا في الماضي على الافراد وسيبقيان كذلك في المستقبل . فان نوابغ القرن السابع عشر هم غليليو ونيوتن وافراد اقلال من معاصريهما . ونوابغ القرن الثامن عشر يكادون يعدون على الاصابع . ونوابغ القرن التاسع عشر لم يكونوا كثاراً . ونوابغ القرن العشرين قد لا يزيدون عليهم . واول ما يجب علينا عملهُ البحث عنهم وتعرفهم من آثارهم ثم تشجيعهم ادبياً وماديًّا لا كما كنا نصنع فيما مضى . فقد كتب كبلر المشهور بمذهبهِ الفلكي كتاباً الى صديق لهُ يقول : «التمس منك ان وجدت منصباً خالياً لي في توبنجن ان تبذل جهدك في تعييني فيهِ . واخبرني بسعر الخبز وسائر الحاجيات هناك لان قرينتي لم تتعوَّد المعيشة على الفول»

بين معاصرينا الآن فابر مؤسس الفلسفة العقلية النسبية وقد لقبهُ داروِن في زمانهِ «بالمراقب الذي لا يبارى» وهو الآن مجاوز التسعين وكان الى عهد قريب يعاني مضض الفقر . ووقف الفقر عقبة كؤُوداً في سبيل بحثهِ طول عمرهِ . والوف من المسائل التي هو اجدر الناس بالبحث فيها لا تزال الى الآن مهملة اذ لم يكن عندهُ من المال ما يشتري بهِ الادوات اللازمة للبحث

فلا مناص لنا من ان نقف المال خصيصاً على البحث العلمي واهلهِ والاَّ تساقطت اثمارهُ قبل الاوان وهصر غصنهُ في الاطروان

الانسان ازاء المدنية

(تابع ما قبلهُ)

من منكم ايها السادة يشعر بهذه الحرب التي هو ميدانها حرب دائمة لا صلح فيها ولا سلام فاما غالب واما مغلوب . اجل اننا نشعر بها عند ما نرزح تحت ثقل الداء كالحمى او الالم كالصداع ولكن كم من المناوشات تنشب بين المكروب والدم دون ان نحس بها وكرياتنا البيضاء وحدها تحمل عبأها الثقيل والله يعلم كم يموت منها في هذا السبيل كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة . من منكم لم تصبهُ وخزة ابرة أو لم يتألم من حرقٍ او غيرهِ من الآفات الصغيرة التي يتكون من جرائها مِدَّة صديدية ؟ افتعلمون من اين اتت تلك المدة وما هو ذلك الصديد ؟ هذه جثث الكريات البيضاء والخلايا القارّة التي ماتت دفاعاً عن الجسم عند ما تطرَّق اليهِ المكروب نخفّت الى قتالهِ — فالسلام عليك يا ابطال الدم شهداء الصحة والحياة . تموتين من اجل الانسان وهو عقوق لا يحزن لك وجاهل لا يعتبر بك تموتين ولا تحتاجين الى من يزور لك مقاماً او يقلد صدركِ وساماً او يهدي اليك على الاقل سلاماً

اذا سألتم أين تذهب جثث الموتى من المحاربين وكيف لا تفسد الهواء رائحتها الكريهة قلت لكم ان لها مدافن عديدة يحملها اليها الدم واهمها الطحال . الطحال الذي يأ كلهُ بعضكم ساعة الطرب عند ما تدار الكؤُوس هو المقبرة الكبرى التي تضم هذه الرفات من صديق وعدو فما اغرب اطوارك يا انسان

رب معترض يقول كيف يضم الطحال هذه البقايا ولا يتصدَّع ؟ أين يضع تلك الجثث التي ترد اليهِ تباعاً بلا انقطاع وهو على ما نعلم لا كبر ولا اتساع . ألا فاعلموا ان الخليَّة كالجسم فكما يحل الجسم تحت التراب وتعود عناصرهِ الى تجديد الحياة تندثر الكريات في الطحال لتجدد خلق الكريات

هذه هي اسرار التنازع الحيوي في الجسم الانساني أطلعَنا عليها علم البكتيريا فعرفنا سر الداء وكُنْهَ الدواء وادركنا كيف يحصلُ الجسم المناعة على المرض . وبمعرفة هذه المناعة هدت الباحثين الى اكتشاف علاج وافٍ شافٍ لامراض هائلة كالدفتيريا مثلاً وبها سيتوصلون الى الانتصار على سائر الامراض باذن الله . ولم يكتف الانسان ما فعل بل تعدى من صحة الفرد الى الجماعة فاقام سنناً صحية يحفظ بها نظام الاجتماع وتكفل للفقير والضعيف والمريض القوت والقوة والشفاء . بل ذهب الى ابعد من ذلك فاراد محاربة الوراثة

المرضية بالاهتمام بصحة الخاطبين حفظاً لجمال النسل وإشفاقاً على قوته ان تتبدد جيلاً بعد جيل . ولكن هذا المبدأ لا يزال قليل الانتشار لان نزع العادات اصعب من نزع الاسنة والطامع بالزواج لا يوافقهُ اعلان ما بهِ من ضعف . ولا بدَّ من مرور الزمن على هذه الفكرة لتختمر وتدخلها الحكومات في نظامها فلا يكون زواج بدون فحص طبي او شهادة طبيب يحلل ذلك ويتحمل تبعتهُ البعيدة من الوجهة الصحية

وحسبكم ان تلقوا نظرة على الطرق التي يختطونها اليوم في بناء البيوت وتوزيع الحرارة والكنس والتطهير وما يقيمونهُ من الملاجئ لرحة الحبالى اهتماماً بالطفل من قبل ان يولد والمعاهد لتوليد الفقيرات وتوزيع اللبن المعقم على الاطفال الى غير ذلك — لتتأكدوا مبلغ الرقي الذي نالهُ انسانُ اليوم بفضل العلم . فالبقاء يا سادة حقٌّ مقدس جهلهُ الاقدمون وعرفناهُ نحن دون ان نستطيع المحافظة عليهِ ولكن الزمان الآتي كفيل بهِ فالرحمة ديانة المستقبل وهيكلها العظيم سيشيد في ضمير كل انسان على اساس احترام هذا الحق

ولست ارى في الحرب الحاضرة ما يناقض قولي فالحرب ليست بنت التمدن وان استمدت سلاحها منهُ وما قصدي ان اشرح لكم فلسفة الحروب واسبابها ونتائجها انما اردت ان اقول ان جسم المجتمع كجسم الفرد يعتورهُ الضعف والمرض وهذه الحرب ان هي الاَّ حمى شديدة اصابت دماغ البشرية الراقية فارتفعت درجة الحرارة الى الاربعين وزادت سرعة النبض الى المئة والخمسين وضاق مجال النفس وغاب الرشد ووقف الاطباء دونها حيارى عزَّلاً ولكنها ستزول ويتغلب جسم الاجتماع عليها بما فيهِ من ذخيرة الارتقاء وقوة التعقل فيخمد ذلك السعير ويعود ذهن التمدن الى الصفاء وقلب الانسانية الى خفوقهِ الطبيعي وتتبدد اعراض الداء واحداً بعد آخر بل ربما فعل كبعض الامراض فكان لقاحاً للمجتمع يعطيهِ مناعةً على الحرب الى اجل بعيد

والمتشائمون الذين يرون في هذه الحرب وقوفاً بالانسان عن اطراد الرقي مخطئون فكثيراً ما تخرج الاختراعات من بين الحديد والنار . وما هاج الفكر البشري بشيء كهذه الحرب فانها بعثت فيهِ حياة لم تكن من قبل فولّد ما لم يحلم بهِ في ايام مسلمهِ . فاذا صح ان الانسان هو الذي يخلق الشدة لنفسهِ فقد صحَّ ايضاً انهُ هو الذي يعرف ان يزيلها فيفني ما اوجد ويوجد ما افنى . والذي ارى ان هذه الحرب ستكون وافرة العظات والعبر كما هي وافرة المصائب ومذ اليوم نرى الدول المتحاربة او بعضها تجتهد ان تستفيد منها للمستقبل فتنشئ الجمعيات وتنشر الخطب فيما يجب ان يكون عليهِ نظام المعيشة بعد الحرب في البيت والمدرسة والنادي

ليجتمع للجيل الآتي الصفات اللازمة من قوة وصحة وصبر على المشاق ولباقة في العمل وتفنن في الاختراع

لا انكر ان الحرب من الدّ اعداء الانتخاب الطبيعي وآكد العقبات التي تعترض اصلاح النسل بما تذهب بهِ من اهل القوة والشباب وهم زهرة الامم وغاية آمالها ولكنها لا تذهب بهم جميعاً ولا يزال في البقية الباقية مع يعتاض بهِ مع الوقت

ايها السادة لما اخذت بتحبير هذا الخطاب ما ظننت قط انني قادر على نظم بيت من الشعر فيهِ فلما وصلت الى الكلام عن الحرب شعرت بنزوة في الرأس وظهرت لي إلاهة الشعر تومئ بلحظها فغرّني ابتسامها فاطلقت الخاطر بين يديها واذا بهِ عائد بهذه الابيات استميحكم ان لا اقرأها الآن بل امضي في خطابي الى النهاية ثم اسمعكم اياها على حدة

وصلنا بالانسان الى قمة مجدهِ الحاضر وهي قمة عالية كما ترون لو تطلّعنا منها الى الوراء لاصابنا دوار من بعد المسافة وانحدارها . عجباً لهذا الكائن المسكين الجاهل الغشوم الذي كان يسعى ليل نهار وراء ما يقتات بهِ ولا يناله الاَّ بشق النفس ولا يكاد يستطيع الدفاع عن نفسهِ بين عواصف القدم هو نفسهُ يقيس الكون ويزن النجوم ويُخضع قوى المادة . هو الذي فاز على الدهر واحيا بالعلم العصور الغابرة فمرّت من امامهِ بمشهد لم تره عين ولم يحلم بهِ ضمير . ما اغرب هذا التاريخ تاريخ البشر على الارض قصيدة من قصائد الادهار ابياتها الاولى منقوشة في بطون الارض لا بطون الكتب رويُّها آلام وقوافيها دموع . وبعدها كم من عقبة ففتوح . ومعضلة فاكتشاف . وحيرة فيقين . وضلال فهدي . وحلم فحقيقة . وكل ذلك من بدع تلك الكتلة الصغيرة المضطربة في رأس الانسان

فيا للرقيّ السامي الشريف . قدر لهذا القرن ان يكون سيد القرون وان يفهم الناموس الاكبر الذي تخضع لهُ الاحياء وغيرها وان الانسان لا يبقى الاَّ اذا مشي ولا يثبت الاَّ اذا تحول وان الكون ينمو ويرقى ولا يشابه يومهُ امسهُ ولا غدهُ يومهُ . قدر لهُ ان يفهم هذا الناموس العجيب — التقدم الدائم وان الزمان كالشلال لا يقف في سيرهِ ولا يرجع الى الوراء وان كل دقيقة تصلنا منهُ هي خلق جديد وصورة جديدة وان الكرة الارضية لم تكن بالامس كما هي اليوم وكما ستصير في الغد فلا حال تدوم ولا صورة تبقى سنة الله في البقاء نشوء وارتقاء

ماذا تكون فتوحات الجيل الآتي وما هي المفاجآت التي يتوقعها؟ ماذا تخبئ لهُ خاصية الاشعاع في المادة؟ هل يتوصل الى اطلاق القوى الهائلة المضغوطة في الجوهر الفرد؟ هل يهتدي الى تحويل المعادن؟ هل يستطيع اخماد ثورات العناصر الطبيعية؟ هل يتمكن من

الشعور بالظواهر الجوية كالشعور بأزيز المحلقات؟هل يخرق اسرار الكهربائية والمغناطيسية؟ هل يحل مسألة الحياة؟ كيف اجلنا الطرف لا نرى الأ معميات والغازاً واذا قابلنا بين ما نعرف وما نجهل بين ما نستطيع وما نعجز عنهُ فكل كبرياء تزول ولا يبقى لنا الأ ان نطأطئ الرأس صغاراً امام عظمة المجهول

هذا هو تاريخ الارتقاء على قدر ما يسعهُ الرمز والايماء ذكرت فيهِ النزر القليل من الجهد البشري العظيم وما لم اذكرهُ لكم هو عمل الافراد الخفيّ وحياة الجموع المظلمة والاطماع الطائعة وسط المعمعة والاهواء الذاتية والعزائم المنفردة — كل ما يخرج من قوة الفرد وينحدر الى قوة المجموع ليؤلف ذلك البحر العجاج · تلك هي مظاهر القلب البشري تتغير وهو واحد لا يتغير في ثياب الحرير والصوف او تحت دروع الفولاذ والحديد : رواية آلامهِ الخالدة من جرائم وجنون ودموع ودماء واعياد مجيدة وشجاعة لامعة واخلاص عظيم · هدير امواج البحر البشري يستفزهُ المد الصاعد تحت السماء الصافية او الغيوم المتلبدة تخترقهُ اشعة المجد الظافر أو لهيب النار الآكلة وفوق هذا القطيع المضطرب الحائر جيئة وذهاباً ينزل الموت بليلهِ الابدي ويعم السكون · والفكر من فوق هذا السكون يرف بجناحيهِ مدركاً شريعة البقاء الهائلة وهي التنازع وبقاء الانسب التنازع الدائم في الانسان وحول الانسان · الحق للقوة فالمنتصر يبقى والبائد تنسج عليهِ عناكب النسيان

وبعد ذلك كله فاين المصير؟ يخال مما تقدم ان القوة العظيمة التي رفعت الانسان من حضيض البهيمية ستظل ذاهبة بهِ صعداً حتى يتسنى لهُ العروج الى اعلى مراتب الكمال · ولكن مع الاسف لا نرى حولنا ما يؤيد هذا الظن فالرقي لا ينجم عن اشتراك النوع الانساني كلهِ في العمل ليكون كل عصر ارقى مما قبلهُ بل هو رواية تتوالى فصولها دون ان تتشابه وتتغير ابطالها في كل مشهد · كل امة تبدو لنا من خلال القرون مستقلة في ارتقائها من يوم تنشأ الى يوم تزول · تتعاقب الاجيال في حمل مصباح التمدن فيفرغ كل جيل ما عندهُ من القوى في سبيل تسريجهِ ويذهب كما أتى وكل تغير او شعاع جديد يرافقهُ سقوط ملك وقيام آخر

هذه مصر لم يُغنها طول اشراقها عن ان تدخل في ظلمات الخمول وكذا الهند والصين على وجودهما في مأمن من غزوات الفاتحين · وما ضرَّ اليونان قيام رومة كما ضرها انبساط مجدها عند ما وقف بها حيث هي فنامت في ظلالهِ مكتفية بذكرى الماضي · وما كان هرم رومة نفسها الأ بانحلالها الطبيعي لا بقيام البربر عليها · هكذا سيبلغ تمدن هذا الزمن غايتهُ

فيقف عند حد محدود ولا يقيهِ دم الشباب والقوة الجاري في عروقهِ فقد جرى مثلهُ في عروق مصر عند ما نشطت لنفسها من ظلمات العصور الاولى وقد جرى مثلهُ في عروق اليونان عند ما افاضت على العالم حكمتها وعلومها وفنونها . كل امة في الوجود ذاقت بَدْورِها هذه الساعة المجيدة من القوة والابداع والغنى ثم ذهبت كأن لم تكن وكل واحد منا يمثل في حياتنا القصيرة ما يجرى في حياة الشعوب والممالك . ألا ترى كيف يلمع كوكبهُ حيناً في زمن الشباب ثم تغشاهُ غيمة الخمول فيقف متى بلغ الغاية التي اهتزت لها جوانحهُ فتسكن عواصف نفسهِ الثائرة على ما فيها من خصب وابداع وترزح قواهُ بأحمالها فيعود الى القناعة بالتدريج ولا يبقي سبيل للتوليد والاختراع . فلان يأخذن هذا العصر الغرور بشبابهِ فستبدد همتهُ وتخمد نارهُ وتستقرّ علومهُ كأَنها اشخاص متحجرة يستلمها الخلف و يقيم عليها

ولنا في تاريخ الكائنات الف برهان على ذلك وكل نوع يرتقي الى ان يستكمل عدتهُ للتنازع فيقف عند حدهِ وتغلب الغريزة الذكاء ولا يزال الانسان يرقى من قمة الى قمة و يطير في فضاء المدنية من افق الى افق الى ان يأتي اليوم البعيد الذي لا يعود فيهِ قادراً على البقاء لان الشمس مصدر الحياة تمشي ايضاً الى الهرم فيخف نورها على مرّ الازمنة ومع النور الحرارة التي تستمد الارض حياتها منها

في ذلك اليوم ايها السادة يوم لا تعود حرارة الشمس كافية للارض يأخذ الانسان بالتقهقر كغيرهِ من الاحياء الارضية والرجوع الى حال الفطرة ايام كان برد الجليد يعض عليهِ بنابهِ وزمهرير الليالي يبعث الرعدة في مفاصلهِ فاذا استيقظ كاد الخدر الساري في اعضائهِ يمنعهُ من النهوض وراء حاجاتهِ القليلة . في ذلك اليوم يعود الى الكهوف والغيران يطلب الدفء من ورائها مقتنعاً من القوت بما تقدمهُ لهُ الطبيعة الخائرة وقد اصبح فاتر الهمة متثاقل الحركة خامد الذهن فلا نار تتقد في عينيهِ ولا ابتسامة تلمع بين شفتيهِ . وتحت تلك الجمجمة التي اظلت فيما مضى عقلهُ الكبير ينتشر ظلام اليأس ويخبو شعاع الذكاء . في ذلك اليوم بين المدن الفخمة والهياكل الصامتة والمصانع الخرساء والجبال السابحة فوق الماء والقضبان الممتدة بين الارض والسماء يمر ذلك السيد الفاني كالغريب لا يكاد يفهم ولا يتذكر ولا يحس . انسانية بلا الم عالم اشباح يخيف لو بقي من يفهم معنى الخوف وهكذا يثقل النعاس عينيهِ وينحدر شيئاً فشيئاً الى هاوية نومهِ الابدي ومن اعماق الظلام المخيم على مسرح الانسانية الخالي لا يبقى من صوت يصعد نحو اللانهاية . لا حسّ ولا حركة لا صلاة ولا انين . الاعمال العظيمة احلام الابطال همة الجبابرة جهاد العقول غليان الشباب الحب

كلهُ يدرج في الكفن ويطوى تاريخ الانسان بكلمات ثلاث : عاش وتألم ومات
والارض الشاهد الوحيد لهذه المأساة رفيقهُ الازلي امهُ التي احتضنتهُ تبقى بعدهُ زماناً طويلاً جثةً باردة تسبح في ظلمة اللانهاية

***

«لاهاي» هل صوتٌ بجوك يُسمَعُ هيهات ما لاهاي الا بلقعُ
لم ينفع القصر الذي شيدتهِ وكذاك أحلامُ الورى لا تنفعُ
جمعتهمُ الاطماع فيكِ فمذنأوا قالت لهم اطماعهم لن تجمعوا
ما ابدعَ السلم الذي حلموهُ لو وقفوا على تحقيقهِ ما أبدعوا
زرعوا الكلام فما حصدت واصبحوا السيف يحصد فيهم والمدفعُ
هي يقظة طاحت بها اعمارهم فكأنهم فجئوا العيون ليهجعوا
علقت بهم نار الجحيم فاصبحوا سُجَّارها لا يشبعون وتشبعُ

***

في ذمة الرحمن كل مميذع يمشي اليهِ من العدو سميذعُ
جهلوا القتال فَعَلَّمُوهُ ولم يكن من طبعهم سفك الدماء فُطبِّعوا
النازلون من الخنادق حيث لا نسم يهب ولا شعاع يسطعُ
يحمي حماها كل اروع باسلٍ ويظل من بغتاتها يتفزعُ
رجم وألغام وسيل لاهبٌ وأشعة تعمي وغاز يصرعُ
الماخرون الجو فوق سوابحٍ تجري بامرتها الرياحُ الاربعُ
من كل ثابتة الجناح أزيزها متواصل وبريقها متقطعُ
تسري وتنفجر القنابل حولها شهباً بها ثوب الفضاء يُرصَّعُ
الراكبون على البحار صواعقاً كم ضيعت منهم ولم يتضعضعوا
النافضون جبالها وثلوجها لا يطمئن بهم عليها مضجعُ
الذاهبون ولا رجاء العائدو ن ولا شفاء السابقون التبعُ

***

يا للهجوم وقد دعا داعي الردى فمشوا اليهِ والأسنةُ شُرَّعُ
بجحافلٍ تُزجى وراء جحافل وفيالق إِثرَ الفيالق تدفعُ
مادت بهم انجادُها فكأنهم سِربٌ من العقبان سودٌ جوَّعُ

صدتهم قُلَلُ السعير تصبهـا قلل الحديد فلا تقيهم أدرعُ
بغتتهمُ من خلفهم وامامهم نيرانهـا فتفرقوا وتجمعوا
متسابقين وليس منهم سابقٌ متراجعين وليس عنهـا مرجعُ
في مأزقٍ للموت اسكرهم بهِ رهج الخميس وأروسٌ تتقطعُ
حتى اذا انقشع العجاج ولم يعد الاصدى ذاك الضجيج يرجعُ
طلع الملالــ عليهم فاذا هم عدم فظيع أو وجود أفظعُ
الارض نافضة البطون تزاحم الـ ـموتى بهـا فهمُ وقوف رُكَّعُ
فكأنهُ يوم القيامة فيهم أو انهم قبل القيامة قد دُعوا

***

يا ارضُ اي رواية مثلتها عملت فيها الناس ان يتوجعوا
هذي كنوزك اصبحت حمماً بها بركان صدرك ثائر يتصدعُ
أمَلِلْتِ حمل الساكنين فقلت أفـ ـنيهم كفى ما بالوجود تمتعوا
أم شاقكِ الثوب القديم جررتهِ لهباً فقلتِ الى قديميَ ارجعُ
ناراً يسيل بي الفضاء وليس لي مهج تسيل ولا عيون تدمعُ

***

هل تبعثين مع الربيع معزياً للناس يُنسي ما بهِ قد رُوّعوا
فيعود وجهك ضاحكاً متهللاً ويعود زهرك في الربى يتضوعُ
ويعود للأغصان طيرُك آمناً يتلو مراحمهُ عليك ويسجعُ
ام تبعثين قذائفاً وقنابلاً لا تقنعين بها ولا هي تقنعُ
فيظل صدرك بالنجيع مخضباً ويظل وجهك بالحداد يقنعُ
انّا سقيناكِ الدماء زكيّةً فاذا الربيع اتى سقتك الأدمعُ

***

يا ايها الانسان ماذا تصنعُ قدكَ أتئدْ أرأيْتَ فيما تطمعُ
هـدمت يداك اعز ما شيدتهُ ماذا الذي من هـدمهِ تتوقعُ
عالجتَ بالعلم الحياةَ وانهُ سيفٌ على الحدين ماضٍ يقطعُ
أعطاك ما اعطى سواك فصارعٌ يوماً و يوماً مثل غيرك تُصرَعُ
انا لا اصدّق ان مجدك زائل انا لا اصدّق ان ملكك يخلعُ

ان كنت ذا جهل فعلمك واسعٌ   او كنت ذا بغض فحبك اوسعُ
الحب نورك في الوجود فان نأى   عن مطلع ادناك منهُ مطلعُ
كم ضيعتكَ الحادثاتُ بليلها   ثم اهتديت بهِ فلستَ تُضيَّعُ
ارفعْ حجاب البغض عنك و بعدهُ   عَلمَ السلام على ربوعك يُرفعُ
ان تمنع الاخلاق عنك دوامهُ   فشرائع العمران ليست تمنعُ
الحب حق للوجود مقدس   تتزعزع الدنيا ولا يتزعزعُ .

الدكتور نقولا فياض

مصر منذ تسعين سنة

(٨)

قصر محمد علي باشا في شبرا

رجعت من جزيرة الروضة الى منزلي فرأيت منصور القبطي وزوجتهُ قد عنيا بترتيب الامتعة والغرف وتنظيفها . اما الجارية فكانت مستلقية على الديوان والخادم البربري يدخن في صحن الدار والدجاج تسرح حولهُ وهي تلتقط الحبوب . واما مصطفى الطباخ فخرج في غيابي ولم يعد وقد توهم اني احضرت القبطي بدلاً منهُ فانسحب من تلقاء نفسهِ وهي عادة جارية هنا متبعة بين الخدم ولذلك يتناولون اجورهم يوماً فيوماً فاضطررت ان اكلف القبطي وزوجتهُ الاهتمام بالطبخ ولكنني علمت في المرة الاولى انهما يجهلان هذه المهنة جهلاً تامًّا ولا يعرفان منها سوى سلق الخضار والحبوب وطبخها بالماء والزيت حتى ان الجارية نفسها لما ذاقت الطعام الذي طبخاهُ اشمأزت نفسها وامتنعت عن الاكل واشتد بها الغيظ واوسعتهما سبًّا وشتمًا . فاستأت جدًّا من عملها هذا واهانتها للعجوزين المسكينين اللذين توليا امر الخدمة واراحاها من عناء العمل في كل الشؤون المنزلية فقلت لمنصور ان يفهمها ان دورها جاء لتتولى بنفسها امر الطبخ فكان هذا الطلب غير المنتظر كصاعقة سقطت عليها فثار سخطها واشتد غيظها واوسعتنا كلنا لوماً وتقريعاً والتفتت نحو منصور وقالت لهُ

قل لسيدي اني لستُ « أودالِك » بل « قادن » وفسر لي منصور معنى كلامها اي انها ليست خادمة بل سيدة وقالت ايضاً انها ستشكوني للباشا . فصرختُ مغضباً

انتهددني . وما دخل الباشا في اموري البيتية . اشتريت جارية لتقوم بخدمتي المنزلية وهذا الامر غير ممنوع في قوانين البلاد

فقالت انها مسلمة ولها الحق ان تطلب من الباشا ان يطلق لها الحرية اذا كان من اشتراها يرهقها ظلماً و يقسرها على عمل اعمال حقيرة . وقال منصور لي ارى انها مصيبة في زعمها واسمح لي يا سيدي ان اقدم لك مشورة صالحة — لا تجرح عواطفها والاً فلا يتسنى لك ان نعيش معها براحة وهناء ووفاق

فرأيت ان مشورتهُ هذه لا تخلو من الفطنة والصواب فقلت لهُ قل لها اذاً اني لم اقصد سوى المباسطة والمزاح . ولكنها اخطأت كثيراً في اظهارها الحدة والغيظ وتوجيهها لك ولزوجتك الاهانة والفاظ السباب وانهُ يجب ان تعتذر عما بدر منها نحوكما وتظهر التأسف على ما فرط منها من الخفة والطيش

فترجم لها كلامي كما لا اشك ترجمة يؤخذ منها عكس المراد اي انهُ هو نفسهُ يترضاها و يطلب منها الاعتذار . لاني رأيتها تبسمت سروراً وطفح وجهها بشراً

فعلمت بعد فوات الوقت وحيث العلم لا يفيد شيئاً والندم لا يجدي نفعاً اني اخطأت كثيراً في مشترى هذه الجارية الغريبة عني وطناً ولغة وجنساً وآداباً . ورأيت رغماً عني انهُ يجب ان ارضخ لحكم القدر كما يقولون واتحمل نفقات باهظة ربما ارزح تحت ثقلها . عجباً من احوال مصر الغريبة تركت الفندق واستأجرت منزلاً خصوصياً رغبة في الاقتصاد وراحة المعيشة وحتى يتسنى لي الاختلاط بالقوم . فلم يسمح لي بالاقامة فيهِ الاَّ اذا كان عندي امرأة معها كانت حالتها . قصدت الزواج فقيل لي يجب ان ترتبط بهِ ارتباطاً دينياً ومدنياً كل ايام حياتك وتدفع مهراً فوق طاقتك . ثم اضطررت ان اشتري جارية غريبة عني وبيني وبينها فرق شاسع في العوائد والاداب لا اعلم كيف اكلمها او ماذا اطعمها او اي زي ألبسها او اي طريقة اسلك معها . واضطررت لاجلها ان انفق نفقات باهظة لفرش البيت واستئجار طباخ وخادم وبربري وكل ذلك لكي اقتصد في نفقات الفندق مع ان نفقاتي الحاضرة بلغت حدّاً عظيماً زعزع ماليتي . واخيراً قلت لمنصور ان يهتم بامر اعداد الطعام الى ان نجد طباخاً موافقاً وان يقول لزينب انها لما كانت « قادن » اي سيدة رفيعة المقام تأنف عمل اعمال حقيرة فيجب عليها ان تتعلم لغتي الفرنسوية وتأخذ كل يوم درساً حتى يمكننا التفاهم معاً

فاظهرت الارتياح والسرور من هذا الطلب وفي الحال بدأت اعلمها الحروف الهجائية

والقنها بعض اسماء وجمل كثيرة الاستعمال فاظهرت الرغبة في الدرس الأ انها لم تكن تحسن النطق ببعض الحروف فكانت تلفظ الجيم زاياً · وكم كنت اضحك منها حينما كانت تقول « زي سوي سوفاز » بدلاً من « جي سوي سوفاج je suis sauvage » اي انا هي متوحشة · علمتها هذه الجملة بقصد المزاح ولما فهمت معناها لم تظهر الغيظ بل بالعكس كانت تصفق بيديها فرحاً وتنادي منصور وتقول له وهي تضحك مسرورة « زي سوي سوفاز »

ولما اردت ان اعلمها كتابة الحروف رأيت صعوبة كبيرة في ذلك ومرةً اخذت القلم وبدأت تخربش على الورق خطوطاً ودوائر غير منتظمة وقالت لمنصور · قل لسيدي اني تعلمت الكتابة فظنت بسذاجتها ان قد يمكن استخراج معانٍ من تلك الخطوط المخربشة

ولما رأيت حسن انقيادها ونشاطها في الدرس اردت ان اكافئها بقضاء بعض رغائبها ولكنها كانت كثيرة فطلبت اولاً حبرة من الحرير حتى تظهر « كهانم » لا كفلاحة وخادمة وطلبت ان تلبس حذاء اصفر « بابوج » ولكني رأيت هذا النوع من الحذاء يجعل منظر المرأة قبيحاً اذ تظهر رجلاها كبيرتين ضخمتين · ثم طلبت ثوباً من حرير اخضر « يلك » وغير ذلك من المطالب على عادة النساء فوعدتها باني لا اغفل عن قضاء رغائبها هذه اذا رأيت منها طاعة وانقياداً فاظهرت الرضاء والارتياح

وفي اليوم التالي ذهبت الى مكتبة مدام بونوم وقضيت بضع ساعات في المطالعة · ولما رجعت الى منزلي وصعدت الى الدور الاعلى نهضت زينب لاستقبالي وبدأت ترقص وهي تدور حول الفسحة وتصفق بيديها وتصرخ « الفيل الفيل · الفيل · يا عيني الفيل » · فدهشت كثيراً وظننت ان قد مسها عارض جنون واختل عقلها فدعوت منصوراً وسألتهُ عن هذا الامر المستغرب وماذا جرى للجارية فاجابني بعد ان سألها : ان ستي تريد ان تتفرج على الفيل · قلت واين هذا الفيل · قال في قصر الباشا بشبرا · قلت ومن اين علمت به · قال من الجارات · قلت وكيف اتصلت بهن · قال من السطوح والشبابيك · فلم ارَ من الفطنة ان احرمها من هذه الرغبة وقلت لمنصور ان يقول لها اني مستعد لاتمام رغبتها مكافأة لها على ما رأيتهُ من اهتمامها واجتهادها في الدرس

وقصدت من جهةٍ اخرى اغتنام هذه الفرصة للتفرج على قصر محمد علي وحدائقهِ

المشهورة وفي الحال استدعيت بعض الحمارة وركبنا وخرجنا من القاهرة واجتزنا بوابة كبيرة مصفحة بالحديد ومدعومة بجدران عالية وابراج شاهقة من عهد سلاطين مصر (باب الحديد) وعلى مقربة من هناك جسر فوق ترعة الخليج الناصري المحيط بالمدينة غرباً فاجتزنا فيهِ الى مروج خضراء في طريق تتخللها البحيرات والبرك حولها الرياض والحقول الخصبة والغياض وطريق شبرا من احسن منتزهات القاهرة وهي طويلة تمتد الى مسافة بضعة اميال غرباً الى مجرى النيل الاعظم وعلى جانبيها اشجار الجميز الضخمة تظلل اغصانها الكثيفة تلك الطريق وتلطف حرارة الشمس المحرقة وبين كل مسافة واخرى قهوات ومنتزهات على الجانبين في وسط حدائق غناء ومروج خضراء و بساتين فيحاء . وفي مساء ايام الاحاد ترى هذه الطريق غاصة بالمتنزهين والمتنزهات واكثرهم من الافرنج والارمن والاروام والسوريين . والنساء منهنَّ لا يرفعن الحجاب عن وجوههن الاَّ متى عرجن على الحدائق فيجلسنَ فيها زرافات تحت ظلال الشجر . ورأيت منتزهات شبرا من احسن منتزهات العالم . فاشجار الجميز والابنوس والصفصاف والكافور متصلة بعضها ببعض على الجانبين حتى الترعة الشبراوية (شبرا البلد) والمروج من الجانبين خضراء زمردية مزروعة قصب سكر وذرة . ومن اليسار على مسافة ميل حدائق وبساتين زاهرة تتصل بضفة النيل الشرقية

وعند منتصف الطريق «كازينو» في داخل بستان مغروس بالاشجار المثمرة وفيهِ بركة وفساقي جميلة تفيض منها المياه بشكل بديع وخرير مطرب ينعش النفوس ويشرح الصدور . وحول هذا البستان حقول الرز والذرة وقصب السكر . ويؤم هذا المنتزه البديع كثيرون من اهالي القاهرة وبينهم ضباط وباشاوات مشاةً وركباناً . والنساء يجلسن تحت ظلال الشجر زمراً زمراً مع اولادهنَّ

وعلى مسافة قريبة من هناك سور عالٍ يمتد مسافة ميل داخلهُ قصر عظيم جميل البناء وحولهُ حدائق غناء تزري بحدائق قصر اللوفر في باريس . وهذا القصر لمحمد علي باشا حاكم مصر الآن . فاذن لنا الحاجب في الدخول الى الحديقة ورأينا داخلها فيلاً ابيض معروضاً للفرجة . وهذا الفيل النادر الوجود اهدتهُ الحكومة الانكليزية الى محمد علي باشا مقابل اثر تاريخي او مسلة قديمة اهداهُ لها . فاظهرت زينب السرور والفرح عند ما رأت هذا الفيل الابيض حتى انها لم تتمالك ان تصفق بيديها جذلاً كأَنهُ يذكرها بفيلة بلادها . وكان حول نابيهِ حلقات من الفضة وحارسهُ الهندي يروضهُ على حركات والعاب مختلفة

فاتى بحركات معيبة لم ارَ من اللياقة ان تمثل امام النساء واشرت الى زينب ان قد انتهت الفرجة فلتتبعني · وكان بين المتفرجين احد الضباط او الحرس فصرخ بلغة ايطالية سقيمة آسبتاتي سنيوري « انتظر يا خواجا» هنيهة اخرى فان هذه الالعاب تنبسط لها قلوب النساء · فاجبتهُ باللغة الفرنسوية وتكون شركاً لاخلاقهنَّ الساذجة ومفسدة لآدابهنَّ · ويظهر انهُ لم يفهم مغزى كلامي وما فيهِ من التعنيف فضحك مقهقهاً وضحكت النساء لضحكهِ

ثم خرجنا من هناك واستأذنا في التفرج على القصر ولما كان وقتئذٍ خالياً والباشا مقيم في قصر القلعة سمح لنا بالدخول

وهذا القصر بمثابة متحف بديع الشكل ليس فيهِ شيء من ضخامة البناء وفخامة المنظر وهو من طبقتين ارضية وعلوية فالارضية للاملاك · والعلوية لسكنى حرم الباشا وهو قائم على ضفة النيل مقابل سهول امبابه المشهورة بنكبة المماليك · فالطبقة الارضية بهيئة كشك بديع جميل المنظر باعمدة من رخام وداخلهُ مخادع وغرف وقاعات كثيرة فسيحة مزخرفة فاخرة الرياش منها ما هو مأوى الطيور والعصافير النادرة كالحجل والببغاء والدرة والكناري والطاووس · ومنها مخادع للغسيل والحمامات · ومنها قاعات للالعاب الرياضية والبيليردو · اما مخادع الاستقبال والنوم والاستراحة فمفروشة بافخر الرياش والمقاعد الحريرية والاسرة والكراسي المذهبة وفيها من الخفخة والابهة ما هو خليق بسكنى الامراء والملوك · وجدرانها مزخرفة بالنقوش والمرايات الكبيرة وصور الغياض والبحيرات والرياض والغابات من ريشة امهر المصورين الاوربيين · وبالاجمال فكل الجدران والسقوف مزخرفة بمناظر طبيعية بديعة من انهار ونخيل واشجار وبحيرات ومراكب ناشرة شراعها في الفضاء الا انهُ ليس بين تلك الصور صورة انسان واحد · وبين تلك الصور رسم بحر يموج بالسفن الحربية وعليها الاعلام العثمانية واليونانية تمثل المعركة البحرية التي فاز بها الاسطول المصري في المورة بقيادة ابرهيم باشا · ومن الغريب ان ليس في تلك المعركة صورة آدمي واحد كأن المراكب والمدافع كانت تتحرك وتطلق القنابل من نفسها

وبين هذه المخادع قاعة كبيرة للاستقبال مفروشة بافخر الرياش جعلها الباشا مقرًّا للاحكام فيجلس فيها للحكم في ايام مخصوصة ولسماع شكوى الناس · وفي صدرها لوحة كبيرة مكتوبة فيها آية حكمية بحروف عربية جميلة مذهبة

ثم جلنا في تلك الحدائق النضرة والبساتين الزاهرة وهي على اقسام مختلفة بديعة الترتيب والوضع والتنسيق غرست على الطرز الايطالي يعنى بحفظها وغرسها وتنسيقها بستانيون ايطاليون . فدخلنا اولاً الى بستان الورد وفيهِ كل اصناف الورد في العالم . وفي الفيوم ايضاً بساتين كثيرة للورد العطري الرائحة يستخرج منهُ مقادير عظيمة من عطر الورد ومن ورد شبرا تعمل المربيات والمشروبات الوردية . وقد تلطف بستانيهُ وقدم لنا صحفاً من الورد بديعة التنسيق .

ثم دخلنا الى بستان البرتقان والليمون والاترج وقد امر الباشا ان يترك قسم كبير من هذا الثمر على الشجر بدون قطف حتى يتمتع الزائرون والمتنزهون بمنظر هذا التفاح الذهبي وهو على اغصانهِ . ويباح لكل انسان ان يلتقط ما يتساقط منهُ تحت الشجر . وهناك شجر الموز كغابات كثيفة واقراطها الكبيرة دانية القطوف . ثم اشجار المشمش والتفاح والرمان والخوخ والبرقوق وغيرها من الاشجار المثمرة وماشي الحدائق مسقوفة بالعرائش ودوالي العنب تتدلى منها عناقيدها المختلفة الاجناس والالوان .

واما حدائق الزهور ففيها كل انواع الزهور ذات الرائحة الذكية كالنرجس والفل والريحان وفيها كثير من الازهار الاوربية النادرة داخل كشكات ومقاصف ومقاعد حولها الفساقي والبرك الرخامية ونافورات المياه مظللة بالاشجار والنباتات المتعرشة عليها الرياحين والياسمين

وفي آخر هذه الحدائق وراء القصر كشك من المرمر بديع الصنع حولهُ قصاري النباتات مرتبة بعضها فوق بعض ترتيباً بديع الشكل كأنها هرم من الرياحين والزهور . ولا اظن ان قصر هارون الرشيد في بغداد وبساتينهُ الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة احسن واجمل من هذا القصر ومقاصفهِ وحدائقهِ الغناء . وعند الجناح الغربي على ضفاف النيل كشك آخر مخصص لنزهة الباشا وحرمهِ لا احد يقترب منهُ . وفيهِ بركة عظيمة من الرخام الابيض للاستحمام والسباحة على دائرها اعمدة من المرمر وفوق كل عمود تاج منقوش بابدع النقوش والزخرفة على النسق البيزنطي . وفي وسط هذه البركة العظيمة تماثيل تماسيح مرمرية تخرج نافورات المياه من افواهها والبركة مسقوفة برخام منقوش تتدلى من وسطهِ وجوانبهِ كريات ومصابيح غازية ضمن زجاج مختلف الالوان تنعكس اشعتها على مياه النوفرة ليلاً فيأخذ بمجامع القلوب . وفي البركة قارب صغير بديع الصنع مموَّه بالذهب مع مجاذيفهِ لنزهة الباشا وسراريهِ

— العفاريت وعلاجها —

يصعب على الاجنبي ان يحكم على آداب المرأة الشرقية واخلاقها من معاشرة امرأة واحدة ومع ذلك فان ما حدث لي مع جاريتي وجاراتها اللواتي تعرفت بهن من السطوح والنوافذ جعلني ان احكم حكماً عمومياً على اخلاق المرأة المصرية وعوائدها الداخلية

ففي احد الايام رجعت الى منزلي وصعدت الى غرفة زينب فرأيت فيها ما جعلني في اشد الدهشة والاستغراب . رأيت عيدان البصل الاخضر معلقة بكثرة على الجدران والاركان وفوق الباب والنوافذ حتى فوق سرير النوم فاستغربت هذا الامر ولا اعلم اذا كان هذا البصل الكريه الرائحة يقوم عند جاريتي مقام طاقات الزهور والورد وهو ليس بحسن الشكل حتى يوضع في المخادع للزينة . فظننت في بادىء الامر انها فعلت ذلك من قبيل المزاح الصغير . ففي الحال نزعت كل عيدان البصل والقيتها من النافذة الى حوش الدار وحينئذ استفاقت زينب من القيلولة ورأتني انزع البصل والقيه من النافذة باحتقار نهضت وقد تمتمت من الغيظ واخذت كلبوءة فقدت اشبالها واوسعتني شتماً وسباً ثم تحول غيظها الى بكاء ونحيب ونزلت الى صحن الدار تلتقط البصل المتناثر ودموعها تهطل على خديها ثم صعدت وعلقت البصل كما كان ولسانها لا يكف عن شتمي ولكنني لم افهم ما هي انواع السباب سوى كلمة واحدة طرقت سمعي وقد كررتها مراراً وهي « فرعون » فما معنى فرعون في قاموس السباب ؟ فاستدعيت في الحال منصوراً وقلت له ان يسأل زينب عن سبب تزيين غرفتها بعيدان البصل وما قصدها من ذلك . فاجابت وهي لا تزال تنتحب ان البصل الاخضر يجلب السعد ويطرد العفاريت من البيت ويبعد المصائب عن اهله واني بعملي هذا طردت الخير والسعد وجلبت عليها وعلى انواع الشرور والشؤم . وقال لي منصور ان تعليق البصل في البيوت عادة شائعة في كل بلاد مصر جلباً للسعد ووقاية من الشرور والمصائب . فقلت له حقيقة ان البصل كان منذ القدم من آلهة المصريين الاولين فاذا كنت اهنت هذا الاله ففي مستطاعي ترضيته وطلب السماح منه . ولكن ذلك لم يقنع جاريتي ووعدتها ان لا امس البصل بسوء . فسألت منصوراً عن معنى كلمة « فرعون » التي كررتها في ساعة غيظها فقال لي انها تعني شتمة الكافر . فما تمالكت حينئذ من الضحك والقهقهة . والعجيب اني لم اكن اعلم قبل الآن ان اسم ملوك المصريين القدماء اضحى في هذا الزمن مسبة وشتم

وتم الاتفاق بيني وبين الجارية على ان لا تكثر من وضع البصل في غرفة النوم غير ان الاوهام تسلطت على عقلها منذ نزعتُ البصل واعتقدت ان ذلك كان شؤماً عليها وانهُ لا بد ان يصيبها مكروه وفعلاً فانها اصيبت مساءً بحمى شديدة جعلتها طريحة الفراش وعبثاً حاولت ان اقنعها باتباع مشورة الطبيب وشرب الادوية التي وصفها ولم يزدها الحاحي عليها الاَّ عناداً حتى اشتدت عليها وطأة الحمَّى وصار يخشى على حياتها

وفي اليوم الثالث صعدت الى غرفتها ورأيتها هادئة وقد تركتها الحمى . وعند راسها امرأتان تتمتمان بكلام غير مفهوم وتقرعان طبلاً امامها ولما سألت منصوراً عنهما قال لي ان جارةً استدعتهما لزينب لكي تخرجا العفاريت منها . فقلت وما هي هذه العفاريت قال هي ارواح الشر ومصدر المصائب ثارت غضباً وسخطاً على زينب لاني اهنت البصل ونزعتهُ باحتقار من غرفتها وقال ان العفاريت نوعان الاخضر والاصفر والاخير اشد شرًّا وضرراً

ولما رأيت ان مرض الجارية عقلي وهميٌّ لم ارَ بأساً من ان تعمل لها وسائط وهمية لشفائها حسب اعتقادها . وكانت احدى المرأتين كما قال لي منصور ذات شهرة واسعة بين النساء المصريات في اخراج الارواح الشريرة وطرد العفاريت وشفاء الامراض العضَّالة بطريقة تعرف عندهنَّ بالزار . فاخذت المرأة كانوناً واشعلت فيهِ الفحم وذرَّت على النار بعض قطع من الشبِّ حتى امتلأت الغرفة من الدخان وقال منصور ان العفاريت لا يمكنها ان تلبث في المنزل وفيهِ هذا الدخان الكثيف ثم اخذت المرأتان الجارية ووضعتا وجهها فوق النار وكانت احداها تقرع على ظهرها وتنشد نشيد طرد العفاريت والاخرى تضرب طبلاً . ولما انتهت الحفلة اضطررت ان ادفع للمرأتين اجرة العيادة او بالحري اجرة طرد العفاريت

ولما كان مرض زينب وهميًّا فهذه الواسطة الوهمية جعلتها تعتقد بالشفاء وفعلاً فانها في صباح اليوم التالي نهضت من فراشها معافاةً ومشددة القوى غير انها طلبت مني ان اسمح لجارتيها خاتون وزبيدة ان يأتيا لزيارتها في كل يوم بقصد التسلية فلم ترق في نظري هذه العشرة المفسدة الاخلاق فصرفتها بالحسنى واوصيتها ان لا تشرفا بعد الآن الاَّ متى دعوتهما عند عودة العفاريت مرةً اخرى

وبعد مضي شهرين رأيت ان هذه المعيشة الشرقية بين جارية كثيرة التطلب والرغائب وبين خدم يخدعونني في مشترى الحاجيات الضرورية زادت نفقاتي زيادة شعرت فيها

بنقصان ماليتي نقصاناً كبيراً وخشيت ان لا تعود دراهمي كافية لاتمام سياحتي في سوريا ولبنان فعزمت ان اقصر مدة اقامتي في القاهرة . وبعد بضعة ايام قلت لزينب اني عزمت على السفر وذكرت لها الاسباب التي دعتني لذلك . وفي الختام قلت لها واما انت فان شئت الاقامة بمصر فاني اهبك الحرية . فاجابتني جواباً لم اكن انتظرهُ من جارية اسيرة وقالت لي بحدةٍ وغضب . تهبني الحرية ؟ وما تفيدني هذه الحرية ارجعني الى وكالة « الجلابة » وبعني كما اشتريتني . قلت ولكن الا تعلمين يا عزيزتي انهُ من العار ان يبيع اوربي امرأة ويقبض ثمنها . فبدأت تبكي وتنتحب وقالت وانا ماذا اصنع والى اين اذهب . فقلت لها ادخلي الى القصور بصفة خادمة عند احدى السيدات فاظهرت الغيظ والانفة وصرخت . امثلي تكون خادمة في البيوت للكنس والغسيل في المطابخ ؟ كلاً والف كلاً ارجعني الى السيد عبدالكريم وبعني لهُ فربما يسعدني الحظ فيشتريني احد الضباط او الحكام واكون عندهُ بصفة « قادن » لا خادمة

أليس من الغرابة ان الجواري في مصر يفضلن الاسر على الحرية ؟ ورأيت بعد انعام النظر انها مصيبة في قولها فماذا تفيدها الحرية ؟ هل القيها في الشارع ؟ وعدا ذلك فهي تجهل امور الطبخ والخدمة البيتية ولا تعرف ان تعمل عملاً فاذا اطلقتها الا تكون عرضة لفساد الخلق والآداب . وألا اكون انا بنفسي سبباً لسقوطها في بؤرة الشرور وقيادتها الى اماكن الفساد ؟ ومن جهة اخرى تمنعني ادابي ان ابيعها فقلت لها

اذا كنت لا تودين البقاء في مصر فيجب ان تتبعيني الى بلادي . فاظهرت السرور وصفقت بيديها فرحاً وصرخت . « أيوا انتَ وانا سوا سوا » . فسألت منصوراً عما اجابت فقال . تقول انها ستتبعك الى حيث تريد ولا تفارقك

ولما رأيت ان لا مفر من اخذها معي الى سوريا ذهبتُ في اليوم التالي لزيارة قنصلي واعلمتهُ بعزمي على السفر ورجوت منهُ ان يسهل لي الوسائط فارسل معي احد القواصة الى مينا بولاق وهناك استأجر لي مركباً نيلياً يقلني في النيل الى دمياط وهي اقرب مرفإٍ بين مصر وسوريا

ديمتري نقولا

معركة جتلند البحرية

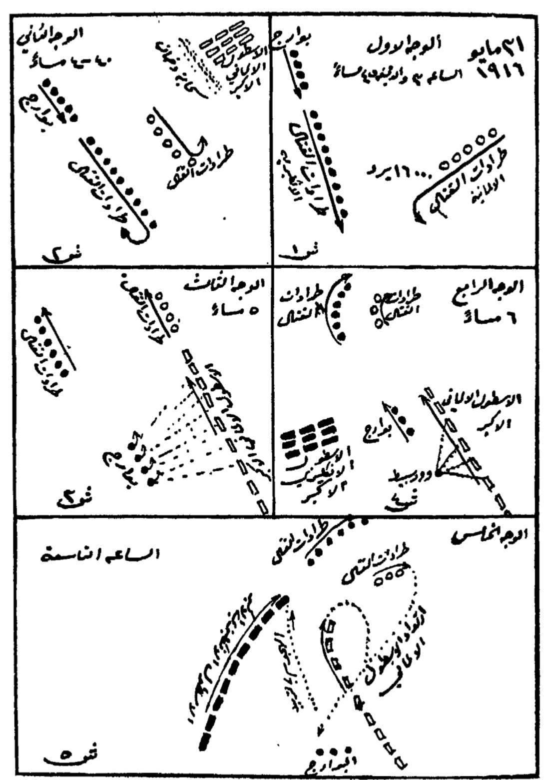
سميت المعركة البحرية التي جرت بين الاساطيل الانكليزية والالمانية في آخر مايو الماضي معركة جتلند او جيلند وهو اسم المقاطعة الشمالية من بلاد الدنمرك التي جرت المعركة بازاء ساحلها الغربي . وقد سميت باسماء اخرى لا حاجة الى ذكرها . ووصفها بعضهم بانها اعظم معركة بحرية ذكرت في التاريخ . ولكننا لا نرى في هذا الوصف تعظيماً لها فان اعمال الاقدمين في السلم والحرب ليست شيئاً مذكوراً في جنب اعمال المتأخرين الاَّ ما كان منها كالاهرام والجنائن المعلقة وصنم رودس مما اضاعوا عليهِ جهدهم ووقتهم سدًى ومما لا يعيي انسان هذا الزمان امرءٌ لو رام الاتيان بمثلهِ . هذه معركة ترافلغار او طرف الغار التي تغلَّب بها الاميرال نلسون على الاسطول الفرنسوي في اوائل القرن الماضي . فانها اعظم معركة بحرية عرفها الناس حتى ذلك العهد ولكنها لا تذكر بازاء المعركة التي نحن بصدد الكلام عنها . وسفنها وسلاحها بالنسبة الى البوارج الحديثة والسلاح الحديث كالمخاريق التي يلهو بها الصبيان

ادقّ وصف لمعركة جتلند او لمعركة البحر الشمالي الكبرى كما سمتها احدى الصحف الانكليزية ما نشرتهُ مجلة غلاسجوهرالد الانكليزية . و يستدلّ من قراءتهِ على انهُ مكتوب بقلم غير واحد من الخبيرين بالشؤُون البحرية . وهو مبيَّن بالرسوم الواضحة كما يرى فيما يلي . وقد قسمت فيهِ المعركة الى خمسة ادوار سميت اوجهاً تشبيهاً لها باوجه القمر وهاك بيانها

الوجه الاول

الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ من مساء ٣١ مايو

كانت طرادات القتال في اسطول الاميرال بيتي الانكليزي مؤلفة من الطرادات ليون والبرنسس رويال وكوين ماري وتيجر وانفلكسبل واندومتابل وانفنسبل واندفتيجابل ونيوزيلند . والاربعة الاولى منها من طرز سوبر در يدنوط اي اعظم من طرز در يدنوط . والخمسة الباقية من طرز در يدنوط . وكانت تمخر جنوباً بشرق (انظر شكل ١) تتبعها اربع بوارج من طرز كوين اليزابث وهي سوبر دريدنوط كما هو معلوم واسماؤُها برهم وفليانت وورسبيَط وملايا



تفصيل معركة جتلند البحرية

الدوائر والمستطيلات السوداء للانكليز والدوائر والمستطيلات المفرغة للالمان

مقتطف سبتمبر ١٩١٦

امام الصفحة ٢٥٦

لم يكن الأ القليل حتى رأت هذه المدرعات طلائع الاسطول الالماني وكانت موءلفة من الطرادات الخفيفة تتبعها خمسة من طرادات القتال هي هندنبرج وسدلتس ودرفلنجر ولتزوف ومولتكي وهي تجري جنوباً بغرب . وربما كان معها طراد سادس هو الطراد سلاميس

فبدأ الاميرال بيتي اطلاق النار على بعد ٢٠ الف يرد (١٢ ميلاً) ثم قصر مجال النار الى ١٦ الف يرد (٩ اميال) بتداني الاسطولين . وكان الالمان يرون الاسطول الانكليزي بجلاء على ديباجة الجو الصفراء . اما هم فلم يُروا بوضوح اذ كانت تغشاهم سحابة من الضباب . وكانت البوارج الانكليزية (التي من طرز كوين اليزابث) تطلق نارها واحدة بعد اخرى على الاسطول الالماني كلما بات ضمن مرماها . فلما صارت المسافة بين طرادات القتال من الاسطولين ١٦ الف يرد انقلبت الطرادات الالمانية من السير جنوباً بغرب الى الشرق حتى صار البعد بينها وبين الطرادات الانكليزية ٢٠ الف يرد

الوجه الثاني

الساعة ٤ والدقيقة ٤٠ مساء

وفي هذه الساعة لاحت سحابة دخان خلف الطرادات الالمانية . ذلك ان الاسطول الالماني الاكبر الملقب بالانكليزية « هاي سيزفليت » اي اسطول عرض البحار اقبل لنجدة اسطول الطرادات وارسل امامهُ اسطولاً من النسافات حجاباً بينهُ وبين اعدائهِ . وكان يرى معترضاً الافق الشمالي الشرقي وزاحفاً في ثلاثة صفوف . وحينئذٍ دار اسطول الطرادات الالمانية وسار شمالاً بغرب ووقف بين الاسطول الانكليزي والاسطول الالماني الاكبر . وبذلك وقف الاسطول الالماني كلهُ امام اسطول الاميرال بيتي . وكان اسطول الاميرال جليكو لا يزال بعيداً عن ساحة القتال (شكل ٢)

وكان الاسطولان المتعاديان يمخران الآن متوازيين ولكن في جهتين مختلفتين فالالماني يجري شمالاً بغرب والانكليزي جنوباً بشرق . ولولا حركة بديعة اقدم عليها الاميرال بيتي لقطع الالمان خط الرجوع على اسطولهِ وفصلوهُ عن اسطول جليكو الاكبر . اما حركتهُ فهي انهُ حذا حذو الالمان فدار باسطولهِ مثلهم ولكن الى جهة مقابلة وبذلك بقي موازياً لهم ومتجهاً اتجاههم اي سائراً في جهة واحدة معهم لاعكسهم كما كان اولاً . فمنع بحركتهِ هذه الالمان من فصلهِ عن جليكو واعد لجليكو السبيل الى الالتفاف حولهم

وحالما اتمَّ حركتهُ الانقلابية وقطع « الدوران » سار باسرع ما يمكنهُ ليلحق الالمان ويتخذ لهُ مركزاً في نقطة يتقدم فيها عليهم . فتمكن من ذلك بفضل تفوق طراداته على طراداتهم في سرعتها . ولكنهُ قبل بلوغ نقطة الانقلاب فقد الطراد « اندفتيجابل » اذ مسَّ لغماً على ما يرجح . وكذلك فقد « كوين ماري » و« انفنسبل » عند نقطة الانقلاب حيث جمع اسطول الالمان الاكبر نارهُ . وكانت بوارج الانكليز التي من طرز كوين اليزابث قد فعلت بطرادات الالمان قبيل ذلك ما فعل اسطول الالمان الاكبر بطراداتهم . فانها جمعت نارها في نقطة انقلاب الطرادات الالمانية فدمرت طراداً حديث الطرز يظن انهُ الطراد هندنبرج . ولما اجتاز الاميرال بيتي نقطة الانقلاب اخذ يسير حذاء الاسطول الالماني والبوارج الاربع الكبرى تسير خلفهُ وهي تقاتل الاسطول الالماني الاكبر

الوجه الثالث

الساعة ٥ مساء

ثم دارت هذه البوارج الكبرى لتحاق باسطول الطرادات ولكن دورتها كانت في الجهة المقابلة لهُ . وفيما هي تفعل ذلك تعطلت دفة البارجة « وورسبيط » احداها فلم تدر فاصلتها ست من بوارج الالمان نارهنَّ واطبقن عليها (شكل ٣) . وقد ادعى الالمان انها فقدت وواقع الامر ان القنابل التي اصابتها كانت كثيرة ولكنها لم تصب اصابة تعطّل سيرها بل تمكنت في آخر الامر من اللحاق باخواتها بعد ان اغرقت بارجة المانية

وفي خلال ذلك دارت البوارج الثلاث الباقية فجأة لاجتناب نقطة الخطر حيث فقد الطرادان كوين ماري وانفنسبل وبقيت تقاتل الاسطول الالماني الاكبر « وتشاغلهُ » ساعة حتى وصل الاميرال جليكو الى ساحة المعركة . وانضمت البارجة ورسبيط اليهنَّ نحو الساعة ٥ والدقيقة ١٥ ولم تصبن اصابات تمنعهنَّ القتال وتمكنَّ بتفوقهنَّ على الالمان في سرعتهنَّ من الابتعاد عن جانب من صف الالمان الطويل الذي كاد الافق ان يغصَّ بهِ . وكنَّ يطلقن نارهنَّ على مدى ١٢ الف يرد الى ١٥ الفاً . فلم تأتِ الساعة ٥ والدقيقة ٤٥ حتى كنَّ قد ابعدن عن مرمى نصف الاسطول الالماني الاكبر وهنَّ مسرعات للانضمام الى اسطول الاميرال جليكو

وكان اسطول الطرادات الانكليزية قد بات محاذياً لاسطول الطرادات الالمانية

وسابقاً اياهُ فلما رأى الالمان ذلك تجنبوهُ بان داروا يميناً في زاوية قائمة فحذا الانكليز حذوهم . وتجدد القتال بين الاسطولين واخذ يشتد ففقد الالمان حينئذٍ الطراد درفلنجر . ونحو الساعة السادسة خفت نار الالمان كثيراً فاستدل من ذلك على حسن بلاء اسطول بيتي باسطول الطرادات الالمانية

الوجه الرابع

الساعة ٦ مساء

وكان الاسطول الانكليزي الاكبر قد لاح في الافق يجري في ثلاثة صفوف (شكل ٤) لمنيرت بوارج الاميرال بيتي الثلاث جهة سيرها ومالت نحو الاسطول الالماني لتفسح المجال للاميرال جليكو وتمكنهُ من صف بوارجهِ صفاً واحداً . فتم ذلك لهُ بسرعة على صعوبتهِ ووقف بين طرادات بيتي من الشمال وبوارج ايفان توماس الثلاث من الجنوب وكان هذه البوارج لا تزال قاوية على القتال رغم ما اصابها من قنابل الالمان . ثم قصد جليكو ببوارجهِ طليعة الاسطول الالماني ليقطع السبيل عليهِ وكانت البارجتان رفندج ورويال اوك اول البوارج التي بادأتهُ القتال بمدافعها من عيار ١٥ بوصة ثم البارجة اجنكور وهي مثلها قوة

وكان الاسطول الانكليزي كلهُ يتحرك الآن في جهة الاسطول الالماني وعلى زاوية قائمة ليقطع السبيل عليهِ . ولكن النور كان قد اخذ يتضاءل ومع ذلك تمكن جليكو قبل سطو الظلام واستيلاء الضباب من القضاء على الطرادات الالمانية الثلاثة التي في المقدمة

الوجه الخامس

في الظلام

وطارد الانكليز الاسطول الالماني وهم يكتنفونهُ — جليكو من الغرب وبيتي من الشمال وايفان توماس ببوارجهِ الثلاث (التي من طرز كوين اليزابث) من الجنوب (شكل ٥) . اما البارجة الرابعة ورسبيط فكانت قد اعيدت الى قاعدتها . وفي اثناء الليل هاجمت النسافات الانكليزية الاسطول الالماني فخسرت خسارة عظيمة ولكن بعد ان اغرقت سفينتين من سفن الالمان ثم اتضح للانكليز ان تلاؤُم حركات اساطيلهم

الثلاثة بات متمذراً تحت جنح الظلام ولاسيما ان الالمان رأوا بانوارهم الكشافة اسطول الاميرال توماس على بعد اربعة آلاف يرد منهم جنوباً فاغتنموا هذه الفرصة وانسلّوا بينهُ وبين اسطول جليكو ولم يتمكن جليكو من اطلاق النار عليهم لحيلولة النسافات الانكليزية بينهُ وبينهم

***

وكتب الاميرال ديوي الاميركي المشهور مقالة في جريدة « سي بوَر » اي القوة البحرية بعنوان « عبَر معركة سكاجراك — اهمية بوارج در يدنوط — ضعف طرادات القتال — نفع النسافات » قال فيها ما خلاصتهُ :

تلاقى اسطول عصري من الطبقة الاولى واسطول مثلهُ في ساحة القتال وكلٌّ منهما مجهز باحدث المخترعات والمكتشفات البحرية الحربية مما بني على النظريات دون العمليات . وقد كان يوم ٣١ مايو يوم التجربة والامتحان وستكون نتائجهُ ذات علاقة كبيرة باساطيل المستقبل في جميع البلاد . اما ما حدث في هذه المعركة فلا يزال مبهماً غير واضح حتى الآن ولكن يظهر لنا انهُ يمكن تلخيصهُ فيما يأتي

خرج الاسطول الالماني الى عرض البحر يتلمس فرصة ليضرب ضربة تكون على ما يروم ويشتهي . وكان الاسطول الانكليزي منتشراً على مسافة ثلاث مئة ميل في البحر الشمالي والنهار كثير الضباب لا ترى السفينة ما حولها الى ابعد من ستة اميال . وكان قصر المدى هذا في مصلحة الالمان لان اسطولهم كان مجموعاً عاقد العزم على القتال

وارسل الانكليز امام اسطولهم طليعة من النسافات وسفن الصيد للاستطلاع . وكان خلفها الطرادات السريعة وخلف هذه اسطول البوارج ليدعى اذا اقتضت الحال دعوتهُ . فاخبر الكشافة بوجود اسطول الماني في البحر امامهم فهبَّ اسطول الطرادات السريعة للقائهِ . ومعلوم ان هذه الطرادات لا تصلح لقتال بوارج در يدنوط وكان الانكليز يحسبون ان بوارج دريدنوط الالمانية لا بد ان تكون مهيأة للنزال ومع ذلك عقد الاميرال بيتي العزم على الوقوف في وجه الالمان ريثما يصل اسطول جليكو وفيهِ بوارج در يدنوط

والظاهر ان ثلاثة من طراداتهِ ضاعت في بدء القتال وهو يحاول الوقوف في وجه الالمان . وهذه الطرادات الثلاثةِ هي كوين ماري (طراد قتال من طرز سوبر در يدنوط)

والدر يدنوطان اندفتيجابل وانفنسبل . ولكن يظهر ايضاً انها قبل ضياعها حملت الالمان خسارة لم يذهب بها ذلك الضياع سدًى

ومغزى ذلك ان طرادات القتال وهي رقيقة الدروع لكي تبقى خفيفة لان السرعة مطلبها الاول ومدافعها الضخمة اصغر واقل من مدافع البوارج — لا يمكنها الاخذ والعطاء مع البوارج . وقد كان هذا الرأي رأي الخبراء البحريين من اولهم الى آخرهم حتى ايدتهُ معارك سكاجراك . فان كوين ماري وهي طراد حمولتهُ ٢٥ الف طن لم يصبر على نار قنابل الالمان بل غرق في اقل من لمح البصر

***

هذا هو الوجه الاول من المعركة . وبعد غرق الطرادات المذكورة وصل اسطول البوارج الانكليزية يتقدمهُ البارجة ورسبيط وكان مؤلفاً من اربع بوارج . فانهالت عليهِ قنابل الالمان انهيال المطر واصيبت كل من بوارجهِ الاربع مراراً عديدة . وكانت اصابات ورسبيط ومارلبورو[1] اشدها خطراً واصيبت هذه الاخيرة بتوربيد الالمان . ومع ذلك كلهِ لم تغرق احداها بل عادتا كلتاهما الى حيث ثرمان . وقد قصَّ ر بان البارجة ورسبيط حكاية بارجتهِ فقال ان دفتها تصدعت في اثناء القتال فباتت تتخبط على غير هدى ولكنها خاضت المعمعان واجتمعت عليها قنابل الالمان فردت عليهم بنار حامية اطلقتها من مدافعها كلها . ومع كل ما اصابها لم تغرق بل خرجت من ساحة القتال مثخنة بعد ان قامت بالمهمة التي صنعت البوارج لقضائها وبرهنت على صحة نظرية القائلين ببذل السرعة في سبيل الدروع الثخينة والمدافع الضخمة (خلافاً لما هو الحال في طرادات القتال)

ومما يستحق الذكر بوجه خاص عدم اغراق التوربيد للبارجة مارلبورو . واهمية ذلك قائمة بان الجمهور كانوا يذهبون الى ان التوربيد آفة بوارج الدريدنوط فلا يصيب توربيد بارجة الاَّ اودى بها ولكن سلامة البارجة مارلبورو من التوربيد من شأنها ان تزعزع هذا المذهب

***

هذا هو الوجه الثاني من المعركة . اما وجهها الثالث فهو تزول نسافات الفريقين الى

(١) اختلف هذا الكاتب عن كاتب المقالة السابقة في هوية البوارج الاربع فقد عدَّ هذا البارجة مارلبورو بينها ولم يعدها الاول . والمعروف انَّ مارلبورو ليست من اخوات كوين اليزابث بل اقدم منهن بسنة على انها ذكرت في بيان الاميرال جليكو وعرف منهُ انها اصيبت بتوربيد الالمان

الميدان . فان النسافات تراد لتكون حجاباً امام السفن الكبيرة ولتستطلع لها وكان الرأي حتى الآن انها لا تقوى على مهاجمة البوارج العظيمة في النهار بل تقضي مهمتها في جنح الليل او تحت الضباب . ولكن الالمان حلّوا عقال نسافاتهم في هذه المعركة نهاراً واطلقوها على سفن الاسطول الانكليزي . والمظنون ان نحو عشرين منها أغرقت والمرجح انها لم تفز باغراق سفينة من سفن الانكليز التي من الطبقة الاولى . ولكن لا جدال في انها اوشكت ان تقضي على البارجة مارلبورو كما تقدم القول ولم يقل احد ان هجومها على البوارج الكبرى ليس مستصوباً من الوجهة الفنّية

والمظنون ان الاسطول الانكليزي ردّ على الالمان باطلاق نسافاتهِ وارسالها الى المزدحم لتعثو بين سفنهم . والثابت ان نحو ١٢ نسافة منها فقدت ولا نعلم حتى الآن مبلغ ضررها بالاسطول الالماني فلذلك لا نبدي رأياً في صحة ذلك الهجوم او عدمها . على ان ذلك يجب ان لا يعمينا عن هذه الحقيقة وهي ان النسافات فعلت فعلاً كبيراً في القتال من اولهِ الى آخرهِ حتى يصحّ القول انها برهنت على نفعها في معركة عظيمة كالتي نحن بصدد الكلام عليها

وختم الكاتب مقالتهُ بقولهِ ان هذه المعركة جاءت مصداقاً لرأي الخبيرين في دوائر اميركا البحرية من وجوب الاعتماد في بناء الاسطول الاميركي على البوارج الكبرى. ثم ان وجود امثال هذه البوارج في الاسطول الانكليزي هو الذي مكّن انكلترا من حصر المانيا وحلفائها بحراً من غير ان تطلق رصاصة

على ان هذه المعركة لا تعلّمنا شيئاً عن قيمة المدافع على اختلاف مراتبها من صغيرة الى كبيرة . فان معظم القتال دار والسفن متقاربة فلا يقتضي ذلك جهداً في احكام الرماية . فان كلّ مدفع وكل رامٍ يصيب تقريباً على بعد ستة اميال . فلذلك لم تسنح للاسطول الانكليزي فرصة لاثبات ما يعزى الى مدافعهِ ورماتهِ من مزية التفوق على الغير . وكذلك نجهل عدد السفن التي اغرقها الاسطول الانكليزي من الاسطول الالماني ونجهل شدة فتك مدافعهِ التي من عيار ١٥ بوصة فلا يصح القول ان هذه المعركة كشفت لنا النقاب عن حقيقة امرها . انتهى

هذا وقد اثبت الاميرال جليكو القائد العام للاساطيل الانكليزية ان خسارة الانكليز كانت دون خسارة الالمان كثيراً لا كما خيّل لهُ في اول الامر اذ ظن ان خسارتهم تقل عن خسارة الانكليز . ويؤْخذ من تقريرهِ ان الفريقين خسرا من البوارج والطرادات والنسافات ما هو مذكور في البيان التالي

ما خسره الانكليز

الاسم	التفريغ	سمك الدرع	قطر المدفع الكبير بوصة	القوة بالحصان	السرعة بالميل البحري
كوين مادي	٢٨٨٥٠ حصانًا	٩ بوصات	١٣ ١/٢	٧٨٠٠٠ حصان	٣٨
اندفتيجابل	١٧٢٥٠ «	٧ «	١٢	٤٣٠٠٠ «	٢٧
انفنسبل	١٧٢٥٠ «	٧ «	١٢	٤٣٠٠٠ «	٢٧
ديفنس	١٤٥٠٠ «	٦ «	٩و٢	٢٧٠٠٠ «	٢٢و٥
بلاك برنس	١٣٥٥٠ «	٦ «	٩و٢	٢٣٥٠٠ «	٢٢و٥
وريور	١٣٥٥٠ «	٦ «	٩و٢	٢٣٥٠٠ «	٢٢و٥
	١٠٤٩٥٠			٢٣٨٠٠٠	

وخسروا ايضًا تسع نسافات

ما خسره الالمان

اما خسارة الالمان فكانت ثلاث بوارج من طرز دريدنوط التي يختلف تفريغها بين ١٨٥٠٠ طن و ٣٠٠٠٠ طن وسمك درعها بين ٦ بوصات و١٤ بوصة وقوة آلاتها البخارية بين ٢٠٠٠٠ حصان و ١٠٠٠٠٠ حصان وسرعتها بين ٢٠ ميلاً و٢٨ ميلاً وقطر مدافعها من ١١ بوصة الى ١٥ بوصة فيكون متوسط تفريغها نحو ٢٥٠٠٠ طن ومتوسط سمك درعها ١٠ بوصات ومتوسط قوة آلاتها البخارية ٦٠٠٠٠ حصان ومتوسط سرعتها ٢٤ ميلاً ٠ وعليهِ فتفريغ هذه البوارج الثلاث ٧٥٠٠٠ طن وقوة آلاتهما البخارية ١٨٠٠٠٠ طن

وخسروا ايضًا بارجة من طرز ديتشلند التي تفريغها ١٣٢٠٠ طن وسمك درعها ١٠ بوصات وقطر المدفع من مدافعها ١١ بوصة وقوة آلاتها البخارية ١٦٠٠٠ طن

وخمسة طرادات خفيفة مما تفريغهُ بين ٢٦٧٠ طنًا و ٦٣٠٠ طن وقوة آلاتهِ البخارية بين ثمانية آلاف حصان و ٤٥ الف حصان فمتوسط التفريغ نحو ٤٥٠٠ طن ومتوسط قوة آلاتهِ البخارية ٢٦ الف حصان ٠ وعليهِ فتفريغ هذه الطرادات الخمسة نحو ٢٢٥٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٣٠٠٠٠ حصان ومجموع تفريغ هذه السفن كلها ١١٠٧٠٠ ومجموع قوة آلاتها البخارية ٣٢٦٧٠٠

وخسروا ايضًا تسع نسافات ومدمرات

في جحيم الصحراء

كان عند الانكليز سفينة تجارية اسمها هيبرنيا فاخذتها حكومتهم واقامتها بين السفن الكشافة وسمتها تارا وجعلت مقرها في الانحاء الشرقية من بحر الروم. وفي الخامس من شهر نوفمبر الماضي التقت بها غواصة المانية على ثمانية اميال من السلوم وضربتها بالتربيد فنسفت آلتها البخارية وقتلت ١٢ من بحارتها واغرقتها في سبع دقائق . فنزل بقية ركابها في القوارب او رموا بانفسهم الى البحر . وظهرت الغواصة حينئذٍ فوق الماء ولكنها لم تحاول انتشال احد من الذين كانوا يحاولون السباحة بل امر ربانها الذي في القوارب ان يصعدوا اليها فصعدوا وقطرت القوارب وراءها الى ان وصلت الى ميناء السلوم فامرتهم ان ينزلوا هناك فنزلوا وانزلوا الذين اتوا بهم من القتلى والجرحى وكان على البر جماعة من الجنود الاتراك ومعهم ضباط من الالمان فسلّم اليهم هؤلاء الرجال كاسري حرب . وقد وصف اثنان منهم ما لقوهُ مدة اسرهم الى ان انقذهم دوق وستمنستر فلخصنا وصفهما بما يأتي قالا

كان نوري بك اخو انور باشا بين الضباط وكأنهُ اكبرهم مقاماً على ما يظهر فقال لنا اننا نستطيع ان نكتب الى اهلنا ونخبرهم اننا احياء وهو يرسل المكاتيب اليهم فكتبنا وسلمناهُ المكاتيب ثم وجدنا في اليوم التالي انهُ مزقها ورماها . واعطونا في الليلة الاولى عنزتين لنأ كل لحمها ولكنهم لم يعطونا آنية نظيفة فيها فجمعنا حطباً وقشاً واضرمنا النار وشوينا العنزتين واكلناها

ويشتدُّ الحرُّ نهاراً والبرد ليلاً في تلك الانحاء وكانت ثياب اكثرنا مبللة فليتصوَّر القارئ ما حلَّ بنا ذلك الليل ببردهِ القارس لاننا كنا في العراء السماء غطاؤُنا والارض فراشنا . وأُمرنا في الصباح ان نسحب قواربنا الى البر ونبعدها عن البحر مئة متر لكي يتعذر علينا الهرب بها . ثم أُعطي كلٌّ واحد منا بقسماطتين وهما جرايتهُ في اليوم وأُمرنا ان نمشي في وادٍ كلهُ حجارة صوان حادة فتجرحت اقدام الحفاة منا

وفي السابع من نوفمبر وصلنا الى مكان فيهِ نحو مئة من جنود الاتراك فاقيموا على حراستنا وجاءنا طبيب ليهتم بنا فتحسَّن طعامنا نوعاً بان زيد بقسماطة في اليوم لكل واحد وقليل من الارز وعنزة لنا كلنا ولكننا بقينا نبيت في العراء لا غطاء ولا وطاء

وفي الثاني عشر من نوفمبر أُرسلنا الى درنة وكنا نسير خمس ساعات سيراً حثيثاً ثم

نستريح قليلاً ونعود الى السير وفي الساعة الرابعة بعد الظهر نعطى جرايتنا وهي حفنة من الارز لكلٍ منا ونعاود السير سبع ساعات متوالية بما نحن فيهِ من الجوع والتعب وحراب البنادق تنخس ظهورنا . وكان المظنون اولاً ان المكان الذي ارسلنا اليهِ لا يجاوز بعده ٢٥ ميلاً فتجاوز ثمانين ولم نصل اليهِ

وفي السابع عشر من الشهر هرب واحد منا فأُخذنا بجريرتهِ والتزمنا ان نسير ٤٨ ساعة بلا طعام مطلقاً وبما لا يبل السنتنا من الماء . وهنا فرغ صبرنا ولم يبق فينا رمق وجعلنا نقع في الطريق اعياءً فامرنا الحراس ان نقف واعطوا كلاً منا كوبة من الماء ولكن لم يعطونا شيئاً من الطعام . ولما انتصف الليل انهضونا وامرونا بالسرى

وكل مدة سيرنا في القفر مسافة ٢٨٠ ميلاً لم تزد جراية الواحد منا في اليوم على بقسماطة وست ملاعق من الارز وكان متوسط سيرنا ١١ ساعة كل يوم وقائد الحرس راكب فيستحثنا حتى نجاري فرسهُ ونُضرَب اذا تأخرنا عنهُ

وكان اكثرنا حفاة ويكادون يكونون عراة ايضاً فحرقتنا الشمس وورمت السنتنا واسودَّت من العطش واحمرَّت عيوننا وبهرت من نور الشمس وصرنا نجر انفسنا جرًّا من شدَّة التعب والسغب فوصلنا الى بئر الحاكم ونحن في حالة يرثي لها قلب الجماد وصرنا حينئذٍ في اسر السنوسي . ولم تنتهِ مشاقنا هناك . والرياح في الليل شديدة قارسة وكنا ننام في العراء فاقمنا سوراً من التراب حولنا يمنع عنا عصفها . وابتدأ فصل الشتاء حينئذٍ فاعطانا العرب بعض الخيام القديمة لننام فيها وهي قذرة مملوَّة بالهوام . وزاد الطين بلة ان أُصبنا بالدوسنطاريا لكن الضابط العثماني الذي كان يتولَّى قيادة رجال السنوسي قال ان لا بدَّ من تشغيلنا ولو كنَّا موتى وامرنا ان نسير كل يوم خمسة اميال في القفر وننزح بعض الآبار ولكن اشتدَّ المرض على المرضى منا حتى رأى هذا الرجل ان اجبارهم على السير الى تلك الآبار صار ضرباً من المحال

وفي اول دسمبر اخذوا كل ما كان معنا من فضةٍ وذهب من نقود وساعات وخواتم وما اشبه وجعل النساء والاولاد يرشقوننا بالحجارة اينما رأَونا

وكان معنا كلب تبعنا من السفينة فرافقنا واشترك معنا في الضرَّاء وكان الحامي الوحيد لنا وهو اشفق على الانسان من الانسان

وكنا نعطى قليلاً من الدقيق من وقت الى آخر فنجبلهُ بالماء ونبسطهُ على قطعة محماة من الصفيح حتى يختبز ونسر بهِ كاطيب المآكل . وهنا صارت جرايتنا تعطى لنا كل اسبوع

وهي ثلاثة اكياس من الارز زنة كل منها نحو ثلاثين اقة فسررنا اولاً لاننا ظننّاها ارزّاً كلها ولكن لما فتحناها وجدنا في كلٍّ منها كثيراً من الحجارة الكبيرة . وفي نحو الخامس عشر من دسمبر امرنا السنوسي ان لا نأكل الاَّ مرة واحدة في اليوم وان نحفر خنادق تجري فيها مياه المطر الى الآبار . ومات واحد منا في ١٨ دسمبر وحينئذٍ استرحم طبيبنا ان يزاد طعامنا فجعلوا يعطوننا قليلاً من اللحم كل يوم على خمسة ايام ثم ابطلوا ذلك كأنهم ندموا على ما فعلوا

اما نحن فرأينا ان لا بدَّ لنا من السعي والجد لعلنا نجد شيئًا نقتات بهِ فوجدنا في القفر كثيراً من الحلزون فجعلنا نجمعهُ ونأكلهُ وقضينا اربعة عشر يوماً وطعامنا الحلزون ثم أعطينا قطيعاً من المعزى لنأكل منهُ عنزتين كل يوم ففعلنا الى ان أكلنا القطيع كلهُ فجعلوا يعطوننا شيئًا من التمر نحو عشرين تمرة لكلٍّ منا في اليوم . ووصلنا حينئذٍ الى اشد درجات الهزال وكان اكثرنا مصاباً بالدوسنطاريا وكدنا نقطع الرجاء من كل نجاة ورأينا ان لا بدَّ من ان نموت جوعاً اذا لم نجد منقذاً فعزم الكبتن ويمس ان يهرب عساهُ ان يصل الى السلوم ويسعى في نجاتنا فتربص الى ان ارخى الليل سدولهُ وكان قد اعدَّ قربة ملأَها ماء وحملها وكنا قد خبأنا لهُ قليلاً من التمر فوضعهُ في جيبهِ ليتقوت بهِ وتسلل خفية ولاذ بالفرار وبعد ايام قليلة سمعنا صوت البنادق فالتفتنا واذا فرسان من السنوسية قادمون وهم يسوقون هذا المسكين امامهم ولما وصلوا بهِ جلدوهُ بالسياط ورشقهُ النساء بالحجارة وجعلوا مبيتهُ في حظيرة المعزى

وفي ٢٣ يناير مات منا واحد آخر جوعاً فعدنا الى التفتيش عن الحلزون واكلهِ الى ان لم تبقَ حلزونة في تلك القفار وصرنا نضطر ان نبعد كثيراً في التفتيش عنها ووجدنا نباتاً يشبه الفصَّة فجعلنا نجمع جذورهُ ونسلقها ونأكلها واخيراً اتصلنا الى دق نوى التمر بالحجارة واكلها فتقوتنا كذلك الى العاشر من فبراير وحينئذٍ امر السنوسي لكلٍّ منا بقطعة صغيرة من لحم المعزى حتى اذا انتصف شهر مارس ولم يبقَ بيننا وبين الموت جوعاً واعياء قيد شبر وقد ايقنا بالهلاك قال واحد منا انظروا فاني ارى الحرَّاس في قلق فالتفتنا واذا بعض السنوسيين قد صعدوا على المرقب وجعلوا يتطلعون نحو المشرق ثم نزلوا وهرعوا الى خيامهم وجمعوا اسلحتهم ونساءهم واولادهم وما عندهم من زاد واركنوا الى الفرار . وبينما نحن مستغربون ما نرى لا نفقهُ لهُ معنى رأينا نقطة صغيرة في الافق ثم اخرى واخرى وبعد قليل تبيَّنا هذه النقط واذا هي اوتوموبيلات مدرعة ولم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى

وصلت الينا فطفح علينا السرور حتى لم تعد ارجلنا تحملنا . والاتوموبيل الاول كان فيهِ المستر غرغس الفارس الشهير والثاني كان فيهِ دوق وستمنستر

واول شيءٍ فعلهُ الدوق ورجالهُ انهم اطعمونا طعاماً لم نذقهُ منذ خمسة اشهر حتى امتلأَت ضلوعنا ثم وضعوا مرضانا في اتوموبيل خاص بحمل المرضى والبسوا كلاً منا رداءٍ كبيراً ووضعونا في الاتوموبيلات وعادوا بنا مسرعين . وسبقنا الدوق باتوموبيلهِ السريع ليعدَّ لنا مكاناً ننزل فيهِ فوصلنا اليهِ في الصباح التالي بعد نصف الليل بساعتين ورأَينا اللبن والوسكي في انتظارنا فاسترحنا بضع ساعات ثم جيءَ بنا الى السلوم ومنها الى السفينة رشيدة التي نقلتنا الى الاسكندرية . انتهى

فليقابل القارئ بين المعاملة التي عامل بها العثمانيون والسنوسيون هؤلاء الاسرى وبين المعاملة التي يُعامل بها اسراهم في القطر المصري وليرَ الفرق بين الامم . ولا عبرة بما يعامل بهِ الالمان اسراهم لانهم شذوا عن الامم المتمدنة باختيارهم حاسبين الارهاب وسيلة لقهر الاعداء كالبندقية والمدفع

اذا عاد التمدن القهقرى الى هذه الحالة الشوءمى فخير لنوع الانسان ان ينقرض عن وجه البسيطة

ويخطئ مَن يظن ان الاقدمين كانوا ارحم من المتأَخرين من هذا القبيل فان في تواريخ كل الامم القديمة من ضروب القسوة ما تقشعر منهُ الابدان . كانوا ينشرون الاسرى بالمناشير ويبقرون بطون الحوامل ويدوسون الاطفال بسنابك الخيل ويسملون العيون ويجدعون الانوف ويصلمون الآذان ويقطعون الايدي ويسلخون الجلود ولم يتركوا وسيلة من وسائل التعذيب الاَّ اتوها . لكن القرن الماضي ابطل كل ذلك تقريباً وكنا نرجو ان تزول آثار الهمجية في هذا العصر فاذا هي قد نمت وقويت

أَلَّفت سيدة اميركية رواية وصفت فيها ما كان الارقاء يلاقونهُ عند اسيادهم من ضروب العذاب فكانت تلك الرواية باعثاً على الحرب الاميركية الاهلية التي ابطلت الرق . فهل من كاتب بليغ يصف ما لاقاهُ الاسرى في هذه الحرب كما وصف كاتب المقالة المتقدمة عسى ان يكون في ذلك ما يدعو الى تبادل الاسرى حالاً والاتفاق على خضد شوكة التوحش .

كباري الحديد

استعمل العرب كلمة جسر لما يعبر بهِ فوق الانهر كما هي مستعملة في بلاد الشام واما في مصر فشاعت كلمة كبري التركية وخصّت كلمة جسر بالسد الذي يرفع على جانبي النيل او الترع لكي لا تطغو مياهها على ما حولها من الارض اذا علت

وهذا البحث اللغوي لا محل لهُ هنا لولا استثقالنا كلمة كبري ولا محل للبحث في الكباري ايضاً لولا رؤيتنا ما ادهشنا قُبَيْل كتابة هذه السطور فان الاعمال التي تعتمد على الحديد وقفت كلها تقريباً في هذا القطر فالذي كان يبني بيتاً اوقف بناءهُ لانهُ لا يستطيع ان يشتري لهُ كمرات الحديد بعد ان غلا ثمنهُ ثلاثة اضعاف والذي كان يحفر الترع والمصارف في اطيانهِ و ينشئ فيها السكك الزراعية ويحتاج فيها كلها الى مواسير الحديد اوقف العمل لغلائها الفاحش. فما كان اعظم دهشتنا حينما رأينا كبري امبابه ذلك البناء الحديدي الضخم تُوصل اجزاؤهُ بعضها ببعض و ينصب في مكانهِ كأنَّ الحديد باقٍ على سعرهِ وكأنَّ الحاجة ماسَّة اليهِ فلا كبري آخر الى جانبهِ والناس يعبرون النيل على القوارب كما كانوا يفعلون في العصور الغابرة. ولكن كبري امبابه قائم في مكانهِ وقطرات سكك الحديد تمرُّ عليهِ ذهاباً واياباً مراراً كل يوم وهو جامد لا يستغيث ولا يتحرك . نعم قد تنفصم عراهُ في لحظة من الزمان اذ قد قال المهندسون انهُ على غير ما يجب ان يكون من المتانة ولكن لا دليل على انهُ ضعيف الى حد يوجب المبادرة الى انشاء غيرهِ في هذا الوقت العصيب مع غلاء ثمن الحديد الاَّ اذا كان المقاولون قد اشتروا الحديد كلهُ واوصلوهُ الى مكانهِ قبل نشوب الحرب . ولعلَّ هذا هو الواقع

والقطر المصري والسوداني في مقدمة الاقطار التي استعملت كباري الحديد الكبيرة لان النيل من اكبر انهار العالم واوسعها وعندنا كبري الخرطوم وكبري نجع حمادي وكبري الروضة وكبري قصر النيل وكبري بولاق وكبري امبابه وكبري بنها وكبري كفر الزيات وكلها من اعظم كباري الدنيا لكنها ليست اعظمها ولا اصعبها بناء ولا اغلاها انشاء

واعلُّ انشاء الكباري الكبيرة مثل كبري قصر النيل وكبري بولاق وكبري امبابه من اصعب الاعمال الهندسية اذ يضطر المهندسون ان يصنعوا في المعمل كل قطعة منها وكل مسمار ويحكموا صنعها حتى لا يضطروا وقت تركيب اجزائهِ الى قطع او وصل ناهيك ما في حفر الاساسات

للعضائد (البغلات) من المشقة اذ قد يبلغ عمق بعضها مئة قدم الى ١٨٠ قدماً ولا بدَّ من حفرها تحت الماء ولو حوّل الماء عنها . واهمّ من ذلك ان الاجزاء المختلفة يجب ان تكون من المتانة بحيث تحتمل كل ضغط وشد ومقاومة واختلاف في التمدُّد والتقلُّص والاّ انفصمت . وللحديد طبائع فقد تتبلور اجزاؤهُ ويصير قصماً كالزجاج . كان العمال يعملون في كبري نهر سنت لورنس بكندا في صيف سنة ١٩٠٧ وعددهم ٨٦ فخسف الكبري بهم دفعة واحدة وسقط في النهر وكان ثقلهُ اكثر من ١٥٠٠٠ طن فقتل من العمال ٧٤. وتلوّت اجزاؤهُ بعضها على بعض حتى لم تخرج من النهر الاّ في سنة ونصف سنة وبعد اشد المشاق . وقد خسر المقاولون بسقوطهِ اكثر من مليون جنيه واقاموا شهرين يفتشون عن نقطة يستطيعون ان يبتدئوا بها لتفكيكهِ وانتشالهِ من قاع النهر واخيراً لجأوا الى قطع اجزائهِ الظاهرة فوق الماء بصهرها بالبودي الاستيليني ونسف الاجزاء الغائصة في الماء بالديناميت

وقد وضع رسم هذا الكبري مهندس من امهر المهندسين ولكنهُ اخطأ في حساب الفرشات التي توضع على العضائد فانهُ جعل طول كل فرشة منها خمس اقدام وعرضها كذلك فلم تحتمل الثقل العظيم الذي وضع عليها مع انها من الحديد ولما صنع هذا الكبري ثانية جُعل طول كل فرشة سبع اقدام وعرضها كذلك وعلوها ١٠ اقدام وثقلها ٤٠٠ طن . وسيكون طول هذا الكبري ٣٠٠٠ قدم وتبلغ نفقات انشائهِ مليوني جنيه

واكبر من هذا كبري التاي في اسكتلندا فان طولهُ ميلان وفيهِ ٨٦ عيناً او قنطرة وقد جعل من المتانة بحيث لا تؤثر فيهِ العواصف مها اشتدّت لان الكبري الذي كان قبلهُ هناك عبثت بهِ العاصفة فطرحتهُ هو وقطراً كان مارّاً عليهِ سنة ١٨٧٩ وقتل بهِ حينئذٍ ٦٧ نفساً وقد وصفنا ذلك حينئذٍ في مقتطف مارس سنة ١٨٨٠

ومن الكباري البديعة في بابها كبري الفورث في بلاد الانكليز ايضاً وهو اول كبري استعملت فيهِ الكوابيل والكابول عضادة بارزة من بناء يستند اليها شيء يبنى عليها كالشرفات ونحوها وطول هذا الكبري ٨٢٩٥ قدماً وفيهِ ٥٠٩٥٨ طنّاً من الصلب وثلاثة ابراج كبيرة من الصلب ايضاً ارتفاع كلٍّ منها ٣٤٥ قدماً وقد تألّت الكوابيل منها وهي ستة يمتد كلٌّ منها ٦٨٠ قدماً . قال السر بنيامين باكر مهندس هذا الكبري انهُ لو علق بطرف كل كابول منها بارجة حربية من اكبر البوارج لما اثر ثقلها اقل تأثير بالاربطة التي تربط ذلك الكابول براس البرج

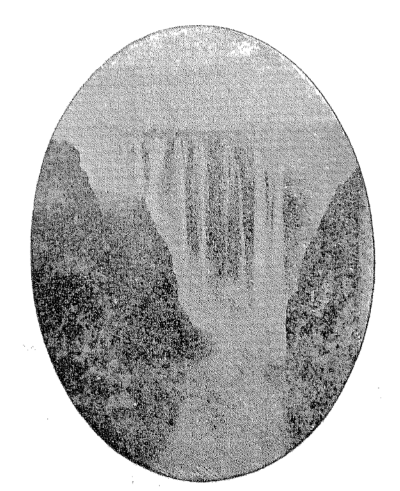
ويتلو هذا الكبري في السلطنة البريطانية كبري هردنج الذي تمّ انشاؤهُ حديثاً على

نهر الكنك في بلاد الهند فقد بلغت نفقاتهُ ٥٠٠ ٦٦٦ ٢ جنيه وبلغت نفقات كبري الفورث ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه · ونهر الكنك يفيض بعد ما يذوب الثلج على جبال حملايا ويغمر البلاد حول ضفتيهِ فلا يبقى سبيل لعبور المارة عليهِ فاضطر المهندس الذي اقامهُ ان يقيم لهُ سدوداً على جانبيهِ الى بعد ٣٠٠٠ قدم فوقهُ و١٠٠٠ قدم تحتهُ · وبطنت السدود بحجارة ضخمة ثقل الحجر منها من طنين الى سبعة اطنان · وللكبري ١٦ عضادة (بغلة) بلغ عمق اساسها من ١٥٠ الى ١٦٠ قدماً وما وضع في الاساس اساطين كبيرة من الحديد طول كل اسطوانة منها ١٦ قدماً وثقلها ١٦٠ طناً كانت تركَّب على الشاطىء ويؤْتى بها الى حفرة الاساس وتنزل هناك · وفي الكبري ١٦ قنطرة من الصلب سعة كلٍّ منها ٣٤٥ قدماً وثقلها ١٢٥٠ طناً وستة قناطير على الضفتين وثقل الكبري كلهِ ٣٠٠٠٠ طن من الصلب وقد صنعت كل اجزائهِ في بلاد الانكليز ونقلت الى الهند .

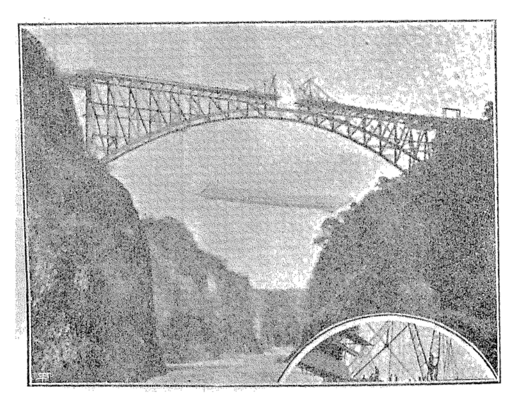
ومن اعجب الكباري الكبري الذي اقيم فوق شلال فكتوريا لاجل السكة التي يراد ان تصل القاهرة برأس الرجاء الصالح فانهُ كان ارفع كبري في الدنيا اذ يبلغ ارتفاعهُ ٤٢٠ قدماً ولكن الفرنسويين بنوا قناطر الفاد منذ سنتين وارتفاعها ٤٤٠ قدماً فصارت ارفع الكباري كلها .

وقد بني هذا الكبري فوق شلال فكتوريا من الجانبين في وقت واحد واحتال المهندس لذلك بأن حفر في كل جانب بئرين في الصخر الاصم عمق كلٍّ منهما ثلاثون قدماً والبعد بينهما ٣٠ قدماً وحفر سرباً يصل بين قاعيهما واجاز فيهما حبلاً ثخيناً جدًّا من اسلاك الحديد المفتولة وربط ذلك الجانب من الكبري بهِ حتى يثبت في مكانهِ ولا يهوي ويقع في الهوَّة التي تحتهُ اي ربط كل جانب برزة في الارض وهذه الرزة جبل من الصخر الصلد ثخن حلقتها عشرة امتار .

وخيف ان يقع احد العمال او يقع شيء من ادواتهم في الهوة التي تحتهم فمدت شبكة من الحديد تحت الكبري حتى تتلقى ما يقع · وكانت اجزاء الكبري قد صنعت كلها على تمام الدقة ولما تمَّ بناؤُهُ اي لم يبقَ الاَّ القطعة الاخيرة التي تصل بين الطرفين وُجد انها اطول مما يلزم نحو ثلاث بوصات لان الحر الشديد الذي اتفق حدوثهُ ذلك اليوم اطال كل اجزاء الكبري فبلغ مجموع طولها ثلاث بوصات لكن ما حدث في النهار زال في الليل فلما قام العمال في الصباح وجدوا البعد بين الطرفين مساوياً للقطعة الاخيرة فوضعوها في مكانها فجاءت محكمة الوضع

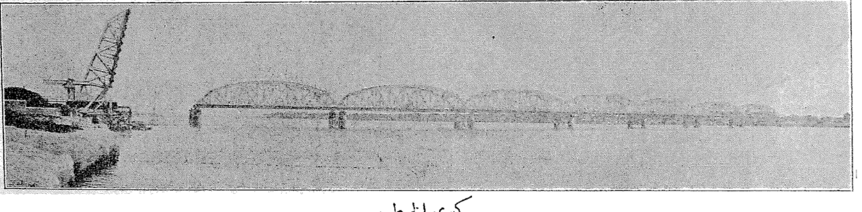


شلال فكتوريا



كبري شلال فكتوريا

مقتطف سبتمبر ١٩١٦
امام الصفحة ٢٧٠



كبري الخرطوم

مقتطف سبتمبر ١٩١٦
١١ الصف[illegible]

وقد بنى الاميركيون حديثاً كبرياً فيهِ من الصلب ما زنتهُ ٨٠٠٠٠ طن وفيهِ قنطرة سعتها ١٠٠٠ قدم . وعندهم ثلاثة كباري معلقة وهي اكبر الكباري المعلقة وتعد من اعظم عجائب الهندسة ويختلف طولها من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ قدم وسعة فرجتها من ١٤٠٠ الى ١٥٠٠ قدم ويمر على كلٍّ منها اربع سكك حديدية وسكتان للترمواي عدا طرق المركبات والسابلة . ومن هذه الكباري كبري بروكلين وقد بني في ١٣ سنة وبلغت نفقات بنائهِ ٣٢٠٠٠٠٠ جنيه وفيهِ اربعة حبال من اسلاك الصلب قطر كل حبل منها اربعون سنتمتراً وطولهُ ١٢٠٠ متر

اما الكباري المصرية والسودانية فعلى كبرها تقصر عن الكباري المذكورة آنفاً في حجمها ومبلغ نفقاتها اقدمها كبري كفر الزيات . فكبري الخرطوم مثلاً طولهُ ١٨٣٥ قدماً فقط وهو مؤلف من سبع قناطر (فتحات) كبيرة من الصلب قائمة على بغلات (اساطين) من الفولاذ ايضاً ولهُ في احد طرفيهِ غلق طولهُ ١١٠ اقدام وثقلهُ الف طن يرتفع بآلتين كهربائيتين وثقل كل قنطرة من القناطر السبع ٥٣٣ طنًّا وثقلها مع فرشها ٨٠٠ طن وقطر كل بغلة من بغلاتهِ ١١ قدماً من اعلاها و ١٦ من اسفلها وثقلها ١٢٠٠ طن ويغور بعضها في الارض الى عمق ٨٣ قدماً وهي مجوفة ومملوءة بالخرسانة وعليهِ فثقل الكبري كلهِ مع كتفيهِ نحو ٣٥ الف طن

وكبري بولاق يبلغ طولهُ ٢٧٥ متراً (اي نحو ٩٠٥ اقدام) وعرضهُ عشرون متراً وهو مؤلف من اربع فتحات ثابتة طول كل فتحة منها ٥٠ متراً وفتحة متحركة في وسطهِ وهي مجاز للمراكب سعتها سبعة وعشرون متراً . وقد بلغ وزن الصلب في عتب كل فتحة اكثر من ٥٠٠ طن والجزء المتحرك الذي يفتح لمرور المراكب لهُ كفتان في كل كفة صندوق كبير محشو بالحديد والخرسانة ثقلهُ ٦٠٠ طن . ولم يذكر كم ثقل الكبري كلهِ ولكنهُ يقل عن ثقل كبري الخرطوم

وحبذا لو وضعت وزارة الاشغال العمومية رسالة مسهبة في كباري السلطنة المصرية كلها

سكان غربي آسيا

خلاصة البحث

اذا اردنا تلخيص ما تقدم لنا من البحث في هذا الموضوع واستنتاج النتائج منهُ لا نرى بدًّا من ترك بعض الشعوب القاطنة غربي اسيا وشأنهم كالسود والنجر والجركس والالبان والبلغار والبوسنيين والافرنج الذين قطنوا الشرق منذ طويل (الفرنك والليفنتين) . فان البحث في اصلهم وفصلهم خارج عن موضوعنا هذا

اما الشعوب الباقية فاهمها لدى كاتب هذه المقالات الاكراد . وغاية ما يقال عنهم ان كثرة الشقر فيهم تدلّ على ان موطنهم الاصلي بعض البلاد الشمالية . ويرجح بناءً على لغتهم الآرية انهم ينتسبون الى قبائل الميتاني التي كانت لها آلهة آرية في القرن الثالث عشر قبل المسيح . واني اعلم تمام العلم ان ليس عندنا دليل واضح على صحة هذا القول ولكنني ارى ان الاكراد والاموريين المذكورين في التوراة وقبائل الميتاني المشار اليهم آنفاً والذين ذكروا في احافير بوغاز كوي وقبائل تاميهو الذين ذكروا في الكتابات المصرية القديمة هم منتسبون بعضهم الى بعض ان لم يكونوا شعباً واحداً . والظاهر ان بعض قبائل الشمال جعلت تهاجر الى بلاد الاناضول وسورية وايران ومصر والهند في القرن الخامس عشر قبل المسيح او نحو ذلك . واذا صحّ ان الكتابات القديمة تقول ان الاموريين والتاميهو كانوا شقر الالوان امكننا بذلك ان نعلل كثرة ما يرى من الشقر الآن في الاناضول وسورية وبين اليهود معاصرينا

اما الشعوب الاخرى المنتشرة في غرب اسيا كالطهطجية والألاّوية والانصارية والقزل باش واليزيدية والبكطاش ممن يتكلمون التركية والعربية والكردية مع تجانسهم تجانساً تاماً في الصفات الطبيعية — يضاف اليهم الدروز والموارنة — فقد تقدم القول انهم ذوو رؤوس عالية ومستديرة ومسطحة كلّ التسطح من القفا وذوو انوف شماء . ومثلهم كثيرون بين الايرانيين والترك والاروام والارمن . ويظهر من القرائن ان استدارة الرؤوس فيهم قديمة اصلية وطولها حديث مجلوب بالمهاجرة . وهذا الرأي مؤيد بالاعتبارات التاريخية وبالاحافير الحديثة . منها انهُ في اواخر القرن الثالث عشر قبل المسيح عقد

رعمسيس الثاني صلحًا مع ملك الحثيين وكانت مملكتهُ بعيدة الاكناف ممتدة من غرب الاناضول الى ما بين النهرين ومن قادس على نهر العاصي الى البحر الاسود · ولسنا نعلم الآن هل كان سكان تلك المملكة الواسعة شعبًا واحدًا متجانسًا ولكن عادياتهم تظهرهم لنا بمظهر واحد لا شذوذ فيهِ فرؤُوسهم عالية مستديرة وانوفهم شبيهة بانوف ذوي الرؤُوس المستديرة من سكان غرب اسيا · ولا ريب عندي ان هؤُلاء سلالة الحثيين وقد حافظوا على صفاتها الطبيعية مدة ثلاثة آلاف سنة · وهذه الصفات تشبه صفات اليهود وتطابق معنى الجمال العبراني القديم كما جاء في نشيد الانشاد « عيناك كالبرك في حشبون · أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق » · ولكن هذا الجمال ليس ساميًّا وقلما تلمحهُ بين الساميين الحقيقيين كالبدو مثلاً

هذا وان الكتابات الحثية لم تقرأ حتى الآن ولكن علماء اللغات الشرقية مجمعون على القول ان اللغة الحثية ليست من اللغات الساميّة في شيء بل ان الحثيين كانت لهم لغة وكتابة وديانة خاصة بهم · وليس للساميّة اثر في العصور القديمة واهلها · وما كان لها من الاثر بدأ يظهر في عصر متأخر وكان ظهورهُ اولاً في بابل ثم في فلسطين فشمال سورية · ولما كان « تسوب » عميد آلهة الحثيين لم يذكر في الكتابات الساميّة التي وجدت في سنجرلي صح لنا ان نستنتج ان الغزاة الساميين جلبوا معهم الى شمال سورية كتابتهم ولغتهم وديانتهم نحو سنة ٩٠٠ قبل المسيح او قبل ذلك التاريخ ولكننا نجهل عددهم والتاريخ لا يدلنا على مقدار تأثيرهم في الصفات الطبيعية التي للحثيين القدماء سكان تلك البلاد

على ان معظم الصعوبة التي نجدها في هذا البحث هي معرفة الوطن الاول الذي جاء منهُ الحثيون وجميع شعوب غرب اسيا ممن امتاز بالجمجمة المستديرة والانف الاشم الضيق · ومما يذكر في هذا الباب ان الشعب المعروف باسم « ألبين » نسبة الى جبال الالب في اواسط اوربا بينهُ وبين تلك الشعوب لحمة نسب لا تنكر ولكن لا يسعنا لاول وهلة ان نقول هل جاء الحثيون من اواسط اوربا ام ذهب الالبيون اليها من غرب اسيا · واهل المذهب الثاني اكثر عددًا · وان كان لا يزال للمذهب الاول انصار فهم يستندون الى ما هو معلوم من ان الارمن والفرس المحدثين وهم يمثلون الحثيين تمام التمثيل يتكلمون لغات آرية · فنقول في الردّ على هذا ان كثيرًا من الامم والشعوب استبدلت لغاتها باخرى من غير ان تفقد صفاتها

الطبيعية فلا بدع اذا قلنا هنا ان اسلاف الاكراد الاقدمين وهم من الجنس الاشقر الاصهب اعاروا لغتهم الآرية للارمن والفرس القدماء من غير ان يؤثروا في صفاتهم الطبيعية . ولا ننسَ ان اوربا ليست في الحقيقة سوى شبه جزيرة ملحق باسيا وان الشعوب التي تمثل الحثيين اكثر كثيراً في اسيا منها في اوربا . فالاوجه لذلك ان يقال ان مهد الحثيين في اسيا حيث نجد ذوي الرؤُوس المستديرة منتشرين شرقاً حتى برما وسيام والارخبيل الملقي

وخلاصة ما تقدم انهُ كان يقطن غرب اسيا في الزمان الاول شعب متجانس اسمر البشرة برؤُوس مفلطحة وانوف شماء ضيقة . وفي نحو سنة ٤٠٠٠ قبل المسيح اخذ يهاجر الى تلك البلاد شعب ساميٌّ من الجنوب الشرقي . والمرجح انهُ هاجر من بلاد العرب وان المهاجرين كانوا يشبهون في ملامحهم البدو المعاصرين لنا . وبعد ذلك بالفي سنة بدأَت مهاجرة ثانية ولكنها جاءَت من الشمال الغربي وكان الشعب المهاجر هذه المرة اصهب اشقر ذا رؤُوس طويلة كالاكراد المحدثين ولكنهم كانوا اشبه بالهمج منهم بالمتمدنين وربما كانوا متصلين بالاموريين والغلاطيين في النسب

و يقال بالاجمال ان المحدثين من الترك والاروام واليهود مزيج من هذه العناصر الثلاثة الحثيّ والساميّ والاصهب . اما الارمن والايرانيون والدروز والموارنة وسائر نحل سورية واسيا الصغرى فانهم يمثلون العنصر الحثي القديم ولم يؤثر فيهم سيل الغزاة اوكان اثرهُ فيهم ضئيلاً

ومن الاغلاط التي كانت كثيرة الشيوع فيما مضى ان يقال الشعوب الآرية بدلاً من الشعوب التي تتكلم اللغة الآرية اي ان الكتاب كانوا يخلطون بين الجنس واللغة . وذهبوا الى ابعد من ذلك فقالوا جماجم آرية وعيون آرية حتى شدد مكس ملر النكير على علماء اللغة لتطفلهم على موائد علماء علم الانسان وقال « ان قولنا نحوٌ مفلطح الراس ليس باغرب ولا ادعى الى الهزء من قولنا جمجمة آرية »

باب الزراعة

استغلال الارض

(٨)

اذا استثنينا اركان عمارة الارض الاساسية كانشاء الترع والمصارف الكبرى فيها واحياء مواتها وخصصنا النظر باستغلالها بعد استيفائها تلك الاركان وجدنا ان صناعة الفلاحة حينئذٍ تخالف سائر الصناعات التي تربو منتجاتها اكثر بادارتها بروؤس اموال عظيمة وآلات ميكانيكية كبيرة تغني عن عديد العمال وانهُ لا يربو ريعها كما ينبغي الأ اذا جزئت اجزاء صغيرة لتوقف اتقانها على العناية الشخصية والمهارة اليدوية . ولذلك ولما ذكرناهُ في مقالتنا الاولى كانت الغيطان الصغيرة وما داناها من الغيطان المتوسطة التي يقوم اصحابها باستغلالها بانفسهم واهلهم اوفر غلة من الغيطان الكبيرة غالباً واقل مصروفاً دائماً على تفاوتهم في العمل بقواعد الفلاحة مع رسوخها فيهم (لطول الفتهم لها ومزاولتهم اياها منذ نشأتهم) تبعاً لتفاوتهم في القدرة والعناية . ولذلك لا يندر ان نجد غيطين متلاصقين يُغل احدهما ضعف غلة الآخر لا لسبب سوى اتقان الفلاحة في الاول وقصورها في الثاني

وغالباً يخص الفلاح اسمى عنايتهِ بزراعة الحبوب لقوتهِ والبرسيم لماشيتهِ . ومع علمهِ باهمية زراعة القطن في الدورة الزراعية عملاً ومحصولاً وبذلهِ اقصى المجهود الذي يستطيعهُ في تنميتهِ — لانهُ من ثمنهِ يوفي دينهُ ويسدد ضرائب الحكومة ان كان مالكاً او الايجار ان كان مستأجراً ويقضي لوازمهُ — لا يأبى ان يؤخر زرعهُ عن إبانهِ الانسب نظير حشة برسيم وان يصرف عنايتهُ عنهُ والديدان والعطش تفتك بهِ الى تسميد ارض الذرة واطفاء شراقيهِ

ان معارف الفلاح واحوالهُ الاقتصادية (وشأنهُ في ذلك شأن سائر جمهور الامة على اختلاف مهنها وطبقاتها ايضاً) لا تؤهلهُ الى ترتيب شؤنهِ ترتيباً يمكنهُ دائماً من ان يفتدي بفوات بعض الفائدة الوقتية وان صغرت ما يتلوها من خسارة تخشى او فائدة ترجى وان عظمت او الى اكتناه حقائق الاشياء اكتناهاً يؤل الى تجنب ما يستبين ضررهُ والعمل بما يحقق نفعهُ . والسبب في ذلك ما توارثهُ من الصفات التي تولدت في عصور الاستبداد الغابرة مع فقد التربية والتعليم الصالحين . هذا من جهة ومن جهة اخرى حرمانهُ من وسائل

التعاون المعروفة في الامم الراقية وعدم اخذ الملاك بيدهِ اذا كان مستأجراً ولو باعتبار انهُ اداة من ادوات استغلال مزارعهم يجب ان تعنيهم قوتهُ وصلاحها بقدر ما تعنيهم فائدتهم الخاصة

فهذه الاحوال واشباهها من اكبر العوائق في عدم بلوغ غلة الارض الشأو الذي يمكن الوصول اليهِ باستعمال الوسائل المعروفة الآن في الفلاحة حق الاستعمال . وليس بصحيح ما يتوهم الذين يكتبون في الاقتصاديات الزراعية عن جهل الفلاح بالفلاحة ونفوره من المستحدثات العصرية فيها فان الفلاحة العملية تتمثل في عمل هذا الفلاح باكثر مما تتمثل في ارقى المعاهد الزراعية وما هي الآن الاَّ عبارة عن قواعد اهتدى اليها الفلاحون بالتجارب ورسخت فيهم بالمزاولة ولم يدوَّن منها في الكتب الاَّ بعض من كلٍ مما هو معروف في العرف الزراعي على اختلاف بيآتهِ

ان الذين يكتبون في الفلاحة عن خبرة عملية يعترفون بحكمة القواعد التي يعمل بها الفلاح المصري و بانطباعهِ على تنفيذها و يرون ان ترقي الفلاحة لا يكون الاَّ بالبدء من الاساس وهو عمل هذا الفلاح فنجمعهُ ونهذبهُ من جهة بينما نكون آخذين بمعارفنا وتجاربنا للزيادة عليهِ بقدر ما يمكن من جهة اخرى . فهل هناك شيء من ذلك الآن يؤبه لهُ ويعوَّل عليهِ ؟ وهل طريقة معاهدنا الزراعية في خدمة الفلاحة الفنية هي الطريقة المثلى ؟ وهل لنا ان نرمي الفلاح بالجهل ولاسيما اننا لا نعرف الاَّ بعض ما يعرف ولا نعمل مثلما يعمل ؟

ان وزارة الزراعة ذاتها تعترف بان طريقتها في الحقول التي انشأتها لتحسين زراعة القطن انما هي اتقان العمل بالوسائل المعروفة فقط . وقد قال المرحوم برش باشا مدير شركة كوم امبو الزراعية ما معناهُ « اننا لم نفلح في استغلال اطيان الشركة بمعارف مهندسينا الزراعيين بل بالجري على طريقة الفلاح المصري »

وقد نشر المقطم منذ مدة عبارة عن لجنة التجارب الملوكية بانكلترا اعترفت فيها بحكمة الفلاح المصري في تنمية زراعة القطن بعد ان حاولت عمل تجارب تخالف بعض ما يعمل بهِ فلم تفلح فيها

وكل هذا لا ينفي ان الفلاح يكون احياناً قليل التبصر والحزم في بعض المسائل الزراعية ولكن ذلك لا يكون الاَّ الى حدٍ محدود وشأنهُ فيهِ شأن سائر اهل الصناعات الفقراء والذين لم تنتشر بينهم مبادئ التنور العام . والحق انا نجد الفلاح من حيث هو فلاح اكثر نشاطاً وامانةً لعملهِ من سائر اهل الصناعات الاخرى

وعندي ان ازدياد ريع الارض لا يتوقف الآن على شيء بقدر ما يتوقف على اصلاح حال الفلاح . وسيجيء في مقالة آتية بحث عن الآلات الزراعية الحديثة وانهُ لم يوافق فلاحتنا وظروفها منها الاَّ بعضها فقط وان الظروف الزراعية لا تسمح بالتوسع في استعمال ما وافق منها الاَّ في المزارع الواسعة والى حدٍ محدود احمد الالفي

مقطوعية القطن في العالم

بقلم الاستاذ طود

نشرت جريدة التيمس في ملحقها التجاري الذي اصدرتهُ في شهر يوليو مقالة في هذا الموضوع بقلم الاستاذ طود وهو من الثقات الذين يعول على علمهم وخبرتهم في كل ما يتعلق بمحصول القطن وتجارتهِ في جميع البلدان التي تزرعهُ وكتابهُ في « محصول القطن في العالم » من الكتب التي يشار اليها بالبنان . وهذا ملخص ما ورد في مقالتهِ المذكورة

اجمع العارفون على انهُ ستقع مشاكل اقتصادية عظيمة الشأن بعد ما تضع الحرب اوزارها ولاسيما في صناعاتنا الكبرى ولكن قل من يدري ان بعض هذه المشاكل نشأ الآن و برز الى حيز الوجود قبل ان تنتهي الحرب

مضى على نشوب الحرب زمان استردت فيهِ صناعاتنا الكبرى قوتها بعد الصدمة الشديدة التي صدمت بها فنهضت من كبوتها الاولى والفنا نحن الحالة الجديدة وطبقنا اعمالنا عليها حتى كدنا نرى الامور تعود موقتاً الى مجراها المعتاد ولكن الحالة الحاضرة ستنقلب رأساً على عقب متى ابرم الصلح فيجدر بنا ان نستعد للنزاع القادم متى أتى

وخير مثال يوضح مرادي تجارة القطن فان تأثير الحرب فيها كان في اول الامر هائلاً ومع انها استردت توازنها بعد مدة من اعلان الحرب فحالها لا تزال حرجة تقضي بالاهتمام بها لمعرفة ما يصيبها بعد الحرب اذ القطن من المحاصيل التي يجب على من يتجر بها ان يمد بصرهُ لطول المدة التي تقع بين الشروع في زرعهِ و بيع منسوجاتهِ للجمهور ولبسها

فالقطن الذي زرع في معظم انحاء العالم الآن لا يباع منسوجاً للجمهور قبل صيف سنة ١٩١٧ وجانب كبير منهُ يبقى الى السنة التي تليها فيجب علينا اذاً ان ننظر في ما يحتمل وجودهُ من القطن في العالم بعد عقد الصلح

الطلب العام على القطن

اذا شئنا تقدير حالة القطن المستقبلة وجب علينا ان ننعم النظر في حالتهِ الماضية وحسبي

ان اقول في ذلك ان محصول القطن في ما مضى كان يزداد زيادة سريعة ولكن الزيادة في مقطوعيتهِ كانت اعظم جدًّا بل ان الادلة والقرائن تثبت ان المقطوعية كانت تزيد اكثر من ذلك لو توفر القطن اللازم لها ولكن قلتهُ حالت دون اتساع نطاقها الاتساع الطبيعي فان تسعة اعشار الثياب التي يلبسها سكان العالم مصنوعة من القطن علاوة على ان القطن يستعمل لامور واعمال اخرى وقد زاد الطلب اولاً بزيادة سكان الدنيا وسرعة انتشار عادة ارتداء الثياب وثانياً بتحسين انواع المنسوجات التي تصنع من القطن تحسيناً عجيباً فكل منسوج الآن يمكن صنعهُ من القطن . ومعظم المنسوجات تصنع منهُ فعلاً

واذا انعمنا النظر في الاحصاءات التي لدينا ظهر لنا منها حقيقتان لهما اتم علاقة بهذه الزيادة في المقطوعية فالحقيقة الاولى هي ان المقطوعية كانت اكثر من المحصول في خمس سنوات من عشر سنوات سبقت اعلان الحرب والثانية ان ثمن القطن في العشرين السنة الماضية زاد تقريباً مئتين في المئة فقد كان سعر القطن الاميركي (مدلن) في لفربول في سنتي ١٨٩٤ و ١٨٩٨ اقل من ٣ بنسات الرطل فبلغ في شهر مايو الماضي ٣/٤ ٨ بنس

وبعد هذا يجدر بنا ان ننظر في تأثير الحرب في تجارة القطن في ما يختص بالموجود من القطن الخام فانهُ لما اضطرمت نار الحرب تضعضعت اسواق القطن تماماً فاقتضت الحال اقفالها في لفربول ونيويورك ونيواورليانس وبريمن والهافر وعينت اسعارهُ بواسطة لجان تقوم بهذا العمل في اثناء اقفال البورصات ولكن تلك الاسعار كانت اعلى من الثمن الحقيقي حينئذٍ . ومما يدل على شدة هبوط السعر ان الثمن الذي دفعهُ تجار نيواورليانس للزراع في شهر اكتوبر سنة ١٩١٣ كان ١٤ سنتاً الرطل (٢٨ مليماً) وكان اقل سعر رسمي في لفربول في شهر دسمبر ١/٤ ٤ بنس مع ان متوسط السعر في العام السابق كان ١/٤ ٧ بنس

تقليل مساحة القطن في اميركا

فهذا الهبوط في سعر القطن اثر تأثيراً عظيماً في زراعتهِ فان نفقة زرع القطن واستغلالهِ في اميركا ارتفعت ارتفاعاً كبيراً في السنوات الاخيرة فلما هبط السعر الهبوط الذي تقدم ذكرهُ رأى الزراع الخراب بعيونهم وقد كنا في انكلترا نعتقد ان الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة مضطرة الى زرع القطن لانهُ المحصول الوحيد الذي يجود فيها ولكن الحرب اثبتت فساد هذا الزعم فقد خفضت مساحة الارض التي زرعت قطناً هناك ١٥ في المئة سنة ١٩١٥ وبلغ النقص في البلدان الاخرى كالهند ومصر ٣٠ في المئة فنشأ عن ذلك نقص عظيم في محصول سنة ١٩١٥

ولم يطل الزمان حتى ظهر ان الموجود من القطن لا يكفي لسد مقطوعية العالم اذا نشط الطلب بالرغم مما كان يظن من وجود مقادير عظيمة منهُ في شؤُن اميركا ولم تكد هذه الحقيقة تذاع حتى بدأ الطلب بنشط فاخذت الاسعار ترتفع حتى بلغت منزلة رفيعة في سبتمبر سنة ١٩١٥ وبعد ما كان السعر الرسمي ٤ ١/٤ بنس في ديسمبر سنة ١٩١٤ ارتفع حتى بلغ ٨ ٣/٨ بنس في ١٩ مايو كما تقدم فتضاعف السعر في اقل من ١٨ شهراً

فماذا يكون مصير الحالة بعد ١٨ شهراً من هذا التاريخ

ان الحالة الحاضرة لا تخلو من البواعث على القلق فمحصول هذا العام لا يكون أكبر مما يحتاج العالم اليهِ حتى ولو اقتصرنا على المقطوعية الحالية لان المحاصيل لا تتجاوز المتوسط مع ان المقطوعية ستتجاوز متوسطها ولو في بعض البلدان فاذا نظرنا الى الموجود اولاً قلنا ان كل شيء يتوقف على المحصول الاميركي لانهُ يبلغ نحو ٦٠ في المئة من محصول العالم كلهِ والمحقق ان مساحة الارض المزروعة قطناً في الولايات المتحدة لا تبلغ القدر الاعظم الذي بلغتهُ سنة ١٩١٤ وهو ٣٧٤٠٠٠٠٠ فدان علاوة على ان اركان اقبال الزراعة في هذا العام كملاءمة الاحوال الجوية واستعمال السباخ اللازم ليست وافية بالمرام وقد بلغ المحصول سنة ١٩١٤ نحو ١٧ مليون بالة . وعندي انهُ اذا بلغ ١٤ مليون بالة في هذا العام فذلك فضل من الله لان هذا النقص الحادث من الفرق بين الرقمين المذكورين لا يحتمل سدهُ من سائر البلدان التي تزرع القطن

كثرة الطلب مع غلاء الاسعار

واذا نظرنا الى المقطوعية كان اهم ما يسترعي النظر في حالتنا الحاضرة كثرة الطلب على القطن مع غلاء سعرهِ فالمقطوعية في داخلية بلادنا عظيمة جداً لم نرَ لها مثيلاً منذ زمان طويل وتجارتنا الخارجية لم تمس بسوء . نعم ان مصانع المانيا والنمسا وفرنسا والبلجيك لا تأخذ مقطوعيتها المعتادة ولكن النقص الناشيء عن ذلك سد بزيادة مقطوعية القطن في اميركا والهند واليابان بل الزيادة في مقطوعية هذه البلدان الثلاث تفوق النقص الناشيء عن امتناع البلدان الاربع المذكورة من اخذ نصيبها من القطن كالمعتاد

لقد كانت مقطوعية اميركا نحو اربعة ملايين بالة او خمسة ملايين ولكنها ستتجاوز سبعة ملايين بالة هذا العام والاحصاءات الواردة من اليابان تدل على ان زيادة المقطوعية فيها في هذه السنة حتى الآن (يوليو) ستبلغ ١٨ في المئة اذا قوبلت بمقطوعية المدة عينها سنة ١٩١٤ .

ويرى من ذلك ان مقطوعية العالم لم تنقص بقدر نقص غلتهِ فهذا الامر اذا قرن بالحالة التي كانت قبل الحرب سيؤدي الى نتيجة واحدة وهي قلة الموجود عن المطلوب وارتفاع السعر

ولا يبرح من البال ان الاسعار الحالية في لفربول زادت ايضاً لصعوبة نقل القطن وغلاء اجور الشحن وقد كان هبوط سعر القطن في سوقها بعد شهر مايو ناشئاً عن تسهيل هذين الامرين بعض التسهيل ولكن هذا الفرق لا يؤثر في صحة القياس الذي اوردتهُ لان سعر القطن في نيواورليانس لا يزال غالياً وهو نحو ١٣ سنتاً (٢٦ مليماً) الرطل (ولا علاقة لهذا الغلاء بالشحن بالبواخر) ولا يمكن زيادة المساحة المزروعة قطناً الآن فمحصولنا لهذا العام صار معيناً لا يستطيع البشر زيادتهُ فاذا لم تلائم الاحوال الجوية الزراعة كل الملائمة فيحتمل ان لا يسد المحصول القادم مقطوعية العام كلها فماذا يحدث اذا عقد الصلح قبل موعد الموسم القادم وهو لا يكون قبل اغسطس سنة ١٩١٧ اقول ان الآراء مجمعة على ان القطن ينهض نهضة عظيمة لان الاسواق تطلب سد ما فيها من النقص في المنسوجات القطنية . فمن اين يؤتى بالقطن لها

وجوب زيادة المحصول

والذي يجب علينا الآن الاهتمام بهِ هو حمل الزارع الاميركي على استئناف زرع القطن دون سواهُ حتى تعود صادرات القطن من اميركا الى ما كانت عليهِ قبل الحرب والمرجح ان السعر الحالي لا يكفي لاقناع الزارع الاميركي بذلك فاذا اصرَّ على رأيهِ فسيلقى المشتغلون بتجارة القطن وصناعاتهِ صعوبات تذكر في بضع السنوات القادمة

ان مصانع لنكشير تشكر الله الآن اذا تيسر لها القطن بسعر ٧ بنسات الرطل وكان هذا السعر يعدُّ فاحشاً جدًّا منذ بضع سنوات ولكن ماذا تفعل مصانعنا اذا ارتفع السعر فوق هذا الرقم هل نعود الى سماع ما اعتدنا سماعهُ قبل الحرب عن وجوب توسيع نطاق موارد القطن عندنا والانتفاع بموارد الامبراطورية للتخلص من الاعتماد على المحصول الاميركي

زيادة مليون بالة في السنة

ان الذي نحتاج اليهِ هو زيادة محصول القطن زيادة مطردة لا تقل عن مليون بالة في السنة فمن اين نأتي بهذا القدر الزائد سنة فسنة في بضع السنوات المقبلة . ولا يستطاع

الجواب عن هذا السؤال الاّ اذا اجلنا الطرف في جميع انحاء المعمور. واول مكان يتجه اليه النظر طبعاً هو قارة افريقية حيث قضت جمعية ترقية زراعة القطن البريطانية ١٤ سنة تجدُّ وتعمل لترقية زراعة القطن . فالبلاد الوحيدة التي ينتظر ان يزاد محصولها في القريب العاجل هي بلاد مصر ولكن جمعية ترقية زراعة القطن البريطانية لم تُدخِل مصر في بيان اعمالها لانها لم تكن تابعة للامبراطورية البريطانية على ان مصر مع حسن حالها لا يرجى ان يزداد محصولها زيادة كبيرة في القريب العاجل لان هذه الزيادة تتوقف طبعاً على تسهيل اعمال الري فالمشروعات الكبيرة التي تفكر حكومة مصر في اخراجها الى حيز الفعل تستغرق زمناً . وما يقال عن مصر يقال مثلهُ واكثر منهُ عن السودان حيث تزداد الصعوبات بقلة السكان فلا يرجى اذاً ان يزداد المحصول من هذه الجهة زيادة تذكر قبل انقضاء عشر سنوات او خمس عشرة سنة

ثم بحث الكاتب في سائر بلدان افريقية فقال ان الآمال بالنجاح فيها ايضاً كبيرة ولكن هذا النجاح يقتضي مالاً ووقتاً وتعباً واجتهاداً فلا ينتظر ان تصدر تلك البلدان مقادير عظيمة من القطن في القريب العاجل وما يقال عن بلدان افريقية يقال ايضاً عن البرازيل وبيرو والمكسيك

وختم الكاتب مقالتهُ بقولهِ ان هنالك ثلاثة بلدان اخرى يرجى منها الخير في المستقبل العاجل وهي روسيا والصين والهند ولا يخفى ان الصين ثالثة بلدان العالم في غلة القطن ويمكن زيادة محصولها زيادة كبيرة ولكن احوالها السياسية الحاضرة لا تلائم توسيع نطاق زرعهِ فيها بسرعة . اما روسيا فقد فعلت العجائب من هذا القبيل في الزمن الاخير ولكن زيادة محصولها لا تكفي لسد الزيادة في مقطوعيتها فلا يبقى لنا سوى الهند وهي تغل اكبر محصول بعد اميركا ومحصولها يبلغ خمسة ملايين بالة مقابل ١٥ مليوناً في اميركا ولكن قطنها رديء جداً . على ان احوال الهند وكثرة الطلب على القطن تمكن من زيادتهِ حتى يتضاعف في خمس سنوات او عشر وقد كانت مساحة الارض المزروعة قطناً فيها ٢٥ مليون فدان سنة ١٩١٤ وفي حكم الطاقة توسيع هذه المساحة بتحسين طرق الري

وقال الاستاذ طود في الختام ان مسألة القطن من المسائل التي يجب ان نعيرها اعظم جانب من الاهتمام فلا نتوانَ فيها كما هي عادتنا حتى يفوت زمن الاصلاح وتلافي الخلل فان درهم وقاية في وقتهِ خير من قنطار علاج

دود لوز القطن

(تابع ما قبلهُ)

يصعب تقدير الضرر الذي يصيب القطن من دودة اللوز لان ضررها يختلف باختلاف تبكير الموسم وتأخرهِ فيكون قليلاً في الاول وكثيراً في الثاني وسبب ذلك ان دود اللوز يتوالد كثيراً في غضون السنة ويكون توالدهُ على اقلهِ في الشتاء واوائل الربيع ثم يزيد بزيادة نمو القطن حتى شهر اكتوبر حينما يكثر اللوز اللازم لغذائهِ فيزيد هو كثرة

ويظن المزارعون ان برودة الهواء وكثرة الضباب تزيدان دود لوز القطن والحقيقة انهما من الاسباب التي تؤخر بلوغ لوز القطن فيبقى الكثير منهُ اخضر فيكثر غذاء الدود بسبب ذلك ويخف النور بسبب الضباب وخفتهُ توافق الدود لانهُ ينشط في الظلام او في قلة النور

ودود اللوز هذا اذا ظهر قبل ظهور الوسواس سطا على الاغصان الطرية فيأكل اطرافها ويدخل جوفها يأكل فيهِ الى ان يبلغ المادة الخشبية فينتقل الى طرف غصن آخر وهلمَّ جرًّا والغصن الذي تنخرهُ الدودة يذبل ويسود لونهُ واذا قطع تحت المكان الذابل فقد توجد الدود فيهِ

وحينما يظهر الوسواس (او برعم اللوز) ينتقل الدود اليهِ لانهُ يفضلهُ على الاغصان فيسقط والدودة فيهِ الى الارض ولكن الدودة تفارقهُ وتنتقل الى غيرهِ وقد تدخل زهر القطن وتأكل اعضاء التناسل فيهِ فتجعلهُ عقيمًا واذا دخلت الدودة لوزة افرزت مادة تسدُّ بها الثقب وراءها لكي لا تدخلهُ حشرة اخرى وتضربها . وقد تقتصر على برج واحد من اللوزة وقد تتلف ابراجها الثلاثة او تتلف اكثر من لوزة واحدة واذا كانت اللوزة صغيرة فالغالب انها تيبس وتبقى مكانها او تسقط . واذا كانت كبيرة قريبة من البلوغ فالغالب انها تفتح قبل ميعادها وتتعرَّض لمادة فطرية تسودّ بها ولا تعود صالحة لشيء

وحينما يبرد الهواء في الخريف تطول المدة التي تبقى فيها هذه الحشرة دودة واذا تمَّ جني القطن حينئذٍ وقلع شجرهُ وحفظ وقوداً بما فيهِ من اللوز الاخير بقي الدود في هذا اللوز يأكل من بزرهِ فاذا لم يكن بالغًا مات بجفاف اللوز ولكن ان كان قد بلغ اشدهُ خرج وصنع شرنقة حريرية سمراء صقيلة واقام فيها زيزاً وبقي هناك الى ان يدفأ الهواء فيستحيل

فراشة تبقى في مكانها او تطير وتبيض على النباتات التي تعيش صغارها عليها من القطن العقر والبامياء والتيل مما تجدهُ في الارض وهي تضع بيضها عند اسفل النبات في مكان خفي وقاية لهُ لان الغذاء الذي تجدهُ قليل قد لا يكفيها فلا يحسن ان تتعرَّض لمخاطر اخرى

والمرجح ان عشر الدود الذي يتولَّد من البيض الاول يبلغ اشدهُ ويصير فراشاً ولكن الدود الذي يتولد في النوب التالية يعيش نصفهُ ويصير فراشاً

ويظهر من التجارب التي جربها المستر ولككس ان الفراشة الواحدة تبيض في دسمبر وينابر ١٤٠ بيضة وقد لا تبيض الا ثمانية ايام وقد تبقى تبيض ٤٤ يوماً . وباضت فراشة في سبتمبر مدة خمس ليلات ٢٣٣ بيضة

فاذا فرضنا ان الفراشة تبيض في الدور الاول ١٤٠ بيضة وان ١٤ منها تسلم (اي عشرها) وتصير فراشاً ٧ ذكوراً و٧ اناثاً وكل زوج منها يبيض ٢٠٠ بيضة فتبيض كلها ١٤٠٠ بيضة واذا سلم نصفها اي ٧٠٠ او ٣٥٠ زوجاً وباض كل زوج منها ٢٠٠ بيضة بلغ مجموع بيضها ٧٠٠٠٠ بيضة فيعيش نصفها ويصير فراشاً اي ٣٥٠٠٠ او ١٧٥٠٠ زوجاً يبيض كل زوج منها ٢٠٠ بيضة فيتولد منها ٣٥٠٠٠٠٠ دودة وعليهِ فالفراشة الانثى التي تبيض في ينابر يتولد من نسلها في اكتوبر ٣٥٠٠٠٠٠ دودة اي ثلاثة ملايين ونصف مليون

...

القطن ودودهُ ودود لوزهِ

ظهر الدود الكبير الذي يأكل ورق القطن وكل ما هو اخضر فيهِ فبُذلت الهمة في استئصالهِ حتى اذا كادت الاخبار تتفق على انهُ لم يبقَ لهُ اثر في الوجهين القبلي والبحري عاد الى الظهور في الوجه البحري في اواسط اغسطس وانتشر في بعض الاماكن وفتك فتكاً ذريعاً ولكن انتشارهُ خاص بتلك الاماكن على ما يظهر ونحن نكتب هذه السطور وامامنا علبة كبيرة من مركز دسوق فيها من ورق القطن ولوزهِ وفيها كثير من دود القطن وقد اكل الورق ونخر اللوز ودخلهُ واكل ما فيهِ ولا يزال موجوداً في اللوز

اما دودة اللوز الرمادية فكثيرة الانتشار جداً وتختلف كثرةً باختلاف الغيطان فان اللوز المصاب بها لا يزيد على نحو خمسة في المئة في بعض الاماكن ولكن يقال انهُ بلغ نحو اربعين او خمسين في المئة في اماكن أُخرى . اما نحن فلم نرَ انهُ اكثر من عشرة في المئة

في الاقطان التي لحصنا لوزها ولم نرَ الاَّ قليلاً جدًّا من دودة بزرة القطن القرنفليَّة • فيحتمل ان تبقى ضربة دود اللوزخفيفة ومحصورة في بعض الاماكن ويحتمل ان تزيد شدةً وانتشاراً في شهر سبتمبر

اما نمو القطن فجيد بنوع عام والذين بكروا في زرعهِ كادوا يجنونهُ لان الحر الذي حدث في يونيو و يوليو فاق المعتاد فنما بهِ القطن كثيراً

وقد ثبت الآن ان مساحة الاطيان المزروعة قطنًا قلما تزيد على مليون وستمائة الف فدان فاذا لم يشتد فتك الدود بهِ وبلغ متوسط الفدان اربعة قناطير بلغ المحصول ستة ملايين ونصف مليون قنطار واذا كان متوسط ثمن القنطار و بزرتهِ ٥٤٠ غرشاً بلغ ثمن محصول هذه السنة ٣٥ مليونًا من الجنيهات

ويظهر من مقالة الاستاذ طود المنشورة هنا انهُ اذا استطاعت الحكومة المصرية ان تستأصل شأفة دودة القطن ودودة لوزهِ فلا خوف من ان ازدياد مساحة ما يزرع من القطن في هذا القطر ترخص ثمنهُ ولو بلغت مليوني فدان او اكثر

الصادرات الزراعية

زادت قيمة الصادرات حتى آخر يوليو نحو ثلاثة ملايين جنيه عن مثلها في العام الماضي والزيادة كلها من الذرة والسكر والبيض والقطن ولولا النقص في قيمة بعض الصادرات كسبائك الذهب والفضة لكانت الزيادة اكثر من ذلك لكن الزيادة في الواردات اكثر كثيراً من الزيادة في الصادرات فانها بلغت سبعة ملايين وثلث مليون من الجنيهات و بعضها في ما يمكن الاستغناء عنهُ كالامتعة الخشبية والآنية الزجاجية والمنسوجات القطنية والكتابة و بعضها فيما لا غنى عنهُ كالفحم الحجري والحديد والبترول او فيما دعا اليهِ وجود الجيوش البريطانية كالبيرا و بعض الاطعمة والاشربة

وعسى ان يقف تجار الوارد عند هذا الحد • واما الصادرات فستزيد قيمتها بارتفاع سعر القطن وقد بلغت قيمة الصادرات حتى آخر يوليو ١٧٣١٤٥٠٣ جنيهات اي نحو ١٧ مليونًا وثلث مليون من الجنيهات ولا يبعد ان يصدر الى آخر السنة اكثر من ثلاثة ملايين قنطار مع بزرتها واكثرها من السكالاريدي تباع لاوربا واميركا بنحو ١٨ مليون جنيه فتبلغ قيمة الصادرات في آخر السنة ٣٥ مليون جنيه

مؤتمر القطن
واقتراح على الحكومة

جاءنا العدد الاخير من مجلة الزراعة في جزائر الهند الغربية واذا كلهُ في وصف مؤتمر زراعي عقد هناك في اواسط شهر مارس الماضي موضوعهُ زرع القطن في تلك الجزائر. وقد استمرَّ المؤتمر ستة ايام وتليت فيهِ خطب ومذاكرات كثيرة لم تخرج عن موضوع القطن من حيث زرعهُ ومحصولهُ والسماد الصالح لهُ واختيار تقاويهِ وطول شعرتهِ وتخنها ومتانتها واسعارهُ الى غير ذلك مما تهمُّ معرفتهُ كل المشتغلين بزرع القطن وتصديرهِ والاتجار بهِ

وقد يظن لاول وهلة ان محصول هذه الجزائر يبلغ ملايين من القناطير والحقيقة ان محصولها بلغ في السنوات الخمس الماضية ١٠٣٢٠٧ قناطير فالمحصول السنوي نحو عشرين الف قنطار اي مثل محصول ابعدية واحدة في هذا القطر. افلا يحق والحالة هذه لكل مديرية في هذا القطر ان تؤلف مؤتمراً زراعياً ينظر في زراعة القطن وغيرهِ من المزروعات بل يحق لكل مركز ان يفعل ذلك . ولكن لما كان الري اهم ما ينظر فيهِ فمن الحكمة ان يؤلف مؤتمر لكل منطقة من مناطق الري في القطر المصري يجتمع فيهِ كبار المزارعين في تلك المنطقة مرةً في السنة و يتبادلون الآراء ويشيرون على الحكومة بما يجب عملهُ لاصلاح الري في منطقتهم

وقد اهتمَّ البعض بانشاء مؤتمر زراعي لمديرية الفيوم فعسى ان تنشطهم الحكومة في ذلك لاسيما وان مديرية الفيوم منطقة قائمة برأسها من حيث الري . واطيانها الزراعية غير آخذة حقها من الماء الصيفي فلا يروى قطنها الا مرة كل عشرين يوماً واذا تمكن مزارع من الحصول على الماء لري قطنهِ كل عشرة ايام جاء محصولهُ مضاعف محصول قطن جارهِ الذي لا يروي الا كل عشرين يوماً . والناس يشكون ومجلس المديرية طلب ان تجعل مدة المناوبة ثمانية وثمانية حتى يروى القطن مرةً كل ١٦ يوماً ولكن مصلحة الري لم تلبِّ طلبهُ فاذا عقد مؤتمر رسمي برضى الحكومة وحضرهُ بعض رجال وزارة الزراعة ومصلحة الري واقرَّ على شيءٍ بعد بحث مدقق فمن المحتمل ان تعمل الحكومة بقرارهِ

ويستخلص من اعمال المؤتمر المشار اليهِ آنفاً

اولاً ان القطن ليس اهم حاصلات جزائر الهند الغربية فغاية ما بلغهُ في بعضها ان ثمن الصادر منهُ بلغ ٣٦ في المئة من قيمة الصادر كلهِ وقد لا يزيد في البعض الآخر على ٢ في المئة

ثانياً ان متوسط محصول الفدان قليل جداً لا يقاس بمحصولهِ في القطر المصري فقد كان متوسط محصول الفدان مدة ١٢ سنة ١٤٤ رطلاً من القطن الشعر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الدوسنطاريا

الدوسنطاريا او السحج التهاب فتقرح يصيبان اسفل المعى الغليظ . وهو اما محلي غير معدٍ ولا وبائي واما وبائي معدٍ سببهُ مكروب حيواني لا نباتي اسمهُ الاميبا . واعراضهُ اسهال متواتر ومغص وزحير وظهور مواد مخاطية دامية في البراز فتكون قليلة او كثيرة . وهو من امراض الاقاليم الحارة كمصر في الغالب ولكنهُ قد يظهر في الاقاليم الباردة . يسميهِ اهل سورية زنطاري او زنطارية ويشتقون منهُ فعلاً فيقولون في الدعاء على عدوٍ «زنطاري تزنطرك» مما يدل على شدة خوفهم من هذا المرض وتمرسهم بهِ منذ زمن طويل

وهو من الامراض الدقيقة كالتيفوئيد لانهما كليهما يصيبان الامعاء الاول الدقيقة والثاني الغليظة وهي ذات نسيج دقيق نحيف

وانواعهُ السحج الملاري والاسكربوطي والمزمن والمشتبك والحاد ولكل منها علاج خاصٌ بها . فان كان من النوع الخفيف الوطأة عولج بالمسهلات كزيت الخروع والملح الانكليزي وملح الطرطير تؤخذ جرعات صغيرة متكررة مدة يوم او اكثر اذا اقتضى الامر . وتوضع اللزق الحارة على البطن . ويجوز شرب الماء المثلج لارواء العطش بشرط المحافظة على نقاوة الماء . اما الطعام فاللبن والمرق والمواد النشائية وماء الشعير بعد اغلائهِ حتى ينضج

وان كان من النوع الحاد المعدي عولج بالايبكاك (خلاصة جوزة القيء) شربًا او بالحقن تحت الجلد بمادة تسمَّى «امتين» وهي مادة مستحضرة من الايبكاك واقوى منهُ فعلاً لانها خلاصتهُ . اما المزمن فيعالج بالقوابض كمسحوق دوڤر وغيرهِ مع شدة الانتباه الى طعام المريض والوسائل الصحية التي تستعمل لهُ

وعلى ذكر «الامتين» نقول ان المقطم اشار غير مرة الى علاج اكتشفهُ حضرة

الدكتور بجري لمعالجة المصابين بالاسهال البسيط والدوسنطاريا . وقد اخبرنا حضرة الدكتور ڤيتالي طبيب مستشفى الحميات الاميري في العباسية انهُ جربهُ في نحو خمسين اصابة بالدوسنطاريا في المستشفى فجاء بنتائج قال في وصفها انها بديعة . على ان الحكم البات في فائدة هذا العلاج او ذاك يستلزم عملاً كثيراً ووقتاً طويلاً . والعادة في مثل هذه الاحوال اي عند اكتشاف علاج جديد ان يؤخذ عدد معلوم من المصابين بالمرض الذي اكتشف العلاج لهُ ويعالجون بهِ . ويؤخذ عدد مثلهم ويعالجون بالوسائط الاخرى المعروفة . ويكرر ذلك مراراً في مدة طويلة . فاذا اسفرت النتيجة عن شفاء عدد اكبر من المصابين باستعمال العلاج المشار اليهِ في معالجتهم حكم بافضليتهِ على غيرهِ

وقوام علاج الدكتور بجري الاكسجين ومبدأهُ ما هو معروف عن الاكسجين من تنبيه الجسم وتقويتهِ بتنقية الدم وتطهيرهِ من الشوائب . فاذا حقن الجسم بهِ قوّى كريات الدم البيضاء او خلاياهُ على اتمام وظيفتها الخاصة بها وهي ابادة المكروبات او الخلايا الضارة التي تدخل الجسم بالاحاطة بها وابتلاعها

فعسى ان يمتحن هذا العلاج امتحاناً رسميًّا انصافاً لصاحبهِ وتشجيعاً لغيرهِ من المشتغلين بالعلم . وعسى ان تسفر التجربة عن نفع علاجهِ جزاء اجتهادهِ

اعداد القهوة

القهوة مشروب شرقي عربي كما ان الشاي مشروب شرقي صيني . وقد اقتبسها الفريبون عنَّا فلم يحسنوا الاقتباس او احسنوا ولكنهم لم يزيدوا تفنناً علينا خلافاً للمعروف عنهم في سائر ما يقتبسون او يستعيرون . فحكاية اقتباس الانكليز للشاي من الصين مشهورة . ولغرابتها نشروها في الكتب المدرسية التي يدرسها اولادهم على ما فيها من دواعي سوء الظن بفطنتهم ولكنهم لا يبالون لانهم لا يكرهون ان ينتقدوا اذا كان وجه النقد صحيحاً ويكرهون ان يمدحوا ولو مدحاً في محلهِ . وخلاصة تلك الحكاية انهم كانوا في مبدإ اقتباسهم للشاي يغلون اوراقهُ ، وينشرونها على قطعة من الروستو ويأكلون الصنفين جملة . اما السائل فيلقونهُ القاء النفاية !!

هذا عن الشاي . اما القهوة فقد اقتبستها اوربا كلها وكان الفرنسويون اشدهم شغفاً بها ومع ذلك يستطيبون القهوة الشرقية ويفضلونها على قهوتهم . والشرقيون يختلفون في اعداد القهوة ومقدار حلاوتها او مرارتها ما بين حلوة كثيراً ومرة « سادا » . ولكن العرب

احسن الشرقيين تعليلاً لها واتقاناً لطبخها . وقد رأينا بعض عرب البادية يهيئونها على الطريقة الآتية

يأتون بقدر من البنّ لا يزيد على حاجة اضيافهم فيحمصونهُ في مقلى من الحديد او الفخار وهم يحركونهُ بملعقة من الحديد حتى ينضج ثم يدقونهُ في هاون من الخشب ويتفننون في دقهِ حتى ان الذي يسمع ولا يرى يخيل اليهِ ان ليس في الامر دق قهوة بل حفلة طرب ونقر دربكة . ثم توضع الغلاية على النار حتى تغلي فترفع وتلقم بنًّا كثيراً وسكراً قليلاً وتعاد الى النار حتى تأخذ في الفوران فتدار على الضيوف . وبعد ربع ساعة او نحو ذلك يأتون بقهوة مرة

ويشترط في القهوة ان لا تغلى على النار لان اغلاءها يطير ما بها من المادة العطرية فتفقد كثيراً من لذة طعمها . على انهُ اذا اريد بها التنبيه اولاً واللذة ثانياً وجب اغلاؤها لانهُ افعل في استخراج العنصر المنبه الذي فيها وهو المسمَّى «كافايين»

وقلما يشرب الانكليز والاميركيون والالمان القهوة صرفة وانما يمزجون بها اللبن في طعام الفطور فيسحقونها لذلك سحقاً معتدلاً تبقى بهِ خشنة . ولكنهم اخذوا يشربونها في الزمان الاخير صرفة وقد قرأنا وصفاً لطريقة اعدادها جاء فيهِ ان احسن القهوة تصنع من من مزيج ثلثاهُ بن جاوي والثلث الآخر بن عدني (واردخا) فيحمص ويسحق ويشرب جديداً . ويوضع في كل رطل ماء ملعقة كبيرة من القهوة او ملعقتان او ثلاث حسب الاستحسان . وتطبخ القهوة في ماء مغلى . وكلما بولغ في سحقها حتى تخرج ناعمة كان ذلك خيراً

نفع الشطة

ظهرت الكولرا في مدينة نيويورك منذ سنين كثيرة فنشرت جريدة الصن (اي الشمس) صورة وصفة ادعت انها تشفي من الكولرا فسميت بعد ذلك باسمها وقيل The Sun cholera cure. اي دواء الكولرا الناجع لجريدة الصن . وقد اتضح فيما بعد ان الوصفة قديمة كان الاطباء يستعملونها في الهند لعلاج اعتقال الامعاء والهيضة والاسهال الحاد وما شاكل من الامراض لا لعلاج الكولرا . وهي مؤلفة من صبغة الفلفل الاحمر وصبغة الافيون وصبغة الراوند وروح النعنع وروح الكافور في اجزاء متساوية

وعلى ذكر صبغة الفلفل الاحمر المعروفة طبيًّا باسم Capsicum نقول اننا سمعنا بعضهم يقولون ان عامة المصريين في بعض البلاد يداوون الدوسنطاريا والاسهال وغيرهما من امراض الامعاء الحادة باطعام المريض شيئًا من الفلفل الاحمر الحرّيف الطعم وهو المعروف باسم « الشطّة » فيشفى. ولا نعلم مكان هذا القول من الصحة ولكنَّ الصبغة المذكورة تستعمل طبيًّا للغرغرة في التهاب الزور والدفتيريا وللشرب في بعض العوارض والامراض كالمغص والدسبيسيا والملاريا وغيرها وانها مضادة للفساد ومقوية للجسم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

جمعية آداب اللغة العربية بلندن

سيدي محرر المقتطف

لم اعجبْ لمبادرتكم الى التنويه بمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » في صدر « باب الاخبار العلمية » من مجلتكم الغراء ، فقد عرفتُ « المقتطف » كما عرفهُ غيري « شيخ » المجلات العربية الراقية التي يهتدى بهديها في خدمة العلم والأدب ، فلم يكن بمستغربٍ على صحيفتكم الجليلة التي هي عقدة الأمل في انشاء « المجمع اللغوي العربي » بالقاهرة ان تعنى هذه العناية بعملٍ يقصد بهِ ترويج آداب العربية ورفع كرامتها في ديار الغرب وفي مقدمتها بريطانيا العظمى ، وانما وجه العجب هو انَّ معظم المساعدة الحقيقية التي نالها المشروع من القطر المصري المعتبر مركز النهضة العربية جاءت من غير ابنائهِ . وهذه المساعدة الفعلية لا تزال مع ذلك ضئيلة لا تستحق الاعتبار

عُرِفَ اخواننا السوريون الاماجد على تباين مذاهبهم بخدمة اللغة العربية والغيرة على رفع علمها في اي مكانٍ نزلوا بهِ حتى صار يُضرَب بهم المثل في القدرة على هذا التبشير

الادبي المشكور، وعدَّت من معجزاتهم اصدار صحف عربية يومية في العواصم الامريكية. وقد شهد بفضلهم هذا كلُّ عالمٍ واديبٍ منصفٍ، وزكَّى هذه الشهادة الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم . ويقيني انهُ لو كانت المواصلة بين لندن والقطر السوري غير مقطوعة لاغنانا فضلاء الشاميين مستقلّين عن الليرات القليلة التي نجمعها بشقة من بقية الاقطار العربية . ولكن أليست اللغة العربية هي لسان الامة المصرية ايضاً ، واي فخر لمثلي في عمل كهذا اذا كان لامتي في نجاحهِ اقل نصيب ؟ اشاهد من صديقي السوري مسيحيًّا كان او مسلماً ومن اخي المصري المسيحي غيرةً فائقةً على تكريم العربية باعتبارها اللسان القومي لكل منها ، ولكنني اذا سألتُ اخي المصري المسلم الذي يعتبر « الضاد » لغة كتابهِ المقدس بَذْلَ مثل هذه العناية اكتفى باظهار « رغبتهِ الاكيدة » في ذلك او عرَضَ قائمة أسئلتهِ ثم ولَّى بوجههِ وملؤهُ الريبة والتهيُّب والجزع ! وهناك فريقٌ آخر وجد انَّ اسلم طريقٍ لهُ ان يصف عاجزاً مثلي وبقية زملائي الافاضل اعضاء « اللجنة التحضيرية » بالنبوغ والألمعية وما شاكل ذلك من ألقاب المدح الذي يُكال جزافاً ، ولم ينل العمل ذاتهُ شيئاً من تعضيدةٍ ! وليس معنى هذا أني اصدر حكماً مطلقاً لا شواذ لهُ ، ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها هي انَّ ابناء وطني الاذكياء السخيين لا يعرفون الانفاق فيما يستحق الانفاق من اجلهِ ، وكثيراً ما تنتابهم الشكوك بعضهم ببعض والخوف من فشل الاعمال ، ولهذا قلما تقوم لنا قائمة ، فبات بكاؤنا اطول من سرورنا بل اضعاف اضعاف

وانى على عجزي مُقرّعُ امتي على فرط تقصيرٍ وطولِ عويلِ
سجيةُ قلبٍ مخلصٍ في ودادهِ وما عتبُ قلبٍ مخلصٍ بقليلِ

وما كنتُ مَنْ يتولاهُ اليأس الذي طالما تغلَّب على قلوب مَنْ ساقتهم الظروف للدعوة الى الاعمال العمومية النافعة فلم يصادفوا آذاناً واعية ، فاني لا زلتُ واثقاً من انَّ املي سيتحقق باشتراك مواطنيَّ الاعزاء الفضلاء اشتراكاً فعليًّا وجيهاً في انفاذ هذا المشروع على الوجه الاكمل بتقدمهم في ذلك ذوو الحيثية والمكانة العلمية والادبية منهم . وهيهات ان يخطر ببالي او ببال احد زملائي الغيورين طرح هذا العمل الجليل ظهريًّا ، وانما اخشى ان يطول اجل الانتظار ، اذ لا فائدة تجنى من البناء على غير اساس ، وما لم تضمن « اللجنة التحضيرية » من اهل اليسار الحاتميين وعظماء العرب ومحبي العربية تبرُّعاً سنويًّا دائماً لا يقل عن ثلاثمائة جنيه (وهو قدر زهيد بالنسبة الى مراتبهم وفائدة هذا العمل) فلا سبيل امامها غير التمهُّل ومواصلة الدعوة ، فليس القصد مجرد انشاء جمعية ذات اعمال صورية عديمة

الاثر ، بل الغرض اعظم من ذلك . ويهمنا كلما حال حولٌ على الجمعية بعد تأسيسها ان تبدو شيئاً فشيئاً ثمار غرسها من معرّبات ومترجمات ومخطوطات منشورة ، ومن محاضرات ومقالات ودروس نافعة متواصلة في شتّى المباحث الادبية والعلمية مما يعود على العربية واهلها بالصيت الحسن والذكر العاطر ، فانما المنزلة الادبية للامم بسيرتها وحسن سمعتها ولا كرامة لشعوب يُظن انها في عداد الاموات لا علم ولا ادب لها

ربما كان من الفائدة ان اذكر في هذا المقام ان جميع التبرعات التي تلقتها اللجنة مودعة في « المصرف الاهلي المصري » بلندن (The National Bank of Egypt, London.) وان امين صندوق اللجنة هو حضرة احسان افندي البكري وان قوائم التبرعات ستُنشر تباعاً في الصحف . وقد منعت الشواغل الخاصة حضرة قرياقص افندي ميخائيل عن مواصلة الاشتراك معي بوظيفة « كاتم سر اللجنة » فاضطر الى الاعتزال واصبحتُ وحدي متحملاً تبعة أعمال هذه الوظيفة

ولعلّهُ من المفيد ايضاً ان أشير الى انتقاد وجههُ اليَّ أحد الادباء وقد اطلع على خطابي الذي ألقيتهُ في دار « الجمعية الاسيوية الملكية » بلندن في غرة مايو الفائت فانهُ اخذ عليَّ قولي : « اللغة العربية هي لغة الامة المصرية سواء في ذلك مسلمها ومسيحيها وموسويّها . وما اللغة الهيروغليفية او اللغة القبطية او اللغة العبرانية في مصر الأ من آثار التاريخ تُدرس لفائدتهِ ولمعرفة مآثر اجدادنا العظام» مستنتجاً اني بصورة تعبيري هذا اشجّع اهمال اللغة المصرية القديمة . وهو استنتاجٌ خطأ فان سياق الكلام لا يؤدي الى ذلك . وأما عن رأيي في هذا الصدد فحسبي ان اقول اني طالما لاحظتُ وبنفسي شيءٌ من الدهشة والاسف عدم عناية « الجامعة المصرية » بتدريس اللغة الهيروغليفية واللغة القبطية مع وجود مثل صاحب العزّة العالم الأثري الفاضل احمد بك كمال مناراً لمصر . ومثلهُ لن يضنّ بما فيهِ نفع امتهِ . أليس من العيب الفاضح ان يكون الاجانب اعلم منا بتاريخنا . وان يضطر ابناؤُنا الى السفر لباريس ولندن لدرس علم الآثار المصرية بدل ان يحجّ الطلاب من جميع الامم لهذا القصد الى مصر كعبتها ومهدها ؟ فحاشا ان احثّ على غير ما يشرف بلدي . فليهدأ بال حضرة الاديب المنتقد ولهُ الشكر وان اخطأ على شعورهِ الحيّ

احمد زكي ابو شادي
(طبيب)

الصناعة الوطنية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اراكم في ما تكتبونهُ عن الصناعة الوطنية لا تميلون الى تنشيط الصناعات الكبيرة كغزل القطن ونسجهِ مع ان القطن الخام اهم حاصلات القطر المصري . واهالي اوربا واميركا والهند واليابان يشترون القطن منا و يغزلونهُ وينسجونهُ و يبيعوننا اياهُ منسوجاً بثمن غالٍ فيضيفون اليهِ اجرة الشحن ذهاباً واياباً واجور الصناع وارباب التجار ولو غزل ونسج عندنا لتوفر علينا جانب كبير من ذلك

ومن هذا القبيل صناعة الورق فان الورق يصنع من الخرق و يمكن عملهُ من نبات البردي ويسهل الحصول عليها في هذا القطر

ومن هذا القبيل ايضاً عمل الزجاج فان موادهُ الاصلية الزمل والقلي كثيرة في هذا القطر فلماذا لا نصنع كل الزجاج الذي نحتاج اليهِ ونصدر منهُ الى السودان وبعض البلدان الشرقية

ومن ذلك زرع التوت وتربية دود الحرير لكي يصير عندنا مقدار كبير من الحرير فنحلهُ وننسجهُ ونتاجر بهِ

وقد ذكرتم غير مرة ان تراب الخزف الصيني موجود في اصوان فلماذا لا نصنع انواع الخزف الصيني منهُ

نعم انكم تذكرون هذه الصنائع كلها وتشرحونها ولكنكم لا ترغبون ابناء الوطن في الاقدام عليها فهل ذلك لانكم تظنونها غير رابحة او لانكم تظنون انهُ لا يمكن اتقان هذه الصناعات هنا

مصر . احد القراء

[المقتطف] لقد اصبتم في اننا غير واثقين تماماً بربح هذه الصناعات اذا أُنشئت لها المعامل الكبيرة هنا كما انشئت في اوربا واميركا

مثال ذلك معامل الغزل والنسج فالمعمل الذي أُنشئ في العاصمة للغزل والنسج منذ بضع سنوات خرب وخسر مشترو اسهمهِ اموالهم وذلك اولاً لان اكثر المنسوجات القطنية التي تستعمل في القطر المصري والسوداني لا تنسج من القطن المصري الغالي الثمن بل من قطن اميركي او هندي رخيص الثمن . واذا نسجنا القطن المصري الجيد الغالي الثمن لم نستطع

ان تناظر المنسوجات الاوربية الرخيصة المنسوجة من قطن رخيص . وهب ان سكان هذا القطر استناروا كلهم وعرفوا ان الغالي هو الرخيص وانهم اذا اشتروا المنسوجات التي من قطن مصري جيد فذلك اربح لهم ولو كانت اغلى من المنسوجات الاوربية فمقطوعية القطر المصري من المنسوجات القطنية قليلة جدًّا بالنسبة الى محصول القطن المصري فان مقطوعية القطر المصري في السنة من هذه المنسوجات اقل من نصف مليون قنطار واذا كانت من القطن الجيد بلغت ربع مليون قنطار ولا يخفى عليكم ان محصول القطن المصري يبلغ نحو سبعة ملايين قنطار فربع مليون قنطار او نصف مليون قنطار لا تؤثر تأثيراً كبيراً في استهلاك المحصول

ثم انهُ وجد بالاختبار ان هواء القطر المصري لا يناسب لانشاء معامل الغزل والنسج لانهُ يتولد كهربائية كثيرة في معامل القطن بسبب جفاف الهواء فيتباعد شعر القطن بعضهُ عن بعض ويعسر غزلهُ . ولما كان معمل العاصمة دائراً اضطرَّ مديروهُ ان يدخلوا فيهِ حنفيات تذرُّ بخار الماء فيهِ دواماً ليبقى هواؤُهُ رطباً ويقل تولد الكهربائية وهذه نفقة كبيرة ضائعة سدًى

وفوق ذلك فان اعمال الغزل والنسج في المعامل الكبيرة تقوم كلها الآن بالآلات التي يحركها البخار ولا بدَّ لذلك من احراق كثير من الفحم الحجري وليس في القطر المصري فحم حجري فنلتزم ان نجلبهُ من بلاد الانكليز وندفع ثمنهُ واجرة شحنهِ . واجرة شحنهِ من هناك الى هنا لا تقل عن اجرة شحن القطن الذي يغزل وينسج بهِ . ولا بدَّ من ان تضاف اجرة شحن الفحم الى ثمن ما يغزل وينسج من القطن

وكل ما تقدَّم عن صعوبة انشاء المعامل الكبيرة للغزل والنسج لا يصدق ضرورة على المعامل الصغيرة للغزل والمعامل التي فيها انوال كافية لمقطوعية البلاد من الاصناف الغالية ولاسيما اذا كانت المنسوجات ممزوجة من القطن والصوف او القطن والكتان او القطن والحرير . وهذه المعامل آخذة في الانتشار رويداً رويداً ولا تحتاج الى رأس مال كبير ولا تستلزم ان يكون منها ربح يوزع على اصحاب رأس المال بل يكتفي الصانع منها ان يكتسب منها ما يقوم بمعيشتهِ

اما صناعة الورق فجُرّبت في سورية وكنا نطبع المقتطف في سنتهِ العاشرة وما بعدها على الورق السوري وكان جيداً ولكن صاحب المعمل خسر واضطرَّ ان يبطلهُ لان القوة المائية التي كان يعتمد عليها لا تدوم كل السنة فيضطر ان يوقد حطباً وفحماً لادارة الآلات

فزادت نفقاتهُ ناهيك انهُ كان مضطرًّا ان يجلب اكثر المواد التي يصنع منها الورق و يقصرهُ من اوربا فتعذر عليهِ ان يناظر المعامل الاوربية في رخص الورق . والغرض من الاعمال الصناعية الكسب في هذه الدنيا لا الثواب في الآخرة

وقد شاهدنا في معرض الاسكندرية الصناعي ورقاً يقال انهُ صنع في القطر المصري من البردي . فاستغربنا كيف يغفل الانسان عن المبدإ التجاري اذا غوي بامر من الامور . قلنا للذي ارانا ذلك الورق هل يمكنكم ان تصنعوا لنا ورقاً للمقتطف والمقطم وتبيعوا الكيلو منهُ بالثمن الذي يباع بهِ في السوق فقال كلا فقلنا فما الفائدة اذاً من عمل هذا الورق . وقد كان الورق يصنع في القطر المصري من قديم الزمان وكانت مصر مشهورة بورقها وكان يصدر ورق البردي منها الى بلاد اليونان والرومان وهو لا يصلح للكتابة الآن ولما جاء العرب صنعوا ورقاً يصلح للكتابة وكتبوا كل كتبهم عليهِ و يستطيع كل احد ان يصنع ورقاً مثلهُ ولكن ما يشترى بعشرة غروش من ورق اوربا لا يمكن عمل مثلهِ على تلك الطريقة باقل من اربعين او خمسين غرشاً . وقد لا يصعب علينا ان نبتاع الآلات لعمل الورق وننشئ معملاً للوراقة بنفقة معتدلة لا تزيد على ثلاثين الف جنيه او اربعين الف جنيه ولكن هل نستطيع ان نبيع ورق هذا المعمل بالسعر الذي يباع بهِ ما يماثلهُ من الورق الاوربي . فان كان ذلك ممكناً وجب المبادرة الى انشاء هذا المعمل والاَّ فانشاؤُهُ خطأٌ من باب تجاري لا يقدم عليهِ الاَّ من يظن ان انشاء معمل مثل هذا من المبرات التي ينال صاحبها الثواب في الآخرة

وعمل الزجاج قد يكون منهُ ربح تجاري وقد لا يكون لكثرة ما يحتاج اليهِ من الوقود وكذلك عمل الخزف الصيني . ولو كان من هذين العملين ربح اكيد لاقدم عليها غير واحد . وقد رأينا جنصن باشا باذلاً اقصى جهدهِ في عمل الخزف المدهون ولكنهُ فشل اخيراً ولا يوجد على مائدة احد من اغنياء مصر صحفة واحدة او كوبة واحدة من خزف مصري او زجاج مصري لا لقلة الغيرة الوطنية بل لان ما يصنع من ذلك لا يستحق ان يوضع على مائدة

وزرع التوت لتربية الحرير جُرب غير مرة والذين جربوهُ كانوا من اشد الناس تحمسًا وثقة بالنجاح ولكنهم فشلوا وقلعوا التوت وهم يزرعون اطيانهم قطناً الآن

ومع ذلك لا نرى ما يمنع كل صاحب فدان ان يزرع قيراطاً منهُ توتاً ويربي قليلاً من دود الحرير فان زوجتهُ تستطيع ان تربي هذا الدود وتطعمهُ ثم تحل الحرير وتنسجهُ كما تفعل اليابانيات وبعض السوريات او تبيعهُ بما يوفي تعبها لولا ان تربية دود الحرير تأتي في زمن خدمة القطن والقطن اربح من الحرير

وقد ظن البعض انهُ يوجد فحم حجري في طبقات الارض السفلى في هذا القطر فيرخص استعمال الآلات البخارية ولم نكن نرى ما يؤيد ذلك من باب علمي جيولوجي بل لو وجد الفحم لكان مقدارهُ قليلاً ليس من استخراجهِ ربح تجاري فتحقق رأينا ونشرت وزارة المالية بالامس المنشور التالي وهو

«كانت مسألة احتمال وجود الفحم الحجري في بعض اراضي القطر المصري موضوعاً للبحث والنظر في الثمانين السنة الماضية وادت في احوال عديدة وخصوصاً في عهد ساكن الجنان محمد علي باشا الى مباشرة البحث والاستكشاف

«وكان من رأي العلماء الباحثين في طبقات الارض (الجيولوجيين) ان من المشكوك فيهِ العثور على كميات من الفحم الحجري يصح ان تكون موضوعاً للاتجار فيها فتراءى لاولياء الامر ان انفاق اموال اخرى في سبيل العمل لاستكشاف الفحم لا مسوغ لهُ على انهُ لما ارتفعت اسعار الفحم الحجري في القطر المصري بسبب الحرب ذلك الارتفاع الفاحش عادوا فرأوا ان من الواجب لمصلحة هذا القطر استئناف البحث للتحقق من صحة ما اقرَّ عليهِ اولئك العلماء الخبيرون وهل هو مما يصح الوقوف عليهِ والركون نهائياً اليهِ

«وتحقيقاً لهذا الغرض اختيرت منطقة من المناطق المجاورة لبندر ادفو بالوجه القبلي لمباشرة البحث فيها ومعرفة ما اذا كانت ارضها تكنُّ الفحم في باطنها وقد اجريت اخيراً في ثلاثة اماكن منها عمليات مهمة للتحقق من ذلك فافضى البحث والاستكشاف الى النتيجة الآتية وهي انهُ وان وجدت كميات قليلة من المواد الفحمية في متسع عظيم من ارض تلك المنطقة الاَّ انهُ لا امل في العثور فيها على عرق من الفحم يكون لهُ من تواصل امتدادهِ وعظم اتساعهِ اهمية اقتصادية جديرة بالعناية والذكر»

فقطعت جهيزة قول كل خطيب في هذا الباب من حيث وجود الفحم الحجري وقوداً ولكن في القطر مناطق واسعة من الصحاري الواطئة القريبة من النيل التي يمكن زرع الشجر فيها وقوداً ويسهل نقلهُ من جهة الى اخرى بعد ذلك بالنيل فيكثر الوقود ويرخص . ولا تقلُّ اهمية الغابات في البلدان المتمدنة عن اهمية مناجم الفحم الحجري لان فيها الوقود وفيها ايضاً الخشب للبناء والنجارة وقد يكون فيها شيءٌ من اصلاح الاقليم وهذا موضوع آخر سنشبع الكلام عليهِ في فرصة اخرى

باب الصناعة

معرض الصناعات المصرية

أقيم بالاسكندرية في خلال شهر اغسطس الماضي معرض للمصنوعات المصرية على منوال معارض البقول والاثمار والازهار التي كانت تقام في القاهرة

واحتفل يوم السبت ٥ اغسطس بافتتاحهِ فأمهُ عظمة السلطان وحضرات الامراء والوزراء وسائر الكبراء وشاهدوا جميع معروضاتهِ واعجبوا بها ايما اعجاب

وقد قُسم المعرض الى اقسام خص كل قسم منها بعرض اصناف من نوع واحد الاً القسم الاول — فقد شمل الصناعات الكبيرة والمراد بها بعض ما تصنعهُ المعامل الكبرى فشركة النسج المصرية عرضت هناك انواعاً من الاقمشة وفتلة القطن البيضاء والمصبوغة في شكل هرم يجري النيل تحتهُ في الغياض ممثلاً بالقطن المندوف. وفي هذا العرض اشتركت مصبغة ثابت في عرض المصبوغات من مصنوعات الشركة المذكورة . ثم معروضات شركة كونسيكا وقد عرضت تفل قصب السكر وتبن البرسيم والقمح والكحول النقي على انواعهِ في زجاجات وبراميل . ومعروضات شركة الملح والصودا وهي انواع الزيوت والصابون والملح والصودا الكاوية وقوالب مضغوطة من كسب بزر القطن تستعمل علفاً للمواشي . ومعروضات شركة السكر والتكرير المصرية وهي انواع السكر وطرق استخراجهِ . وعرضت شركة الطرابيش الوطنية المصرية في قها انواع طرابيشها وطرق ندف الصوف وغزلهِ وحياكتهِ طرابيش. وشركات الاسرة المعدنية انواعاً من الاسرة المعدنية من الحديد والنحاس . وشركة كامبتون انواعاً مختلفة من الثياب. وماتوسيان اصناف الدخان والسجاير . وبولاناكي الكنياك والروم . وشركة التاج البلجيكية البيرا . وشركة معامل الكاوتشوك المصرية اصناف الكاوتشوك

اما القسم الثاني فقد خص بالاثاث والرياش والعارضون فيهِ الخواجات صيدناوي والمستر ستورس سكرتير دار الحماية والخواجا يوسف نخر والسادات ماوردي وشركاؤهم ومدرستا طنطا ودمنهور الصناعيتان والسيد احمد حسن البقري وقد عرض مصنوعات من الارابسك المطعَّم

وخص قسم في ساحة المعرض بالآلات العامة الزراعية وقسم بمصنوعات الطوب والقرميد والاسمنت والجبس والبرابخ والادوات الصحية من الاسمنت المسلح والفخار

وتظهر ساحة المعرض العامة عظمة الصناعة الفردية اليدوية فهناك قسم التجارة العمومية والمباني وقسم الدباغة واشغال الجلود وقسم السلال والخوص وقسم التطعيم وشغل العاج وقسم الصناعات المعدنية وقسم الصناعات الحقيرة المحلية وقسم خياطة الملابس وقسم الصناعات الصغيرة المختلفة وقسم الصناعات الكيماوية وقسم واسع للغزل والنسج وقسم المواد الغذائية وقسم الحبال والشباك وقسم صناعة الفخار وقسم زخرفة المعادن

وقد غطيت جدران هذه الساحة بالسجاجيد والحصر والابسطة من صنع البلاد واقيم في وسطها كشك جميل لهُ قبة تسترعي الانظار وجلل من الداخل والخارج بقطع قماش الخيام موشاة برسوم ورموز مصرية جميلة تدل على ذوق سليم وهي من صنع الخيام الشهير اسماعيل عمر

ووضع في صدر الساحة المذكورة نول لحياكة القطن ونول آخر لحياكة الحرير من معمل السادات سليم عبده سلبق وشركائهم · ونول جاكار للمدرسة الصناعية ونول لعمل السجاد ومع كل نول عمالهُ يحوكون اصناف الاقمشة والمصنوعات والى جانبهم المواد الخام

ومما استوقف انظار زائري المعرض «المنظرة» الشرقية البديعة التي صنعها المستر ستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية وهي مفروشة بالرياش الشرقية تمثل ما كان يرى في المناظر الشرقية القديمة من ابسطة ودواوين ودكك ودواليب (خزانات) وكراسي وخشب معرّق وستاير وطشوت واباريق نحاس وصواني وشمعدانات و براويز وشيش ومراوح وما اشبه

ومما شاهدناهُ ويظهر لنا انهُ بلغ حد الاتقان وصار في الطاقة ان نستغني بهِ عن مصنوعات اوربا التي من نوعهِ كل المصنوعات من الخشب الساذج والمطعم فان الخزائن والموائد والكراسي المعروضة تغني عن مصنوعات اوربا التي من نوعها وقد لا تزيد عليها ثمناً مع ان موادها الاصلية من خشب وزجاج ورخام ومسامير وغراء وورنيش كل ذلك يؤتى بهِ من الخارج

وكذلك جانب كبير من المنسوجات الحريرية والممزوجة من الحرير والقطن · والطرابيش والسجاد · والثياب · والسمنت وما يصنع منهُ · واكثر ما يصنع من النحاس · ومن الجلد · وبعض ما يصنع من الحديد · والصابون على انواعهِ · والمربيات على انواعها · وكثير من

الاشربة الروحيَّة · كل ذلك يمكن الاستغناء بهِ عما يرد من اوربا · وحبذا لو عدل صانعو السجاد عن الاكتفاء بلون الصوف الطبيعي الابيض والاسود والاسمر واكثروا من صبغهِ بالالوان التي تكون عادة في السجاد الازميرلي والعجمي والبخاري واختاروا لها الاصباغ النباتية الثابتة والرسوم الشرقية المألوفة

و ينبغي ان لا يبرح من البال ان البلاد تقصد من الصناعة امرين الاستعمال المحلي والاصدار الى الخارج فيجب اولاً ان نصنع المصنوعات التي تُطلَب في البلاد حتى تناظر ما يجلب من الخارج متانةً ورخصاً · وثانياً ان نصنع المصنوعات التي تروج في اسواق اوربا كالسجاد على انواعهِ واشغال المشربية والآنية النحاسية وانواع الانسجة والمطرزات الشرقية والارواح التي تستخرج من الورد والفل والياسمين والنعناع والفتنة وما اشبه · ومربيات الفاكهة ومكبوسات الخضر · فانهُ يسهل على القطر المصري ان يزاحم سائر البلدان في ذلك كلهِ اما لان موادهُ الاصلية موجودة في البلاد او لانهُ يقتضي عملاً يدوياً كثيراً ولا يزال العمل اليدوي رخيصاً عندنا

ترعة بناما

ترعة بناما اكبر الاعمال الصناعية واعظمها واصعبها وقد بلغ ما انفق عليها مئة مليون جنيه وقد ظهر الآن ان الذين انشأُوها اخطأُوا في اختيار المكان الذي انشأُوها فيهِ لان جانباً منهُ تراب متصل بتراب عالٍ فكأنهُ معهُ نوع من السائل ومهما اخرجت من هذا التراب من قلب الترعة صعد غيرهُ من جوف الارض وقام مقامهُ كأنهُ الماء ينبع من الارض اذا كان متصلاً بماء اعلى منهُ · فان الكراكات التي تنزع الاتربة من هذه الترعة لم يصنع الصناع اقوى منها ولما انهار جرف كبير بالامس وسدّ الترعة جعلت هذه الكراكات تنزحهُ فنزحت اكثر مما انهار ولكنها لم تنظف الترعة حتى الآن · فان كان الامر كذلك فلا بدَّ من العدول عن استعمال هذه الترعة او تحفر حفرة حول الجزء الذي مادتهُ ترابية ولو طالت الترعة بذلك كثيراً · والظاهر ان الاميركيين نظروا الى مصائب اوربا فهانت عليهم مصيبتهم بهذه الترعة ولذلك لم يكثروا من الشكوى منها حتى الآن

باب التقريظ والانتقاد

تصحيح لسان العرب

اتحفنا حضرة الكاتب المحقق احمد بك تيمور بالقسم الاول من كتاب تصحيح لسان العرب . وهو حاوٍ لتنبيهات على اغلاط وقعت في نسخة لسان العرب للامام ابن منظور المطبوعة ببولاق سنة ١٣٠٠ — ١٣٠٨ . قال « وكنا عثرنا عليها اثناء المراجعة ونشرنا عليها فصولاً في صحيفة المؤيد ومجاني الضياء والآثار ثم بدا لنا ان نجمع شتاتها وننظم شملها في هذه الاوراق بعد ان نضم عليها ما لم يسبق لنا نشرهُ من قبل . ولسنا في ذلك بمدعين عصمة او متبجحين بفضل وانما هو جهد المقلّ دعانا امرضهِ على الانظار حرصنا على ردّ الكتاب الى نصابهِ من الصحة . فان لم نكن وُفقنا فيهِ الى الاصابة فحسبنا منهُ ارشاد المطالع الى مواضع فيهِ حرية بالبحث والنظر »

وقد عني بنشر هذا التصحيح حضرة محمد افندي عبد الجواد الاصمعي ووعد بنشر ما وصلت اليهِ يدهُ من التصحيحات الاخرى التي استدركها نفر من افاضل الباحثين مثل الشيخ محمد محمود الشنقيطي والشيخ حمزه فتح الله والشيخ ابرهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفى والشيخ محمد البلبيسي وغير ذلك من التصحيحات التي يمكنهُ العثور عليها

وحبذا لو جمع هذه التصحيحات كلها ومزجها بعضها ببعض ونشرها في كتاب واحد واختار حروفاً يضعها الى جانب كل تصحيح اشارة الى صاحبهِ كحرف ت مثلاً اشارة الى تصحيح احمد بك تيمور هذا وحرف ش الى تصحيح الشنقيطي وحرف ي اليازجي وهلمّ جرّاً فيسهل على كل من عندهُ نسخة ان يضم هذا الكتاب اليها

كتاب الفاخر

اهدي الينا كتاب الفاخر تأليف ابي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي . اعتنى باستخراجهِ وتصحيحهِ المستر ستوري استاذ اللغة العربية في المدرسة الاسلامية بعليكده (الهند) وطبع في مطبعة بريل بمدينة ليدن . واخذت نفقات طبعهِ ونشرهِ من المال المرصود تذكاراً للمستشرق المشهور دغويه . وهو يشتمل على ٥٢٦ من الامثال والاقوال المأثورة عن العرب

وشرحها . ومن الغريب ان بعضها لا يزال مستعملاً حتى الآن وان اكثرها مذكور في مقامات الحريري ومقامات اليازجي مع ان موءلف الكتاب من اهل القرن الثالث فمضى عليها اكثر من الف سنة ولم تزل على استعمالها . وقد احسن ناشر الكتاب فيما الحقهُ بهِ من الفهارس التي يرتشد بها الطالب الى مكان كل مثل او قول ارادهُ

تصحيح كتاب الاغاني

كتاب الاغاني عمدة في آداب العربية وقد قيض الله للنسخة المطبوعة منهُ ان وقف عليها اللغوي الحجة الثقة المرحوم محمد محمود الشنقيطي وصحح ما فيها من خطإ النسخ والطبع وما في فهارسها من النقص واضاف اليها حواشي كثيرة . وعني بجمع ذلك كلهِ حضرة محمد افندي عبدالجواد الاصمعي وطبعهُ . انتدبهُ الى ذلك حضرة صاحب السعادة الاستاذ احمد زكي باشا . وقد اشار الى الصفحة والسطر في طبعة بولاق وطبعة الساسي في الاجزاء العشرين الاولى وفي طبعة ليدن وطبعة الساسي في الجزء الحادي والعشرين . فجاء هذا التصحيح والزيادات في ٧٠ صفحة كبيرة تشهد للمصحح والجامع والناشر والمنتدب بالفضل وتوخي النفع للذين يرجعون الى هذا الكتاب النفيس الذي هو اكبر خزانة للآداب العربية

وكنا نظن ان طبعة بولاق اصح من طبعة الساسي حتى اننا ابتعنا الاولى دون الثانية واذا هذا التصحيح يدل على ان طبعة الساسي اقل خطأً من طبعة بولاق وصار من السهل تصحيح الطبعتين الآن

النتيجة السنوية

اهديت الينا النتيجة السنوية التي تصدرها جمعية النشأة القبطية الارثوذكسية وهي العشرون في بابها وقد صدّرت برسمي عظمة السلطان وغبطة الانبا كيرلس الخامس بابا الكرازة المرقسية . وجاء فيها ان مفتتح السنة ١٦٣٣ للشهداء سيكون في ١١ سبتمبر القادم وهو يوم النيروز او راس السنة المصرية وفصلت فيها الاعياد القبطية بوجه خاص وهذا حسن . اما ما ليس بالحسن وكنا نودّ لو ان النتيجة تخلو منهُ في اعدادها المقبلة فهو امثال قولها انهُ في يوم الاحد ٧ توت يزرع الكرنب شتلاً . وفي ١٩ منهُ يكثر السفرجل وفي ٩ بابه يجنى القطن ثانية وفي ١٨ منهُ تكثر الاسماك الصغيرة (البسارية) الى غير ذلك . فان هذا التدقيق في التعيين والتخصيص يفقد النتيجة كثيراً من قدرها في العيون لمخالفتهِ للواقع كما لا يخفى

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) السناتوجين

نوى · الخواجه عزيز متري · اعلنتم في اعداد المقتطف عن فوائد السناتوجين وقد اشتريناهُ فهل يجوز للحامل ان تتناول منهُ من غير ضرر

ج · ان اصحاب المجلات والجرائد غير مسؤُولين عن صحة الاعلانات التي ينشرونها ولاسيما اذا كانت عن مواد دوائية · والسناتوجين من الادوية الخصوصية التي صنعها الالمان واكثروا من الاعلان عنها · وقد سمعنا من بعض الذين يوثق بكلامهم وعلمهم انهم استعملوهُ وافادهم ولكن لا يثبت من ذلك ان لهُ كل المنافع التي تنسب اليهِ ونرجح انهُ لا يضر الحامل ان لم يفدها

(٢) زرع النخل

ومنهُ · كيف يزرع النخل وهل يسمَّد واي انواع السماد تصلح لهُ وهل يجوز ذلك في بدء زراعتهِ

ج · تقطع الفسيلة من امها ويحفر لها حفرة صغيرة تزرع فيها ولا تسمد حينئذٍ عادة بل يكتفى بما يوضع في الارض التي تزرع فيها من السماد لاجل المزروعات الاخرى · ومتى نمت واستغني عن زرع الارض ولم تعد تسمد لان ليس فيها زراعة اخرى يحسن تسميد النخل حينئذٍ والسباخ البلدي يصلح لهُ

(٣) سماد القمح

ومنهُ · اي سماد كيماوي افضل للقمح والذرة نترات الصودا او سلفات النشادر

ج · لا يمكن الحكم في هذه المسألة الاَّ بعد تجارب عديدة متكررة في ارض واحدة وقد يحتمل انكم تجدون النترات افضل من السلفات في بعض الاراضي والسلفات افضل من النترات في غيرها · وقد جربنا نحن النترات في السنوات الماضية ومرادنا ان نجرب السلفات هذه السنة لنرى ايهما اصلح لاطياننا

(٤) سكان مصر الاولين

رمل الاسكندرية · احد القراء · من كان يسكن مصر قبل قدماء المصريين

ج · يقول الباحثون في هذا الموضوع ان سكان مصر الاولين كانوا من السود او الاحباش ثم جاءها اناس بيض من ساحل افريقية الشمالي ومن سورية وبلاد العرب فامتزجوا بالسكان الاصليين وتكوّن منهم الشعب المصري القديم وكان الاختلاط على اكثره في الجهات البحرية (الشمالية) ولذلك فالسكان هناك يشبهون سكان غربي اسيا لونًا وشكلاً ·وعلى اقله في الجهات القبلية (الجنوبية) فالسكان هناك يقرب شبههم من الاحباش لونًا وشكلاً

(٥) اول امة اشتغلت بالكيمياء

ومنهُ. مَن اول امة اشتغلت بعلم الكيمياء

ج · مبادىء بعض المعارف الكيماوية متوغل في القوم فالناس الذين تركوا عصير العنب او نقيع الحبوب حتى اختمر كان عملهم هذا من قبيل الشغل بالكيمياء والناس الذين اشعلوا النار وطبخوا الطعام كان عملهم من قبيل الشغل بالكيمياء ايضًا والناس الذين سبكوا الذهب والفضة والنحاس والحديد كان عملهم من قبيل الاشتغال بالكيمياء · والناس الذين ركّبوا الادوية المختلفة كان عملهم من قبيل الاشتغال بالكيمياء · فكل الامم اشتغلت بالكيمياء في سالف عهدها ولكن المعارف الكيماوية لم تصر علمًا باصول الأ في القرن الماضي وكان اكثر الناس اشتغالاً بها حينئذٍ الفرنسيس والانكليز والالمان

(٦) طوابي راس البر

مصر · محمد كامل الغمراوي · الى عهد مَن من الولاة في مصر يرجع تاريخ بناء الطوابي القديمة على ساحل بحر الروم التي منها الطابيتان المتهدمتان عند رأس البر

ج · جاء في الخطط التوفيقية ان قلعة البوغاز الكبرى في رأس البر انشأها الفرنسويون حينما احتلوا القطر المصري في القرية القديمة المسماة بقرية البرج ولم يبقَ من آثارها الأ الجامع · ثم ان عباس باشا الاول انشأ القشلاق الكبير الذي هناك على شاطىء النيل وجملة مخازن للبارود والمهمات العسكرية وصهريجًا لشرب العساكر المرابطين بتلك القلعة مع اهل عزَب البرج · واما القلعتان اللتان في جهتي البوغاز شرقًا وغربًا فانشئتا في زمن الفرنسوية · وقلعة الدبية بنيت في زمنهم ايضًا وكذلك قلعة بوغاز البرلس

ثم ان عباس باشا انشأ اربعة ابراج غربي بوغاز دمياط وبرجًا فوق اشتوم الجميل شرقي قلعة الدبية ورممت مباني الفرنسويين في عهد محمد علي باشا وقوّيت ورمم اسمعيل باشا قامة العزبة الكبيرة وعليهِ فتلك الطوابي والابراج بني بعضها في عهد الفرنسويين وبعضها في عهد محمد علي باشا وعهد عباس باشا ورممت في عهد محمد علي باشا واسمعيل باشا

(٧) تقريظ الكتب قبل قراءتها

مصر . احمد افندي عبد العال سلامه . لا يقرظ الانسان كتاباً او ينتقدهُ الاَّ بعد قراءتهِ ولكن نجد في كثير من المؤلفات العصرية تقاريظ تلحق بها قبلما تنشر تلك الكتب فكيف ذلك

ج . يحتمل ان الذين يقرظون تلك الكتب يطلعون على مسوداتها وهي تطبع وذلك ليس بالامر الصعب

(٨) اعظم عمل هندسي

ومنه . ما اعظم عمل هندسي قام بهِ الانسان حتى الآن

ج . ترعة بناما فانها اعظم الاعمال الهندسية واكثرها نفقات اذ قد بلغ ما أُنفق عليها مئة مليون جنيه وسور الصين اكبر من ترعة بناما ولكنهُ ليس من الاعمال الهندسية العظيمة

(٩) مقر الخلافة

ومنهُ . ما هي المدن التي جعلها الخلفاء مقرًّا لهم

ج . مكة ودمشق وبغداد والقاهرة وكانوا ينتقلون احياناً الى مدن اخرى ولكنها لم تكن مقرًّا لهم وانتقل آخر خليفة عباسي الى القسطنطينية ولكنها كانت منفًى لهُ لا مقرًّا لخلافتهِ

(١٠) معنى بعض الكلمات

ومنهُ . ما معنى هذه الكلمات بروتستانت وكاثوليك وارثوذكس

ج . معنى بروتستانت محتجون ومنهُ كلمة بروتستو لانهم احتجوا على بعض اعمال كنيسة رومية . ومعنى كاثوليك جامعة فالكنيسة الكاثوليكية معناها الكنيسة الجامعة . ومعنى ارثوذكس مستقيم الرأي فالكنيسة الارثوذكسية معناها الكنيسة المستقيمة الرأي

(١١) خواص الحيوان

ومنهُ . هل يعتمد على ما في كتاب حياة الحيوان ونحوهِ من الكتب في خواص الحيوان

ج . كلا

(١٢) كتاب كيخوتي

يونس ابرس بالبرازيل . الخواجه فؤَاد انطون الحداد . ما رأيكم في ترجمة كتاب دون كيخوتي لميڤيل سرڤانتي الاسباني الى اللغة العربية وهو كتاب ليس لاسبانيا فقط بل للعالم اجمع وقد ترجم الى كل اللغات الحية منذ سنين عديدة وطبع لا اقل من ١٥٠٠ طبعة فطبع في الاسبانية اكثر من ٧٠٠ طبعة وفي الانكليزية ٢٢٠ طبعة وفي الفرنسوية ١٩٠ طبعة وفي الايطالية اكثر من ١٠٠ طبعة وكذلك في البرتغالية . وفي الالمانية اكثر من ٨٠ طبعة الخ وذلك في مدة ٣٠٠ سنة وهل ينال من يترجمهُ الى العربية ويطبعهُ فيها ربحاً ماليًّا او لا يكون لهُ الاَّ تقريظ الجرائد

ج . كتاب Don quixote كبير ونظن انهُ مملّ فاذا ترجم مختصرهُ وزين بالصور واهتم بنشرهِ بعض باعة الكتب فالمرجح ان مترجمهُ يكتسب منهُ بعض المال ولكن لا بدَّ من الانتظار الى ما بعد رخص الورق

(١٣) كتب سبنسر

ومنهُ . هل ترجم الى العربية بعض كتب سبنسر غير المقالات التي نشرتموها في مجلدات المقتطف الماضية

ج . ترجم منها كتابهُ في التعليم وطبع وكان فارس افندي الخوري قد شرع في ترجمة كتاب المبادئ الاولى كما اخبرنا ولكننا لم نسمع انهُ اتمهُ

(١٤) كتب ليبون وغيرهِ

ومنهُ . هل ترجم شيءٌ من كتب ليبون وريبو وباجت وغيرهم من فلاسفة فرنسا في نشوء القوة ونشوء الاجتماع ونشوء المادة وتهذيب الارادة ونحو ذلك من اجل المواضيع التي بها تحيا الامم لا بالروايات الغرامية

ج . ترجم كتاب نشوء الاجتماع ولم يبلغنا انهُ ترجم غيرهُ من الكتب التي ذكرتموها . وعذر الناس في عدم ترجمتها ما اشرتم اليهِ انتم وهو طلب الكسب لا طلب الخسارة

(١٥) علاج البول السكري

البصرة . جميل افندي سركيس . ذكرتم في الجزء الخامس من المجلد السابع والاربعين للمقتطف ان معهد روكفلر الخاص بالمباحث الطبية اكتشف دواء شافياً للبول السكري فما اسم هذا الدواء بالانكليزية ومن اين يشترى

ج . لا نعرف اسم الدواء وكل ما نعرفهُ انهُ مركب من بيكربونات الصودا وملح الطعام وغيرهما كما جاء في الجزء المذكور وقد نقلنا هذا الخبر عن مجلة العلوم الطبية الاميركية

(١٦) تحليل البول

مغاغه . محمد افندي حنفي . كيف يحلل البول

ج . لفحص البول غرضان الاول معرفة حال الجهاز البولي والثاني حالة انسجة الجسم المدلول عليها باليوريا . وهذه تعرف بان يؤخذ جزء من محلول الباريتا اي ٢٠ سنتمتراً مكعباً مثلاً ويضاف اليها جزآن من البول ثم ترشح ويؤخذ ١٥ سنتمتراً منها ويقطر عليها محلول نترات الزئبق ويحرك المزيج على الدوام حتى لا يبقى راسب ثم يقطر على لوح زجاج بعض نقط من مذوب كربونات الصودا ويضاف اليها نقطة من المزيج فان بقيت بيضاء وجب ان يضاف كمية اخرى من نترات الزئبق الى المزيج حتى يصفر . ثم ينظر كم أُضيف من النترات اليهِ فتعرف كمية اليوريا في ١٥ سنتمتراً من المزيج الاصلي وفيها ١٠ سنتمترات من البول . وبذلك

تعرف الكمية المفرزة في ٢٤ ساعة · وهذه الطريقة تستعمل ايضاً لمعرفة كية الكلور في البول وقد اخترعها البارون ليبغ

ولمعرفة كمية الحامض اليوريك في البول يؤخذ ١٠ سنتمترات مكعبة منهُ و يضاف اليها ٥٠ س · م من الماء و ٥ — ١٠ س · م من مذوب النشاء ثم اقطر في المزيج محلول قيود وحرك المزيج وانتظر زوال اللون الازرق فاذا لم يزل بل بقي ساعة يكون العمل قد تم · فاضرب كمية اليود التي اضفتها في ٢١، فيكون الحاصل كمية الحامض اليوريك في اللتر

ولمعرفة وجود الزلال في البول ثلاث طرق مشهورة احداها ان يغلى البول بعد ان يضاف اليهِ نقط من احد الحوامض فان كان فيهِ زلال ظهرت فيهِ سحابة بيضاء متخثرة · والثانية — وتسمى طريقة هلر — ان يوضع شيء من الحامض النتريك في قعر انبوبة و يصب البول فوقها شيئاً فشيئاً فان كان فيهِ زلال تكوَّن خط ابيض كثيف عند ملتقى السائلين · والثالثة مثل الثانية ولكن يستعمل الحامض البكريك فيها مكان النتريك

ولمعرفة وجود السكَّر فيهِ خمس طرق منها طريقة مور وهي ان يوضع بعض البول الذي يراد تحليلهُ في انبوبة و يضاف اليهِ بعض ماء الصودا ليصير قلويًّا و يغلى مدة فاذا كان فيهِ سكر تكونت من الاغلاء مادة سمراء ذات رائحة طيبة وهي المعروفة باسم كرَملاً · ومنها طريقة ترومر وهي ان يوضع البول في انبوبة و يضاف اليهِ ثمنهُ حجماً من ماء البوتاس ونقطة او نقطتان من محلول سلفات النحاس فيزرق المزيج وحينئذٍ يوضع على النار فاذا كان فيهِ سكر تحول اللون الازرق احمر واصفر · ومنها طريقة فهلن وهي ان يؤخذ محلول مزرق مؤلف من سلفات النحاس واسمهُ ملح روشل وشيء من البوتاس الكاوي و يوضعان في انبوبة و يغليان ثم ترفع الانبوبة عن النار و يضاف اليها بعض نقط من البول المراد فحصهُ فاذا كان فيهِ سكر صار لونهُ احمر واصفر من تكون املاح النحاس

و يطول بنا الكلام اذا شرحنا ذلك كلهُ بالتفصيل واضفنا اليهِ الطرق التي تستعمل لمعرفة مقدار ازدياد بعض الحوامض في حال المرض كالحامض الكبريتيك والفصفوريك وغيرها



اوجه القمر في شهر سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٥	٦	٢٦	صباحاً
البدر	١١	١٠	٣١	مساء
الربع الاخير	١٩	٧	٣٥	صباحاً
الهلال	٢٧	٩	٣٤	«
القمر في الحضيض	٩	٣	٢٤	مساء
« الاوج	٢١	١١	٣٦	صباحاً

السيارات

عطارد والمريخ يكونان كوكبي مساء
الزهرة وزحل يكونان كوكبي صباح
المشتري يشرق نحو الساعة الثامنة مساء

الدكتور دانيال باس

جاءنا من بيروت نعي استاذنا المرحوم الدكتور دانيال بلس الرئيس الاول للمدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت. كانت وفاتهُ في اواخر شهر يوليو الماضي بعد مضي ٥٠ عاماً على افتتاح الكلية. وقد تولى رآستها من حين افتتاحها الى سنة ١٩٠٢ ثم خلفهُ نجلهُ الاكبر الدكتور هوَرد بلس رئيسها الحالي. وقد نشرنا ترجمتهُ وتاريخ رآستهِ في المجلد السابع والعشرين من المقتطف. ونكتفي في هذا المقام بالقول انهُ بقي بعد استعفائهِ يلاحظ سير الكلية ملاحظة غير رسمية. ومن فرط ولعهِ بها وغيرتهِ عليها طلب ان لا تكف يدهُ عن العمل بتاتاً فاجيب الى طلبهِ فكان يجتمع ببعض الطلبة بضع ساعات في الاسبوع ويشرح لهم بعض المسائل الادبية. كان مرة يتمشى في ارض المدرسة حيث الطريق المعروف باسم السركل وهو يطلُّ على بحر الروم غرباً وترى منهُ قمم لبنان العالية المكسوة بالثلج وسفوحهُ المكسوة بالغابات والقرى المنضدة والضياع العامرة فلقي بعض الطلبة فوقف واستوقف وقال « زرت بلاداً كثيرة من هذه المعمورة ولكنني لم ارَ بقعة اصفى سماء وانقى هواء واملأ للعين وانضر للقلب من هذه البقعة الطيبة ». وكان يتمنى ان يموت ويدفن فيها فتم لهُ ما تمنى. توفي ولهُ من العمر ٩٣ سنة وسيتحسر المئات من تلاميذهِ حينما يبلغهم نعيهُ لانهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى بيروت لتوديع رفاتهِ الوداع الاخير ولانهُ توفي قبلما يشهد يوبيل الكلية الذي كنا نرجو ان يحتفل بهِ في الشهر القادم

نفع الاثمار

نشرت احدى المجلات الانكليزية المشهورة مقالة ادعى كاتبها فيها ان اكل الاثمار يقوي الصحة و يزيد القوة و يطيل العمر· ومما جاء فيها ان عصير البرتقال والليمون يفعل فعل السحر في الفضلات الكلسية التي تتجمع في الجسم وتقسي الشرايين وتسهل انفجارها · و بعبارة اخرى انهُ الدواء الشافي للداء المعروف باسم تصلب الشرايين الذي يفضي الى السكتة · وان اكل السمك ولحم الخنزير يجلب السرطان والخنازيري والاورام والدمامل على انواعها· وان اكل بعض المواد النشوية السهلة الهضم يفضي الى كسل الجهاز الهضمي وقبض الامعاء وكثرة استعمال المسهلات · وقد انتقدت مجلة ناتشر العلمية هذه المقالة وقالت ان كثيراً مما اوردهُ صاحبها فيها بصورة حقائق ثابتة لم يثبتهُ الامتحان حتى الآن مثل قولهِ ان عصير البرتقال يمنع السكتة ولحم الخنزير يجلب السرطان وما شاكل ذلك

بعض اطوار الغراب

يسطو على الغراب بعض انواع العقاب فيحاول الغراب اتقاءهُ بالطيران من وجههِ فاذا ادركهُ انطرح الغراب على الارض مستلقياً وجعل يقاوم مطاردهُ بمنقارهِ ومخالبهِ فينجو منهُ على الغالب · ومتى بلغت فراخ الغراب دور الطيران جعل ابوها وامها يدربانها على الافلات من العقاب فيمثل ابوها دور العقاب و يطارد فراخهُ و يعلمها الاستلقاء على ظهورها فلا تلبث الاَّ القليل حتى تتعلم درسها وتتقنهُ

البلاغرا واكل اللحم

ثبت الآن ان للطعام فعلاً كبيراً في سبب البلاغرا وشفائها ومنعها وان البلاغرا تنتشر في البلاد التي يقلُّ فيها اكل اللحم · وعليهِ رأى العارفون وجوب الاكثار من اكل اللحم في البلاد التي تنتابها البلاغرا واقترح الدكتور ستيلس الاميركي المشهور باختباراتهِ في هذا المرض ان تختار تربية الارانب البرية والاهلية لسهولة تربيتها وكثرة انتاجها ورخص علفها فيأكل الفقراء لحمها اذا تعذر عليهم ابتياع لحم البقر والغنم

حيلة تجارية

عمد احد معامل الملبوسات الاميركية الى تقديم طعام الغداء الى عمالهِ بثمنهِ الاصلي من غير ربح فكانت النتيجة ان العمال زادوا رغبة في العمل فزاد ربح المعمل · وان المعمل تمكن بهذه الخطة من الحصول على الايدي العاملة في اي وقت شاء ولو في وقت قلة العمال وازدحام الاعمال

النظام العشري

عقد احد المجالس التجارية المشهورة في لندن جلسة وافق فيها على القرار الآتي :

(١) انهُ نظراً الى النفع الكثير الذي يعود على التجارة الانكليزية الخارجية من استعمال النظام العشري في النقود والاوزان والمقاييس يرى هذا المجلس وجوب اتخاذ التدابير اللازمة لاقتباس النظام المذكور حالاً ليكون معمولاً بهِ قبل انتهاء الحرب

(٢) لما كانت انكلترا وحليفاتها تتفاوض للتعاون على الاعمال التجارية يداً واحدة في المستقبل فمن الامور العظيمة النفع حسبان لغة واحدة اللغة التجارية المعترف بها والمصطلح عليها فتعلم في المدارس الانكليزية وفي مدارس الحلفاء ولا فرق بين ان تكون هذه اللغة هي الانكليزية او الفرنسوية او الروسية او الاسبرانتو او غيرها من اللغات التي تجتمع كلمة الحلفاء عليها

بقايا الانسان

عثروا حديثاً في انكلترا على هيكل عظمي ظهر بعد البحث انهُ هيكل غلام من العصر الحجري الحديث وهو اصغر كثيراً من هيكل غلام من سنهِ في هذا العصر . وعثروا ايضاً على جمجمة انسان قبل العهد الروماني او عهد التاريخ . ومن رأي الاستاذ كيث انهُ ليس بين الجماجم الانكليزية التي وجدت من بقايا هذا العهد جمجمة واحدة ذات انف بارز العظم

آفة التوربيد

لما رأى المهندسون الميكانيكيون ان الشبكة التي تحاط بها السفن البحرية لاتقاء التوربيد غير وافية بالمرام اخترع بعضهم واسطة اخرى وهي ان تحاط السفينة بمنطقة تكون على بعد بضع اقدام من بدنها ويكون الماء بينهما . فاذا ضربت السفينة بالتوربيد اصاب هذه المنطقة اولاً فانفجر ولم يؤثر في السفينة نفسها . وقد جهز الانكليز بها سفنهم الجديدة من الطرز المعروف باسم مونيتور

المدافع الضخمة

الفرق بين المدافع الضخمة من برية وبحرية ان المدفع البري الذي من عيار ٤٢ سنتمتراً مثلاً (وهو اضخم المدافع البرية) سرعة القنبلة فيهِ الف قدم في الثانية الى ١٥٠٠ وقوة ضغط البارود في خزنة المدفع ١٤ طناً على كل بوصة مربعة . اما اضخم المدافع البحرية وهو من عيار $\frac{1}{2}$ ٣٧ بوصة فسرعة القنبلة فيهِ ٢٥٠٠ قدم الى ٣٠٠٠ في الثانية وقوة ضغط البارود في خزنتهِ ١٨ الى ٢٠ طناً على البوصة المربعة . ومن رأي احد الخبيرين انهُ يمكن سبك مدفع يحتمل ضغط ٣٠ طناً على كل بوصة مربعة

الذهب في العام الماضي

استخرج من مناجم الذهب في العام الماضي ما يساوي ٩٦٩١٥٠٠٠ جنيهاً كما ترى في هذا الجدول

من فكتوريا باستراليا	٠١٣٩٨٠٠٠
« غرب استراليا	٠٥١٣٠٠٠٠
« كوينسلند	٠١٠٧٩٠٠٠
« نيوسوث ويلس	٠٠٥٥٩٠٠٠
« تسمانيا	٠٠١٠٠٠٠٠
« جنوب استراليا	٠٠٠٣٦٠٠٠
« زيلندا الجديدة	٠٠٩٠٠٠٠٠
« الولايات المتحدة	٢٠٣٠٠٠٠٠
« كندا	٠٣٩٠٠٠٠٠
« الهند	٠٢٣٦٦٠٠٠
« غرب افريقية	٠١٧٠٧٠٠٠
« الترنسفال	٣٨٦١٧٠٠٠
« روديسيا	٠٣٨٢٣٠٠٠
« سائر البلدان	١٧٠٠٠٠٠٠
والجملة	٩٦٩١٥٠٠٠

الفضة في العام الماضي

بلغ ما استخرج من مناجم الفضة في العام الماضي ١٩٥٩٨٥٦٠٠ اوقية وهي تساوي ١٩٧٠٩٠٠٠ جنيه وكان في العام الذي قبلهُ ٢١١١٠٣٣٧٧ اوقية تساوي ٢٢٢٦٤٨٠٩ جنيهات

الحرير في العام الماضي

بلغ محصول الحرير في اوربا في العام الماضي ٣٢٢٥٠٠٠ كيلو وكان في العام الذي قبلهُ ٤٨٤٠٠٠٠ وهو من فرنسا وايطاليا واسبانيا والنمسا وقد نقص فيها كلها. وبلغ في الشرق الادنى اي تركيا والقوقاس والبلقان واليونان وايران ١٠١٥٠٠٠ كيلو وكان في العام الذي قبلهُ ١٧٨٥٠٠٠ وقد نقص في هذه البلدان كلها. وبلغ في الشرق الاقصى ١٨٨٤٥٠٠٠ كيلو وكان في العام الذي قبلهُ ١٥٥٩٥٠٠٠ واكثر الزيادة في اليابان والصين. وجملة محصول العام الماضي ٢٣٠٨٥٠٠٠ كيلو والعام الذي قبلهُ ٢٢٢٢٠٠٠٠ كيلو اما الزيادة في محصول اليابان فنحو ثلاثة ملايين كيلو او نحو ثلاثين في المئة من محصولها

اعظم مدى للتلغراف اللاسلكي

خرجت باخرة اسمها سيرا من ميناء سان فرنسسكو فلما صارت على بعد ٤٨٧٠ ميلاً منهُ في طريقها الى استراليا ارسلت رسالة لاسلكية الى محطة التلغراف اللاسلكي في سان فرنسسكو وهي على ذلك البعد فشعرت المحطة بها وعلمت منها مكان السفينة في عرض البحر. وهذه المسافة هي ابعد مدى للتلغراف اللاسلكي حتى الآن

قصاص العلماء الادبي

اجتمعت الجمعية الكيماوية في بلاد الانكليز واقرّت على حذف اسماء العلماء الالمان من بين اسماء اعضائها سواء كانوا اعضاء مراسلين او اكراميين لانهم من امة معادية ولانهم مالأوا امتهم على معاداة الانكليز وهم العلماء بير وكورتيوس وفشر وغريبي وفون غروت ونرنست واوسولد ووخ وفلستاتر وكانوا قد انتخبوا اعضاء في تلك الجمعية لما افادوا بهِ علم الكيمياء . وقرّرت ان حذف اسمائهم لا ينفي احترامها لمعارفهم والاعجاب بها

ارتفاع الطيارات

ارتفع طيار انكليزي اسمهُ هوكر في ابريل الماضي الى علو ٢٤٤٠٨ اقدام بطيارته فحسب نادي الطيران الملكي ذلك اعظم ارتفاع بلغهُ طيار حتى الآن وسجله لهُ . وكان احد الطيارين الالمان قد قال انهُ بلغ علو ٢٥٧٥٦ قدماً سنة ١٩١٤ ولكن النادي لم يعترف بذلك رسميًّا

تركيب دم الحيوانات

فحصت المس بيوكنان الانكليزية المقيمة في استراليا دم بعض ذوات الثدي للمقابلة بينها فوجدت ان الخلايا الحمراء تنقص حجماً وتزداد عدداً في ذوات الثدي بالارتقاء من ادناها الى اعلاها . اما الخلايا البيضاء فتقل عدداً وتزداد حجماً

ما بني من السفن وغلاء الشحن

ذكرنا في الجدول التالي محمول ما بُني من السفن في البلاد الانكليزية وفي سائر البلدان في السنوات الخمس الاخيرة بالطن ليظهر تأثير الحرب في هذه الصناعة

السنة	في انكلترا	في سائر البلدان
١٩١١	١٨٠٣٨٤٤	٨٤٦٢٩٦
١٩١٢	١٧٣٨٥١٤	١١٦٣٢٥٥
١٩١٣	١٩٣٢١٥٣	١٤٠٠٧٢٩
١٩١٤	١٦٨٣٥٥٣	١١٦٩٢٠٠
١٩١٥	٠٦٥٠٩١٩	٠٥٥٠٧١٩

وهذا النقص في سنة ١٩١٤ و ١٩١٥ ناتج من انصراف همة انكلترا والمانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا واميركا الى بناء السفن الحربية بدل السفن التجارية . فقد كان محمول ما بني من السفن التجارية والحربية معاً في بلاد الانكليز سنة ١٩١٣ نحو مليوني طن فهبط سنة ١٩١٥ الى ٦٥٠ الف طن وكذا في سائر البلدان على ما ترى في الجدول المتقدم . فاذا اضفنا الى ذلك ما غرق من السفن التجارية زمن الحرب رأينا ان لا بدَّ من بقاء اجرة الشحن غالية بعد الحرب الى ان يبنى من السفن ما يقوم مقام ما غرق منها وما منع بناؤهُ بسبب الحرب

المصريون الاقدمون

بحث بعضهم في اثار سكان هذا القطر في العصر الحجري الجديد ونشر بحثهُ في مجلة الانسان (Man) وخلاصتهُ ان سكان هذا القطر كانوا قبل عصر التاريخ من الاحباش ثم جعلت الاقوام الشمالية تأتيهم من سورية وشبه جزيرة سينا والشاطئ الشمالي الغربي من افريقية وتمتزج بهم

النحاس في العام الماضي

قدِّر ما استخرج من النحاس في العام الماضي ١ ٠٦١ ٠٠٠ طن وكان في العام الذي قبلهُ ٩٢٤ ٠٠٠ طن واكثر من نصفها في الحالين من الولايات المتحدة الاميركية

القمح في العام الماضي

بلغت غلة الدنيا من القمح في العام الماضي والذي قبلهُ ما تراهُ في هذا الجدول وهي بالكوارتر وهو نحو اردب ونصف

	١٩١٥	١٩١٤
اوربا	٢٨٥ ٤٤٠ ٠٠٠	٢٤٦ ٣٨٣ ٠٠٠
اميركا	١٩٦ ٦٧٠ ٠٠٠	١٥٧ ٧٢٨ ٠٠٠
اسيا	٠٥٢ ٥٧٢ ٠٠٠	٠٤٣ ٤١٣ ٠٠٠
افريقية	٠١٠ ٩٠٠ ٠٠٠	٠٠٩ ٠٩٣ ٠٠٠
استراليا	٠٢٤ ٢٠٠ ٠٠٠	٠٠٤ ١١٠ ٠٠٠
والجملة	٥٦٩ ٧٨٢ ٠٠٠	٤٦٠ ٧٢٧ ٠٠٠

سوبر تسبلن

سميت السفن الحربية الحديثة التي هي اكبر من الطرز المعروف بطرز در يدنوط سو بر در يدنوطاي فوق الدر يدنوط. وقد بنى الالمان بالونات اعظم من طرز تسبلن سموها سوبر تسبلن وجعلوا يجربونها فوق بحيرة كونستانس في سويسرا. طول الواحد منها ٧٥٠ قدماً وسعتهُ ٥٤ الف متر مكعب على ما يظن اي ضعفا تسبلن المعروف وثقلهُ نحو ٤٠ طناً وفيهِ اربع آلات محركة واربعة قوارب مدرعة لركوب رجالهِ وعدد من البنادق المتعددة الطلقات والآلات الخاصة بقذف القنابل والتوربيد

السكر في العام الماضي

قدِّر محصول سكر البنجر في العام الماضي ٦ ٣٢٠ ٠٠٠ طن وكان في العام الذي قبلهُ ٨ ٢٥٤ ٠٠٠ طن واكثر النقص في المانيا فقد كان محصول سكرها في العام الماضي ١ ٧٢٠ ٠٠٠ طن وفي العام الذي قبلهُ ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ طن وفي النمسا فقد كان في العام الماضي ١ ٠٣٣ ٠٠٠ طن وفي الذي قبلهُ ١ ٦٠٢ ٠٠٠ طن

وقدِّر محصول سكر القصب في العام الماضي ٧ ٧٥٦ ٠٠٠ طن وفي العام الذي قبلهُ ٧ ٣٥٣ ٠٠٠ والزيادة كلها في جزيرة كوبا

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والاربعين

صفحة



طعام بنجر . هذا الطعام سليم الاستعمال ومفيد في الحمى المعوية وغيرها لان عمل الهضم الاول تامٌّ فيهِ . وهذه مزية مهمة لان الجهاز الهضمي في الحميات يكون ضعيفًا دائمًا وملتهبًا التهابًا ذا خطر غالبًا .

فطعام بنجر مسكن ومريح وسليم في الاحوال التي يحظر فيها تناول الطعام العادي لما في ذلك من الخطر . وهذا الطعام مغذٍ من الطبقة الاولى واكثر من ذلك لان المواد الطبيعية المهضمة فيهِ تمكنهُ من هضم نفسهِ



وهو انكليزي من حيث الاصل والملكية والصنع ويباع في علب في جميع الاجزاخانات اقرأ بامعان الوصايا المطبوعة على العلب . ومن اراد زيادة الاستعلام فليطلب الكراس الخاص بذلك فيرسل اليهِ مجانًا وهذا هو العنوان :

Bengers food Ltd., Manchester, England.

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد التاسع والاربعين

١ اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩١٦ — الموافق ٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٤

المعادن في جسم الانسان

جسم الانسان مركَّب من عناصر كثيرة مثل اجسام كل الحيوانات لحمهُ وعظمهُ ودمهُ واعصابهُ وغضار يفهُ في ذلك سواء اكثرها من العنصرين الغازيين الاكسجين والهيدروجين اللذين يتركّب منهما الماء واقلها من العناصر المعدنية كالحديد والفصفور والكلسيوم والصوديوم· واذا حُرق اللحم والعظم احترقا وطار منهما كل المواد غير المعدنية وبقيت المواد المعدنية في ما يبقى منهما من الرماد · وهذه المواد المعدنية قليلة ولاسيما في غير العظم ولكنها من اهم عناصر الجسم فلا تخلو منها دقيقة من دقائقهِ او خلية من خلاياهُ مهما كانت صغيرة وعليها يتوقف انتقال الافعال العصبيَّة واتمام كل الاعمال الحيوية كالهضم والتنفُّس· فلا يقوم جسم الانسان ولا تتم اعمالهُ الحيوية ما لم توجد هـذه العناصر فيهِ ويجهز بها دواماً ولو لم ينتبه الى كيف تدخلهُ بالمقادير اللازمة · فمقدار الحديد في الجسم قليل جدًّا ولكن لا بد منهُ ولو لم يرَ احد كيفية دخولهِ جسمهُ ولا مع اي الاطعمة والاشربة يتناولهُ · وقس على ذلك سائر العناصر المعدنية

ولكنَّ جريان الشيء في مجراهُ الطبيعي لا يستلزم ان يكون هذا المجرى اصلح المجاري لهُ دائماً ولا يمنع زيادة النفع من تدبرهِ والتحكُّم فيهِ· فالارض تخرج نباتها متى رويت ولكن اخراجها للنبات لا يغني عن حرثها وتسميدها واختيار اصلح المزروعات لها· ولا الحالة الطبيعية اصلح من الحالة الصناعية فالفدان الذي يساوي نباتهُ الطبيعي ديناراً او دينارين تزيد قيمة ما ينبت منهُ اذا حرث وسمد وروي وزرع قمحاً او فولاً او قطناً حتى لقد تساوي غلتهُ حينئذٍ عشرة دنانير او عشرين ديناراً او اكثر

ثم ان الاسلوب الطبيعي معرَّض للآفات مثل كل الاساليب التي تفعل بها الفواعل الطبيعيَّة الكثيرة وكذلك جسم الانسان من حين يولد الى ان يموت فيقل تناولهُ لهذه العناصر او يزيد عن الحد الصالح لهُ فاذا لم ينتبه لذلك ولا أُصلح الخلل اذا وقع فلا بدَّ من ضرر يحل بالجسم كما ان الارض التي لا تُصلَح بالحرث والتسبيخ تضعف و يقلُّ ريعها

ولا يحتمل ان نتحكَّم في الطعام والشراب في كل الحالات كما نتحكم في خدمة الاراضي الزراعية ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ ومعرفة الشيء خير من جهلهِ على كل حال . وقد لخصنا في السطور التالية بعض ما عرف عن فائدة العناصر المعدنية التي في جسم الانسان

اشهر المواد المعدنية ملح الطعام وهو مركب من الكلور عنصر غير معدني يكون غازاً على درجة الحرارة العادية والصوديوم وهو عنصر معدني ويكون ليناً كالشمع على درجة الحرارة العادية . والملح يدخل اكثر الاطعمة و يتناول منهُ الانسان مقادير مختلفة كل يوم فاذا اقتصر على الخبز واللبن و بعض الاثمار والخضر فمقدار الملح في طعامهِ هذا قليل جدًّا واذا اكل السمك المقدَّد واللحم المملح وما اشبهُ دخل جسمهُ كثير من الملح . والكليتان دائبتان في اخراج الملح من الدم وافرازهِ مع البول . والظاهر ان الميل الى تمليح الطعام قديم جدًّا في نوع الانسان خاصةً ونوع الحيوان عامةً يردُّهُ بعضهم الى حين كانت الحيوانات كلها بحرية . والمرجح ان الفائدة الكبرى للملح في الجسم هي تعديل المواد المعدنية الاخرى اللازمة لبنائهِ واعمالهِ المختلفة كالكلسيوم والمغنيسيوم اذ ان وجود بعض المعادن يستلزم وجود البعض الآخر بمقدار محدود . والملح كثير عادة في اكثر الاطعمة فيتناول منهُ الجسم كفافهُ وان زاد عن كفافهِ افرزتهُ الكليتان فلا ضرر من زيادتهِ او ان الضرر قليل وخاص ببعض الاحوال المرضية

والكلس والفصفور والحديد قد تقل في الطعام مع شدة الحاجة اليها ولذلك يحسن ان نعرف ما هي الاطعمة التي نتناولها بها . فالكلس كثير في اللبن والبيض والخضر والاثمار . والفصفور كثير في اللبن والبيض والجوز والفول واللوبياء والحبوب ذوات القشور فاذا قشرت قل فيها كما في الارز المبيض والدقيق الابيض . واذا قلت المواد المعدنية في هذه الاطعمة قلَّت معها الاملاح المعدنية فيصاب آكلوها بالقبض . والمغنيسيوم كثير في الحبوب واملاحهُ في قشور الحبوب تجعلها مسهلة . والبوتاسيوم كثير في اكثر الاطعمة العادية والكبريت في الاطعمة النتروجينية . والمنغنيس والبور والسليكون واليود قليلة جدًّا في جسم الانسان ولكنها ضرورية لهُ . وتقل حاجة الجسم الى المواد المعدنية من الولادة الى

سن البلوغ اي انها تكون شديدة في سن الطفولية ثم تقل رويداً رويداً الى سن البلوغ ثم تزيد في النساء في سن المراهقة والحبل والارضاع وفيما سوى ذلك يقل طلب الجسم البالغ لهذه المواد فيجد كفافهُ منها في الطعام العادي · ولا يشتد الطلب عليها الاّ حينما يكون النمو سريعاً اي في سن الطفولية والصبا وحينما تنمي المرأَة جسم جنينها وطفلها ففي هاتين السنين يحتمل ان تقلّ المواد المعدنية عما يلزم وتنتج عن قلتها نتائج وخيمة جدّاً

فاذا اغتذى الطفل من لبن امهِ وجد جسمهُ فيهِ كل ما يحتاج اليهِ من المواد المعدنية واذا لم ترضعهُ امهُ او مرضع اخرى فالغالب انهُ يغذَّى بلبن البقر · ولبن البقر اكثر سمناً وجبناً من لبن المرأَة فيمزج بكثيرمن الماء · لكن مزجهُ بالماء يقلل نسبة المواد المعدنية فيهِ اليها في لبن المرأَة · فتخفيف لبن البقر بالماء ضارٌّ وخير منهُ تخفيفهُ بمصل مقدار آخر من اللبن اي بما يبقى من اللبن بعد نزع قشدتهِ وتجبينهِ ونزع الجبن منهُ · ولا بدَّ من تسخين المصل الى الدرجة ٦٨ بميزان سنتغراد لاماتة ما فيهِ من جراثيم الخمير واضافة قليل من سكر اللبن اليهِ · وتعليل لبن البقر حتى يماثل لبن المرضع ليس بالامر السهل على مَن لم يمارسهُ وبدونهِ لا يصير لبن البقر صالحاً لتغذية الاطفال التغذية الواجبة

واكثر ما يصيب الاطفال سوء الهضم في معدهم وامعائهم مسبباً عن ضعف اعضاء الهضم فيهم وكثرة الدهن في طعامهم فيتكوَّن من الدهن والمواد القلوية مادة كالصابون تخرج مع المبرزات غير مهضومة فيخسر الجسم المواد القلوية وتكثر فيهِ الحوامض · وعلاج ذلك تقليل الدهن في الطعام واضافة شترات الصودا اليهِ لتزيد قوة التأكسد فيهِ فان هذه القوة ضعيفة في الاطفال ولذلك فكثيراً ما تحمض معدهم لاقل سبب · وفراغ المعدة بسبب الحموضة ايضاً والحمّى تسببها · ومصل اللبن علاج ناجع في ذلك كلهِ · ويحسن ان يضاف الى مصل اللبن زلال البيض وعصير الاثمار ولاسيما عصير البرتقال فان فيها شيئاً من الغذاء والمواد القلوية التي تعدّل الحوامض

يولد الطفل وفي بدنهِ ما يكفيهِ من الحديد لكن نسبة هذا الحديد تقل في بدنهِ مدة الارضاع لقلتهِ في اللبن · وحينما يفطم يكون الحديد قد صار قليلاً في جسمهِ بالنسبة الى كبرهِ فيحسن ان يطعم من صفار البيض وعصير لحم البقر والبرقوق وخبز القمح الاسمر · ويشير بعض الاطباء باطعامهِ من الاسبانخ لانهُ كثير الحديد · وصفار البيض اصلح من غيرهِ لان فيهِ حديداً وكلساً وفصفوراً · لكنهُ كثير الغذاء جدّاً فيجب ان يطعم منهُ الطفل بالاحتراس التام لسببين الاول لانهُ قد يفعل بالاطفال فعل السم والثاني لانهُ اذا

عافتهُ نفس الطفل ولو مرةً واحدة صعب عليها ان تستطيبهُ الاَّ بعد زمن طويل وهو من اصلح الاطعمة للصغار فلا يحسن ان يكرهوهُ وصفار البيض الذي سلق وجمد اسهل هضماً من الصفار النيء · وليس كذلك زلال البيض فانهُ اصعب هضماً وهو جامد منهُ وهو نيء

وقد ظن البعض ان ما يصيب الصغار من الضعف في اسنانهم سببهُ قلة المواد المعدنية في طعامهم ولكن المرجح ان سبب هذا الضعف هو قلة استعمال الاسنان بالاقتصار على الاطعمة التي لا تحتاج الى مضغ كثير وكذلك كثرة استعمال السكر والاثمار والحوامض انواعها لانها تاين مينا الاسنان

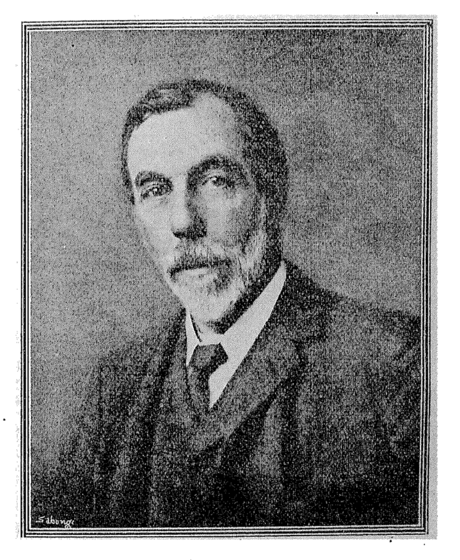
ومتى اجتاز الولد سن الطفولية صارت المواد المعدنية في طعامهِ العادي كافية لهُ ما عدا الكلس والفصفور والحديد · واصلح الاطعمة للنمو من حيث وجود المواد المعدنية اللبن والبيض لكن اللبن ينقصهُ الحديد والبيض ينقصهُ الكلس

وتحتاج المرأة في سن ولادة الاولاد الى الاكثار من الاطعمة التي فيها حديد كلحم البقر والبيض والاثمار والخضر ولاسيما الاسبانخ والفول الاخضر والكرنب · ومتى جعلت ترضع اطفالها زادت حاجتها الى المواد المعدنية في طعامها

ويقال بنوع عام ان الطعام الذي يبقى منهُ رماد كثير اذا حُرق هو اكثر موادّ معدنية من غيرهِ · ولا ضرر من زيادة هذه المواد في الجسم بل الضرر من قلتها ولذلك لا يحسن طرح الماء الذي تسلق فيهِ الحبوب والبقول ونحوها لان كثيراً من المواد المعدنية يذوب فيهِ فيجب ان تعاد الى الطعام واذا كثرت الاملاح المعدنية في الطعام قلَّ التعرُّض للقبض واذا قلت زاد التعرُّض لهُ

ولا يحسن ان تزيد المواد الحامضة في الطعام على المواد القلوية · ومعلوم ان رماد اللحم والبيض والحبوب حامض ورماد الخضر واللبن والاثمار قلوي فيجب الاكثار من هذهِ مع تلك لكي يعدّل بعضها بعضاً

هذا وقد يعيش الانسان السنين الطوال وهو غير عارف بشيء من هذه الحقائق ولا محتاج الى معرفتها لانهُ يكون جارياً في طعامهِ على ما يقتضيهِ جسمهُ ولكن ما كل الناس كذلك والاصحاء لا يحتاجون الى طبيب بل المرضى وحسبنا ما نراهُ من كثرة موت الاطفال دليلاً على خلل في تغذيتهم وتغذية امهاتهم



الاستاذ السر وليم رمزي

مقتطف اكتوبر ١٩١٦

امام الصفحة ٣١٧

السر وليم رمزي

ابو الكيمياء الطبيعية

كُنّي السر وليم رمزي العالم الانكليزي الذي توفي حديثاً بابي الكيمياء الطبيعية الحديثة كما كني نيوتن بابي الفلسفة الطبيعية وهيرودتس بابي التاريخ · ولعلّ تعلقهُ بهذا الفرع الذي برز فيهِ على اقرانهِ مكتسب بالوراثة طبقاً لناموسي الوراثة اللذين اكتشفهما مندل ودي فريس وللقضية التي اثبتها غلتون بناء عليهما · وخلاصتهما ان كلّ انسان منّا عبارة عن مجموع الصفات التي انتقلت اليهِ من طرف الاب وطرف الام · واما القضية فهي ان تفوّق بعض الافراد على متوسط الناس تفوقاً لا يبلغهم حدّ النبوغ ولا يعدّون عندهُ في مصاف النابغين انما هو موروث في بعض العائلات مدة اجيال كثيرة

قلنا ان انكبابهُ على الكيمياء الطبيعية موروث فيهِ على ما يظنّ بشهادتهِ هو نفسهِ · فقد قال ان اسلافهُ من جهة ابيهِ كانوا صباغين على مرّ سبعة اجيال فاورثوهُ ميلاً الى الكيمياء وسهولة في طرْق المسائل الكيماوية · واسلافهُ من جهة امهِ كانوا اطباء فاورثوهُ استعداداً للاكتشاف العلمي · ولكن اشتغالهُ بفرعهِ لم يقف بهِ دون حدّ النبوغ والعبقرية كما قرّر غلتون في قضيتهِ المذكورة بل فاق الاقران وبلغ حدّ النبوغ « ونال من العلياء كل مرام »

وقد كان انصرافهُ الى الفنّ الذي خلق لهُ نتيجة مصيبة الّمت بهِ · ذلك ان رجلهُ انكسرت وهو يلعب يوماً بالفوت بول فاعطاهُ ابوهُ كتاباً في الكيمياء ليتسلّى بقراءتهِ وهو ملازم فراشهُ ثم جاءهُ ببعض العقاقير الكيماوية ليجرّب بها التجارب طبقاً لما في الكتاب · واول ما كان يشغل بالهُ تركيب السهام النارية وكيفية عملها ثم ارتقى شيئاً فشيئاً من هذا المستوى الى مستوى ارفع منهُ وجعل يهتمّ بالمسائل الكيماوية اهتماماً علمياً ثم بالعلوم كلها عامة

ولما بلغ الرابعة عشرة من سنهِ دخل جامعة غلاسكو فاعطاهُ استاذ الكيمياء عرمة كبيرة من اسلاك النحاس القديمة وطلب منهُ ان يسلّكها ويحل ما أُبرم وتعقّد منها ففعل ذلك على منوال اقنع استاذهُ باقتدارهِ على حلّ العقد الكبرى · فاقام في الجامعة اربع سنوات ثم عقد النية على الانصراف الى الكيمياء ودرسها في المانيا وكان ذلك سنة ١٨٧٠ والحرب مستعرة بين فرنسا والمانيا · فتردد في السفر الى المانيا في بادىء الامر ثم لما انتقلت المعارك من الحدود الى داخل فرنسا ورأى ان لم يبقَ ثمة خطر عليهِ قصد جامعة هيدلبرج حيث اقام بعض سنة ثم جامعة توبنجن · وبعد رجوعهِ الى انكلترا عيّن مساعداً للكيمياء في جامعة غلاسكو

وبقي بضع سنوات ملك فيها ناصية الكيمياء بجميع فروعها وخصوصاً الكيمياء غير الآلية او الكيمياء الطبيعية التي كني بها . وكان علماء الكيمياء قد انصرفوا في ذلك الزمان الى الكيمياء الآلية فافترق عنهم وطرق باب بحثهِ الخاص وكان اول ما اشتغل بهِ منهُ معرفة كثافة انواع البخار فاستعان على ذلك بصوتها في الانابيب ذات الحجوم المحدودة فنجح وحاول اتباع هذه الطريقة في قياس قوة الايصال الكهربائي في السوائل الكيماوية باستخدام التلفون فلم ينجح

وسنة ١٨٨٠ عين استاذاً للكيمياء في جامعة بريستول وبلغ من انكارهِ لنفسهِ ونبذ الدعوى الفارغة ان نسب اختيارهُ لهذا المنصب دون غيرهِ الى معرفتهِ للغة الهولندية . وبيان ذلك ان رجلاً من عمدة الجامعة كان قد كلفهُ ترجمة شيء من الهولندية الى الانكليزية ففعل واجاد . فلما رشح للمنصب المذكور صوَّت هذا الرجل لهُ . ولم تمضِ سنة حتى عين رئيساً لاحدى كليات الجامعة

وكانت مسألة كثافة البخار التي طرق بها باب الكيمياء الطبيعية قد افضت الى مباحث اخرى ظهر لهُ فيها نفع التعبير عن نتائج الامتحانات الكيماوية بعبارات رياضية وهي طريقة كان قد تعلمها من السر وليم طمسن (لورد كلفن فيما بعد) وهو في جامعة غلاسكو . وكان هذا مبدأ اعمالهِ الاساسية في التبخُّر وانحلال المركبات الكيماوية انحلالاً جزئيًّا بالحرارة وهي الاعمال التي قام بها مع مساعدهِ سدني يونغ والتي كانت اول ما فتح عيون العلماء عامة عليهِ . وكان على اثر مباحثهِ في هذا الباب ان عين استاذاً في جامعة لندن (وقد توفي وهو في هذا المنصب)

ثم جعلت اكتشافاتهُ تتوالى آخذاً بعضها برقاب البعض . واولها بعد الذي تقدم ذكرهُ قياس امتداد سطوح الاجسام الى ان تبلغ الحد الاقصى مما افضى الى وضع ناموس يمكننا من معرفة ثقل دقائق السوائل . واشتغل هو ولورد رايلي بمسألة قياس الفرق في الكثافة بين النتروجين الذي يستخلص من الهواء والنتروجين المستخلص بالحل . وما زالا يجربان ويبحثان حتى اكتشفا عنصر الارغون وهو الاول من سلسلة عناصر من نوع جديد اكتشفت فيما بعد

ولما اكتشفاهُ اشتبها في وجود عناصر اخرى من نوعهِ وكان اشتباههما هذا مبنيًّا على ناموس يعرف في الكيمياء باسم «الناموس الدوري periodic law» وهو ناموس تعرف بهِ علاقة العناصر بعضها ببعض طبقاً لثقلها الجوهري . فلم يمضِ الا القليل حتى اكتشف رمزي عنصر الهليوم . وبعد ذلك ببرهة وجيزة كان يمخض شيئاً من الهواء السائل

الذي كان همسن قد سيَّلهُ حديثاً في لندن فاكتشف ثلاثة عناصر اخرى هي النيون والكربتون والزينون

وفي سنة ١٨٩٦ قصد بكريل الكيماوي الفرنسوي باريس حيث اظهر وجود الاشعة السوداء التي كان قد اكتشفها في الاورانيوم والتي عقبها اكتشاف الراديوم فاهتمَّ رمزي بذلك مزيد الاهتمام وما زال يجرب التجارب في مختبره حتى اكتشف اكتشافهُ الاكبر وهو استحالة العناصر بعضها الى بعض استحالة حقيقية . فان الغازات المتولدة من الراديوم ظهرت في بادىء الامر كأنها شيء جديد مستقل بنفسهِ وبعد مدة وجيزة ظهرت فيها خطوط الهليوم ثم ثبت بالبرهان ان الراديوم في اثناء انحلالهِ الذاتي يولّد الهليوم على الدوام . ولو لم يكن رمزي قد عرف من قبل ان الهليوم يخرج من الراديوم او لولم يكن قد مهر كل المهارة في الاشتغال بكميات صغيرة جدًّا من هذه العناصر ما فاز بهذا الاكتشاف الذي رفعهُ الى مستوى اعظم الكيماويين

ولما خطب خطبة الرآسة على المجمع العلمي البريطاني سنة ١٩١١ قال في وصف هذه العناصر ما خلاصتهُ :

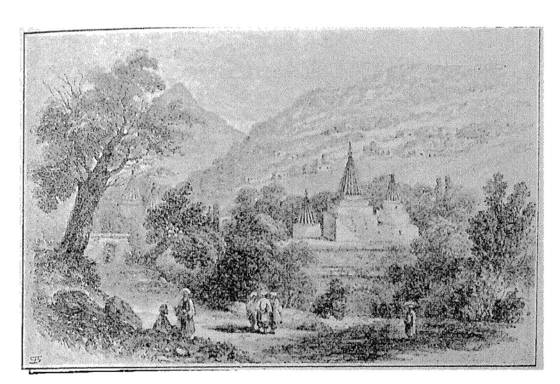
«ان اكتشاف بكريل لاشعة الراديوم ومدام كري وقرينها للراديوم ورذرفورد وسودي لمذهب انحلال هذه العناصر — كلهُ دلنا على وجود نحو ٢٦ عنصراً كنا نجهلها . فما هو مقامها . وما هو دليل كونها عناصر بسيطة غير مركبة . لنأخذها بالترتيب ولنبدأ بالراديوم فنقول : ان مدام كري كانت اول من درس املاحهُ وهي تشبه املاح الباريوم كل الشبه . اما المعدن الذي استحضرتهُ مدام كري حديثاً فابيض اللون يتأثر بالماء وهو من فصيلة الباريوم على ما يظهر . وثقلهُ الجوهري اعلى من ثقل الباريوم بمقدار ٨٩،٥ اي انهُ ٢٢٦،٥ وهو عنصر بلا جدال ولكنهُ عنصر غريب الاطوار لانهُ غير مستقرّ على حال وغير ثابت . وقد كان يظن ان ثبوت العناصر خاصة جوهرية لازمة لها . ولكن الراديوم قابل للانحلال اي انهُ يستحيل الى اشياء اخرى على درجة ثابتة . مثال ذلك اذا اخذنا جراماً من الراديوم وذخرناهُ ١٧٦٠ سنة طار نصفهُ وبقي النصف بعد انقضاء هذه المدة . والنصف الذي طار استحال الى اشياء اخرى هي اولاً غاز قابل التكاثف سميناهُ غاز الراديوم (نتون) وثانياً الهليوم وهو غاز غير عامل كغاز الارغون . ولا ريب ان الهليوم هذا عنصر ذو طيف واضح الشكل والحدود ينتمي الى سلسلة محدودة . وتركيب النتون من الراديوم يعبر عنهُ بالمعادلة الآتية : الراديوم (٢٢٦،٤) = الهليوم (٤) + النتون (٢٢٢،٤) »

وخلاصة ما ثبت بالتجارب في هذه العناصر استحالتها بعضها الى بعض طبقاً لناموس محدود يمكن ان يعبر عنهُ بمعادلة معينة . وهذا ما جعل شهرة رمزي تطبق الآفاق وخصوصاً عند الجماهير التي ما زال همها منذ القدم تحويل المعادن الخسيسة كالرصاص والحديد الى معادن كريمة كالذهب والفضة . على انهُ اذا امكن ذلك مبدئياً الآن لم يمكن تجارياً اي ان نفقات هذا التحويل عظيمة بحيث يورث صاحبهُ الخسارة بدل الربح . وعظم النفقات ناشيء عن ندرة هذه العناصر وبالتالي عن ارتفاع ثمنها ارتفاعاً فاحشاً . فكل ما نستفيد الآن من هذه العناصر استخدام القوة المذخورة فيها والانتفاع بها . وقد قال السر وليم رمزي في هذا الصدد ما خلاصتهُ:

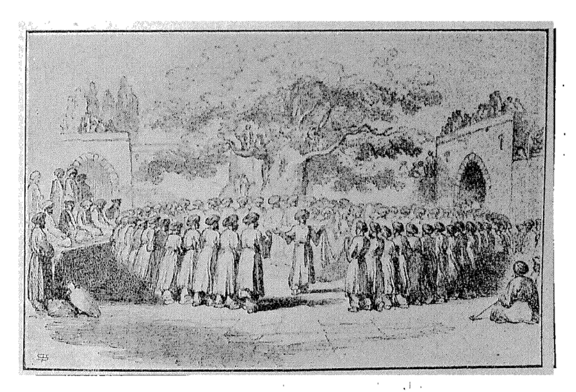
توجهت الانظار حديثاً الى القوة الهائلة المذخورة في الراديوم العناصر المتولدة منهُ . فان القوة المذخورة في النتون هي بحيث انهُ اذا امكن استخدام الحرارة المتصاعدة من مقدار معين منهُ عند انحلالهِ كانت مساوية لثلاثة ملايين ونصف ضعف القوة الناشئة عن انفجار مقدار مثلهِ من الغاز المنفجر . واذا امكن استخدام القوة المذخورة في طن من الراديوم مدة ثلاثين سنة بدلاً من تركها تتصاعد ببطء حتى تفقد نصف قوتها في ١٧٦٠ سنة فان هذه القوة تكفي لتسيير سفينة محمولها ١٥ الف طن بسرعة ١٥ ميلاً في الساعة مدة ثلاثين سنة . لذلك اذا استطعنا التحكم في السرعة التي يشع بها الراديوم قوتهُ المذخورة فيهِ كان لنا مصدر للقوة نافع وكبير . ولكن الموجود من هذا العنصر قليل جداً . على انهُ اذا كانت العناصر التي اعتدنا ان نحسبها ثابتة تقبل التغير بخروج القوة منها واذا امكن الاهتداء الى شيء يزيد سرعة تغيرها على عظم بطئها الآن بحيث يمكن الانتفاع بذلك فليس بدعاً ان يقال ان مستقبل نوعنا يتغير كلهُ »

وقد اطلعنا على تأبين في السينتفك اميركان للسر وليم رمزي افتتحتهُ بمقابلة بينهُ وبين متشنيكوف الذي توفي قبلهُ ببضعة ايام فقالت فيهِ ما معناهُ ان كلاًّ منهما كان مالكاً لقياد الفرع الذي برز فيهِ على اقرانهِ لا تخفى عليهِ خافية منهُ . ولكنهما اشتهرا في العالمين باكتشافين متشابهين في انهما من الاكتشافات التي تحرك خواطر الجماهير لانها تصادف منها هوى . فقد قالوا عن متشنيكوف انهُ هو الرجل الذي يطيل اعمار الناس الى حد لم يسبق لهُ مثيل باطعامهم اللبن الرائب كما قالوا عن رمزي انهُ هو الرجل الذي حقق احلام الاولين فاكتشف حجر الفلاسفة الذي يحوّل رصاصنا وحديدنا ذهباً

ولد السر وليم رمزي في ٢ اكتوبر سنة ١٨٥٢ وتوفي في ٢٤ يوليو الماضي فيكون قد عاش ٦٤ سنة غير كاملة



مزار الشيخ عدي



رقص اليزيدية عند مزار الشيخ عدي

ان صور اليزيدية كلها منقولة عن كتاب السر استن ليرد « نينوى وبابل »

مقتطف اكتوبر ١٩١٦

امام الصفحة ٣٢١

اليزيدية او عبدة ابليس

لما بعث الينا المؤرخ المحقق احمد بك تيمور بمقالتهِ النفيسة عن اليزيدية التي نشرناها في مقتطف يناير الماضي قلنا لهُ اننا لسنا على رأيهِ من حيث منشأ هذه الطائفة واننا بحثنا في هذا الموضوع قبلاً فتبيّن لنا ان معتقد اليزيدية يشبه ان يكون قديماً اقدم من زمن عدي بن مسافر وستحين فرصة لاعادة البحث والتحقيق . ولقد صدق من قال ويأتيك بالاخبار من لم تزود . فقد رأينا الآن في الجزء الاخير من اعمال الجمعية الاسيوية الملكية الانكليزية الذي صدر في يوليو الماضي مقالة في اليزيدية للعالم المحقق الفونس منغانا ازاح فيها اللثام عن بعض الاغاليط التي شاعت حديثاً وصدّقها الكتّاب وبنوا احكامهم عليها كما سيجيء فرأينا ان نقتطف منها ما يأتي . قال الكاتب

تنطوي هذه المقالة على شيئين الاول البحث في كتب اليزيدية والثاني احوال اليزيدية كما هم الآن وما كشف من امرهم حديثاً

كتب اليزيدية

(١) كتاب عربي بحروف سريانية ترجمهُ الاستاذ برون ونشرهُ سنة ١٨٩٥ وقد كان ملحقاً لكتاب المستر بري الذي موضوعهُ ستة اشهر في دير سرياني . وهو اصلاً من كتب الاستاذ روبرتصن سمث ويقال ان ناسخهُ رجل من اهالي الموصل وهو يتضمن كتاب الجلوة وخبرين آخرين أُدخل اكثرهما بعد ذلك في كتاب اليزيدية الثاني المسمَّى بالكتاب الاسود

(٢) كتاب سرياني نشرهُ المسيو شابو في المجلة الاسيوية (Journal Asiatique) سنة ١٨٩٦ يوافق الخبر الثاني الذي ذكرهُ المستر برون كأنهُ مترجم عنهُ

(٣) كتاب سرياني عن اليزيدية وجد في دير القوش وطبع في رومية سنة ١٩٠٠ يقال ان كاتبهُ كاهن سرياني اسمهُ اسحق ساكن اليزيدية لكي يتعرف امورهم واكثرهُ موضوع على طريقة السؤَال والجواب ويبحث عن اعمال الله ومقرهِ وخلقهِ لادم وحواء وعجائب الاله يزيد واولياء اليزيدية والسنة الجديدة والزواج والموت والدفن والحج الى مقام الشيخ عدي وملوك اليزيدية

(٤) كتاب عربي نشرهُ الدكتور عيسى يوسف في شيكاغو في مجلة اللغات السامية في يناير ١٩٠٩ وهو يحوي كتاب الجلوة ومصحف رش ويتلوهما وصف مسهب لعادات اليزيدية من قلم رجل اسمهُ ارميا

وعندي ان الذين نشروا هذه الكتب نشروها وهم معتقدون صحتها لكنها موضوعة حديثًا كلها والمرجح ان الذي وضعها شماس اسمهُ ارميا شامر توفي منذ عشر سنوات وهو شيخ طاعن في السن . وكان المستر بري يعرفهُ جيداً وقال انهُ كان راهبًا سريانيًّا في دير هرمزد وهو شيخ يعرفهُ كل الانكليز الذين زاروا الموصل . وقد كان جهينة اخبار فاذا جاء خبر من الاستانة فالشماس ارميا اول من يعرف بهِ ويرويهِ مدعيًا ان زوجتهُ نسيبة لاحد الكتبة في دار التلغراف واذا حدث حادث في بيت القاضي او المفتي فهو اول من يعلم بهِ ويشيعهُ . وتراهُ يتاجر بالخيل والكتب القديمة الفارسية والعربية والسريانية . اراني بعض الكتب فوجدت بينها كتابًا ادعى انهُ قديم وحقيقتهُ تنقض ذلك لكنهُ لم يخفِ عليَّ امرهُ قائلاً ان حبهُ للمال مهما اشتد لا يحملهُ على غشي . حقًّا ان مقياس الصدق والاستقامة عند هؤلاء الناس افسد مما يُظن

وهذا الكلام مقول على كتب اليزيدية كلها وهو مؤيد بادلة من الكتب نفسها فانهُ ما من كتاب منها وُجد قبل عهد هذا الشماس فالنسخة السريانية التي وجدت في دير الفوش لا يتجاوز تاريخها سنة ١٨٦٥ كما ثبت لي بعد البحث المدقق . ونسخة المستر بري العربية المعروفة بكتاب الجلوة والكتاب الاسود كاتبها رجل سمّى نفسهُ عبد العزيز وقد كتبها سنة ١٨٨٩ للشماس ارميا . وانا اعرف عبد العزيز هذا وقد سيم بعد ذلك كاهنًا لليعاقبة في الموصل واسمهُ الآن القس عزيز

والكتاب الرابع الذي نشرهُ الدكتور عيسى يوسف في شيكاغو باميركا احدث من الذي سبقهُ وقد قال الدكتور عيسى يوسف ان صديقهُ داود الصائغ اهداهُ اليهِ تذكاراً لصداقتهِ قبلما غادر الموصل . وعليهِ فاقدم كتاب من كتب اليزيدية لا يتجاوز تاريخهُ سنة ١٨٦٥ والمرجح ان هذه الكتب كلها من اوضاع الشماس ارميا

ان كل الذين كتبوا عن اليزيدية اجمعوا على انهم ممنوعون دينًا من تعلُّم القراءة والكتابة . وهذا الامر اي منعهم من تعلُّم القراءة والكتابة قد تحققتهُ انا نفسي . ولا يجوز تعلُّم القراءة والكتابة الا لبيت واحدٍ منهم فان كان عندهم كتب دينية

فهي في هذا البيت وان كانت هذه الكتب في قرية قصر عز الدين فهذا البيت هناك ولكنهُ ليس هناك . واذا كانت هذه الكتب موجودة عند اليزيدية حقيقة وجب ان تقرأ في مجتمعاتهم السنوية ولكن كثيرين من المسيحيين والمسلمين حضروا هذه الاجتماعات وقالوا انهم لم يسمعوا شيئاً قرئ فيها . ثم ان القرى التي يسكنها اليزيدية يسكنها ايضاً المسيحيون والمسلمون او يسكنون على مقربة منها فكيف تيسر لليزيدية ان يكتموا امر كتبهم ١٤٠٠ سنة ولا يعلم جيرانهم بها

هذا من حيث الادلة الخارجة على ان هذه الكتب موضوعة حديثاً . والادلة الداخلية على انها كذلك كثيرة وهي تدل على ان واضعها هو الشماس ارميا نفسهُ . من ذلك ان عبارات الكتاب العربي تدل على ان كاتبها اعتاد الكتابة بالسريانية كقولهِ « لكي يفهم و يعلم لشعبهِ » فان اللام في لشعبهِ لازمة هنا في السريانية وممنوعة في العربية . وكقولهِ « يجب الصدقة عند انفس الموتى » فكلمة عند لا ترد هنا في العربية ولكنها ترد كذلك في السريانية . وكقولهِ « تحبلت وولدت لالهنا » . فتعدية ولدت باللام اصطلاح سرياني . وكذلك اللام في قولهُ « ستجذب امة واحدة وراءك وتلقب لامتي » . وتدل ايضاً على انهُ مسيحي أَلِف التعابير الدينية المسيحية كقولهِ « رئيس هذا العالم » وكقولهِ « العلمانيين » . وكأن غرضهُ من كتابهِ ان يعرّف الاجانب ما هي اليزيدية لا ان يعلّم اليزيدية كيف يمارسون شعائر دينهم

ثم ان الشماس ارميا الحق بالكتب التي نسبها الى اليزيدية اشياء من عقائد عبدة ابليس وعاداتهم وجرى في كتابتها مجرى السريان ايضاً فالحق الفعل بضمير الجمع مع ذكر فاعلهِ بعدهُ كما يفعل السريان كقولهِ في كتاب الجلوة « التي يسمونها الخارجين شرور » . وقولهِ « لانكم لستم تدرون ما يفعلون الاجانب » . وعرّف الصفة بال التعريف مع تنكير الموصوف كقولهِ « واحرك امور اللازمة » . وكقولهِ « دعي اسمهُ ابريق الاصفر »

وفي الكتاب الاسود امور حديثة جداً لا يمتد تاريخها الى ابعد من اواسط القرن التاسع عشر فقد ذكر فيهِ بلاداً قال انها روسية وهي لم تدخل في حوزة روسيا الأ في الربع الاول من القرن التاسع عشر

وليس المراد ان كل ما جاء في هذه الكتب غير صحيح كلاَّ بل ان كثيراً مما فيها ينطبق على عقائد اليزيدية وشعائرهم الدينية التي يمارسونها وانما مرادنا ان الشماس ارميا الفها وجمع فيها عقائد اليزيدية التي يتناقلونها خلفاً عن سلف لانهُ عاشرهم زمناً طويلاً

احوال اليزيدية

هذا من حيث الكتب التي يقال انها كتب اليزيدية اما اليزيدية انفسهم فمن الغريب ان ذكرهم لم يرد في كتب السريان مع ان مؤرخي السريان والنساطرة واليعاقبة كانوا بينهم دائماً . ففي الكتاب الحادي عشر من تفسير ثيودورس بن كيواني كلام عن كل الفرق الوثنية والمسيحية واللادرية فعدم ذكرهِ لليزيدية يدل على انهُ حسبهم مع فرقة اخرى . وفي الفصل التاسع من كتاب يوحنا بن بنكايه اخبار عن كل المعبودات الوثنية من شرقية وغربية ولكنهُ لم يشر بكلمة الى اليزيدية مع انهم جيرانهُ

وتسميتهم يزيدية نسبة الى يزيد لا ترد كذلك الاَّ في كلام المسلمين المتكلمين بالعربية اما المسيحيون الذين يتكلمون بالسريانية الدارجة في القرى التي قرب الموصل فيسمونهم ديصانية اودسانية وهم اتباع ابن ديصان . وابن ديصان هذا منجم من اهل الرها من رجال القرن الثاني المسيحي . ولعلهم سموا كذلك لعبادتهم الشمس والقمر والنجوم . وليس لدينا ما يدل دلالة قاطعة على سبب تسميتهم يزيدية فقد ظن البعض انهم سموا كذلك نسبة الى يزيد او يزد مدينة في ايران وطن الفرس والمزدكية او نسبة الى يزدان بالفارسية مبدإِ الخير ويقابلهُ اهرمن مبدأ الشر وعليهِ فاصلهم من ايران ويؤيد ذلك كون لغتهم الكردية وهي من اللسان المادي الفارسي ولكن ما ذكرهُ الشهرستاني في كتاب الملل والنحل يناقض ذلك فقد قال « اليزيدية اصحاب يزيد بن انيسة الذي قال (كذا) انهُ يتولى المحكمة الاولى قبل الازارقة وتبرأ ممن بعدهم الاَّ الاباضية فانهُ يتولاهم وزعم ان الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليهِ كتاباً قد كتب في السماء وينزل عليهِ جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد صلى الله عليهِ وسلم ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحران وواسط . وتولى يزيد من شهد للمصطفى عليهِ السلام من اهل الكتاب بالنبوة وان لم يدخل في دينهِ وقال ان اصحاب الحدود من موافقيهِ وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير او كبير فهو شرك » انتهى

ولا كبير شأن لكلام الشهرستاني ولو اشار بكلامهِ هذا الى يزيدية عصرنا لان الكتَّاب امثالهُ ردُّوا كثيراً من الفرق الدينية الى الاسلام والاسلام بريء منها لاسيما وانهُ قال ان زعيم اليزيدية خرج من العجم وينقضهُ قول ثيودورس بن الكيواني حيث قال ما ترجمتهُ

« كان لاتباع هذا المذهب زعيم اسمهُ بابا عائلة الكليلايا من غوكي وكان لهذا البابا عبد

اسمهُ بطاي بلغ من الكسل ان أبق تملصاً من العبودية واختبأ بين اليهود . ومن ثمَّ لاذ بتلاميذ ماني فجمع بعض خطبهم و بعض قطع من محرمهم . وفي عهد الملك فيروز صدر امر عالٍ بتحريم عبادة الاصنام ومناهضة كهنتها وتأييد دين المجوس . فلما رأى بطاي ان مذهبهُ بات مقضيًّا عليهِ تملَّق المجوس وصار من الصابئة . وغيَّر اسمهُ وسمَّى نفسهُ يزداني ومعناهُ « رسول الآلهة » فاقتبس من اليهود تحريم لحم الخنزير ومن اسفار موسى اسم الرب الاله ومن المسيحيين رسم الصليب فوضعهُ على كتفهِ الايسر وحذا اتباعهُ حذوهُ وهم يقولون ان الصليب سرّ الحد بين ابي العظمة والارض السفلى »

ويحمل اليزيدية ديكاً من المعدن يسمى طاووساً يحترمونهُ احتراماً دينيًّا قصد ايهام العامة وقت جمع العشور منهم . وقد كثر البحث في سبب تسميتهِ طاووساً وعندي ان ما ذهب اليهِ الدكتور لدز برسكي اقرب الآراء الى الصحة فقد قال ان كلمة طاووس محرفة من كلمة تموز . وقد قال الدكتور يوسف ان الميم لا تقلب في الكردية واواً وهذا غير صحيح بل هناك كلمات كثيرة قلبت فيها الميم واواً مثل ناو لنام (اسم) وجاو لجام (عين) و نيو لنيم (نصف) وكوان لكمان (قوس) الخ

ويظهر لنا ان ديانة اليزيدية مزيج من اليهودية والمسيحية والوثنية والاسلام اوهي بقية من المزدكية مازجها شيء من تعاليم اللاادريين الذين قاموا في القرن الثاني المسيحي

فقد جاء في بعض التواريخ انهُ كان في عهد بني ساسان اناس يعبدون الهاً يسمونهُ تموز وقد اثبت ذلك يوحنا بن بنكايه في القرن الثامن في الفصل التاسع من كتابهِ وابان تيودورس بن كيواني في القرن السادس ان عبادة تموز كانت شائعة في وادي دجلة وفي ما يحيط بجبل سنجار حتى نصيبين . وكان اسم تموز شائعاً عند المسيحيين في زمن بني ساسان مثال ذلك ان بطريرك سلوقية في القرن الرابع كان يسمى تموز ورأيت رجلاً مسيحيًّا في كردستان اسمهُ مرقس بن تموز وآخر من قرية قربتسبس اسمهُ تموز يعدا . وهاك ما قالهُ المسيو بونيون في كتابهِ عن الكتابات السامية المطبوع بباريس سنة ١٩٠٧

« يقال ان تموزهذا كان راعياً وعشق امرأة مشهورة بجمالها وغاوية بهِ وهي من جزيرة قبرس واسمها باقي واسم ابيها هركليس وامها ارنيس و بعلها هفايستوس ففرَّت مع تموز حبيبها الى جبال لبنان . وهي التي دعيت ايضاً باسم الزهرة (فينوس) فان اباها سماها بهذا الاسم بسبب تهتكها . و بعد فرارها بكاها ابوها سبعة ايام في شهر طيبة وهو شهر يناير . وكانا يخبزان الخبز على الارض ثم يأكلانهِ . وهذا الخبز هو ما يسميهِ الوثنيون حتى اليوم

كمعك بيت طيبة . فتبعها قرينها هفايستوس الى لبنان فلقيهُ تموز وقتلهُ ولكن تموز مات ايضاً اذ قتلهُ خنزير بري ثم ماتت بلتي جزعاً عليهِ . ولما علم ابوها بموتها اقام عليها الحداد في شهر تموز وكذلك فعل ابو تموز . وهذا البكاء هو الذي اقتبسهُ اليهود مقلدين بهِ الوثنيين ونضيف الى ذلك ان هركليس ابا بلتي عمل لها صورة زينها بالذهب الكثير واكره جميع قومهِ على عبادتها لانهُ كان رئيس البلاد . واخيراً اكره حامور ملك بلاد العرب على عمل صورة للزهرة ثم ارسلها اليهِ ليعبدها . فاخذها حامور واعطاها لخادم لهُ اسمهُ مونا ليسهر عليها فسرقت منهُ نخاف خوفاً شديداً وقال لسيدهِ ان صورة المرأة غضبت لامر ما فطارت واستقرت في الزهرة . وعند الفجر نهض حامور من سريرهِ ونصب خيمة ومسح كاهناً للزهرة واقام الاعياد والافراح العظيمة . وهذا هو العيد الذي يقيمهُ سكان بلاد العرب كل سنة . اما الخادم نخشي ان لا يصدق سيدهُ ان الصورة صعدت الى الزهرة فهرب الى دجلة واقام في غابة سنديان هناك »

ولماذا يرمز الى تموز هذا بصورة طائر . ان الذين نقبوا خرائب اشور وجدوا فيها تماثيل كثيرة لمعبودات في شكل طائر وفي ذلك يقول السر هنري ليرد

ان الطيور المقدسة من خصائص ديانة البابليين وقد تكون من خصائص ديانة الاشوريين ايضاً وكانت عندهم بمثابة ارواح ذات سلطة على اعمال الناس مثل الفردهر في مذهب زروستر وكان لها في قصر ملك بابل صور من الذهب على ما قالهُ فيلوستراتس

ووصلت عبادة الطيور من اشور الى الاسرائيليين فقد جاء في سفر تثنية الاشتراع (٤ : ١٦ و ١٧) « لئلاَّ تفسدوا وتعملوا لانفسكم تمثالاً منحوتاً شبه طير ما ذي جناح مما يطير في السماء » . افلا يحتمل ان تكون صورة الطاووس من بقايا الديانة البابلية

ولنأتِ الآن الى القسم الثالث من موضوعنا وهو ادعاء الاب انستاس ماري الكرملي انهُ اكتشف في جبل سنجار النسخة الاصلية من كتب اليزيدية (كما جاء في الانثروبوس سنة ١٩١١ صفحة ١ — ٣٩)

فقد قال الشماس ارميا ان كتب اليزيدية كتبت بالعربية واما النسخة التي اكتشفها الاب انستاس فمكتوبة بالكردية . ولم يدَّعِ احد قبل الآن انهُ كُتب بالكردية شيء غير بعض الاغاني . ومرادنا ان نبين الوجوه التي تلقي الشك في صحة هذا الاكتشاف

فاولاً نجد في ما نقلهُ الاب انستاس من هذه النسخة اشياء يظهر انها مقتبسة من

مصادر اوربية كسؤاله صاحب هذه الحكاية : « ما الذي دفعك الى انتحال المسيحية » فاجاب بقوله « كنت خادماً للزعيم الديني في عشيرتي سبع سنوات واميناً على كتبهِ » . أفيعقل ان المنصب الذي كان اليزيدية شديدي الحرص على كتمانهِ يعطى لخادم قد يكون عندي في صباح يوم وعند عدوي في مسائهِ ؟ وقد جرت هذه الحادثة سنة ١٨٩٨ . وعلى الوجه الثامن نجد هذه السطور : « وفي اواخر يونيو سنة ١٩٠٤ (وكان صاحب الرواية قد مات) خرجت من الموصل قاصداً رومية بطريق الصحراء فمررت بسنجار ودير الزور وحلب و بيروت ولما بلغت سنجار توجهت لزيارة الشيخ وهو شيطان رجيم ورجوت من امين الكتب ان يأتي لزيارتي مساء ووعدتهُ بهدية »

فهذه الرواية لا تساعدنا لنجاوب عن مسألتين جوهريتين (١) كيف استطاع الاب انستاس معرفة امين الكتب بسهولة وهو لم يرهُ قبلاً فضلاً عن ان منصبهُ محجب بحجب الخفاء والكتمان (٢) هل لليزيدية امينان للكتب واحد في بوزي قرية الرجل الذي قبل المسيحية على يد الاب انستاس وثان في جبل سنجار وهو يبعد مسيرة ثلاثة ايام عنها . فهذان الامران متناقضان كل التناقض . ولكن من هو هذا الزعيم الديني اليزيدي الذي كان يقطن قرية بوزي والذي كان صاحب الرواية حافظاً لكتبهِ . أكان شيخاً ام قوالاً ام كونشاكاً ام سيداً شريفاً . وهذا الامر على جانب عظيم من الاهمية اذ لا يكاد يصدق ان رجلاً خاملاً من اليزيدية يكون لهُ امين كتب . والمعروف ان زعيم اليزيدية الديني والدنيوي لهُ سلطان الحياة والموت على اتباعهِ و يقوم بالوراثة من عائلة علي بك (الذي قتلهُ اغا مسلم اسمهُ صفر منذ ثلاث سنوات تخلفهُ ابنهُ) و يقيم بقرية باعدري من قضاء شيخان التابع للموصل

و يقول لنا الاب انستاس ان السعد خدمهُ اذ وجد هذه الكتب على يد يزيدي تنصر بارشاد رؤيا الهية رآها . وقد جاء في مبتدإ هذه الرؤيا قولهُ : « كنت يوماً مستغرقاً في نومي على اثر الجهاد الهائل الذي اقتهُ في السهرة ضد نفسي واذا بي أرى بستاناً بديعاً اثقلت اشجارهُ الاثمار وفيهِ من الازهار كل صنف ولون . فاردت تامل جمال الطبيعة على مهل فتفيأت شجرة غبياء قديمة العهد امتلأت اغصانها عصافير صغاراً تغرد وكأنها تتنافس على جائزة السبق في اجادة الالحان »

وليس من غرضنا البحث في الوحي الالهي الذي يهبطهُ روح القدس على خدامهِ ولكن

لا يسعنا الآ الدهش من براعة هذا الكردي في تنميق عباراته وحسن ديباجته مما يوقظ فينا الشبهة ويحملنا على الظن ان لابيه الروحاني يداً في هذه الديباجة المنمقة

وفي اثناء سياحتي في تركيا من ٧ يناير الى ١٧ مارس سنة ١٩١٣ مررت بقرب سنجار وسألت كثيرين من اصدقائي يزيدية سنجار عن هذا الاكتشاف فلم يحيروا جواباً على مسائلي ولا فهموها . ولما بلغت ماردين فاتحت المستر اندروس بهذا الامر وبما يخالج صدري من الريب والشكوك . وهو مرسل اميركي قضى اربعين سنة يساعد هؤلاء اليزيدية عبدة الشيطان ويتوسط لهم مع السفارة الانكليزية في الاستانة لتخفيف ما اصابهم من الحيف على ايدي ولاة الموصل حتى لقد وزع عليهم وعلى المسيحيين ما يزيد على ٤٠٠٠ ليرة عثمانية بين سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٢ لازالة بعض شقائهم . فرجل هذه حالهُ لا بدَّ ان ينظر اليزيدية اليه بعض الاحترام وقد وجدت ان اكتشاف الاب انستاس الغريب ادهشهُ كما ادهشني فتجشم مشقة سفر طويل من ٥ ابريل الى ١٧ مايو سنة ١٩١٢ لتحقيق هذه الحكاية فمرَّ اولاً بقرية باعدري واستخبر زعيم اليزيدية الروحي والزمني عنها ثم استأنف السير الى سنجار وسأل خودار الياس شيخ هذه البلاد الصغيرة فلم يقابَل الاَّ بالدهشة في كل مكان وباجوبة سلبية فعاد من سفره على غير جدوى

(٢) ان الكتابين اللذين اكتشفهما الاب انستاس ماري سنة ١٩٠٤ ونشرهما سنة ١٩١١ في مجلة « انثروبوس » هما بعينهما « كتاب الروءيا » و « الكتاب الاسود » اللذان زعم ان يزيديًا ترجمهما من الكردية الى العربية . ولنا على ذلك اعتراضان : الاول انهُ لم يقل لنا ما نفع اليزيدية من ترجمتهما في حين انهم كلهم يتكلمون الكردية . وزد على هذا انهُ قيل في « الكتاب الاسود » ان الله كلَّم اليزيدية بالكردية فلمَ يستبدلون هذه اللغة بلغة مضطهديهم . والثاني يجب علينا تهنئة هذا العلاَّمة اليزيدي الذي استطاع ان يترجم بسهولة الى العربية نسخة يحار فيها ابرع علماء اللغات السامية

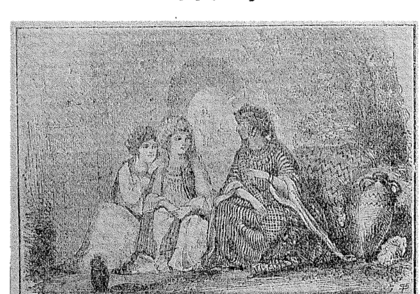
ثم ان حروف هذين الكتابين ليست باقل غرابة من لغتهما . فهي ليست هيروغليفية ولا اشورية ولا سريانية ولا ارامية ولا عبرانية ولا كوفية ولا مغولية ولا صابئية ولا فبرسية ولا عربية ولا تترية . فمن اين جاءت ؟ فان المؤلف الاول لهذين الكتابين لم يشأ اطلاع احد على ما فيهما . وما دامت النقوش على الحجر وصحف البردي والرقوق لا تدلنا على ماهية هذه الكتابة واصلها افيعقل ان كتاباً اكتشف حديثاً في جبل سنجار يميط اللثام عن وجودها



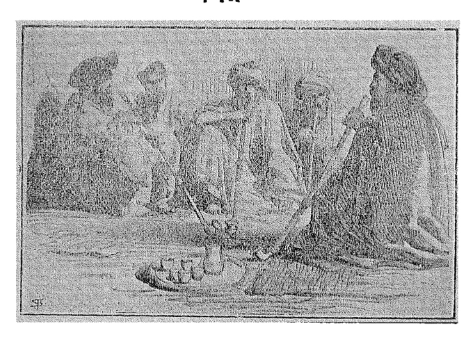
قوّالة اليزيدية



ملك طاووس



نساء اليزيدية



جماعة من اليزيدية يدخنون

ق-ا: اكـ-ـر ١٩١٦

اما جبل سنجار هذا فمقرّ اسقفية نسطورية تابعة لكرسي بيت عرباية وقد مرّ عليهِ زمن طويل وهو مقرّ كرسي لليعقوبية تحت مفريان تغريت . والمرجح ان اسقفاً نسطوريا اقام هناك حتى ايام غزوات المغول . وقد حاول القائلون بان للمسيح طبيعة واحدة بمساعدة حلفائهم اتباع حنانيا من القرن السابع الى التاسع ان يحلوا محل النسطوريين ففازوا بذلك فوزاً وقتياً في عهد جبرائيل الدرسبدي ولكن النسطوريين عادوا فاستردوا سيادتهم الاولى . واتفق في القرن الرابع عشر ان خانات التتر اعملوا السيف في المسيحيين سكان هذا الجبل . وكان كثيرون من الوثنيين اهل القرى المجاورة لهُ قد لجأوا اليهِ هرباً من غارات هؤلاء الغزاة . وجميع الآثار القديمة التي وجدت فيهِ هي اما اشورية واما مسيحية ولا شيء — على ما اعلم — يستدل منهُ ان اليزيدية سكنوهُ قبل غزو التتر لهُ وعليهِ لا يكاد نزولهم فيهِ يكون قبل القرن الخامس عشر . وليس في تاريخ الجبل ولا في اثر من الآثار الموجودة ما يدلُّ على انهم سكنوا الجبل قبل ذلك التاريخ

واهمُّ اعمال اليزيدية من سكان القرى النهب والسلب وليس لهم مقر دينيٌّ يرجعون اليهِ ولا ما يشبههُ بل ترى القوالين ينتابونهم من القرى التي الى الشمال الشرقي من الموصل . فما شأن الكتب في قرى متوغلة في البدوية مثل هذه وفي قوم لا ينتمون الى طبقة من الطبقات الممتازة . ولمَ يجهل زعيم اليزيدية الديني والزمني وهو يقيم بقصرهِ في بعادري قرب الموصل ان لديانتهِ كتباً سرية . وان كان عالماً بهذه الكتب فكيف يتركها في عهدة لصوص يقطنون جبل سنجار . ولمَ لا يزين بها غرفةً فيزيد بذلك نفوذهُ بين قومهِ

(٣) ان الكتابين اللذين اكتشفهما الاب انستاس حديثاً هما الكتابان اللذان اكتشفهما الشماس ارميا قبل ذلك بثلاثين سنة كما تقدم القول . فايّ الرجلين نصدّق . ان الاب انستاس ختم كتابهُ « الاسود » بهذه العبارة « وتحوّل السادس هواءٌ » . ولكن ارميا وضع بعد هذه العبارة ست صفحات بالكتابة العربية الدقيقة خاتمة لكتابهِ . فمن منهما انتهك حرمة هذه الآثار اليزيدية بالعبث فيها . ثم ان نسخة انستاس اكثر اعتدالاً في تفاصيلها وادقُّ تعبيراً في مواضع قد ينبو منها سمع الاديب . وهل من يشرح لنا كيف ان نسخة قديمة سرية أطيلت هنا وقصرت هناك وبدلت هنالك كما يظهر جليًّا من مقابلة نسخة انستاس بنسخة الدكتور يوسف . فهل حذفت النبذة الآتية مثلاً من الكتاب الاسود في نسخة انستاس لانها وقرٌ في آذان رجال الدين وهي :

« وكان بعد خلق حواء وجميع الحيوانات ان آدم وحواء اختصما في هل يتسلسل النوع الانساني منهُ او منها اذ كلٌّ منهما اراد ان يكون مختصاً بذلك دون الآخر . وكان منشأ هذا الخصام رؤيتهما ان الذكر والانثى في الحيوانات يشتركان معاً في انتاج النسل . وبعد جدال طويل اتفقا على الامر الآتي وهو ان يلقي كلٌّ منهما بذرتهُ في اناء ويسدّهُ ويختمهُ بختمهِ وينتظر تسعة اشهر . وبعد انقضاء هذا الاجل فتحا الاناءين فوجدا في اناء آدم ولدين ذكراً وانثى ومنهما تسلسل اليزيدية قومنا . اما اناء حواء فلم يوجد فيهِ شيءٌ سوى دود بالٍ تتصاعد منهُ ريح كريهة . وخلق الله حلمتين لآدم يرضع منها ولديهِ . وهذا هو السبب في كون الرجل لهُ ثندؤتان »

وقد حذف من نسخة انستاس حكايات كثيرة غريبة نذكر منها واحدة

« واعلم انهُ اتى على الارض طوفان غير طوفان نوح . ذلك ان طائفتنا اليزيدية متناسلة من نعمي وهو رجل كريم وملك السلام ونحن نسميهِ ملك ميران . اما الطوائف والقبائل الاخرى فمشتقة من حام الذي سخر بابيهِ . واستقرت الفلك في قرية اسمها عين سفني تبعد عن الموصل خمسة فراسخ . وكان سبب الطوفان الاول سخرية الذين كانوا خارج الفلك اي اليهود والمسيحيين والمسلمين وغيرهم من نسل آدم وحواء . وكان بعد ذلك بزمان ان الله ارسل العقارب على معاوية فلدغتهُ حتى انتفخ وجههُ من السمّ فاشار عليهِ الاطباء ان يتزوج لئلاَّ يموت فرضي بذلك بجاوزه بعجوز عمرها ثمانون سنة لكيلا يلد لهُ ولد . فعرف معاوية امرأتهُ وفي صباح اليوم التالي قلبت صبية بنت ٢٥ سنة بقوة الاله العظيم »

ومما يقضي على كتابي ارميا وانستاس غرابة تبديل الحكايات المتماثلة . فارميا مثلاً يضع فصلاً عن استئناف الله لعمل الخلق بعد حكاية الخلق . ولكن الكاتب الذي نسخ نسخة انستاس لحظ ان هذا الترتيب ليس طبيعياً معقولاً فوضع استئناف عمل الخلق قبل حكاية الخلق . وهاك اول الفصل :

« لا يجوز لاحد منا ان يتلفظ باسمهِ او بما يشبههُ كشيطان وحبل وشرّ ونهر وغيرها من الالفاظ التي لها مثل صوتها . هذه كلها محظورة علينا احتراماً لهُ . فالخسّ مثلاً محرّم علينا اكلهُ لان صوت اسمهِ كصوت اسم نبيّتنا خسيّة . والنون (السمك) محرّم اكراماً ليونان النبي . وهكذا الغزال لان الغزلان خراف احد انبيائنا »

اما فيما يخصّ البقعة المباركة التي وجدت فيها هذه الكتب فقد تناقض المكتشفان كل التناقض فارميا يقول ان الكتاب الاسود وجد في سمال او في قرية قربها وكتاب الرؤيا

في بيت الملا حيدر · اما الاب انستاس فيقول ان كتابيهِ وجدا كلاهما في جبل سنجار وان السماح لاحد بالوصول الى هذه الكتب المقدسة تعقبهُ عواقب وخيمة · قال :

« وقد اكد لنا الزعيم الديني نفسهُ غير مرة انهُ اذا سرقت الكتب وجب ان تخرب حالاً الناحية التي يوجد الصندوق فيها · واذا بقي الصندوق مكانهُ بعد سرقة الكتب التي يحتويها وجب حالاً حرقهُ وتخريب المكان المقدس الذي كان فيهِ · واذا نسخت الصفحات الالهية او نشرت بطريقة من الطرق على رؤوس الملاءِ وجب القاء كل ما يعثر عليهِ منها في النار المقدسة حالاً · فهم يحرقونها لتكذيب كل ما يشاع عن محتوياتها »

ونختم الآن هذه المقالة بالملاحظة الآتية :

ثبت ان اللغة العربية لم تحل محلّ السريانية وغيرها من لغات وادي دجلة قبل القرن التاسع بدليل ان الخليفة الوليد امر سنة ٧١٤ مسيحية في دمشق عاصمة الخلفاء الامويين بان تكتب كتابات الحكومة الرسمية بالعربية بعد ما كانت تكتب باليونانية · ولما كانت الكتب المشار اليها تحتوي على كثير من العبارات العربية فلا يمكن ردّها الى القرن العاشر لميلاد · افيعقل ان يقوم في ذلك القرن رجل مجهول ويكتب بهذه الحروف الغريبة التي ترجعنا الى العصور السابقة للتاريخ في حين ان جميع الحروف الشرقية والغربية كانت معينة معروفة · او ليس من البعيد غير المحتمل ان توضع قواعد النحو والتهجئة الصحيحة دفعةً واحدة للغة عامية خسيسة

رب قائل يقول انك جرت كثيراً على هذه الكتب اليزيدية · فاجيب انها ليست في اعتقادي سوى كتب مزورة · فان كنت مخطئاً في هذا الاعتقاد ففخري اني مهدت السبيل بهذه المناقشة لزيادة التثبت من صحتها ان كانت صحيحة

وبينا كانت هذه المقالة مهيأة للطبع اطّلعت على ما كتبهُ الاستاذ بتنر من جامعة فينا عن الاكتشافات الاخيرة في كتب اليزيدية فرأيتهُ قد عمل عملاً يستحق المدح وهو انهُ نشر الاصل الكردي مقابل نسخة عربية جديدة تختلف كلّ الاختلاف عن النسخ المعروفة قبلها · وقد حلّت رموز الجزء الكردي بواسطة الحروف الهجائية التي نشرها الاب انستاس نفسهُ في العدد المشار اليهِ من مجلة انثروبوس · وكنت قد شرعت في مثل هذا منذ ثلاث سنوات ولكني عدت فعدلت عن اتمام هذا البحث لكثرة ما قام من الاعتراضات على صحة الكتب · ورجاؤنا ان هذا العالم المستشرق يخدم اليزيدية بازالة جميع الشكوك التي ثبطت عزائم الباحثين عن كتبهم »

بعض الامثال والاقوال

قديماً وحديثاً

(١)

جاء في تعريف كتاب الفاخر الذي قرظهُ المقتطف في العدد الماضي للمفضل بن سلمه صاحب الفراء والكسائي انهُ « كتاب معاني ما يجري على ألسن العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون بهِ من ذلك » . والمفضل هذا من رجال اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للهجرة او القرن التاسع واوائل العاشر للمسيح. وقد رأيت في هذا المقال ان اذكر ما يطابق هذه الامثال والمحاورات من امثال العامة ومحاوراتهم في بعض بلاد الشام فيرى القارئ منهُ الى اي حدّ تحفظ الاقوال المتداولة على الالسنة ومبلغ التغيير الذي طرأ عليها في نحو الف من السنين . وان كان في بقاء الكلام الف سنة شيء من العجب فاعجب منهُ بقاء بعض العادات الوفاً من السنين . فقد ذكر في التوراة انهُ لما دعا ايليا النبي على اخاب احد ملوك اسرائيل قال في دعوتهِ « ويقطع الله لآخاب كل بائل بحائط » وهي استعارة قبيحة ينبو منها السمع وربما كانت مستحبة في الادب العبراني القديم . وقد كان ايليا واخاب من اهل القرن التاسع قبل المسيح ولا نزال نرى هذه العادة الشنيعة منتشرة في جميع بلاد الشرق حتى يومنا هذا

وفي اختيار الامثال والاقوال الواردة في كتاب الفاخر لمقابلتها بما يدور على السن بعض اهل الشام لزمت المشابهة الحرفية ولم اخرج عنها الأ مرة او مرتين والأ لو تناولت المشابهة المعنوية ايضاً لاتسع لي المجال وخرجت عن الغرض الاصلي من هذا المقال . وسأذكر اولاً المثل او القول القديم واوجه تفسيرهُ ثم اتبعهُ بالمثل او القول المشهور بين عامة هذا العصر

***

(١) بينهم ممالحة. اي رضاع والملح اللبن ومنهُ قولهم لم يحفظ الملح معناهُ الرضاع . والملح في كلام العرب الصحبة (ايضاً) . وكان خراش يحلفون بالملح والرماد والنار (ولم يبين الشارح تماماً المراد بالملح هنا)

وفي الشام يقولون بيننا وبينكم خبز وملح اي اننا اكلنا معاً فلذلك يجب علينا حفظ ذمامكم والوفاء لكم . وقد اشتقوا من ذلك فعل مالح وهم يقولون في دعوة زائر الى الطعام « مالحنا » اي كل معنا خبزاً وملحاً

(٢) ملحهُ على رُكبتهِ . يقال للرجل اذا كان سيئ الخلق يغضب من كل شيء ملحهُ على ركبتهِ اي ادنى شيء يبددهُ يريد انهُ ادنى شيء يغضبهُ

وفي الشام ملحهُ على ذيله ويضربونهُ لناكر الجميل وعديم الوفاء . والصورة القائمة في ذهنهم من ذلك انهم يشبهون رجلاً هذه صفتهُ بحيوان ذي ذنب اكل الملح مع اصحابهِ فلم يخالل بدنهُ او تخالهُ ولكنهُ لم يبقَ في دمهِ ومفاصلهِ بل تسرب الى ذيله وتجمع هناك بلورات كما كان قبل ذوبانهِ ثم نفض ذيلهُ فسقطت كل حبات الملح منهُ . ولا يخفى ان المثلين مختلفان في مغزاهما الاول يضرب للغاضب والثاني لجاحد الجميل

(٣) النقد عند الحافرة قال الفراء معناهُ اذا قال بعتك رجع عليهِ بالثمن . وبعضهم يقول النقد عند الحافر وسألت عنهُ بعض العرب فقال عند حافر الفرس

وفي الشام النقد عالحافر اي دفع الثمن حالاً حقيقة ومجازاً فاستعمالهما واحد

(٤) شيخ كأنهُ قفةٌ . القفة ما يبس من الشجر فالمعنى قد بلي ونخر

ويوصف الشيخ البالي في الشام بمثل القفة يريدون القفة المعروفة اي انهُ يكاد يكون مجتمعاً بعضهُ على بعض مثلها لفرط تقلصهِ وانكماشهِ ضعفاً وكبراً . ويشتقون من ذلك فعلاً واسم فاعل فيقولون قفقف ومقفقف

(٥) جاؤوا على بكرة ابيهم اي كلهم

ويقولون في الشام «اجوا عن بكرة ابوهم» هذا بلفظهِ فيجعلون عن مكان على والمعنى واحد

(٦) فلان يتشطر وهو شاطر . قال الاصمعي الشاطر الذي شطر عن الخير اي بعد عنهُ . (فهو لذلك ذمٌّ لا مدح)

والشاطر في عرف عامة الشام البارع فهو مدح لا ذمٌّ . لكنهم يقولون ايضاً فلان يتشطر اي يظهر الشطارة . وبلاش شطارة علينا . وهذان يشعران بانهم يريدون بالشطارة هنا الذم وهو المعنى الذي وضعت لهُ وهذا هو المتداول ايضاً على السن العامة في مصر . وفي بعض امثال الانجيل مثل الابن الشاطر اي الذي اعيا اهلهُ خبثاً وهو العاق ضدُّ البارّ . وقد ترجم في الانكليزية The prodigal son اي الابن المسرف او المتلاف وهو السفيه في اصطلاح القانون . وربما قابل الشاطر المكار او اللعبي في اصطلاح عامة المصريين

(٧) هو ابن عمهِ لحًّا اي الملتصق بهِ والخالص

وفي الشام هو ابن عمهِ اللحّ

(٨) سمّن كلبك يا كلك . اول ما قيل لرجل من طسم وكان لهُ كلب وكان يسقيهِ

اللبن و يطعمهُ اللحم ويسمنهُ يرجو ان يصيب بهِ خيراً و يحرسهُ فاتاهُ ذات يوم وهو جائع فوثب عليهِ فاكلهُ فقيل سمن كلبك ياكلك فذهبت مثلاً

والمثل العامي في الشام ربّ كلبك يعقر جنبك والمغزى واحد وهذا اقرب الى العقل من الاول اذ لم يسمع عن كلب اكل صاحبهُ غير الكلب المذكور في هذه الحكاية وانما سمع عن اناس اكلوا كلابهم · وكل ما يفعل الكلب اذا كَلِبَ او أستثير انهُ يعضُّ الناس او يعقرهم· ولعل الرجل الطسمي المشار اليهِ هو نفسهُ مجير ام عامر في الحكاية المشهورة· وفحواها ان رجلاً اجار ضبعاً خائفة جائعة فامنها من خوف واشبعها من جوع حتى اذا انس بها قامت عليهِ و بقرت بطنهُ · فتناول الناس حكاية الضبع ونسبوا فعلتها الى الكلب خطأً وساعدهم على هذا الخطإ توغل قبيلة طسم في القدم وصعوبة التحقيق في كل قديم

(٩) جاء برأس خاقان · هو ملك من ملوك الترك كان فيما يلي ارمينية وكان قتل الجرّاح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان فوجه اليهِ هشام سعيد بن عمرو الجرشي فاوقع سعيد بهِ فهزم اصحابهُ وقتلهُ واحتزَّ رأسهُ ووجه بهِ الى هشام فسرَّ بذلك المسلمون وضربوا بهِ المثل

يقولون في الشام «جايب راس كليب ؟» استفهاماً انكارياً كانهم يستعظمون ذلك لما عرف عن كليب من العزة حتى ضرب المثل بهِ فقيل «اعزّ من كليب وائل»

(١٠) ب · من اشبه اباهُ فما ظلم · قال الاصمعي معناهُ ما وضع الشبه في غير موضعهِ وانشد الطوسيّ

اقول كما قد قال قبلي عالم بهنّ ومن اشبه اباهُ فما ظلمْ

ت · قال الاصمعي اصل الظلم كلهِ وضع الشيء في غير موضعهِ فالمعنى لم يضع الشبه في غير موضعهِ وانشد لكعب بن زهير

اقولـــ شبيهات بما قال عالماً بهنّ ومن اشبه اباهُ فما ظلم·[1]

(١) تكرر هذا المثل في كتاب الفاخر مرتين ففي المرة الاولى (ب) نسب البيت الى الطوسي وهو من اهل القرن الرابع للهجرة وفي الثانية (ت) نسب الى كعب بن زهير من اهل صدر الاسلام والاختلاف قليل بين صدر البيتين حتى لاحسبهما بيتاً واحداً متكرراً · وقد ارتكب ناظمها او ناظماهما خطأً واحداً من تسكين آخر الفعل الماضي «اشبه·» فقال الشارح «جزم الهاء من اشبه لكثرة الحركات» ولا حركات· وقد قال الراجز

بابهِ اقتدى عديٌّ في الكرم ومن يشابه ابه فما ظلم

فاصلح هذا الخطأ بانكر منهُ اي باعراب «اب» بالحركات والنحاة يستشهدون بهذا البيت على جواز اعراب الاسماء الخمسة بالحركات · وحبذا لو عرفنا قائلهُ لنتعرف هل المثل اسبق ام هذا البيت · والغالب ان تسبق الامثال ولكن كثيراً من الامثال مقتبس من الشعر وخصوصاً الجاهلي منهُ

وفي الشام يقولون « من اجا لاهله ما تعدّى » والمعنى واحد

(١١) ضرب عليهِ ساية. والساية الطريق اي جعل لما يريد ان يفعلهُ بهِ طريقاً

وفي الشام يقال « ضارب علينا ساية » اي آمرٌ ناهٍ شامخ بانفهِ . ومن ذلك يقولون لا اريد ان اكون تحت ساية فلان اي امرتهِ وحكمهِ ويفخمون السين كانها صاد فيقولون صاية ويسمون بها نوعاً من الملابس . وفي القاموس « السويّة من مراكب الاماء والمحتاجين او كساءٌ محشوٌ بثمام ج سوايا . وكذلك الكساء الذي يجعل على ظهر الابل » . ومعنى المثلين واحد تقريباً

(١٢) صاحت عصافير بطنهِ . اذا جاع قال الاصمعي العصافير الامعاء وقال ابو عمرو العصافير ما اضطرب عند الجوع والفزع مثل الامعاء

ليس في امثال العامة ما يطابق هذا البيت تماماً . فمنهم من يعبّر عن الجوع بقولهِ « الجوع كافر » ومنهم بقولهِ « خربت جونه » وجونه او جونيه في الصحيح فرضة لبنانية والاشارة في خرابها الى طغيان البحر عليها . وغنيّ عن البيان مايسبق هذا الطغيان من هبوب الرياح واضطراب البحر وتلاطم امواجهِ

(١٣) نام نومة عبّود . قال ابو مسلم محمد الحراني انهُ عبد اسود وكان من حديثهِ ان رسول الله (صلعم) قال ان اول الناس دخولاً الجنةَ لعبد اسود يعني عبوداً وذلك ان الله بعث نبيًّا الى اهل قرية فلم يؤْمن بهِ احدٌ الاَّ ذلك الاسود وان قومهُ (قوم النبي) احتفروا لهُ بئراً فصيروهُ فيها واطبقوا عليهِ صخرة فكان ذلك الاسود يخرج فيحتطب و يبيع الحطب و يشتري بهِ طعاماً وشراباً ثم يأتي تلك الحفرة فيعينهُ الله على تلك الصخرة فيرفعها ويدلّي اليهِ ذلك الطعام والشراب . وان ذلك الاسود احتطب يوماً ثم جلس يستريح فضرب بنفسهِ الارض بشقهِ الايسر فنام سبع سنين ثم هب من نومهِ وهو لا يرى انهُ نام الاَّ ساعة من نهار فاحتمل حزمتهُ فاتى القرية فباع حطبهُ ثم اتى الحفرة فلم يجدِ النبيّ فيها وقد كان بدا لقومهِ فيهِ فاخرجوهُ فكان يسئل (يسأل) عن الاسود فيقولون لا ندري اين هو فضرب بهِ المثل لكل من نام نوماً طويلاً »

لم اورد هذا المثل لان لهُ في امثال العامة شبيهاً بل لمشابهتهِ لحكايتين واحدة منها حكاية اصحاب الكهف وقد يستشهد بها العامة فيقولون نام نوم اهل الكهف . ولو سألتهم عن اهل الكهف وحكاية نومهم ما عرفوها . والثانية حكاية لفقها كاتب اميركي مشهور

اسمهُ « وشنطن ارفنغ » وساذكرها · اما حكاية اصحاب الكهف فهذا ملخصها منقولة عن تاريخ الكامل لابن الاثير · قال

كان اصحاب الكهف ايام ملك اسمهُ دقيوس ويقال دقيانوس وكانوا بمدينة للروم اسمها افسوس وملكهم يعبد الاصنام وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى فقال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا · والرقيم خبرهم كتب في لوح وجعل على باب الكهف الذي اووا اليهِ وقيل كتبهُ بعض اهل زمانهم وجعلهُ في البناء وفيهِ اسماؤُهم وفي ايام من كانوا وسبب وصولهم الى الكهف · وقيل كتبهُ الملك الذي ظهر عليهم وبنى الكنيسة وكانت عدتهم فيما ذكر ابن عباس سبعة وثامنهم كلبهم وقال انا من القليل الذين يعلمونهم · وقال ابن اسحق كانوا ثمانية فعلى قولهِ يكون تاسعهم كلبهم وكانوا من الروم وكانوا يعبدون الاوثان فهداهم الله وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليهِ السلام · وزعم بعضهم انهم كانوا قبل المسيح وان المسيح اعلم قومهُ بهم وان الله بعثهم من رقدتهم بعد رفع المسيح والاول اصح · وكان سبب ايمانهم انهُ جاء حواريٌّ من اصحاب عيسى الى مدينتهم فاراد ان يدخلها فقيل لهُ ان على بابها صنماً لا يدخلها احد حتى يسجد لهُ فلم يدخلها واتى حماماً قريباً من المدينة فكان يعمل فيهِ فرأى صاحب الحمام البركة وعلقهُ الفتية فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا بهِ وصدقوهُ · فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيرهُ الحواري فاستحيا ثم رجع مرة اخرى فعيرهُ فسبهُ وانتهرهُ ودخل الحمام ومعهُ المرأة فماتا في الحمام فقيل للملك ان الذي بالحمام قتلهما فطلب فلم يوجد فقيل من كان يصحبهُ فذُكر الفتية فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم في زرع لهُ فذكروا لهُ امرهم فسار معهم وتبعهم الكلب الذي لهُ حتى آواهم الليل الى الكهف · فقالوا نبيت ههنا حتى نصبح ثم نرى رأينا فدخلوهُ فرأوا عندهُ عين ماء وثماراً فاكلوا من الثمار وشربوا من الماء فلما جنهم الليل ضرب الله على آذانهم ووكل بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلاَّ تأكل الارض اجسادهم · وكانت الشمس تطلع عليهم وسمع الملك دقيانوس خبرهم فخرج في اصحابهِ يتبعون اثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف وامر اصحابهُ بالدخول اليهم واخراجهم · فكلما اراد رجل ان يدخل ارعب فعاد فقال بعضهم أليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً ففعل فبقوا زماناً بعد زمان · ثم ان راعياً ادركهُ المطر فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت غنمي فيهِ ففتحهُ فردَّ الله اليهم ارواحهم

من الغد حين اصبحوا فبعثوا احدهم بورق ليشتري لهم طعاماً واسمهُ تمليخا. فلما اتى باب المدينة رأى ما انكرهُ حتى دخل على رجل فقال بعني بهذه الدراهم طعاماً فقال فمن اين لك هذه الدراهم. قال خرجت انا واصحاب لي امس فلما اصبحنا ارسلوني لاشتري لهم طعاماً فقال هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلاني فرفعهُ الى الملك وكان ملكاً صالحاً فسألهُ عنها فاعاد عليهِ حالهم فقال الملك واين اصحابك قال انطلقوا معي فانطلقوا معهُ حتى اتوا باب الكهف. فقال دعوني ادخل الى اصحابي قبلكم لئلاَّ يسمعوا اصواتكم فيخافوا ظناً منهم ان دقيانوس قد علم بهم. فدخل عليهم واخبرهم الخبر فسجدوا شكراً لله وسألوهُ ان يتوفاهم فاستجاب لهم فضرب على اذنهِ وآذانهم واراد الملك الدخول عليهم فكانوا كلما دخل عليهم رجل ارعب فلم يقدروا ان يدخلوا عليهم فعاد عنهم فبنوا عليهم كنيسة يصلون فيها. قال عكرمة لما بعثهم الله كان الملك حينئذٍ مؤمناً وكان قد اختلف اهل مملكتهِ في الروح والجسد وبعثهما فقال قائل يبعث الله الروح دون الجسد وقال قائل يبعثان جميعاً . فشق ذلك على الملك فلبس المسوح وسأل الله ان يبين لهُ الحق فبعث الله اصحاب الكهف بكرة فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض قد اغفلنا هذه الليلة عن العبادة فقاموا الى الماء . وكان عند الكهف عين وشجرة فاذا العين قد غارت والاشجار قد يبست فقال بعضهم لبعض ان امرنا لعجب هذه العين غارت وهذه الاشجار يبست في ليلة واحدة . والقى الله عليهم الجوع فقالوا ايكم يذهب الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاماً فليأتكم برزق منهُ وليتلطف ولا يشعرنَّ بكم احدا . فدخل احدهم يشتري الطعام فلما رأى السوق عرف طرقها وانكر الوجوه ورأى الايمان ظاهراً بها فاتى رجلاً يشتري منهُ فانكر الدراهم فرفعهُ الى الملك فقال الفتى أليس ملككم فلان فقال الرجل لا بل فلان فعجب لذلك . فلما احضر عند الملك اخبرهُ بخبر اصحابهِ فجمع الملك الناس وقال لهم انكم قد اختلفتم في الروح والجسد وان الله قد بعث لكم آية هذا الرجل من قوم فلان يعني الملك الذي مضى. فقال الفتى انطلقوا بي الى اصحابي فركب الملك والناس معهُ فلما انتهى الى الكهف قال الفتى للملك ذروني اسبقكم الى اصحابي اعرفهم خبركم لئلا يخافوا اذا سمعوا وقع حوافر دوابكم واصواتكم فيظنوكم دقيانوس فقال افعل. فسبقهم الى اصحابهِ ودخل على اصحابهِ فاخبرهم الخبر فعلموا حينئذٍ مقدار لبثهم في الكهف وبكوا فرحاً ودعوا الله ان يميتهم ولا يراهم احد ممن جاءهم فماتوا لساعتهم. فضرب الله على اذنهِ وآذانهم معهُ فلما استبطؤوهُ دخلوا الى الفتية فاذا اجسادهم لا ينكرون منها شيئاً غير انها لا ارواح فيها فقال الملك هذه

آ ية لكم . ورأى الملك تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم ففتحهُ فرأى فيهِ لوحاً من رصاص مكتوباً فيهِ اسماء الفتية وانهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم ودينهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سده عليهم فليعلم من يقرأ كتابنا هذا شأنهم . فلما قرؤُهُ عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي اراهم هذه الآية للبعث ورفعوا اصواتهم بالتحميد والتسبيح . وقيل ان الملك ومن معهُ دخلوا على الفتية فرأوهم احياء مشرقة وجوههم والوانهم لم تبل ثيابهم واخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس واعتنقهم الملك وقعدوا معهُ يسبحون الله و يذكرونهُ ثم قالوا لهُ نستودعك الله ورجعوا الى مضاجعهم كما كانوا . فعمل الملك لكل رجل منهم تابوتاً من الذهب فلما نام رآهم في منامهِ وقالوا اننا لم نخلق من الذهب انما خلقنا من التراب واليهِ نصير فعمل لهم حينئذٍ توابيت من خشب فحجبهم الله بالرعب وبنى الملك على باب الكهف مسجداً وجعل لهم عيداً عظيماً واسماء الفتية مكسلمينا وتمليخا ومرطوس ونيرويس وكسطومنس ودينموس وريطوفس وقالوس ومخسيلمينيا . وهذه تسعة اسماء وهي اتم الروايات والله اعلم . وكلبهم قطمير . انتهى

واما حكاية الكاتب الاميركي فخلاصتها ان رجلاً سماهُ الكاتب « ريفان ونكل » عاش في اميركا ايام كانت تابعة لانكلترا وكان ملك الانكليز في ذلك الزمان جورج الثالث (١٧٣٨—١٨٢٠) وفي عهدهِ تحررت اميركا وفازت باستقلالها . فخرج بطل الحكاية يوماً للصيد في الجبل ومعهُ بندقيتهُ وكلبهُ فلما تعب لجأ الى كهف هناك ونام فيهِ سبع عشرة سنة متوالية . وكانت اميركا في خلال تلك المدة قد شقت عصا الطاعة على الملك جورج وحاربتهُ واستقلت عنهُ . وفي صبيحة اليوم الاول من السنة الثامنة عشرة استفاق صاحبنا من نومهِ فوجد بندقيتهُ قد علاها الصدأ وكلبهُ هيكلاً من العظام بالياً فدهش لذلك ونهض من مرقدهِ يروم العودة الى قومهِ . فلما دخل القرية انكر الناس منظرهُ واطارهُ البالية فتألبوا عليهِ يستطلعون امرهُ فظنَّ بهم سوءًا فصاح « ليحيَ الملك جورج » فانهالوا عليهِ ضرباً ولكماً حتى خلصهُ الشرطة من ايديهم وهو لا يعلم ذنبهُ . فلما قصَّ قصتهُ وعلم الناس امرهُ وعلم هو امر نفسهِ زالت دهشتهم ودهشتهُ

نجيب شاهين

السر رونلد روس والحمى الملارية

في العاشر من دسمبر سنة ١٩٠٢ مُنح السر رونلد روس جائزة نوبل الطبيّة لانهُ اثبت بالامتحان ان الحمى الملارية تنتقل بواسطة البعوض · والاربعة عشر الذين نالوا جوائز نوبل الطبيّة ثلاثة منهم نالوها لاجل البحث في سبب الحمّى الملارية وهم روس وغولجي ولاڤران ولا غرابة في ذلك لان هذه الحمى من الد اعداء العمران كما سيجيء

والحمّى الملارية او البرداء على انواعها معروفة من قديم الزمان وقد وصفها الاطباء الاقدمون من اليونان والهنود وصفاً حسناً فابان بقراط الفرق بين حمّى اليوم التي تأتي يوماً وتغيب يوماً والحمى المثلثة التي تأتي يوماً وتغيب يومين وحمى الربع التي تأتي يوماً وتغيب ثلاثة ايام وبيّن علاقتها كلها بتضخم الطحال والاقامة في الاماكن الاجمية حيث يستنقع الماء وقال ان سببها شرب ذلك الماء

وكانت بلاد اليونان خالية من الحمى في القرن الخامس قبل المسيح مع انها كانت كثيرة البعوض والظاهر انها كانت خالية من مكروب[1] الحمى فأُدخل اليها بعد ذلك من بلاد اخرى كما أُدخل الى جزائر موريشيوس سنة ١٨٦٦ · ثم كثرت الاشارة اليها بعد عهد بركليس وكانت هي السبب في انقراض جانب كبير من السكان وانحطاط بلاد اليونان · وقد ألّه سكان سلينوس الفيلسوف امبيدقليس لانهُ طهّر مدينتهم من الحمى الملارية بنزح المستنقعات من ضواحيها

وكان عند الرومان إلاهة للحمى اسمها مفيتس يدل اسمها على الآجام ومتصعداتها· واشار هوراس ويوڤينال الى مضار الاقامة في بطاح رومية في الصيف والخريف وذكر فائدة الكلّة Conopeum اي الناموسية · واشار كثيرون من كتّاب الرومان الى الحميات ونسبوها الى الآجام وما يصعد منها من الابخرة وما يكون فيها من الهوام

قال ڤرو (الذي توفي سنة ٢٧ قبل المسيح) في ما كتبهُ في الزراعة « يجب ان يعلم هل المكان اجمي لانهُ اذا كانت فيهِ آجام وجفّ ماؤُها تولَّدت فيها حيوانات صغيرة لا تراها العين لصغرها تدخل جسم الانسان مع الهواء من الفم والانف وتسبب امراضاً مزعجة »

وقال كولوملاً العالم الزراعي في القرن الاول المسيحي « يجب ان لا تبنى المنازل قرب

(١) اطلقنا عليهِ اسم المكروب لانهُ حي صغير لا يرى الاَّ بالمكروسكوب

المستنقعات ولا تمدّ السكك الحربية الى جانبها لانهُ يتولَّد منها بالحرارة سموم قتّالة وحيوانات ذات حمات لدّاعة »

وقال بلاديوم في شعرهِ الزراعي في القرن الرابع « تجنَّب الآجام حتماً ولاسيما الشرقي منها والغربي لانها تجف في الصيف غالباً ويتولَّد منها وباء وحيوانات موْذية »

ويظهر من هذه الاقوال ان الرومان كانوا يعلمون ما بين حشرات الآجام والحمى الملارية من الارتباط وذلك من القرن الثاني المسيحي الى الرابع وما بعدهُ · وفاقهم الهنود في ذلك فقد جاء في السدونا وهو كتاب سنسكريتي كُتب منذ ١٤٠٠ سنة على الاقل وصف اعراض الحمى الملارية بالدقة ونسبتها الى لسع بعض الحشرات · والاشارات الى علاقة الآجام بالحميات كثيرة جدًّا في كتب المتقدمين والمتأخرين

وسنة ١٦١٨ عولجت زوجة كونت شنكونا حاكم بيرو بخشب الكينا من حمّى اصيبت بها فشفيت فادخل طبيبها هذا الخشب الى اوربا ومن ثم صارت الكينا تستعمل في علاج الحمى وجعل الاطباء يبحثون في حقيقة الحميات واسبابها · وسنة ١٧١٧ نشر الطبيب لنشيسي كتاباً كبيراً في اهوية الآجام ذكر فيهِ آراء الكتّاب الرومانيين القدماء عن الحشرات التي تتولد من المستنقعات ولاسيما البعوض ووصف البعوض واشار الى انهُ قد يكون السبب في تولُّد الحمى ولم يترك القول القديم بالمتصعدات الاجمية وانها تدخل الجسم مع الهواء والماء ولكنهُ حسبها مواد حيَّة · وهاك بعض ما قالهُ في هذا الصدد في الفصل السابع عشر

« ذكرت في فصل سابق ان البعوض وحشرات اخرى تبيض على وجهِ الماء في الصيف فيشرب السكان المقيمون هناك هذا الماء ويستنشقون ما يصعد منهُ من الابخرة الحاوية لانواع كثيرة من هذه الاحياء فيعدون بها · وقد ابان هذا الطبيب ان تجفيف المستنقعات يزيل الحميات · ثم ان القنوات والمصارف التي انشأها الرومانيون قديماً كان الغرض الاكبر منها ازالة الحميات · وجرى باباوات رومية هذا المجرى في نزح الاجام وتجفيفها · ولما ادخل استعمال الكينا فرق الدكتور تورتي بين الحميات التي تشفى بها والحميات التي لا تشفى بها ووضع اسم الملاريا من كلمتين ايطاليتين معناهما الهواء الردي او الفاسد

وتوالى الباحثون بعد ذلك ووجهتهم اكتشاف المسبب للحمّى الملارية الى ان قام الدكتور الفونس لافران سنة ١٨٨٠ واكتشف الاحياء التي تسبب الحمّى الملارية في دم المصابين بها وكان ذلك في بلاد الجزائر · وفي السنة التالية اثبت الدكتور كارلوس فنلي ان

الحمى الصفراء تنتقل من انسان الى آخر بواسطة نوع مخصوص من البعوض . وكان السر بترك منسون قد اثبت سنة ١٨٧٩ ان البعوض ينقل المرض المسبب عن الفلاريا من شخص الى آخر . وذكر الدكتور كنج الاميركي سنة ١٨٨٣ ثلاثة عشر دليلاً على كون البعوض هو العلة في نقل عدوى الحمى الملارية من شخص الى آخر . وسنة ١٨٨٤ اثبت الدكتور كارل جرهرت انهُ يمكن نقل العدوى من المصاب الى السليم بتطعيم السليم من دم المصاب اي ان الحمَّى ليست مسببة عن استنشاق المتصعدات بل عن دخول مادة سامَّة حيَّة في الدم . وسنة ١٨٨٥ — ١٨٨٦ ابان كاميليو كلوجي في بافيا ان المكروب الذي اكتشفهُ لافران يولد بزوراً وان نوبة الحمى تبتدئ حينما يلقي هذه البزور . وان انواع المكروب تختلف باختلاف الحميات المتقطعة بين كونها ثنائية او ثلاثية او رباعية وان في الطيور مكروباً يشبهها . وسنة ١٨٨٤ ارتأى لافران وكوخ ان البعوض قد يفعل في نقل الحمى الملارية ما يفعلهُ في نقل الفلاريا على ما اثبتهُ السر بترك منسون . وارتأى منسون نفسهُ تلك السنة ان البعوض الذي يمتص الفلاريا من دم المصاب بها يفعل مثل ذلك بمكروب الملاريا هو او بعوض آخر شبيه بهِ وهنا جاء رونلد روس

السر رونلد روس هو ابن الجنرال روس احد قواد الانكليز المشهورين ولد في ١٣ مايو سنة ١٨٥٧ ودرس الطب في لندن ودخل الخدمة الطبية في بلاد الهند سنة ١٨٨١ وشرع يبحث في الحمى الملارية سنة ١٨٨٩ وارتاب في صحة اكتشاف الدكتور لافران حاسباً ان الحمى مسببة عن مادة سامَّة تتولد في الامعاء . وجاء لندن سنة ١٨٩٤ فاطَّلع على ما ارتآهُ الدكتور منسون من حيث علاقة البعوض بالحمى وعاد الى الهند في العام التالي فاهتم بامتحان ذلك والَّف تلك السنة رسالة في الحميات الملارية وسببها والوقاية منها في مسابقة ينال الفائز فيها ٧٥ جنيهاً ونشاناً ذهبياً فنال الجائزة والنشان وكان لنسيني وخلفاؤهُ قد ارتأوا ان مكروب الملاريا او سمها ينقلهُ البعوض من الآجام . وكان منسون قد اكتشف ان البعوض يمتص الفلاريا من دم الانسان فظن ان البعوض يفعل مثل ذلك فيمتص مكروب الملاريا من دم المصاب بها وينقلهُ الى ماء المستنقعات حينما يبيض فيها فاذا شرب الناس من ذلك الماء دخل مكروب الملاريا معهُ ولكن ثلاثة من اطباء ايطاليا كانوا قد اثبتوا ان العدوى لا تأتي من شرب ماء المستنقعات . واثبت روس ذلك بالامتحان . وفي بلاد الهند مكان كثير الحمى الملارية اسمهُ اسكندر اباد فجعلهُ مقر بحثهِ وجمع من انواع البعوض التي فيهِ وجعل يربيها ويشرّحها ويبحث فيها فوجد انها على ثلاثة اشكال

الشكل المخطط والرمادي والمرقط فرباها وجعل البعوضات المتولدة منها تلسع اناساً مصابين بالحمى الملارية وبحث عن مكروب الحمى في اجسامها بعد ان وثق انها كانت خالية من هذا المكروب وغيره وبقي سنتين يبحث ويمتحن ويصلح آلات البحث والامتحان حتى تزيد دقةً ويثبت ان البعوض نقل مكروب الملاريا من المصاب الى السليم فلم يفلح حتى ظن ان انواع البعوض التي كان يجرب فيها ليست هي الانواع التي تنتقل بها العدوى او ان التلقيح في الملاريا لا يكون بواسطة اللذع . كان مرة في آكام تعلو ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر حيث يزرع الشاي والبن وفي سفحها منخفض تكثر فيهِ الملاريا ووجد هناك البعوض المرقط الاجنحة (الانوفيل) الذي ثبت بعدئذٍ انهُ الناقل للعدوى . ثم عاد في يوليو سنة ١٨٩٧ الى اسكندراباد واعاد التجارب في البعوض المخطط والرمادي على غير جدوى ولم يجد البعوض المرقط الاَّ في ١٥ اغسطس ووجد في معدة بعوضة منهُ خلية صغيرة مستديرة فيها حبوب سوداء مثل المادة التي قال فرخو وفريريخ انها المادة المرضية في الحمَّى الملارية وانها توجد في مكروب الملاريا . ثم وجد هذه الحبوب في بعوضة اخرى من البعوض المرقط وكان قد جعل هاتين البعوضتين تلسعان انساناً مصاباً بالملاريا فثبت لهُ حينئذٍ ان هذه الحبوب السوداء آتية مع الدم من المصاب بالملاريا وانها نفس المادة المعدية في مكروب الملاريا لانهُ لم يرَها في غير هاتين البعوضتين من كل البعوض الذي فحصهُ وان هذا البعوض المرقط هو الذي ينقل العدوى دون سواهُ

وكان روس من اطباء الجيش كما تقدم فأُمر بالذهاب الى مكان خالٍ من الملاريا ويبعد الف ميل عن المكان الذي كان فيهِ فاضطر ان ينقطع عن البحث حتى فبراير سنة ١٨٩٨ وحينئذٍ تيسر لهُ ان ينقطع للبحث في الملاريا ومرض الكالازار مدة ستة اشهر . وكان لافران قد اكتشف خيوطاً متحركة مثل اصابع الاخطبوط تخرج من مكروب الملاريا عند استخراجهِ من الدم . ولما اكتشف روس مكروب الملاريا في معد البعوض المرقط على ما تقدم اكتشف الدكتور مكلوم ان مكروباً آخر يصيب الطيور تخرج منهُ خيوط مثل هذه وقت المزاوجة ثم اثبت هو والدكتور اوبي ان خيوط مكروب الملاريا من هذا القبيل اي انها خيوط المزاوجة فاثبت روس ان البعوض الرمادي ينقل مكروب الطيور من طائر الى آخر ثم وجد ان بزور مكروب الملاريا تجتمع في غدد البعوض اللعابية . وقد قال في هذا الصدد «ان هذا المرض الذي يميت ملايين من الناس كل سنة ويمنع الوصول الى بلدان واسعة قد عرفت الآن الطريق التي تنتقل بها غددهُ فان هذه البزور الدقيقة تدخل غدد البعوض اللعابيَّة

وتنتقل منها مع لعابهِ السام الى دم الانسان الذي يلسعهُ ذلك البعوض» ٠ واثباتاً لذلك طعَّم كثيراً من العصافير بمكروب الطيور المتقدم ذكرهُ مستخرجاً اياهُ من البعوض الذي امتصهُ وبعث بنتيجة عملهِ الى الدكتور منسون فابلغها مجمع الطب البريطاني سنة ١٨٩٨ فاهتم بها العلماء جزيل الاهتمام واما رجال الحكومة فاغفلوا امرها ٠ وكان روس قد انفق كل ما معهُ على تجاربهِ فعزم على ترك الهند فتركها وعاد الى بلاد الانكليز سنة ١٨٩٩ ثم عيّن مدرساً في مدرسة لفربول التي انشئت حديثاً لامراض البلدان الحارة ٠ وفي تلك السنة عينها اثبت الدكتور غراسي والدكتور بجنامي الايطاليان ان عدوى الملاريا لا تنتقل الاَّ بالبعوض المرقط فلم يبقَ الاَّ ان تعرف الطرق الواقية من الملاريا

وارسل روس تلك السنة الى سيرّا ليون في ساحل افريقية الغربي لكي يبحث عن اسلوب يقي السكان من الملاريا فوجد فيها البعوض المرقط ووجد انهُ يتولد في بعض المستنقعات فنزحها ووضع شبابيك السلك في البيوت لمنع دخول البعوض اليها وفصل المرضى عن الاصحاء وامر باستعمال الكلات (الناموسيات) وفعل مثل ذلك في اماكن اخرى الى ان دعي الى الاسمعيلية سنة ١٩٠٢ ٠ وقد مصّرت الاسمعيلية سنة ١٨٧٧ في عهد اسمعيل باشا فمرض فيها تلك السنة ٣٠٠ بالحمى الملارية من اغسطس الى دسمبر ولم يكن سكانها اكثر من ١٠٠٠٠ نفس ٠ ومرض فيها ٢٥٠٠ سنة ١٨٩١ حتى كاد سكانها يهجرونها فلما وصل روس اليها ردم كل البرك وازال آبار الكنف من تحت البيوت او صب فيها البترول ونزح المياه من المستنقعات حتى جفّت كلها ومنع ركود الماء في الآنية ونحوها واقيم اناس لمراقبة ذلك دائماً ومنع ركود الماء فزال البعوض المرقط وزالت معهُ الملاريا وجرى مثل ذلك في بورت سعيد والخرطوم

وجملة القول ان روس استنبط طرقاً خاصة لجمع البعوض وتقسيمهِ الى انواع وتغذيتهِ وتوليدهِ وتشريحهِ والبحث فيهِ واستدلَّ على ان البعوض المرقط Anopheles هو الذي ينقل مكروب الملاريا لانهُ وجد هذا المكروب في جسمهِ وان بزورهُ لا تكون في امعاء البعوض بل في غدتهِ اللعابية وان مكروباً مثلهُ ينقلهُ البعوض من طائر الى طائر فسهل لغراسي وبغنامي ان يثبتا ان ميكروب الملاريا ينمو في البعوض المرقط فقط وبهِ ينتقل المرض من انسان الى انسان ولما ثبت لهُ ذلك بالاستدلال عاد الى اثباتهِ بالامتحان وذلك باستعمال الوسائل التي تمنع تولد هذا البعوض ومنع وصولهُ الى الناس فامتنعت الحمى الملارية

لخصنا ما تقدَّم من مقالة للجنرال جورجاس الاميركي نشرت في المجلة العلمية الشهرية

وظيفتان للّبن

يرى احد الاطباء الاميركيين ان للّبن وظيفة اخرى غير تغذية ابدان الصغار من الانسان والحيوان وهي اعداد معدها في دور الرضاع للطعام الذي تأكلهُ بعد ذلك الدور . وقد لخصنا رأيهُ في هذه العجالة :

قال غيتي الشاعر الالماني الشهير ان الدم عصير شديد الغرابة . ومثل هذا القول يصحّ على اللبن . فقد ظهر من المباحث الفسيولوجية الحديثة ان لبعض غدد الجسم ومفرزاته وظائف اعظم مما كان العلماء يحسبون و يقدّرون . فان بعض المفرزات الداخلية التي تفرزها الغدد المختلفة تؤثّر تأثيراً عجيباً في حياتنا الطبيعية وفي ارتقاء قوانا العقلية ولم تكن تلك المفرزات معروفة قبلاً

فهذه الامور حملت العلماء على البحث في اللبن وخواصهِ وفي غيرهِ من سوائل الجسم المعروفة فثبت لهم ان اللبن طعام تامٌ اي انهُ حاوٍ لجميع العناصر اللازمة لحفظ الحياة وهي البروتيين لنموّ الجسم والتعويض عما يندثر منهُ والاملاح المعدنية لمساعدة البروتيين على اتمام هذه الوظيفة . والكربوهيدرات والدهن لتجهيز الجسم بالحرارة والقوة . والماء لانجاز جميع الوظائف الحيوية . فهو لذلك غذاءٌ كامل وجميع الالبان سواءٌ من هذا القبيل

ومن خواصّ اللبن ان كل نوع منهُ يحتوي على العناصر اللازمة للتغذية على نسبة تختلف باختلاف انواع الحيوانات التي ترضعهُ . ومن خواصهِ انهُ عند حلبهِ من الاثداء يكون سائلاً على الدوام فاذا دخل معد الحيوانات التي ترضعهُ جمد كثيراً او قليلاً . وهذا الجمود ناشيءٌ عن تخثر البروتيين (اي المادة الجبنية) دون غيرهِ من عناصر اللبن . ومما يجب ذكرهُ هنا ان الكربوهيدرات والادهان متشابهة كلّ التشابه في تركيبها وانفعالها بالعصارات المضمية مهما يكن نوع اللبن الذي يحويها اما البروتيين فيختلف باختلاف الالبان وكذلك يختلف تخثرهُ اي انهُ يكون على درجات مختلفة باختلاف تلك الالبان

وربّ سائل يسأل (١) ما غرض الطبيعة من تقديها الى صغار الحيوان سائلاً يتخثر في معدها على الدوام . و (٢) لماذا يختلف تخثر الالبان باختلاف الحيوانات التي تفرزها . وللجواب على هذين السؤالين يجب فحص العلاقة التي بين اللبن والجهاز المضمي الذي يدخلهُ فنقول

يختثر اللبن في معد الحيوانات التي ترضعهُ على ثلاثة اشكال . ففي معد الحيوانات آكلة العشب المجترة يتحول بروتينهُ كتلاً جامدة عاصية لا تستطيع الخروج من المعدة بسهولة كما في البقر والغنم والمعزى . ومعلوم ان الهضم في هذه الحيوانات يتمُّ اكثرهُ في المعدة وحجم المعدة ٧٠ في المئة من حجم الجهاز الهضمي او القناة الهضمية . ومتى كبرت هذه الحيوانات وانقطعت عن الرضاع وشرعت تأكل العلف كالفول والتبن وما اشبههما من المواد العاصية كانت معدها مستعدة لهذا العمل الشاق بما تمرنت عليهِ من هضم اللبن العاصي كما تقدم

وفي معد الحيوانات آكلة العشب غير المجترة كالفرس والحمار يختثر بروتين اللبن على هيئة كتل جلاتينية تستطيع الخروج من المعدة بسهولة . ذلك لان عمل الهضم في هذه الحيوانات معوي في الاكثر لا معدي وحجم الامعاء ٩٠ في المئة من حجم القناة الهضمية كلها . ومتى كبرت وانقطعت عن الرضاع وجعلت تأكل الاعشاب والحبوب تمَّ معظم عمل الهضم في امعائها بعد ان تكون الطبيعة قد اعدتها لذلك في الصغر

اما لبن المرأة فيختثر في معدة طفلها كتلاً بين الجامدة العاصية والجلاتينية . ذلك لان الهضم في الناس يبدأُ في المعدة ولكن معظمهُ يتمُّ في الامعاء والمعدة تساوي ٢٠ في المئة من القناة الهضمية . فلذلك يختثر اللبن في معدة الطفل على هيئة كتل صغيرة متفرقة ليوافق عمل الهضم في امعائهِ . ومتى كبر وشرع يتناول الطعام الجامد وجب عليهِ مضغهُ جيداً باسنانهِ لتفريق اجزائهِ بعضها عن بعض وتسهيل عمل الهضم في معدتهِ ثم في امعائهِ

فعمل الهضم الانساني والحالة هذه متوسط بين هضم الحيوانات المجترة كالبقر و بين غير المجترة كالفرس . والبروتيين يختثر على طريقة يعدُّ بها القناة الهضمية لعملها المستقبل في هضم الطعام الجامد بعد اللبن السائل

والذي يدرس تاريخ الحيوانات من تصورها في الارحام الى ولادتها يرى انها جميعاً تدخل الحياة بصورة بسيطة وتكون متشابهة كلَّ التشابه وهي اجنة حتى ليعسر تمييزها بعضها عن بعض في اوائل تكونها ثم تأخذ تفترق في شكلها وتركيبها ولا تزال تفترق حتى اذا بلغت دور الولادة لم يبقَ ادنى صعوبة في تمييزها بعضها عن بعض وارجاع كلٍّ منها الى نوعهِ . ولكن اختلاف وظيفة التغذية في هذا الدور ليس كبيراً ولاسيما في ذوات الثدي

بدليل ان صغار بعض انواعها تعيش على لبن بعض الانواع الاخرى وتنمو كأنها ترضع لبن أُمّاتها. ألا ترى ان اطفال الانسان تُرضع لبن البقرة او الجاموسة او النعجة ويُقصر عليهِ دون غيرهِ فتنمو نموّ الاطفال التي ترضع لبن امهاتها وتثري اثراءها. ولكن عند انتهاء دور الرضاع الطبيعي في ذوات الثدي يبدو الفرق على صغارها من حيث الطعام والغذاء ويتجسم ذلك الفرق حتى يستحيل اطعام بعضها ما يأكلهُ البعض الآخر

ولادراك هذا الفرق خذ طفلاً وجرواً وعجلاً وغذّها في السنة الاولى من عمرها بلبن بقرة فلا تجد عليها فرقاً لان عمل الهضم فيها كلها يكاد يكون واحداً في مبتدإ عمرها . ولكن بعد انقضاء السنة الاولى يشرع الطفل في تناول الطعام اللين والجرو في اكل اللحم والعظام والعجل في اكل الحشيش والفول والتبن اي انهُ في سنة واحدة تغير طعامها الى حدّ ان صار طعام العجل الطبيعي من نوع لا يلائم معدة الطفل ولا الجرو. ولكن الكيماوي يحلل طعامها ثلاثتها فيخبرك انهُ يحتوي في جوهرهِ على العناصر الغذائية عينها التي يحتوي عليها اللبن

فبناء على ما تقدم يمكن القول ان لبروتيين اللبن وظيفة نشوئية غير وظيفتهِ الغذائية المعروفة

ونستخلص من هذا البحث مسألة حقيقة بالتدبر والاهتمام وهي وجوب ارضاع كلّ امّ لاطفالها وهذا ما يجري بين الحيوانات طبعاً ما عدا النوع الانساني ارقى انواعها . ولكنهُ واجب في الانسان ايضاً لان البروتيين في البان انواع الحيوانات المختلفة خلق لاجهزة هضمية مختلفة فلا غرابة اذا لم يلائم بروتيين هذا الحيوان معدة ذلك الحيوان كلّ الملاءمة. فمن الوجهة الغذائية لا تختلف الالبان بعضها عن بعض كثيراً وانما اختلافها الاكبر من الوجهة النشوئية . وهذا سبب فرعي يضاف الى الاسباب الاخرى التي توجب على الام ارضاع طفلها حيث يمكنها ذلك . وليست زيادة الوفيات بين الاطفال الذين يرضعون بالصناعة هي السبب الوحيد الذي يوجب على الامهات ارضاع اطفالهنّ اذا استطعن ذلك. ففي ارضاع الطفل لبن بقرة نضع لبناً يتحول كتلاً عاسية في معد خلقت لتحتوي لبناً يتحول كتلاً لينة متفرقة . ونتيجة ذلك عسر في الهضم وايقاف وظيفة من وظائف اللبن عن عملها وهي اعداد بعض اجزاء القناة الهضمية لعملها المستقبل

الغواصة التجارية

ديتشلند

كثر حديث الناس هذه الايام بالغواصة التجارية الالمانية « ديتشلند » التي سافرت الى اميركا من مدينة برين الالمانية وعادت اليها سالمة دون ان يمسها اذى فرأينا ان نجمل حكايتها بما يلي

خطر لبعض دوائر الملاحة الالمانية منذ بضعة اشهر ان تبني غواصات تجارية كبيرة تنقل بعض البضاعة الخفيفة الحمل الغالية الثمن بين المانيا والخارج بعد ما سدّت اساطيل الحلفاء مسالك البحر في وجه المانيا . فتألفت شركة في مدينة برين لهذا الغرض وشرعت في بناء بضع غواصات فكانت الغواصة « ديتشلند » اول ما كمل منها . فخرجت من برين في ١٤ يونيو الماضي تحمل حملاً خفيفاً غالي الثمن من الاصباغ وسائر المواد الكيماوية وامّت اولاً جزيرة هليجولند المناوحة للساحل الالماني في البحر الشمالي . فبقيت فيها تسعة ايام وغرضها من ذلك كما قال ربانها تضليل الحلفاء فيما لو كانوا قدروا بسفرها وزمانهِ والمكان الذي تقصدهُ . وكان فيها ثمانية ضباط و ٢١ بحريًّا واسم ربانها كونيج

وكان امامها طريقان للسفر طريق بحر المانش الفاصل بين انكلترا وفرنسا وطريق اطول منهُ وهو ان تسير حذاء ساحل انكلترا واسكتلندا الشرقي ثم تعطف غرباً دائرةً حول شمال اسكتلندا فاختارت الثاني دون الاول لكثرة الشراك المنصوبة في بحر المانش لاقتناص الغواصات ولان سفن خفر السواحل مبثوثة في جوانبهِ رصداً للاعداء

خرجت من جزيرة هليجولند في اليوم الموعود وكان معظم سيرها في مياه البحر الشمالي تحت الماء اي انها قطعت تسعين ميلاً وهي غائصة في الماء لكثرة العيون والرقباء هناك . وكانت اذا رأَت سفينة واشتبهت فيها غاصت ولم يبقَ منها فوق الماء غير عينيها . او غاصت بعينيها اذا رأَت ان بقاءهما فوق الماء يرشد اعداءها الى مكانها . واتفق لها مرة ان غاصت الى قعر اليم حيث بقيت بضع ساعات لاشتداد الخطر حولها

ولما خرجت من حدود البحر الشمالي قلَّ الخطر كثيراً فاجتازت الاتلانتيكي على الماء ولم تغص فيهِ مطلقاً . ولكنها لما بلغت رؤُوس فرجينيا غاصت في الماء بضع ساعات اذ رأَت سفينتين ارتابت فيهما حتى اذا غابتا عن الابصار عادت فطفت على سطح البحر وبلغت ميناء بلطيمور باميركا سالمة في ٩ يوليو اي بعد ١٦ يوماً على خروجها من هليجولند قطعت فيها

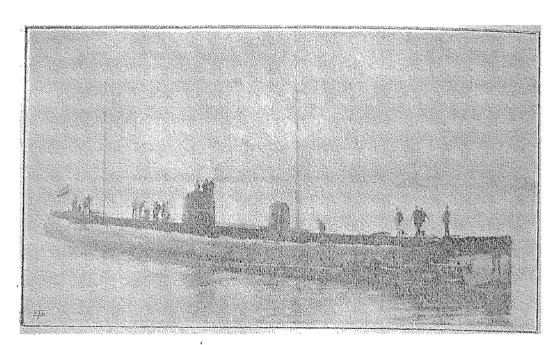
٣٨٠٠ ميل. وقد جاء بعد ذلك انها اقامت في مياه اميركا مدة قصيرة لا تتجاوز اسبوعين و بعد ان انزلت «شحنها» واخذت غيره عادت من حيث اتت وسفن الحلفاء التي تبعتها من اوربا ترتدّ على آثارها قصصاً فلم تهتدِ اليها ولا وقفت لها على خبر حتى جاءت الانباء بانها بلغت برمن آمنة

ولنبحث في تركيبها فنقول: ان باطنها يشبه في شكلهِ السيجار اي انهُ اسطواني طول قطرهِ في وسطهِ ٢٠ قدماً وهو مغلف بغلاف خارجي خفيف كثير الثقوب لدخول ماء البحر وخروجهِ ومقسوم الى خمسة اقسام او خمس غرف مستقلة بينها حواجز لا ينفذها الماء. فالغرفة الاولى في المقدم وفيها سلاسل المرساة والروافع الكهربائية لرفع المرساة وانزالها ومؤونة البحرية وبعض الشحن. والثانية تليها وهي تملأ شحناً. والثالثة اكبر الغرف وفيها يقيم الضباط والبحرية وعند طرفها الخلفي برج الغواصة ومنهُ يصعد الى ظهرها. والرابعة تملأ شحناً. والخامسة تحوي الآلات المحركة التي تسيّر الغواصة والبطريات الكهربائية موضوعة في قعر الغواصة تحت الغرفة الثالثة. ويوصل الغرف بعضها ببعض دهليز عرضهُ $2\frac{1}{2}$ قدم وعلوهُ ٦ أقدام

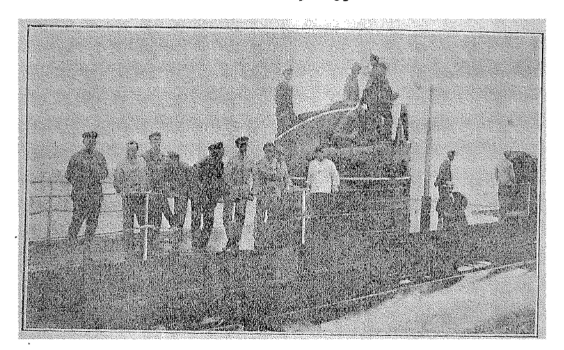
اما طول الغواصة فنحو ٣١٥ قدماً وعرضها ٣٠ قدماً وارتفاع غاطسها ١٧ قدماً. وسرعتها على سطح الماء من ١٢ الى ١٣ ميلاً بحريًّا وتحت الماء ٧ اميال وتفريغها الف طن وتحمل ما زنتهُ ٧٠٠ طن

ولها عينان (برسكوب) واحدة في مقدم البرج وثانية اكبر منها في مقدمهِ ايضاً الى يمينها. ومن غريب ما تحويهِ ساريان من الفولاذ يطويان وينشران حسب المرام وعلو الواحد منهما ٥٠ قدماً وهما خاصان بارسال الرسائل اللاسلكية وقبولها. على ان في الامامي منهما شرفة للرصد والاستكشاف

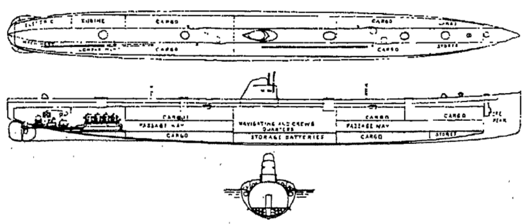
ويظهر باقل نظر ان لا فائدة تجارية من هذه الغواصة ففي زمن الحرب يتهددها الخطر من كل ناحية فاذا سلمت مرةً لا تسلم اخرى. ولو كان عدد الغواصات التي من نوعها عشراً لما سلم منها خمس في السفرة الواحدة ولفقدت كلها في سفرتين او ثلاث وغاية ما يستفاد منها في زمن الحرب انها قد تجلب ما تمسّ الحاجة اليهِ من بعض المواد ولو بثمن فاحش لكثرة ما يغرق منها. واما في زمن السلم فلا فائدة منها مطلقاً لان المسافة بين اوربا واميركا تقطع في خمسة ايام او ستة واجرة السفر والنقل رخيصة جدًّا فلا يحتمل ان يسافر الناس في غواصة كثيرة التعرض للغرق ولا ان يرسلوا بضائعهم فيها فيكاد صنعها يكون من قبيل العبث



صورة الغواصة دتشلند



صورة جزء منها مكبراً



صورة ظهرها وصورتها لو قطعت طولاً ولو قطعت عرضاً

صحف الخنادق

من طبع الفرنسوي بل الامة اللاتينية التي هو اعرق فروعها وازهر غصونها الميل الى الظرف وتغليب السراء على الضراء حتى ليستخفهُ الطرب و ينسيهِ هموم العيش وكروب العمر مهما اشتدت وطأتها عليهِ . ففي خنادق البلجيك وشمال فرنسا الممتدة صفوفاً من البحر الشمالي الى جبال الفوج والمتمجة تمجج الافاعي لم يزعزع جدّ الحرب ما طبع عليهِ من حبّ المزح ولا اخمد طربهُ القديم بدليل ما ينشر من الصحف في تلك الخنادق بين صليل السيوف وقصف المدافع

واول هذه الصحف على ما يظن « لكودي لارجون » ظهرت في ٢٦ اكتوبر سنة ١٩١٤ وكتب العدد الاول والثاني منها بالآلة الكتابية على ورق سخيف ولكن العدد الثالث طبع طبعاً عاديًا وما زالت اعداد هذه الجريدة تظهر حتى الآن وفيها آخر اخبار الحرب وكثير من الملح والطُّرَف والنكات والشعر الرقيق وغير ذلك من آثار الظُّرف الفرنسوي

اما حيث لم يوفق الجنود الى الحصول على مطبعة فقد كتبوا صحفهم وطبعوها بالصمغ . فان جاويشاً في الاورطة ١٥٤ من الجنود التريتور يال استأذن قائد اورطتهِ في اصدار جريدة لرفاقهِ فاذن لهُ في ذلك ومدَّهُ بالورق والحبر اللازمين ولكن بقي الصمغ لنسخ بضعة نسخ ففتش الجاويش في انقاض بعض القرى خلف الخط فوجد ضالتهُ على ما خيل اليهِ ولكن ظهر لهُ فيما بعد ان هذا الصمغ ليس للطبع فارسل من اشترى صمغ الطبع من مدينة تبعد بضعة اميال عن خط القتال . وبينا كان هو ورفاقهُ ينسخون احد الاعداد اذا بقنبلة المانية اصابت مطبعتهم فهدمتها فذهب تعبهم سدًى ولكنهم عادوا فاستأنفوا العمل واصدروا العدد الاول من جريدة سمَّوها « له فانيون » اي الراية واصدروا منها مئة نسخة

وليست قنابل الالمان هي العثرة الوحيدة في سبيل الجنود الصحافيين اذ كثيراً ما يتفق انهم يخرجون للقتال عند ما يدعون اليهِ فاذا عادوا الى خنادقهم وجدوا الجرذان قد عبثت بمطبعتهم وعاثت فساداً في اوراقهم وملازمهم ومسوداتهم والتهمتها هي والصمغ المهيأ للنسخ . وقد اهتمت الحكومة الفرنسوية مزيد الاهتمام بصحف الخنادق حتى انتدبت من يجمع نسخاً منها قصد حفظها في مكتبة باريس الاهلية . و يقال ان اسماء هذه الصحف تملأ

صفحة كاملة · ومن اشهرها غير الصحيفتين المذكورتين جريدة اورطة المشاة الثامنة عشرة عهد في رآسة تحريرها الى احد الجاويشية وهي تصدر كل مرة بلون من الحبر. ومنها جريدة اسمها « لكودي ترانشيه » اي صدى الخنادق يحررها الكاتب الفرنسوي المعروف بول ربو وفيها مقالات وقصائد من قلم اكبر اكابر الفرنسويين من رجال السياسة والادب مثل بوانكاره وروستان وتيودور بوتريل وهنري دي رنييه

ومنها « لكو دو كارفور » و « لكودو رافن » وغيرهما مما يتقدم اسمهُ كلمة « لكو » اي الصدى · ومن غريب ما يذكر عنها انها قلما تشير الى امور الحرب بل اهمُّ ما فيها باب الفكاهات والنكات والرسوم الهزلية مما يحوّل خواطر قرائها من الجند عن اهوال الحرب ولو الى حين

ومن هذه الصحف صحيفة تصدر كل احد على شرط ان لا يقوم الالمان بحركة عدائية كبيرة تمنع الجنود الصحافيين من العمل · فقد صدرت اعدادها الثلاثة الاولى في مواعيدها ولما حان موعد الرابع جرت بين الفريقين المتحاربين وقائع حالت دون صدورهِ بضعة اسابيع

واشهر اسماء هذه الصحف بعد كلمة « لكو » كلمة « بوالو » · فهناك « بوالو ديشينه » و « بوالو جرونيار » و « لي بوالو » وهذه الاخيرة تطبع في شالون وهي من اهمّ صحف الخنادق يصدر منها كل مرة ١٣ الف نسخة

ومثلها شهرة جريدة « مارمينا » ظهرت على ضفاف نهر آين في اوائل سنة ١٩١٥ · وبين محرريها نفر من الضباط كان احدهم استاذاً في احدى الجامعات الفرنسوية وهي تطبع في باريس

وهناك جريدة خاصة بالشعر الهزلي واهمال الزجل الفرنسوي يكتب فيها احياناً بعض مشاهير الكتاب والشعراء مثل اميل فاجيه وهنري دي رنييه

واغرب هذه الصحف الجريدة المسماة « لكودي مارميت » ووجه الغرابة فيها انها مكتوبة كلها بلهجة جديدة لم تستعمل قبل الخنادق وفيها مقالات تضحك الثكلى لما حوت من المزاح الخفيف الذي يكاد الفرنسويون يكونون محتكريهِ فضلاً عن افراغهِ في قوالب من الالفاظ والعبارات الجديدة الغريبة التي كان جنود الخنادق اول من استخدمها كما تقدم القول

الخرافات في بلاد الحضارة

ان التي سماها ابوقراط في ايامه اي منذ نحو الف سنة . تخرصاً واحاديث ملفقة وسكان شيئاً في ذلك العهد الذي بلغت فيه اشدها بانها ليست بنبع اذاعات ولا غرب ، حتى ما سميه نحن الآن بالخرافات ظهرياً في حين اننا نكبرا مرها ونعاملها معاملة الحقائق لا الاوهام وعصرنا عصر النور والحضارة والعرفان

سر اينما كنت من اوربا تجد ما يدهشك من آثار تشبث اهلها بالخرافات واعتقادهم بالجن وظهور ارواح الموتى للاحياء وشفاء الامراض بقوة خارقة سرية واذى العين والتشاؤم بالتعويذ والرقى والتمائم والسحر والتعوذة الى آخر ما هنالك . وقد جاوزت هذه الخرافات البلاد الحديثة العهد بالحضارة كروسيا والبلقان الى القديمة العهد بها كفرنسا و انكلترا وانتقلت بشر العدوى من رؤوس الجهلاء الى رؤوس العقلاء ففي فرنسا مزارات لا تحصى وفي انكلترا حديث « البيوت المسكونة » حتى افردت احدى مجلاتها الكبرى فيه بابا خاصاً بها وروت عن تلك البيوت المسكونة كل عجيب وغريب

وبالامس كنا نطالع « الديجست اميركن » وهي اكبر مجلات اميركا العلمية كما يدل اسمها فرأينا فيها فصلاً افتتاحياً بعنوان « اميركا الموسوسة » قالت فيه

وان صينياً او هندياً تربى تربية عصرية وزار الولايات المتحدة الاميركية ثم عاد الى وطنه وشاء ان يكتب رحلته ويضمنها ما رأى وسمع عندنا لكتب ما يأتي :

ان الاميركيين شعب كثير الخرافات والوساوس . فجميعهم تقريباً يعتقدون بصنوف عديدة من علامات الفأل والشؤم او السعد والنحس ومن اشهر تلك العلامات واكثرها شيوعاً بينهم ان الرقم ١٣ رقم نحس . فالكثيرون منهم لا ينزلون في غرفة عددها ١٣ في الفنادق او البواخر فلذلك يحذف اصحاب الفنادق والبواخر هذا الرقم في تعداد غرفهم . والكثيرون رجالاً ونساء لا يجلسون على مائدة عدد الآكلين حولها ١٣

وترى المنجمين وقراء الكف والجمجمة والعرافين والقافة زاهين زاهرين في كل بلدة اميركية . وقد بلغ التنجيم غايته في بلد اكبر علمائه على درس علم الفلك حتى صاروا اخصائيين فيه بين علماء الارض . وليس المتعلمون الذين طالما سمعوا بمراصد يركس ولك وموت ولسن يدهشون اذ قيل لهم ان كثيراً من صحف اميركا الكبرى تنشر جدولاً يومياً بطوالع تزعم انه مبني على حسابات فلكية وكثيراً ما تنشئ مقالات طويلة في تكهنات ما انزل الله بها

من سلطان . وكل سنة تصدر في اميركا كتب في التنجيم يتصرف كاتبوها في هذا البحث كأنهُ من مباحث العلوم القانونية وفروعها الرسمية

نعم واكثر من ذلك . فمنذ بضعة اشهر اصدر محلٌ من اشهر المحال التي تنشر الكتب في نيو يورك كتاباً في التنجيم فرظتهُ مجلة من اعظم مجلاتنا بقولها « كتاب عن تأثير الكواكب في الناس واعمالهم وحركاتهم وسكناتهم . وهو مقدمة للتنجيم قوية البنيان متينة الاركان . وفيهِ اخبار عملية عن وضع جداول للطوالع » . ولو كان كتاباً في التنجيم لمان اذ معرفة التنجيم نافعة حتى في هذا العصر لا للانباء بالمستقبل ولا للتكهن بالغيب بل للاستعانة على فهم الماضي . ولكنهُ ليس من ذلك في شيء فقد كتب في القرن العشرين لاهل القرون الوسطى قرون الجهل والظلمة . وانكى من ذلك ظهورهُ لا في بكين ولا في بغداد ولا في سرنجاباتام بل في مدينة نيو يورك

وفي مدينة بورتلند بولاية اوريجون مدرسة « كلية » للتنجيم وقد مضى عليها بضع سنوات وهي في نمو وازدياد ولها « اساتذة » خاصون بها . واذا رجع الواحد منَّا الى الموسوعات العلمية ككتب الانسيكلوبيذيا رآها تقول ان التنجيم فنٌّ قديم لا اثر لهُ الآن . ولكن اذا قلَّب المذكرات او التقاويم السنوية التي توصف بانها طبيَّة والتي يطبع منها عدد عظيم من الطبعات في السنة الواحدة رأى فيها اشارات واضحة الى تأثير الطوالع والابراج في اعمال الناس واحكاماً باتة بانها مصدر ما يرى من الخير والشر والقيّمة المسيطرة على كل عضو من اعضاء الجسم الانساني . وهذا كلهُ مبين بالرسوم الجميلة والخرائط المتقنة

ومن اضحك ما يروى انهُ في خلال جلسات المؤتمر العلمي الاميركي الذي عقد في مدينة وشنطن في الشتاء الماضي خصَّت احدى الصحف عمودين من اعمدتها كل يوم بوقائع المؤتمر . وفي احد الايام صدرت وبين هذين العمودين مقالة تملأُ نصف عمود وفيها خلاصة ما تكهن بهِ احد العرافين عن الحرب الاوربية القائمة الآن . فقد جمعت المعرفة والعرافة في صفحة واحدة من صفحاتها بل في صدر واحد وجعل لها كليهما عنوانان حروفها متساوية في الضخامة ولم يفرق بينهما بشيء من الاشياء » انتهى

نقول ولو كان ذلك عندنا ما كان في الامر غرابة لان المعرفة والعرافة في اللغة العربية من اصل واحد واشتقاقهما واحد اما وذلك في اميركا واميركا بلد المدنية الحديثة الراقية التي يجب ان تفرق بين الوهم والحقيقة و « تخلص بين الماء واللبن » كما يقول الشاعر فتعليلهُ ان تصديق الخرافات صفة قديمة رسخت في النفوس بمرور القرون الكثيرة عليها فلا تزول منها

بعلم مضى عليهِ قرن او قرنان وقد لا تزول ابداً · ونحن نعرف جماعة من اكبر العلماء وارسخهم في العلوم الطبيعية كعباً وهم لا يستطيعون ان يحرروا انفسهم من قيد الخرافات مع محاولتهم ذلك فما قولك بجماهير العامة السريعة التصديق · وفي كل بلاد تجد فئة من الاذكياء الذين يرون موضع الضعف هذا من الجمهور فيتخذونهُ آلة لكسب وجر الربح · وهي فرصة سانحة لهم وهم القادرون على اقتناصها فلا يتركونها تفلت من ايديهم

اخبرني صديق صادق انهُ كان في باريس طبيب تعلم وتخرج في مدرستها الطبية ونال شهادتها المؤذنة لهُ بتعاطي صناعة الطب فاقام في منزل وكتب اسمهُ على بابهِ واستعان ببعض الاصدقاء على تعريف الناس بهِ ومضت عليهِ الايام والشهور وهو لا يكتسب من صناعتهِ ما يفي باجرة منزلهِ واخيراً اقنعهُ بعضهم ان يلجأ الى التدجيل ويدعي انهُ يشفي بالتنويم المغنطيسي وكتابة الحجب ففعل واقبل عليهِ المرضى والموسوسون واشتهر امرهُ وتبعهُ البوليس ورفعوا امرهُ الى المحكمة فابرز الشهادة التي تجيز لهُ التطبيب واستمرَّ على صناعتهِ · ونحن نعرف طبيباً نال الشهادة الطبية من باريس ومن لندن ايضاً ولكنَّ كسبهُ الكبير جاء من طريق المعالجة بالاستهواء · وهذه الحال لا تصلح الا بعد القرون الكثيرة

مصر منذ تسعين سنة

(٩)

— اسرار الاهرام —

عزمت على زيارة الاهرام قبل ان ابرح مصر فذهبت الى القنصل دروفتي وعرضت عليهِ عزمي فصحبني رغماً عن مرضهِ ونحول جسمهِ ولما وصلنا الى الخليج اشتد بهِ المرض فاضطر ان يعود وترك احد القواصة لحراستي ولما ودعني قال لي لقد اشتد بي الضعف يدي ثقيل واراني مضطراً ان اتركك وحدك فاذهب مصحوباً بالسلامة وقد هيأت لك مركباً عند مرفإ مصر القديمة فاركب بحراسة الله واجتز البحر الاعظم وها ان عبيدي تبعث اليك ان تصل الى الجيزة وهناك تستأجر الحمير فتوصلك الى الاهرام · واذا صعدت الى قمة الهرم الاكبر اوصيك ان تحصي بدقة درجاتهِ وتعد «مداميكهُ» من اسفلهِ الى قمتهِ لان العلماء على خلاف في ذلك · واذا زرت اهرام سقارة ودخلت مغاور المومياء ارجوك ان تأتيني بمومياء ابيس ... (طير اللقلق) لانني اريد ان اقابل شكل هذا الطائر القديم بشكلهِ الجديد كما نراهُ الآن على ضفاف النيل

فودعتهُ عند جزيرة الروضة ووعدتهُ باحضار ما طلب · ثم اجتزت النيل الى الجيزة وانا افكر في قنصلي المريض الذي وهو على شفا قبرهِ يهتمُّ بهذه المسألة العلمية التي شغلت افكارهُ وهو محسوب من علمائنا المجتهدين ولهُ مؤَلفات كثيرة في العلوم الطبيعية

وصلت الى الجيزة مع القواس وهناك استأجرنا الحمير لتوصلنا الى الاهرام · وفي الجيزة مدرسة حربية واصطبلات لتربية الخيول ومعامل لصنع البارود تحت نظارة ابرهيم باشا · وهناك ايضاً معامل لتفريخ الدجاج اصطناعيًّا · وكنا كلما تقدمنا في الطريق نرى الاهرام تصغر في اعيننا وذلك دليل على ان علوها يساوي عرضها عند قاعدتها · ولما وصلنا استقبلنا بعض فرسان العرب وهم يطلقون البنادق والغدارات في الهواء كانهم يرحبون بنا تمهيداً لاخذهم ادلاء لنا · وقد عهد محمد علي باشا الى قبيلة من قبائل العربان في حفظ الامن على خط الاهرام وحماية السياح غير انهم يمثلون احياناً امام بعض السياح الذين يتوسمون فيهم الخوف والسذاجة معركة وهمية فيتآمرون على سلبهم وذلك بان يهجم نفر منهم بغتةً على السياح وهم مدججون بالاسلحة كأَنهم يقصدون سلبهم والفتك بهم فيظهر حينئذٍ ادلاؤُهم وحراسهم بمظهر الشجاعة والاستبسال ويخلصونهم من قطاع الطريق بعد معركة وهمية يمثلونها فيما بينهم وبهذه الوسيلة يخدعون السياح ويأخذون منهم مبلغاً طائلاً على سبيل المكافأة · وعين لي شيخ العرب المسؤُول عن سلامة السياح اربعة ادلاء يقومون بحراستي واصعادي الى قمة الهرم مقابل اجرة معينة غير انها تضاعفت بما يبتزون من ثمن المشاعل والبارود واجرة الحماية

ولما وصلتُ الى سفح الهرم الاكبر وقفت عند الدرجة الاولى حائراً وعلوها يقارب قامتي فكيف يمكنني ارتقاؤُها · وفي اقل من لمح البصر قفز اثنان من ادلائي فوق الحجر الاول وجذباني من تحت ابطيَّ بينما الاثنان الاخران حملاني من وسطي وعلى هذه الحالة صعدنا من درجة الى اخرى حتى وصلنا الى باب مدخل الهرم وهناك مصطبة متسعة جلسنا عليها للاستراحة · وما اشد دهشتي حينما رأَيت بعض الفتيات الصغيرات من بنات العرب تسلقنَ بخفة كالقردة من غير ان يستعنَّ باحد وفي ايديهنَّ القلل مملوءة من ماء النيل المبرد ثم وقفن امامنا وهنَّ حفاة وقدمن لنا الماء وطلبنَ « البقشيش » فدفعناهُ عن طيبة خطر ونحن معجبون بخفتهنَّ · ثم صعدنا الى قمة الهرم وعلى ظاهر حجارتهِ العليا بقايا طبقة كلسية حمراء اللون وذلك دليل على ان واجهاتهِ كانت قديماً مكلسة من الاسفل الى الاعلى كالهرم الاخر مقابلهُ · وقد رأَى هيرودتس هذه الطبقة الكلسية محفوظة حينما زار الهرم سنة

٤٦٠ ق ٠ م فالهرم الاكبر منسوب لخيوبس والثاني لشفرن والثالث لمسرين ٠ ومن قمة هذا الجبل الاصطناعي تظهر مناظر مدهشة بديعة على مدى بعيد فمجرى النيل يظهر للعين من وراء اهرام سقارة الى الدلتا وهناك احد عشر هرماً صغيراً ومن الغرب تظهر جبال ليبيا الجرداء ومن الجنوب غابات النخيل الخضراء حول ممفيس مدينة الالهة وعاصمة الفراعنة ٠ واما القاهرة فتمتد من سفح المقطم في سهل متسع بقبابها العالية وجوامعها الفخمة ومآذنها التي تناطح السحاب ٠ وعلى حجارة الهرم الضخمة تقرت اسماء السياح الذين صعدوا فوقهُ ٠ على اني لم اجد بين اسمائهم اسم نابوليون بونابرت وفي ظني انهُ وقف عند سفحهِ ولم يصعد الى قمتهِ ٠ وربما انفت نفسهُ الابية وهو القائد الفاتح العظيم ان يحمل بايدي العربان ويتداولوهُ كالكرة يتلقفها الصغار

وبينما كنت على اهبة النزول واذا بعربان يحملون رجلاً اشقر اللون في يديهِ قفازان كأنهُ آتٍ لحفلة رقصٍ ولما وطئت قدماهُ مصطبة الهرم العليا ورآني حني رأسهُ قليلاً محيياً لظنهِ في بدء الامر انكليزياً ٠ وقال لي بلغةٍ فرنسوية تشوبها نغمة جرمانية « نحن الآن على اعلى قمةٍ صنعتها ايدي الانسان ولا شك اننا من قارة واحدة فيجب ان نتعارف ٠ فانا احد ضباط الحرس لجلالة ملك بروسيا وقد سمح لي جلالتهُ ان التحق بالبعثة العلمية البروسية التي وصلت منذ امدٍ قريب الى مصر وهي تحت ادارة العالم الشهير لبسيوس للتنقيب عن الآثار التاريخية والعلمية » ٠ ثم اخذ من محفظتهِ رقعة مطبوعة باسمهِ وقدمها لي فاضطررت ان اعرفهُ بنفسي لما بدا من لطفهِ وادبهِ ٠ ولما عرف اني سائح دعاني لزيارتهِ في قصر ملك بروسيا اذا مررت في سياحتي بمدينة بوتسدام وقال لي ايضاً « عجباً كيف تنزل من هنا من غير ان تتناول الشاي او شيئاً من الطعام على عادة كل السياح الذين يصعدون الى هذه القمة وكما يفعلون ايضاً عند ما يصعدون الى عمود بومباي في الاسكندرية ٠ واني ادعوك الى الاكل معي ٠ فرأيت نفسي مضطراً لقبول دعوتهِ ٠ سائحان اوربيان فوق قمة الهرم الاكبر وفي وسط افريقيا يجب ان يحسبا نفسيهما كمواطنين ولو كانا من بلاد مختلفة ٠ ثم اشار الى احد العربان من ادلائهِ فوضع امامهُ سلاً مملوءاً بالوان الطعام وادوات الشاي فجلسنا نأكل ونحن نتبادل الحديث وقد اوضح لي هذا الضابط الالماني مهمة البعثة البروسية العلمية وما اكتشفتهُ من الآثار الثمينة ٠ وقال انها الآن في الفيوم عند بحيرة موريس (قارون) تبحث عن مدن التيه القديمة المدفونة التي طغت عليها مياه البحيرة كما ورد في التاريخ القديم ٠ وقال لي ان هذه البعثة توصلت ببحثها الى اكتشاف مدن مبنية

بالطوب الاحمر منذ آلاف من السنين وقد طمرتها الرمال وفي عهد غير معلوم طغت عليها المياه فصارت مكانها بحيرة هي الآن بحيرة موريس . وعلى ما ارى ان هذه البعثة تتبعت ابحاث المجمع العلمي الفرنسوي المصري الذي انشئ منذ وصول الحملة الفرنسوية . ورأيت رفيقي هذا بحاثة عالماً واسع الاطلاع فسررت جداً من التقائي بهِ وعند ما فرغنا من الاكل اخرج من سلتهِ زجاجة « عرقي » الماني فشربنا نخب تعارفنا وذكرى التقائنا فوق قمة الهرم

ثم نزلنا من القمة وجلسنا عند مدخل الهرم وهناك مصطبة واسعة وحجر كبير من الرخام عرضه ست عشرة قدماً نقش عليهِ تاريخ الحملة الفرنسوية واسماء قوادها و علماء بعثتها العلمية بحروف هيروغليفية كتبت على طريقة شمبوليون يقابلها ترجمة الكتابة باللغة الفرنسوية . وبينما كنت اقرأ هذه الكتابة وقد هزتني الاريحية والفخر الوطني واذا برفيقي البروسي وجه نظري الى كتابة اخرى على حجر ضخم وهذا مآلها « ان البعثة العلمية البروسية المرسلة من جلالة فريدريك غليوم الثالث ملك بروسيا وتحت رآسة الهرلبسيوس العالم الشهير قد زارت اهرام الجيزة الثلاثة »

وبينما نحن في الحديث اذ اقبل بعض العرب وهم ذوو لحى كثيفة واوساطهم مدججة بالاسلحة والغدارات والخناجر وقد جلسوا على مقربة منا ينظرون الينا خلسة . ولما سألنا ادلاءنا العرب عنهم اجابوا انهم من عرب الصحراء . قلت وما شأنهم هل يقصدون النهب والسرقة والاضرار بنا ؟ قالوا كلاً انهم آتون لحمايتكم من البدو وقد رأوا نفراً منهم عند سفح الهرم يترصدون نزولكم . قلت ولكن قناصلنا قالوا لنا ان لا خوف علينا من العرب وان محمد علي باشا طهر البلاد من شرورهم وجعل الاهرام والسياح تحت حمايتكم . قالوا نعم ولكن لاقبل لنا بمهاجمة البدو وهم اكثر منا عدداً ولذلك دعونا هؤلاء لحمايتكم وهم من رجال قبيلتنا . فلم يعبأ رفيقي الضابط بهذا الحديث الكاذب واخذ غداراتهِ ووضعها بجانبهِ بعد ان تعهدها واعدها . واخيراً ارتضينا ان ندفع الاتاوة المطلوبة منا لهؤلاء العربان الذين تظاهروا بحمايتنا وكان نصيبي من هذه الضريبة خمسة فرنكات ونصيب رفيقي كولونادا ونصف (اي ريال ابو عامود وكان متداولاً في ذلك الوقت) وقلنا لهم اننا لا نصدق رواياتكم المختلقة ولكننا ندفع هذه النقود كبقشيش لكم

ثم دخلنا الى باطن الهرم وطرقنا مسالك ضيقة معوجة صعوداً وهبوطاً مرةً نطأطئ رؤوسنا وآونة نزحف على ركبنا الى ان وصلنا الى شق متسع بين صخرين قيل لنا انهُ هوة عميقة لا قرار لها وكان بعض العربان يتقدموننا وبيدهم المشاعل الى ان نزلنا نحو مائة

وخمسين قدماً . ثم صعدنا في درج متعرج مسافة مئتي قدم ووصلنا الى مغارة متسعة في وسطها بئر عميقة مظلمة . وهناك باب منقور في الصخر يتصل بمغارة او مخدع واسع هو النقطة الوسطى من الهرم و يقال لهُ ايضاً « قاعة الملك » . ولما وصلنا الى هناك اطلق العربان بنادقهم وغداراتهم في الهواء ولما سألناهم عن السبب اجابوا انهم يفعلون ذلك لطرد الثعابين والافاعي والخفافيش المعششة هناك لئلاً تؤْذينا والحقيقة انهم يريدون قبض الكولونادا المعهود ثمن البارود . ثم خرجنا من هناك ورجعنا الى مدخل الهرم وجلسنا على المصطبة وكان رفيقي البروسي يشرح لي كيفية بناء الاهرام والغرض من انشائها و يروي لي عن اسرار الكهنة المصريين القدماء وحفلاتهم واجتماعاتهم السرية داخل هذا الهرم والمسالك الخفية الارضية الممتدة بينهُ وبين معبد الالهة ايزيس في منفيس (البدرشين) روايات غريبة مدهشة وعلى ما اظن ليس بين علماء الدنيا من يهتم باظهار مكونات التاريخ وخفايا اسرار العاديات ورموز المعبودات والاديان القديمة غير العلماء الالمان

فقد قال لي هذا العالم البروسي ان الكهنة المصريين الاقدمين جعلوا مداخل الهرم واقبيتهُ ومغاورهُ وهوَّاتهِ ومسالكهُ الضيقة المتعرجة محفلاً او نادياً سريًّا لاجتماعاتهم الخفيَّة وحفلاتهم الكهنوتية وللمداولة في شؤُون مصر السياسية والقضائية والدينية . وهنا يجتمعون لاختبار المترشحين وامتحان طالبي الدخول في سلك الكهنوت المصري . فبعد ان يتعلم الطالب الحكمة والاصول الدينية واسرار الالهة يعدونهُ لاختبارات عديدة بدنية وادبية (على مثال الامتحانات الماسونية الآن) فيستقبل الكهنة المترشح عند مدخل الهرم ويضعونهُ في عربة صغيرة قصيرة يتربع فيها كعجلة المقعد ثم يدفعونها بقوة في المسلك المنحدر فتهوي بسرعة الى الغرفة الوسطى عند البئر او الهاوية العميقة كما يفعل في بعض العاب لونابارك . فاذا جاز هذا الامتحان غير هيَّاب ولا وجل يعدونهُ للامتحان الثاني وهو انهم يضعون على رأسهِ خوذةً علّق عليها مصباح صغير ليستنير بهِ عند انحدارهِ في الهاوية العميقة مسنداً رجليهِ الى حائطيها ومُمسكاً بسامير حديدية بين الواحد والآخر ذراع الى ان يصل الى قعر البئر وهناك يجد باباً حديديًّا يفتحهُ ثلاثة رجال على وجوههم صفائح نحاسية تمثل وجه الكلب وهو هيئة المعبود انو بيس عندهم . ويجب على المترشح ان لا يظهر خوفاً ولا وجلاً ولا يبالي بتهديدهم ونباحهم و يجتاز الممشى الطويل او السرداب الضيق زاحفاً على يديهِ ورجليهِ الى ان يصل الى شبه غابةٍ كثيفة مظلمة . وفي الامتحان الثالث تظهر امامهُ تلك الغابة مستعرة بلهيب النيران وحينئذٍ يشير اليهِ اولئك الرجال ان يجتاز تلك الغابة الملتهبة بلا تردد ولا خوف

وما هي سوى نار اصطناعية فاذا اجتازها بجراءة يصل الى نهر او بحيرة كبيرة عميقة تتلاطم امواجها بقوة بواسطة رفاصات وعجلات ميكانيكية . وعلى المترشح ان يجتازها سباحة من ضفة الى اخرى ولا يخشى الغرق والامواج تدفعهُ الى الوراء حتى يتغلب عليها بعدان تخور قواهُ من التعب . وعند الضفة سلم عالٍ دقيق يتمسك بهِ . وحينئذٍ يبتدئ الامتحان الرابع وذلك ان عاصفة قوية تثور فكلما وضع المترشح رجلهُ على درجة السلم يهتز اهتزازاً عنيفاً قويًّا ويتمايل بهِ يمنةً ويسرةً حتى يكاد يسقط في الماء فيجب عليهِ ان يتغلب على تلك العواصف والرياح الى ان يصل الى اعلى درجة من السلم بعد ان تنهك قواهُ فيلقى حلقتين من الحديد يتمسك بهما ويبقى ساعة معلقاً في الفضاء الى ان يفتح امامهُ باب على قيد عدة اذرع منهُ فيجب عليهِ ان يترجح وهو متمسك بالحلق الى ان تصل رجلاهُ الى عتبة الباب فيقفز الى الداخل فاذا تمكن من ذلك اجتاز هذا الامتحان والاَّ هوى من ذلك العلو الشاهق الى البحيرة وطرد مهاناً خائباً . فاذا دخل وجد نفسهُ في صحن هيكل للمعبودة ايزيس في وسطهِ تمثالها البديع العاري فيستقبلهُ كهنتها بالتجلة ويهنئونهُ باجتيازهِ الامتحانات السابقة

ان الذين يجتازون هذه الامتحانات الاربعة من المترشحين للكهنوت المصري لقليلون ويندر جدًّا من يقدر ان يجتاز الامتحانات الباقية وذلك ان في داخل الهرم سرداباً طويلاً ضيقاً سريًّا تحت الارض يصل الى هياكل الالهة العظمى في ممفيس عاصمة مصر (البدرشين) فيجب على المترشح للامتحان الخامس ان يجتازهُ مشياً وزحفاً وصعوداً وهبوطاً حتى يصل الى مدخل هيكل الالهة ايزيس وهناك يستقبلهُ كهنتها وكاهناتها باحتفال والموسيقات تعزف والاناشيد تنشد فيجب عليهِ في هذا الامتحان ان يطهر نفسهُ وجسمهُ بصوم مدتهُ واحد واربعون يوماً قبل ان يشاهد مجد المعبودة ايزيس ارملة اوزيرس وجلالها العظيم وجمالها الفتان . فيصوم الطالب من مشرق الشمس الى مغربها وعند المساء يعطى قطعة صغيرة من خبز الالهة وجرعة من ماء النيل المقدس ويسمح لهُ في مدة هذا الصوم ان يجالس الكهنة ويحضر مجتمعاتهم ويتلقى دروس الحكمة وبعض الاسرار الدينية وانساب الالهة وتواريخهم ولهُ الحق في البحث والاستقصاء والاستفتاء والسؤَال عن بعض الدروس العويصة والاختلاط مع هؤُلاء القوم المنقطعين عن العالم تحت اقبية الهياكل حتى ان سميراميس الاشورية التي ملكت بابل قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة لما اتت لمصر وارادت ان تضع اساسات مدينة بابل الجديدة (مصر القديمة الآن) ذعرت وارتاعت لما رأت جيشاً من الكهنة تحت سراديب الهياكل القديمة منقطعين عن العالم الخارجي

فقلت لرفيقي دعنا من هذه الاقاصيص اليونانية الخرافية وتمم حديثك عن الامتحانات الاخرى فقال

بعد ان يطهر الطالب نفسهُ بهذا الصوم الطويل يجب عليهِ ان يخلي برياضة روحية دينية مدة ثمانية عشر يوماً يسمح لهُ في اثنائها بمطالعة كتب الكهنة و يعطى ورقاً وحبراً وقلماً ليكتب تقريراً صحيحاً عن سيرة حياتهِ الماضية يكون اعترافاً مدققاً . ويتلى هذا التقرير في مجتمع سري من الكهنة ثم يؤْتى بالمترشح الى هذا الاجتماع ويختبر شفاهيًّا باسئلة وامتحانات دقيقة مدة اثني عشر يوماً واخيراً اذا تحققت اهليتهُ يسمح لهُ ان يرقد مدة تسعة ايام تحت قدمي تمثال ايزيس بعد ان يتلو امامها صلوات وتضرعات يطلب فيها ان تظهر لهُ في نومةٍ وتلهمهُ الحكمة وتنير ذهنهُ في العلوم والاسرار الدينية

وبعد ثلاثة اشهر يقضيها الطالب في ممفيس يتمرن فيها على الحكمة ومعرفة الاسرار والتغزل بجمال الالهة ايزيس حتى يصبو الى مرآها حية تظهر لهُ بجمالها الفتان وتبتسم لهُ وتمد لهُ ذراعها فيطير قلبهِ فرحاً فاذا كتم عشقهُ وسجدلها خاشعاًفانهُ يجتاز الامتحان السادس والأ فاذا مد يدهُ لتلمسها او ليقبل ذراعها احاطت بها غيوم من البخور والروائح العطرية وغابت عن بصرهِ وطرد من الهيكل

ثم تصنع للمترشح الذي يجتاز هذا الامتحان وليمة حافلة ويجلس بين الكهنة و يسقى من خمر الالهة المصنوع من عصير اللوتس فيغلب عليهِ النعاس و ينام نوماً عميقاً و ينقل وهو على تلك الحالة الى ضفاف بحيرة قارون وهناك حدائق غناء وجنان سرية في مرج تحيطهُ الاودية الخصيبة تجري من حولها الجداول والسواقي وهذه الجنان حرم للكهنة ايزيس لا تطأها اقدام غريبة وهي محاطة بتلال واودية ووهاد عميقة وغابات كثيفة وقد غرس فيها كل ما على وجه البسيطة من انواع الاشجار المثمرة والرياحين والازهار وسرحت فيها الحيوانات الداجنة والايائل والغزلان وحامت عليها الطيور الجميلة وهي تسبح الالهة وتغرد بكرة وعشية . ولهذه الجنان باب واحد يدعى باب الفردوس . واذا استيقظ المترشح من رقادهِ العميق يرى نفسهِ وحيداً في غياض الورد والازهار فيسير في تلك الرياض جذلاً نشوان يتمتع بنعيم الجنان . الأ انهُ يمل من تلك الوحدة والعزلة فتذكو فيهِ عاطفة الحب وتصبو نفسهُ الى الالفة مع شخص مثلهِ او امرأة تؤْنسهُ في وحدتهِ وحينئذٍ تظهر امامهُ فتاة بديعة الحسن والجمال وهي حورية من الجنان تظهر على مثال المعبودة ايزيس تكتنفها غمامة بيضاء وتشير اليهِ بالدنو منها وتسمح لهُ ان يتمتع بمرأى جمالها ومحاسنها البديعة الفاتنة مكافأة لهُ على اجتيازهِ الامتحانات السابقة

وحينئذٍ يبتدئ الامتحان السابع والاخير فتقدم لهُ تلك الحورية ثمراً حرم عليهِ الاكل منهُ او تذوقهِ لان يتمتع بملذات طبيعية يجب عليهِ ان يعفَّ عنها فاذا تناول الثمر منها او اظهر ميلاً اليها اختفت الحورية من امامهِ في الحال وطرد من نعيم الفردوس الى الأبد فيرجع الى نعاسهِ و يُخرَج من النعيم واذا استيقظ يجد نفسهُ ملقى عند سفح الهرم مطروداً مهاناً »

فلم اتمالك حينئذٍ من ان اقول لرفيقي البروسي انك لتروي لي قصة آدم وحواء التي ذكرها موسى في بدء سفر التكوين . فقال نعم ولكن هذه القصة كانت معروفة عند الكهنة المصريين الاقدمين قبل موسى بآلاف من السنين وكذلك ذكرت في كتب الفرس والهنود الاولين فرواية آدم وحواء او بالحري بدء الخليقة شائعة ومعروفة عند كل الشعوب الاقدمين تحت صور مختلفة الاَّ ان الموضوع فيها كلها واحد . وقد اكتشف اخيراً احد علمائنا في بلاد الصعيد الاعلى حجراً نقش عليهِ منذ اربعة آلاف سنة صورة رجل واقف مع امرأة عارية تحت شجرة تحمل ثمراً وتلتف حولها حية رأسها على شكل المعبود تيفون اله الشر والمرأة تقدم للرجل ثمرة من الشجرة المحرمة . فلا يداخلك شك ان رواية الفردوس والحية والشجرة كانت معروفة عند الكهنة المصريين قبل ان يكتب موسى سفرهُ بآلاف من السنين . ومما لا ريب فيهِ ايضاً ان موسى نفسهُ الذي تربى في قصر ابنة فرعون قد درس علوم المصريين وعرف اسرارهم وطلب الدخول في طغمة الكهنة وجاز الامتحانات الستة الاولى ولكنهُ سقط في الامتحان السابع الاخير وطرد ولذلك عمد الى مناصبة الكهنة المصريين العداء جهاراً الى ان خلص شعبهُ من عبوديتهم وكتب لهم التوراة اي الاسفار الخمسة ومعظم رواياتها التاريخية وطقوسها الدينية واحكامها الشرعية مقتبسة من المصريين الاقدمين

فقلت لرفيقي يظهر لي ان افكارك مشبعة بتعاليم فولتير المخالفة للدين وآراء تلميذهِ فردريك الثاني ملككم السابق . فاجابني بحدةٍ نحن الالمان اكثر منكم تديناً ايها الفرنسويون ولكن دأبنا ان لا نسلم بقضية ما الاَّ بعد البحث والتدقيق وتحليل المسائل التاريخية تحليلاً علميًّا اثريًّا وتمحيصها تمحيصاً دقيقًا حتى نصل الى الحقيقة . فرواية آدم وحواء ولو كان الهنود والفرس والمصريون ذكروها قبل موسى لا تخلو من الحقيقة فسواء نقلها موسى عن المصريين بعد ان درس فلسفتهم واطلع على علومهم واسرارهم او نقلها عن غيرهم فهي حقيقة . ثم انهُ ليس موسى وحدهُ هو الذي سقط في الامتحان الاخير بل ان كثيرين غيرهُ من العلماء والفلاسفة اليونان والرومان الذين زاروا مصر وطلبوا الدخول في سلك

الكهنة المصريين واخذوا عنهم علومهم الدينية سقطوا في تلك الامتحانات كتريبتولين واورفي وفيثاغورس وهيرودتس كما تقدم وغيرهم (١)

فالاول اسس جمعية افلافيس السرية في اتيكا والثاني انشأ الجمعية الشهيرة عند اليونان بجمعية الكابير ونشرها في لمنوس وساموثراكي وغرضها عبادة الالاهات عبادة مادية جسمية والثالث كتب عن ديانة المصريين وانشأ جمعية خفية معروفة بجمعية لبنان السرية وضع فيها لليونان عبادة عشتروت الاهة الزهرة عند الفينيقيين

وما انتهى رفيقي من مباحثهِ الخرافية حتى غربت الشمس ولم يعد في وسعنا الرجوع الى القاهرة في تلك الليلة فبتنا في فندق صغير او منزل خلوي في سكة الهرم لاحد الطليان. وفي صباح اليوم التالي ذهبنا الى البدرشين وتفرجنا على آثار ممفيس القديمة وزرنا اهرام سقارة ورأينا هناك الهرم المبني بالطوب الاحمر الذي بناهُ العبرانيون للملوك الفراعنة على عهد عبوديتهم في مصر ودخلنا الى مدافن الحيوانات المقدسة وفيها الوف بل ملايين من الهررة والكلاب والطيور والاسماك والتماسيح والحشرات المحنطة. ولم انس وعدي لقنصل فرنسا فاخذت مومياء الطير ابيس وجدتها ضمن قارورة من خزف طيبة ثم ودعت رفيقي الضابط البرومي ورجعت الى القاهرة

وعلى اثر وصولي ذهبت الى القنصل لاودعهُ قبل سفري واعطيهُ المومياء فقيل لي ان المرض اشتد بهِ فسافر الى الاسكندرية للاستشفاء وعلمت بعد ذلك انه ذهب الى اسبانيا وتوفي هناك فاسفت كثيراً على موتهِ. وفي اليوم التالي تهيأت للسفر الى دمياط بطريق النيل في المركب الذي كنت قد استأجرتهُ بواسطة القنصل وكان راسياً في مرفإِ بولاق

ديمتري نقولا

---

(١) تريبتولين ملك افلافسيس في اليونان اخترع ادوات الحراثة وزار مصر ورجع الى بلادهِ وعلم اهل اتيكا الفلاحة والزراعة. واورفي ملك تراقية كان بارعًا في الموسيقى وزار مصر وفقد زوجتهُ اوريدس فطاف اقطار الارض وهو يفتش عليها حاملاً قيثارهُ الى ان وجدها. وفيثاغورس عالم وفيلسوف يوناني عاش في القرن الرابع ق م. ولد في ساموس وساح في سورية ومصر وهناك تعلم حكمة المصريين ورجع الى بلادهِ وانشأ جمعية سرية معروفة ظاهرًا بالزهد عن العالم وله مؤلفات واختراعات عديدة واليهِ ينسب اكتشاف القياس المنطقي والعناصر الاربعة وجدول الضرب. واما هيرودتس فمؤرخ يوناني عاش في القرن الثالث ق. م. ومشهور بلقب ابي التاريخ طاف في كل بلاد الشرق وزار مصر وفينيقية ودرس علوم المصريين وله مؤلفات تاريخية مدققة يعتمد على صحتها وكتب باستيفاء واسهاب عن ديانة المصريين وعلومهم واسرار كهنتهم

النجاة من مخالب الموت

لخصنا في مقتطف سبتمبر وصف معركة جتلند البحرية كما كانت تبين لمن حلّق فوقها ورأى السفن التي اشتركت فيها تجيء وتروح وتكر وتفر . وقد وقفنا الآن على ما كتبهُ بعض الرجال الذين اشتركوا فيها ونجوا من مخالب الموت فرأينا ان نلخصهُ عبرةً للذين لا يعلمون قيمة الحرية التي يدافع عنها الحلفاء او قيمة التفوُّق البحري الذين يبغون الاحتفاظ بهِ

قال رجل اسمهُ شو من بحارة الطراد الانكليزي ور يورا (الذي تفريغهُ ١٣٥٥٠ طنًا وسرعتهُ ٢٢٫٥ ميلاً بحريًا في الساعة وفيهِ ستة مدافع مما قطرهُ ٩٫٢ بوصة) اخذنا خطة الهجوم في اول القتال وذقنا الامرَّين ولكننا سلمنا مع كل ما اصابنا من قنابل العدو . ثم بلغنا ان طراداتنا الكبرى (طرادات القتال) وصلت واشتبكت في القتال ايضاً لكننا لم نحقق صدق الخبر وفي الساعة الثالثة بعد الظهر أُمرنا ان نكون على تمام الاستعداد ثم قيل لنا ان الخبر صحيح ولا بدَّ من الاسراع الى المعمعة فابرقت اسرَّتنا وتهللت وجوهنا . وكنا قد تذاكرنا كثيراً فيما نستطيع فعلهُ وما نعجز عنهُ والآن حانت الفرصة لاظهار مقدرتنا وهذا سبب سرورنا ولكننا لم نطش بل لزمنا جانب الرزانة وجرى كل واحد منا في عملهِ كأَنهُ من الاعمال العادية التي يعملها كل يوم . ودمنا على مثل ذلك كل مدة القتال حتى لما ضاقت حلقاتهُ علينا واشرفنا على الهلاك لم ارَ احداً منا تولاَّهُ الجزع . وهذه فائدة التمرين والتدريب فانهما يسهّلان على صاحبهما خوض المعارك غير هيَّاب ولا وجل

ثم قيل لنا هبوا الى سلاحكم فاديرت الابراج وحشيت المدافع وكانت سفن العدو لا تزال بعيدة عنا حينما وقع نظرنا عليها . ولما ابتدأ طرادنا يطلق مدافعهُ شغلت حتى لم اعد ارى الاَّ ما انا فيهِ وما يحدث على مقربة مني لان ميدان القتال كان واسعاً جدًّا يعسر الالمام بهِ . فهجمنا على العدو والطرَّاد دفنس في طليعتنا وأُمرنا حينئذٍ ان نطلق المدافع على طراد خفيف من طرادات الالمان كان على نحو ١٦٠٠٠ يرد منا ولم يكن الاَّ قليل حتى اضرمنا النار فيهِ ولكن انبرى لنا اربعة طرادات كبيرة من طرادات القتال الالمانية واصلتنا ناراً حامية وكانت دروعها اسمك من دروعنا ومدافعها اكبر من مدافعنا فلم تمضِ ثمان دقائق حتى اصابت الطراد دفنس في مؤَخرهِ ثم اصابتهُ في مقدمهِ وهو لا ينفك عن الدنو منها واطلاق مدافعهِ عليها الى ان اصابت قنبلة مخازنهُ ونسفتهُ فوارتهُ اليمّ بعد ان حارب رجالهُ حرب الابطال

وحينئذٍ سدّدت هذه الطرادات الاربعة كل مدافعها الى طرادنا فعطّلت اولاً آلاتنا البخارية التي الى اليمين والطلمبات المائية فصرنا مضطرين ان نحرك كل مدافعنا بايدينا . ثم سدّدنا مدافع المؤخر الى الطراد الخفيف الذي اضرمنا فيهِ النار اولاً وكانت المسافة بيننا وبينهُ قد صارت اقل من ستة آلاف يرد فاغرقناهُ حالاً ولم نُغرِق نحن غيرهُ لان الطرادات الكبيرة كانت اكبر واقوى من ان نستطيع اغراقها بمدافعنا . ولما درنا لنضرب الطراد الصغير تعرَّضنا لنار حامية من خمس بوارج المانية من طرز الكونيج فسدّدت الينا مدافعها التي قطر فوهة كلٍ منها ١١ بوصة و ١٤ بوصة . وقد التقطتُ قطعة من قنبلة انفجرت على ظهر طرادنا وقطر دائرها ١٤ بوصة وحينئذٍ دخلت قنبلة كبيرة غرفة الدينامو فلم تبقِ فيها ولم تذر فانطفأت كل الانوار الكهربائية وتعطلت كل اسلاك التلفون في مخازن الذخيرة والآلات فصرنا مضطرين ان نتلمس تلمُّساً في الظلام وصار يصعب علينا نقل الاوامر من جهة الى اخرى . ودخلت قنبلة غرفة المهندسين وحطمت جانباً من العضائد القائم عليها برج مدفعي ولكنها لم تنفجر لحسن البخت ولو انفجرت لما بقي من يكتب هذه السطور . ثم جاءت قنبلة ثانية ونزلت على ثماني اقدام من مقدم برج مدفعي وثالثة على سبع اقدام وراءهُ ثم وقعت قنبلة في البحر على نحو ٢٠ قدماً من فوهة مدفعي وانفجرت هناك وكان لانفجارها هزَّة شديدة رمتني الى الوراء وكادت تصرعني ولكنني لم اغب عن الصواب الاَّ بضع ثوانٍ ثم انتبهت ومررت لانني لم ازل في قيد الحياة . وتخرَّق طرادنا في اماكن كثيرة وقتل من رجالنا ٦٦ وجرح ٢٥ واكثرهم من الذين كانوا موكلين باطفاء النيران لانهم كانوا مضطرين ان يجتمعوا جماعات . وقد تمزقت اعضاء البعض منهم تمزقاً وقتل بعضهم بالغازات الخانقة لان الالمان اطلقوا علينا كثيراً من القنابل الغازية لكن هذه الغازات لم تفعل الاَّ في الاماكن المحصورة الهواء بين طبقات السفينة . ولو لم يبادر البحارة الى رفع الحواجز المدرعة التي تفصل غرف الطعام عن ظهر السفينة حتى يدخلها الهواء النقي لكثر الذين خنقتهم الغازات . ولم يكن رفع هذه الحواجز بالامر السهل لكثرة ما تلوَّت بما اصابها من القنابل لكن تعبنا في رفعها لم يذهب سدًى لانهُ نجَّى كثيرين من اخواننا من الموت اختناقاً . اما الذين قُتلوا على ظهر الطراد فقليلون جدًّا مع كثرة ما اصيب بهِ من القنابل . ووقعت قنبلة صغيرة في بيت المؤونة فاطارت اللحم وسائر الاطعمة منهُ وبعثرتها في كل جهة . ووقعت قنبلة اخرى في الظهر المقدم فاضرمت النار فيهِ وتعبنا جدًّا في اخمادها قبلما تغلبنا علينا

واتضح لنا حينئذٍ انهُ لا بدَّ من غرق طرادنا بعد بضع دقائق وبينما نحن نفكر في ذلك

واذا بالبارجة ورسبيط قد دنت منا فاشتغل بها العدو عنا وهي علة نجاتنا فان الالمان وجدوا فيها عدوًّا لدودًا لا سيما وان مدافعها من عيار ١٥ بوصة فكالت لهم بالكيل الذي كالوا وازيد ولكن لم يكن الاَّ قليل حتى وقع خلل في الآلة التي توجهها فصارت تدور في دائرة كلما حاولت التقدم اما نحن فهربنا في ظلها معتمدين على الآلة البخارية في موَّخر طرادنا لانهُ لم يبقَ لنا سواها ولم نبعد كثيرًا حتى بطل عمل هذه الآلة ايضًا فاضطررنا ان نقف مكاننا . ومن ثم يظهر انهُ لولا مبادرة الورسبيط الينا للقينا حتفنا في تلك اللحظة . وبعد قليل وصلت بوارجنا الكبرى فاركنت بوارج العدو الى الفرار

وكانت قواربنا قد تعطلت كلها فجعلنا نصنع الارماث (الاطواف) لننجو عليها حينما يغرق طرادنا ودنت منا حينئذٍ سفينة الطيارات المائية فجعلنا نمد الاسلاك اليها لكي تقطر طرادنا ما دام عائمًا على وجه الماء وكان معنا ١٥ نجارًا فقتل منهم ١١ وبقي اربعة فقاموا بعمل الارماث بهمة لا تجارى تحت اشد المخاطر وهم باذلون جهدهم في منع الطراد من الغرق . وقطرتنا سفينة الطيارات الساعة الثامنة مساء وسارت بنا تحت جنح الظلام وقد زادت المياه التي دخلت طرادنا رغمًا عمَّا بذلنا من الهمة في اخراجها منهُ وكنا نحسب في كل لحظة انهُ سيغرق بنا لكننا لم نغادرهُ ولا ابطلنا اخراج الماء منهُ ولا بدا اقل شيء من التذمُّر على وجه احد. ومضى الليل كلهُ ونحن على هذه الصورة وطلع الفجر وكان الماء قد زاد في الطراد وامالهُ على احد جانبيهِ وجعلت الامواج تمرُّ على ظهرهِ ولم يبقَ لنا الاَّ ان نغادرهُ فطلبنا من سفينة الطيارات ان تعود الى جنبهِ ونقلنا اليها جرحانا ثم انتقلنا نحن اليها ايضًا وودعنا طرادنا الوداع الاخير وهتفنا لهُ ثلاثًا وانشدنا انشودة فيها اسمهُ ثم ابعدنا عنهُ فلم نرهُ حينما غاص في ذلك الخضم

وكتب ضابط صغير كان في المدمرة المسماة فورتشن قال ما خلاصتهُ

كانت مدمراتنا خمسًا تسير امام البوارج الكبرى (الاسطول الانكليزي الاكبر) كستار لها وفي الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين اتانا من الاميرال بيتي اشارة يقول فيها « اننا مطاردون طرادات العدو ومدمراتهِ شمالاً » ثم جاءتنا اشارة اخرى يقال فيها انهُ يجب ان نسرع باقصى جهدنا . فصدعنا بالامر وبعد قليل جاءنا منهُ انهُ اشتبك مع اسطول العدو. ولما بلغ هذا الخبر الاميرال جليكو بادر باسطولهِ تتقدمهُ مدمراتنا

وكنا كلنا جارين باشد سرعتنا ونكاد نطير فرحًا لاننا كنا متوقعين ان تسنح لنا

الفرصة للايقاع بالعدو . ونحو الساعة السادسة مساءً وصلنا الى ميدان القتال وظهر لنا ان اسطول الاميرال بيتي يحاول ان يخرج من بين بوارج العدو ويجرّه الى حيث كان اسطول البوارج الكبرى وكنا قد بعدنا عنه مسافة اميال ونحن جادّون نحو العدو باشد سرعتنا فجعلت القنابل تنهال علينا وتتساقط حولنا وقد سقط بعضها على مقدّم السفينة امامنا وبعد قليل اصيبت مدمرة من مدمراتنا بقنبلة عطلت آلاتها المحركة فغاصت عليها وكانت القنابل التي تسقط في البحر تدفع منه اعمدة من الماء تعلو في الجو ثم تقع علينا ولكننا لم نبالِ بها . وكانت قنابل الاميرال جيليكو تمر فوق رؤوسنا قاصدة بوارج العدو فتصيبها وتنفجر ولم يتبيّن فعلها لبعد المسافة لكنني اعلم فعل القنبلة التي قطرها ١٥ بوصة اذا اصابت غرضاً وانفجرت فيه لا يصعب عليّ ان اتصور ما لقيه الالمان منها وان كانت السفن التي أصيبت قد نجت من الغرق كلها وذلك بعيد جداً فلا بد من انها تحتاج الى ترميم كثير قبلما تصلح لحرب ثانية

وبينما نحن كذلك رأينا اسطولاً من طرادات المدرعة من طراز الانفنسبل اقبل من جهة اخرى ودنا من بوارج العدو واشتبك معها فسدد العدو مدافعه كلها الى الطراد انفنسبل واطلقها فأصابت قنبلة كبيرة المخزن منه فانفجر وعلاه دخان كثيف ولما انقشع الدخان كان الطراد قد غاص في اليم ولم يبقَ منه الا مقدمه بارزاً وبعد دقائق قليلة غاص هذا ايضاً ولم يبقَ شيء منه فوق الماء

سمعت مرة ان الجحيم تأجج على اليم فلم ادرك معنى هذا القول حتى رأيته بعيني . كانت القنابل التي قطرها ١١ بوصة او ١٢ بوصة تصفر حولنا بالالوف وصوتها يصمّ الآذان ثم تنهال على البحر كانها المطر وقد يصيب سطح الماء ثم تثب عنه مراراً لشدة زخمها حتى لقد يظنها المرء سابحة ترقص على وجه الماء ونحن بينها كريشة تهب بها الريح لا ندري في اية لحظة تصيبنا واحدة منها فتوردنا حتفنا . وكان الماء يرتفع من البحر اعمدة شاهقة كلما وقعت قنبلة فيه ثم يهبط كالامطار الكبيرة . وكيفما التفتنا لا نرى الا القنابل تتساقط والماء يرتفع وينخفض كأنهُ قصر تمثيل منظر بديع مدهش ولكن ما من احد يود ان يراهُ مرةً اخرى في الاحوال التي كنا فيها

ورأينا ونحن سائرون البوارج الثلاث ليون وتيغر وبرنسس رويال تتحف العدو بقنابلها الكبيرة التي قطر كل منها ١٣٫٥ بوصة وتمزق سفنهُ تمزيقاً وكنت ارى كأنّ عزائم الالمان قد خارت ويئسوا من الغنيمة بالنصر لان الاميرال جيليكو صرفهم عن غرضهم وهو

الخروج الى الاوقيانوس الاتلنتيكي وادَّب كل سفينة وصلت اليها قنابلهُ بينما كان الاميرال بيتي يدور نحو الجنوب ويثخن في العدو جهدهُ . ودامت الحال على هذا المنوال الى ان خيَّم الظلام . وبقيت مدمراتنا امام الاسطول الاكبر تهاجم العدو بالقنبلة والتربيد حتى اذا لاذ بالفرار صارت قنابلهُ تقصر عن الوصول الينا . وحوالي الساعة التاسعة ليلاً بعث الالمان الينا غواصة من غواصاتهم كأنهم ارادوا ان يودعونا بها فاطلقنا عليها قنبلةً قضت عليها في لحظة من الزمان ولولا ذلك لقضت هي علينا فنجونا من خروب الشبك الاَّ ان نجاتنا منها لم تُنجنا من مخاطر تلك الساعة فاننا أُمرنا حينئذٍ ان نجري وراء العدو ونشاغلهُ الى الصباح حتى يراهُ الاميرال جليكو حينئذٍ ويوقع بهِ ويتخلص من اساطيل الالمان دفعةً واحدة . ولقد كان ذلك ممكناً لهُ لولم يلذ الالمان بالفرار

اما نحن فاسرعنا كما امرنا وادركنا بوارج العدو بُعيد نصف الليل وغصنا بينها قبل ان ترانا لاننا نوقد البترول فلا دخان لنا ولا لهب . ولما رآنا الالمان بينهم دهشوا واسقط في يدهم كما يظهر من اضطرابهم في اطلاق مدافعهم فانهم جعلوا يطلقونها جزافاً ثم وجَّهوا الينا انوارهم الكشافة وكلما رأوا مدمرة من مدمراتنا اطلقوا عليها كل مدافعهم سواءٌ سددوها او لم يسددوها . وكان الظلام حالكاً جدًّا فلم نتبيَّن سفن العدو الاَّ من لمعان البارود حين اطلاق المدافع او من رؤْية مصدر الانوار الكشافة لكننا رأينا ما يكفي للاستدلال على اضطراب العدو وارتباكهِ في امرهِ ورأينا بانوارهِ الكشافة صفين من البوارج الكبيرة على جانبينا وللحال جعلنا نطلق مدافعنا الصغيرة على مصدر هذه الانوار لكي نتلفهُ واصحابها يطلقون علينا مدافعهم الكبيرة لكي يغرقونا . ودنونا حينئذٍ من بارجة كبيرة فاتحفناها بتربيدين اصابها احدهما حتماً لانني رأيت نور انفجارهِ حينما اصابها وسمعت صوت الانفجار اما التربيد الثاني فلم انتبه لهُ لانني شغلت عنهُ حينئذٍ . وكنا نعلم اننا سائرون الى حتفنا بظلفنا لانهُ لا ينتظر من سفن صغيرة مثل مدمراتنا انَّ تواقع البوارج الكبيرة وتسلم ولكن لم تكن السلامة غرضنا وانما غرضنا كان تدمير بوارج العدو ولهذا صُنعت المدمرات . وكان عملنا اسهل علينا من عمل الالمان عليهم لاننا نحن كنا مصممين على عملنا متهيئين لهُ واما هم فجاءهم العمل فجأَةً على غير انتظار . على ان فعل مدافعهم بنا كان ذريعاً لان القنبلة التي تخرق درع الفولاذ الثخين لا تبقي ولا تذر من مدمرة صغيرة لا واقي لها فلم يسلم من مدمراتنا الاَّ مدمرة واحدة والعجب العجاب انها خاضت تلك المعركة وخرجت سالمة

اما مدمرتنا نحن الفورتشن فمزقتها القنابل ارباً فاول قنبلة اصابتها حطَّمت مقدمها

وقتلت كل الرجال الذين كانوا عليهِ والثانية ذهبت بمدفعنا المقدم ورجالهِ الاَّ رجلاً واحداً واصابت قنبلة ثالثة الازان المقدم فاطارتهُ واصابت اخرى المدفع المتوسط فرمتهُ في البحر وقتلت كل رجالهِ . ولما تعطلت آلاتنا البخارية اضطررت مدمرتنا ان تقف مكانها وجعلت القنابل تخرقها من جهة الى اخرى والمياه تدخلها وتغرقها رويداً رويداً وبقي مدفعنا المؤخر سليماً وظل رجالهُ حولهُ يطلقونهُ تباعاً دراكاً وحينئذٍ وقعت قنبلة الى جانبهِ واطارت منطقة من مناطق النجاة وادخلتها في فيهِ فعطلتهُ فاسرعتُ مع الرجال الذين بقوا منا احياء الى انبوب التربيد الذى وراء غرفة الآلات البخارية وكان لا يزال سليماً واطلقنا تربيداً منهُ ولم نكد نطلقهُ حتى اصابت الانبوب قنبلة واطارتهُ لكن التربيد مر كالسهم نحو الغرض الذي صوبناهُ اليهِ

وكان معنا عوَّامتان كبيرتان كل واحدة منها كالحلقة الكبيرة فرميناها في البحر وكانت مدمرتنا قد اخذت تغرق والنار مضطرمة فيها فان لم تغرق حالاً فلا بدَّ من انفجار مخازن البارود التي فيها فقلَّ املنا بالنجاة ولو نزلنا الى البحر لكننا نزلنا وابعدنا بالعوامتين عن المدمرة وعن المعمعة ايضاً وكانت رحاها لا تزال دائرة . ورأيت المدمرة اردنت والمدمرة تبرارسي والنار تضطرم فيهما ثم أُطفئت بغتةً فاستنتجت انهما غرقتا حينئذٍ

والعوامة حلقة كبيرة مستديرة تطفو على وجهِ الماء ويجلس الرجال عليها وفيها حبال في طرف كل حبل دواسة يضع الرجل قدميهِ عليها . وكانت العوامة التي صعدت اليها مصنوعة لثمانية عشر رجلاً فصعد اليها ثلاثة وعشرون فغاصت بناقدمين تحت الماء والماء بارد كالثلج والليل حالك الظلام وكان معنا الملازم بترصن فلما رأى اننا اكثر من ان تحملنا العوامة لم يشأ ان يصعد اليها بل بقي يسبح الى جانبنا الى ان اخذ منهُ الاعياء كل مأخذ فاقنعناهُ ان يمسك بحبل ويصعد الينا والاَّ هلك وكان في المدمرة كلبة قتل صاحبها وسلمت هي فتبعتنا وامسكت بي بمخالبها ولم تنفك عن الهرير لشدَّة ما اعتراها من برد الماء وقبلما نتمكن من النجاة افلتت وغاصت في الماء ثم صعدت وجعلت تسبح ولكنها ذهبت في جهة اخرى ولم نستطع ان نسير وراءها وبعد قليل غاصت في الماء وغرقت فاسفنا عليها كلنا اسفاً شديداً

ومرَّت ساعتان منذ نزولنا الى العوامة ونار الحرب متأججة حولنا وفوق روؤسنا ولم نكن نسمع بعضنا بعضاً من شدَّة قصف المدافع ولا كان فينا خاصية للكلام حينئذٍ لشدَّة ما حلَّ بنا من البرد مع اننا كنا نسير في بحر من النار . وكانت الانوار الكشافة تمر فوق روؤسنا والقنابل الرشاشة تتساقط حولنا وبقينا نرى البوارج الكبيرة بالبرق الذي يومض من افواه

مدافعها فتظهر بغتةً كانها نبتت من قاع البحر ثم تختفي كما ظهرت . ورأينا بارجة المانية من طرز الدردنوط وهي من اولها الى آخرها شعلة نار وأحَد مدافعها لا يزال يطلق لكنها صارت غرضاً لمدافع اسطولنا فانصبت عليها قنابلهُ الى ان اغرقتها امام عيوننا

وجُنَّ احد رجالنا من شدة ما عاناهُ ووثب الى الماء فغرق ثم هرأ البرد غيرهُ فناموا وماتوا وهم لا يفوهون بكلمة واردنا القاءهم في البحر لكي نخفف عن العوامة فقلبت بنا ولم نستطع تعويمها الاَّ بعد عناء شديد . ووجدنا حينئذٍ ان عشرة منا غرقوا ونحن نحاول تعويمها ولم يتمكن الباقون من الصعود اليها الاَّ بشق الانفس . ثم زاد اضطراب البحر لكي يزيد في طنبور بؤسنا نغمة فتقاذفتنا الامواج ولكن كان البرد قد خدَّر اعصابنا حتى لم نعد نشعر بشيءٍ . ولما صرنا على آخر رمق مرَّت بنا مدمرة من مدمراتنا الساعة السادسة صباحاً وحاولت انقاذنا فلم نستطع ان نمسك بالحبال التي طرحتها الينا لشدَّة خدَر ايدينا ولم تستطع هي ان تقف قريبة منا لان غواصات الالمان كانت تطوف حولها لترميها بالتربيد حالما تقف . ثم مرَّت بنا المدمرة مورسلي بعد ان تبعت بارجة المانية من طرز البومرن Pommern ورمتها بالتربيد واغرقتها ورأينا بعض طراداتنا الخفيفة وكان يفتش عن البحارة الذين لا يزالون احياء فطارد الغواصات الالمانية وطردها وحينئذٍ عادت المدمرة مورسلي وانزلت الينا قارباً كبيراً فنزلنا فيهِ واصعدتنا اليها وكنا سبعة عشر فقط وهم كل الذين نجوا من الخمسة والثلاثين الذين ركبوا العوامتين . واني اترك الى القارىء تصوُّر ما شعرت بهِ حينئذٍ . انتهى

هذا ولو كتب كل الذين شهدوا هذه المعركة ما رأوهُ فيها سواء كانوا من الانكليز او الالمان لكان وصفهم لها لا يقلُّ عن الوصف المتقدم على الراجح . والذين شهدوا المعارك البرية يقولون في وصفها ما يقولهُ الذين شهدوا المعارك البحرية . وقد قيل ان النظام الفاسد لا يغسل الاَّ بالدم او كما قال المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

ولكن ألا يمكن ان يكبح جماح النفوس بغير هذه الشكيمة أوَ لا تغسل مطامع الناس بغير الدم البريء . لقد كنا نرى ان ذلك ميسور وقريب الحصول ولكن جاءت الحرب الحاضرة فافسدت الاراء وخيبت الآمال ولا نرى متى تثوب الامم الى رشدها وتتغلَّب على الخُلق الحربي المفطورة عليهِ

كيف قامت اليابان

لما قامت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية واعادت مجلس المبعوثان من غير سفك دم خُيِّل الينا اننا نلنا ما نتمنَّى وانهُ قامت في الشرق الادنى دولة كدولة اليابان في الشرق الاقصى . وبقي هذا الاعتقاد راسخًا في نفوسنا الى أن محنهُ اعمال تلك الجمعيَّة بما ابدت من الاثرة والغطرسة وما ارتكبتهُ من المنكرات

ومن الحقائق المقررة ان كل ما يحدث في الكون انما هو نتائج لمقدمات سابقة ومعلولاً لعلل متقدمة فلو كان في الشرق الادنى ما يعدُّ سكانهُ لبلوغ الغاية التي بلغتها اليابان لبلغوها حتمًا فعدم بلوغهم اياها يدلُّ على ان تلك المقدمات والعلل غير موجودة او ان في احوالهم الاجتماعية ما يقاومها

وقد قام العرب الآن وغرضهم ان يستردوا مجدهم السالف و ينشئوا دولة عربية عزيزة الجانب فرأَينا ان نعيد بعض ما ذكرناهُ قبلاً عن اليابان لعلَّ فيهِ مرشداً لهم في سبيل اقامة هذه الدولة واسترجاع ذلك المجد

بلاد اليابان جزائر كثيرة مساحتها نحو ١٧٦ الف ميل مربع عدا مملكة كوريا التي اضيفت اليها منذ ست سنوات ومساحتها ٨٤ الف ميل مربع . وعدد سكان اليابان وحدها نحو ٥٧ مليونًا وعدد سكان كوريا نحو ١٣ مليونًا فمجموع الامبراطورية اليابانية نحو ٦٨ مليونًا . فهي من حيث كونها جزائر تشبه جزيرة العرب في انفصالها عن غيرها ولكنها تخالفها في كثرة سكانها فليس في جزيرة العرب عشر ما في بلاد اليابان من السكان

وتاريخ البلاد القديم غامض جدًّا كتواريخ كل الامم القديمة لان صناعة الكتابة لم تدخلها الأَ في القرن الثالث المسيحي ولم يشرع اهاليها يدونون اخبارهم الأَ في القرن الخامس ثم احترق كل ما دونوهُ في الثلاثة القرون الاولى . وكل ما يعلم علم اليقين من تاريخهم لا يمتدُّ الى ابعد من القرن الثامن اي انهُ قلما يتجاوز في قدمهِ اقدم التواريخ العربية المخطوطة

والمتداوَل عند اليابانيين ان مملكتهم ابتدأَت سنة ٦٦٠ قبل المسيح على يد امير جاء بلادهم من ملقًا واخضع سكانها واقام نفسهُ ملكاً عليهم . وليس في تواريخهم ما يؤَيد ذلك سوى انهم يعيّدون لهذا الملك عيدين كل سنة فهم في قدم المُلك كاهل اليمن وحضرموت

وكانت مدينة كيوتو عاصمة المملكة ثم اشتدَّ ساعد رجال الحرب فصار لهم شيء من

الاستقلال حتى اصبحت امور المملكة في يدهم . وقامت في القرن التاسع اسرة منهم تولّت نيابة المُلك بالتوارث الى ان قُضي عليها في اواسط القرن الثاني عشر. ونشبت حينئذٍ الحروب الاهلية ودامت خمسين سنة الى ان تمكن الملك من اخماد الثورة ثم منح واحداً من اشراف المملكة لقب شوغن ومعناهُ القائد العام وتوارث خلفاؤُهُ هذا اللقب وصاروا هم الملوك فعلاً واما الملوك فصاروا مثل الرؤساء الدينيين . اي اصابهم ما اصاب خلفاء بني العباس في عهد ملوك الترك والتتر والمغول فان الميكادو صار مثل الخليفة والشوغن مثل الملك او السلطان

وكان الناس درجات اعلاها قواد الجيش فولاة الاقاليم فالجنود فالتجار فالصناع فالفلاحون . ودامت الحال على هذا المنوال الى اواسط القرن التاسع عشر

وامتازت سلطة القواد بفصل البلاد فصلاً تامًّا عمّا حولها فانهم منعوا كل احد من دخولها او الخروج منها من بداءة القرن السابع عشر ولم تكن الحال كذلك قبلاً بل كانت البلاد مفتوحة للاجانب وكان الاتصال تامًّا بينها و بين الصين وكوريا والممالك الاوربية وسبب الفصل ديني وسياسي على اثر دخول الاوربيين اليها

ففي سنة ١٥٤٢ كان مندز بنتو البرتغالي ذاهباً من سيام الى مكاو (وهي مستعمرة برتغالية في الصين) فالقت الرياح سفينتهُ على جزيرة صغيرة من جزائر اليابان فرحّب اهلها بهِ وبرجالهِ واكرموا مثواهم وكان معهُ بعض البنادق فباعها لرئيس القوم وهي اول الاسلحة النارية التي دخلت بلادهم . وذاع خبر ذلك عند البرتغاليين فتقاطروا الى اليابان من مكاو وغوى في الهند وتبعهم الاسبانيون للاتجار في البلاد وجاء بعدهم فرنسيس زفير زعيم الطغمة اليسوعية لتنصير السكان فنصَّر اكثر من الف نفس في سنتين . وواظب اتباعهُ على عملهِ ويقال انهُ لم تمضِ ثلاثون سنة حتى صار في اليابان مئتا كنيسة وبلغ عدد المتنصرين خمسين الفاً . وارسل ملك اليابان سنة ١٥٨٣ وفداً الى اوربا فيهِ ثلاثة من الاشراف المتنصرين لتقديم الاحترام الواجب لقداسة البابا فقوبل هذا الوفد بالاكرام التام في اسبانيا والبرتغال وغيرهما من الممالك الكاثوليكية . وظُنَّ حينئذٍ ان اهالي اليابان سيتنصرون كلهم ويكونون عضداً للمذهب الكاثوليكي في الشرق الاقصى . وعاد هذا الوفد بعد ثماني سنوات فاحسن الشوغن مقابلتهُ . ولكن الكهنة البوذيين كانوا قد اوجسوا خيفة من انتشار النصرانية وجعلوا يثيرون الشعب عليها مدعين ان اتباعها يهدمون الهياكل ويحتقرون كهنتها . فامر الشوغن ان يخرج كهنة المسيحيين كلهم من اليابان في عشرين يوماً ومن بقي منهم فيها بعد ذلك فدمهُ على رأسهِ . ولكن هذا الامر لم ينفذ بالدقة ثم ثارت نار الاضطهاد على المسيحيين

وقتل منهم سنة ١٥٩١ عشرون الفاً غير ان التجار الاوربيين لم يبطلوا المجيء الى اليابان وجاء معهم اناس من هولندا وانكلترا في اوائل القرن السابع عشر وانشأوا المعامل في نغاساكي واوساكا و يدو من امهات مدنها

وسنة ١٦١٣ صدر امر جديد بخروج كل كهنة المسيحيين من بلاد اليابان وتخريب كنائسهم والزام المتنصرين بجحد النصرانية وهذا الامر لم ينفذ تماماً الأسنة ١٦٣٧ حينما حدثت ثورة في البلاد قيل ان المسيحيين اشتركوا فيها فامر الشوغن بطرد كل المرسلين وكل الاجانب ايضاً. وحظر على الاجانب دخول بلاد اليابان وعلى اليابانيين الخروج منها . ونفذ هذا الامر حرفياً فاقفلت بلاد اليابان لا احد يدخلها ولا احد يخرج منها . ولم يبقَ فيها احد من الاسبانيين او البرتغاليين او الانكليز لا من التجار ولا من المرسلين . والذين تنصروا ارتدوا او قتلوا ولكن يقال انهُ بقي بعضهم محتفظين بالدين المسيحي سرًّا . ولم يبقَ مكان من كل بلاد اليابان متصلاً بالاجانب الأ جزيرة نغاساكي المجاورة لبلاد الصين فان التجار الصينيين لم ينفكوا عن التردد اليها وبقي فيها بعض التجار الهولنديين لكنهم حُصروا في بقعة صغيرة واجيز لهم ان يأتوا بسفينتين هولنديتين كل سنة . ومُنع بناء السفن الكبيرة لكي يتعذر على اليابانيين الخروج من بلادهم

والظاهر ان اقفال باب اليابان في وجه الاجانب كان سببهُ طمع الاجانب وغطرستهم لكن جمهور اليابانيين نسبوهُ الى فعل الرسالات الدينية في محاولتها تنصير الاهالي فصاروا يقصدون بالاجانب المسيحيين ودعاتهم

الآن هذا الاعتزال لم يضر اليابان لأنها اضطرت ان تعتمد على نفسها فاتقنت زراعتها وصناعتها ووسعت نطاق تجارتها الداخلية اي انها بنت على ما استفادتهُ من الاوربيين فزادت ثروةً وزاد سكانها همةً ونشاطاً وحفظت استقلالها ولو بقيت متصلة باسبانيا والبرتغال ما كانت الآن احسن منها بل المرجح ان اتصالها باوربا كان اوقعها في مشاكل كثيرة تقضي عليها بمحاربة دولة او اكثر من دول اوربا قبلما اشتدَّ ساعدها فتدور الدائرة عليها وتصير مثل ممالك الهند وسيام وانام . وانفصالها هذا لم يمنع نوابغ رجالها من تعرُّف حال الاوربيين والرغبة في الحوك على منوالهم لاسيما وان احب شيء الى الانسان ما مُنع . وحبك للشيء يزيد متى ذقتهُ مرةً ثم مُنعت عنهُ . وكان قيد المنع يتكرَّر كلما حاولت دولة من دول اوربا فتح باب اليابان بالترغيب او بالترهيب فتزيد الرغبة في كسر ذلك القيد

وسنة ١٨٤٠ الى ١٨٤٢ حاربت انكلترا الصين في مسألة الافيون المشهورة فاوجست

اليابان من ذلك شرًّا وخافت ان يصيبها ما اصاب جارتها . ووصلت سفينة فرنسوية الى جزيرة صغيرة من جزائرها سنة ١٨٤٦ وحاول مَن فيها ان يقنعوا سكانهـا ليطلبوا حماية فرنسا وقاية لهم من انكلترا وفعل الهولنديون مثل ذلك في مكان آخر فزاد تيقُّظ الحكام اليابانيين اذ رأوا دول اوربا تتسابق الى خطب ودهم وكل واحدة تحذرهم من غيرها

وكانت السفن الاميركية تصطاد الحيتان في البحار المجاورة لليابان وتعبث بهـا الرياح احيانًا فتكسرها وتقع بحارتها على جزائر يابانية فيحسن السكان معاملتهم او يسيئونها واتفق غير مرة ان السفن الاميركية انقذت بحارة بعض السفن اليابانية وردتهم الى بلادهم آملة ان يفتح الباب لها بسبب ذلك فلم يفتح. وسنة ١٨٤٦ ارسلت الحكومة الاميركية سفينة حربية الى بلاد اليابان فيها تسعون مدفعًا فدخلت خليج يدُو وطلبت من ولاة الامور اليابانيين ان يعقدوا معاهدة تجارية مع اميركا فرفضوا ذلك وقالوا انهم لا يودون ان يعقدوا معاهدات تجارية ولا ان تدخل بلادهم سفن اجنبيَّة

وشكا الصيادون الاميركيون انهم يضطرون احيانًا كثيرة ان يلجأوا الى المرافىء اليابانية هربًا من النوء او طلبًا للزاد فيعاملون شر معاملة. فاقرت الحكومة الاميركية على ان ترسل اسطولاً الى اليابان وتطلب منها ان لا تسيء معاملة البحارة الاميركيين وتظهر لها من الشدَّة ما يجعلها تجيب طلبها فارسلت مثيو بري في هذه البعثة بعد ان استعدت لها بجمع كل ما كُتب عن اليابان وكل الخرائط التي رُسمت لها . و يقال انها اشترت تلك الخرائط بثلاثين الف ريال وارسلت مع بري امثلة من كل المصنوعات الاميركية لكي يعرضها في بلاد اليابان

فاقلع الاسطول في ٤ نوفمبر سنة ١٨٥٢ وكان مؤلفًا من اربع سفن حربية فبلغ خليج يدو في ٨ يوليو سنة ١٨٥٣ وللحال ارسل الشوغن يستشير الميكادو فيما يحسن عمله في تلك الحال. وهي اول مرة استشار الشوغن الميكادو فيها. وطلب من وجوه البلاد من كل الطبقات ان يجتمعوا و يبدوا رأيهم فيما يجب التعويل عليهِ ونودي باقامة الصلوات في كل البلاد لحفظها واهلاك الاجانب . وطُلب من بري ان يرجع الى نغاسا كي لتكون المذاكرة معهُ هناك فرفض واصرَّ على ان يأتيهُ رجل منصبهُ من الدرجة الاولى للمذاكرة معهُ . فاجيب طلبهُ ولما اتاهُ هذا الرجل سلمهُ كتابًا من رئيس الولايات المتحدة الى الميكادو فيهِ المطالب التي تطلبها اميركا ولكنهُ لم يطلب عقد معاهدة تجارية وقال انهُ راجع حينئذٍ الى بلادهِ وسيعود في الربيع المقبل لاخذ الجواب عن كتاب الرئيس . ولم يكد يقلع حتى جعل رجال

اليابان يتبصرون في امرهم و يستعدون لمقابلة القوة بالقوة ولكن ضعفت حماستهم كأنهم شعروا ان استعدادهم لا يجديهم نفعاً والمطالب التي طلبتها اميركا لا تثقل عليهم فالرأي في هذه الحال فوق شجاعة الشجعان

وقد جرى في الربيع التالي ومعه عشر سفن حربية فقوبل بالترحاب واستمر الاحتفال بسفنه اسابيع فوقعا معاهدة تقضي عليها بان تسمح للسفن الاميركية ان ترسو في بعض مرافئها وتبتاع المؤونة منها وان تحسن معاملة البحارة الذين تنكسر سفنهم. والمعاهدة مهمة جداً ولكنها فتحت باب اليابان بعد ان أوصد زماناً طويلاً وقد ادرك اليابانيون ذلك فقدروا في السنة الخمسين لدخوله اسم بري صار خالداً في تاريخ اليابان ثم اقاموا لهُ تذكاراً سنة ١٩٠١ في المكان الذي نزل فيه اول مرة جمعوا المال اللازم لهُ من كل طبقات الامة اليابانية دلالة على انها اشتركت كلها في الشكر لهُ واحياء ذكرهِ في بلادها

وسنة ١٨٥٦ ارسل رئيس الولايات المتحدة تاجراً من تجار نيويورك اسمهُ هرس ليكون قنصلاً جنرالاً في بلاد اليابان واوصاهُ ان يبذل جهدهُ في عقد معاهدة تجارية فتمكن بسعيهِ وحسن درايتهِ من عقد معاهدتين الاولى توسع للاميركيين الاقامة في المرافئ اليابانية والثانية تبيح التجارة بين اميركا واليابان في مينا يوكاهاما بعد ٤ يوليو سنة ١٨٥٩ وطلب هرس ان توقع هذه المعاهدة الاخيرة في وشنطون ويحضر توقيعها وفد من اليابانيين. فذهب هذا الوفد الى اميركا في سفينة حربية اميركية وكان فيهِ ٧١ نفساً من رجال الحكومة اليابانية وخدمهم. فاحتفل بهم الاميركيون اعظم احتفال في كل المدن الاميركية التي دخلوها في طريقهم الى ان بلغوا وشنطون. ولما وُقعت هذه المعاهدة جُعل هرس سفيراً لاميركا في اليابان

وعقدت معاهدات تجارية بين اليابان وبريطانيا وفرنسا وروسيا فاضطربت حال البلاد على اثر ذلك لانهُ كان فيها حزب كبير غير راضٍ عن ذلك واضطر الشوغن ان يأمر باخراج الاجانب كلهم من البلاد لكن نواب الدول الاجنبية اكدوا لرجالهِ ان دولهم تحارب اليابان اذا صدرت منهُ اوامر بهذا الامر فانثنى

والذي وقَّع كل هذه المعاهدات هو الشوغن لا الميكادو فاشار سفير انكلترا على سائر السفراء ان يطلبوا توقيعها من الميكادو ايضاً ففعلوا ولما وقع الميكادو المعاهدات بطل الاعتراض عليها والغت حكومة اليابان امرها بمنع اليابانيين من الخروج من بلادهم

ولما رقي الميكادو الحالي الى سرير الملك سنة ١٨٦٨ طلب ان تضيق سلطة الشوغن

فتنازل الشوغن عن سلطتهِ كلها من تلقاء نفسهِ وأُلغي منصبهُ وعادت السلطة كلها الى يد الميكادو فنقل كرسي ملكهِ الى يدُّو التي كانت كرسي الشوغن وسميت طوكيو اي العاصمة الشرقية وضرب على يد الحزب المقاوم لهُ وبعد قليل قام اشراف البلاد وتنازلوا من تلقاء انفسهم عمَّا لهم من الالقاب والرتب والاملاك وطلبوا ان يعاد تنظيم البلاد على اسلوب جديد . اي زال الحكم الاقطاعي دفعةً واحدة بعد ان استمرَّ في البلاد ثمانمئة سنة . وتنازل الفريق الحربي وعددهُ اربع مئة الف نفس عن امتيازاتهِ ورضي ان يكون مثل عامَّة السكان

ومن مزايا اليابانيين انهم يفكرون طويلاً ثم يعملون سريعاً فلما فكَّروا وامعنوا نظرهم في احوالهم وما اتصل بهم علمهُ من احوال الممالك الاوربية رأَوا ان لا بدَّ لهم من مجاراة الاوربيين والجري على المبادئ الدستورية ففعلوا ثم انشأُوا مجلساً للنواب ومجلساً للاعيان وجعلوا حكومتهم دستورية بعد ان وضعوا دستوراً لها مقتبساً من قوانين الحكومات الاوربية وجعلوا التعليم الابتدائي اجبارياً للصبيان والبنات فوق سن السادسة وانشأُوا مدارس كثيرة لتعليم المعلمين والمعلمات . وجعلوا الخدمة العسكرية اجبارية ايضاً كما هي في فرنسا والمانيا . ومرَّت الاعوام والبلاد تزيد ارتقاءً باقتباس افضل ما في العمران الاوربي والاميركي . وظهرت نتيجة ذلك في حربها مع الصين سنة ١٨٩٤ ثم مع روسيا سنة ١٩٠٤ . وكانت قبل حربها مع روسيا قد عقدت معاهدة حربية مع انكلترا من مقتضاها ان كل دولة منهما تعاون الاخرى اذا اضطرت هذه ان تحارب اكثر من دولة واحدة واخيراً اشتركت في الحرب الحالية واخرجت الالمان من كياوتشاو عنوةً ثم مكنت ارتباطها بروسيا . وحسبها فخراً ان دول اوربا الكبرى ينظرن اليها الآن كواحدة منهنَّ فوزراؤُها وقوادها برًّا وبحراً لا يقلون عن وزراء الاوربيين وقوادهم دربةً وحنكةً وبنوكها ومعاملها الصناعية وشركاتها التجارية وعلماؤُها وادباؤُها وكل من يقوم بهِ شان البلاد لا يقل عن مثلهِ في اوربا واميركا وكل ذلك نتيجة السعي والاجتهاد في نصف قرن لا غير

قلنا في صدر هذه المقالة ان الاتراك اخلفوا ظننا فيهم مع اننا كنا نحسبهم اقرب من اليابانيين الى السير في خطط الدول الدستورية فهل يفلح العرب اكثر منهم اذا استتبَّ لهم الاستقلال التام اي هل تقوم في جزيرة العرب والشام والعراق دولة عربية دستورية عزيزة الجانب وهل تشمل هذه الدولة الديار المصرية فيسترد بها مجد العرب او دون ذلك موانع سياسية واجتماعية لا نقوى على تذليلها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة الانكليزية والحرب

من قلم سيدة انكليزية

ان للنساء فضلاً غير قليل في نجاح الهجوم العظيم بالميدان الغربي فان في معامل الميرة والذخيرة بانكلترا ست مئة الف امرأة عاملة ولا تزال هذه المعامل في حاجة الى عشرات الالوف منهنَّ . والتمرين على قصد الانتظام في سلك العاملات حرٌّ مجانيٌّ ومدتهُ ستة اسابيع واوقات التمرين فيها اربع ساعات كلَّ يوم ما عدا الاحد

كتب ضابط انكليزي جرح في كونتالميزون الى قومهِ يقول : « اتركوا كلَّ شيء وارسلوا الينا كثيراً من الميرة وعلينا الباقي » ولكن بعض الوالدين يترددون في ارسال بناتهم الى المعامل لا لانهم لا يدركون الحاجة اليهنَّ ولا لانهم ليسوا غيورين على مصلحة وطنهم بل مخافة ان يثقل العمل كواهلهنَّ وخصوصاً اللواتي لم يدخلن معملاً في عمرهنَّ ولا اضطررن الى العمل بالاجرة

وقد اذنت لي وزارة الميرة والذخيرة في زيارة بعض المعامل حيث تعمل النساء والبنات وسوألهنَّ ما شئت من المسائل والكلام مع المديرين والمفتشين ورؤية كل شيء بعيني فان « الرؤية هي الاقتناع » كما يقول المثل

وقبل وصف ما رأيت وسمعت لا اري لي بدًّا من القول ان لا شيء في هذه الحرب الذريعة ادعى الى الاسف من قلة الميرة عندنا في السنة الاولى منها . فان الوفاً من النفوس كانت تكون سليمة الآن واجل الحرب كان يكون اقصر لو كانت الميرة موفورة للجنود الذين انتظروها بذاهب الصبر فلم تأتهم . اما الآن والجيش الانكليزي اضخم كثيراً مما كان فالحاجة الى القنابل على ازدياد لان لواء من الطوبجية قد ينفق في يوم واحد ما يصنع معمل كبير في اسبوع كامل . فالحاجة الى الميرة لا تزال شديدة اذا أُريد ان يكون عند رجالنا ما يكفيهم منها . وغنيٌّ عن البيان ان حلفاءنا يحتاجون الى مقدار عظيم منها ايضاً

لا يخفى ان عمل القنابل حرفة ذات فروع مختلفة منها ما هو يسير لا يقتضي حذقاً او مهارة خاصة ومنها ما هو عسير يستلزم عمّالاً وعاملات صُنع الايدي ولكن ظهر بالتجربة والامتحان ان المرأة تقوم بما يطلب منها لما فطرت عليهِ من الصبر والميل الى الاشتغال بدقائق المسائل والتباهي باتقان عملها والمواظبة على العمل. يضاف الى ذلك علمها بانها انما تساعد بذلك اخوتها وابناءها واصحابها ممن قصد ميادين القتال وخاطر بنفسهِ دفاعاً عن الذين تركوا في موطنهِ وهم متمتعون بالراحة

ان اللواتي يقصدن المعامل للعمل فيها لعلى طبقات في الهيئة الاجتماعية كما هي الحال في الجيش والجامعات والمدارس فهناك اللادي ولكنها تتنازل عن لقبها وقتيًّا ثم تلميذة المدرسة الثانوية فالخياطة فصانعة البرانيط فالخادم كلّهن يعملن جنباً الى جنب. ذلك بان الحرب تساوي بين الجميع ونعمت هذه المساواة

وقد سألت ناظر احد المعامل الكبرى هل انت قانع بعمل المرأة في معملك. فاجاب «انني قانع راضٍ كلّ الرضي لما ارى من رغبتهنَّ في العمل وسرعة فهمهنَّ في التعلم ومواظبتهنَّ على الحضور في المواعيد المضروبة وطاعتهنَّ وسلاسة قيادهنَّ»

وتلبس العاملة في قسم المفرقعات «جونلاً» قصيرة «وبلوزاً» فوقها برنس من الخاكي وعلى رأسها قبعة لوقاية شعرها وفي قدميها حذاءان من اللستك. وقد يلبس بعضهنَّ احذية وكفوفاً من الجلد المتين

ولا يسمح لامرأة بدخول المعامل قبل فحصها طبيًّا وصدور قرار الطبيب بلياقتها للعمل. اما وقت العمل فطويل من الساعة ٧ صباحاً الى الساعة ٧ مساء ما عدا نصف ساعة منهما لطعام الصباح وساعة للغداء ونصف ساعة للشاي. وتتناول العاملات المرطبات صباحاً قبل الشروع في العمل

ومعظم العاملات يستخدمن لعمل الاعمال الخفيفة كعمل الخرطوش من تحضير كبسوله ودكّهِ وما حاكى ذلك. وبعضهنَّ يستخدمن لقياس قطع القنبلة المختلفة وامتحانها قبل تركيبها وهو من اهم الاعمال اذ لا شيء يؤْخذ بالظن والتقدير لاسيما انهُ كثيراً ما يتفق ان تصنع اجزاء القنبلة الواحدة في معامل مختلفة وفي بلاد مختلفة. فقد رأيت مرة اجزاء قنبلة صنعت في بلاد بعيدة موالية لنا ولكنها صنعت بعد القياس الدقيق فلا تتنافر عند تركيبها وضمها بعضها الى بعض. ومن اهمّ الامور ان تكون على دقة تامة في حجمها لأن اقل خلل في الطول او العرض او الارتفاع قد يفضي الى عواقب وخيمة في ساحات القتال. وكلّ قنبلة

تقاس نحو مئة قياس مختلفة والمرأة تقوم بهذا العمل فاذا ظهر لها ان الطول مثلاً اكثر من المطلوب واقل منهُ نبذت القنبلة جانباً ثم ارسلتها الى حيث تصلح فتجيء طبق المقاس

وتسمح العاملات بغنينَ في اثناء العمل وفي بعض الغرف بيانوات للضرب عليها في ساعات الفراغ

اما الاجرة فوافرة فقد رأيت عاملة بسيطة اقتصدت ٣٤ شلناً في اسبوع واحد فما بالك بالناظرات والمفتشات اللواتي ينقدن اجوراً اكثر من العاملات . وفي كثير من المعامل امرأة تشرف على الصحة العمومية كتهوية المعامل وانارتها وطعام العاملات ونظافتهنَّ ولهوهنَّ واجازاتهن المرضية . كذلك تنظر في ظلاماتهنَّ من حيث العمل والاجرة والمعاملة العامة . وهذه المرأة تحلّ جميع المسائل التي من هذا القبيل بروح الوداد والانصاف

فلا بدع اذا شكرت الامة للعاملات في معامل الذخيرة غيرتهنَّ ووطنيتهنَّ . ومتى وضعت الحرب اوزارها واعيد السلام الى نصابهِ كان اغتباطهنَّ عظيماً اذ يعلمن انهُ كان لهنَّ يدٌ في حرب الحرية العظمى

الذباب والتخلص منهُ

لم يبتلَ ابن آدم بحشرة شرّ من الذبابة العادية فان ذبابة مرض النوم على عظم ضررها محصورة في بقعة صغيرة من الارض فمهما اشتد ضررها فهو صغير في الحقيقة وان ظهر كبيراً بالنسبة . والقملة والبقة على كراهتهما وما عرف من خطرهما في نقل بعض الامراض من السقماء الى الاصحاء هما دون الذبابة درجات في ضررهما لانهما بطيئتا الانتقال خلافاً للذبابة المجنحة . فربما قضت القملة عمرها ضيفة على شخص واحد من غير ان يشعر بتطفلها اما الذبابة ففي اليوم الواحد قد تنزل ضيفة على عشرات من الناس والبهائم متطفلة مؤذية مزعجة ما شاءت وشاء الاذى والازعاج

فوجود الذبان في منزل خطر على سكانهِ . لان وقوعها على الاقذار وتركها اثراً على كل شيء تلمسهُ وقدرتها على حمل مكروبات الامراض وازعاجها للناس بالطنين في آذانهم ومشيها مرحاً على وجوههم — هذا كلهُ مما يجعل الناس ينفرون منها وينتقمون كلما عرضت فرصة للانتقام . على انهُ ربما كان لها مزية نافعة بعض النفع وان كانت لا توازي اضرارها المذكورة وهي انها تأكل فضلات بعض المواد الآلية المطروحة فتحول بذلك دون فسادها

وللتخلص من الذباب طرق شيء من اقدمها وضع الورق المصمغ في الغرف التي يكثر تزداد الذباب اليها وهذا الصمغ يصنع من مواد مختلفة اشهرها البيرة والسكر · ومنها بل الورق بمحلول من الزرنيخ ووضعهُ على آنية قريبة القعر فيها ماءٌ محلًّى · ولكنك في الحالين تضطر الى دفن جثث الذباب الميت و يتكاثر الذباب الحيّ حول مصائدهِ عليك تكاثرًا يزيد ازعاجك

ولا يعلم حتى الآن هل تسترشد الذبابة بحاسة النظر او الشم او بهما كلتيهما في اعمالها ولكن مما لا امراء فيهِ ان خبر وجود السكر على الورق المصمغ او الماء المحلَّى حول الورق المبلول بالزرنيخ يسري بين الذباب سريان النار في الهشيم فتقصدهما زرافات وتقع في المصيدة بالعشرات

ومن طرق صيد الذبان ان تملأ الغرفة برائحة زهر البسلَّة فان رائحتهُ تؤْذي الذبان وتضرّها « كما تضرّ رياح الورد بالجعل » · وقد جرب بعضهم امامنا المسحوق المنسوب الى « كيتنج » فرأَينا فتكهُ عجيبًا بالذبان والنمل

على ان عالمين فرنسويين وجدا الآن بالاختبار انهُ اذا جُعل زجاج الغرف من الزجاج الاحمر او البنفسجي او النيلي فان هذه الالوان تؤَثر في الذباب تأْثيرًا غريبًا اذ تبهر بصرهُ فلا يعود يرى شيئًا او لا تؤثر فيهِ مطلقًا كانما هو في ظلام دامس ويبقى في مكانهِ لا يتحرك · فاذا جعلت زجاج غرفة احمر او بنفسجيًّا او نيليًّا وتركت فيها فتحة بغير زجاج يدخلها النور العادي فان الذباب يقصدها افواجًا ويخرج من الغرفة · ومن رأي العالمين المشار اليهما ان الذباب لا يرى جيدًا في اللون الازرق او الاخضر وانهما اقل ازعاجًا للناس من الاحمر فالافضل ان يكون الزجاج منهما او ان يكون من جميع الالوان فان التأْثير واحد تقريبًا

وباءُ شلل الاطفال

نكبت مدينة نيو يورك في هذا الصيف بوباء شلل الاطفال فاصيب بهِ فيها ٢٥٠٠ طفل مات منهم ٦٠٠ فاستعانت اميركا بجميع كبار اطبائها لمقاومة هذا الوباء وفي جملتهم الدكتور فلاكسنر رئيس معهد روكفلر والدكتور نوجوشي الياباني · والغريب ان الوباء كاد ينحصر في مدينة نيو يورك وما حولها اذ لم يصب بهِ سوى عدد قليل من الاطفال في بعض الولايات الاخرى · ومن الوسائل التي عمدوا اليها في محاربة الداء اقفال الملاهي والمتنزهات

العمومية دون الاطفال خشية العدوى · وغسل الشوارع كل ليلة في الاحياء المصابة · ومنع الكلاب والهررة وغيرها من الحيوانات البيتية ان تدخل غرف النوم · ومقاومة الذباب · والمبالغة في النظافة · والمظنون ان هذا الوباء دخل اميركا هذه السنة من جنوب ايطاليا بواسطة المهاجرين الفارّين من منطقة الحرب بدليل ان الاصابات الاولى بهِ ظهرت في حيّ ايطالي · وفي هذا الحيّ عينهِ ظهرت الاصابات الاولى من وباء سنة ١٩٠٧ · ومتوسط الوفيات في الوباء الحالي نحو ٢٠ في المئة وفي الماضي ٥ في المئة وبلغ عدد الاصابات في الماضي ٢٥٠٠ ·

وهذا الوباء عرف من نحو ٢٥ سنة ولم يهتدِ الاطباء حتى الآن الى دواء شافٍ لهُ ولاسيما انهم يجهلون طريقة انتقالهِ من شخص الى شخص حتى انهم لم يحققوا ذلك في اكثر من ١ في ٨٠٠ اصابة · ومنذ سنوات اشيع ان ذبابة الاصطبلات هي سبب العدوى ولكن ظهر بطلان هذه الاشاعة لما تفشى شلل الاطفال في مدينة بفلو الاميركية فاشتدّ حيث لا ذباب وخف حيث الذباب كثير · وكان يظنّ ان الحرارة والجفاف من اسبابهِ ولكن وباء بفلو ظهر في الصيف والامطار غزيرة غزارة فاقت المعتاد · والراي الآن ان سببهُ مكروبات تطير مع الغبار وقد شرع معهد روكفلر بعمل التجارب لتحقيق هذا الراي وعين ٥٥ الف ريال جائزة لمن يكشف النقاب عن سر العدوى بهذا الوباء · وقد تمكن الدكتور فلكسنر من فصل مكروبهِ وهو يقول انهُ يسطو على اعضاء الجهاز العصبي المركزية اي النخاع الشوكي والدماغ وانهُ موجود على الدوام في النخاع الشوكي والدماغ والغشاء المخاطي في انف المصاب بهِ وحلقهِ وامعائهِ وهو اقلّ وجوداً في الاعضاء الداخلية الاخرى ولم يكتشف في الدم

الزكام وسببهُ

اشتهر ان سبب الزكام مكروب خاص بهِ ينتقل من المصاب الى السليم فيعديهِ وان هذا المكروب انواع كمكروب الانف ومكروب العين ومكروب الحلق ولكن ظهر من مباحث الدكتور فوستر في الجيش الاميركي ان سبب الزكام مكروب معدٍ موجود في دموع المزكوم ومخاطهِ لا يرى باعظم المكبرات وهذا المكروب يرشح من مرشحات الفخار التي تمنع مكروبات معظم الامراض المعدية ما عدا الكلَب والحصبة والحمى الصفراوية والحمى القلاعية وشلل الاطفال · وعليهِ لم تمكن معرفة طبيعة هذا المكروب تماماً ولكن ثبت بالتجربة ان الماء الملوث بهِ

يعدي الصحيح ولو صفي بالمرشحات المعروفة وان هذا المكروب لا يفقد قوتهُ وفعلهُ ولو مزج بتسعين الف ضعف من الماء وقد جرب هذا المزيج في ١١ جنديًّا بان ادخل في منخري كل منهم ١٠ نقط منهُ فزكموا كلهم في مدة تتراوح بين ثماني ساعات و يومين ولكن بعضهم شفي من الزكام في بضع ساعات

احذية عجيبة

يلبس الناس في بعض انحاء اسبانيا والبرتوغال وفرنسا احذية بطيئة البلى مصنوعة من قش نبات الشيح (الوزال) . وكثيراً ما يسمع الناس في اسبانيا والبرتوغال يتباهون بانهم لبسوا احذيتهم منذ ٢٥ سنة ولم تبلَ . والسرُّ في ذلك ان الحصى الدقيقة تعلق بالنعل وتتخللهُ فتقويهِ كالمسامير ثم اذا بلي النعل قام مقامهُ طبقة اخرى جديدة تحتهُ وهكذا الى ان يبلى كلهُ ولكن بعد زمان طويل كما تقدم . وقد قدروا ان هذا الحذاء يحتمل سير ستة آلاف ميل من غير ان يتحات منهُ شيءٌ يذكر . ومنذ بضع سنوات تألفت شركة في اميركا تعمل احذية من هذا القش ولكنها افلست بعد مدة وجيزة عن نصف مليون ريال لان القش الذي جاءت بهِ لصنع الاحذية لم يكن من النوع المتين . وهذا القش يستعمل كثيراً في المعامل الاوربية التي تصنع الورق . والورق الذي يصنع منهُ مشهور بمتانتهِ

الزرنيخ في الشعر

وجد بالامتحان ان شعر الاحياء دون الاموات يمتصُّ مركبات الزرنيخ وذلك بعد امتصاص اعضاء الجسم لهُ وخصوصاً الكبد والكليتين . واذا فحص الشعر في حوادث التسمم السريع الحادّ لم يوجد فيهِ زرنيخ ولكن اذا اشتبه في كون التسمم بطيئاً وفحص الشعر وجد السمّ فيهِ ولم يوجد في الكبد او الكليتين وحينئذٍ يحكم بان التسمم من النوع البطيء لا الحاد السريع . ولا يخفى ما لهذه النتيجة من الفائدة من الوجهة القانونية

اختراع مفيد

تبيع احدى الشركات الاميركية ادوات منزلية مدهونة بمادة فصفورية تنير ليلاً فترى في الظلام من غير تعب في التفتيش عليها كعلب الكبريت والساعات الكبيرة وما اشبه ذلك



استغلال الارض

(٩)

قلما يحتاج اصاغر الفلاحين الى الاستعانة بانفار بالاجرة على فلاحة غيطانهم وانما يعاون بعضهم بعضاً اثناء العمل في مواسمهِ المهمة كعزيق القطن وجنيهِ

واشتهر فلاحو الجهات الجنوبية حيث الارض اخصب والعمال اكثر ولا سيما فلاحي المنوفية ومن حاكاهم باتقان خدمة الغيطان وتسميدها فتغل ارضهم اوفر غلة دائماً واخرها غالباً وتفرَّد فلاحو مناطق الارز بالمهارة في تربيتهِ لطول اعتيادهم اياها واختصاصهم بها حتى انهُ عند التوسع في مناطق الارز يضطر الراغبون في اتقان زراعتهِ في المناطق المستجدة الى احضار عمال من هناك لمباشرة تربيتهِ وخدمتهِ

ولا يزال فلاحو الوجه القبلي دون فلاحي الوجه البحري في حسن القيام على خدمة الارض وتسميدها ولاسيما زراعة القطن وتنميتهِ . ولا يقتصر تكسب الفلاحين على فلاحة الغيطان وحدها بل يزاول جمهورهم على قلةٍ وبلا مهارة فروعاً من الفلاحة الصغرى كتربية الماشية وصناعة اللبن وزراعة الخضر

ففي تربية المواشي يربي الفلاح نتاج بقرتهِ ويأخذ الفلاح الصغير المعسر نتاجاً من بقر الفلاح الموسر او المتوسط ليربيها بالمشاركة بينهما وبذلك يسد البعض حاجتهُ للمواشي ويربح البعض الآخر من بيعها . وقد اشتهر بعض جهات في المنوفية والغربية في ذلك حيث يساعدهم عليهِ توفر الطعام صيفاً خلافاً للجهات البحرية حيث يقل الطعام في الصيف

وفي صناعة اللبن يفيض منها عن حاجاتهم جانب من المسلي البلدي واشتهر اهل الجهات البحرية بصناعة الجبنة

وفي فلاحة الخضر يوجد في ضواحي كل بندر من البنادر المهمة مساحات تزرع باصنافهِ الشهيرة لاسيما في ضواحي مصر والاسكندرية وما شابههما من العواصم المهمة وقد اشتهر بعض الفلاحين باتقان زراعة صنف من اصنافهِ فمثلاً اشتهر فلاحو جهة كفر الدوار بزراعة الخرشوف وهم يوردون كميات عظيمة منهُ الى الاسكندرية خصوصاً

وما يلاحظ على هؤُلاء الفلاحين في مزاولتهم لهذه الفروع هو ما يلاحظ على اهل كل صناعة يقعد بجمهورهم الرضاء بالحاضر عن قلة ذات يد وقلة حيلة عن الاستزادة في اتقانه والتفنن في ترقيتهِ فضلاً عن العلل الاخرى التي اشرنا اليها فيما مضى وستأتي الاشارة الى بعضها فيما يلي

ومما يُنتقد على جمهور الفلاحين تقصيرهم في انتقاء التقاوي وصناعة السماد ومقاومة الحشرات والاعتناء بالمصارف. والعلة الاولى في ذلك خلوهم من المعارف النظرية التي تمكنهم من ادراك الحقائق وارجاع المسببات الى اسبابها الصحيحة واخذهم الفلاحة بالقدرة العملية البحتة بدون تحقق في حكمة قواعدها. والفلاحون لا يقابلون النصح والارشاد بالثقة الواجبة واذا قبلوها فببطء وبعد جهد. وقد دققت البحث في اسباب ذلك فوجدت ان منها (ما عدا الجهل الذي لا ينشئ في النفس حسن الاستعداد لفهم الحقائق عن اهلها) الامور الآتية:

(١) توارثهم الريبة والظنة في حكامهم وزعمائهم بسبب ما كانوا يعانونهُ منهم من الظلم في عصور الاستبداد والى عهد قريب

(٢) بقاء اثر التحكم وعدم احترام الحرية في نفوس اولئك الحكام والزعماء حينما يعاملون هؤُلاء الفلاحين حتى ان لفظ (فلاح) في عرفهم من الفاظ التحقير

(٣) خلو هذا النصح والارشاد غالباً من دلائل العطف والاقناع الجلية التي يمكن ان يدركها الفلاح ادراكاً تامًّا وسلوك طريق التعميم والاجمال فيهِ وصدور بعضهِ عن غير خبرة عملية تامة وقبل ذلك ان القائمين بهِ نظريون اكثر مما هم عمليون وقوالون اكثر مما هم فعالون فليس من الغريب ان لا يبلغ نصحهم من النفوس المبلغ الذي يبلغهُ نصح من توفرت دواعي الثقة في نصحهم

أليس من العجيب ان يقوم بعض الزراعيين بين اهل الجهات البحرية الواطية منوهاً بينهم بفائدة الاقتصار في زراعة القطن على الثلث والتوسع في زراعة الحبوب وبفائدة تشميس الارض طويلاً بكلام كالذي يقولهُ آخر بين اهل الجهات الجنوبية في الدلتا والصعيد كأن ليس في نظر اولئك الناصحين اختلاف في احوال الزراعة باختلاف مراتب الارض وبيآتها

الم يكن في معاوني الابادة لاول عهد الفلاحين بهم من كان اعتقادهُ بها كاعتقاد العامة حينذاك؟ بل أليس جمهور رجال معاهدنا الزراعية الآن ممن احرى بهم ان يسترشدوا من

الفلاحين العمليين عن كيفيات تطبيق قواعد الفلاحة العملية ومراعاة وقائعها تحت مختلف الاحوال والبيآت

(٤) ان الفلاحين كسائر اهل الصناعات العملية لا يغيرون مألوفهم الأ بعد الاطمئنان على تحقق الفائدة من وراء هذا التغيير بل بعد ان تشتد الحاجة اليهِ اشتداداً وليس الحال كذلك في مصر وحدها بل في غيرها ايضاً

واخيراً فان الفلاح في حاجة الى من يأخذ بيدهِ ماليًّا وادبيًّا والى مرشدين جديرين بمراكزهم من وجهة عملية واخلاقية معاً احمد الالفي

فيضان هذا العام

بلغ فيضان هذا العام مبلغاً لم يكن منتظراً في الربيع الماضي فدلَّ على ان كل المعلومات التي لدى وزارة الاشغال العمومية لم تكفِ لجعلها تعلم ان فيضان هذا العام سيكون غزيراً جداً . ولو علمت ذلك لاحتاطت لهُ واشارت على الاهالي الذين يزرعون القطن في بعض الحياض التي يغمرها ماء الفيضان العالي ان لا يزرعوا القطن فيها ولأشارت ايضاً على اصحاب السواحل ان يقيموا لها الحوش التي تقيها ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك لانها تجهل المقدمات التي ينتج منها نوع الفيضان . والظاهر ان سعادة امين باشا سامي لا يعلم هذه المقدمات ايضاً لانهُ لوكان يعلمها لملأ القطر المصري نداءه منذ الشتاء الماضي بان الفيضان هذه السنة سيكون فوق اربع وعشرين ذراعاً بمقياس الروضة . ولو فعل ذلك لكان نداؤُهُ هذا ادل دليل على ان بحثهُ الطويل جاء بنتيجة عملية ولو كان صدق الانباء مرةً لا يؤخذ حجة قاطعة على صدقهِ دائماً

وقد اقتطفنا من كتابهِ جدول السنين التي بلغ فيها الفيضان ٢٤ ذراعاً او اكثر بمقياس الروضة وذلك من سنة ١٨٤٨ الى الآن

السنة	اصبع	ذراع	السنة	اصبع	ذراع
١٨٤٨	٠٦	٢٤	١٨٨٣	٠١	٢٤
١٨٧٤	١٢	٢٦	١٨٨٧	٠٢	٢٥
١٨٧٨	٠٦	٢٦	١٨٩٢	٠٢	٢٥
١٨٧٩	١١	٢٤	١٨٩٤	٢١	٢٤
١٨٨١	٠١	٢٤	١٩٠٨	٠٤	٢٤

ففيضان سنة ١٨٤٨ بلغ اعلاهُ ٢٤ ذراعاً و ٦ اصابع ولم يذكر انهُ نتج عنهُ اقل ضرر

وفيضان سنة ١٨٧٤ بلغ اعلاهُ ٢٦ ذراعاً ١٢ اصبعاً وهو اعلى فيضان ذكر بالتحقيق فكسر قنطرة الشرقاوية وقطع السكة الحديدية التي بين بولاق الدكرور والمنيا واستمرَّ الماء ١١٥ يوماً عالياً ويقال انهُ لولا اهتمام الحكومة لنتج عن هذا الفيضان ضرر كثير . واعترف الاجانب سكان القطر المصري بذلك فجمعوا مالاً لكي يعملوا بهِ تمثالاً لاسمعيل باشا اعترافاً منهم بما بذلهُ من العناية اما هو ففضل ان ينشأ بهذا المال مدرسة مجانية بدلاً من اقامة التمثال فانشئت في الاسكندرية

وفيضان سنة ١٨٧٨ بلغ ٢٦ ذراعاً و ٦ اصابع ومكث الماء مرتفعاً ١٠٤ ايام ولم يذكر ما نتج عنهُ من الضرر . والفيضانات العالية التي تلت ذلك لم تضر ضرراً يذكر على ما يظهر وكان اعلاها ٢٥ ذراعاً واصبعين

تجارة القطر من حيث الزراعة

كانت قيمة الصادرات في العام الماضي الى آخر اغسطس ١٥٥٩٨٣٢٥ جنيهاً وقيمة الواردات ١١٤٤٩٣٩٦ جنيهاً اي ان قيمة الصادرات زادت حينئذٍ على قيمة الواردات اكثر من اربعة ملايين من الجنيهات . فانقلبت الحال هذه السنة وزادت قيمة الواردات على قيمة الصادرات فان قيمة الصادرات بلغت حتى آخر اغسطس ١٨٤٣٣٨٤٦ جنيهاً اي انها زادت على قيمة صادرات العام الماضي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وهي زيادة حسنة جدًّا ولكن قيمة الواردات زادت اكثر من ذلك كثيراً فانها بلغت ١٩٦٦٥٧٣٣ جنيهاً فزادت على قيمة واردات العام الماضي اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات وزادت على قيمة الصادرات اكثر من مليون ومئتي الف جنيه . وبعض هذه الزيادة ناتج من ارتفاع اسعار البضائع المجلوبة وبعضها ناتج من زيادة مقدارها وهو في الغالب من قبيل الافراط الذي كان في الامكان الاستغناء عنهُ فثمن الوارد من السمك المقدد زاد ١١٨ الف جنيه ومن الجلد وما يصنع منه ١٠٤ آلاف جنيه وثمن المسكّرات ونحوها زاد ١٩٥ الف جنيه وثمن الكعك زاد ٥٠ الف جنيه وثمن الشكولاتا والكاكاو زاد ٧٠ الف جنيه وثمن البيرة زاد ٢٩٨ الف جنيه وثمن الاشربة الروحية زاد ٢٠٠ الف جنيه وثمن المنسوجات القطنية زاد مليوناً و ٤٣٢ الف جنيه والمنسوجات الكتانية ٢٠٠ الف جنيه والمنسوجات الحريرية ٩٨ الف جنيه والبرانيط ونحوها ١٧٩ الف جنيه . فهذه الزيادات بلغ مجموعها ثلاثة ملايين من

الجنيهات وكان في الامكان ان يستغني القطر عنها هذا العام كما استغنى في العام السابق

والعادة ان يصدر نحو اربعة اعشار موسم القطن من سبتمبر الى آخر دسمبر فاذا فرضنا ان موسم هذا العام بلغ ستة ملايين قنطار فقط وصدر منهُ الى آخر السنة مليونان ونصف وبيعت بالاسعار الحالية قطناً وبزرة واضيف اليها اجرة الشحن والحلج بلغ ثمنها نحو ١٥ مليون جنيه فتصير قيمة الصادر الى آخر السنة اكثر من ٣٣ مليون جنيه واذا لم تزد قيمة الوارد الى آخر السنة على ستة ملايين جنيه خرج القطر في آخر السنة وقيمة صادراتهِ تزيد على قيمة وارداتهِ ثمانية ملايين من الجنيهات وهي كافية لايفاء فائدة دين الحكومة واقساط ديون الاهالي للبنوك · ولكن يخشى ان لا تقف قيمة الوارد عند هذا الحد بل تزيد فتستغرق جانباً كبيراً من ربح القطر

بقي ان الاموال التي انفقها الجيش البريطاني في القطر هي دخل للقطر لم يذكر في ثمن الصادرات وهي سبب الغلاء الذي نراهُ الآن ولكنها اموال باقية في البلاد وبها تزاد ثروتهُ ولا يبعد ان يكون جانب كبير منها الآن مودعاً في البنوك

تفتيح لوز القطن بالصناعة

لما التأم مؤتمر القطن في جزائر الهند الغربية في الربيع الماضي قال رئيسهُ ان شعرة القطن لا تبتدئ متانتها قبل اليوم الحادي والعشرين من تكوُّنها ثم تزيد رويداً رويداً الى اليوم الثاني والاربعين فاذا جُمع القطن قبل ذلك لم تكن شعرتهُ قد استكملت متانتها ولذلك لا يحسن جمع لوز القطن قبل مضي ٤٥ يوماً من حين ظهور النوار

واثبت بعضهم في ذلك المؤتمر انهُ اذا جمع لوز القطن حينما يبلغ وقبلما يفتح وغطس بمحلول كيماوي فانهُ يفتح حالاً ويكون قطنهُ انظف وامتن واجود مما لو ترك اللوز على الشجر حتى يفتح من نفسهِ اما المحلول الكيماوي فصاحبهُ قد اخذ حق الامتياز بهِ فلا يخبر احداً بتركيبهِ · والظاهر انهُ مادة تجفف مصاريع اللوزة فتنكمش وتفتح

القطن امتن من الحديد

يراد بذلك اننا اذا اخذنا شعرةً واحدة من القطن وشعرة تماثلها ثخناً من الحديد وجدنا شعرة القطن امتن من شعرة الحديد · ولكننا اذا شددنا بخيط من القطن وسلك مثلهُ من الحديد وجدنا سلك الحديد امتن جدًّا من خيط القطن وسبب ذلك ان خيط القطن مؤلف

من الياف دقيقة فينفصل بعضها عن بعض اذا زيد شد الخيط ويظهر كأن الخيط انقطع حينئذٍ والحال انهُ تمزق اي انفصلت اليافهُ بعضها عن بعض واما سلك الحديد فغير مؤلف من الياف دقيقة بل هو قطعة واحدة متماسكة الدقائق مهما كان ثخيناً فيعسر فصل دقائقهِ بعضها عن بعض · فاذا قيل ان القطن الواحد امتن من القطن الآخر فالمراد ان الخيط المغزول من القطن الاول امتن من خيط يماثلهُ مغزول من القطن الثاني وهذه المتانة تتوقف على قوة تماسك الالياف (الشعر) بعضها ببعض متى غزلت

تسميد القطن وريهُ

اذا زُرع القطن في مئة فدان او مئتي فدان مختلفة التربة وكان الزراع كثاراً يبلغون مئة او اكثر وجروا في خدمة زراعتهم على اساليب مختلفة بعضهم سمَّد الارض كثيراً وبعضهم سمدها قليلاً وبعضهم لم يسمدها مطلقاً وبعضهم وسَّع الخطوط وبعضهم ضيقها وبعضهم اعتدل فيها · وبعضهم اعتنى بالعزق وتنقية الحشائش وبعضهم لم يعتنِ بهما · وبعضهم اكثر ماء الري وبعضهم قللهُ وبعضهم طبَّق القطن وبعضهم لم يطبقهُ · وبعضهم بكَّر في الزرع وبعضهم أخَّرهُ · وبعضهم زرع القطن بعد البرسيم وبعضهم زرعهُ بعد الفول وبعضهم زرعهُ في ارض مبوَّرة · وكانت التقاوي واحدة في كل حال · فهناك تجارب من اوسع التجارب الزراعية · وهذا نراهُ الآن عياناً واختلاف نتائجهِ باختلاف الخدمة مدهش فانهُ لا يقل عن مئة في المئة

مزارع مشهور باتقان خدمة القطن سبَّخ جانباً من الطين الجيد بسباخ بلدي وضعُ في الفدان ٥٠٠ غبيط واعتنى بالحرث والتخطيط والعزق وتنقية الحشائش ولم يتمكن من ري القطن الا مرة كل عشرين يوماً ولكنهُ رواهُ ريًّا غزيراً فنما القطن كثيراً بسوق خشبيَّة كالاشجار الصغيرة وكثر ورقهُ ولكن قلَّ لوزهُ جدًّا ولا ينتظر ان يجنى من الفدان منهُ ستة قناطير صغيرة (نحو قنطارين) وهذا المزارع نفسهُ زرع ارضاً اخرى جيدة ولكنها غير مستريحة لانها كانت مزروعة فولاً ولم يكثر تسميدها وينتظر ان يجني منها ١٢ قنطاراً صغيرة (نحو اربعة قناطير) لانهُ استطاع ان يرويها ريتين زيادة عن ريات الارض الاولى

متانة القمح المصري

وضع المستر فرنك هيوز كيماوي وزارة الزراعة المصرية رسالة في هذا الموضوع نشرها بالانكليزية وقال فيها ما خلاصتهُ

ان القمح الذي يصنع منهُ خبز يرنخ كلهُ بالانتظام يسمّى متيناً والقمح الذي لا يرنخ خبزهُ جيداً ولا يكون رنخهُ منتظماً يسمّى سخيفاً . وكان المظنون ان المتانة تتوقف على كثرة المواد النتروجينية في الدقيق ثم ظهر ان مقدار المتانة يتوقف على مقدار غاز الحامض الكربونيك الذي يتولّد في التعجين وقت اختماره . فامتحن ذلك في القمح المصري الصعيدي والفيومي والهندي فظهر لهُ ان القمح الصعيدي هو الامتن و يتلوهُ الفيومي وان الهندي الذي يزرع في هذا القطر سخيف بالنسبة اليهما . وفي بلاد الانكليز نوع متين ونوع سخيف من القمح وامتن منهما كليهما القمح البلغاري ولكن القمح الصعيدي امتن منهُ من حيث مقدار الغاز الذي يتكون فيهِ . ومن الغريب ان مقدار الغاز في الدقيق الخشن اقل منهُ في الدقيق الناعم . فاذا كان مقدار الغاز في الدقيق كما يشترى قبل نخلهِ ٤٥١ فاذا نخل بمنخل خروبهُ ضيقة ٩٠ في البوصة فالذي ينزل من المنخل لنعومتهِ يتولد منهُ ٤٨٣ من الغاز والذي لا ينزل من المنخل لخشونتهِ يتولد منهُ ٣٥٢ فقط من الغاز

ثم ان الغاز في دقيق القمح الاحمر أكثر منهُ في دقيق القمح الابيض

وقد امتحن عينات مختلفة من دقيق القمح المصري وحسب ما فيها من الرطوبة المائية والنخالة والنتروجين وما يتولد من عجينها من الغاز من ٢٠ غراماً من الدقيق فكانت النتيجة كما ترى في هذا الجدول

	رطوبة	نتروجين	نخالة	غاز
هندي من تقاوي مصرية	١١،٤٢	١،٦٥	١٠،٥	٢٥٩
« « هندية	١٠،٤٦	١،٥٢	٠٩،٨	٢٦
بلدي احمر	١١،٠٤	١،٤٨	٠٨،٩	٣٦٥
بلدي ابيض	١٠،٣٤	١،٩٨	١٠،٨	٤٥١
جاوي من اسيوط	٠٩،٣٦	٢،١٤	٠٩،٣	٥٠٤
هندي	١١،١٤	١،٦٢	١٠،٣	٢٨٠
صعيدي ابيض	١٠،٠٢	١،٦٠	١٠،٦	٥٢٠
صعيدي احمر	٠٩،٨٦	١،٦٤	١٠،٦	٥٧٠
فيومي	١٠،٠٦	١،٥٥	٠٩،٤	٤٧٠
بحيري	١٠،٧٤	١،٥٠	٠٩،٦	٤٩٥
هندي من بني سويف	٠٩،٦٦	١،٥٠	٠٩،٦	٢٥٠

وعليهِ فالقمح الهندي الذي امتحن سخيف كلهُ والقمح المصري الاحمر امتن من المصري الابيض والنتروجين فيهِ اكثر منهُ في الابيض . والصعيدي الاحمر افضل من الجميع

خنفساء القطن

يصاب لوز القطن الاميركي بنوع من الخنافس الصغيرة تضرُّ بهِ ضرراً كبيراً يبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات في السنة . ظهرت هذه الحشرة في ولاية تكساس من ولايات اميركا سنة ١٨٩٣ وانتشرت منها رويداً رويداً حتى تفشَّت في سنة واحدة وهي سنة ١٩٠٤ في تسعماية الف فدان . ومن رأي المستر بلو العالم بالحشرات انهُ لا تأتي سنة ١٩٢٢ حتى تصل الى الاماكن التي يزرع فيها قطن السي ايلند وتتلفهُ كلهُ فتبطل زراعتهُ وينقرض . وعليهِ لا يبقى قطن يماثلهُ الاَّ في القطر المصري

موسم القطن المصري

١٩١٥ — ١٩١٦

نشرت شركة المحاصيل العمومية بالاسكندرية احصاءاتها الختامية لموسم القطن في سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ الذي انتهى في ٣١ اغسطس الماضي

ويؤْخذ من هذه الاحصاءات ان محصول ١٩١٥ بلغ بعد كل تصحيح ٤٨٠٦٣٣١ قنطاراً مقابل ٦٤٩٠٢٢١ قنطاراً محصول ١٩١٤

فاذا اضيف الى محصول سنة ١٩١٥ المخزون الذي كان باقياً في الاسكندرية في ٣١ اغسطس ١٩١٥ وهو ٨٩٠٣٣٠ قنطاراً — مقابل ٧٦٦٣٠٠ قنطاراً في ٣١ اغسطس ١٩١٤ — فيكون المجموع ٥٦٩٦٦٦١ قنطاراً في موسم ١٩١٥ — مقابل ٧٢٥٦٥٢١ قنطاراً في موسم ١٩١٤

اما مجموع الصادرات في ١٩١٥—١٩١٦ فبلغ ٥٠٣٣١٦١ قنطاراً مقابل ٦٣١٨٩٩٠ قنطاراً في ١٩١٤ — ١٩١٥

واستهلكت المقطوعية المحلية بالاسكندرية ٥٦٥٠٠ قنطار في ١٩١٥ — ١٩١٦ مقابل ٤٦٨٩٠ قنطاراً في ١٩١٤ — ١٩١٥

واتلفت الحرائق من القطن ١٤٠٠٠ قنطار في ١٩١٥ — ١٦ مقابل ٣١١ قنطاراً فقط في ١٩١٤ — ١٩٠٥

فاذا اسقطنا من المجموع وهو ٥٦٩٦٦٦١ قنطاراً مجموع الصادر وما استهلكتهُ المقطوعية المحلية وما اتلفتهُ النار وهو ٥٦٠٣٦٦١ قنطاراً فيكون الباقي ٩٣٫٠٠٠ قنطار وهو كمية المخزون في ٣١ اغسطس ١٩١٦ مقابل ٨٩٠٣٣٠ قنطاراً في ٣١ اغسطس سنة ١٩١٥ ومن هذا ترى قلة المخزون في هذه السنة بالنسبة الى السنة الماضية

اما محصول بذرة القطن في ١٩١٥ — ١٩١٦ فقد بلغ ٢٦٢٤٨١٢ اردبًّا . فاذا اضفنا اليها مقدار المخزون في ٣١ اغسطس ١٩١٥ وهو ١٣٦٠٠ اردب فيكون المجموع ٢٦٣٨٤١١ اردبًّا صدر منها ١٩٦٠٩١٦ اردبًّا مقابل ٣٢٧٥٣٥٩ اردبًّا في ١٩١٤ — ١٩١٥ وبلغ ما استهلكتهُ المقطوعية المحلية بالاسكندرية ٦٥٢٠٠٠ اردب مقابل ٦٠٠٠٠٠ ١٩١٤ — ١٩١٦

فاذا اسقطنا من المجموع البالغ ٢٦٣٨٤١١ اردبًّا مجموع الصادر وما استهلكتهُ المقطوعية المحلية وهو ٢٦١٢٩١٢ اردبًّا فيكون الباقي في ٣١ اغسطس ٢٥٥٠٠ اردب

القطن التسعيني

في هذا القطر رجل يجرب تجارب زراعية لتوليد اصناف جديدة من القطن وقد مضى عليهِ الآن عشرون سنة وهو جارٍ على خطة واحدة قارنًا العلم بالامتحان والاستقراء وهو الذي ولَّد القطن النوباري وكان ابوهُ جاريًا في هذه الخطة قبلهُ فولَّد القطن العباسي . ونظن ان كثيرين من ارباب الزراعة يعرفونهُ وهو الخواجه نيقولا باراشيموناس

دعانا في اول سبتمبر لمشاهدة التجارب التي اجراها هذه السنة في جهة منيا القمح في اربعين فدانًا من اطيان الخواجه بولس علم فذهبنا معهُ في الصباح باول قطر الى بنها ومنها الى محطة منيا القمح وركبنا مركبة من هناك الى الاطيان في بلدة العرايس

والاطيان التي زرع قطنهُ فيها معتدلة الجودة ولو كان لها اتصال بمصرف كبير لصارت من اجود الاطيان .

رأى الخواجه باراشيموناس ان التنوع كثير في القطن فلا يندر ان يوجد في كل غيط اشجار اكثر طرحًا من غيرها واجود قطنًا واسرع نضجًا واشد مقاومة للحشرات . وانهُ اذا اخذ التقاوي من هذه الاشجار فقط وزرعها وحدها فقد تظهر هذه الصفات كلها في بعض الاشجار المتولدة منها . فإذا اقتصر على اخذ التقاوي من هذه وزرعها واختار منها ماقويت فيهِ هذه الصفات واستمر على ذلك سنة بعد سنة تولد معهُ اخيراً صنف تكون هذه الصفات

ثابتة في كل ما ينمو منهُ وقد تبقى هذه الصفات ثابتة فيما يزرع منهُ سنة بعد سنة عشر سنوات او اكثر ثم تنحط كما انحطت الاصناف القديمة

والاصناف التي زرعها في هذه الاربعين فدانًا كثيرة جدًّا منها ما هو قصير لا يبلغ ارتفاعهُ عن الارض اكثر من نصف متر وطرحهُ كثير جدًّا . ومنها ما هو قصير وطرحهُ معتدل او قليل . ومن هذه الاصناف الثلاثة ما يمكن جنيهُ الآن ومنها ما لا يجنى إلاَّ بعد اسبوعين او اكثر . ومنها ما هو طويل جدًّا يبلغ ارتفاعهُ متراً او متراً ونصف متر وبعضهُ كثير اللوز جدًّا وبعضهُ قليل اللوز او معتدلهُ

واللوز في اكثر هذه الاصناف كبير بعضهُ طويل وبعضهُ مستدير واكثرهُ من ذي الابراج الثلاثة ولكن بعضهُ من ذي الابراج الاربعة او الخمسة

واكثر القطن الذي فتَّح ابيض ولكن بعضهُ اسمر على درجات مختلفة من السمرة . والاصناف الجيدة شعرها طويل متين لماع فيهِ شيء من التجعد ويقول الخواجه باراشيموناس انهُ لا يقل عن شعر القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند طولاً ودقةً ومتانة

وقد اخبرنا ان الغرض الذي يرمي اليهِ هو ان يجد صنفًا لا يقلُّ عن السي ايلند جودة ويزيد على العفيفي والسكلاريدس محصولاً ويكون سريع النضج حتى ينضج لوزهُ ويفتح قبل ظهور دودة اللوز والدودة القرنفلية . وعندهُ انهُ قد وجد الآن هذا الصنف فانهُ اضطرَّ لاسباب خصوصية ان يتأخر في زرعهِ هذه السنة الى اواخر ابريل واوائل مايو ثم قلَّت المياه جدًّا حتى قطع املهُ منهُ وكاد يقلعهُ وبعد ذلك جاءت المياه فانتعش ولكن العطش اخَّرهُ نحو شهر ومع ذلك فقد فتح اكثر لوزهِ الآن وليس فيهِ لوزة مصابة بالدودة ومرادهُ ان يسمي هذا الصنف بالقطن التسعيني لاعتقادهِ انهُ ينمو وينضج في تسعين يومًا

وعندهُ دفاتر يدوّن فيها تاريخ كل صنف من الاصناف وما يعرض لهُ من العوارض وما ينتج منهُ من النتائج فيدوّن فيها تاريخ زرعهِ وتواريخ ريهِ وزمن جنيهِ وما يجنى منهُ ثم يحفظ بزور الاصناف التي يراها اجود من غيرها ويزرعها في العام التالي وهلم جرًّا

وقد بقينا اكثر من ساعتين نجول في هذه الاربعين فدانًا نتفقد ما فيها من اصناف القطن المختلفة وهو يشرح لنا تاريخ كل صنف منها وما يريد اهمالهُ وما يريد حفظهُ

فعسى حضرة صاحب المعالي وزير الزراعة وجناب وكيلها وكبار مزارعي القطر ان يهتموا بهذه التجارب الاهتمام الواجب . وحبذا لو ارسلت وزارة الزراعة لجنة من قبلها الآن لمشاهدة هذه التجارب ووقفت على بحث رجل قضى سنوات كثيرة وهو يعمل لفائدة هذا القطر



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

كتب السحر والحجب

حضرات العالمين الفاضلين منشئي مجلة المقتطف الزاهر

لا يخفى تصديق البسطاء والعوام بالخرافات واعتقادهم باعمال السحر وان هؤُلاء البسطاء يعظمون السحرة ظنًّا منهم ان في قدرتهم فعل الخير والشر لكل انسان ولهم قوة تفوق الطبيعة كما يزعمون وانهُ يمكنهم فتح ابواب كنوز القدماء واستخراج الجواهر منها لنفع غيرهم من الطالبين وذلك على يد اشخاص ممَّن تتوفر فيهم علامات مخصوصة لإبطال رصد الكنوز

ويدعون ان لهم اليد الطولى في التفريق بين المتحابين وبالعكس ويزعمون ان من يكتب لهُ حجاب ويحملهُ لا يصاب بمقذوفات الرصاص ولو كانت موجهة اليهِ: حضر اليَّ احدهم واراني حجاباً قال ان احد كبار السحرة عملهُ لهُ لوقاية حاملهِ (سواء كان انساناً او حيواناً) من مقذوفات الرصاص على انواعهِ لان الخادم الموكل بحفظ حامل هذا الحجاب (وهو من الجن) يمكنهُ ملاشاة قوة الرصاص عند قذفها وجعلها تصيب حامل هذا الحجاب إصابة خفيفة جدًّا كأنهُ اصيب بحصاة او نواة واما ضرب النبابيت فلا قدرة للخادم المذكور على ملاشاة قوتها حيث هو موكل بملاشاة قوة الرصاص المقذوفة فقط

فاخذت منهُ هذا الحجاب ووضعتهُ في اعناق جملة من الطيور والحيوانات واطلقت عليها الرصاص فقتلت جميعها لساعتها فعلم حامل هذا الحجاب أنهُ خدع بمكر احد السحرة

وكتب السحر كثيرة ومتداولة ويزعمون ان ما كتب بخط اليد وكان قديماً منها ففوائدهُ عجيبة مثل كتاب شمس المعارف الكبرى وكتاب شرح الجلجلوتية الكبرى وكتب الجفر والزيرجة والرمل واما ما نشر من هذه الكتب بواسطة الطبع فالبركة زالت منهُ واغلب

فوائدهِ غير مجيبة وهذا ما دعا امناء مكتبة مصر السلطانية ومكتبة اسكندرية البلدية الى تحذير الزائرين من مطالعة كتب خط اليد الموضوعة في العلم الروحاني (السحر) والزيرجة والرمل لانها تفسد اخلاق الزائرين وتعلمهم النصب والتحايل على الغير بالغش والتدليس

احمد السيد

اسئلة الامتحان

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

اقتضت حكمة الباري تعالى ان يكون الانسان اشرف ما يدب على ارضهِ فتجلى عليهِ بروح من عندهِ الا وهل العقل ليكون ميزة لهُ بها يبين عن بقية الحيوان فكان مصباحاً لهُ يبصرهُ النافع والضار فيقبل على الاول وينأى عن الثاني وبذلك كان لهُ المركز الاول في هذه الحياة يسخر ما شاء متى شاء وانى شاء ما دام مستعملاً ميزتهُ فيما خلقت لهُ والاَّ تساوى ببني جنسهِ وفقد نوعيتهُ فكان كالببغاء يقول ما لا يفقه او كالحمار يحمل اسفاراً وهنالك تكون الطامة الكبرى اذ فقد سلاحهُ على حين ان بقية الحيوانات لم تفقد سلاحها

هكذا يكون حال الانسان وهكذا يصاب ان لم يضع الشيء موضعهُ حتى يصيب الغرض موقعهُ لينجح ويفوز

فهاك التعليم الحالي فانا نراهُ مبنيًّا على الشهادات فترى الطالب يجدُّ في حفظ القواعد حفظاً مقيدا عن ظهر قلبهِ كفقهاء الريف مع حفظ مثال لكل قاعدة نحوجاء زيد. يا زيد. زيد اليعملات. خاتم حديد. او حفظ العشرات من شروط الابواب والفصول كشروط السلم . والتولية . والمرابحة . والصحة في الصيغة . والمقابلة للفساد والبطلان في البيع . والاقتداء . والاجازة . وشروط افعلة . والتصغير وغير ذلك مما لا يحصى عددهُ وتملُّ حفظهُ النفوس الروحانية

كل ذلك وسائل لا حاجة اليها متى قدرنا ان نصل الى المتوسل اليهِ بالقليل من المبادىء ومساعدة القوة الدرَّاكة

ويا ليت تلك المحفوظات تبقى رصينة في الذهن جزءًا كبيراً من الزمن فانها كالنقش على الرمال ساعة الزوابع وان بقيت فما هي الاَّ الفاظ في فم ببغاء يقولها وقتاً ثم تنسى

وما ذلك الاَّ لان النفوس الراقية تمل الحفظ الاعمى ولا يمكنها ان تقوم بهِ اما النفوس المتأخرة فانها تقابل ذلك بصدر رحب وما أقواها على طيهِ متى ارادت

يجدُّ الطالب في حفظ القواعد والابواب والفصول والامثال والحواشي وغير ذلك حرصاً على الشهادات حتى اذا قدم الامتحان وضع المدرسون الاسئلة قواعد ومحفوظات يبدّ ان متأنقهم يضعها مضطربة تشويشاً للذهن جزء السؤال الواحد من واد والجزء الثاني من آخر والثالث من ثالث ... وهكذا السؤال الثاني والثالث الخ. كل ذلك في علم واحد. وبهذا يضطرب فكر بعض المسئولين فيزل القلم وعلى ذلك ينجح اولئك الذين انهكوا قواهم في الحفظ الببغائي

اما الطالب الذي لا يعرف هذا الحفظ بل كل ما عنده فقه المسائل اللاتي تمر عليهِ بدون ان يشغل نفسهُ بتلك المحفوظات العميانية بحيث اذا سئل عن حكم في مسألة اجاب فوراً لم يكن نصيبهُ من هذا الامتحان الاعمى الا الرسوب فيحرم نفسهُ وامتهُ من آثاره قلمية كانت او عملية

يأفل نجم هذا بما نالهُ من الحيف ويظهر نجم ذاك أعني صاحب المحفوظات طالب الشهادات وما تجرهُ من الجنيهات فيمر على الامتحانات ويتجاوزها وقد تسلّم شهادة تعبّر للعامة ومن في حكمهم ان صاحبها من النوابغ وهو كذلك في اعين معلميهِ ومعارفهِ فان اسعدهُ الحظ توكل اليهِ ادارة من الادارات ويجعل عملهُ ارضاء للرؤساء ولو كان في ذلك هلاك من تحت يدهِ وضياع حقوقهم

ولنضرب مثلاً لما نرمي اليهِ لكي تبدو الحقيقة ناصعة فنقول ان اللغة العربية الآن تُعلَّم بديار التعليم بواسطة القواعد التي بدئ تأليفها في عصر الامام علي كرم الله وجههُ وجعلت تلك القواعد علماً من العلوم بها ينجح الطالب او يرسب

وكلنا متفق على ان الغرض من هذه القواعد الوصول الى فهم كلام الله تعالى وكلام رسولهِ والعرب والتكلم بها والكتابة فاذا امكن الطالب الوصول الى ذلك بواسطة المبادىء الاولى وكثرة المذاكرة والكتابة حتى كانت اللغة لسانهُ الذي ينطق بهِ ويعبر عما في ضميرهِ فاستغنى عن القواعد التي تلقى عليهِ حتى اذا جاء الامتحان وموضوعهُ تلك القواعد فلم يكتب عنها شيئاً فهلاّ يعدُّ ساقطاً

انا اعتقد انهُ ما من احد يجب ان يعد من كان هذا حالهُ ساقطاً ومثل ذلك يقال في بقية العلوم فالاحرى بل الواجب على المعلمين ان يضعوا اسئلة الامتحان عقلية مطبقة على القواعد ولا يطلب من المسؤول الا الحكم فيها فقط لان الانسان ليس فونغرافاً ولان هذه الطريقة هي بعينها التي تعرض عليهم وهم عاملون في الادارة او قائمون في اي مقام حتى ينبغ

ذوو العقول و ينكب الكل على التعليم العملي و يطلبوا العلم لذاتهِ فلا يحرم كبار العقول من التقول في المعقولات والغوص في بحارها والتقاط جواهرها فيظهر الفلاسفة والحكماء ويداوون امراض الامم و يقودونهم الى ما بهِ يسعدون والاَّ اذا تمادى المعلمون في طريقتهم هذه ولم يجعلوا تعليمهم عمليًّا ووضعهم الاسئلة عمليًّا لا يحتاج الاَّ الى الحكم محتجبين بالطريقة التي لاقوها من معلميهم ايام ان كانوا طالبين اماتوا العلم الحق وحالوا بينهُ وبين من يبغيهِ من عشاقهِ ودام العلم في بلادهم اعمى فلا رجال نابغون ولا حكماء مصلحون . فما رأي حضرات العلماء في ذلك

عبد الحفيظ عوض عوض
بمدرسة القضاء الشرعي



صبح الاعشى

الجزء التاسع

اهدت الينا دار الكتب السلطانية الجزء التاسع من كتاب صبح الاعشى الذي عنيت بطبعهِ . وهو جامع لكثير مما قالهُ الاقدمون والمتأخرون في التهانيء والتعازي والتهادي والاستعطاف والاعتذار والشكر والعتاب وغير ذلك وفي مخاطبة اصحاب الولايات من الخليفة والسلطان فمن دون وسائر ما يتعلق بذلك من بيعات الخلفاء وعهودهم وما اشبه

وربما كان باب « التهادي والملاطفة » ألطف ابواب الكتاب. فقد جاء فيهِ ما يكتب مع الهدية عند بعثها سواءٌ كان جواداً ادهم اغرَّ محجلاً او اكديشاً او بازيًا او كوهية او عقعقًا او اوزًّا صينيًّا او مشمشًا لؤلؤيًا او بطيخًا حلبيًّا او قصب سكر او قلقاساً او خياراً او ملوخية . وكلٌّ ما قيل في ذلك من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة عدا ما قيل في الجواد فانهُ من انشاء علي بن خلف . قال ابن نباتة من رسالة في هدية اهديت اليهِ من باكورة خيار وملوخية :

« لا زالتْ تشرح بمكارمها الصُّدور ، وتفتح بركات الاعوام والشهور ، وتمنحُ من لطائف مننها كلَّ جماعةِ السرور ، وتلج في هداياها المستبقة الى الاولياء خيار الامور ،

لتقبيلَ محبٍّ لا تغيّر ولاءهُ الدهور ، ماشٍ من طريق المصافاة والموافاة في نور على نور

« وينهي ورود مشرّفة مولانا على يد فلانٍ تتضمن المعهودَ من ولائهِ وآلائهِ ، والمشهودَ المشهورَ من إحسانِ نداهُ قبل ندائهِ ، فقابلها المملوك مقابلةَ الشيّق الى قرب الديار ، الممضي في المحبة قلبهُ لمولاهُ قبل شرط الخيار ، ووصلت لطائفُ هديتهِ الخضرة النضرة ، وطرائفُ الفضل الباكرةُ كمعاني اللفظ المبتكرة ، فتنجّز المملوك الفاكهة قبل اوانها البديع ، ورصد من افلاك العلب في ذي الحجة غرّةَ ربيع ، وتفاءل بالهدية المجمّمة الاحباب في ان يعود الشملُ وهو جميع ، وقد عاد فلانٌ حاملاً من رسائل الشوق والشكر ما يؤديهِ بين ايدي مولانا الكريمة ، ويجدد بذكراهُ عهود الانس القديمة ، لابرح مولانا سابق الكرم ، مخضرَّ المرابع ببيض النعم »

وتدلُّ هذه الرسائل على ان كتّابها كانوا في سعة من العيش وامن من طوارق الزمن وان بضاعتهم كانت رائجة ومنزلتهم عند حكامهم مرتفعة

وثمن النسخة من هذا الجزء ١٢ غرشاً صاغاً

اصول علم الاقتصاد السياسي

عني حضرة الفاضل محمد حمدي بك السيد القاضي في المحاكم الاهلية بتعريب كتاب الاقتصادالسياسي للاستاذ ووكر الاقتصادي الاميركي المشهور فاصدر الجزء الاول والثاني منهُ في مجلد واحد واقع فيما يزيد على ٤٠٠ صفحة ووعد باصدار الجزء الثالث فيما بعد

اما الاول فحاوٍ لثلاثة ابواب الاول طبيعة علم الاقتصاد واسلوبهُ . والثاني ايجاد المال وانتاجهُ وفيهِ اربعة فصول والثالث التداول وفيهِ سبعة فصول

واما الثاني ففيهِ بابان الرابع في توزيع المال وتحتهُ ثمانية فصول والخامس في الاستهلاك وتحتهُ اربعة فصول

واما الثالث الموعود فسيحوي مباحث في تطبيق الاصول الاقتصادية مثل الاشتراك في الاعمال واتفاق العمال واعتصابهم واتحاد جمعياتهم واعمال البنوك والمبادلات الدولية والضرائب والاشتراكية وامثالها من المباحث . والكتاب حسن العبارة واضح المعاني كما ترى في الفصل التالي المنقول عنهُ . فقد جاء في تعريف السوق قولهُ :

« وضع الكتاب للسوق تعاريف كثيرة ، واظن انهُ يدل على شيئين : الاول نوع من جنس . والثاني طائفة من المبادلين

فبمقتضى المعنى الاول لا يوجد سوق واحدة لجميع الاشياء او لطائفة منها تختلف انواعها — كسوق للشاي والحديد والقطن والقمح ، بل يوجد لكل منها سوق على حدتهِ ، اي سوق للشاي يباع فيهِ ويشترى ، وسوق للحديد يباع فيهِ ويشترى ، وبذلك تتعدد الاسواق بتعدد الاصناف

« وبمقتضى المعنى الثاني يشمل السوق جميع الذين يعرضون صنفاً معيناً او يطلبونهُ في اي مكان كانوا ، وعلى ذلك ينتسب جميع المستعدين للبيع او الشراء بعضهم من بعض الى سوق واحدة ولو اختلفت محلات اقامتهم

« ولا يستلزم المعنى الاخير انتساب جميع البائعين والمشترين لصنف واحد في مكان واحد الى سوق واحدة ، فلو فرضنا ان في نيويورك خمسةً من تجار وارد الشاي و ١٥ ممن يتجرون فيهِ بالجملة و ١٠٠ ممن يتجرون فيهِ بالتجزئة ونصف مليون ممن يستهلكونهُ — فان هؤلاء لا ينتسبون جميعاً الى سوق واحدة وانما يكوّن تجار الوارد وتجار الجملة سوقاً من اسواق الشاي ، ويكوّن تجار الجملة وتجار التجزئة سوقاً اخرى ، ويكون تجار التجزئة والمستهلكين سوقاً اخرى ، فالاسواق بقدر طوائف المبادلين سواء بسواء ، وهي في حالتنا هذه ثلاث لكل منها جماعة من المشترين والبائعين ، ويختلف ثمن الشاي في كل منها في اي وقت عن ثمنهُ في الاخرى . وعلى ذلك قد يكون ثمن الصنف نفسهُ في السوق الاولى ريالاً ، وفي الثانية ١ر١ ريالاً وفي الثالثة ٢٥ر١ ريالاً

« فتعريف السوق بغير ما عرفناها به لا يستقيم مع القول بان ليس للاشياء المثلية الاَّ ثمن واحد اذا اتحدت في السوق والزمن . وعلى ذلك نرى ان الشاي والصوف والحديد والقمح وغيرها يباع كل منها باثمان مختلفة متعددة ولو كانت كلها موجودة في شارع واحد من شوارع المدينة التي تسمى اسواقاً

« يتضمن مكان السوق عدة اسواق في الحقيقة ، ويجوز ان يمتد كل سوق منها خارج حدود ذلك المكان ، فلا يقتصر تجار الوارد الخمسة المقيمون في نيو يورك على البيع الى تجار الجملة الخمسة عشر المقيمين فيها ، بل يتعدونهم الى عشرين آخرين في اماكن اخرى تبعد اميالاً عنها ، فيتكوّن السوق من خمسة من تجار الوارد وخمسة وثلاثين من تجار الجملة ، ويشترك فيهِ المقيمون فيها والخارجون عنها سواء بسواء ، لاشتراكهم في طلب هذا الصنف في هذه السوق ، ويجوز ايضاً ان لا يقتصر هذا العدد من تجار الجملة على معاملة مئة التاجر من تجار التجزئة ، بل يتعداهُ الى الف من المنتشرين منهم في هذا الاقليم ، فتتكون السوق

من هذا الجمع ، لا من الخمسة عشر والمائة المقيمين في المدينة المذكورة ، ولا ببيع الف التاجر المذكورون الى مليون ونصف ممن يشربون الشاي ، لا الى نصف مليون فقط

« بجميع الاشخاص الذين يتكوّن من طلبهم او عرضهم لصنف معين مجموع طلب ذلك الصنف او عرضهُ في اي مكان يؤثرون في ثمنهِ و ينتسبون الى سوق واحدة

« يجوز ان يقال اذاً : ان هذا يجعل البسيطة سوقا واحدة ، و يجرد كلمة السوق من مدلولها . فردا على ذلك نقول : ان ثمن الشاي لا يختلف كثيراً في السوق المكونة من تجار الوارد الخمسة المقيمين في (نيو يورك) وتجار الجملة الخمسة والثلاثين المنتشرين حولها عن ثمنهِ في السوق المكونة من اربعة من تجار الوارد في (بسطن) وخمسة وعشرين ممن يعاملهم من تجار الجملة . لاننا لو فرضنا نقص الثمن في (نيويورك) عنهُ في (بسطن) لشرع تجار الوارد في (نيو يورك) في عرض متاجرهم في (بسطن) ليحصلوا على فرق الثمن . و بذلك ينتسبون الى هذه السوق

ولكن قد يكون الثمن في (نيويوك) وما حولها في سوق تجار الجملة وتجار التجزئة اقل منهُ بجزء من الريال او جزئين في السوق المماثلة لها في بسطن ، بدون ان يؤثر ذلك في تجار الجملة بنيويورك ليحملوا بضاعتهم الى انجلترة الجديدة ، او يغري احد تجار التجزئة في انجلترة الجديدة بالسفر الى نيويورك للاستفادة من قلة الاثمان وتجد مسافة الفرق اوسع في سوق تجار التجزئة والمستهلكين ، لجواز ان يكون في حوانيت نيو يورك اعلى منهُ في (وُورستر) او (ناشوا) بخمسة اجزاء او عشرة ، بدون ان يتحرك احد تجار التجزئة من انجلترة الجديدة الى نيو يورك ليبيع ما عندهُ للمستهلكين او يتحرك احدهم لشراء ما يحتاج اليهِ سنويًّا من (وورستر) او (ناشو)

« وعلى ذلك اكرر ما قلتهُ من ان جميع الاشخاص الذين يشتركون في الطلب العام لاي صنف من الاصناف في اي مكان من الامكنة ، او في عرضهِ للبيع ، و يكون لهم بهذا الاشتراك في العرض او الطلب تأثير في الثمن في ذلك المكان — جميع اولئك ينتسبون الى سوق واحدة »

والكتاب كلهُ على هذا النسق فنشكر لحضرة مترجمهِ الفاضل ونود ان يتفق المؤلفون والمترجمون على كلمات واحدة اصطلاحية تكون اقرب ما يمكن للدلالة على المعاني التي قصدها علماء الاقتصاد السياسي

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) المندل

مصر . احمد افندي زكي الرافعي . ارجو التكرُّم بابداء رأيكم في المندل الشائع في مصر وهل فيهِ شيءٌ من الصحة

ج . كلاَّ ولو كان صحيحاً اي لو كان يكشف المخبآت وينبئُ بالمستقبلات لشاع استعمالهُ في كل مكان واعتمدت عليهِ الحكومات والمحاكم والتجار وكل مَن يريد ان يكتشف امراً يجهلهُ او يعرف شيئاً يتوقعهُ ولصار اصحاب المندل من كبار الاغنياء . اما ما يراهُ الولد الذي ينظر فيما امامهُ فسببهُ ان صاحب المندل يستهو بهِ فيصير كالنائم الذي يحلم في اول نومهِ احلاماً مطابقة لما يسمعهُ او يشعر بهِ . وان صدق في شيءٍ فيكون لان صاحب المندل يعلم ذلك الشيء فيرشدهُ اليهِ بسؤالهِ فاذا كان المطلوب اكتشاف سارق سرق بعض الاساور واستدل صاحب المندل من الكلام مع اصحاب السرقة انهم يتهمون خادماً بربريا عندهم فقد يقول للغلام اترى السارق امامك فيقول نعم اراهُ فيقول لهُ هل هو اسود او ابيض فان قال اسود اكتفى بقولهِ وان قال ابيض قال لهُ دقق النظر جيداً فيقول اسود . ثم يقول لهُ اين وضع الاساور التي سرقها فيقول خبأها حيث ينام او باعها في السوق . واذا صدق قولٌ واحد من اقوالهِ تمسك اصحاب السرقة بهِ واغضوا عن كل ما سواهُ

(٢) الفسيفساء

شبراخيت . احمد افندي الصراف . ما هي الفسيفساء وما هو ضبط النطق بها وهل هذا اللفظ عربي او اعجمي

ج . هي قطع صغيرة ملونة من الحجارة او الزجاج تلصق بعضها ببعض حتى تتكون منها صور واشكال منتظمة . رأينا في كنيسة مار مرقس بالبندقية صور قديسين وملائكة مصنوعة كلها من قطع صغيرة كأنها مصورة بالقلم تصويراً . والخريطة القديمة التي وجدت في فلسطين هي ارض غرفة مصنوعة من قطع صغيرة من الحجارة الملونة . وتضبط الكلمة هكذا فُسَيْفِسَاء قال ابن

منظور في لسان العرب « الفُسَيْساء والفسيفساء الوان تؤَلّف من الخرز فتوضع في الحيطان يؤلّف بعضهُ على بعض وتركّب في حيطان البيوت من داخل كأنهُ نقش مصور والفسيفس البيت المصور بالفسيفساء . قال ابن منصور وليس الفسيفساء عربية » ويظهر لنا ان الكلمة يونانية وهي في اليونانية مُسيُس او مُسَيْقس بالميم في اولها والظاهر انها كتبت في العربية كذلك قبل ضبط الحروف بالنقط فلما ضبطت اخطأ من ضبطها فحسب الميم فاء والقاف فاء اخرى فصارت الاولى فُسيس والثانية فُسَيْفِس ولا يصعب تعليل الحاق الكلمتين بالالف والهمزة

(٣) واقعة حال

ومنهُ . اقرأ احياناً في الجرائد قولها « ان هذا الامر مبني على واقعة حال لا محل لذكرها » فما المراد بقولها واقعة حال

ج . نظن انها ترجمة حرفية لعبارة افرنجية معناها حادثة موصوفة او معلومة

(٤) الجامعة الطورانية

ومنهُ . قال مراسل السنترال نيوز انهُ تألفت « الجامعة الطورانية » فاين توجد طورانيا وما هي هذه البلاد

ج . سننشر عنها وعن الجامعة الطورانية مقالةً مسهبة في الجزء التالي من المقتطف

(٥) الشهب والنيازك

مصر . مدرسة القضاء الشرعي . حامد افندي احمد مصطفى . ما هي تلك الشهب التي نراها تتساقط ليلاً ولا نرى من اين تأتي ولا الى اين تذهب

ج . هي اجسام صغيرة جدًّا منتشرة في الفضاء قد تدنو من الارض فتجذبها اليها فتحمى من سرعة سيرها في الهواء وتحترق واذا كانت كبيرة وصل بعضها الى الارض . وقد سقط بعضها في مديرية البحيرة منذ اربع سنوات ووصفناها وصورناها في مقتطف يونيو سنة ١٩١٢ ثم كتبنا فصلاً مسهباً عن اصل النيازك في مقتطف سبتمبر تلك السنة

(٦) تضخم الطحال

ومنهُ . هل يمكن تخفيف تضخم الطحال وما افضل طريقة يتبعها من اصيب به

ج . ان تضخم الطحال عَرَض ناتج عن مرض آخر فقد يحدث من الحمّى الملارية والحمّى التيفويدية والانثركس والطاعون والدم الابيض . فان كان حديثاً يعالج بالمصرفات والمحمرات والمساهل ونقل العليل الى مكان صحيح الهواء وان كان مزمناً يعوَّل على المحمرات وافضلها صبغة اليود اومرهم بي يوديد الزيبق بكميات كافية لتحمير القسم الطحالي تحميراً مستمرًّا ويتناول العليل مستحضرات الحديد ولاسيما صبغة مريات الحديد ويستمر مدة عليها وعلى هيدروكلورات الامونيا ويمنع قبض الامعاء بالمساهل الملحية

(٧) بصر الخفاش

ومنهُ . لماذا لا يبصر الخفاش الاَّ ليلاً ولا يرى الدجاج الاَّ نهاراً

ج . النور والظلمة متعاقبان يقيم كلٌّ منهما نحو ١٢ ساعة من اليوم فصار بعض المخلوقات يتأثر بنور النهار الساطع فينشط ويسعى في طلب رزقهِ فيهِ وبعضها يتأثر بالنور القليل الذي يكون في الليل او بحاسة اخرى تضعف نهاراً وتقوى ليلاً فيسعى في طلب رزقهِ ليلاً ومن قبيل ذلك دود القطن وفراشهُ وكثير من الحشرات والطيور الليليَّة . والخفاش من هذا القبيل . واما الدجاج فمن الطيور التي تتأثر بنور النهار ولا ترى في غيرهِ

(٨) دواء فقر الدم

ومنهُ . ما خير دواء لمن اصيب بفقر الدم

ج . ان فقر الدم ينتج عن احوال مرضية مضعفة تعم الجسم كلهُ كالسل والسرطان والانزفة المختلفة ومرض بريط وقلة التغذية والاشغال العقلية الشاقة والانفعالات النفسية والسم الغيلي والعلل الطحالية والانسمام المعدني او الزهري . ويعالج اولاً بازالة السبب ثم بتناول الاطعمة الجيدة السهلة الهضم ثم المقويات

والانيميا (فقر الدم) المصرية يسببها نوع من الديدان الحلمية يقيم في المعا الدقيق وترون طريقة علاجها في الصفحة ٢٧٤ من مقتطف مارس سنة ١٩١٢

(٩) مدرسة للطب واللغات

دكار بالسنغال . الخواجات طراف . هل يوجد في مصر مدرسة تعلم الطب وآداب اللغات العربية والافرنسية والانكليزية كالمدرسة الكلية في بيروت وهي قليلة النفقة مثلها

ج . لا يوجد مدرسة واحدة لذلك بل المدرسة الطبية المصرية منفصلة عن المدارس التي تعلم سائر العلوم واللغات ونفقات التعليم في مصر اغلى منها في مدرسة بيروت الكلية

(١٠) دواء الكلب

ومنهُ . هل وجد دواء لداء الكلَب . ويقال ان في سورية عشباً يستعملهُ العامة فيشفي من الكلَب فهل ذلك صحيح

ج . لا يعلم انهُ يوجد عشب يشفي من الكلب وقد اكتشف الشهير بستور دواء للكلب وهو مصل يطعَّم بهِ من يعقرهُ كلب كلِب فلا يظهر الكلَب فيهِ

(١١) كنه اللانهاية

مصر . احمد افندي عبد العال سلامه . ايدرك عقل الانسان كنه اللانهاية

ج . يدركهُ في بعض الامور ادراكاً نسبيًّا ولا يدركهُ في غيرها فيدرك مثلاً ان النقط الهندسية وهي صغيرة الى غير نهاية

يتكوَّن من صفها الواحدة ملاصقة للاخرى خط هندسي لهُ طول محدود . وان الخطوط الهندسية التي لها طول وليس لها عرض او عرضها صغير الى ما لا نهاية لهُ يتكون من صفها الواحد ملاصقاً للاخر في سطح واحد سطح لهُ عرض متناهٍ . ويدرك ان الكسر الحسابي الذي لا يتناهى يبقى أكبر من الصفر مهما صغر . فاللانهاية في النقط هي شيءٌ يتكون من مجموعهِ خط هندسي واللانهاية في الخط الهندسي شيءٌ يتكون من مجموعهِ سطح هندسي واللانهاية في الكسر شيءٌ اكبر من الصفر واصغر من كل كسر يمكن تصوُّرهُ . اما اذا لم تتصل اللانهاية بشيءٍ نسبي فلا يمكن ادراكها اي ان العقل المحدود لا يدرك شيئًا غير محدود

وقد زعم ليبنتز الفيلسوف الشهير ان للكسر غير المتناهي قيمةً متناهية فقال انهُ اذا قسم ١ على ١ – ك وكانت ك = – ١ فالخارج ١ – ١ + ١ – ١ + ١ – ١ الى ما لانهاية لهُ فاذا وقفنا عند عدد سلبي فقيمة السرد صفر واذا وقفنا عند عدد ايجابي فقيمتهُ واحد ومتوسط السردين $\frac{1}{2}$ وعليهِ فقيمة ٠ + ٠ + ٠ + ٠ + الى ما لانهاية = $\frac{1}{2}$ وقال ان ذلك يوضح كيف ان الله خلق العالم من العدم . والبحث في هذا الموضوع مثل البحث في كل المواضيع التي وراء الطبيعة كلام كثير على قلة جدوى

(١٢) عضوية الجمعيات

ومنهُ . كيف تنال عضويات الجمعيات العلمية

ج . اذا اشتهر عالم في موضوع من المواضيع وبزَّ فيهِ الاقران وكتب فيهِ او ألَّف وقرئَ ما كتبهُ فالغالب ان الجمعيات العلمية التي تستفيد من علمهِ تمنحهُ عضويتها عفواً ولكن هذا قليل والغالب ان يكون لهُ صديق في الجمعية التي تختارهُ لعضويتها فيطلب منها ان تجعلهُ من اعضائها وقلما تردُّ طالبًا اذا توفَّرت فيهِ شروط العضوية لانها تستفيد من علمهِ ومن مالهِ ايضًا اذ الاشتراك في الجمعيات العلمية يقتضي دفع مرتبات سنوية . والعلماء مختلفون في ميلهم الى الاشتراك في الجمعيات العلمية فرجل مثل الفيلسوف سبنسر لم يشأ ان ينتظم في جمعية علمية وغيرهُ من الذين لا يقاسون بهِ لا يضعون اسمهم على ورقة يطبعونها الاَّ ويلحقونهُ باسماء الجمعيات التي هم اعضاء فيها

(١٣) حجاب المسيحيات

ومنهُ . قرأت في رواية صلاح الدين تأليفكم ما يدلُّ على وجود الحجاب عند المسيحيات ابان الحروب الصليبية فهل هذا صحيح

ج . رواية صلاح الدين لم نؤَلفها تأليفاً بل لخصناها تلخيصاً من رواية انكليزية مشهورة لولتر سكوت اسمها الطلسم كما ابنا في ديباجتها والحجاب كان مستعملاً عند المسيحيات ولا يزلن يستعملنهُ احيانًا وهو برقع

استر الوجه من الشمس او من الهواء او من عيون الناظرين ولكن لا قيود لهُ ولا روابط

(١٤) حقيقة الظل

ومنهُ . نرى ظل الانسان تارةً طويلاً واخرى قصيراً ومرة امامهُ وطوراً وراءهُ فلم ذلك

ج . ينتج ظل الانسان من قيامهِ بين الشمس وما يقع عليهِ نورها فيحجب عنهُ جزءا من النور فاذا كانت الشمس في كبد السماء مائلة قليلاً الى الجنوب كما تكون هنا وقت الظهر في شهور الصيف كان ظل الانسان قصيراً جدًّا لانكم اذا رسمتم خطًّا مستقيماً من الشمس الى رأسهِ ومنهُ الى الارض وخطًّا آخر من الشمس الى قدميهِ رأيتم البعد على الارض بين طرفي هذين الخطين قصيراً جدًّا واذا كانت الشمس قريبة من الافق الشرقي في الصباح او الافق الغربي في المساء ورسمتم منها خطين مثل الخطين الاولين وجدتم البعد بين طرفيهما على الارض طويلاً وظلهُ بينهما . والظل يكون في كل حالٍ الى الجهة المقابلة اي ان الشبح يكون بين الشمس وظلهِ وما يقال عن ظل ضوء الشمس يقال عن ظل نور القمر والمصابيح على انواعها

(١٥) الفلاحة المصرية القديمة

المرابعين . احمد افندي الالفي . هل يوجد مؤلف عربي في الفلاحة المصرية القديمة

ج . لا نعلم ولكن كتاب الفلاحة الرومية الذي ترجمهُ قسطا بن لوقا البعلبكي حسن في بابهِ وهو لم يوضع للقطر المصري ولكنهُ يحسن لهُ فيما يزرع فيهِ

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر اكتوبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٤	١	٠	مساء
البدر	١١	٩	١	صباحًا
الربع الاخير	١٩	٣	٩	«
الهلال	٢٦	١٠	٣٧	مساء
القمر في الحضيض	٧	٠	٣٠	صباحًا
« « الاوج	١٩	٧	١٢	«
القمر في الحضيض	٣١	٨	٤٨	مساء

السيارات

عطارد لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخرهِ

الزهرة كوكب صباح

المريخ كوكب مساء

المشتري يرى اثناء الليل

زحل يشرق نحو نصف الليل

مجمع ترقية العلوم البريطاني

عقد مجمع ترقية العلوم البريطاني هذه السنة في مدينة نيوكاسل وافتتح جلساته يوم الثلاثاء في ٥ سبتمبر الماضي فدامت حتى يوم السبت في ٩ منهُ. وفي مساء الثلاثاء خطب السر ارثر ايفانس رئيسهُ خطبة موضوعها «مهد الحضارة الاوربية» وسنلخصها في العدد القادم. وخص يوم الاربعاء بالمباحث الرياضية والعلوم الطبيعية فخطب الاستاذ هو بتهد في تنظيم الفكر والقيت خطب اخرى في الجاذبية واخرى في الضغط الازمومي (الذي تختلط السوائل بهِ بعضها ببعض من خلال غشاء او حجاب ذي مسام). واخرى في قسمة الارقام واخرى في قياس الوقت للاستاذ ترنر واخرى في طيف العناصر باشعة اكس للسر ارنست رذرفورد

اما المواضيع التي عالجها المجمع في جلساته التالية فهي في الاكثر رياضية وطبيعية صرفة ونظرية اكثر منها عملية لانها تتعلق بمبادئ العلوم لا بتطبيقها على العمل. اما ما اختص منها بتطبيق العلم على العمل فكلهُ في باب الكيمياء مثل «مستقبل صناعة الكيمياء الآلية» و«صناعة اصباغ الانيلين في السلم والحرب». و«اعداد العقاقير الكيماوية لاستعمالها في المخابرات»

وبحث في الجيولوجيا (علم طبقات الارض) والحيوان والنبات والجغرافية والاقتصاد والاحصاء والهندسة العملية وعلم الانسان والفسيولوجيا والتربية والزراعة بجميع فروع هذه العلوم وما استحدث فيها بين المجمع الماضي وهذا المجمع

السر ارنست شكلتون ورفاقهُ

ذكرنا في جزء يوليو الماضي ان السر ارنست شكلتون الرحالة الانكليزي المعروف شخص في جماعة من رجالهِ في خريف سنة ١٩١٤ لاجتياز قارة القطب الجنوبي من طرف الى طرف فانكسرت بهِ السفينة في اثناء الطريق فنزل هو ورجالهُ الى جزيرة الفيل ثم غادرها تاركاً فيها ٢٢ منهم وزاداً يكفيهم الى آخر مايو وركب هو واربعة آخرون قارباً عاد بهم الى جزيرة جيورجيا سالمين ثم سافروا الى اميركا الجنوبية فبلغوها في ٣١ مايو. وكان اول ما فعل بعد وصولهِ اليها انهُ سعى في تخليص رفاقهِ من جزيرة الفيل وساعدتهُ الحكومة الانكليزية على ذلك فقصد هذه الجزيرة بنفسهِ ولكنهُ لم يستطع بلوغها لتكاثف الجمد فاشتد القلق في انكلترا على رجالهِ الذين تركهم فيها ولكنهُ لم ييأس بل ما زال يحاول الوصول الى الجزيرة المرة اثر المرة حتى فاز باربهِ في المرة الرابعة فبلغها في ٣ سبتمبر الماضي فاستعلم عن رفاقهِ فعلم انهم سالمون فارسل تلغرافاً مقتضباً الى جريدة

الدابلي كرونكل يقول فيهِ ما ترجمتهُ «الجميع سالمون ٠ الجميع بعافية» ٠ ثم عاد برجالهِ الى انكلترا ٠ وقد ارسل تلغرافاً الى الملك يخبرهُ بنجاة رجالهِ فاجابهُ الملك بتلغراف قال فيهِ: يسرني من صميم الفؤاد انك انجيت رفاقك الاثنين والعشرين فاهنئك بنتيجة مساعيك الحسان في انقاذهم و بان النجاح كلل محاولاتك الثالثة ٠ اني اعجب كل الاعجاب بسلوك قائدهم فرنك و بلد الذي تمكن بهِ من احياء شجاعتهم ورجائهم واومل ان تعود بهم سالمين الى منازلهم عن قريب»

السرطان وانتقالهُ بالوراثة

الشائع عند الجمهور ان السرطان من الادواء التي تنتقل بالوراثة فاذا اصيب بهِ رجل او امرأة فالمرجح ان يصاب بهِ اولادهما ايضاً كأن الجرثومة التي تولدوا منها كان فيها جرثومة السرطان ايضاً فظهر فيهم اوكان فيهم استعداد لهُ فظهر حينما وافقتهُ الاحوال ٠ والذين يقولون هذا القول يستدلون على صحتهِ بالاستقراء اي بذكر الشواهد التي يقال ان السرطان ظهر فيها في الوالدين ثم في اولادهم ٠ اما العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع فلم يروا قبلاً ما يؤيد قول القائلين بانتقال السرطان بالوراثة ولكن قام الآن الدكتور لتل من اعضاء اللجنة التي تبحث في حقيقة السرطان في جامعة هارفرد باميركا وقال ان التجارب التي جُرّبت حديثاً في بعض الحيوانات الصغيرة كالفيران ثبت منها ان سرطانها ينتقل بالوراثة ولذلك يترجح ان ما حدث فيها يحدث في الانسان ايضاً اي ان من يولد من والدين احدهما او كلاهما مصاب بالسرطان قد يكون في جسمهِ ميل او استعداد لظهور هذا الداء فيهِ اذا توفرت الاسباب التي تظهرهُ ٠ وهاك خلاصة ما كتبهُ في هذا الشأن قال

«ان جمهور الناس والاطباء ايضاً لا يزالون على رأيين مختلفين في امكان انتقال السرطان بالوراثة اي وجود الاستعداد لهُ في اجسام المولودين من آباء مصابين بهِ ٠ وقد اخذت المعاهد الطبيَّة تبحث في هذا الموضوع بحثاً مدققاً من جهتين الواحدة تاريخ العائلات التي ظهر السرطان فيها والثانية امتحان السرطان في الحيوانات الدنيا

اما البحث في تاريخ العائلات فالاعتماد فيهِ على السماع والتواتر ولذلك لا ينتظر ان يكون وافياً من حيث التدقيق العلمي واما البحث الامتحاني فالتدقيق العلمي مستوفى فيهِ ٠ وليس بين الحيوانات الدنيا ما هو اصلح للامتحان من الفيران فان قصر عمرها وصغر جسمها وكثرة توالدها تجعلها اصلح لهُ من غيرها ٠ وقد ثبت بالامتحان ان السرطان ينتقل فيها بالوراثة ولكن لم يعلم كيف ينتقل لاسيما وان نسل الفيران المصابة بالسرطان لا يصاب كلهُ بهِ ولا يسلم منهُ كل نسل الفيران

السليمة ولذلك فالمسألة اعقد مما يظن لاول وهلة

« ثم ان ما يثبت حدوثهُ في اجسام الحيوانات الدنيا كالفيران لا يلزم ضرورة ان يحدث في جسم الانسان ولكنهُ يدلُّ على امكان حدوثهِ في جسمهِ قياساً على غيرهِ مما اذا حدث في جسم حيوان حدث في جسم الانسان ايضاً مثل انتقال البرص والترقط وشكل الشعر ولون العينين وما اشبه »

ولا تزال المسألة مطروحة على بساط البحث ولكن لو كان السرطان ينتقل بالوراثة لوجب تعدد الحوادث التي ينتقل فيها حتى تزيد على المتوسط زيادة واضحة اي اذا أصيب بهِ واحد في الالف من المولودين من والدين سليمين منهُ وجب ان يصاب بهِ اثنان او ثلاثة اواكثر في الالف ولكن هذا النوع من الاحصاء صعب جدًّا اذ يحتمل ان يكون الانسان مصاباً بالسرطان ولا يظهر السرطان فيهِ ويموت بمرض آخر او يموت بسرطان المعدة مثلاً ولا يعلم انهُ مصاب بهِ ولا تفتح جثتهُ بعد موتهِ. ومتى علمت حقيقة السرطان تماماً تعلم سائر ملابساتهِ

مساحة الاطيان الزراعية وما زرع منها

ان مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري نحو $\frac{1}{2}$ ٥ مليون فدان ولكن مساحة الاطيان التي تزرع كل سنة اكثر من ذلك لان كثيراً منها يزرع مرتين في السنة الواحدة. ففي السنة الزراعية الاخيرة والتي قبلها بلغت مساحات الزراعات المختلفة ما في هذا الجدول

	١٩١٥ - ١٩١٦	١٩١٤ - ١٩١٥
الذرة الشامية	١٧٨٢ ٥٥٤	١٨٣٧ ٥١٦
القطن	١٦٥٥ ٥١٢	١١٨٦ ٠٠٤
القمح	١٣٩٤ ٠٨٤	١٥٣٣ ٨٠١
البرسيم	١١٨٧ ٠١٣	١٣١٨ ٣٣٧
الفول	٠٥٠٢ ٨١٢	٠٦٢٣ ٣٢١
الشعير	٠٤٢٢ ٧٦٥	٠٤٤٥ ٦٤٣
الذرة البلدية	٠٢٣٣ ٧٢٥	٠٢٧٦ ١٩٤
الرز	٠١٤٤ ٨٠٧	٠٣١٨ ٨٠٨
العدس	٠٠٦٢ ٣٣٦	٠٠٦٣ ٤٠٧
الحلبة	٠٠٥٧ ٣٧٨	٠٠٤٨ ٤٥٩
قصب السكر	٠٠٥٩ ٣٢٤	٠٠٥٢ ١٨١
البصل	٠ ٢٩ ٦٨٩	٠٠٢٣ ٣٦٠
بقية الاصناف	٠١٧٨ ٢٢	٠١٦٤ ٥٤١
المجموع	٠٧١٥ ١٦٨	٧٨٩١ ٥٧٢

وعليهِ فما زرع مرتين من اطيان القطر لا يزيد على ثلاثة اخماسها لان اكثر الصعيد لا يزرع الا مرة واحدة في السنة وكذلك اكثر الاطيان التي تزرع قطناً لا تزرع زراعة اخرى في سنة القطن

نفق تحت المانش

بحث الانكليز والفرنسويون غير مرة قبل هذه الحرب في فتح نفق تحت الخليج

الانكليزي الذي يسميهِ الفرنسويون خليج المانش تمدّ فيهِ سكة الحديد فتتصل انكلترا وفرنسا برًّا وباتصالها تسهل حركة الاخذ والعطاء بينهما. ولكن كثيرين من ساسة الانكليز وعلمائهم قاوموا هذا المشروع بدعوى انهُ اذا انتفعت انكلترا بالنفق تجاريًّا في زمن السلم عاد عليها بالضرر اذا طرأ طارئ افضى الى نشوب الحرب بين الانكليز والفرنسويين. على ان هذه الحرب التي رأت انكلترا وفرنسا حليفتين اعادت الى الاذهان مسألة حفر النفق ولاسيما ان الآراء فيهما تكاد تجمع على ان محالفتهما ستبقى ما بقيتا لدرء الخطر الجرماني عنهما. ولو ان النفق كان موجوداً لمّا شهرت الحرب لسهل نقل الجنود والمهمات من انكلترا الى فرنسا. وقد اطلعنا في السينتفك اميركان على فقرة وجيزة قالت فيها:

«تدلّ الدلائل على ان من اوائل الاعمال الهندسية التي ستعمل بعد الحرب حفر نفق بين دوفر وكاليه في طبقة الارض الكلسية التي بينهما تحت الماء. فقد ادب رئيس لجنة النفق في مجلس النواب الانكليزي مأدبة قال فيها ان كل رجل في فرنسا يميل الى حفر هذه النفق وان الحكومتين الانكليزية والفرنسوية اتفقتا سنة ١٨٧٤ على حفرهِ وكادتا توقعان على معاهدة بينهما. وسبرغور البحر في الوف من الاماكن وحفر نفق طولهُ الفا يرد على سبيل التجربة ثم عدل عن العمل لاسباب كثيرة

وتلاهُ السر فرنسيس فوكس فقال ان الاعتراض الحربي على حفر هذا النفق مبنيٌّ على الخوف من غزوة انكلترا بطريقهِ. ولكن يمكن تسكين هذا الخوف بحفر النفق على شكل يمكّن الانكليز من اطلاق البحر عليهِ عند توقع الخطر

اكبر الطرادات واسرعها

عزمت الحكومة الاميركية ان تبني طرادات كبيرة من طرادات القتال تكون اكبر جدًّا من كل ما بني من نوعها حتى الآن وتجمع فيها كل ما دلّت الحرب الحاضرة على انهُ ضروري للفوز في الحروب البحرية فتجعل سرعتها ٣٥ ميلاً بحريًّا في الساعة اي ٤٠ ميلاً ارضيًّا فتكون اسرع من اسرع طراد من طرادات القتال بخمسة اميال بحرية في الساعة ويكون طول الطراد منها ٨٠٠ الى ٩٠٠ قدم (واطول طراد الآن طولهُ ٦٧٥ قدماً) وتفريغهُ ٤٠٠٠٠ طن وتكون قوة آلاتهِ البخارية ١٧٥ الف حصان (واكبر طراد من طرادات القتال لا تزيد قوة آلاتهِ البخارية على ٨٠ الف حصان). ويكون الطراد مسلحًا بثمانية مدافع من عيار ١٦ بوصة وطول كلٍّ منها ٧٢ قدماً فيكون اقوى المدافع التي صنعها الناس حتى الآن

فان ثقل قنبلتهِ ٢٤٠٠ رطل وسرعتها ٢٦٠٠ قدم في الثانية ويمكن ان تصل الى بعد ١٧ ميلاً . ويؤكد الذي رسم هذا المدفع انهُ اذا كانت بارجة العدو على ١٤ ميلاً سهلت اصابتها بكل قنبلة تطلق عليها بعد ما يعلم بعدها تماماً

والاسطول من هذه الطرادات يستطيع ان يختار البعد الذي يريدهُ عن بوارج العدو ويطلق عليها من هذه المدافع التي لا تبقي منها ولا تذر

قمح عجيب

شاع في اميركا وذاع خبر قمح عجيب يغلّ اضعافهِ واغتنم المحتالون فرصة شيوع هذه الاكذوبة فسطوا على عقول السذج والبسطاء وباعوهم من هذا القمح باثمان فاحشة . وعلى اثر ذلك اصدرت وزارة الزراعة الاميركية نشرة وصفت فيها صنفين من هذا القمح . اولهما صنف سماهُ بائعوهُ قمح ألاسكا . والمرجح انهُ أُتي بهِ منها في اوائل وصول البيض اليها وكان يسمى حينئذٍ اي حوالي سنة ١٨٠٧ قمح اورشليم ولهُ سنبلة مشعّبة فقال بائعوهُ ان هذا التشعب علامة على انهُ يأتي بغلة كبيرة من عشرين اردبًا الى اربعين في كل فدان . وسماهُ غيرهم القمح المصري او قمح العجائب او قمح المومياء . ووصفهُ آخرون بان عمرهُ ثلاثة آلاف سنة وقالوا انهُ خرج من بعض حبوب وجدت في ناووس مصريّ عمرهُ بين ٣ و ٤ آلاف سنة . وكثر الاعلان عنهُ سنة ١٩٠٨ ايام تناقل الناس اشاعة فحواها ان فلاَّحًا من ولاية ايداهو اخرج بعد تجارب طويلة صنفًا من القمح يرى السنبلة فيهِ وحولها سنابل اخرى ومعنى ذلك انهُ يخرج عشرة اضعاف ما يخرجهُ القمح عادة . وما كاد هذا الاعلان ينشر حتى حاكمت الحكومة صاحبهُ على الغش والتدليس ولكن ذلك لم يثن الناس عنهُ فعرض جهاراً في معرض بناما والباسيفيك

اما الصنف الآخر فقمح احمر لين من الاصناف الشتوية . وقد ادخل الى اميركا منذ عشر سنوات باسم قمح العجيبة فجربتهُ وزارة الزراعة لتتحقق ما نسب اليهِ مما ليس لغيرهِ فظهر لها بطلان هذه النسبة وافك مروّجيها

الفباء جديدة للغة الصينية

اللغة الصينية اصعب لغات الناس تعلماً حتى لقد نقل عن بعض علماء الفرنجة قولهُ لو كان لي قلب من حديد ورئتان من نحاس فلا يبلى ولا تبليان ما اتقنت اللغة الصينية الاتقان الذي يعصمني من الخطإِ في مواطنهِ وكثير ما هي . وقد عنّ لبعضهم ان يخترع حروفًا هجائية جديدة لقراءة هذه اللغة

ويعلمها لبعض الطلبة في مدرسة انشئت منذ بضعة اشهر في مدينة شنغاي الصينية لهذه الغاية. وقد جاء في بعض الانباء ان الطلبة المشار اليهم اعطوا شهادات باتقانهم قراءة اللغة الصينية بالحروف الجديدة وكان اعطاؤهم اياها بحضور وزير المعارف ووكيله فاعطي كل تلميذ قرطاساً كتب عليهِ بعض المسائل بالحروف الجديدة وناولهُ لآخر ليجاوب عليها وجلس كلٌّ منهم في مكان بعيد عن صاحبهِ . ولما تم امتحانهم هذا املى الوزير بعض مسائل باللغة الصينية فاجابوا عليها بسرعة وحذق ادهشا الحضور . وقال ناظر المدرسة في ختام الحفلة ان الطلبة يمكنهم ان يتراسلوا بهذه الحروف الجديدة بعد درسها اربعة اشهر فقط

رؤية النجوم نهاراً

من الخرافات الشائعة امكان رؤية النجوم في رائعة النهار بالنزول الى قعر بئر عميقة . ويقول العامة في بعض جهات الشام ما معناهُ ضربهُ كفاً فأراهُ النجوم وقت الظهر . وهذه الخرافة كثيرة الشيوع ولعل سبب شيوعها ذكر ارسطو لها في بعض كتبهِ وقد كان المرجع الاخير في هذه المسائل واشباهها قروناً عديدة . على ان العلماء المحدثين بحثوا في هذه النظرية لتحقق صحتها واول الباحثين فيها همبلت العالم الالماني المشهور فانهُ اقام مدة طويلة في اعماق المناجم وسأل كثيرين من المعدّنين في جميع انحاء الارض فلم يرَ كوكباً في النهار ولا سمع ان احداً رآهُ . وكتب كاتب انكليزي مقالة في جورنال الجمعية الفلكية الانكليزية حديثاً اثبت فيها بطلان هذه الرؤية بقولهِ ان عدم رؤية النجوم نهاراً ناشئ عن شدة لمعان الشمس وليس هناك ما يحمل على الظنّ ان الوقوف في قعر مكان عميق يخفف كثيراً من ذلك اللمعان . الاَّ الزهرة فانها ترى كثيراً في النهار وقد رأيناها كذلك مراراً

عمر الارض

يقدر العلماء عمر الارض بطريقتين الواحدة مبنيَّة على اشعاع القوة منها والثانية على الحوادث الجيولوجية التي حدثت فيها فالطريقة الاولى تدل على انهُ مضى على الارض من حين تكوَّنت صخورها النارية الاولى المتبلورة الى الآن ١٥٠٠ مليون سنة ولكن هذه الصخور تدلُّ على انها تكونت من صخور رسوبية او بركانية كانت قبلها ولذلك فعمر الارض اكثر جدًّا من ١٥٠٠ مليون سنة . والطريقة الثانية مبنيَّة على رسوب الصخور وتجمع الملح في البحر وهي تدل على ان الارض احدث من ذلك كثيراً لا يتجاوز عمرها ٤٠٠ مليون سنة . ولكن اشعاع القوة متوقف على سرعة انحلال عنصر الاورانيوم

فاذا ثبت ان سرعة انحلاله تتوقف على الزمن والضغط والحرارة فلا تؤخذ سرعتهُ الآن مقياساً لما حدث في الزمن الغابر . وسواء ثبت المقياس الطبيعي او الجيولوجي فالارض قديمة جدًّا يقاس عمرها بمئات الملايين من السنين ولعلها من احدث كواكب السماء عمراً

مدينة نيويورك

نيو يورك اعظم مدينة امرئيلية واعظم مدينة ارلندية وفيها ٧٢٣ ٣٣٣ المانيًّا و٤٢٢ ٣٠٦ نمسويًّا و٤٧٧ ٧٣٥ روسيًّا ويبلغ عدد الاسرائيليين فيها مليونًا

ويبلغ طول الانابيب الممدودة تحتها ٣٠٨٧ ميلاً وسعة خزاناتها ١٧٠ الف مليون غالون

وفي كل يوم يأتيها ويغادرها ٢٩٠ الف نفس بطريق سكة الحديد . وطول سكك الحديد التي تنتهي اليها ٣٢٣ ٤٥ ميلاً او هي ١٨ في المئة من مجموع طول سكك الحديد في الولايات المتحدة كلها

وفي كل نصف ساعة تتألف فيها شركة جديدة وفي كل ثلاثة ارباع الساعة تنحل شركة

وفي كل اربع دقائق يولد فيها طفل وقد بلغ عدد مواليدها ١٥٠ الفًا في السنة الماضية

وفيها ٣٨ الف معمل رأس مالها ١٨٠٠ مليون ريال وتخرج من البضاعة كل سنة ما قيمتهُ ٢٩٠٠ مليون ريال

ويركب مركبات الترام والمركبات العادية والاوتوموبيلات فيها كل يوم نحو خمسة ملايين نسمة

وفيها ١٩٨ حديقة عمومية مساحتها ٨٦١٥ فدانًا و ١٥٠٠ فندق و٣١ مكتبًا للبريد

الملح بدل مضادات الفساد

ليس من يجهل اسم اللورد لستر والانقلاب العظيم الذي احدثهُ في فن الجراحة فانهُ اول من استعمل (سنة ١٨٦٥) مضادات الفساد كالحامض الكربوليك لغسل الجروح الناشئة عن العوارض التي يتعرض لها كل انسان وعن العمليات الجراحية فمنع بذلك تطرق الفساد اليها او اوقفهُ عند حدهِ ان كانت مكروباتهُ قد اتصلت بها . وقد نشرت مجلة اللانست الطبية المشهورة مقالة عن معالجة الجرحى في معركة جتلند البحرية اطرت فيها السر المروث ريط على معالجة الجروح لا بمضادات الفساد بل بغسلها بماء ملحي . فان هذا الماء يطهر ثنايا الجروح بغسل ما فيها من اسباب الفساد ويساعد على خروج اللمفا من الدم فتحمل من الجرح اسباب الفساد هذه

قالت مجلة نانشر في ذلك « وهذا

الاكتشاف نتيجة بحث علمي طويل وقد جاء بنتائج عجيبة في هذه الحرب فاصبح للسر المروث ريط بهِ دَين على امتهِ اعظم من ديونها الماضية . ولكننا ونحن نطري عملهُ هذا لا نحقر عمل اللورد لستر فان لستر مكننا من منع فساد الجروح باكتشافهِ العظيم الذي اكتشفه فحق لهُ على العالم دين من الشكر يدوم ابد الدهر »

البكتيريا في الشكولاتا

اراد احد الكيماويين ان يعلم هل الشكولاتا تربة صالحة لنمو بعض الجراثيم المرضية فعقم مزيجاً منها ومن السكر واللبن ثم لقحهُ بمكروبات التيفويد والسل وشهقة الاطفال وتركهُ في مكان حرارتهُ ٦٨ بميزان فارنهيت (٢٠ سنتغراد) ثم فحص اجزاء منهُ في مدد معلومة فوجد ان الذي لقح بمكروبات الشهقة زالت منهُ هذه المكروبات بعد التلقيح ببضع ساعات فاستنتج من هذا ان لا خوف من انتقال عدوى الشهقة بواسطة الشكولاتا اذا كانت مكروباتها موجودة في المعمل الذي صنعت الشكولاتا فيهِ . اما قطع الشكولاتا التي لقحت بمكروبات السل فكانت محلاً للشك ولكن يظهر ان المكروب لا يعيش فيها مدة طويلة . واما القطع التي لقحت بمكروبات التيفويد فبقيت المكروبات حية فيها مدة طويلة . وعليهِ حكم بان مكروب الحمى التيفويدية ينتقل بالشكولاتا اذا كان المعمل الذي صنعت فيهِ ملوثاً بهِ . وهذه هي الحال ايضاً في المكروبات التي تصيب القولون كمكروبات الدوسنطاريا مثلاً

المنفحة

قلَّت المنفحة في كندا بسبب الحرب وذلك انهم كانوا يستخرجونها قبل الحرب من معد العجول الواردة من اوربا فانقطع هذا الوارد بعد الحرب فقامت مصلحة الزراعة في كندا تهتم بالامر واصدرت المنشورات بوجوب الاقتصاد في معد العجول (كروشها) واقلال بيعها في الاسواق حرصاً على صناعة الجبن ان تفقد من البلاد . ولم تكتف بذلك بل جربت التجارب في بعض معامل الجبن قصد الاهتداء الى مادة تقوم مقام هذه المنفحة فوجدت ان الببسين يقوم مقامها وان ما كان منهُ بشكل قشور خير من المسحوق . وكيفية التجبين بهِ ان يحل جزء منهُ بماء دون درجة الغليان او فوقها بقليل . واربع اواقي تكفي لتجبين الف رطل من اللبن . وقد ظهر من هذه التجارب ان المنفحة افضل من الببسين بقليل ولكن ثمن المنفحة ضعفا ثمن الببسين

خوذة الجيش الانكليزي

وصف الدكتور صليبي هذه الخوذة في جريدة الديلي كرونكل فقال انها طبقتان

الداخلة منها من اللبد اللين المبطن والخارجة من الصلب (الفولاذ) وبينها ازرار من الكاوتشوك ليبقى مجال لمرور الهواء. والصلب المستعمل هو الصلب المغنيسي الذي اكتشفهُ السر روبرت هدفيلد منذ نحو عشرين سنة وثقل الخوذة كلها رطلان ويقال ان الرصاص لا يخرقها اذا اطلق عليها من مسدَّس على خمسة امتار وكذلك الرصاص الرشاش لا يخرقها ابداً ولو وصل اليها بسرعة ٧٥٠ قدماً في الثانية ولها زناق تمكَّن بهِ تحت الذقن وحرفها مدملك لكي لا تؤْذي احداً . ومن رأي الدكتور صليبي انهُ يحسن ان توضع صفائح الصلب على ثياب الجنود فوق كل الاعضاء الرئيسة من الجسم وقاية لها فيعود الناس الى لبس الدروع كما كانوا في الزمن القديم

بلونات فوق تسبلن

وصف اللورد مونتاغو اوف بوليو البلونات الجديدة التي بنتها المانيا وهي من طرز يفوق طرز تسبلن المعروف فقال ان سعة الواحد منها مليونا قدم مكعبة وهو على ما يقال يحمل نحو ٦٠ طنًّا وطولهُ ٧٨٠ قدماً وسرعتهُ ٦٥ ميلاً في الساعة وقوة آلتهِ البخارية ١٥٠٠ حصان . قال والظاهر ان هذه البلونات مراداة للهجوم لا للاستطلاع وهذا ما يحدونا على جعل وسائل مقاومتها اعظم ما نستطيع . فان بلوناً يرتفع الى علو عشرة آلاف قدم ويسير بسرعة ٦٠ ميلاً في الساعة تصعب اصابتهُ جدًّا في الليالي الحالكة فلا عجب اذا لم يصب من هذه البلونات الأعدد قليل حتى الآن » . وقد ورد بعد ذلك ان الالمان حملوا ببلوناتهم على انكلترا فاصيب منها اثنان احترق احدهما وقتل ركابهُ وتلف الآخر ووقع على الارض

سائل لمقاومة النار

صنع في جامعة ايوى في اميركا سائل اذا طلي بهِ الخشب والثياب والورق وسائر المواد السريعة الاشتعال لم تؤَثر النار فيها . ولما ارادوا امتحانهُ اخذوا قطعة خشب وبلَّوها بهِ ونشفوها ثم حوَّلوا عليها النار الحامية المعروفة بنار بنصن (وهي اعظم من النار العادية بمقدار ٧٠٠ الى ١٠٠٠ درجة فارنهيت) مدة ساعة فتحول قليل منها فحماً حيث مسته النار واكلت النار ما سمكهُ $\frac{٥}{١٦}$ من البوصة في حين ان قطعة خشب عادية حرقتها هذه النار في تسع دقائق فقط وحولتها رماداً . وظهر من التجارب انهُ لا ماء المطر ولا الماء الجاري ولا الحرّ ولا البرد ولا ظاهرة اخرى من الظواهر الجوية تؤَثر اقل تأثير في المواد المطلية بهذا السائل او في السائل الذي عليها . ولكن حرارة النار تشتد في الحرائق الكبيرة الى اكثر من الف درجة بميزان سنتغراد

قطن سنة ١٩١٤ و ١٩١٥

بلغ وزن القطن المصري الذي حلج ووضع في بالات من اول سبتمبر سنة ١٩١٤ الى آخر اغسطس سنة ١٩١٥ ٦٣١١٦١٨ قنطاراً ووزن القطن الذي حلج ووضع في بالات من اول سبتمبر سنة ١٩١٥ الى آخر اغسطس سنة ١٩١٦ ٥٢٩٢٧٤٠ قنطاراً وبلغ القطن الذي صدر من القطر المصري من اول سبتمبر سنة ١٩١٤ الى آخر أغسطس سنة ١٩١٥ ٦٣٢٠٠٣٨ قنطاراً والقطن الذي صدر من اول سبتمبر سنة ١٩١٥ الى آخر اغسطس سنة ١٩١٦ ٥٤٧٦٥٣٤ قنطاراً

وبلغ ثمن المحصول الاول من القطن والبزرة ١٧٨١٨١٩٤ جنيهاً وثمن المحصول الثاني من القطن والبزرة ٢٠٤٣٣٧٢٣ جنيهاً

مقاومة الجرذان

ظهر من البحث والاستقراء الطويل ان الطاعون كثيراً ما انتقل الى اوربا من الشرق بواسطة البواخر الماخرة بينهما . فانها تقل مع الركاب والبضاعة جرذاناً ملوثة بالطاعون فاذا رست في المرافئ الاوربية نزلت الجرذان منها الى البر ونقلت مكروب الطاعون اليهِ . وقد احتاطوا لذلك في ميناء نيو اورليانس باميركا بان اصدرت الحكومة امراً الى جميع البواخر القادمة من البلاد الحارة بان ترسو على بعد ٢٠ قدماً من الرصيف وبان تدخل في حبال المرامي دوائر من الحديد المصقول قطر الواحدة منها ١٨ بوصة فاذا بلغتها الجرذان وهي تقصد البرّ من الباخرة وقفت عندها ولم تستطع مجاوزتها

النار اليونانية

يقال ان اول مَن ركَّب النار اليونانية رجل من اهالي بعلبك وقد ركَّبها من النفط والزفت والقلفونة والكبريت ثم اهمل استعمالها بعد استنباط البنادق ولكن الالمان عادوا الى استعمالها الآن في سوائلهم النارية لا لانها افتك من قنابل المدافع بل لانها ترهب من يراها آتية اليهِ ولانهُ يسهل استعمالها في حرب الخنادق لا في غيرها اذ لا يستطاع رميها الى اكثر من خمسين متراً ولكن متى أُخرج الالمان من خنادقهم تعذر عليهم استعمالها بعد . ولو رأى الاقدمون منها فائدة تذكر لما اهملوها

نور الحباحب

لا يزال العلماء يجهلون ماهية المادة المنيرة في الحباحب وكلُّ ما يعلمونهُ عنها بالتحليل انها مركبة من ماء واكسجين وحبوب منيرة ويقولون ان لا بدَّ ان يكون هناك

شيء رابع يجهلونهُ . اما العامة فيقولون ان هذا المجهول جنيّ ينير مصباح الحباحب بمثل كن فيكون . وقد استخرج بعضهم هذه الحبوب المنيرة من الحباحب وجففها وسحقها واضاف اليها ماء يحتوي اكسجيناً فظهرت صفراء لامعة كالذهب من غير مشيئة الحباحب او سحر الجن

مناجم جديدة الماس

شاع انهُ اكتشفت في الترنسفال مناجم جديدة للماس على بعد ١٦ ميلاً من المنجم الذي وجدت فيه ماسة « برمير » المشهورة فاقبل الحفارون افواجاً على ذلك المكان يستأجرون بقعاً للحفر . وقد قسم احد الملاك ارضهُ الى قطع طول الواحدة ٢٠ قدماً وعرضها ١٥ واجرها بجنيهين في الشهر . وجاء في احدى الصحف التي تطبع في بريتوريا ان رجلاً استخرج ٣١ ماسة في تصو يلتين للتراب وان مساحة ما أُجّر من الارض حتى الآن ٤٠ فداناً

مدى صوت المدافع

قال احد الباحثين ان صوت المدافع في معركة وترلو (التي جرت بين بونابرت والجيوش المتحالفة) سمع في مقاطعة كنت بانكلترا والمسافة بينهما ١٤٠ ميلاً . وان صوتها في الاستعراض البحري الكبير الذي اقيم احتفالاً بيوبيل الملكة فكتوريا الماضي سمع الى بعد ١٣٥ ميلاً وصوتها في جنازتها سمع الى مدى ١٣٩ ميلاً . والظاهر ان صوت المدافع الآن لا يسمع الى ابعد من ١٤٠ ميلاً

المدافع المقاومة للطيارات

ثبت الآن ان الطيارات والبلونات صارت من آلات القتال التي لا يستغنى عنها كالمدافع والبوارج والغواصات . ولذلك عزم الاميركيون ان ينصبوا في كل بارجة من بوارجهم مدفعين من المدافع التي تطلق على الطيارات وسينصبون هذه المدافع فوق ابراج المدافع الكبرى . وهي صغيرة قطر فوهة كلٍّ منها ثلاث بوصات فقط ولكنها سريعة جدًّا وترسل قنابلها الى مدًى بعيد

بناء السفن في اليابان

ليس بين مصنوعات البشر ما هو اعظم واعجب من البوارج والسفن التجارية الكبيرة لكثرة ما تقتضيهِ من الدقة العلمية والصناعية وكثرة المواد التي تدخل في بنائها وكبرها ومع ذلك فقد برَّز اليابانيون في هذا المضمار وبنوا اكثر سفنهم الحربية والتجارية ويقدَّر محمول ما يبنونهُ منها هذه السنة بمئة وستين الف طن وعندهم الآن طلبات لا يستطيعون اتمامها في اقل من سنتين

الثلج في المريخ

ظهر للمسيو انطونيادي الفلكي المشهور ان الثلج في قطبي المريخ يذوب ببطء في السنين التي تقلُّ فيها كلف الشمس ويذوب بسرعة في السنين التي تكثر الكلف فيها . وهذا يؤَيد رأي ابوت وغيرهِ من علماء الفلك من ان اشعاع الشمس لحرارتها يكون على اشدهِ والكلف على اعظمها . والمريخ اشدّ تأثراً بذلك من الارض للطافة جوّهِ بالنسبة الى جوّها

آلات حفر الخنادق

استنبط البلجيكيون آلة لحفر الترع والمصارف فاخذها الالمان واستعملوها لحفر الخنادق وهي تحفر في الساعة ستين متراً مكعباً من التراب . واذا كانت الارض سهلة حفرت فيها ما طولهُ مئة متر كل ساعة او ما لا يستطيع حفرهُ في الساعة الأ مئتا رجل . فعسى ان يهتم احد بجلبها الى هذا القطر بعد انقضاء الحرب لحفر الترع والمصارف

اقتران المشتري بالزهرة

شاهد كثيرون من اهل هذه العاصمة في الربيع الماضي كوكبين لامعين يتلألآن في الافق عند الغسق و يتدانيان حتى باتا على قيد فتر في الظاهر ثم اخذا يتباعدان حتى صار بينهما بعد ما بين المشرق والمغرب . فهذان الكوكبان هما السياران المشتري والزهرة . والفلكيون يسمون هذا التداني بينهما اقتراناً . واقترانهما هذا يتمُّ كل خمس عشرة سنة الى عشرين سنة على التعديل

سنتغراد وفارنهيت في اميركا

كان مجمع العلوم الوطني في اميركا قد انتدب لجنة لابداء رأيها في مشروع قانون معروض على مجلس الامة وفحواهُ وجوب اتخاذ مقياس الحرارة الذي لسنتغراد مكان مقياس فارنهيت والاستغناء عن الثاني تمام الاستغناء في دوائر الحكومة . فوافقت اللجنة المشار اليها على هذا المشروع بعد تعديل طفيف

الزهرة هلالاً

بحث احد الفلكيين في هل رئيت الزهرة هلالاً بالعين المجردة في العصور الماضية فذهب الى ان اهل بابل واشور لا بدَّ ان يكونوا قد رأَوها هلالاً بدليل اشارة فلكييهم في كتبهم الى « قرني الزهرة » . وعندنا ان الانسان لا يستطيع ان يرى الزهرة هلالاً من غير نظارة وان قرني الزهرة يشيران الى ظهور الزهرة مرة في وسط هلال القمر فتبين كأَن طرفيهِ قرنان لها

ظاهرة فلكية نادرة

في فجر ٢٥ اغسطس الماضي وقع القمر وهو في المحاق بين الارض وزحل فحجبهُ عن الابصار مدة قصيرة ولم ترَ هذه الظاهرة التي هي احق ان تسمَّى بالكسوف او الخسوف السياري الاَّ في بعض انحاء الولايات المتحدة الاميركية وكان زحل قد كسف فيها قبل هذه المرة في صيف سنة ١٩٠٠ والمريخ في اوائل سنة ١٩١٢

الهنود الاميركيون

كان عدد الهنود الاميركيين في الولايات المتحدة الاميركية وشمالها لاول عهد البيض بها اي منذ اواخر القرن الخامس عشر او اوائل السادس عشر نحو ١١٤٠٠٠٠ نفس منهم ٨٦٠ الفاً في الولايات المتحدة وحدها فهبط عددهم الآن الى ثلثهِ بسبب الامراض والمجاعات والحروب على اثر دخول البيض الى اميركا

غرائب الاعلانات

من اغرب طرق التجار في الاعلان عن بضاعتهم ما فعلت ولاية تنيسي الاميركية في الاعلان عن الفحم الحجري الذي يخرج منها فانها بنت منذ بضع سنوات بيتاً كبيراً حجارتهُ من فحمها ولا يزال قائماً الى هذا اليوم لم ينقض فيهِ حجر ولا ازالت تقلب الفصول عليهِ شيئاً من رونقهِ

العمل والتعب

بعث السر لودر برنتن الطبيب الانكليزي الشهير بكتاب الى مجلة « اللانست » الطبية اشار فيهِ الى بعض تجارب جُربت منذ سنين لبيان علاقة التعب بطول العمل وخلاصتها ان بعض العمال في كندا شُغِلوا بضعة اسابيع بلا راحة وعادوا فشغلوا ستة ايام في الاسبوع ثم أُريحوا في اليوم السابع فظهر ان مقدار العمل الذي كان الواحد منهم يعملهُ في سبعة من ايام العمل التي بلا راحة مساوٍ لما كان يعمل في الستة الايام التي كان يعقبها يوم راحة

الورق في اميركا

جاء في احصاء ان معامل الورق في الولايات المتحدة الاميركية تصنع كل يوم منهُ ما وزنهُ ١٥ الف طنٍ منها ٧٫٨ في المئة تصنع من الخرق و ٢١٫٤ في المئة من ورق الصحف والمجلات والكتب القديمة والباقي من الخشب . وقد قامت صحف اميركا تنصح للجمهور بعدم اتلاف الخرق والورق القديم وبالمحافظة عليها لعمل الورق منها فان في ذلك توفيراً لخشب الغابات في هذا الزمان الذي تناولت ازمة الورق فيهِ البلاد الاميركية فغلا ثمنهُ واشتد طلبهُ

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والاربعين

صفحة



احسن دواء يصفه الاطباء

للمصابين بالروماتزم والنقرس

والاوجاع المفصلية

هو

بيبرازين ميدي

Pipérazine MIDY

لانه اقوى دواء يذيب الحامض

البوليك

ويسهل احتماله على متعاطيه

يطلب من كل صيدليات العالم


لارولا
BEETHAMS
la-rola
خير ما صنع لحفظ نضارة الشباب وحسنهِ وليس بين مواد
النظرية المستعملة في التوالت ما يعادل لارولا في حفظ لون البشرة
الصحي ونعومتها ووقايتها من فعل الشمس والهواء والماء القاسي
فانها تمنع الخشونة والاحمرار والقشف وتكسب الجلد ليناً ونعومة
وتحفظهُ سليماً على الدوام
اشترِ زجاجة من الاجزاخانة اليوم تجد فيها ما يسرك
تطلب لارولا من جميع الاجزاخانات والمخازن او من اصحابها وهم
بيثام وولده بشلتنهام في انكلترا وهذا اسمهم وعنوانهم
بالانكليزية M. Beetham & Son, Cheltenham,
England.

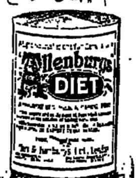
Helpful Advice to Nursing Mothers

نصيحة للامهات المراضع

كم ام تريد ارضاع اطفالها ولا تستطيع ذلك لقلة لبنها ولكن طريقة الينبريس العلمية لاطعام الاطفال كفتها هذه المؤونة · فاذا كانت الام تستطيع ارضاع طفلها بعض الشيء فلتعطهِ من طعام اللبن نمرة ١ مرة ولترضعهُ مرة بالتبادل لما بين الطعامين الطبيعي والصناعي من الشبه · ولتستمر على ذلك حتى تمام دور الفطام · ويجب ان يكون غذاء الام نفسها كافياً وعليهِ لتأخذ من طعام الينبريس وهو مؤلف من لبن سهل الهضم ودقيق الحنطة يستعمل مثل طعام اللبن نمرة ١ باضافة ماء مغلي اليهِ فقط · وهذا الطعام يساعدها كثيراً بعد الولادة على حفظ قوتها وغزارة لبنها

The 'Allenburys' Foods

طعام الينبريس للمراضع



طعام الينبريس للاطفال



طعام اللبن نمرة ١
من الولادة الى سن ٣ اشهر

طعام اللبن نمرة ٢
من سن ٣ اشهر الى ٦

الطعام بالمولت نمرة ٣
من سن ٦ اشهر فصاعداً

بسكوت الينبريس بالمولت من ١٠ اشهر فصاعداً

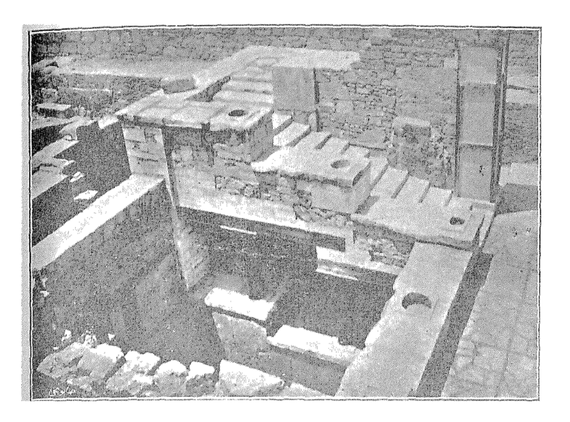
زجاجة الينبريس احسن زجاجة لاطعام الاطفال لسهولة تنظيفها

تصنع اطعمة الينبريس بالالات فلا تمسها الايدي

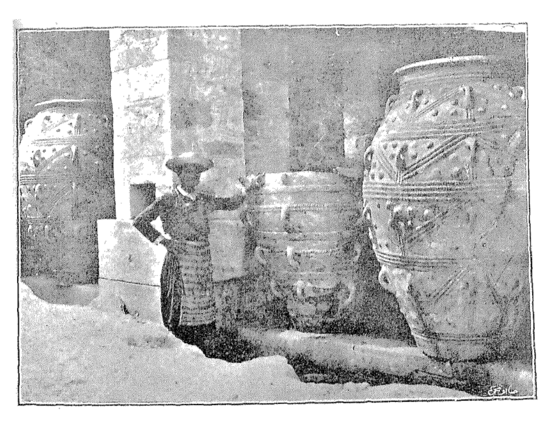
اطلب كتاب اطعام الاطفال وتدبيرهم يرسل اليك مجاناً وفيه معلومات مفيدة لكل ام وهذا عنواننا

Allen & Hanburys Ltd., London, England.

A.D. 1715. Established 200 Years, A.D. 1915.



صورة قسم من خرائب قصر غنوسس (كريت)



صورة خوابي زيت وجدت في خرائب قصر غنوسس

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد التاسع والاربعين

١ نوفمبر (تشرين ثانٍ) سنة ١٩١٦ — الموافق ٥ محرم سنة ١٣٣٥

اصل العمران الاوربي

من خطبة الرياسة للسر ارثر افانس استاذ علم العاديات (الاركيولوجيا) في جامعة اكسفرد وهي الخطبة التي القاها في مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي عقد في نيوكسل في شهر اغسطس الماضي

علم العاديّات (الاركيولوجيا) يتوقف على ما يُكتَشف من آثار الانسان وهو من حيث المبادئ التي يستند اليها مثل علم الجيولوجيا (اي علم طبقات الارض) حتى لا يكاد يمتاز عنهُ . ففي علم الجيولوجيا يرى الجيولوجي ما في هذه الطبقات من آثار الحيوان والنبات ويبني عليها احكامهُ من حيث اقليم الارض واحوالها الطبيعية في العصور الغابرة ويتتبع تغيراتها وتقلباتها . وهذا شأن الباحث في علم العاديات او آثار الانسان قبلما صار يكتب تاريخهُ

ففي مصر وبابل وايران القديمة وصحاري اواسط اسيا والبلاد المجاورة لبحر سفيد (ايجه) كشف اهل النقب في طبقات الآكام وما بقي من انقاض المدن والمدافن ما استنتجوا منهُ مقوّمات عمران قديم لم يكن احدٌ يعلم عنهُ شيئاً فضلاً عن آثار باقية من العصر الرباعي الحديث التي سابسط الكلام عليها . وزاد علم العاديات على ذلك ان قام مقام الشهود العدول في تزكية التاريخ المكتتب او تصحيحهِ والاضافة اليهِ وردّ علينا ما فقدناهُ في دياجي العصور الغابرة

وقد تمكّن علماء العاديات بمساعدة رصفائهم علماء الجيولوجيا والبليئتولوجيا (علم المتحجرات) من اكتشاف الشيء الكثير من المواد التي بيّنت كيف نشأَت الصناعات والادوات وتدرّجت في سلّم الارتقاء واثبتت ان نشأتها قديمة جدًّا اقدم مما كان يُظَن

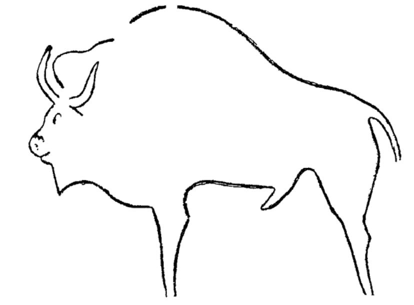
فقد زيد على ما اكتُشف قبلاً من منحوتات الانسان في عصر الرنة[1] تماثيل من الصلصال تمثل حيوان البَيسون[1] في حجمهِ الطبيعي وجدت في كهف توك دودوبَر ونقوش بارزة تمثل ستة افراس منقوشة في الصخر الكلسي المُطِف على راس بلانك وصور كثيرة على جدران الكهوف والمغاور

وقد دهش الناس باكتشاف العالِم الاسباني السنيور ده سوتولا او بالحري اكتشاف ابنتهِ اصور قديمة في جبال البرنيس وذلك منذ سنة ١٨٧٨ حتى انهم لم يثقوا بصحتها لغرابتها الأ بعد ما كُشف ما يماثلها في الجانب الفرنسوي من تلك الجبال في بداءة هذا القرن · وهذه الصور كلها تدلُّ على مهارة فائقة في رسم الاشكال الطبيعية والتصرُّف في اوضاعها · ومدادها المغرة الحمراء والصفراء وبعض حدودها مرسوم بالفحم وقد وجدت الهواوين التي سحقت فيها تلك الاصباغ والصحاف التي ليقت عليها · وتجد في صورة الحيوان الواحد ان لونهُ يتدرج من الاسود الى الرمادي فالاسمر الى البرتقالي اللامع ويفتح اللون احياناً بحكهِ او بغسلهِ وتُظهَر الحدود والتفاصيل بخطوط بيضاء تضاف الى الصورة الاصلية · واذا وجد المصور بروزاً في الصخر استخدمهُ لاظهار بروز في الصورة على درجة فائقة من المهارة · واغرب ما في ذلك ان بعض هذه الصور الملونة التي تمثّل البيسون واقفاً او رابضاً على اوضاع مختلفة وجدت مرسومة على سقوف الكهوف الداخلية حيث لا يصل نور النهار مطلقاً وليس هناك اثر للدخان ليقال ان الذين صوروا تلك الصور كانوا يستضيئون بالمشاعيل فلا شبهة في ان صناعة عمَل الاضواء كانت قد اتقنت كثيراً · ونعلم الآن انهم كانوا في ذلك العصر يصنعون سرجاً متقنة من الحجر ويزينونها بحفر رؤُوس الثياتل[2] فيها

هكذا كانت حالة ما وصل اليهِ الانسان من صناعة النقش والتصوير في الجنوب الغربي من اوربا قبل كل ما كُشف حتى الآن من اقدم آثار مصر وبابل بعشرة آلاف سنة على اقل تقدير · وهذا ليس كل ما كُشف من آثار ذلك العمران القديم فان الامور التي كان يُظَن انها من مميزات العصور الحديثة وُجد الآن انها كانت في ذلك العصر القديم سواء كانت مادية او ادبيَّة · ونرى الادلة متوالية ومتوفرة في المكتشفات الحديثة على وجود عمران قديم بلغ اوجهُ في نحو نهاية الزمن المعروف بالعصر الجدلي

وتدلُّ هذه النقوش ايضاً على ان الناس كانوا قد اخذوا يبنون الاكواخ ويقيمون فيها

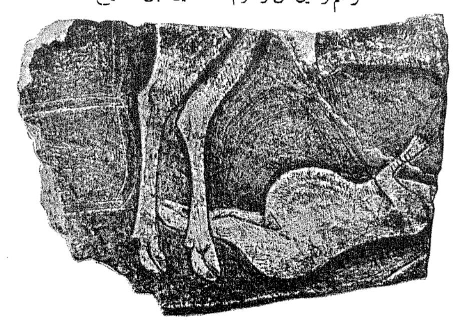
(١) الرنة حيوان من نوع الايل يوجد الآن في اقصى الشمال من اوربا واميركا والبيسون حيوان كالجاموس يوجد الآن في بعض روسيا وشمال اميركا الشمالية (٢) الغنم البرية



رسم جاموس من رسوم الاقدمين قبل التاريخ



رسم وعلين من رسوم الاقدمين قبل التاريخ



رسم رجلي وعل وامرأة مطروحة امامهُ من رسوم الاقدمين قبل التاريخ

ويدرأون اسلحة اعدائهم بانواع من الاتراس · واغرب ما كُشف من هذا القبيل دلالة على ارتقاء ذلك العمران صور مرسومة على الصخور في اسبانيا في اماكن كثيرة منها · فالتي في كوغول تمثل حلقة رقص وفيها نساء لابسات تنانير من اوساطهن الى اقدامهن · والتي في البيرا فيها نساء لابسات التنانير وعلى اكتافهن اوشحة عبثت بها الرياح · والتي في كوفادلافيجا تصل التنانير فيها من عند الثديين الى القدمين · وفي هذه الصور امور مدهشة ففيها مناظر الصيد بالقسي والسهام وهي مما لم نرَ لهُ اثراً من قبل في العاديات الباقية من العصر الظراني الاقدم · وفيها صور اناس يرقصون كما يرقص سكان استراليا الاصليون وبعضهم يلبس على رأسهِ شيئاً فيهِ ريش ومع بعضهم حيوانات من نوع الكلاب او ابن آوى ترافقهم في الصيد دلالة على انهم كانوا قد جعلوا يذللون الحيوان · ومع بعضهم فؤوس وبعضهم يصيدون بحذف العصي · وهناك صورة فريقين متقابلين من الرماة كانهم يتحاربون حرب المصاف

ولا شبهة في قدم هذه الصور والنقوش لان فيها صور حيوانات قديمة من نوع الالك[1] والبيسون اللذين كانا هناك في الدور الرباعي ولا اثر لهما في بقايا العصر الظراني الجديد

والظاهر ان هذا العمران القديم كان واسع النطاق في اوربا يمتدّ من بولونيا او من روسيا الى بوهيميا ويشمل منابع الدانيوب والرين والجنوب الغربي من بريطانيا والجنوب الشرقي من اسبانيا ويعبر بحر الروم الى شمال افريقية حيث وُجدت صور حيوانات منقوشة في الصخر من نوع الجاموس الطويل القرون وغيرهِ من الحيوانات التي بادت من تلك الاماكن · ومن المحتمل ان يكون هذا الفرع الجنوبي واسع النطاق ايضاً لاسيما وان الصور التي وجدت في اسبانيا وجد ما يماثلها في بلاد البشمن بجنوب افريقية

والظاهر ان المعاملات التجارية كانت واسعة بين اهالي ذلك العصر كما يستدل من انتشار الحلى الصدفية المصنوعة من اصداف البحر المتوسط والحلى الحجرية المصنوعة من متحجرات منقوبة من بعض الطبقات الجيولوجيّة

وعليهِ فمصباح العمران اتّقد قبل ذلك العصر القديم · وتدلُّ العاديات التي كشفت حتى الآن على ان نورهُ كان على اسطعهِ في الجنوب الغربي من اوربا على جانبي جبال البرنيس · فماذا جرى حتى وقف عمران اوربا بعد ان خطا تلك الخطى الواسعة ولم يرتقِ عن الدرجة التي بلغها بل انتظر الوفاً من السنين · فان ليل الجهل خيَّم على تلك الربوع وعلى كل بلاد كان فيها انسان عصر الرنة ولكن ألم يكن في المسكونة اناس يتناولون مصباح العمران وينقلونهُ الى بلاد اخرى

---

(١) حيوان كبير ضخم من نوع الغزال يوجد الآن في الاصقاع الشمالية من اسيا واوربا واميركا

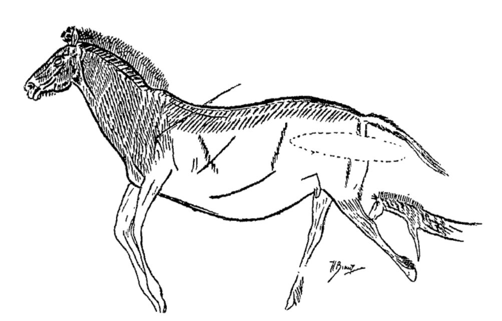
بلى فقد وجد حديثاً ما يخطي الهوة التي تفصل العصر الظراني الاقدم عن العصر الظراني الحديث ويصل بينهما اي يصل بين عالمين من عصرين بعيدين من عصور الانسان

ان عمراننا الحديث مبنيٌّ على عمران العصر الظراني الحديث الذي استقى من معين وادي النيل ووادي الفرات. ولقد كان العلماء يحسبون ان العمران اليوناني نشأ دفعة واحدة كما كان القدماء يزعمون ان اثينا ولدت من رأس المشتري وكانوا يقولون ان ما اقتبسهُ العمران اليوناني من المشرق حديث او مقصور على شيء استعارهُ كالحروف الهجائية وبعض العيارات والمقاييس وكانوا يستثنون مصر الى عصر الاسكندر. الّا ان المكتشفات الحديثة اوضحت ان نشوء العمران اليوناني لم يكن شيئاً قائماً برأسهِ اذ قد ثبت ان بلاد اليونان اتصلت بمراكز العمران القديمة شرقاً وجنوباً باقتباسها لعمران كريت السابق لعصر التاريخ وبالدرجة السامية التي بلغتها في كل الصناعات والفنون. فان جزيرة كريت وهي حلقة متوسطة بين ثلاث قارَّات كانت بحكم الوضع الجغرافي مهد العمران الاوربي الحديث. والعمران الذي دخلها من هذه القارات وجد فيها عمراناً قديماً جدًّا كما يستدلُّ من بعض الدلائل الجيولوجية فان تل غنوسس الذي وجدت فيهِ آثار العمران المينوي(١) يشبه تلال العراق ومصر في كونهِ مؤلفاً من طبقات من انقاض المباني. وآثار العمران المينوي فيهِ لا تشغل اكثر ممَّا ارتفاعهُ ١٩ قدماً ويمتد تاريخها الى سنة ٣٤٠٠ قبل المسيح على الاقرب. وسمك الانقاض في التل كلهِ اكثر من ٤٥ قدماً. ولم تكن تتراكم بكثرة في العصر الظراني الحديث كما كانت تتراكم بعدهُ ولكن لو فرضنا سرعة تراكمها بقي ابتداء عهدها بعيداً عنا نحو ٩٠٠٠ سنة. فليس في اوربا آثار من العصر الظراني الحديث اقدم من آثار هذا التل وهي اقسام ثلاثة اقسام قديمة ومتوسطة وحديثة والطبقات السفلى تدل على عمران قديم راقٍ مما وُجد فيها من فؤوس الصوان المنحوتة والخزف المصقول. فعصر كريت الظراني الحديث متوغل في القدم وآثارهُ اقدم من آثار العصر الظراني التي وجدت في بلاد اليونان وبر الاناضول ولكن بين هذه وتلك مشابهات كثيرة تدل على ان عمران كريت كان جزءا من عمران قديم واسع النطاق شامل للقسم الجنوبي من بلاد اليونان وجزائر بحر سفيد وجانب كبير من اسيا الصغرى

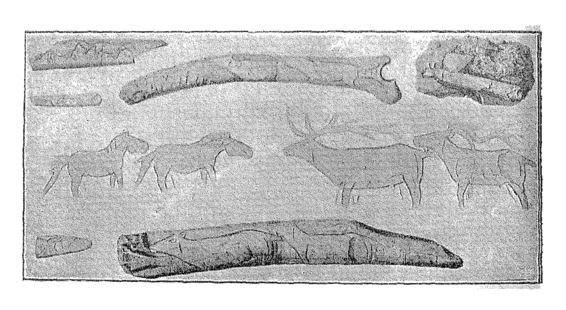
وممَّا يستحق الالتفات في العاديات الغنوسسية(٢) تماثيل نساء مصنوعة من الخزف كبيرات الارداف وايديهنَّ على صدورهنَّ ولهنَّ مثيلات في بلاد الساميين وفي الآثار المصرية

(١) نسبة الى الملك مينوس الذي يقال انه ملك كريت وسن شرائعها

(٢) نسبة الى مدينة غنوسس التي كانت قصبة كريت



رسم فرس ومهرها من رسوم الاقدمين قبل التاريخ



صورة نقوش وجدت في احد كهوف فرنسا القديمة

مقتطف نوفمبر ١٩١٦

امام الصفحة ٤٢٠

السابقة لعصر التاريخ وبلاد اليونان . وحيث توجد هذه التماثيل في كريت والاناضول كان الناس يعبدون الالهة التي يحسبونها امًّا للبشر و يقرنونها بتمثال طفل . وقد بقيت آثار هذه العبادة في الاديان الحديثة . وهناك دليل اخر يدل على الاتصال القديم بين كريت واسيا الصغرى وهو الفأس المزدوجة التي صارت شعاراً لمعبد قصر غنوسس

ومن المحقق ان سكان كريت الاصليين اقتبسوا كثيراً من عمران غيرهم ولكن عمرانهم بقي راسخاً في نفوسهم وكانوا يكتفون بما يحتاجون اليهِ مما يجدونهُ عند غيرهم كما يفعل سكان الجزائر عادة ولذلك كانوا يستفيدون مما يرونهُ عند الغير ولا يتقيدون بهِ كما فعل الفينيقيون فاقتبسوا كثيراً ولكنهم لم يفقدوا استقلالهم

واول مؤثر اثر فيهم كان من مصر اما المؤثرات الشرقية فجاءت متأخرة . وقد دلّني البحث والتنقيب على ان المؤثرات العمرانية وصلت كريت من شمال افريقية قبل ان قامت في مصر دولــــ الفراعنة كما يستدلُّ من شكل الانية الحجرية واختيار المواد لها حسب اختلاف الوانها وانواع الرموز المنقوشة عليها وشكل الختوم المشابهة لما كان يصنعهُ سكان وادي النيل الاقدمون . والمشابهات كثيرة جدًّا تحمل على القول بان بعض المصريين الاقدمين هاجروا الى كريت حينما تغلّب على مصر الشعب الذي منهُ الفراعنة

ثم بقي الاتصال بين مصر وكريت في عهد الفراعنة كما يستدل من وجود المصنوعات المصرية في كريت ومن اهتمام الكريتيين بتقليدها . وقد وُجد نَصَبٌ مصري في دار قصر غنوسس من عهد الدول المصرية الوسطى . واغرب من ذلك ما كان لعمران كريت من الاثر البيّن في عمران مصر كما تدلُّ الدلائل الكثيرة كالكؤوس المينوية الكثيرة الالوان البديعة المنظر . واهم منها تأثير الصناعة الكريتية في الصناعة المصرية حتى في القسم الديني منها وتأثير الديانة المصرية في الديانة الكريتية فان إلاهة الكريتيين تشبه إلاهة العالم السفلي المصرية

وقد اثبتت لي مكتشفاتي وابحاثي الحديثة ان الاتصال كان تامًّا بين كريت ومصر في العصر المينوي واذا عرفنا ما اقتبسهُ العمران اليوناني من العمران المينوي السابق لهُ اتضحت اهمية هذا الاتصال بمصر ولذلك لم تكن الديار المصرية منفصلة عن غيرها بل كان لها اكبر اثر في العمران الاوربي

والعمران الراقي الذي نشأ في كريت قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف سنة وضارع عمران بابل استمرَّ الفي سنة وهو زاهٍ زاهر وتسلّط على كل جزائر بحر سفيد وعلى جانب

كبير من البلاد المحيطة ببحر الروم · وقد تجاسرت على تسميتهِ بالعمران المينوي نسبة الى الملك مينوس ملك كريت ومشترعها على ما في الاخبار المأثورة ووافقني العلماء على هذه التسمية· ويمكننا ان نقسم زمن هذا العمران الى ثلاثة عصور قديم ومتوسط وحديث وهذا التقسيم يقابل تقسيم الدول المصرية الى ثلاثة اقسام قديمة ومتوسطة وحديثة

ويضيق بي المقام عن وصف هذا العمران الاوربي الاقدم لكثرة مناحيهِ فقصور الملوك المينوبين في ايام عزهم تفوق ما يماثلها من المباني المصرية والبابلية في هندستها وشمولها لما هو نافع مع ما هو جميل عظيم وفيما تحوي بهِ من التدابير الصحية · ومما يرى في هذه القصور الرحبة الكثيرة الطبقات من المزايا يرى في سائر المساكن القديمة في الجزيرة كلها · فقد كان فيها مدن كثيرة غير مدينة غنوسس وكان في هذه المدن صناعات بلغت غاية الاتقان اخصها صناعة ترصيع المعادن التي اتقنها الكريتيون فلم يفقهم فيها احد في عصر من العصور ولا في بلد من البلدان · وظهرت بدائع صناعتهم في القصور بنوع خاص فان سراديبها ومماشيها واروقتها مزدانة جدرانها بالصور والنقوش البارزة التي تمثل الحيوانات اصدق تمثيل وفي اوضاعها ونصباتها من حسن التنسيق ما لم يشهد العالم مثلهُ من قبل كما يُرى في صور موقف الثيران الكبير عند باب غنوسس البحري وفي المناظر المؤلمة في قاعة القصر العظيم

والذي يرى هذه المناظر يندهش من مشابهتها لما هو جارٍ الآن فترتيب اماكن الخدم وقيام السلالم بعضها فوق بعض واختيار الاماكن الامامية في المشاهد العمومية للنساء وصور ثيابهنَّ المكشكشة وكفوفهنَّ وقد لبسنها بايديهنَّ او علقنها على كراسيهنَّ واساليبهنَّ وقت الكلام وما يظهر عليهنَّ من الغنج والدلال كل ذلك ممَّا لو وجد في صورة من صورنا القديمة لاعجبنا بهِ اشد الاعجاب · وما من مكان وُجدت فيهِ صور تمثّل احوال الناس في العصور الغابرة تمثيلاً اكثر انطباقاً على الحقيقة من تمثيل قصر مينوس ولا نستثني خرائب بمباي· ولا يقتصر الاتقان على الاشياء الكبيرة المهمة بل يتناول ايضاً الاشياء الصغيرة الطفيفة كالحمَّام الصغير الملاصق لغرفة الملكة ومغطسهِ المدهون ورقعة الداما المطروحة في الدار وقوارير الزيت الذي يدّهن بهِ والخوابي التي كانت تملأُ منهُ على مقربة من عرش الملك الكاهن والمقاعد التي يجلس عليها مشيروهُ والعفاريت المقدسة على جانبيهِ وكان للشعائر الدينية دخل في كل شيء وكانت القصور هياكل للعبادة والقبور مقامات للزيارة · ولعلَّ التديُّن منع المصورين والنقاشين من رسم شيء مخلٍّ بالآداب

وهنا امرٌ آخر في العمران المينوي لا يصحُّ اغفالهُ فانهُ لما اجتمع هذا المجمع في لفربول سنة ١٨٩٦ قبلما عُرفت نتائج النقب في كريت اشار فيهِ عالم مشهور بعلم العاديات في خطبة لهُ موضوعها « الانسان قبل الكتابة » الى الدرجة العليا من الحضارة التي بلغتها بلاد مسينا قبل استنباط الكتابة . اما انا فارى ان عمران مسينا مقتبس من عمران كريت وان الناس كانوا قبل ذلك يعبّرون عن افكارهم باشارات يرسمونها . ثم اننا قد رأينا في آثار كريت القديمة نوعاً من الكتابة وعرفنا درجات نشوئهِ وارتقائهِ ووجدنا كثيراً من الختوم المنقوشة والفي قطعة من الخزف المكتوب اكثرها عقود لم نقرأ كتابتها حتى الآن ولكن فيها صور تدل على معنى الكتابة وفيها ما يظهر انهُ ارقام تدل على الاعداد حتى عشرة آلاف وبعض هذه العقود مختوم وترى تحت التوقيع توقيعات اخرى كأنها تزكية لهُ وهي تدل على انهُ كان في البلاد حكّام ونظام مدقق وتؤيد ما رواهُ الرواة عن الملك مينوس الذي يقال انهُ تناول الشريعة من الله على الجبل المقدس مثل همورابي وموسى . واما القطع الخزفية التي وجدت في كريت في العصر المينوي الحديث فمقتبسة اصلاً من الشرق ولعلها مما اقتبسهُ الكريتيون من قبرس لما احتلوها ومن ثم كثر اتصال الشرق بكريت وجلب الكريتيون منهُ المركبات واقتدوا بهِ في استعمال الختوم الاسطوانية

ولما اتسع نطاق العمران المينوي حتى بلغ سواحل فينيقية وفلسطين كما بلغ قبرس كان قد تمكن من بلاد اليونان وبلغ صقلية واسبانيا والجزائر المجاورة لها والظاهر انهُ تناول شيئاً مما استمدهُ من برالاناضول . وبعض اليونان الآريين اتصلوا بالعمران المينوي وهو في اوج مجدهِ كما يستدلُّ من اشعار هوميروس فان الاسلحة التي وصفها مينوية وترس اكلس بما عليهِ من الصور البديعة كان مثالاً للصناعة المينوية المتقنة والقيثار الذي كان الشاعر يغني عليهِ من اختراع اهل كريت . واذا التفتنا الى الشعائر الدينية وجدنا الهياكل اليونانية مشتقة من المباني المينوية ورسوم واجهاتها القديمة مقتبسة من واجهات المباني المينوية . واقدم الالهات اليونانية مثل اورثا الاسبرطية توصف باوصاف مثل اوصاف الام المينوية

وبعض اصول هذه الحضارة القديمة بقي في بلاد اليونان وبعضها دُفن في مهدهِ ثم اينع في السواحل والجزائر الشرقية حيث كان العمران المينوي ثم اعادهُ الفينيقيون واليونانيون الى مواطنهِ . وبقي جانب كبير منهُ رغماً عمّا حاق بالمملكة المينوية من الخراب قبل التاريخ المسيحي باثني عشر قرناً ورغماً عمّا فعلهُ الغزاة الذين هاجموها من الشمال فبني

عليهِ العمران اليوناني وضاء مصباحهُ مرةً اخرى بالنور الذي انبعث منهُ في زمن سكان الكهوف الذين كانوا في العصر الظراني الاقدم

وجاء الرومان بعد ذلك فاستلموا الميراث الذي ورثهُ اليونان من كريت و بنوا عمرانهم على اسس واسعة بجعلهِ عامًا شاملاً

فان كانت الحضارة الاولى التي وجدت في عصر الرنة قد شملت اكثر من شعب واحد واستجمعت اصولاً مختلفة من جهات شتى فاحرِ بعمراننا الذي نشأ من العمران اليوناني الروماني ان يبلغ درجة سامية من الاتساع والارتقاء ولا ينحصر في بقاع ضيقة او يكون ملكاً خاصًا بشعب دون آخر . ومهما تعددت الشعوب والالسنة فلسان اهل العمران واحد ومصالحهم مشتركة

ونحن الذين اجتمعنا هنا اليوم لكي نعمل على ما يقدم المعارف و يؤيد الحقائق لم تكن مهمتنا في وقت من الاوقات اصعب ممَّا هي الآن . فقد قلَّ عددنا اذ اضطر كثيرون منا ان يذهبوا لخدمة بلادهم وكم منهم مَن ذهب ولن يعود مع شدة حاجتنا اليهِ وانقطع الاتصال العلمي بهذه الحرب الضروس التي شملت و يلاتها الممالك واضطرت الحكومة والشعب الى اهمال المصالح التي سبَّب اهمالها في الماضي ما نراهُ من المصاعب التي نحاول التغلُّب عليها الآن

وممَّا يذكر بالاسف الشديد ان جمهور امتنا لا يزال غائصًا في بحار الجهل بل في الخمول العقلي الذي هو اصعب علاجًا من الجهل وجهل الوالدين يظهر في الاولاد . والرغبة في تحصيل المعارف في مدارسنا اقل منها في سائر البلدان وقس على ذلك الرغبة في العلم لذاتهِ والتعطُّش لتحصيلهِ . ولكن هل نيأس من استيقاظ امَّة فيها ما ظهر الآن من الهمَّة والنشاط لما دعاها داعي الوطنية لخوض غمار الحرب . وهل يشك احد في ان الامَّة التي دخلت هذا الاتون المتقد ستخرج منهُ امَّة جديدة خالية من كل زغل . فعلينا ان نتدرَّع بالصبر ونستعد لمحاربة عدو اعدى من العدو الذي يحاربنا الآن وهو الجهل والخمول والرغبة عن العلم واضاعة الوقت في اللهو واللعب

علينا ان لا نكف عن العمل بل نحرص على مصباح المعارف الذي وصل الينا من العصور الغابرة ونسلمهُ الى خلفائنا ونورهُ اسطع ممَّا كان حينما استلمناهُ . وعلينا ان نكون من حماة المعارف ومؤيدي التعليم وان نواظب على السعي في تأييد الحق واثقين ان نظام الكون يقتضي ان يكون كل جيل اقرب من الجيل الذي قبلهُ الى الغرض السامي الذي نسعى اليهِ

الحركة التورانية الجديدة
في تركيا

لاحد ادباء الانكليز

كان اول ظهور هذه الحركة العظيمة الشان في الاستانة سنة ١٩١٣ ويسميها الترك «بني توران[1]» اي التوران الجديد · والآن تسمع الناس يتحدثون بها في كل مكان · ويمكن تعريفها بانها حركة يراد بها السير في جهة القومية التركية والابتعاد عن الاسلام · ويقال ان اغراضها ما يأتي :

(١) جعل روح القومية التركية مستقلة عن الاسلام (وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفرد نوسيج من حديث دار بينهُ وبين زعماء الاتحاديين ونشر في جريدة درتاج الالمانية) · (٢) ترقية الروح العسكرية بين الترك · (٣) انشاء علاقات تجارية وغير تجارية مع مسلمي شمال ايران (اذربيجان) وروسيا الاسيوية وجنوب روسيا · (٤) تحرير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية · على ان لها غرضاً آخر لا يُعترَف بهِ بمثل هذه الصراحة وهو حرمان العرب من الحقوق القومية

اما ما يرمي اليهِ اصحاب هذه الحركة فهو جعل التركي العثماني تركيًّا اولاً ومسلماً ثانياً · وزمام الحركة في يد جمعية تمدُّها الحكومة بالاعانات المالية واسمها «ترك اوجاقي» اي «الموقد التركي» او الوطن التركي وهي تبذل المجهود في ترويجها بجميع المساعي · ومما توسلت بهِ لاستجلاب النشء التركي انشاء مدارس تورانية واصلاح الطريقة المتبعة في المدارس العليا لتعليم تاريخ القبائل العثمانية وغيرها من القبائل التورانية · وقد انشئ جيش كبير من الغلمان الكشافة برعاية انور باشا فيمرن هؤلاء الغلمان تمريناً عسكريًّا يؤهلهم لدخول الجيش عند الاقتضاء · ومعظم شاراتهم وجميع القابهم تركية صرفة سابقة لعهد الاسلام بين الترك · ومن كان اسمهُ عربيًّا أُبدل باسم تركي

وللحركة وجهة ادبية ايضاً فان كثيراً من الكتب العلمية والتاريخية يترجم الآن بلغة تركية بسيطة · وكان في النية ايضاً ترجمة القرآن ولكن عُدل عنها لمعارضة العلماء · وقد نشرت كتب كثيرة تدعو الى هذه الحركة منها رواية «بني توران» من قلم خالده هانم وهي تمدح

(١) المقتطف معنى التورانية غير الايرانية اطلقت على الشعوب القاطنين خارج بلاد ايران اي الى الشمال والشرق منها او في تركستان

فيها هذه الحركة وتدافع عن حقوق المرأة · فالجمع بين حقوق المرأة والحركة التورانية يظهر غريباً في عيون الذين يعلمون ان القبائل التورانية بخست المرأة حقوقها في العهود الماضية اكثر من سائر امم الارض مجتمعةً

والمقول ان اسباب هذه الحركة متعددة احدها مسألة اللغة فان اللغة التركية المركبة من عدة لغات والمكتوبة بحروف عربية تزداد كل يوم عسراً واستغلاقاً على التركي غير المتعلم · وليس البحث في ذلك من شأننا هنا · ومن تلك الاسباب ان مسلمي روسيا والقوقاس حضّوا الحزب القوي الداعي الى الجامعة الاسلامية بين الاتراك الاحرار على استجلاب مسلمي اسيا الوسطى وشمال ايران والقوقاس اليهم ولا سيما ان فريقاً منهم تترّكوا والفريق الآخر قابلٌ لهذا التترّك والأ لابتلع العرب الترك العثمانيين في آخر الامر ولو فاز هؤلاء باستخدام الجامعة الاسلامية لبلوغ غاياتهم

وهناك سبب ثالث وهو ظهور الكتاب الآتي ذكرهُ فان ولادة هذه الفكرة عند حلول زمانها نشأت على ما يظهر من قراءة ناظم بك (السكرتير العام لجمعية الاتحاد والترقي واقوى زعمائها على ما يقال) لكتاب ليون كاهون وهو كتاب تاريخ الترك والمغول في اسيا من مبدإِ نشأتهم الى سنة ١٤٠٥ · وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٩٦ واسمهُ بالفرنسوية:
"Introduction a l'histoire de l'Asie; Turcs et Mongols; des origines á 1405"
وقد اعتمد المجمع العلمي الفرنسوي هذا الكتاب وهو على غاية ما يكون من البحث العلمي وصحة السند وحسن الديباجة · اما كون بعض ما فيهِ من الاحكام صحيحاً او غير صحيح فهذا ما لا نتعرّض لهُ

وظاهر ان الحركة التي ترمي الى « جعل روح التركي القومية مستقلة عن الاسلام » لا بدَّ ان تكون عظيمة الشان عند الطوائف الاسلامية الكبرى وعند الدول التي بين رعاياها كثيرون من المسلمين كفرنسا وروسيا وايطاليا وانكلترا · فلا بدع اذا اتجهت اليها الانظار في الشرق والغرب معاً · ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة القديمة التي وضعها فمبيري اليهودي المجري المعروف وهي ان « لا وطن في الاسلام » · وحجتهم انهُ كان من مآل الاسلام تحت تأثير العوامل والتقاليد العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية جعل الترك امة شرقية ليس لها عمران خاص بها · وفي هذا القول ما فيهِ من قلب الحقائق ووقائع الحال فلا بدع اذا بحثنا في ماهية هذه الحقائق والوقائع وفيما تفضي اليهِ · فما هي النعرة القومية التركية وما هي علاقتها بالاسلام

كانت القبائل التركية في اوائل عهد المسيحية تقطن بلاد اسيا من حدود الصين الى نهر جيحون (اوكسوس او امودار يا كما يسميه التتر) . وكانت ديانتها — ان كانت لها ديانة — ما يسمى « بالشامانية » اي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر . وكانت حضارتها حضارة سائر القبائل الرحل الذين في اسيا الوسطى وهي حضارة ذات قواعد بسيطة تبعاً للبقعة واحوال المعيشة . واخص خواصها المميزة لها ميلها الى الحروب وانسامها بسماتها . فكانت تستأجر للقتال وعليه كان شرفها شرف الشاكرية والمسترزقة اي الولاء لكل من قادها واطعمها . وفيما خلا ذلك لم يأتِ التركي امراً ذا شأن من تلقاء نفسهِ فلم يضع اساس دين خاص بهِ ولا انشأ مدنية ممتازة . ولم يحاول احد من الترك توحيد الامة التركية كلها وجهد ما في الامر ان جنكيزخان المغولي فكّر في ذلك ولم يفعلهُ . ولم يخرج التركي عن كونهِ مقتبساً او مستعيراً اي انهُ كان يلبس لبوس كل بيئة كان ينزل فيها من الصين الى فارس فالعربية فرومية الشرقية فجرمانيا . وليس بصحيح ما يقال من ان عواريهُ (اي الاشياء التي استعارها) واعظمها الاسلام حالت دون انشائهِ مدنية خاصةً بهِ . فالواقع انهُ لم يشفّ عن ميل الى ابداع المدنيات بل الى اقتباسها

والتركي العثماني اقل القبائل التركية تمثيلاً لاصلهِ . فهو ليس الآن شعباً محدوداً يحكم امماً وبلاداً بحق الفتح . وربما صح هذا القول فيما مضى على العثماني الذي نزل اوربا وارمينية ولكنهُ لا يصدق على الذين نزلوا بلاد الاناضول التي كانت ولا تزال مجمع القوة العثمانية . واذا ضربنا صفحاً عن قبائل اليوروق والتركمان الرحل لم نجد في ترك الاناضول الآن سوى اثر ضئيل من التركية . فان قوميتهُ تعبير سياسيٌّ ودمهُ مزيج من قطرة تركية متضائلة وقطرات من دماء شعوب كثيرة كانت قد أسنَّت وشاخت يوم بنيت الاستانة كالروم والفريجيين والغلاطيين والايسوريين والكاربين والحثيين . وهذا الدم هو الذي مال بهم الى حرث الارض وزرعها . واذا البسوا ملابس الاوربيين ظهروا مثلهم . وكان قوام قوتهم البحرية القصيرة العمر في القرن السادس عشر امراء من دم اوربي

والفضل في احتفاظ التركي بوحدتهِ كأُمة عائد الى امرين الاسلام وطاعتهِ العسكرية . وهو لا يهتمُّ بما اقتبس حكامهُ من الفلسفة الفارسية والقواعد البيزنطية لمعاملة امراء البيت المالك . اما الاسلام فيهتمُّ بهِ من بعض الوجوه حتى بات عنوان الحضارة التركية وشعارها معاً بكن الاختلاف الذي طرأ عليهِ بعد اقتباسهِ لهُ كثيراً . وهو الذي حفظ بنيان الدولة . وان كان التركي يعنى بالاسلام فذلك لانهُ ينطوي على مزيتهِ العسكرية التي هي اقوى

العواطف فيهِ . فقد انتحل الاسلام منصاعاً للامر فلم يجادل فيهِ ولا جُذب بشعائرهِ ولكنهُ طول عهدهِ بهِ ما زال يدافع عن الدين انتحلوهُ عن رضى واقتناع . فكان للاسلام سيفهُ . خذ الاسلام من القومية التركية وانظر ماذا يبقى منها

يقول التوراني انك اذا اخذت الاسلام من القومية التركية يبقى فيها المبدأ التوراني اما الاسلام فيظهر بمظهر جديد و يكون ديناً قومياً . ولكن التورانية لم تبدع شيئاً خاصاً بها لتعرضهُ على الانظار فقدكان تاريخها تاريخ تدمير . فالويتثني دمروا المستعمرة اليونانية في بلخ . والهن (قوم القائد اتلاَّ المشهور) حاولوا استنزاف دم الرومانيين في الشرق والغرب . والاوار حاولوا قتل الامة الصقلبية وهي في المهد . وهولاكو خرَّب قنوات العراق وترعهُ وجعل اخصب بلاد الله قفراً بلقعاً كما ترى الآن . والعثمانيون ابادوا المدنية البيزنطية التي كانوا يعيشون عليها — هؤلاء هم التورانيون . ثم ان اتلاَّ « نقمة الله » وجنكيز خان الذي لقب نفسهُ في بخارى « غضب الله وعصا سخطهِ » — هذان تورانيان ايضاً . ولم يكن الالماني وهو يستاق سبايا البلجيك امامهُ الى ميدان القتال سوى مقلد لما كان المغول والاوار والهن يفعلون كل يوم . والفرق ان هؤلاء كانوا يعطون اسارام سيوفاً يحاربون بها . وهذا ما يحمل الواحد منا على انكار بعض الاحكام والاستدلالات التي ابداها كاهون في كتابهِ . فان الناس لا يصدقون ان تيمور لنك كان شهماً او جنكيزخان سياسياً . و بينا نرى كاهون يشدد بحق في بيان فضائل التركي العسكرية لا نراهُ يبين لنا نقائصهم العسكرية بمثل تلك الشدة وذلك الافصاح

على ان ما فات كاهون بيانهُ لم يفت كاتباً آخر جاء بعدهُ وهو الدكتور بيسكر فانهُ صوَّر الترك والمغول باشنع مما عرفوا بهِ من عهد المؤرخ جبن (الانكليزي) حتى اننا قلما رأينا كاتباً فاقهُ في ذم الفظائع والمنكرات التي كان هؤلاء الاقوام يأتونها على الدوام لاذلال الامم التي خضعت لهم ولابادتها . وليس هذا الزمان زمان تمجيد المدمر والمخرب فان بروسيا ودمها التوراني مشهور تزعم انها ستبني حيث تخرّب الآن . وجميع الادلة تدل ان العود الى عهد التركية انما هو عود الى عهود الغزو والنهب . ولما خطب امبراطور الالمان في جنودهِ وقال لهم اذا امرتم فاقتلوا كل احد حتى آباءكم فقد كان يشتم من هذه العبارة ريح التركية الوثنية الحقيقية التي زهت منذ الف سنة للميلاد

ان التركي خلو من قوة الاستنباط الديني فيستحيل علينا ان نتصورهُ ساعياً في ابداع دين قومي يتطلب شعوراً قوياً حقيقياً . ولو لزم التركي حدود الاناضول موطنهِ ما بالينا

كثيراً في نوع حكومتهِ على شرط ان لا يضرَّ جيرانهُ ولا يبقى ذيلاً لالمانيا. ولكن واقع الامر انهذه ليست تركيا التي يحدِّث التوراني نفسهُ بها بل هو يريد السلطنة العثمانية كلها وربما أراد شيئاً آخر مضافاً اليها اذ لا يكاد يعقل ان العلاقات التي أُشير بتوثيقها مع مسلمي روسيا تقتصر على الشؤُون التجارية كما جاء في صدر المقال بل لا بد ان تتناول اشياء اخرى غير التجارة

ومهما يكن من الامر فلا مشاحة ان تلك العلاقات ترمي الى حرمان العرب حقوقهم القومية . فان التركي يخاف العربي لعظم مطالبهِ ويقول جهاراً اني ان لم « افعل اللازم » بالعربي فلا بدَّ « ان يفعل اللازم » بي قريباً . لذلك لا مندوحة من تتريك العربي على احسن النماذج البروسية اي كما فعلت بروسيا في ولايتي شلزويج وهولشتين (اللتين اخذتهما من الدنمرك منذ نحو ٥٠ سنة) حيث حظرت على الاولاد الصلاة باللغة الدنمركية . وقد باح بعض كتَّاب الترك بسرّ هذه السياسة فقال جلال نوري بك في كتاب أَلفهُ حديثاً « لا بدّ من تصيير البلاد العربية ولاسيما العراق واليمن مستعمرات تركية ننشر فيها لغتنا لتصير هذه اللغة لغة الدين متى آن اوان ذلك . فان تتريك البلاد العربية من الزم لوازم وجودنا لان فكرة القومية اخذت تستيقظ في صدور النشء العربي وهي تهدد بنيان دولتنا فلا بدَّ لنا من اعداد العدد لمقاومتها » . وقال احمد شريف بك في جريدة طنين «ان العرب يشكون بلغتهم ويجهلون التركية كلّ الجهل كأَن بلادهم ليست تابعة لتركيا . فالواجب على الحكومة ان تجعلهم ينسون لسانهم ويستبدلوهُ بلسان الامة التي تحكمهم . واذا تناست الحكومة هذا الواجب كان مثلها مثل الذي يحفر قبرهُ بيديهِ . لانهُ ان لم ينسَ العرب لسانهم وتاريخهم وعاداتهم سعوا في اعادة مملكتهم القديمة على انقاض العثمانية » . وقال كاتب آخر في منشور وزع على نفقة الحكومة العثمانية في القوقاس « لقد كان العرب مصيبة علينا فان جواد غازٍ تركي افضل من انبياء الامم الاخرى »

هذا بيان وضع عمداً لاستئصال قومية امة من الامم . والدول المحالفة تدافع عن مبدإ القومية اشد دفاع وتقول انهُ لا يجوز لامة من الامم ان تمنع امة اخرى من ان تعيش عيشة خاصة بها منفصلة عن غيرها . وعليهِ فانها تميل بكليتها الى نصرة العرب في هذه المسأَلة . اما الامم المسلمة العظيمة التي تحكمها فرنسا وانكلترا فلا محلّ للريب في اميالها — فانها مع العرب ايضاً . والسبب الاكبر في ذلك كون الاسلام نشأ فيهم . وبعض السبب وخصوصاً في الاملاك الفرنسوية بشمال افريقية علم اهلها ان بينهم وبين العرب صلة نسب . ومع ان المسلمين الذين هم خارج تركيا لم يرقهم عبث الترك بالاسلام فانهم سلموا بالخلافة

التركية اعتقاداً بان سلاطين آل عثمان اقوياء قادرون على رفع شأن الاسلام في عيون الاجانب . وقد آن الاوان الذي يتمكنون فيهِ من الرجوع عما سلموا بهِ قبلاً

ان مصاب حلفاء المانيا بها مصاب عظيم اذ الظاهر ان الالماني يعتقد ان الشيء يمكن ان يكون وان لا يكون في وقت واحد معاً . فهو يستغيث بكل قانون دولي او غير دولي من جهة في حين انهُ يخرق القوانين من الجهة الاخرى . وتراهُ يبني الاسلام بيد و يهدم باليد الاخرى . ففي الشرق نادى امبراطور الالمان بنفسهِ انهُ صديق المسلمين الصدوق حتى ادعى بعض المسلمين انهُ انتحل الاسلام . ونودي بالجهاد لحمل المسلمين على القتال في جانب المانيا فاخفق ذلك النداء . و بُذلت المساعي الكثيرة لحمل الاسرى المسلمين من رعايا فرنسا وانكلترا على نبذ ولائهم لدولتيهم بدعوى ان الواجب يقضي عليهم بمقاتلة الكفار دفاعاً عن الترك والاسلام ففشلت هذه المساعي ايضاً

هذا هو الوجه الاول من هذه الصورة . اما الوجه الثاني فكلّهُ عِبَر . فان اول ما شاهد الناس من آثار مقاومة المانيا للاسلام والعمل ضدّهُ كان يوم وقع في يد الجنرال سمطس في موشي نسخة من ذلك المنشور المشهور الذي وزعتهُ الحكومة الالمانية على حكام مستعمراتها الافريقية في اكتوبر سنة ١٩١٣ تسألهم فيهِ ما هي افضل الوسائل لتقليص ظلّ الاسلام في المستعمرات الالمانية وهل يمكنها سنّ القوانين لالغاء الاسلام من تلك المستعمرات ومنع الناس فيها من الجري على اوامرهِ ونواهيهِ

وعلى هذا الاثر قامت الحركة التورانية . واذا رأى الناس اثراً من المانيا في كل وادٍ فلا تلم الأ نفسها . ولكن لا جدال في ان زعماء الاتحاديين هم ظهيرو هذه الحركة التي يراد منها فصل القومية التركية عن الاسلام وجعلها مستقلة عنهُ وغنيٌّ عن البيان ان حركة مثل هذه لا تقوم لها قائمة ولا تزهو جهرةً لو كانت المانيا منكرة لها والمانيا هي كل شيء في تركيا

كتب قمبيري المجري منذ ثلاثين سنة يقول انهُ يجب على تركيا اما ان تُغرب (تصير غربية) واما ان تهلك. ولما كانت لا تستطيع الاول فلا مناص لها من الثاني . نعم ان احرار الترك اقتبسوا بعض الشيء من الغرب ولكنهم اقتبسوهُ من النظام البروسي المقضي عليهِ بالفناء . وقد انتهى سلطانهم ودنت آخرة ملكهم يوم رفضوا ضمان الخلفاء لاملاكهم . وستبدي لنا الايام هل يستطيع العثماني انشاء دولة في الاناضول من غير ان يتبع الاساليب الغربية بصدق واخلاص . ولكن لا حاجة بنا الى الزمان لنرى ان ابادة القومية العربية على المنوال البروسي التركي فكرة مقضيّ عليها بالفشل بعد ان قامت قائمة العرب في مكة والمدينة

الشيخوخة واماليُّ حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(١) لمحة من تاريخ حياة متشنيكوف

ولد متشنيكوف في روسيا سنة ١٨٤٥ ومات في باريس في ١٥ يوليو سنة ١٩١٦ . تلقى دروسهُ الاولية في كاركوفا مسقط رأسهِ واتمها في جيسين وغوتنغ ومونيخ . وسنة ١٨٧٠ عين استاذاً للجيولوجيا في اودسا وسنة ١٨٨٢ غادر روسيا وسافر الى ماديرا ثم الى تناناريف ومنها استدعاهُ باستور الى باريس فتتلمذ لهُ وتابعهُ في البحث والتنقيب الى ان قُبض فتولى بعدهُ ادارة المعهد وبقي في كرسي الرياسة بدون معارض الى آخر ساعة من حياتهِ

وقد بلغ مقاماً عالياً من العلم واشتهر اسمهُ في جميع الاقطار والامصار وكان حجة في الفلسفة الوضعية والمعارف البيولوجية ولاسيما في علم اجنة الحيوان . وفتحت مباحثهُ سبيلاً الى الاكتشافات العلمية التي يرجَّى منها خير كبير للانسانية فكان عوناً كبيراً لشفاء الحمى القلاعية ومرشداً للبحث الدائب في شفاء الزهري والسرطان والهواء الاصفر والالتهاب السحائي الشوكي وهو الذي اكتشف مكروب الخمير اللبني واثبت فائدتهُ في الالتهابات المعوية واظهر ان اللبن الرائب من افضل الاغذية الصحية للانسان وانهُ من اهم اسباب طول الحياة في الشعوب التي تعتمد في غذائها عليهِ

واهم اكتشافٍ لهُ ثبتت صحتهُ وسلَّم بهِ العلماء حتى خصومهُ ويرجى منهُ خير للانسانية في المستقبل هو الفاغوسيت الذي سيقف القراء على وصفهِ وفعلهِ فيما سيأتي

وقد ترك مؤلفات جليلة كانت في حياتهِ موضوع المناظرة بين العلماء ومنها كتاب البحث في الشيخوخة الذي نقلنا عنهُ المقالات التالية لما فيها من الفائدة ولذة البحث ليقف قراء المقتطف على آراء ذلك العالم الكبير الذي نقلت كتاباتهُ الى كل لغات العالم المتمدن ولهُ ما عدا هذا مؤلفات كثيرة وهي « دروس في باثولوجية المقابلة» و« المناعة في الامراض العفنية » و« دروس في الطبيعة البشرية » و « امتحان في فلسفة التيمُّن »و « ملاحظات على مولدات الامماء» وجمع اراءهُ في كتابهِ « المناعة » ولهُ كثير من الرسائل في المجلات العلمية واخصها مجلة معهد باستور

وقد استحق بجهادهِ جائزة نوبل ونال اوسمة الشرف من فرنسا وانكلترا وروسيا وكان عضواً في اكاديمية الطب في باريس

(٢) في الشيخوخة واختلاف نظر الام فيها

وجه متشنيكوف الالتفات الى الشيخوخة في كتابهِ « دروس في الطبيعة الانسانية » وكان لهُ فيها نظريات خاصة قام عليها الجدل في سوق العلم فاضطرتهُ المناظرة الى درس المسئلة درساً خاصًّا لان لها في نظرهِ اهمية عملية خلا اهميتها النظرية فتوسع في درسها ووصل بعد صبر طويل وجهد كبير الى اكتشاف جليل سيكون لهُ في المستقبل شأن كبير في حياة الانسان وهو الفاغوسيت (Fagocyte)

***

والشيخوخة كما يعلم الجمهور هي دور الانحطاط من ادوار الحياة وهي في الانسان شاغلة لبالهِ وموجبة لاهتمامهِ يهلع قلبهُ كلما قرب خطوة منها واذا بلغت الحد الذي تخسر الوظائف فيهِ قوتها الطبيعية قال متحسراً

فيا ليت الشباب يعود يوماً فاخبرهُ بما فعل المشيبُ

واذا رأينا هرماً احدودب ظهرهُ وانطفأ بصرهُ وذهب عقلهُ وارتجفت اطرافهُ تمنينا لهُ الموت تخلصاً من حياة عذاب لا فائدة لهُ منها ولهذا فالشيخوخة مسئلة فيها نظر تستوجب حلاً مرضياً اما بتخفيف شقائها بالوسائل العلمية حتى تصبح دوراً من ادوار الحياة قليل الشقاء او لا شقاء فيهِ او بالوسائل الاجتماعية حتى يجد الشيخ ملجأً يلجأ اليهِ في عاهتهِ التي اقعدتهُ عن القيام بمعيشتهِ و يجد فيهِ بعض السلوى عن شقاء لا محيص لهُ منهُ ٠ وهذا ما دعا متشنيكوف الي التعمق في درس هذا الموضوع

***

يختلف حل هذه المسئلة في نظر الام باختلاف رقيهم ومدنيتهم فهي بسيطة عند الشعوب المنحطة يحلونها بقتل شيوخهم ٠ ومعقَّدة عند الام المتمدنة اذ يدخل فيها عندهم الشعور الراقي والنظام الاجتماعي العام ٠ فاهالي ميلانيزيا يدفنون شيوخهم الذين لا يستطيعون القيام بعمل ما احياء واهالي ارض النار اذا هددتهم المجاعة قتلوا عجائزهم واكلوهن وابقوا على الكلاب واذا سئلوا عن ذلك اجابوا ببساطة وبدون تكلف ان الكلاب تصطاد القمة واما النساء فلا ٠ اما اهالي البلدان المتمدنة وان كانوا لا يقتلون شيوخهم فهم يحسبونهم عبئاً ثقيلاً عليهم و يتمنون لهم الموت العاجل واذا طالت حياتهم تأففوا منهم وتبرموا ٠ ويزعم

بعض الناس ان للنساء سبع ارواح و يقول آخرون ان للعجوز روحاً صلدة لا تطحنها الرحى·
ولهذه المزاعم القومية تأثير في موت الشيوخ الجنائي حتى في ارقى البلدان مدنيةً لان حوادث الجرائم التي تقع على الشيوخ وخصوصاً على العجائز كثيرة وسببها ما تقدم وهو ينطبق على ما قاله احد المنفيين الى جزيرة سخالين لطبيب السجن وكان قد حكم عليهِ بالنفي اليها لانهُ قتل بعض الشيوخ فقد قال لهُ «ما الذي يدعوكم الى الشفقة عليهم فهم عجائز لانفع منهم فان لم يقتلوا فموتهم ليس ببعيد»

فحالة الشيوخ السيئة تعرّضهم لخطر الموت قتلاً وتزيد خطورة بميلهم الى الانتحار تخلصاً من شقائهم لان حرمانهم من وسائل الحياة واصابتهم بالامراض الثقيلة العديمة الشفاء تجعلهم ان يفضلوا الموت على الحياة بذلةٍ · وفي اخبار الجرائد شواهد كثيرة على انتحارهم بعضهم ينتحر بغاز الفحم وهو ثابت من الاحصاءات الرسمية المستندة الى وقائع حقيقية من زمن بعيد الى الآن من ذلك ان في سنة ١٨٧٨ كانت نسبة الانتحار في بروسيا لكل ١٠٠ ٠٠٠ نسمة ١٥٤ من سن ٢٠ — ٥٠ و ٢٩٥ من سن ٥٠ — ٨٠ ومنها ان النسبة في الدنمارك لهذا العدد في مدة عشر سنين اي من سنة ١٨٨٦ — ١٨٩٥ كانت في كوبنهاغن ٣٩٤ من سن ٣٠ — ٥٠ و ٦٨٦ من سن ٥٠ — ٧٠ فيكون معدل الانتحار ½ ٣٦ في الكهول و ½ ٦٣ في الشيوخ

فلا غرو اذاً اذا عُني رجال السياسة ومحبو الانسانية بتخفيف عناء الشيخوخة في الفقراء وسنُّوا القوانين لهذه الغاية · فقد سنوا قانوناً في الدنمارك سنة ١٨٩١ يقضي بمساعدة الشيوخ مساعدة اجبارية ويحق المساعدة لابن ٦٠ سنة اذا كان معوزاً فنتج من ذلك دخول ٢٤٦ من العجزة و ٣٦ شخصاً الى ملجإ العجزة في سنة واحدة (وهي سنة ١٨٩٦) انفق عليهم نحو خمسة ملايين ونصف من الفرنكات

وقانون البلجيك يقضي بمساعدة العجزة من سن ٦٥ فصاعداً

واما في فرنسا فجروا على معاقبة العجزة بالعقاب المفروض على الشحاذين ليتمكنوا من القبض عليهم وارسالهم الى الملجإ العام ثم سنوا قانوناً سنة ١٩٠٥ يقضي بمساعدة كل فرنساوي بالغ السبعين لا معين لهُ ولا استطاعة لهُ على كسب معاشهِ او مصاب بعاهة او بمرض عديم الشفاء

غير ان هذه القوانين الدالة على رقي الشعور الانساني ونمو عاطفة الشفقة في الجماعات لم تفد الشيخوخة فائدة علمية اذ ليس فيها ما يوجه النظر الى تأخير الشيخوخة وابقاء الشيوخ في حالة من القوة يستطيعون بها ان يكسبوا معاشهم من عملهم مع ان الشيخوخة ظاهرة من ظواهر

الحياة توجب على رجال العلم ان يدرسوها بالطرق العلمية لعلهم يتوصلون الى وضع القواعد الصحية التي تمكن الانسان من الوصول اليها وهو حافظ من قوتهِ ونشاطهِ ما يكفل لهُ معاشهُ بدون ان يضطر الى الاستعانة باحسان المحسنين . ولذلك يجب ان تدرس الشيخوخة في ملاجئ العجزة درساً منظماً للتمكن من وضع نظام موافق وشروط حسنة لحفظ القوة في هذا السن . على ان اقصى حد الشيخوخة اي المئة وما فوقها لا يشاهد الاَّ نادراً جدًّا في الملاجئ او لا وجود لهُ فيها . ومع ان النساء اطول عمراً من الرجال ويبلغ منهنَّ سن المئة اكثر من الرجال فالبالغات هذا السن لا يشاهدن الاَّ نادراً او صدفة في ملاجئهن واما في بيوت العيال فالذين بلغوا المئة ليسوا بنادرين وعليهم المعول في هذا الدرس

نرى في اغلب الشيوخ البالغي المئة انحطاطاً عظيماً في العقل بحيث لا يبقى مجال للبحث الاَّ في حالتهم المادية اي في تركيب ابنيتهم العضوية . وقد وقفنا على حالة عجوز في سن المئة كانت في ملجإِ السالبتريير من بضع سنين وكان ذلك الملجأُ يفتخر بوجودها فيهِ وهي درديبس ملازمة السرير ضعيفة القوة البدنية ومنحطة العقل كثيراً تجاوب باختصار على ما تُسأَل عنهُ بدون ان تفهم معنى السوءَال

وكان من مدة قريبة في ضواحي روان عجوز مئوية تكلمت عليها الجرائد المحلية كثيراً وافاضت في وصف قوتها البدنية وحالتها العقلية فقصدناها لدرس حالتها درساً دقيقاً فوجدنا ان وصف الجرائد لها كان في غير محلهِ لان عقلها كان منحطاً كثيراً فلم نجد سبيلاً للبحث فيها ولو بقليل من الاهمية اما قوتها البدنية فكانت على نوع ما محفوظة

واهم مَن وقع تحت مشاهدتنا من الذين بلغوا المئة مدام روبينو وهي عجوز قاطنة في ضواحي باريس وبالغة من العمر مئة وسبعاً وهي قصيرة القامة نحيلة الجسم محدودبة الظهر تتوكأُ في مشيها على عصا وحالتها البدنية حالة انحلال . لم يبقَ لها سوى سنّ واحدة واذا مشت بضع خطوات اضطرت الى الجلوس واذا جلست جلوساً مريحاً استطاعت ان تبقى على وضعها مدة طويلة وهي تنام باكراً وترقد في السرير وقتاً طويلاً . وتقاطيع وجهها توافق عمرها الاَّ ان جلدها ليس بكثير التجعد واما جلد يديها فرقٌّ الى ان اصبح شفافاً تبين من تحتهِ العظام والاوردة والاوتار

وجدنا حواسها ضعيفة جدًّا فهي لا تبصر الاَّ بعين واحدة وشمها وذوقها اصبحا اثريين ولم يبقَ الاَّ السمع سليماً على نوع ما . وفحص اذنها الدكتور لوينبرغ المشهور بامراض الاذن فوجد ضعف السمع الخاص بالشيوخ بدرجة متقدمة فيها اي الصمم المطلق للاصوات الحادة

كثيراً والصمم الخفيف بالاصوات الثقيلة ويعلل لو ينبرغ ذلك بكون حوّول الاذن يزيد بزيادة عمر الشيخ وتجه تأثيره بنوع خصوصي الى عضو السمع ولكنهُ لا يصيب الجهاز الموصل للصوت

ورغماً عن ضعف بنيتها اشتد ضعف عقلها فهي على جانب كبير من اللطف وشديدة العطف والحنان وحسنة المراشة لنظائرها عكس ما هو مشهور عن الشيوخ بحبهم للذات وحديثها معقول واسنادها لاخلاقا حسن

وظهر لنا من فحص وظائف جسمها امور كبيرة الاهمية فوجد الدكتور امبارد باستقصاء صدرها ان ضربات قلبها طبيعية وعدد نبضها من ٧٠ — ٨٤ في الدقيقة وان رئتيها سليمتان وهي حالات تدل على صحة جيدة الآن اهم ما اجتذب نظرنا في فحصها هذا هو عدم وجود اليبوسة في الاوعية عكس ما هو شائع ومعروف من ان يبوسة الاوعية هي حالة ملازمة للشيخوخة

ودلّ فحص بولها على انها كانت مصابة بعلة كلوية مزمنة ولكنها خفيفة الوطأة

ورغماً عن ضعف الذوق الزائد كانت قابليتها جيدة الا انها كانت تأكل قليلاً وتشرب قليلاً وكان غذاؤها منوعاً لا يدخل اللحم فيه الا قليلاً وتغذى غالباً بالبيض والسمك والبقول والشوربات والاثمار المطبوخة وتسقى الماء المحلى بالسكر ممزوجاً بقليل من الخمر البيضاء واذا قدم لها قدح من الخمر الحلوة بعد الطعام فلا ترفضهُ ويقال بالاجمال ان الهضم ووظيفة الامعاء فيها كانا على العموم قانونيين

غلب بين الناس العموم ان طول الحياة صفة وراثية تنتقل من الآباء الى الابناء وهو ما لا ينطبق على هذه العجوز لان والديها لم يعمرا ولم يعرف احد من عائلتها بلغ المئة فهي اكتسبت العمر الطويل بنظام معيشتها الذي سارت عليه كل حياتها وهو الاعتدال والقناعة فقد اقترنت بتاجر خشب وسكنت مدة طويلة في ضواحي باريس وعاشت بسعة وكان طبعها لطيفاً وهادئاً وعاشت عيشة عائلية مؤثرة الانفراد في بيتها لا تخالط الناس الا قليلاً وبعد ان بلغت المئة وستاً فقدت ذاكرتها تقريباً بتمامها وصارت تهذي كثيراً الا انها بقيت رضية الخلق

***

هيئة الشيوخ معروفة لا تحتاج الى شرح طويل. يجف جلد الوجه ويتجعد وكثيراً ما يصفر ويشيب الشعر وينحني الظهر ويبطؤ المشي وتخف الحركة وتضعف الذاكرة ويزعم كثيرون ان الصلع صفة خاصة بالشيوخ الا انهُ زعم لا نصيب لهُ من الصحة لان الصلع يبتدئ باكراً ويسير سيرهُ بتقدم العمر واذا لم يصلع الشاب فلا يزيد صلعهُ في الشيخوخة

هذه اوضح الظواهر في الشيوخ وهي تدل على الضمور العام وخسارة العناصر المادية من كافة الابنية . وقد دلّت القياسات الكثيرة على ان الانسان يخسر من طول قامته اكثر من ثلاثة سنتيمترات (٣٤١٦٦) بين الخمسين والخمس والثمانين من عمره والمرأة ٤ سنتيمترات و٣ مليمترات وقد تبلغ الخسارة ٦ او ٧ سنتيمترات . ويأخذ الوزن يتناقص من الستين فما بعدها ويبلغ معدلهُ ٦ كيلو غرامات في الثمانين . وهذا النقص في الطول والوزن دليل على الضمور العام لانهُ لا يقتصر على الاجزاء الرخوة كالعضلات والاحشاء بل يشمل الهيكل العظمي الذي تنقص منهُ المواد المعدنية وينتج من نقصان المادة الكلسية سهولة كسر العظام في الشيوخ الذي يكون داعياً لموتهم في كثير من الاحيان

وضمور العضلات كثير الوقوع في الشيخوخة بل يكاد يكون عاماً فتخسر كثيراً من حجمها ويصغر نسيجها ويقل الدهن الذي يتخللها او يفقد فتبطئ الحركة وتضعف القوة . وقد دلت قياسات القوة العضلية بقياس الديناموستر على النقص المتواصل في الشيوخ وهو اظهر في الرجل منهُ في المرأة . واما الاحشاء فينقص حجمها وثقلها نقصاً اقل منهُ في بقية الاعضاء

***

وظواهر الشيخوخة في ذوات الثدي كظواهرها في الانسان وقد ورد في وصف شيخوخة الفيل ان منظرهُ اجماليًّا زريٌّ وراسهُ هزيل يظهر كأن الجلد لا يكسوهُ وتظهر ثقوب غائرة فوق عينيهِ وعلى خديهِ ويتخلخل جلد جبهتهِ وتبدو عليهِ ثآليل وتكمد عيناهُ ويسيل منهما ماءٌ غير طبيعي وتتهدل اذناهُ وتشرم حوافيها السفلى ويخشن جلد خرطومهِ ويقسو وتبدو عليهِ الثآليل ويخسر كثيراً من ليونتهِ ويتشقق جلد بدنهِ ويتقلص وتدق ساقاهُ وتختفي كتلة العضل الغليظة التي كانت تكسوهما ويهزل دائر قائمتيهِ وخصوصاً ما فوق الخافيتين ويقسو ذنبهُ ويصير صوفيًّا ويتعرى طرفهُ من الشعر على الغالب

وتظهر مثل هذه الظواهر في الخيل التي تهرم قبل الفيل بمدة طويلة فيظهر جلد الحصان الهرم عارياً من الشعر في بعض اقسامهِ ومغطى بشعر طويل في اقسام اخرى وينكس رأسهُ بعد ان كان في الشباب شامخاً عالياً دلالة على الضمور والضعف العامين

اما الطيور فقد لا تبدو عليها علامات الشيخوخة وان عمرت وكثير منها يبقى منظرهُ طبيعيًّا وقد شاهدنا بطة عند الدكتور جان شاركو بلغت خمساً وعشرين سنة بدون ان تظهر عليها ظواهر الكبر ولكن اذا بلغت الشيخوخة مداها في الطير ظهرت بضعفهِ وانتثار ريشهِ وورم مفاصلهِ

واما الزحافات فتختلف اختلافاً كبيراً في شيخوختها عن بقية ذوات الفقرات وما امكن مراقبتهُ منها لم يختلف منظرهُ عن منظر الافراد البالغة التي من نوعهِ وعندنا غيلم (ذكر السلحفاة) لا يقل عمرهُ عن ٨٦ سنة لا دليل عليهِ من دلائل الشيخوخة وهو يعيش كما يعيش كل فرد بالغ من نوعهِ وقد اصابتهُ من اكثر من ٣٧ سنة ضربة معول على درقتهِ فخدشتهُ خدشاً كبيراً لا يزال ظاهراً وواضحاً الى الآن وفي الثلاث السنين الاخيرة خالط في حديقة مونتوبان انثيين فباضتا بيضاً ناقفاً

وفي جزيرة موريس سلحفاة عمرها ١٥٠ سنة وليس عليها ما يدل على العمر الطويل

يستدل من هذه الامثلة على ان بين ذوات الفقرات انواعاً تقوى على التعمير اكثر كثيراً من الانسان وان الشيخوخة المبكرة في الانسان وهي من اكبر مصائبهِ ليست متأصلة في الحيوانات العليا . وقد سبق لنا البحث في هذا الموضوع في كتابنا «دروس في الطبيعة الانسانية» واظهرنا الفرق بين حؤول الشيخوخة في الانسان وبين ظواهر الهرم في النقاعيات التي شرحها موباس وقال انها بعد ان تظهر يعقبها تجدد الشباب . وقد دلت الابحاث الحديثة على ان هذا الفرق هو اكبر مما ذكر لان بعض العلماء ربى سلسلة ٧٠٠ من مواليد النقاعيات بدون ان يظهر عليها العجز اي انحطاط الشيخوخة وهذا كما نرى يبعد كثيراً عن حالة النوع الانساني

وقد حاول هارتويغ وهو اوسع علماء المانيا علماً في الحيوانات الدنيا ان يبرهن ان الحيوانات الصغرى Actinosphoerium تصاب بحؤول فسيولوجي حقيقي وقال انهُ رأى مزروعات الريزوبود تفنى بموت كل افرادها رغماً عن غزارة غذائها وعلل ذلك بان بنية الاكتينوسفيريوم تضعف بنفاد القوة الحيوية على اننا نخالفهُ في ذلك ونرى ان سبب موتها تفشي مرض معدٍ يفتك غالباً بمواليد الحيوانات والنباتات الصغرى . وقد فات هارتويغ ان ينظر في بحثهِ الى الحيبيات الكثيرة في الاكتينوسفيريوم الذي هو موضوع بحثهِ . ويستحيل بكل الاحوال التسليم بما اتخذهُ برهاناً ثابتاً على حؤول الشيخوخة في الحيوانات الدنيا .

يستنتج من كل ما سبق بيانهُ ان الانسان يستطيع في الشيخوخة ان يحفظ قوتهُ العقلية ولو خسر خسارة كبيرة من قوتهِ المادية وان ذوات الفقرات تستطيع ان تقوى على التعمير مدة اطول كثيراً مما يستطيعهُ الانسان في احوال حياتهِ الحالية

وفي المقالة التالية يتسع المجال للبحث في هذا الموضوع - الدكتور

امين ابو خاطر

بعض الامثال والاقوال

قديمًا وحديثًا

(٢)

عطفاً على ما ورد تحت البند العاشر من المقالة السابقة اقول اني عثرت على رواية اخرى للبيت الذي نسبهُ الاصمعي الى كعب بن زهير وهو

اقول شبيهات بما قال عالمًا بهنّ ومن اشبهْ اباهُ فما ظلَمْ

والرواية التي عثرت عليها هي

واني الذي لم يخزني في حياتهِ قديمًا ومن يشبهْ اباهُ فما ظلَمْ

ففي وَضع « يشبه » مكان « اشبه » الساكنة الآخر تخلّص من التعليل السخيف الذي عللوا بهِ تسكين الهاء وهو قولهم « جزم الهاء من اشبه لكثرة الحركات » ولا حركات كما قلنا. وقد نقل اليّ عن لسان بعض العارفين ان البيت

بأَبهِ اقتدى عديٌّ في الكرمْ ومن يشابه أَبهُ فما ظلمْ

هو لرؤْبة ابن العجاج الراجز المشهور فان صحّ ذلك فالمثل سابق لهذا البيت لان رؤْبة من رجال القرن الثاني للهجرة والمثل وارد في نظم كعب بن زهير وهو متقدم على رؤْبة كما هو معروف

(١٤) مكرهٌ اخوك لا بطلٌ . ورد هذا المثل في كتاب الفاخر برفع اخوك على انها مبتدأٌ مؤَخرٌ . والمتداول على السن كتاب العصر انها اخاك لا اخوك . وجاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ قولهُ في الكلام على البلاغة « فمن زعم ان البلاغة ان يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمعرب كلهُ سواءً وكلهُ بيانًا . واصحاب هذه اللغة وهذا البيان لا يفقهون قول القائل منّا « مكرهٌ اخاك لا بطلٌ » و « اذا عزّ اخاك فهُنْ » . ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم « ذهبت الى ابو زيد » و « رأيت ابي عمرو » ومتى وجد النحويون اعرابيًّا يفهم هذا واشباههُ بهرجوهُ (اي شهروا بهِ) ولم يسمعوا منهُ لان ذلك يدلّ على طول اقامتهِ في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان »

فكلام الجاحظ يدلُّ على ان هذا المثل كان معروفاً في عصره وهو سابق لعصر المفضّل بقليل وانهم كانوا يلفظون اخاك بالالف وينكرونهُ لانهُ خطأ كما كانوا يقولون « ذهبت الى ابو زيد » وكما نقولهُ نحن الآن . ويفهم من قولهِ « ومتى وجد النحويون » الخ ان الاعراب لم يكونوا يفهمون الكلام الملحون وهو يؤيد ما نقلهُ عنهم الاصمعي وغيرهُ ممن عاش دهراً طويلاً بينهم . ومدلول هذا القول ان الإعراب كان عند الأعراب جزءًا من الكلام لا يتصور فصلهُ عنهُ فاذا وقع اللحن في الإعراب لم يدركوا المعنى مع دلالة القرينة عليهِ اما في عصرنا فلا يجهل معنى قول القائل منّا « رأيت ابي عمرو » الاَّ جاهل او متحذلق

على ان عدم فهم الاعرابي للكلام الملحون ربما لم يكن غريباً لانهُ اعتاد سماع الكلام معرباً منذ ولادتهِ والنطق بهِ منذ اوان النطق . وانما الغريب تحذلق النحويين الى حدّ انهم يشهرون باعرابي يفهم كلاماً ملحوناً . فهم ملكيون اكثر من الملك كما يقول المثل الفرنسوي . وكنا نظن هذا التحذلق خلقاً فيهم حديثاً فاذا هو خلق قديم

(١٥) اذا عزّ اخوك فهن . كذا ورد في الفاخر وفي مواضع اخرى . ويرى من النبذة المتقدمة ان الجاحظ رواهُ بلفظ اخاك مكان اخوك . وربما كان بين العرب قوم ينكرون الاسماء الخمسة واعرابها بالحروف ويلتزمون الالف فيها على كل حال مهما اختلفت اوجه الكلام والاعراب . ولكني لم اجد نصاً صريحاً على وجود هذه اللغة . ولو وجدت لذكرت كما ذكرت اللغة التي تعرب بها الاسماء الخمسة بالحركات

(١٦) تسمعُ بالمعيدي خير من ان تراهُ . وفي رواية اخرى تسمعَ على نصب الفعل المضارع بان المقدرة فيكون التأويل سماعك بالمعيدي ..... وفي رواية غيرها « تسمعُ بالمعيدي لا ان تراهُ » . وليس لهذا المثل ما يقابلهُ بلفظهِ بين اقوال العامة بل ان عندهم اقوالاً كثيرة بمعناهُ يخرج ايرادها عن غرض هذه المقالة منها قولهم « الشّوف مش مثل السمع »

(١٧) الدالُّ على الخير كفاعلهِ . قالهُ سعد بن خشرم ورجل اسود اعمى في وقتين مختلفين بينهما فترة قصيرة فعُدَّ قولهما من توارد الخواطر . ولهُ حكاية طويلة لا محل لذكرها وفي اقوال بعض العامة ناوي الخير كفاعلهِ

(١٨) انصر اخاك ظالماً او مظلوماً . أذكر هذا المثل هنا مع خروجهِ عن قصد هذه المقالة للردّ على قول بعض من قال ان معناهُ وجوب مساعدة المسلم لاخيهِ المسلم سواءٌ كان محقّاً او مبطلاً . وليس هذا معناهُ كما يرى مما يلي :

قال الفاخر ان اول من قال المثل جندب بن العنبر التميمي جلس وسعد بن مناة وهو تميمي ايضاً يشربان فتغاضبا في القول ورمى جندب سعداً بالجبن وتفرقا على ذلك . وكان سعد قد قال لجندب لتأسرنك ظعينة (اي امرأة راكبة بعير) فلا يغيثك غيري فكان كذلك واستغاث جندب بسعد ولم يكن يعرفهُ فقال سعد ان الجبان لا يغيث فقال جندب

يا ايها المرء الكريم المشكوم انصر اخاك ظالماً او مظلوم

فاقبل اليهِ فاطلقهُ . قال صاحب الفاخر « ويروى عن النبيّ (صلعم) انهُ قال انصر اخاك ظالماً او مظلوماً . قيل يا رسول الله هذا ننصرهُ مظلوماً فكيف ننصرهُ ظالماً . فقال تردهُ عن الظلم » . وفي هذا قطع لالسنة القائلين ان نصرة الظالم هي معاونتهُ على ظلمهِ . وجندب وسعد المذكوران آنفاً من اهل اواخر الجاهلية

(١٩) إياك اعني واسمعي يا جارهْ . اول من قال ذلك سهل الفزاري فانهُ نزل في بعض اسفارهِ على حارثة بن لام وكان غائباً فأكرمتهُ اختهُ وكانت اجمل اهل دهرها واكملهم وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها فوقع في نفسهِ منها شيءٌ فانشد ذات يوم على مسمع منها

يا أُخت خير البدو والحضارهْ كيف ترين في فتى فزارهْ

اصبح يهوى حرةً معطارهْ إياك اعني واسمعي يا جارهْ

فلما سمعت قولهُ قالت ما هذا بقول ذي عقل اريب ولا رأي مصيب ولا انف نجيب فاقم ما اقمت مكرماً ثم ارتحل اذا شئت مسلماً . فاستحيا وقال ما اردت منكراً واسوءتاهُ قالت صدقتَ وكأنها استحيت من تسرُّعها الى تهمتهِ فارتحل . وفيما هو عائد عاج بالمنزل وكان فيهِ اخوها فتطلعت اليهِ نفسها وكان جميلاً فارسلت اليهِ ان اخطبني ان كانت لك فيَّ يوماً من الدهر حاجة فاني سريعة الى ذلك فخطبها وتزوجها وسار بها الى قومهِ

وفي الشام يقولون « بقول لكِ يا كنه تسمعي يا جاره » وهو لسان حال الحماة تقول اكلك يا كنتي لتسمعي يا جارتي اي ان الحماة—وعداوتها للكنة وعداوة الكنة لها قديمتان مشهورتان — تخاطب كنتها بصوت عالٍ ارادة التشهير بها اذ لو كانت تريد نصحها لكلمتها بصوت منخفض. وعندي ان المثل يكون اوجه لو كان « بقول لكِ ياجاره تسمعي يا كنه ». فان الحماة تكون عادة اضعف مراساً من كنتها فلا تستطيع مقابلة عداءها — وما يصحبهُ من الشتم والصخب والنكاية — بمثلهِ فتلجأ الى جارتها وترفع عقيرتها امامها بقوارص الكلام والفاظ السباب توجهها اليها ظاهراً وهي انما تعني كنتها باطناً لعلها بذلك تتخلص من نقمتها

(٢٠) اقتلوني ومالكاً . اول من قال ذلك عبد الله بن الزبير . وذلك انهُ عانق الاشتر النخعي فسقطا الى الارض واسم الاشتر مالك فنادى عبد الله بن الزبير اقتلوني ومالكاً فضرب به المثل لكل من اراد بصاحبهِ مكروهاً وان نالهُ منهُ ضرر . ومن ذلك البيت المشهور

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

فالعجز تأكيد للصدر من غير زيادة عليهِ في المعنى

وفي الشام يقولون بهذا المعنى « عليَّ وعلى اعدائك يارب » وهي عبارة ينسبونها الى شمشون والحقيقة انها تختصر حكاية موتهِ مع الفلسطينيين اعدائهِ . فانهم بعد ان اغروا دليلة خليلتهُ بحلق شعرهِ وكان سرّ قوتهِ فقأُوا عينيهِ وجاؤُوا بهِ الى هيكل اوثانهم ليلعب امامهم واوقفوهُ بين اعمدة الهيكل . وكان شعرهُ قد نبت وعادت اليهِ قوتهُ فقبض على عمودي الهيكل المتوسطين واستند اليهما الواحد بيمينهِ والآخر بيسارهِ ودعا الرب فقال « يا سيدي الرب اذكرني وشددني هذه المرة فانتقم نقمة واحدة عن عينيَّ من الفلسطينيين » . ثم انحنى وقال « تموت نفسي مع الفلسطينيين » فكان الذين اماتهم في موتهِ اكثر من الذين اماتهم في حياتهِ ومات هو معهم

(٢١) لا تعلّم اليتيم البكا . اول من قالهُ زهير الكلبي فان علقمة بن كنانة اغار على بطن من قبيلتهِ فقتل واسر منهم وافلت من افلت فاقبلت الجواري على زهير يسألنهُ عن آبائهنَّ فبشّر منهنَّ بنجاتهم ونعى الى واحدة اباها فبكت فقال رجل ما اسوأ بكاها فقال زهير لا تعلّم اليتيم البكا

وفي الشام يقولون « بتعلّم الارامل النواح ؟ » استفهاماً انكارياً . يريدون ان الارامل يحسنَّ النواح فلا حاجة بهنَّ الى من يعلّمهنَّ اياهُ

(٢٢) يا حبذا الامارة ولو على الحجارة . قال ابو عبيدة اول ما قيل ذلك للحجاج الثقفي وكان زياد ولاهُ بناء دار الامارة بالبصرة والمسجد الجامع بها فظهرت لهُ اموال وحال لم تكن فقيل المثل المتقدم . وقال مصعب الزبيري انما قال ذلك عبدالله بن خالد بن اسيد وقال لابنهِ ابنِ لي داراً بمكة واتخذ فيها منزلاً لنفسك ففعل فدخل عبدالله الدار فاذا فيها منزل قد اجادهُ وحسنهُ بحجارة منقوشة فقال لمن هذا المنزل فقال هذا المنزل الذي اعطيتني فقال عبدالله المثل

ويقال في الشام « امارة ع الفرع » ويقابلهُ بمعناهُ قولهم « بحب الرفعه ولو على الخازوق »

(٢٣) بكى الصبيُّ حتى فَحَمَ . قال ابن الاعرابي معناهُ حتى انقطع بكاؤُهُ من كثرة ما بكى . و يقال معنى فحم اكدَّ واسودَّ وجههُ من كثرة البكاء

وفي الشام يقولون بكى حتى فحّم بتشديد الحاء وفحّمت من العطش (او ثحّم وثحّمت في بعض البلاد بابدال الفاء ثاء) وفي القاموس فَحَمَ شرب في فحمة الليل والفحمة اول الليل او اشدُّهُ سواداً خاص بالصيف وفحّمهُ سوّدهُ بالفحم

(٢٤) خالف تُذْكر . اول من قالهُ الحطيئة وكان ورد الكوفة فلقي رجلاً فقال لهُ دلني على فتى المصر نائلاً (اي اكثركم عطاء) فقال عليك بعُتَيْبة العجلي فمضى نحو دارهِ فصادفهُ فقال لهُ انت عتْبة قال لا قال افأنت عتّاب . قال لا قال اسمك لشبيه بذلك . قال انا عتيبة فمن انت . قال انا جرول . قال ومن جرول قال ابو مُلَيكة قال والله ما ازددتُ الاَّ جهلاً . قال انا الحطيئة . قال مرحباً بك . قال الحطيئة فحدثني عن اشعر الناس من هو . قال انت . قال الحطيئة خالف تذكر . اشعر مني الذي يقول « ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ » (الخ يريد زهيراً) قال صدقت فما حاجتك . فطلب الحطيئة ثيابهُ وكانت من خزّ وميرة اهلهِ وكسوتهم فاعطاهُ جميع ما طلب

وفي الشام يقولون « خالف تُعرَفْ »

(٢٥) هو آية . الآية العلامة التي تدلُّ على الشيء فيراد انهُ علامةٌ فيما يوصف بهِ يستدلُّ بها عليهِ . والآية ايضاً المثل فيراد بهِ انهُ يتمثل بهِ في الشيء الذي ينسب اليهِ من خير او شرّ

ويقول بعض عامة الشآميين في خطاب المتعجب منهُ « أمّا انك آية » يريدون انك انك غريب الاطوار نادر الاخلاق كالآية اي الاعجوبة

(٢٦) هذا الشيء فتنة من الفتن . الفتنة في هذا الموضع النعمة واللذة . ومنهُ الآية « انما اموالكم واولادكم فتنة » . ويكون ايضاً معنى الفتنة المحنة والبلوى اي تمتحنون بذلك ليعلم شكركم

وتستعمل الفتنة في الشام لوصف الجمال البارع فيقال هذه الفتاة فتنة اي تفتن الالباب بجمالها . ولعل هذا هو مراد الشاعر الحديث من قولهِ

خلقتَ الجمال لنا فتنة وقلت لنا يا عبادي اتقونْ
وانت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون

(٢٧) ويلٌ للشجي من الخلي · اول من قال ذلك فيما ذكر بعضهم أكثم بن صيفي التميمي وكان من حديث ذلك انهُ لما ظهر النبي بمكة ودعا الى الاسلام بعث أكثم ابنهُ حُبيشاً فاتاهُ بخبرهِ فجمع بني تميم وخطب فيهم خطبة وجيزة كلها نصح وارشاد ثم قال ان ابني شافه هذا الرجل (يريد النبي) مشافهة واتاني بخبره وكتابهِ يأمرُ فيهِ بالمعروف وينهى عن المنكر الى آخر خطبة طويلة دعاهم فيها الى الاسلام طائعين قبل ان يأتوا كارهين · فقال احدهم قد خَرِف شيخكم فقال أكثم المثل · وقال غيرهُ غير ذلك

وفي الشام يقال « ويلٌ للحزانى من النائحات او من المتفرجات » اشارة الى النادبات اللواتي يُستأجرن للبكاء او الى اللواتي يشهدن المآتم للفرجة لا للمؤاساة · ومن هذا قول الشاعر « وليس كمن بكى من قد تباكى »

(٢٨) ليس الخبر كالمعاينة · روي ان النبي اول من قال ذلك

ويقال في مصر والشام « وليس الخبر كالعيان » واكثر ما يرى هذا القول هنا في الاعلانات التي توزع على القهوات كما هو معروف

(٢٩) صمت الفاً ونطق خلفاً · معنى قولهم صمت الفاً اي صمت في موضع الف كلمة كان ينبغي ان يتكلم بها ويقال الف يوم · والخلف الرديء من القول

والمثل المشهور بين العامة في هذا الزمان « سكت شهراً ونطق كفراً »

(٣٠) كل شاة برجلها معلقة · اي كلّ احد مأخوذ بجريرتهِ لا بجريرة غيرهِ كما ان الشاة لا تعلق برجل غيرها · يقال ان اول من قالهُ وكيع بن إياد وكان ولي امر البيت بعد جُرْهم فلما حضرتهُ الوفاة جمع إياداً فقال لهم اسمعوا وصيتي الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوهُ ومن غوى فارفضوهُ وكلّ شاة معلقة برجلها فارسلها مثلاً

ويقول عامة الشام « كل عنزة معلقة بكرعوبها » اي عرقوبها وهو بمعنى ما قبلهُ

(٣١) ما عدا مما بدا · اي ما عداك عني مما بدا لك مني ومعنى عداك صرفك وبدا ظهر · واول من قال ذلك علي بن ابي طالب لما قدم البصرة قال لعبد الله بن العباس سِرْ الى الزبير ولا تأتِ طلحة فقل يقرأ عليك السلام ويقول اعرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق ما عدا مما بدا · فلما ابلغهُ قال أبلغهُ سلامي وقل لهُ عهد خليفة ودمُ خليفة واجتماع

ثلثة وانفراد واحد وامّ مبرورة ومشاورة العشيرة · هذه هي رواية المفضل ورواية الجاحظ تختلف بعض الشيء عنها وهاكها :

« عبدالله بن مصعب قال ارسل عليٌّ بن ابي طالب عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال ائت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير الين وانك لتجد طلحة كالثور عاقصاً قرنهُ يركب الصعوبة و يقول هي اسهل · فاقرأ عليهِ السلام وقل لهُ يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدالك · قال فاتيت الزبير فقال مرحباً يا ابن لبابة ازائراً جئت ام سفيراً قلت كل ذلك وابلغتهُ ما قال عليٌّ · فقال الزبير ابلغهُ السلام وقل بيننا و بينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وام مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف فنحلّ ما احلّت ونحرم ما حرمت · فلما كان من الغد حرّش بين الناس غوغاؤهم فقال الزبير ما كنت ارى ان مثل ما جئنا لهُ يكون فيهِ قتال »

وفي الشام يقولون « شوعدا ما بدا » بالمعنى نفسهِ اي عند ارادة العتاب · ولم اسمع هذا المثل الأ في بلاد الشيعة (المتاولة) إما منهم واما من النصارى النازلين بين ظهرانيهم · والذي يعلم تعلق الشيعة بعليّ وحرصهم على كلّ ما يعزى اليهِ لا يعجب من تداول السنتهم لقول من اقوالهِ قد لا تجد لهُ ذكراً الأ في كتاب او كتابين

(٣٢) ما اشبه الليلة بالبارحهْ · يقال ذلك لكلّ اثنين اتفقا على خلق · واول من قالهُ طرفة بن العبد يذمُّ اخاهُ :

كلّ خليلٍ كنت خاللتهُ لا يترك الله لهُ واضحهْ
كلهمُ اروغُ من ثعلبٍ ما اشبه الليلةَ بالبارحهْ

وفي الشام يقولون « قالت العنزه وهي سارحه هالليله مش مثل البارحة » ويستعملونهُ في معنى يختلف عن معنى المثل المذكور فيضربونهُ حيث يريدون مقابلة حاضر منحوس بماضٍ مسعود

(٣٣) قولهم في الدعاء على الانسان ياليتها كانت القاضية اي الموتة التي لا حياة معها وفي الشام يدعون مثل هذا الدعاء

نجيب شاهين

المزاح واختلاف مقاييسه

الصور الهزلية

المزاح خلّة عامة لجميع طوائف الناس وان اختلفت درجاتهم فيها فعندك المكثر والمقلّ او المتطرف والمعتدل شأنهم في سائر المزايا والطباع . والملحة او النكتة او الفكاهة قد تكون عامة بمعنى ان كلّ امة تفهمها وتقدرها قدرها وقد تكون خاصة يفهمها فريق دون فريق . فبينا ترى زيداً يضحك حتى يسيل لعابهُ او يستلقي على ظهرهِ لنكتة تطرق أذنيهِ ترى عمراً جامداً بازائها لا يبدي ولا يعيد كانها ليست من النكات في شيء

وقد اشتهر الفرنسويون والارلنديون في اوربا بميلهم الى الهزل واحكامهم اياهُ حتى ليعترف الانكليزي لاخيهِ الارلندي بالنكتة ويضحك لها ولو كانت عليهِ ولا ينكر اتهام الارلندي اياهُ بالبلادة وتوليتهِ وجههُ شطر الجانب المظلم من هذه الحياة الدنيا دون الجانب المنير كما يقولون . على ان الانكليزي نفسهُ على جمودهِ اذا خرج من الجدّ الى الهزل اسمعك مزاحاً يضحك الثكالى والذين يعرفونهُ حق معرفة ويقرأُون كتبهُ وصحفهُ الهزلية يشهدون لهُ بذلك . وقد اشتهر المصري في الشرق بميلهِ الى المزاح واجادتهِ فيهِ واتقانهِ لهُ وسرعة بداهتهِ حتى ضرب بهِ المثل

وما يقال عن الملح الكلامية يقال عن الصور الهزلية . ولكن كثرة استرسال المرء في المجون قد يفقدهُ قوة التمييز بين جيّد النكات ورديئها سمينها وهزيلها حتى لقد نقل عن بعض اهل المجون قولهم انهم لا يعرفون هل نكتتهم نكتة حقيقية ام لا حتى يروا اثرها في سامعيهم . وعلى ذلك قال شكسبير « ان نجاح النكتة يتوقف على اذن الذي يسمعها » . وقال احد المصورين الهزليين مرة بلغ من امري واختلافي انا واصحابي على الصور الهزلية التي كنت اصورها انني كنت اقهقه حيث لا يتبسمون وكانوا يقهقهون حيث لا ابتسم

خطر لاحدى المجلاَّت الانكليزية الكبرى منذ بضع سنوات ان تستفتي الصحف الاوربية الهزلية في افكه الصور التي نشرت في صحفهم فاجابتها كلٌّ منها بما عنَّ لها . مثال ذلك ان مدير جريدة بنتش الهزلية المشهورة اختار صورتين اولاها صورة خاصة اي ان معناها غير واضح لكل احد وكذلك معنى ما كتب تحتها فلا بدَّ من تفسيرهِ وقد لا تجد فيهِ مزاحاً بعد التفسير وان يكن غلادستون على بعدهِ عن المزح قد ضحك لهذه الصورة مقهقهاً

على ما قيل . وثانيتهما صورة عامة يفهمها كل احد وهي تمثّل رجلاً يصيد السمك بصنارتهِ وقد اطلَّ عليهِ من خلف جدار بيمارستان مجنونٌ منفوش الشعر يشير باحدى اصابعهِ ان ينضمَّ اليهِ وتحت الصورة هذه الكتابة :

المجنون — ماذا انت صانع هنا

الصياد — الصيد

المجنون — هل امسكت شيئاً

الصياد — لا

المجنون — كم مضى عليك من الوقت هنا

الصياد — ست ساعات

المجنون — تفضّل اذاً لعندنا (مشيراً بسبّابتهِ)

ومما هو جدير بالذكر ان كل صور بنتش هزلية في الظاهر سياسية في الباطن اي انها تشير الى مسائل سياسية خفية يدركها المرادون منها وهذا شأن الصحف الهزلية الاخرى في الاكثر . فان لم يكن غرضها سياسيًّا فهو اجتماعي

ومن الصحف الانكليزية الهزلية جريدة « جودي » اجاب مديرها عن الاستفتاء المذكور آنفًا بارسال الصورة التي يحسبها افكه ما نشر في جريدتهِ . وهي تمثّل فاعلاً ارلنديًّا استؤجر لتخريب بيت وقد وقف على رأس حائط متداعٍ الى السقوط وجعل يُعمل معولهُ فيهِ فبات على شفا التدهور وكأَنهُ لا يدري . واذا بصوت من تحت يناديهِ « الى الطعام » فاجاب بلهجتهِ الارلندية المشهورة « سأكون عندكم في تكّتين » (التكّة صوت الساعة او ضربة المعول) وفي هذا تورية ظاهرة وان لم يقصدها . فانهُ يريد انهُ سينزل اليهم حالاً بطريق الفعلة وهو المعنى القريب ولكن حرج موقفهِ واشرافهُ على الخطر يشيران الى المعنى البعيد وهو نزولهُ اليهم ساقطاً من اعلى الجدار لا بطريق الفعلة المطروق

واجاب مدير الجريدة الفرنسوية المسماة « لافي باريزيان » بارسال الصورة التي يفضلها على غيرها فقال صاحب المجلة الانكليزية في وصفها انها ليست في حاجة الى ترجمان يترجم معناها . وهي تمثل اله الحب عند الرومان بصورة غلام عارٍ ذي جناحين اعمى مسلّح بقوس وجعبة ملئت سهاماً وقد خرج للسياحة. فاستقبلهُ ترجمان وقال لهُ وهو رافع قبعتهُ « هل انت في حاجة الى من يترجم لك » فاجابهُ الاله « كلاَّ فان الناس يفهمونني حيثما اتوجه » . وفي هذا اشارة لطيفة الى كون الحب ملكاً مشاعاً ليس خاصًّا بقوم دون قوم

واجاب مدير الجريدة الفرنسوية « لرير » المشهورة بارسال الصورة التي يعدّها افكه ما نشر في جريدتهِ فقال صاحب المجلة الانكليزية يصفها :

« كثيراً ما تنشر جريدة « لرير » صوراً هزلية قد لا يدرك الانكليزي مغزاها فلا تضحكهُ كما هو المراد منها · ولكن الصورة التي ارسلت الينا مفعمة بالمزاح الخفيف المفهوم · نعم تمثل شيخاً بديناً ماهراً في السباحة وحولهُ نفر من اصحابهِ يريد ان يبهرهم بمهارتهِ ولوكان الماء قليلاً قريب الغور »

اما الصورة فذات ثلاثة اشكال : ففي الشكل الاول ترى صاحبنا وقد وقف على ضفة بركة صغيرة قليلة الماء يتحفز للوثوب اليهِ ووقف اصحابهُ بازائهِ من رجالٍ ونساءٍ واولاد يشاهدون عجائبهُ وقد كتب تحت الشكل الاول قول ولد صغير لهُ : انت يا سيدي اكبر من البركة فكيف تغوص فيها »

والشكل الثاني يمثلهُ وقد القى نفسهُ فيها فطار رشاش الماء منها وبلَّل ملابس اصحابهِ المعجبين بهِ واعمى ابصارهم · وتحت الشكل قول السابح : ألا ترون كيف دخلتها »

والشكل الثالث يمثلهُ جالساً في قعر البركة مادًّا رجليهِ واحد الواقفين يقول لهُ جواباً على سؤالهِ في الشكل الثاني : لم تدخل البركة ولكنّ البركة خرجت يا مغفّل »

ومن اعظم الصحف الهزلية في اوربا على ما تقول المجلة الانكليزية صحيفة المانية تصدر في مونخ · هذه ارسلت الى المجلة الانكليزية صورتها الهزلية الاولى في عرفها وهي صورة ذات سبعة اشكال تمثل اسداً من « الدندرمة » في قصعة · ففي الشكل الاول ترى ملك الوحوش واقفاً بابهتهِ وجلالهِ ينظر الى ما امامهُ بعينين وقّادتين · وفي الثاني تراهُ وقد انبعس صدرهُ وهبط بطنهُ لانخساف ظهرهِ · وفي الثالث تراهُ مقعياً وقد ذاب الجزء الخلفي منهُ وجحظت عيناهُ ولاحت عليهِ علامات المستضعف المستغيث وهو الذي اذا المّ فلا مغيث · وفي الرابع ذابت رجلاهُ وانفصل بدنهُ عن يديهِ فسقط وهما لا تزالان واقفتين كانهما تحرسانهِ من غِيَر الذوبان وطوارق الحدثان · وفي الخامس سقطت يداهُ الواقفتان حارستين لهُ وزاد هو هبوطاً في القصعة وغوصاً في الماء ولكن انفهُ ما زال في السماء · وفي السادس تراهُ مفكك الاعضاء وهي ركام بعضها على بعض وانفهُ مستقرّ فوقها وشعر شاربيهِ مستشزر الى العلى · وفي السابع تراهُ وقد ذاب كلهُ وبات سائلاً يتدفق من جوانب الاناء

ومن الصحف الالمانية الهزلية جريدة اسمها « لستج بلاتر » ارسلت عدة صور احسنها ثلاث . فالاولى تمثل ملعباً للصارعين تنافس فيهِ اثنان فغلب احدهما الآخر فخنق المغلوب لذلك ورام استعادة شهرتهِ السابقة فامسك فيلاً بخرطومهِ ثم قذف بهِ الى الهواء فبات الفيل ورجلاهُ الى فوق وخرطومهُ الى تحت وهو ثابت في الهواء مستقرٌّ على خرطومهِ وخرطومهُ في يد المصارع الجبار . قالت المجلة الانكليزية في التعليق على ذلك «ولا ندري ايهما ادعى الى العجب أالرجل الذي رفع الفيل بخرطومهِ وثبتهُ في الهواء ام الفيل الذي بلغ من لطفهِ وادبهِ ان مكّن المصارع من خرطومهِ لمثل هذه الحركة الغريبة»

والثانية تمثل شارلوك هومز البوليس الانكليزي السري في مظهر من ادعى المظاهر الى الضحك كما قالت المجلة الانكليزية . فانك تراهُ متكتفاً شاخصاً بعينيهِ الى الافق يعنت قريحتهُ ويستكدّ فكرهُ املاً في الاهتداء الى الجاني من آثار الجريمة التي امامهُ وهي برنيطة وحذاء ويد مبتورة . اما هو فقد صوّر بساقين دقيقتين تنتهيان الى حذاءين ضخمين ووجه طويل وعينين جاحظتين يتدلّى من « جيبهِ » متر كالامتار التي يستعملها النجارون

والثالثة صورة عضو من اعضاء مجلس الشيوخ الالماني جلس حول مائدة الطعام هو وامرأتهُ وطفلان لهُ وقد لبس ملابس النوم وامسك بيديهِ جريدة الاخبار البرلمانية يقرأها ويفنّد آراء الاعضاء زملائهِ لعائلتهِ وامرأتهُ تشرب الشاي وطفلاهُ يلعبان بالملاعق وكلبهُ نائم الى جانبهِ

ومن الطف الصور واعظمها مغزى صورة ارسلتها جريدة « بك » الاميركية وهي تمثل صياداً واقفاً هو وصديق لهُ في غرفة صيدهِ وهو يشير بيدهِ الى صور معلقة في الغرفة وهي صور الحيوانات التي صادها في زمانهِ وتحت الصورة هذه العبارة « نعم اني اصطدتها كلها ببندقيتي » . اما هذه الحيوانات فكلها رجال كتب تحت احدهم « ظُنَّ غزالاً » وتحت آخر « ظُنَّ تيساً » وتحت غيرهِ « ظُنَّ ثوراً بريًّا » وتحت اثنين في صورة واحدة « قتلا بطلقة واحدة — سنة كذا وكذا » وليس بين هؤُلاء الرجال الذين حُرِّم صيدهم الأَ حيوان واحد حلّل صيدهُ وهو غزال كتب تحتهُ « قتل خطأً » !!! . ولا ريب ان مغزى الصورة كبير فان الجريدة ارادت ان تبين للناس ما بات عليهِ الصيد في اميركا من الفوضى لعدم العناية بسنّ القوانين اللازمة لهُ فصوّرت هذه الصورة فكانت وهي الصامتة أفصح من كل بيان واذلق من كل لسان

المواد الحيوية

المواد الحيوية (ڤيتامين Vitamins) اسم جديد وضعهُ العالم فنك لمواد كيماوية قليلة المقدار جداً تكون في الاطعمة المختلفة فتجعلها مفيدة لآكليها واذا زالت من الاطعمة قلّت فوائدها . وقد لخص الاستاذ كارل ڤوغتلين ما عُرف حتى الآن من امر هذه المواد بمقالة نشرتها مجلة العلم الشهرية فاقتطفنا منها ما يأتي قال

قد عُرف منذ عهد قديم ان مرض الاسكربوط يصيب الانسان والحيوان اذا لم يكن في طعامهما خضر ولحوم طرية وان من يصيبهُ هذا المرض يشفى منهُ حالاً اذا شرب اللبن الذي لم يغلَ او اكل الخضر الطرية ولاسيما اذا اكل الليمون الحامض . ولذلك ففي اللبن والخضر الطرية والليمون الحامض مواد ضرورية لمنع مرض الاسكربوط . فان كان الطعام الذي فيه ما يكفي من اللحم والدهن والمواد الهيدروكربونية يجلب مرض الاسكربوط والخضر الطرية تزيلهُ ففيها مادة لازمة للصحة ولو لم تكن من مواد الطعام المعروفة

ويحدث احياناً مرض عصبي اسمهُ بري بري يكثر في البلدان الشرقية كاليابان والفيلبين من قلة اكل الخضر واللحم الطري . ويصيب هذا المرض ايضاً الذين يقتصرون على اكل الرز المبيض والدقيق الابيض تسعين يوماً او نحوها ولكن لو اكلوا رزّاً غير مبيض وخبزاً اسمر لما اصابهم هذا المرض . وعليهِ ففي قشر الرزّ الذي يزول بالتبييض وقشر القمح الذي ينزع كلهُ نخالة في اسلوب الطحن الجديد موادُّ لو اضيفت الى الطعام لامتنع تولُّد هذا المرض في آكله وقد ثبت بالامتحان ان مرض الاسكربوط ومرض البري بري لا يتولدان من قلة الطعام العادي ولا من قلة مواد الغذاء فيهِ بل من نقص مواد اخرى لم تعرف قبلاً وهي التي اطلق عليها فنك اسم الفيتامين اي المواد الحيوية .

والطعام الذي يعتمد عليهِ اكثر الناس حاوٍ لهذه المواد على ما يظهر ولذلك يندر حدوث الاسكربوط ومرض البري بري فيهم ولكنها قد تكون قليلة في اطعمة البعض فتؤثر قلتها في صحتهم ولو لم يصابوا بمرض ظاهر

وواضح مما تقدم ان البحث عن هذه المواد لمعرفة حقيقتها مفيد جداً . ومعرفة فعلها بالتغذية من اهم ما يبحث فيهِ العلم الآن

واول شيء ثبت او كاد ان المواد التي تمنع مرض البري بري تكون في الاطعمة الطبيعية مركبة وتذوب في الماء او الكحول واذا وجدت في الطعام بمقدار كافٍ منعت حدوث

مرض البري بري واذا استُخرجت واستعملت علاجاً فلها فعل شديد في شفاء هذا المرض فتشفي النوع المعروف منهُ بالبري بري الرطب في بضعة ايام . وان الاطعمة الشبيهة بالدهن كثيرة المادة الحيوية ايضاً والجرثومة التي في حبوب الحنطة وهي التي تنمو و يتولد منها النبات كثيرة المادة الحيوية . وان المادة الحيوية يبطل فعلها اذا عُرضت لحرارة غليان الماء مدة طويلة . وقد استخلص فنك هذه المادة ووجد فعلها شديداً جداً فان مليغرامات قليلة منها شفت الحمام الذي طُعم بهذا المرض في بضع ساعات

اما المادة الحيوية التي تشفي من الاسكربوط فلم تستخلص حتى الآن وكل ما نعلمهُ من خواصها الكيماوية ان الحوامض لا تؤثر فيها ولذلك تبقى في عصير الليمون الحامض سليمة على ما يرجح . واذا اغلي اللبن الى درجة فوق درجة غليان الماء زالت قوتهُ على مقاومة الاسكربوط ولعل اغلاء اللبن للاطفال هو سبب كثرة اصابتهم باسكربوط الاطفال

وقد ظهر بالامتحان ان المادة الحيوية المقاومة لمرض البري بري كثيرة في بعض الاطعمة وقليلة في غيرها وكذلك المادة الحيوية المقاومة لمرض الاسكربوط كما ترى في هذا الجدول وقد رتبت الاطعمة فيهِ حسب قوتها

الاطعمة المقاومة للبري بري	التي لا تقاومهُ	الاطعمة المقاومة للاسكربوط	التي لا تقاومهُ
خميرة البيرا	اللبن المعقم	الخضر الطرية	الخضر المقددة
صفار البيض	اللحم المعقم	الاثمار الطرية	الاثمار المقددة
قلب البقر	الكرنب	اللبن بلا اغلاء	اللبن المعقم
اللحم الطري	اللفت	اللحم النيء	لحم العلب
السمك	الجزر ونحوهُ		الحبوب الجافة
الفول	الدقيق الابيض		دهن الخنزير
اللوبياء	النشا		
الشعير	لحم الخنزير		
القمح			
الذرة			

يتضح من هذا الجدول ان الطعام الممزوج من اللبن الذي لم يغلَ والبيض واللحم والخضر الطرية هو اجود الاطعمة لمقاومة مرض البري بري ومرض الاسكربوط وانهُ ليس من

الحكمة الاعتماد على الخبز المصنوع من الدقيق الابيض الذي فقد كل نخالته ومادته الجرثومية ايضاً ولا على الرز المبيض

والكملة بري بري (beri-beri) سنغالية والمرض التهاب في الاعصاب معدٍ خاص ببعض البلدان يكثر حدوثهُ في اليابان والهند وسيلان وهو مميت في الغالب ومن علاماته تشنج الطرفين الاسفلين تشنجاً دورياً وضمود في العضلات والشلل والانيميا والآلام العصبية

والاسكربوط مرض يبتدئ بضعف وغم ورائحة كريهة في النفس وورم ولين في اللثة حتى تشبه الاسفنج فتتدلى فوق الاسنان على هيئة اسنة المنشار وتظهر بقع زرق على سطح الجلد لاسيما عند اصول الشعر وعلى الاطراف السفلى وقد يحدث نزف ذاتي في الاغشية المخاطية وتقلص بعض العضلات والاوتار وتقرح في سطح الجلد

والمرضان مؤلمان خطران وسببهما نقص المادة الحيوية في الطعام بتعليل الانسان لهُ وباقتصاره على انواع منهُ دون غيرها كما تقدم

الجهد في سبيل الاكتشاف

من غرائب طبائع الانسان حبهُ للاكتشاف فيضرب في مجاهل الارض ويركب متون البحار ويتجشم اشد المشاق لكي يكتشف بلاداً جديدة . ولقد كان هذا دأبهُ من قديم الزمان اما حينئذٍ فكان مدفوعاً بطلب الرزق وانتجاع المراعي واما الآن فيندفع اليهِ بالملكة التي تملكت اسلافهُ قروناً كثيرة ولولا ذلك ما عمرت الارض بالسكان ولا انتشر فيها نوع الانسان . ومن هذا القبيل سعي الاوربيين الى اكتشاف القطبين حيث لا امل ان يجدوا باباً للكسب ولا سبيلاً للرزق

وقد اشرنا في مقتطف اكتوبر الماضي الى ان السر ارنست شكلتون الرحالة تمكن من انقاذ رفاقهِ الذين تركهم في جزيرة الفيل . فان السفينة التي سافر فيها قاصداً القطب الجنوبي انكسرت هناك فنزل برجالهِ الى هذه الجزيرة ثم ركب قارباً من قوارب السفينة مع خمسة منهم وعاد قاصداً جورجيا الجنوبية عساهُ ان يجد فيها سفينة تأتي لانقاذهم وترك معهم من الزاد الذي انقذوهُ من السفينة ما يكفيهم الى آخر مايو الماضي وهو يحسب انهُ يتمكن من الرجوع اليهم في ذلك الحين على الابعد فلم يتمكن من العود اليهم وانقاذهم الا في اول سبتمبر الماضي . وقد قابلهُ مراسل جريدة الدايلي كرونكل الانكليزية وقابل ايضاً المستر ويلد الذي

كان زعيم الباقين على الجزيرة فوصفا لهُ ما لقِي اولئك الرجال من المشاق قبلما عاد اليهم السر ارنست فرأَينا ان نلخص ذلك لما فيهِ من الدلالة على الجهد في سبيل الاكتشاف والصبر وسعة الحيلة في الملمات

والجزيرة صخر شاهق يبلغ ارتفاع قنتهِ ٢٠٠٠ قدم تتلاطم امواج البحر عليهِ ويغطيهِ الضباب دواماً ولما اقلع منها شكلتون ورجالهُ الخمسة بقارب قاصدين جورجيا الجنوبية كانت ثياب وَيلد ورفاقهِ مغرَّقة بالماء وقد جلَّد الماء فيها من شدَّة البرد ومضي اسبوعان قبلما نشفت. وهرأَ البرد اطراف بعضهم في الاسابيع الثلاثة الاولى ومرضوا من التعرُّض للبرد القارس. وكانوا قدحفروا حفرةً في الثلج اووا اليها فلما رأَى وَيلد انها لا تقيهم من الزمهرير رفع هو ورجالهُ القار بين الباقيين من سفينتهم وقلبوهما فوق الحفرة كسقف لها بعد ان اقاموا حولها صخوراً عالية وسدوا ما بين الصخور بما معهم من الخيش فصاروا في شبه خيمة او كوخ. وكان بعض الرجال ينامون على عوارض القار بين المقلوبين و بعضهم في ارض الحفرة فوق حصىً جمعوها من الشاطىء. وصنعوا من صفيحة فارغة من صفائح البترول موقدة يطبخون طعامهم عليها. وكان معهم طعام يكفيهم ستة اسابيع لكنهم حسبوا انهم قد لا ينقذون في هذه المدة وقد تطول اقامتهم هناك فرأَوا ان لا بد من الاقتصاد التام في ما معهم من الزاد

وكانت الجزيرة مباءَة للفقم يقصدها اذا ذاب الثلج عن ساحلها فيستطيع الصعود اليها ولكن اذا علا عليها الثلج كثيراً ابعد عنها لانهُ لا يستطيع الصعود اليها حينئذٍ فجعلوا يجرفون الثلج من بعض الاماكن ليسهل على الفقم الصعود اليها فيصطادوهُ ويقتاتوا بلحمهِ ويشعلوا دهنهُ لنورهم ووقودهم

ومضت ايام الشتاء والزوابعُ متوالية والضبابُ مخيم على الجزيرة وكانوا يقضون تلك الايام على الصورة التالية بعد ما صار عندهم من الدهن ما يكفيهم : — ينهضون في الصباح الساعة الثامنة و يشرع الطبَّاخ يهيئ الفطور فلا يحضرهُ قبل الساعة العاشرة وهو قطع من لحم طائر البنغوين مقلوَّة بدهن الفقم وثلجٌ اذيب على النار حتى صار ماء. ويقوم الرجال بعد الفطور الى اعمالهم اليومية وهي جرف الثلج عن كوخهم وصيد طير البنغوين. ولا بدَّ من ديدبان يقوم دائماً رقيباً يرقب البحر وقت الصحو على امل ان يرى السفينة مقبلةً لانقاذهم. وكان واحد منهم يحزم امتعتهُ كل يوم معتقداً ان السفينة تصل ذلك اليوم. وعند الساعة الاولى بعد الظهر يجلسون لتناول الغداء وهو من البقسماط ودهن الفقم. و يقومون بعد الطعام للرياضة البدنية حفظاً لصحتهم وعند الساعة الخامسة يكون الظلام قد خيم

ليجلسون للعشاء وهو من لحم البنغوين ومشروب سخن . ولما نفد ما كان معهم من التبغ صاروا يدخنون الاعشاب التي حُشيت بها احذيتهم. واتفقوا على ان يقرأ واحد منهم للباقين بالتعاقب ممَّا انقذوهُ من كتبهم وهي التوراة والانسكلوبيذيا البريطانية وشعر براوننغ وتاريخ الثورة الفرنسوية تأليف كارليل ومقالات باكون . واذا جاءت ليلة الاحد قضوها بالغناء واللعب على القيثارة . وكان السر ارنست قد انقذ هذه القيثارة من السفينة لكي تكون مسلياً لهم

ولما جاء عيد ميلاد الملك احتفلوا بهِ ورفعوا الراية التي سلَّمهم اياها لما سافروا

واتفق مرةً ان اصطادوا فقمة ووجدوا في جوفها سمكةً كبيرة غير مهضومة فطبخوها واكلوها كأَنها من افخر المآكل وهي السمكة الوحيدة التي اكلوها

وفي اوائل اغسطس اخذ الجليد يذوب فظهرت الصخور ووجدوا عليها كثيراً من المحار والاعشاب البحرية فاكلوا منها وطابت نفوسهم . وكان معهم طبيبان اعتنيا بهم كل مدة الشتاء فلم يظهر فيهم اثر لداء الاسكربوط

وكان وَيلد قد عزم على انهُ اذا جاء اكتوبر ولم يأتِ احد لانقاذهم يركب القارب الذي بقي معهم ويحاول الوصول الى جزيرة دسبشن التي يؤمها صيَّادو الحيتان في الصيف ولذلك أذخروا ما بقي معهم من البقسماط والسكر

وقبلما وصل شكلتون اليهم بيومين هبت ريح جنوبيَّة شديدة واذابت ما بقي من الجليد الطافي على وجه البحر وفي الثلاثين من اغسطس كان الرجال جلوساً يتغدون من المحار وعشب البحر واذا باثنين منهم كانا واقفين خارجاً يرقبان البحر قد صرخا قائلين انهما يريان سفينة عند الافق. فهرع الجميع الى خارج الكوخ ورأَوا السفينة واذا هي جارية وكأَنها غير قاصدة اليهم فجمعوا ما لديهم من العشب والهشيم واوقدوا فيهِ النار لكي يرى مَن في السفينة الدخان فرأَوهُ ودارت السفينة واتجهت نحوهم ولما دنت من الجزيرة نزل السر ارنست اليهم بقارب فاخبروهُ انهم كلهم سالمون وعلى تمام الصحة ثم سأَلوهُ متى انتهت الحرب لان الاخبار انقطعت عنهم منذ اكتوبر سنة ١٩١٤ اي حينما اقلعوا من بونس ايرس . فعاد بهم ولم يفقد منهم واحد

ثم جاءت الاخبار التلغرافية ان ملك الانكليز ارسل يهنئ شكلتون بنجاتهِ ونجاة رجالهِ كلهم مع الثناء على علو همتهِ

تجارب في الكحول

الكحول هو المادة المسكرة في المسكرات على انواعها. وقد قرأ الدكتور برل الاميركي على الجمعية الفلسفية الاميركية مقالة وصف فيها سلسلة تجارب جربها حديثاً في الدجاج ليعلم تأثير الكحول فيهِ وفي نسلهِ . ولما شرع في تجاربهِ كان ينتظر ان يحصل من الدجاج المكحول (الذي جرّع الكحول) على فراريج (كتاكيت) تختلف عنهُ في امر او اكثر وانهُ يمكن استخدامها في تجارب متعددة لحلّ مسألة الوراثة . فكانت النتائج التي توصل اليها بتجاربهِ موجبة للدهشة .

وبيان ذلك انهُ جاء بتسع عشرة دجاجة في ربيع ١٩١٥ وجعل يجرّعها الكحول استنشاقاً ساعة كل يوم وبقي على ذلك بضعة شهور . وبعد سنة ونصف من بدء هذه التجارب ظهر ان الدجاجات المكحولة صارت اثقل من اخواتها التي لم تكحل وزناً واقلّ حركة . وفيما سوى ذلك لم يكن بين الفريقين فرق ظاهر . وكان متوسط الوفيات بين المكحولة قليلاً جدًّا بالنسبة الى ما كان بين الاخرى . ولكن لما كانت الدجاجات التي جُرّبت التجارب فيها قليلة العدد حسب الدكتور برل انهُ يستحيل الحكم في هل كان للكحول يدٌ في هذا الفرق

ولما فقس بيض هذا الدجاج خرج نسلهُ اعتياديًّا لا يختلف عن غيرهِ في شيء خلافاً لما كان ينتظر ولم يبدُ على فرّوج واحد عارض يمتاز بهِ عن الفراريج المعتادة . ولكنهُ رأى بعد البحث الدقيق وجمع المعلومات والاسانيد الصحيحة من هنا وهناك ان الدجاج المكحول يبيض من البيض العقيم اكثر مما يبيض الدجاج غير المكحول . ورأى من جهة اخرى ان بيض المكحول تنفق عن أفراخ افضل من أفراخ الآخر . فانها جميعها ربيت بعد التفريخ تربية واحدة من حيث الطعام والمسكن ولكن نسل المكحولة الذي بلغ دور البلوغ كان اكثر من نسل غير المكحولة . وقد كانت كلها وهي صغيرة متساوية في الوزن ولكن بعد بلوغها ثلاثة اشهر من عمرها او اربعة جعلت أفراخ المكحولة ترجح على الاخرى

و يقول الدكتور برل في تعليل هذا الفرق « ان الكحول بمثابة عامل انتخابيّ في الخلايا الجرثومية التي في الدجاج المكحول » . فمن المعروف عند العلماء ان الخلايا الجرثومية تختلف اختلافاً كبيراً في الحيوان الواحد من حيث النشاط والحيوية . فاذا جرعت الدجاجة كحولاً

فانهُ يزيد الخلايا الضعيفة ضعفاً اما القوية النشيطة فتقاوم فعلهُ وتكون النتيجة عقم الضعيفة وبقاء القوية وبذلك يظهر نسل الدجاج المكحول احسن من نسل غيره

هذه خلاصة تعليل الدكتور برل . على انهُ ظهر من تجارب الدكتور ستوكارد في خنازير غينيا المكحولة ان بعض نسلها كان يخرج معيوهاً شاذاً عن الاصل خلافاً لما اثبتتهُ تجارب الدكتور برل . ولكن الدكتور برل يعلّل هذا الاختلاف وهذا الانحطاط بقوله ان العاهات كانت في الجراثيم الاصلية الضعيفة التي لم تقوَ على مقاومة فعل الكحول

احلام الحشاشين

لو كان شاربو المخدرات يصفون لنا ما يسمعون ويرون لسمعنا طرباً ورأينا عجباً . نقول هذا القول مستدلين عليهِ بحركاتهم واعمالهم لما شئت من ضحك وقهقهة وما شئت من سجع ونظم و« بيع كلام » كما يقولون . والظاهر انهُ خطر لبعض ادباء المغرب ان يخبروا بانفسهم ما يسمعون عن احلام الحشاشين وما يرون باعينهم من دلائل بسطهم وانشراحهم وخلوّهم من الهمّ فشرب دي كوينسي الكاتب الانكليزي المشهور الافيون وأُولع بهِ فلم يطق صبراً على فراقهِ فلازمهُ حتى آخر عمرهِ وكتب فيهِ كتاباً عنوانهُ « اعترافات آكل للافيون » . وحذا حذوهُ غير واحد منهم بارد تايلر فانهُ اخرج كتاباً اسمهُ « ارض المشارقة » Lands of the Saracen وصف فيهِ ما خامرهُ هو وصديقاً لهُ اسمهُ هريسون على اثر شرب ملعقة صغيرة من عقار صنع من اوراق القنّب الهندي والافاويه والسكّر . فلم تمضِ على شربهم اياهُ اربع ساعات حتى عرت هريسون نوبة من الضحك ثم صاح بملء شدقيهِ « الله الله لقد اصبحت وابوراً » ثم بقي ساعتين يخطر في الغرفة التي كان فيها ذهاباً واياباً ويخطو خطوات متساوية ويزفر زفرات بخارية متقطعة كما يفعل وابور سكة الحديد . واذا تكلم قطع كلماتهِ الى مقاطع لفظ كلاًّ منها بنبرة وهو يحرك يديهِ عن جنبيهِ كانهُ يدير عجلات.

اما تايلر فرأى ما هو اغرب من ذلك — رأى نفسهُ واقفاً عند هرم الجيزة الاكبر يحاول الصعود عليهِ واذا هو على قنتهِ . ثم تطلع الى اسفل فخيل اليهِ ان الهرم مبنيٌّ من قطع من الدخان الانكليزي المعروف باسم دخان كَنْدش . وانتقل بغتة الى الصحراء فرأى نفسهُ يجتازها في قارب مصنوع من عرق اللؤلؤ ومرصَّع بجواهر نادرة في حجمها وسنائها . ولم يكن

الأ القليل حتى نزل مرجاً غضاً صفت فيهِ الابار بقي بعضها الى جانب البعض والعسلُ يقطر منها

ولما اشتدّ فعل العقار عليهِ ازدادت رؤاهُ غرابة وشناعةً . فرأى جسمهُ متلوّياً على اشكال شتّى ومع ذلك لم يسعهُ الأ الضحك وشعر بجفاف شديد في فيهِ وحنجرتهِ كانهما ليسا منهُ او كانهما صنعا من نحاس وخيّل اليهِ ان لسانهُ مبردٌ زجّ في فيهِ . وكان صوت دورتهِ الدموية يدوي في اذنيهِ دويّ السيل الجارف واندفع الدم الى عينيهِ حتى عاد لا يرى بهما شيئاً . واحسّ بان قلبهُ يكاد يتصدّع فشق صدرتهُ وحاول عدّ نبضاتهِ فشعر كأن لهُ قلبين قلباً يضرب الف ضربة في الدقيقة وقلباً يضرب متئداً بصوت خافت . ثم نام ثلاثين ساعة متوالية

وروى جوتييه ان سائحاً كبيراً لم يذكر اسمهُ ساح في الشرق وتناول جرعة كبيرة من الحشيش فكان يرى كلّ شيءٍ مزدوجاً . ومرت على مخيلتهِ صور اشباح غريبة من الطيور الخرافية التي زعموا انها تمتصّ دماء المعزى الى الاوز المخطط فالاسود المجنحة فالغول فالعنقاء . فطارت امامهُ او وثبت او انسابت في ارض الغرفة كالافاعي . ورأى قروناً مورقة مزهرة وايدي آدميين متصلة اصابعها بنسيج لحمي كايدي البطّ واناساً بارجل كارجل الكراسي ومقلٍ كوجوه الساعات وانوف كالابراج وسوق كسوق الدجاج وهم يرقصون رقصاً غريباً. وتوهم انهُ ببغاء ملكة سبا (بلقيس) فجعل يقلّد اصوات الطيور جهد ما استطاع . وكان في خلال ذلك كلهِ حاضر الذهن فتناول ما وصلت اليهِ يدهُ من ظروف المكاتيب وقطع الورق الملقاة على مكتبهِ ورسم عليها صور الطيور والحيوانات الغريبة التي كان يراها . ولما خفت سورة الحشيش رأى انهُ كتب تحت احد هذه الحيوانات « هذا من حيوانات المستقبل » وهو حيوان شكلهُ كشكل وابور سكة الحديد بعنق كعنق الاوزة تنتهي الى فكين كفكّي الافعى يقذفان دخاناً . ولهُ فم آخر ضخم مؤلف من عجلات وبكرات . وايدٍ كثيرة كلّ زوجين منها لهُ زوجان من الاجنحة . وعلى رأس ذنبهِ جلس عطارد احد آلهة الرومان القدماء

وتناول آخر غيرهُ عشر قمحات من الحشيش بحضور صاحب لهُ فصاح بهِ « احذر لئلاً تكبّني » فقال لهُ « ماذا جرى بك » . قال « ألا ترى اني دواة فاذا كببتني اندلق الحبر مني واتلف غطاء المكتب الابيض » . وبقي ساعة يتصرف في اعمالهِ كأنهُ دواة فيرفع رأسهُ ويخفضهُ كأنهُ يفتح الدواة ويغلقها ثم ينتفض فيشعر بالحبر في جوانبهِ ويراهُ

ومن اشهر ما يشعر بهِ الحشاشون رؤية الاشياء القريبة عظيمة البعد ورؤية الثواني القصيرة ساعات او اسابيع طوالاً . وهذا الشعور من نوع شعور الحالمين . قال آخر ممن جرَّب الحشيش « رأيت غرفتي عظيمة الاتساع وما فيها من جماجم الحيوانات المعلقة على جدرانها ضخمة كأنها جماجم الحيوانات البائدة التي عاشت في العصور الخالية . وخيّل اليَّ انني انظر اليها منذ سنين فتناولت ساعتي فعلمت انهُ لم يمرَّ عليَّ منذ شربت الحشيش سوى ٢٠ دقيقة وعلى اثر هذا العلم زال ذلك الوهم مني الى حين . ثم رأيت ساعتي تتسع وكأن صوت دقاتها صوت العالم كلهِ مجتمعاً فتناولت قلماً لعلّي اخطُّ بهِ بعض ما جال في خاطري فخانتني يدي وشعرت بان اصابعي كارجل الرتيلاء في دقتها فسقط القلم الى ارض الغرفة وسمعت لسقوطهِ صوتاً كقصف الرعد . وحانت مني التفاتة الى الشباك فرأيت الافق عظيم البعد مفعماً بدوائر من نور ونار وهي متشابكة يدور بعضها على بعض وما لبثتْ ان قذفتْ الى كبد السماء كأنها سهام نارية ثم هبطت في غابة من الاشجار فجعلت الاشجار تسمق واغصانها تلتفُّ حتى ملأَت الافق . فاجهدت نفسي لاعلم الوقت فرأيت انهُ مضى عليَّ ٢٥ دقيقة منذ شربت الحشيش فصحت — ٢٥ دقيقة لا بل ٢٥ يوماً بل ٢٥ شهراً بل ٢٥ سنة بل ٢٥ قرناً بل ٢٥ دهراً . الآن اعرف ذلك كلهُ . لقد اكتشفت اكسير الحياة وسأعيش ابد الدهر . وكان قلبي يدقُّ مسرعاً ودقاتهُ كانتفاض الجبال فحاولت عدَّها حتى اذا عددت واحداً اثنين ثلاثة توهمت انها قرن وقرنان وثلاثة فصحت صيحة شديدة من تصوري اني عشت من الازل وسأعيش الى الابد في قصر اعمدتهُ وسقفهُ من عقيق و ياقوت وزمرد والاعمدة ثابتة على بحر من الذهب

ثم جاءتني الخادم بالقهوة فرأيت كأن الفنجان مرجل كبير نقشت عليهِ صور التنانين اجمل نقش واخذ يتسع حتى احاط بالعالمين . ولاحت الخادم كأنها واقفة منذ ساعة وهي تبتسم حائرة لا تدري اين تضع القهوة لان الاوراق كانت متناثرة تملأ وجه المكتب . فازحت بعضها وشهقت شهقة بددت التنانين فامتلأ البيت روائح تساقطت كأنها رشُّ مطر فوضعت الخادم القهوة فكان لصوت وقعها على المكتب رنة في كل عظم من عظامي كأنما عشرة آلاف مطرقة تعمل فيَّ معاً . وظهر وجه الخادم متسعاً حتى بلغ حجم بلون ثم توارت كالبرق الخاطف فجعلت اصفق واصيح وسط الوف من مصابيح تبينتها فاذا هي نار حباحب فشربت القهوة فشعرت بحرارة لا تحتمل ثم نظرت الى ساعتي فوجدت انهُ مضى عليَّ ٤٠

دقيقة منذ مضغت الحشيش . فنهضت الى سريري بعد الجهد الشديد لطول ساقيَّ ولما اخذت انزع ثيابي طارت الى الفضاء فاضطجعت في سريري فاذا بهِ يمتدُّ حتى ملأ هو وبدني رحاب الارض كلها . وشعرت بعد ذلك بالم مبرّح لا يوصف وبأنَّ جلدي يخطر ذهاباً واياباً على لحمي ورأسي ورم وانتفخ حتى بلغ حجماً كبيراً ثم انقدَّ جسمي شطرين من فوق الى اسفل . ولم يأتِ صباح اليوم التالي حتى عدت الى حالتي الطبيعية »

ومضغ طبيب الحشيش فقال انهُ رأى في جوفهِ الحشيش الذي مضغهُ فاذا هو شبه زمردة يخرج منها الوف من الشرر . ونمت اهدابهُ بسرعة فلما بلغ طولها قدمين انفتلت كخيوط ذهب حول عجلات صغيرة من العاج كانت تدور مسرعة . ولاح اصحابهُ حولهُ كأنهم حيوانات نصفها نباتات . فانتصب من بينها كركيّ على ساق واحدة وخطب خطبة بالايطالية في الموسيقى فنقلها الحشيش بالاسبانية . وبعد هنيهة اشتدَّ سمعهُ حتى كان يسمع اصوات الالوان الاخضر والاحمر والازرق والاصفر . وخاف ان يتكلم لئلاَّ تنهدم الجدران وتنفجر انفجار القنابل . وسمع خمس مئة ساعة او اكثر تدق معلنة الوقت في حين ان لم يكن في الغرفة غير ساعة واحدة . وسبح في بحر من الصوت عامت عليهِ قطع موسيقى الاوبرا كأنها جزر من نور . وشعر وهو في البحر كأنهُ اسفنجة وكانت امواج البسط والانشراح تندفع عليهِ في كلّ لحظة فتدخلهُ وتخرج منهُ بطريق مسامّهِ . وظهر لهُ انهُ مرَّ عليهِ وهو على هذا الحال ثلاث مئة سنة . ولما فارقتهُ النوبة رأى ان زمانها الحقيقي لم يدم اكثر من ربع ساعة

هذا وقد سألنا بعض الذين دخنوا الحشيش مرة او مرتين في زمانهم فقالوا ان كل ما شعروا بهِ انشراح في الصدر وطرب كالذي يشعر بهِ شارب الخمرة لم يلبث ان انقضى باسرع مما اتى . على ان مدمني الحشيش يشعرون بانبساط يزداد بزيادة الادمان حتى لقد يتخيلون انهم ملوك على عروشهم . فمن كان منهم صاحب مزاج عصبي ميَّالاً الى اللهو والمرح والطرب والصخب ازداد ذلك فيهِ . ومن كان ذا مزاج سوداويّ سكوتاً قليل الحركة غلبتهُ الكآبة واشتد صمتهُ ولزم مكانهُ لا يبرحهُ ولو مكرهاً فكأنهُ ينشد قول الشاعر

فقلتُ يمين الله ابرحُ قاعداً وان قطّعوا رجلي لديك واوصالي

اديصن اكبر المخترعين

واسلوبهُ في البحث والتحقيق

لما اكتحلت عيننا برأى كنيسة ميلان ورأينا كم مرّ عليها من الاعوام بل من القرون والمهندسون والصنّاع دائبون على العمل فيها وافراغ ما بلغوهُ من الحذق والمهارة في تمثيلها وتنسيق نقوشها قلنا قولاً لا نزال نردده وهو

لن ترى عملاً تقضي السنون بهِ   الاَّ اذا جاءهُ الانسان عن شغفِ

وهذا شأن اديصن اكبر مخترعي اميركا ان لم يكن اكبر مخترعي المسكونة فانهُ مشغوف بعملهِ مستعبد لهُ كما سترى في السطور التالية وهي مبنية على ما كتبهُ عنهُ المستر اوليفر ستيونس في مجلة منسي الاميركية

كان اديصن منذ ٤٤ سنة فقيراً مدقعاً طاف في شوارع نيو يورك في شهر سبتمبر تلك السنة يومين كاملين من غير طعام وهو يفتش عن رجل يقرضهُ ريالاً . وهو الآن يملك الالوف والملايين بفضل مخترعاتهِ الكثيرة وحسبنا ان نعدّ منها المصباح الكهربائي الذي تنير بهِ اكثر البيوت في المدن الكبيرة . والفونوغراف الذي يسلي كثيرين بما يطربهم بهِ من اغاني كبار المغنين والمغنيات . والمركبات الكهربائية التي استعاضت عن البخار بالكهرباء . وآلات الصور المتحركة التي هي اكبر مسلٍ ومدرّس لجمهور الناس هذا عدا كثير من المخترعات الصغيرة

وسرّ نجاحهِ في الاختراع مواظبتهُ على عملهِ فانهُ يكاد يطلّق النوم والطعام في سبيل الاختراع . فعملهُ لا ارتباط بينهُ وبين شروق الشمس وغيابها ولا بين الجوع والشبع . وما دام عقلهُ مشتغلاً فيستحيل عليهِ ان يجلس على مائدة او ينام في فراش . ولقد اشتغل حتى الآن كأنهُ عاش مئة وخمسين سنة مع انهُ لا يبلغ السبعين الاَّ في شهر فبراير التالي . ولا يظهر عليهِ انهُ ناهز الستين

اذا كان شغلهُ عاديًّا نام خمس ساعات فقط كل يوم من الساعة الثانية بعد نصف الليل الى السابعة صباحاً ولكنهُ اذا التفت الى موضوع غير عادي يستغرق وقتهُ كلهُ طلّق النوم بتاتاً . وهو لا يفتخر بانهُ يستطيع العمل من غير نوم بل لانهُ يعلم ان عملهُ يشغلهُ عن النوم

ولدى المخترع عقبتان الاولى افراغ الخاطر الذي يخطر لهُ في القالب الذي يصلح لهُ . والثانية جعل هذا القالب مما تروج سوقهُ ويكون منهُ ربح لمخترعهِ وصانعهِ ولذلك لا يكتفي اديصن باختراع الآلة بل يتقنها حتى يسهل العمل بها ويكون منها ربح لصانعها

وهو يعلم ان يداً واحدة لا تصفق فيستعين بالمساعدين ويبث فيهم روح الهمة والنشاط فيجارونهُ في اعمالهِ ويعمل كلٌّ منهم مثل نصف ما يعملهُ هو على الاقل . وتراهُ يرشد كلاًّ منهم الى العمل الذي عينهُ لهُ ويتركهُ فيهِ لكي يجرّب ويمتحن وينتبه الى كل امر كلياً كان او جزئياً . وهم يتحيّنون الفرص تحيناً لتناول شيء من الطعام لئلاَّ تخور قواهم من الجوع وهو مع ذلك لا يضطرهم الى مواصلة العمل اضطراراً وغاية ما هنالك انهُ يوصيهم لكي لا يضيعوا دقيقةً من الوقت سدًى وشعارهُ من هذا القبيل « ان قلت ويحك فافعل ايها الرجلُ » فلا يوصيهم بشيء الاَّ وهو قدوة لهم فيهِ

وعندهُ سبعة من الشبان يساعدونهُ وقد اشتغلوا مرةً نحو ١٥٠ ساعة كل اسبوع مدة خمسة اسابيع وبقيت المصابيح الكهربائية مضيئة في معملهِ كل هذه المدة نهاراً وليلاً

وبقي الى سنة ١٩٠٢ يشتغل ١٩ ساعة ونصف ساعة كل يوم ثم قلل شغلهُ فجعلهُ ١٨ ساعة ولكنهُ كان يتخطى ذلك احياناً فيشتغل عشرين ساعة في اليوم اذا لاح لهُ بارق اختراع جديد . اما مساعدوهُ فضعفت عزائمهم في الاسبوع الاول وثقلت اجفانهم من النعاس واحمرَّت مقلهم من السهر وخدرت ارجلهم من البرد وخارت قواهم من الجوع ثم الفوا ذلك وجعلوا يأكلون مما يأكل ووقتما يأكل فعادت اليهم القوة والبهجة

وهو من المقلين في طعامهم فاذا اكل اللحم اكتفى بقطعة كالبيضة او ابدلها بسردينتين وقليل من الخبز المحمص . ويكتفي بنحو مئة درهم من الطعام كل يوم ويقول ان ذلك يكفي البالغ ما لم يكن عاملاً يتعب كثيراً . ويفضل من الاطعمة البطاطس والبصل والفول مع قليل من اللحم ثم الفاكهة المطبوخة ويقول ان هذا يجب ان يكون طعام العامل

لما صار في يدهِ الريال سنة ١٨٧٢ على ما تقدم دخل مطعماً وابتاع منهُ من التفاح المطبوخ وشرب فنجانين كبيرين من القهوة فاستردَّ قوتهُ وثقتهُ بنفسهِ وبعد ساعتين وجد عملاً يعملهُ

قد يقول قائل ان كان اديصن ورجالهُ يكتفون بنوم اربع ساعات او خمس ساعات في يوم فلماذا لا يكتفي بذلك كل احد . والجواب انهُ ما كل احد يجد عملاً يستهويهِ

ويمتلك لبهُ حتى لا يشعر بتعب معها عمل وسهر كما وجد اديصن ورجالهُ فانهم يعملون كمن اضاع شيئاً وهو يفتش عنهُ او كمن عمل آلة وبقي شيء لازم لاتمامها فلا تتمُّ بدونهِ

واسلوبهُ في اجراء اعمالهِ انهُ يضع الخطة التي يجب ان يجري عليها رجالهُ في اعمالهم ويتولى هو مراقبتهم ومساعدتهم واذا حانت لهُ فرصة ربع ساعة رأى انهُ يسهل استغناؤُهم فيها عنهُ استلقى على مقعد اوطاولة واغمض عينيهِ . وكان قبلاً يطوي سترتهُ ويضعها تحت رأسهِ ولكنهُ وجد ان طي السترة يستغرق لحظةً من وقتهِ فارسلت اليهِ زوجتهُ وسادة من بيتهِ فصار يضعها تحت رأسهِ . واذا حدث اثناء نومهِ ما يستدعي ايقاظهُ أيقظهُ العمال حالاً وويل لهم اذا لم يوقظوهُ . وهو يستيقظ حالاً اذا مسهُ احد بيدهِ . وكلُّ ما يجدُّ في التجارب التي يجربها رجالهُ يستدعي ايقاظهُ لانهُ حريص على رؤْية كل شيء اذا لم يكن قد رآهُ قبلاً

كان مرةً ينتظر امراً ذا شأن من التجارب التي كان يجربها فاستمرَّ مستيقظاً ثلاثة ايام بلياليها لم يغمض لهُ جفن . واتفق مرةً انهُ بقي يومين كاملين يعمل من غير نوم وعلى غير جدوى فقال لهُ صديق على مَ هذا التعب على غير فائدة فقال لهُ اخطأت فاني استفدت كثيراً من هذه التجارب لانني عرفت بها اموراً كثيرة لا تصلح فصرت اجتنبها

لما كان يحاول اتقان الفونوغراف جعلهُ يردد اغنية واحدة الفين وخمسماية واثنتي عشرة مرة الى ان بلغ الغاية التي كان يتوخاها وكان قد اناط هذه التجارب بعمالهِ فنام في غضونها مراراً ولكنهُ كان يستيقظ حالاً كلما انتهى الفونوغراف من ترديد الاغنية مرة اما رئيس عمالهِ فسئم الاغنيَّة وودَّ ان لا يسمعها مرة اخرى في حياتهِ مع انها اغنية مطربة لانهُ لم يسمع غيرها مدة شهر من الزمان فاستكت منها اذناهُ وآذان رفاقهِ قبلما رددها الفونوغراف خمسمائة مرةً ولكنهم اضطروا ان يسمعوها الفي مرة بعد ذلك . ومرَّ على هذا الرجل حينئذٍ عشرة ايام متوالية لم ينم فيها الاَّ ساعة واحدة كل ليلة وكانت المدة المفروضة لنومهِ خمس ساعات كل يوم مثل اديصن

لكن التجارب لا تكون دائماً على نسق واحد بل هي في الغالب متنوعة تنوعاً يسلي من يراقبها ويلذُّ لهُ قال هذا الرجل انهُ يشعر وهو يراقب هذه التجارب كما يشعر لاعب البوكر الذي يقضي احياناً اربعين ساعة متوالية وهو جالس امام طاولة اللعب لا يكلُّ ولا يملُّ . وما من احد يستطيع ان يواظب على عمل زماناً طويلاً الاَّ اذا أُولع بهِ واستحسنهُ . وكل

مساعدي اديصن من هذا القبيل . و يجب ان يكون ذلك مثالاً للآباء لكي لا يطلبوا من اولادهم ان يواظبوا على عمل الاَّ اذا استحسنوهُ واولعوا بهِ . والشغف بالعمل ضروري للنجاح لان النجاح يقتضي المزاولة الطويلة ولا يصبر المرء على هذه المزاولة الاَّ اذا شغف بعملهِ . ومن رأي اديصن ان الامتحان هو مقياس النجاح في السياسة والادارة كما في الصناعات ولا يحسن ان يُقبَل رأي مهما كان الاَّ بعد ان يمتحن و يعمل بهِ

ومن مزاياهُ ان عينيهِ لا تكلان من طول السهر والتحديق وقد تحوَّط لذلك بان علَّق فوق رأسهِ مصباحاً كهربائيًّا ساطع النور جدًّا يعلو عن الارض مترين ووضعهُ منحرفاً لو مُدَّ خط عمودي منهُ الى الارض لوقع على نصف قدم من كتفهِ الايسر . فان نور هذا المصباح وهو في هذا الوضع لا ينعكس عن الورق الذي امامهُ الى عينيهِ . والزجاج في كوى الغرفة التي يكتب فيها مصفر اللون ليحجب الاشعة الحمراء من نور الشمس . ومن يقم في نور مثل هذا يستطع ان يشتغل عشرين ساعة متوالية بعد نوم اربع ساعات من غير ان تحمر عيناهُ او تتعبا

وقد وضع القواعد التالية لحفظ الصحة وهي

اجتنب الاشربة الروحية

اذا شربت القهوة كمنبه لمنع النعاس فامزجها بكثير من اللبن

لا تأكل اكثر مما يستدعيهِ عملك لان على جسمك ان يعمل هذا العمل فلا تتعبهُ بما يزيد عن حاجتهِ من الطعام

اجتهد حتى يكون حولك كثير من الهواء النقي دائماً وحتى يكون النور مناسباً لعينيك

اترك الاهتمام باشغالك حالما تستلقي في فراشك لتنام

لا تتعاطَ الاَّ العمل الذي ترضاهُ لنفسك وتفضلهُ على كل عمل آخر واجتهد حتى يكون من الاعمال الكثيرة التنوُّع حتى لا تسأم من تعاطيهِ . وليكن عملك لذتك وعماد حياتك في حاضرك ومستقبلك . اذا لم يكن لك عمل مثل هذا ففتش عن مثلهِ والاَّ فارضَ بالنوم والكسل

وما قيل عن اديصن يقال عن اكثر الذين ارتقوا بجدهم واجتهادهم وتؤيدهُ اقوال الحكماء والباحثين في طبائع الانسان . وما احسن قولهم « و من طلب العلى سهر الليالي »

طبقات الناس بعد الحرب

رأينا بالامس شريفاً من اشراف الانكليز جالساً في مجلس السائق يسوق اتوموبيله بضابط لعل اباه كان خادماً عند ابي ذلك الشريف . و يقال بنوع عام ان هذه الحرب اغضت عن مراتب الناس القديمة ولم تنظر الا الى تفوّقهم في حسن الرماية وسعة الحيلة والصبر في الملمات . ولكن هل تبقى الحال كذلك بعد الحرب

كتبت كونتة ورك الكاتبة الانكليزية الشهيرة مقالة في هذا الموضوع في مجلة ناش الانكليزية قالت في ديباجتها ان صاحب تلك المجلّة سألها هل تساوي هذه الحرب بين طبقات الناس او يخرجون منها وقد زادت الطبقات العليا علوًّا اما انا فلا شك عندي ان النوابغ متساوون في الطبقة . ومن غرائب الاتفاق انني قبلما اخذت القلم لاكتب هذه السطور وقع نظري عرَضاً على جريدة مصورة وفيها صورة الملك جورج والملكة ماري وهما يتحدثان مع الجنرال السر وليم روبرتسن رئيس اركان الحرب بل مدير الاسلحة البريطانية الذي يعترف له كل احد بحسن الادارة . ولقد كان هذا الجنرال في اول امره جندياً بسيطاً فارتقى الى ان صار في هذا المنصب الرفيع على ما في نظام الترقية البريطاني من الحوائل العظيمة في سبيل طلاّب الارتقاء . وقد وقفت هذه الحوائل في طريقه ولكنهُ تغلّب عليها وهو الآن لاشعار له الا الكفاءة فلا يبخس احداً ما يحق له

ولقد كان الاستحقاق في البحرية عندنا مقدماً على النسب فاذا جرت الحربية هذا المجرى وجب ان يكون لعملها اثر كبير في البلاد لان الحربية كانت دائماً مقاومة للمساواة بين طبقات الناس ولم يكن في البلاد سلطة اقوى منها تجبرها على الرضوخ لاحكام الزمان

واني اذكر هنا ما قاله لي جنرال مشهور بالامس فانهُ كان يتكلم عن الجنود الذين جُنّدوا حديثاً من جمهور السكان الذين لم يكونوا يفرقون منذ سنتين بين نوع من المدافع وآخر فقال « انهم برهنوا على انهم مثل افضل الجنود في الشجاعة والاخلاق ولا ينقصهم الا التمرّن حتى ان العدو شهد لهم انهم لا يفوقهم احد من جنود الارض . والصفات الجوهرية التي هي قوام الشعب الانكليزي هي التي تحتاج البلاد اليها سواء كانت في اولاد الازقة او اولاد القصور »

لو قال هذا الجنرال هذا القول منذ سنتين لحسب رصفاؤهُ انهُ مجنون . ولقد قامت الآن الوف من الادلة على صحة القول المأثور وهو « ان ساحات الرياضة في مدرسة اتن

هي التي احرزت النصر للانكليز في معركة وترلو» . ومهما يكن من امر المحتد والتنشئة فانهما لا يغيران الانسان. والشاب الذي تخرج في مدرسة اتن والذي خرج من اصلاحية او من مدرسة صناعية اثبتا انهما متساويان في الرجولية . والذين رأوا حرب الخنادق ايّدوا هذا القول وكاد الناس كلهم في البلاد الانكليزية يقولون بصحتهِ . وزالت الغطرسة التي كانت تحمل الراغبين في اصلاح الاجتماعية على اليأس . ولا جدال في ان النساء يتمسّكن بما بين الناس من الفروق اكثر من الرجال وهن السبب في الاحتفاظ بهذه الفروق سواء كان ذلك عن قصد منهنّ او عن غير قصد

ولكن النساء رأين الآن خطأهنّ ولا اعني انهنّ عرفن ان كل طوائف الناس تتساوى تحت التراب اذ انها هدفاً للبلايا على حدٍ سوى لان ذلك من البديهيات التي لا يختلف فيها اثنان وانما اعني ما اظهرهُ نساء انكلترا في هذا الزمن العصيب من الهمة والاهتمام الحقيقي بمشاركة الجميع في الضراء . ماذا فعلت لادي ڤيرده ڤير . كانت قبل الحرب مقتنعة ان الله اختارها لاظهار عظمتهِ وان فيها من التفوُّق على غيرها من البشر ما يتعذَّر عليها تحديدهُ وانها فاقت غيرها بمزايا خاصَّة بها لا بما لديها من الثروة . لكنها مفطورة على الرأفة والحنان وحب الوطن فلبَّت نداء بلادها حالما سمعتهُ فوجدت انها في الادراك والمقدرة والصبر لا تقاس بغيرها من الذين كانت تترفع عنهم. وانها لا تساويهم الا في عزمها على العمل جهد طاقتها

والمستشفى هو المكان الذي يساوي بين الناس فهناك رأت هذه السيدة قصورها عن غيرها . وبعد تنقلها من عمل الى آخر شفيت ممَّا كان في نفسها من العُجب والكسل وقلَّة الحيلة وهي الآن شديدة العزيمة محبة للعمل تفتخر بما يحق لها ان تفتخر بهِ وتعدُّ سائر النساء اخوات لها وتبذل جهدها في اصلاح شأنهنّ . وقد ابطلت الدعوى التي كانت تؤيدها بالفعل ان لم تؤيدها بالقول وهي ان الناس طبقات يمتاز بعضهم على بعض بالفطرة وتحققت قول كبلنج وهو ان زوجة الامير وزوجة الحقير اختان من دم واحد

وزبدة القول ان الاعتراف بالمساواة جاء لا من قبيل السوقة بل من قبيل السراة . وقد قلتُ « السوقة والسراة » مجاراة للاصطلاح القديم وارجو ان يبطل هذا التفريق بين الناس في المستقبل فيكونوا كلهم طبقة واحدة لان الذين كانوا يعدون انفسهم سراة وحكاماً جعلوا يدركون الآن ان لا اساس لدعواهم وان الذين كنا نعدُّهم سوقةً ولا شأن لهم في مصالح الامبراطورية البريطانية سفكوا دماءهم في الذود عنها مثل السراة ولم يحجم احد

من كل طبقات الامة بل اقدم الجميع الى حيث احتدمت نار الحرب وحرقت التقاليد القديمة التي كانت تفصل بين هذه الطبقات · ولا اقول ذلك اعتباطاً ولا من باب التكهّن بالمستقبل لانهُ قد مرّت سنتان واصدقائي واقاربي يذهبون الى ميدان القتال و يعودون او يعملون في معامل الاسلحة والذخائر وانا اغتنم كل فرصة واسألهم واستفحص عن مجاري الاحوال · وارى الآن اننا اذا رجعنا بعد الحرب الى عاداتنا القديمة وآرائنا العتيقة فيا خيبة المسعى · ولكن ان كان لنا امبراطورية تستحق ان نعيش لها ونموت عنها فسنعلم او سيعلم اولادنا ان الدماء التي سفكت في هذه الحرب لم تذهب هدراً بل جاءت بخير المنافع لانها شدّت اواصر الامّة بعضها ببعض

ولقد ظن البعض ان كثيرين سيجازون بعد الحرب بترقيتهم الى مصاف الاعيان فيزيد تأييد هذه الطبقة · ولكن الذين يُرَقّون على هذه الصورة هم مثل الذين اشتروا رتبهم بالمال او رُقّوا اليها لغرض سياسي وكلهم لا يحتمل ان يدّعوا التفوق على غيرهم او يتشبثوا به

المعري وفلسفتهُ

(٢)

عزلتهُ

زهد المعري في الدنيا واعتزل الناس لانهُ كما اسلفنا لم يكن لهُ في الدنيا حظٌّ ولا بمعاشرة الناس طاقة · والعزلة مضادة لطبع الانسان بل لطبع كل حيوان أليف لان الحيوانات الاجتماعية تحن بالرغم منها الى رفاقها ولا تطيق الابتعاد عنها حتى لقد تؤثّر الوحدة في بنيتها كما تؤثّر فيها قلة العلف ومواصلة الاجهاد · وقد روى شارل مرسيية صاحب كتاب العقل والجنون [1] وروايتهُ مشاهدة محققة « ان الجلابين العارفين بعادات الماشية والانعام يذكرون ان البقرة المعزولة لا تدر اللبن ولا تسمن ولا تصلح لشيء مما تصلح لهُ البقرة وسط الصوار » · فالاجتماع ضرورة جسمية في الحيوان الاليف قبل ان يكون حاجة نفسية او ميلاً قلبيًّا · ولن يلجأ الى العزلة رجل متسق البنية متوازن القوى لان اتساق البنية يبتغي من صاحبهِ استكمال ضروراتهِ ومن اولها كما قدمنا الاجتماع والتآلف · وانما

(1) Sanity and Insanity by Charle Mercier.

يرغب في العزلة الشاذون عن استواء الخلق إما ليتنسكوا ويتبتلوا او ليقطعوا الطريق ويخرجوا على نظام الاجتماع شاهري الحرب عليهِ وعلى اوضاعهِ · ويغلب في اهل النسك والتبتل ان يكونوا من ذوي المزاج السوداوي الذين ينقبضون عن عشرة الناس وينقبض الناس عن عشرتهم لتباينهم عنهم في المشارب والاطوار ولان اهل النظر واهل العمل قلما يتفقون في الآراء والافكار · ولا شك عندنا في كون المعري من اصحاب المزاج السوداوي لان السوداء معروفة باعراضها وهي الوجوم والحزن الملحّ المجهول السبب والاكثار من ذكر الموت وسوء الظن بالناس بل بالنفس احياناً في ازمات النوبة التي تحرج الصدر وتغيم على الرأس · اما الاعراض الاولى فقد طفح بها شعر المعري ونثرهُ فلا نستطيع ان نستشهد لها ببيت من دواوينهِ دون بيت · واما سوء الظن بالنفس فقد جهر بهِ المعري مراراً فقال : —

ان مازت الناسَ اخلاقٌ يعاش بها　　فانهم عند سوء الطبع اسواه
او كان كل بني حواء يشبهني　　فبئس ما ولدت في الخلق حواه

وقال : —

رويدك لا تغترر يا أُخيّ م بي فانا الرجل الساقطُ
ولو كنت ملقى بظهر الطريق م لم يلتقط مثلي اللاقطُ

وقال : —

كلاب تعاوت او تغاوت لجيفة　　واحسبني اصبحت أَلأَمها كلبا

ويبلغ بهِ اتهام نفسهِ احياناً ان ينكر عليها العلم والعقل ويرى انهُ امرؤٌ لا نفع فيهِ لاحد اذ يقول : —

ماذا تريدون لا مال تيسر لي　　فيستماح ولا علم فيقتبسُ
انا الشقي باني لا اطيق لكم　　معونة وصروف الدهر تحتبسُ

ولو كان ما يعلمهُ المعري من الفقه والفلسفة والادب واللغة والسيَر في صدر رجل آخر مبرَّإٍ من نُوَب السوداء لملأ الارض بعلمهِ غروراً وتطاولاً لان غاية العلم عندهُ ان يسألهُ الناس فيجيبهم وهم لا يسألون عن شيء لا جواب لهُ عندهُ · ولكن المعري القائل :

اذا كان علم الناس ليس بنافع　　ولا دافع فالخسر للعلماء
قضى الله فينا بالذي هو كائن　　فتمّ وضاعت حكمة الحكماء

يرى للعلم احياناً وظيفة اجل من الاجابة على الاسئلة ويرى ان اقصى العلم ينتهي بصاحبهِ

الى باب المجهول الابدي الذي يرد كل طارق ولا يطرقهُ الا كل حائر راعتهُ ألغاز الحياة وبهرتهُ مصاعبها فترك الناس يحيون وذهب يبحث عن مغزى الحياة واسبابها وغاياتها فما استطاع ان يجيب نفسهُ وعلم انهُ بالسكوت عن اجابة غيرهِ اولى . وقد يمكننا ان نتصور حالة التلاميذ الذين كانوا يسمعون من المعري هذا الاقرار بالجهل وهم لا يتمنون من العلم الاَّ ان يبلغوا فيهِ مبلغهُ فلا بد انهم كانوا يرمونهُ بالبخل بالعلم ولا يصدقونهُ حتى ضاق بهم فقال

انسألون جهولاً ان يفيدكمُ وتحلبون سفياً ضرعها يبسُ
ما يحجب الناسَ الاَّ قول مخدعٍ كأن قوماً اذا ما شُرّفوا أُبسوا

ولعمري ان كلمة البخل بالعلم التي شاعت في العصور العربية المتوسطة لتدل على جهل الناس يومئذٍ بالعلم الحقيقي ولباب المعرفة لان العلم الصميم هو الذخيرة الفذة التي لاقبل لحاملها بالبخل بها كما انها تدل على نوع العلم الذي كانوا يطلبونهُ في ذلك الزمن وعلى غرضهم منهُ . واحسبهم لم يستنبطوا هذه الكلمة الاَّ بعد ان اصبح العلم تجارة يحملها العلماء الى الامراء متوخين فيها مآربهم ومداركهم واصبح للبخل بالعلم معنى بخل الصانع الحاذق بسر صنعتهِ . ولعل هذا ايضاً مما حبب العزلة الى المعري واضجرهُ من قاصديهِ الذين كانوا يفدون اليهِ من اقاصي البلاد واولعهُ بذم العلماء والتشهير بالمشعوذين والسفسطائية والمجربزين من المنجمين الذي يشغلون فراغ العلم اذا خلا منهُ مكانهُ

بيد ان السوداء لا تهدي الى العزلة دائماً وقد تهدي الى نقيضها فيكون السوداوي خليعاً ماجناً مستهتراً بالشهوات مغلوباً على عقلهِ بهواهُ لكنهُ على كل حال شبيه المعتزل في الشذوذ عن الخلقة العامة المعتدلة . وكثيراً ما تتقارب العلل وتتباعد المظاهر في تقدير الناس . فاين التصوف والجذب مثلاً من التهافت على المرأة والجنون بغرامها ؟ ولكنهما في نظر الطب متشابهان في مصدرهما ان لم يكن مصدرهما واحداً . يقول مرسييه المتقدم ذكرهُ بعد شرح طويل : « ان انكار الذات اساس يلتقي عندهُ الهوى الديني بالهوى الجنسي ولا يزال كل منهما يشبه الآخر حتى بعد تكوينهِ ونضوجهِ فهما متماثلان في طبيعتهما الشاملة المتشعبة وهما يتماثلان قبل هذا التكون والنضوج في غموض الاوصاف والخصال . ولاتفاقهما في الاصل وتقاربهما في الطبيعة يسهل ان ينعدل احدهما من مجراهُ الى مجرى الآخر . ومن ثم نرى ان انكار الذات والمفاداة بالنفس اللذين يحتملها العاشق عن طيب خاطر مرضاةً لمعشوقهِ ظاهران في عاشق الكنيسة بمثل تلك الغيرة او باشد منها وان كان

ظهورها في شكل آخر · فكأَن الكنيسة قد حلت محل المعشوق في هذه الحالة · وكذلك متى استعصى على العاطفة ان تنحصر في فرد واحد اتسع نطاقها فاعربت عن نفسها في اعمال البر وخدمة البشر ولكن لا بد من دخول عنصر المفاداة بالنفس في هذه الاعمال او تظل العاطفة متطلعة غير مقتنعة و يظل الاعراب عنها ناقصاً · وهذا هو السر فيما نشاهدهُ من ان اعمال البر القائمة على الهوى الديني والتي تشتق مصدرها البعيد من الهوى الجنسي لا تزال تبدو باساليب شتى كلها ينطوي على المفاداة بالنفس والايثار عليها »

وهذا قول بمنزلة البداهة عند اكثر الاطباء المشتغلين بطبائع العقل ولا نخال سواد القراء يستبعدونهُ لان الوقائع التي تؤيدهُ كثيرة و يندر أَلاَّ يرى احدهم اناساً من الغالين في الدين انقلبوا الى الغلو في اللهو او اناساً من الغالين في اللهو انقلبوا الى الغلو في الدين · يرون ذلك فيهم ولا يرونهُ في المعتدلين القاسطين الاَّ في الفرط القليل · فيعجبون لذلك ولكنهم يقولون غلبت عليهِ الشقوة او تاب عليهِ الله · وليس اشهر من رمز المتصوفة والزهاد الى الجمال وكلفهم بهِ اعجاباً بصنع الله لهم بذلك يمزجون بين حب الله وحب الجمال الانساني · ومن الناس من تتعاورهُ الحالتان للغي آونة وللتقوى آونة اخرى كأَبي نواس الذي نظم في الوعظ ما يزجر المارد ونظم في الغواية ما يفسد العابد · ولم يكن في احدى حالتيهِ مرائياً يعبِّر عمَّا لا يشعر بهِ ولكنهُ كان لا يندم حتى يأثم ولا يأثم حتى يندم · وكأَبي العتاهية الذي قضى شطر عمرهِ الاول منغمساً في لذاتهِ وصبواتهِ ثم قضى شطراً من ايامهِ مبالغاً في التنطس والتقشف ثم حضرتهُ الوفاة فكانت آخر حاجة لهُ في الحياة ان يسمع غناء مخارق · وكان احرص الناس على عرَض الدنيا وهو اكثرهم بباطلها عرفاناً واشدهم للموت ادّكارا .

وقد ينبغي لنا هنا ان نقول انهُ قد مضى الوقت الذي كانوا يقارنون فيهِ الاخلاق والعادات باسمائها في اللغة · فالهوى الديني والهوى الجنسي متناقضان ايما تناقض في عرفنا وهما متصلان في المنشإ كما قد رأينا · والسرف ضد الشح في اللغة ولكن احدهما اشبه بالآخر من القصد بالسرف مثلاً او من القصد بالشح · والقصد هو الحد الوسط كما يقولون فكان ينبغي على هذا القول ان يكون اقرب الى الطرفين من احدهما الى الآخر · ولكنهُ اذا بحثنا عن اسبابهِ بعيد جدًّا عن الخلتين المذمومتين · اما هما فمن القرب والمساواة بحيث يكاد احدهما يحل محل الثاني · و يظهر هذا التقارب اوضح ظهور بين المائلات الشاذة في اخلاق افرادها فان شذوذ هؤلاء الافراد لا يبرز لنا في وجهة واحدة بل يجمع فنوناً مختلفة من البدوات والاخلاق فيكون الرجل غاية في التقتير واخوهُ غاية في التبذير و يكون فيهم الزاهد المتحرج

والجشع المتقم. وقد يترهب احدهم ولهُ اخ او قريب قد خلع العذار وركب رأسهُ في الفجور والفحشاء. وقد ذكر «نسبت» صاحب كتاب جنون العبقرية[1] عائلات عدة من هذا القبيل منها عائلة (ديجرين) وقال عنها «ان الشره في هذه العائلة عرض من اعراض الخبل العصبي يلوح الى جانب البخل والورع الشديد». وكذلك الطمع ضد بذل المال ولاسيما البذل في سبيل البر ولكنهما في حكم الطب فرعان من شجرة واحدة او كما يقول نسبت ايضاً «ان الطمع وحب البر خالة جسمانية لا يزال ارتباطها بالاضطراب في النخاع الشوكي بادياً جليًّا». ولاستواء هذه الخلال المتعارضة في الشذوذ تقترن احياناً بشذوذ العبقرية فيقل في العبقريين الاعتدال ويكثر فيهم الطرفان اي التبذير والشح ولا حاجة بنا الى عد العبقريين المبذرين لانهم الفريق الغالب بينهم. اما الاشحاء فعندنا جماعة نذكر منهم جريراً وسهل بن هرون وابا العتاهية والبحتري ومروان ابن ابي حفصة والمتنبي وابا الفرج الاصبهاني وهم من فحول شعرائنا وكتابنا. وقد ذكر نسبت عائلة اقترنت فيها العبقرية في القانون والشعر والموسيقى والادب بالحذق في تدبير المال وهي عائلة نورث الشهيرة. فبعد ان المع الى علاقة الحرص بالعبقرية قال: «كان فرنسيس نورث خازن جيمس الثاني احد اخوة خمسة لهم اخت واحدة وكان ابو هذه العائلة يقرض الشعر ويباشر المسائل المالية فورث عنهُ ابناؤهُ هذه الملكة الاخيرة وظهرت فيهم مظاهرَ شتى فمنهم هذا الخازن وكان اديباً مدبراً وقد وصفهُ ماكولي بالاثرة والجبن وخسة النفس .....» ومضى يسرد اسماء الاخوة ويصفهم بما لا يخرج عن مفاد هذه الاوصاف واراد بهذا وبما تقدمهُ ان يثبت ان للشذوذ اصلاً واحداً وان تنافرت الوانهُ واختلفت فيهِ آراء الناس فمدحوا بعضاً منهُ وذموا بعضاً

ونحن لم نعرض لهذه الآراء لنبخس آداب المعري ونحط من قدر اخلاقهِ وخصالهِ او نسوي بين ما يمدحهُ الناس وما يشنأونهُ من الاخلاق الشاذة فان تقارب اسباب الشذوذ لا يمنع ان يحب الناس منهُ ما ينفعهم ويحسن عندهم ويكرهوا ما يضرهم ويقبح في نظرهم. ولكننا رأينا فريقاً من الكتَّاب يتلمس المشابهات بين فئات الشعراء من كل طريق الا من طريق المشابهة في الامزجة فبعضهم يقسم الشعراء حسب اختلاف العصور مع ان اختلاف سني الولادة لا يستلزم في معظم الاحيان الاختلاف في المشرب الشعري وهذا عدي بن يزيد المتوفى قبل مولد المعري بنحو خمسة قرون اقرب اليهِ في تحببهِ على الشعوب الهالكة ونعيبهِ

(1) The Insanity of Genius by Nisbet.

على الدنيا من الشريف الرضيّ ومهيار الديلمي وهما من شعراء عصرهِ . وبعضهم يقسمهم حسب الاسلوب اللغوي ولا بأس بهذا التقسيم اذا كان الغرض منهُ لغويًّا ولكنهُ لا يغني في نقد الشعر وتقدير الشاعر . وبعضهم يقسمهم حسب الموضوعات التي يتناولونها في اشعارهم وكان الاحرى ان يعنوا بكيفية تناول تلك الموضوعات لا بمجرد تناولها . ومنهم من اذا بحث في الاخلاق اغفل البواعث الباطنة وتمسك منها بعنواناتها المنكشفة ومن هؤلاء من قارن بين المعري وابي العتاهية فابعد البون بينهما لأن ابا العتاهية كان يكنز المال وهو يذم الدنيا ويذكّر الناس بالموت ولم يكن المعري كذلك . ولعمري ان كنز ابي العتاهية للمال لأدل على صحة خوفهِ من الموت وابين لمزاجهِ السوداوي من القصد وتصديق القول بالعمل . والعجيب اننا كنا نناقش بعض الادباء في هذا الصدد فقال ان المعري نفسهُ كان يكره ان يقارن بابي العتاهية واستشهد بقولهِ فيهِ :

ابدى العتاهيُّ نسكاً وتاب من ذكر عتبهْ
والخوف ألزم سفيا نَ ان يغرّق كتبهْ

كأن رأي الشاعر في نفسهِ حجة على الناس في النظر اليهِ وكأن المعري كان يحسن الظن بنسك احد غير ابي العتاهية وهو الذي شمل الانقياء بقولهِ

قد حجب النور والضياءُ وانما ديننا رياءُ
يا عالم السوء ما علمنا ان مصليك انقياءُ
لا يكذبن امرؤٌ جهولٌ ما فيك لله اولياءُ

ولا نخالنا نغضب روح المعري اذا قلنا انهُ لولا عماهُ وتربيتهُ الاولى وبيت العلم الذي نشأ فيهِ والكوارث التي نكبتهُ في صباهُ والقلاقل التي فشت في زمانهِ وشيء من ضعف البنية وما خلفهُ الجدريُّ والحصبة في جسمهِ منذ طفولتهِ لما كان بعيداً ان ينحو بهِ المزاج السوداوي نحواً آخر غير الزهد والعزلة

كراهتهُ للبشر

وقد يرتكب بعض نقاد الغرب مثل هذا الخطإ في تقسيم الشعراء الى فئتين : محبي البشر (Philanthrope) وكارهي البشر (Misanthrope) لانهم يعدون من كارهي البشر اولئك الشعراء الذين يسخطون على الناس ويتبرمون بهم ويتجنبون مخالطتهم . وعلى هذا عد المعري اكره الناس للناس لقولهِ على الاقل

هل يغسل الناسَ عن وجه الثرى مطرٌ فما بقوا لم يبارح وجههُ دنسُ
والارض ليس يرجوّ طهارتها الاّ اذا زال عن آفاقها الأَنَسُ

والحقيقة ان اكره الناس للناس واضرهم بهم ليسوا بمعزل عنهم بل هم الذين يعيشون معهم حيث يصل اليهم اذاهم. واذا استعملنا المجاز قلنا انهُ لا يقهر الناس الاَّ رجل يخوض معهم غمار هذا المعترك ويقاتلهم بسلاح امضى من سلاحهم . اما المتنائي عنهم فلا يكون الاَّ رجلاً طرح السلاح والتزم موقف الحيدة . والانسان لا ينفر عن الناس لانهُ لم يستطع ان يكرههم وهو عائش بينهم بل لانهُ لم يجد فيهم من يحبونهُ كما يحبهم . وكم كان المعري يعدل عن سوء ظنهِ بالناس ويسترسل اليهم فيردهُ اذاهم الى سوء الظن بهم ويعجب لنفسهِ كيف ذهل عن رأْيهِ فيهم فيقول : —

طهارة مثلي في التباعد عنكمُ وقربكمُ يجني همومي وادناسي
واعجب مني كيف اخطئُ دائماً على انني من اعرف الناس بالناسِ

وهو قول رجل لا يتمالك نفسهُ ان ينبسط بالمودة لابناء جنسهِ ثم لا يلبث حتى ينقبض مكرها فيذوق لهذا الانقباض ألماً يجري على لسانهِ سخطاً وتذمراً وما هو بسخط ولا تذمر. وهل ترى في قولهِ : —

اذا كان اكرامي صديقيَ واجباً فاكرامُ نفسي لا محالةَ اوجبُ

او قولهِ : —

إنْ تُرِدْ أن تخصَّ حرًّا من النا سِ بخير فخصَّ نفسكَ قبلَهْ

الاَّ قول رجل يرى ان الانانية خلاف الواجب ولكنها امر تدعو اليهِ الضرورة وإلاَّ مجاهدة منهُ لاقناع نفسهِ بخلق جديد لا ترتاح اليهِ ؟ وهل قال المعري في الحفيظة على الناس اكثر مما قال في الحفيظة على نفسهِ او تمنى هلاكهم اكثر مما تمنى هلاكهُ هو نفسهِ ؟ فهل يقال ان المعري كاره لنفسهِ بالمعنى المفهوم من كراهة الانسان للبشر ؟ ولقد اوصى الإنس بالطير وهو يحذر بعضهم من بعض فقال

تصدقْ على الطيرِ الغوادي بشربةٍ من الماء واعددها احق من الإنسِ
فما جنسها جانٍ عليك اذيةً بحالٍ اذا ما خفت من ذلك الجنسِ

فالرحمة ثابتة في طباعهِ الاَّ انهُ ينتقل بها من موضع الى موضع كما ينتقل المرء بالهدية المردودة

اشتراكيتهُ

على ان للمعري ابياتاً في الرثاء لحال الفقراء كادت تسلكهُ في عداد شعراء الاشتراكية كقولهِ : —

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحتهُ　　فقير معرًّى او اميرٌ مدوَّجُ
وقد يرزق المجدودُ اقوات امةٍ　　ويحرم قوتاً واحدٌ وهو احوجُ

وقولهِ :　كيف لا يشرك المضيقين في النعمة　قوم عليهم النعماء

وقولهِ :　ان شقًّا يلوحُ في باطن البرَّةِ م قسمٌ بيني وبين الضعيفِ

نعم ان الاشتراكية لا تعتمد في حقوقها على الرحمة ولكنها لا تطلب من شعرائها اكثر مما قال المعري

الجبر وتحريم اللحم

وقد خصصنا الكلام الى الآن بدرس مزاج المعري لاننا لا نعود بفلسفة الرجل الأ الى مرجع واحد وراء كل مرجع وهو مزاجهُ وما اضافهُ اليهِ تأثير البيئة . فكل ما يؤْثر عنهُ من التقشف والتشاؤُم والقول بتنازع البقاء والنهي عن الزواج لم يزدهُ الاطلاع والتحصيل الأ صيغة العبارة واصطلاحات العلم . وما قلناهُ عن هذه الآراء نقولهُ عن رأْيهِ في الجبر وتحريم اللحوم . اما الجبر فهو سبيل كل رجل يشعر في نفسهِ بتضارب الاحساسات وتحكم الطبائع و يعلم بعد مكابدتها انهُ لا حيلة لهُ فيما يرضى او فيما يأبى وانهُ لا اختيار لعقلهِ فيما ينوي وفيما يصنع . وما كانح التضارب في الاحساس والفكر احدٌ مكافحة المعري فانتهى بهِ الامر الى الجزم بان الارادة مغلولة والاهواء مستبدة والعقول مسخرة حيث يقول

وقد غلب الاحياء من كل وجهة　　هواهم وان كانوا غطارفةً غلبا

وحيث يقول

والعقل زين ولكن فوقهُ قدرٌ　　فما لهُ في ابتغاء الرزق تقديرُ

فهو مبتكر في مذهب الجبر لا مقلد . اما تحريم اللحوم فليس اعجب من القول بانهُ اقتفى فيهِ مذهب الهند . ولو كان المعري كاهناً هنديًّا برهميًّا متريضاً لما عجبنا للامر لانهُ انما يخضع لسلطان عقيدة دينية و يخشى عقاب قدرة الهية . اما وهو رجل قد شكَّ في الديانات وهزأ بشعائرها وفرائضها فمن العجيب حقًّا ألَّا يكون لهُ باعث على ترك اللحم او بعين سنة إلَّا الايمان بمذهب البراهمة . وعندنا ان المعري كان لا يشتهي اللحم بطبعهِ وكان فقيراً مع رحمة

مفرطة فيهِ وكان بهِ ميل الى تعذيب النفس كما هو شأن بعض اصحاب الامراض العصبية في رأي ماكس نوردو وغيرهِ من الاطباء . ولم يفدهُ عرفانهُ بمذهب الهنود البراهمة الاَّ اخراج هذه الاميال في صبغة مذهب فلسفي . ولهذا بدأنا مقالنا ونختمهُ بان مفتاح البحث في فلسفة المعري انما هو درس مزاجهِ ورد افكارهِ وخواطرهِ الى خواص هذا المزاج التي ساعدتها البيئة على الظهور

خاتمة

وقبل ان نختم هذا البحث نستحسن ان ننبه الى بعض مآخذ لاحظناها على احد اشياخنا الكاتبين عن المعري بياناً للفرق بين النقد النظري والنقد الاستقرائي فان الكاتب مع عنايتهِ بتتبع الآثار التاريخية وشرح احوال العصر الذي عاش فيهِ المعري لم يوفق الى انصاف المترجمين للمعري ولم يقدر آراءهم قدرها

فمن ذلك انهُ اشار الى قول من قال ان سبب سخط المعري على الدنيا عسر الهضم فتعجل برفضهِ وقرر استحالتهُ ولا برهان لديهِ ينقضهُ . ولا ندري نحن لماذا يستحيل عسر الهضم على رجل دائم الكآبة سوداوي المزاج مدمن لاكل البقول ملازم دارهُ لا يبرحها

وقارن بين ابي العلاء وابي العتاهية فقال « مرجليوث اجتهد في ان يقارن بين ابي العلاء وأبي العتاهية في هذا الشعر الفلسفي فزعم ان بين الرجلين تشابها وتابعهُ على ذلك سلمون . ولقد كنا نحب ان نجتهد في بيان هذا الوهم الذي وقع فيهِ هذان العالمان لولا ان دائرة المعارف الاسلامية التي يكتبها المستشرقون سبقت الى هذا فجعلت قياس ابي العلاء الى ابي العتاهية ظلماً وحيفاً اذ كان ابو العتاهية يستقي من الدين ويتقيد بهِ وكان ابو العلاء يستقي من الفلسفة ولا يتقيد بالدين وهذا الفرق ظاهر الاثر في شعر الرجلين . وخصلة اخرى لم تلتفت اليها دائرة المعارف وهي ان ابا العتاهية على كثرة ما استعان بالدين في زهدهِ الذي ملأَ بهِ ديوانهُ كان فاسقاً مستهتراً بالمجون بخلاف ابي العلاء الذي استملى الفلسفة واتهمهُ الناس بالزندقة والالحاد فانهُ لم يمل الى لهو ولم يذهب مذهب المجون »

فهو وافق دائرة المعارف ليخالف مرجليوث وسلمون ولكنهُ لم يشأ ان يوافق الدائرة كل الموافقة فذكر انهُ التفت الى شيء لم تلتفت اليهِ وهو مجون ابي العتاهية . على انهُ عاد بعد ذلك فاقتدى بالدائرة في مقارنتها المعري بابيقور وقال « ابو العلاء يرى رأي ابيقور هذا كما تدل عليهِ اللزوميات في مواضع كثيرة نجتزئ منها بقولهِ : —

ولم اعرض عن اللذات إلاَّ لأَن خيارها عني خنسنَهْ

فليس من الغريب بعد ذلك ان يشير ابو العلاء بالاشتراكية في النساء الخ » فكيف اذن تكون مجاراة اللذات روح فلسفة المعري الاخلاقية ولا يكون ثمت شبه بين شعرهِ وشعر ابي العتاهية لان هذا ماجن مستهتر باللذات ؟ اما نحن فلا يسعنا الاَّ ان نعجب برأي دائرة المعارف الاسلامية وانْ نسوقهُ شاهداً على ما فصلناهُ قبلُ في تحليل اطوار المزاج السوداوي وما ينتاب اصحابهُ من الاطوار المتناقضة ولا نقول كما قال ان المنطق لا يقبل المتناقضات فيلزم من ذلك ان يكون كل عقل منطقيًّا

ومع ان حضرة الكاتب حريص على ان يوصف بالتدقيق في استقصائهِ نراهُ يزعم ان المعري كان على « مذهب الباحثين من علماء الافرنج في هذه الايام » اي انهُ « يمنع ان يكون الناس مشتقين من سنخ واحد » ولا نعلم نحن ان هذا مذهب الباحثين من علماء الافرنج وانما هو خاطر مرجح عند طائفة منهم · ولا نحسب الكاتب كان يقبل ان ينسب الى المعري رأياً كهذا لو انهُ قاس درجة العلم في عصرهِ قياساً دقيقاً (اولاً) لان القائلين بهذا الرأي من علماء اليوم لم يعمدوا اليهِ الاَّ بعد إنعامهم في درس مسأَلة الانواع والاجناس درساً علميًّا استقرائيًّا (وثانياً) لان كلام المعري كلهُ خلو من كلمة اخرى تسندهُ · وما اراد المعري بقولهِ :

وما آدم في مذهب العقل واحدٌ ولكنهُ عند القياس اوادمُ

الاَّ ان آدم هذا المذكور في الكتب الدينية ليس باقدم آباء البشر و يفسر هذا المعنى قولهُ في بيت آخر

جائز ان يكون آدم هذا قبلهُ آدمٌ على إثر آدمْ

فليس الخلاف بين المعري والمتدينة على عدد اصول النوع البشري بل على قدم اولها واين هذا من رأي تلك الطائفة من علماء اليوم ؟

ونكتفي بهذا القدر اذ كنا لا نقصد الى نقد الكتاب وانما مررنا بما لهُ مساس بموضوعنا · وللكلام على آداب المعري ومعارفهِ فرصة اخرى عباس محمود العقاد

مصر منذ تسعين سنة

(١٠)

وداع القاهرة

ها انا مغادر القاهرة مدينة الغرائب والعجائب · افارقها على اضطرار واسف بعد ان مكثت فيها ثمانية شهور درست فيها حالة مصر والمصريين وتعودت معيشتهم وخبرت احوال الشرق والشرقيين وعوائدهم · تركت مدينة الآثار وقد كانت زاهية زاهرة حيةً عامرة والآن قد عبث الدهر بقصورها وجوامعها ومبانيها الفخمة وعفت رسومها فاصبحت خرائب دارسة · كانت القاهرة كغيرها من مدن الشرق لابسة ثوباً قشيباً من الحضارة والنماء وزاهرة في العلوم والفنون والآن اصبح ثوبها هذا بالياً · على انني ارى ان دلائل الحياة والنمو تجددت فيها ولا بد ان يأتي يوم قريب تصبح قاعدة الصلات بين الغرب والشرق او بين اوربا والهند الانكليزية

احصاء سكان القطر المصري

وفي هذا المقام اذكر تعداد اهالي القطر المصري بحسب الاحصاء الاخير الذي عملتهُ الحكومة من عهد قريب · وقد اتبعت فيهِ طريقة غريبة غير وافية ولا مدققة ولكن يمكن بواسطتها معرفة عدد السكان بوجه التقريب · فليس عند الحكومة المصرية قيد ولا سجلات للمواليد والوفيات لمعرفة عدد الاهالي ولم تتبع في التعداد الطريقة المتبعة في اوربا في احصاء سكان كل حي ومسكن مأهول بل اتخذت عدد البيوت والمساكن قاعدة للاحصاء وهذه الطريقة كثيرة الخطاء كما لا يخفى فحسبت ثمانية نفوس في كل مسكن من مساكن القاهرة · وستة في كل بيت من بيوت الارياف وقراها · وخمسة في كل بيت من مدن الاسكندرية وبولاق ومصر القديمة ورشيد · واما دمياط فلما كانت مدينة عامرة كثيرة السكان افترضت في كل بيت منها ستة نفوس · فبلغ تعداد سكان القطر المصري على هذه الطريقة من الاحصاء ٢٥٠٠٠٠٠ مليونين ونصفاً من النفوس منها مليون ومئتا الف من الذكور والباقي من الاناث · ومن الذكور اربعمائة الف من القادرين على حمل السلاح · وظهر من هذا الاحصاء ان مليونين من المصريين مسلمون و٢٥٠ الفاً قبط · وعشرة آلاف ترك وارناؤود · وخمسة آلاف سوريون مسيحيون · وخمسة آلاف روم · والفين ارمن · وخمسة آلاف يهود · ونحو سبعين الفاً من النوبيين والبرابرة والعبيد · ولا يدخل في هذا الاحصاء

العربان والعرب الرحّل وسكان الواحات والصحاري فليس لهم منازل للاحصاء. واما سكان القاهرة وحدها فبلغوا ثلاثمائة الف نفس

الذهبية او المركب

نقلت كل صناديقي وامتعتي التي جمعتها في مصر حتى رياش بيتي واقفاص الطيور الى الذهبية او المركب الذي استأجرتهُ وكان راسياً في مرفإ بولاق واخذت جاريتي زينب وامتعتها . وقبل ان ابرح القاهرة قصدت ان اودع اصدقائي ومواطنيَّ . فذهبت الى مدام بونوم ترجمانتي فقادتني الى مخازنها الداخلية وارتني شيئاً كثيراً من امتعة السفر من خيام ومظالّ وادوات الطبخ ومقددات ومأكولات محفوظة ومشروبات فابتعت شيئاً منها يكفيني للوصول الى سوريا . ثم اوقفتني امام مجموعة من الرايات واعلام الدول البحرية المختلفة وقالت لي انتقِ ما تشاء من هذه الرايات . فقلت لها وما فائدتي منها فهل رتبتي حامل اللواء وهل انا ذاهب للحرب . قالت ان كل السياح والافرنج يحملون معهم رايات الدولة التي ينتمون لها وينصبونها فوق خيامهم او يرفعونها فوق صواري المركب في اسفارهم النيلية لئلا يعتدي احد عليهم . فالرايات الاجنبية لها حرمة ومهابة في قلوب الاهالي وعدا ذلك فلست مضطراً ان ترفع راية دولتك الفرنسوية فان اكثر السيّاح على اختلاف جنسيتهم يفضلون رفع الراية الانكليزية في هذه البلاد فوق خيامهم ومراكبهم النيلية لانها اكثر امنيةً ومهابةً في عيون الاهالي كما ان الراية الفرنسوية تفضل في سوريا على غيرها من اعلام الدول. واما في بلاد فلسطين فاكثر السياح يرفعون راية دولة سردينيا الكاثوليكية (كانت وقتئذٍ تحت حكم آل سافوى ملوك ايطاليا الآن) فانها اكثر قبولاً وحرمة عند اباء الاراضي المقدسة فقلت لها اذا كان ولا بدَّ من ذلك فلا ارفع الاَّ راية دولتي الفرنسوية

حفلة ختان

وفي صباح اليوم التالي اقلع بنا المركب من مرفإ بولاق وكان راسيًا بجانب قصر عظيم لاحد الامراء المماليك استولى عليهِ الباشا وجعلهُ مدرسة للصنائع والفنون الحربية . ورأيت هناك في فضاء واسع من الارض اكواماً من الفخار والخزف من جرار وازيار وقوارير وقلل وكلها من صنع بلاد الصعيد الاعلى تحمل من هناك على اطواف . وبعد ساعة وصلنا الى جزيرة رملية بين بولاق وامبابه وهناك سكنت الريح وغرز المركب في الرمال فغطس البحرية وكانوا ستة نفوس فدفعوا المركب الى الماء بعد تعب ومشقة وكانت وجوهم تتصبَّب

غرقًا و « الريّس » جالس على المقعد فوق ظهر المركب يدخن بنارجيلتهِ كانهُ باشا او اميرال اسطول يلقي الاوامر

كان المركب يسير بنا الهوينا لسكون الريح الى ان وصلنا عند الظهر الى الضفة اليمنى على بعد ميل من بولاق عند حدائق شبرا بالقرب من قصر محمد علي باشا وهناك يكثر قصب الغاب على ضفاف الماء · وقد نبت اسماعنا من نقنقة الضفادع فاين نبات اللوتس الارجواني والبردي واين طيور اللقلق التي كانت كثيرة على ضفاف النيل كما يصف لنا السياح الاقدمون ؟

ولما مالت الشمس للغروب رأيت عن بعد انوار مصابيح تنعكس اشعتها الضئيلة عن الماء وسمعت انغام الرباب والناي والمزمار تتخللها النغمة الشرقية الخالدة « يا ليلي يا ليلي » وبلغ الى سمعي نشيد متكرر بدوّه « يا ليالي الافراح » ولما قربنا من الشاطئ رأينا جمعاً كبيراً من الناس يموجون في ساحة واسعة و بينهم النساء القرويات والغلمان يسرحون و يرقصون و ينشدون و يصفقون طرباً على قرع الطبل والدربكة فظننت انهم في حفلة عرس او مولد وليّ كالموالد التي شهدتها في اسواق القاهرة · و بعد هنيهة وقف بنا المركب عند تلك القرية وامر الريس بانزال المراسي وطيّ الشراع فدهشت من ذلك وتقدمت اليهِ وسألتهُ بحدة

ماذا تقصد هل تريد ان نبيت هذه الليلة هنا بعد ان قضينا ست ساعات في النيل لم نجتز فيها بعد ميلين · فاجاب بعدم اكتراث نعم لان الريح ساكنة (الهوا بطال) ولا يمكننا ان نقلع من هنا قبل عصارى الغد حينما تهب الرياح الجنوبية الغربية الموافقة لمسيرنا · قلت مرْ رجالك اذاً ان يجرّوا المركب بالحبال من الشاطئ · قال يجب حينئذٍ ان ادفع لهم اجرة مضاعفة وعدا ذلك فليس في صك الاتفاق المعقود بيننا ما يضطرني الى جر المركب عند سكون الريح · وحقيقة الامر ان قواس القنصلاتو الذي استأجرلي الذهبية من هذا المراكبي المدعو رمضان على اخذ منهُ صكًا مكتوبًا باسمي وموقعاً عليهِ امام قاضي القسم · فرضخت لحكم القضاء وقلت للريّس لا باس وسأبيت هذه الليلة في غرفة الذهبية · وكان فيهـا غرفتان مفروشتان ولهما منافذ مشبكة مطلة على النيل وعلى ظهرها مقاعد شبه ايوان مفروش حولهُ قصاري الزهور والرياحين · فاجابني ولكني ادعوك الى هذه البلدة لتشرف منزلي فعندي حفلة طهور اقيمت منذ امس وهذه هي الليلة الاخيرة · قلت ولكنني لا استطيع ترك جاريتي هنا وحدها · قال فلتأت معنا ولتقم مع حرمي فانها ستسر كثيراً وتشترك معنا بالفرح

فاوجست في بدء الامر خيفة ولكني تأكدت بعد ذلك ان الرجل حسن الطوية كريم

الخلق وهو من اهالي تلك البلدة (شبرا البلد) المبنية على ضفاف الترعة الشبراوية . وانهُ اقام حفلة عائلية لختان ابنهِ اشترك فيها كل اقاربهِ واهل بلدتهِ حسب العادة

ولما وصلنا الى البلد ادخلنا الرجل الى منزلهِ وامامهُ ساحة واسعة ازدحم فيها الاهالي رجالاً ونساء وغلماناً فاستقبلونا بالزغردة والاناشيد كأني اغسطس قيصر يدخل رومية ظافراً . فدخلت زينب الى غرفة حريم الريس ثم اخذ بيدي واجلسني على فراش امام رجل شيخ ذي لحية بيضاء وعرفني بهِ وقال لي انهُ ابوهُ وانهُ يعرف كثيرين من رجال الحملة الفرنسوية و يفهم شيئاً من هذه اللغة . فسررت جداً من هذا التعارف الاَّ اني وجدت ان هذا الشيخ لا يفهم من لغتنا سوى بضع كلمات التقطها من افواه الجنود في الشوارع . وحدثت نفسي بان استأجر حماراً وارجع الى القاهرة عن طريق شبرا فاقضي السهرة في مكتبة مدام بونوم والهو بقراءة الجرائد ومطالعة الكتب دفعاً للملل ولكن التفاف القوم حول حلقة الرقص والاناشيد الوطنية على وقع المزمار والطبل ألهاني عن هذا القصد . وطاف اناس يوزعون القهوة والتبغ على الحاضرين ووزعت «البوظة» في قصاع من خشب على النوبيين والبرابرة وكانوا حول حلقة الرقص وحدهم . والبوظة تصنع من نقيع الشعير وكانت معروفة عند المصريين الاقدمين وقد وصفها هيرودوتس في كتابهِ عن مصر بانها «خمير الشعير»

ثم التفتُ نحو رفيقي الشيخ لالهو معهُ بالحديث وقلت لهُ هل رأيت نابوليون لما كان بمصر . فنظر اليَّ ببلاهة وظهر لي انهُ لم يفهم ما اقول وهز رأسهُ مستفهماً . فقلت لهُ عجباً الا تعرف نابوليون بونابرت وانت شيخ . فلما سمع كلمة بونابرت ابرقت اسارير وجههِ وحنى رأسهُ كثيراً الى الامام علامة الاحترام و بدأ ينشد نشيداً عربيًّا بدؤُهُ «يا سلام بونابارته» بالنغم الفرنسوي فعلمت ان هذا الجنرال لم يكن معروفاً في مصر الاَّ بهذا الاسم . فاغرورقت عيناي بالدموع بينما كان الشيخ ينشد نغماً فرنسويًّا وطنيًّا . ولما ذكرت لهُ اسماء القواد العظام الذين كانوا في الحملة كنو وكليبر و برتولومي مدير الضبط والامن العام في مصر قال انه يعرف هذا الاخير وكان طويل القامة ضخم الجثة مهيب الطلعة والمصريون لا يحسنون النطق باسمهِ فكانوا يدعونهُ «فرخ الرومي» . وبدأ الشيخ ينشد نغماً عربيًّا كان شائعاً وقت الاحتلال هذه ترجمتهُ «حبيبي لابس برنيطة وعلى حزامه الشريط الاحمر . جيت ابوسه قال لي «آسبتًّا» (توقف) الله يحرس لي سواد عيونه . عيونه عيون الغزلان ياما احلى فرخ الرومي وفي ايده الفرمان بالعفو والامان»

ثم ابتدأت حفلة الختان فاجتمع القوم واركبوا الغلام ابن الريس على جواد وهو بثياب زاهية مقصبة وحوله رفقاؤهُ الغلمان في المدرسة ينشدون وفي عنق احدهم اللوحة التي كان يقرأ ويكتب فيها وعليها آية قرآنية من خطهِ وبجانبهِ العريف معلمهُ وفي الجانب الآخر الحلاق المطهّر ومساعدهُ وبين ايديهما الطشت والمومي وغيرهما من ادوات « التطهير » وسار هذا الموكب في طرقات البلدة بين زغردة النساء ودق الطبول ونغم المزمار ورش القاقم بماء الزهور ولما رجع الموكب الى المنزل وقف اربعة من الغلمان وحملوا شالاً حريريًا من اطرافهِ ووضعوا في وسطهِ لوحة الغلام المشار اليها وداروا بين القوم يجمعون النقود او النقطة ويقال لها عندهم « الصرافة » باسم الغلام والحقيقة انها لابيهِ اعانةً لهُ مقابل النفقات التي صرفها على الحفلة

ثم جاء دور الحلاق المطهر فجلس بين الغلام وذويهِ والطشت وادوات التطهير بين يديهِ وكان كلٌّ من الحضور يتقدم ويضع في الطشت بعض قطع من النقود وهي « نقوط » للمطهر ومساعدهِ

ثم عملت عملية التطهير بين زغردة النساء واغاني القوم وضجيج الطبول ونغم المزمار والناي حتى لا يسمع صراخ الولد المتألم وبكاؤهُ . وعند ختام العملية وضعت الموائد للعشاء فجلس اولاً الحلاق المطهر ومساعدهُ والعريف ثم اهالي البلد في دوائر او حلقات حول المائدة وكان كل مَن بالصف الاول يأخذ قطعة من اللحم فيقضم منها شيئًا ويناولها لمن كان خلفهُ في الصف الثاني وهكذا بالتتابع الى ان تصل الى الدائرة الاخيرة ولم يبقَ منها سوى العظم فيجردوها ويلقوها وراءهم الى دائرة الكلاب . وعند الفلاحين كل الناس يشتركون في الولائم والافراح حتى كلاب الحيّ . وهذا منتهى الكرم

فجلست اتفرج على هذه الوليمة بسرور وعند ختامها وزعت القهوة على الحاضرين والبوظة على النوبيين ودار الرقص والغناء على وقع الناي والرباب الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك ختام الحفلة

الغابة المتحجرة

استيقظت باكرًا والقوم كلهم نيام فبدأت افكر كيف اقضي ذلك اليوم الى ان تهب الريح الجنوبية عند المساء . فخطر على بالي « الغابة المتحجرة » وهي على بعد ساعة من القاهرة عند صحراء هليوبوليس . وكنت قد التقيت وانا في سيرا احد بلاد اليونان بصديق لي من ضباط البحرية الفرنسوية اهدى اليَّ غدارة بديعة الصنع وطلب مني ان احضر لهُ معي عند

رجوعي بعض قطع متحجرة من هذه الغابة حتى اذا مررت على ازمير عند رجوعي من سوريا اضعها عند مدام كارتون دي فال بشارع الورد · ووعود السياح بعضهم لبعض مقدسة وكم كنت اذوب خجلاً لو التقيت بصديقي هذا مرةً وقد اخلفت معهُ الوعد · وعدا ذلك فاني اتخذ هذه الفرصة لأتفرج على الغابة المتحجرة العجيبة والمسلّة الفرعونية القريبة منها · فايقظت الريس وذكرت لهُ عزمي هذا فاحضر لي حماراً نشيطاً عارفاً الطريق فخرجت من البلدة وسرت على ضفة الترعة الشبراوية ورأيت آثار ترعة ادريان القديمة التي حفرت على عهد ادريانوس القيصر الروماني بين النيل والبحر الاحمر ومصبها بالقرب من مدينة السويس غير ان رمال الصحراء طمرتها من قديم الزمان ولم يبقَ سوى آثارها · والاراضي حول شبرا خصبة زاهرة تتخللها غابات النخيل · ومررنا في طريقنا على بساتين ورياض غناء من اشجار الموز والبرتقال · وهناك اراضٍ خصبة تروى من مياه الترعة او من النواعير (السواقي) تديرها الثيران · ولها في دورانها نغم محزن كنوح الحمام · ثم اجتزنا ترعة الخليج المصري ووصلنا بعدها الى صحراء رملية قاحلة اشرفنا منها على جبل المقطم وظهرت لنا قباب قبور الخلفاء حيث دفن اكثر ابطال الاسلام وملوكهم كابن طولون وبيبرس والملك العادل · وبعد مسير ساعة وصلنا الى مفازة هليوبوليس وهناك آثار السدّ القديم وكان قبلاً سدًّا متيناً عالياً اقيم حول هذه المدينة ليقي عاصمة الفراعنة وهياكل معبوداتها من مياه الفيضان ومن عواصف رمال الصحراء الشرقية · ولم يبقَ الآن من هذه المدينة العظمى حجر على حجر سوى تلال وآكام وحفر واما مسلاتها واعمدة هياكلها التي كانت تعد بالمئات فلم يبق منها سوى مسلة واحدة في وسط غابة · فاقبل خفيرها وقدم لي بعض اثمار وازهار ثم جلست استريح على قاعدة المسلّة افكر فيما كانت عليهِ هذه المدينة من الحضارة والعظمة والهياكل والابنية الفخمة كما وصفها سترابون وهيرودوتس وغيرهما من مؤرخي اليونان وقالوا انها مهد العلوم في الشرق · وكان حول هيكل الشمس مئات من المسلات بين كل مسلة واخرى تمثال ابي الهول (سفنكس) لم يبقَ منها الى اواسط القرن الماضي سوى سفنكس واحد وثلاث مسلات نقل منها اثنتان الى الغرب · ورأيت على دهشة مني خشرماً من النحل وكوَّرهُ في نقرة عالية من المسلة ملأها عسلاً (وهنا ذكر السائح نقلاً عن الكتب والتقاليد القبطية التجاء العائلة المقدسة الى هذه المدينة عند مجيئها الى مصر وان احد سكانها اضافها عندهُ وهو اللص الذي صلب على اليمين) · وعلى بعد قليل من المسلة بلدة المطرية حيث العين والشجرة المنسوبتان للعذراء مريم وهذه

العين تنبع من الارض بين حجرين وقيل انها النبع الوحيد الموجود في البلاد المصرية ·
واما الشجرة التي قيل ان العذراء جلست تحتها تستريح من وعثاء السفر مع طفلها ورجلها فهي شجرة جميز ولا اظن ان عمرها يبلغ اكثر من خمسماية او ستماية سنة ولكن من الممكن ان تكون فرعاً او فسيلة من الشجرة القديمة التي كانت على عهد المسيح · وهذه الشجرة لها حرمة واكرام عند جميع المسيحيين على اختلاف نحلهم

رجعت من المطرية ومررت على آثار ترعة ادريان في الرمال وهناك طريق العربات بين القاهرة والسويس وبعد ان مررنا مسافة قليلة وصلنا الى ارض رملية حجرية (بين محطة الزيتون والمطرية الآن) تتخللها اشجار البلسم والطحلب والعوسج والنباتات الفطرية والشوكية واروماث غليظة جدًّا هائلة الكبر هي بقايا نخلات قديمة وهذه هي الغابة المتحجرة · وقد اجتذب نظري رجم كبيرة من الحجارة الرملية المتكاسة اذا فتت واحد منها ترى داخلهُ ممتلئاً من القوقع والمحار والاصداف التي لا توجد عادةً الاَّ على شواطىء البحر الملح ·
واغرب من ذلك انك تجد على بعض الحجارة او الحصى (الزلط) رسم اثمار واسماك ودويبات وعروق واغصان اشجار متحجرة · فمتى كان هذا التحجر؟ وهل كانت اراضي بلاد الدلتا مغمورة بمياه البحر المتوسط في العصور الخالية كما يذهب اليهِ بعض العلماء والمؤرخين ثم تغلب عليها طمي النيل شيئاً فشيئاً الى ان رجع البحر الى حدودهِ المعروفة الآن؟ وكم من ملايين السنين مضت على هذا النشوء او التحول الحجري؟ قال العلماء المعتقدون بالوحي ان وجود بعض رواميز الاصداف والاسماك والنباتات المتحجرة في اعالي الجبال وعلى بعد مئات من الاميال من البحر لدليل حسي على حقيقة حدوث الطوفان العام الذي طغى على وجه الارض واغرق المسكونة كلها كما جاء في التوراة · ولكن فاتهم امر جوهري وهو انهم يحددون تاريخ حدوث الطوفان فيجعلونهُ نحو ستة آلاف سنة وهذا التحول الحجري لا يمكن ان يتم باقل من ستة ملايين سنة فما هي الحقيقة؟

السفر الى دمياط

ركبنا عصارى ذلك اليوم في الذهبية فسارت بريح موافقة حتى وصلنا الى بطن البقرة حيث النقطة السفلى لزاوية الدلتا · ثم غابت عنا رؤوس الاهرام واظلم الافق · وكان مسيرنا في الفرع الشرقي اي على مجرى النيل الاصلي الذي يصب في دمياط وعلى ضفتي هذا الفرع اراضٍ خصبة ومروج زاهرة وبلاد عامرة · فاجتزنا بلدة « شلقانية » المبنية على اثار مدينة مركاسوروم القديمة ثم مررنا ببلدة دجوى وكانت منذ عهد قريب مركزاً او وكرًا لعصابة لصوص النيل

يترصدون مرور المراكب ليلاً ويتبعونها سباحة ويخطفون ما تصل اليهِ ايديهم من البضائع والاموال ثم يختفون في الجزائر والآجام . ومررنا على خرائب اتريب القديمة (قرب بنها) .
وفي اليوم التالي رسونا عند بلدة ميت غمر وهي كثيرة العمران والسكان وجامعها قديم جدًّا مأذنتهُ مربعة الشكل كان قديمًا كنيسة مسيحية قبل الفتح الاسلامي . واجتزنا بلدة ابو صير وهي بوزيرس القديمة ثم سمنود المبنية على اثار مدينة سبانيتوس القديمة . وعلى مقربة من هذه البلدة اثار او خرائب هيكل مصري عظيم كثير القدم كان للمعبودة ايزيس مبني على اعمدة كثيرة فوق كل عمود تاج مزخرف بالنقوش البديعة تمثل رؤُوس نساء بارزة . وقد دك الاهالي اكثر هذه الاعمدة وقطعوها وصقلوها حجارة للطواحين

ورسونا في مساء اليوم الثالث امام مدينة المنصورة وقد اسفت جدًّا لاني لم اتمكن من التفرج على معامل تفريخ البيض المشهورة في هذه البلدة وعلى بيت ابن لقمان حيث امر الملك لويس التاسع . ولما صحونا عند الصباح من النوم فوجئنا بنبإٍ مزعج ذلك اننا رأينا العلم الاصفر مرفوعًا فوق مركز الصحة وقيل لنا ان اكثر بلاد الدلتا الى دمياط موبوءة بالطاعون . فلم نتمكن من الدخول الى البلد لابتياع ما يلزمنا من مؤُونة وغذاء وقد فرغ ما كان عندنا منها . فواصلنا مسيرنا الى بلدة فارسكور وهناك ظهرت اما اعيننا مجالي العمران والخصب ومناظر الطبيعة الجميلة من المروج المخصبة وغابات النخيل الزمردية . ثم دخلنا في خليج مدينة دمياط وظهرت امامنا ابنيتها العامرة كدائرة حول الرصيف وهي على الطرز الايطالي مكللة واجهاتها وسطوحها بقصارى الزهور والرياحين . ومدخل دمياط على هذا الوصف يشبه مدخل البندقية

فرسا بنا المركب في المرفإِ الكبير امام بناية عظيمة عالية الجدران يخفق فوقها علم الحكومة الفرنسوية ولم يسمح لنا بالدخول الى المدينة الأصباحًا بعد ان يزورنا طبيب الكرنتينا وكان العلم الاصفر مرفوعًا فوقها دلالةً على ان المدينة موبوءة بالطاعون . فقضينا الليلة في الذهبية وعند الصباح رفعتُ العلم الفرنسوي فوق ساري مؤَخرتها وقد الجأتني الضرورة لاعلان جنسيتي قبل ان يزورنا رجال الصحة . وبعد ساعة اطل علينا من الشاطيء قواس قنصلية فرنسا وقال لي ان القنصل لما رأى العلم الفرنسوي على المركب ارسلهُ لينظر مَن القادم ويعرض عليهِ ما يريد من الخدمة والمساعدة . فعرفتهُ بنفسي وقلت لهُ اني قادم من مصر ومسافر الى سوريا ومعي كتاب توصية من قنصل جنرال فرنسا الى قنصل دمياط واريد ان اقابلهُ واسلم الكتاب اليهِ بيدي . فغاب القواس هنيهة ثم رجع ودعاني ان اذهب معهُ لمقابلة

القنصل · فلم يجسر احد من رجال الحفظ والصحة على معارضة قواس القنصل · فخرجت من المركب واتبعتهُ واوصاني ان لا المس احداً في الطريق ولا ادع احداً يلمسني وكان يسير امامي وهو بثوبهِ الالباني وغداراتهُ في وسطهِ يقرع بعصاهُ الفضية المتوجة بتفاحةٍ ذهبية على البلاط قرعاً عنيفاً متواصلاً ليبعد عن طريقي الناس والغلمان الذين ازدحموا ليتفرجوا عليَّ · وكانت القنصلية على مقربة من الرصيف فدخلنا فيها واذا هي بناية كبيرة واسعة عالية كثيرة المداخل يقال لها «وكالة» (١) وفي اعلاها مسكن قنصل فرنسا و يدعى م· سرور· وهو سوري الاصل ومن كبار تجار الارز في دمياط · فاصعدني القواس الى بهو كبير مفروش بالحِجر الرياش وفي صدرهِ رجل جالس وهو بثياب شرقية فقال لي القواس هذا هو القنصل · فحنيت رأسي احتراماً واخرجت من جيبي كتاب التوصية وتقدمت لاسلمهُ اليهِ فرفع يدهُ نحوي وقال لي بلهجة يشوبها الانتهار «آسبتا» اي توقف فعلمت ان الرجل يأبى ان يمسني لانهُ من حين ظهور الطاعون في دمياط انزوى في بيتهِ لعدم الاختلاط باحد كانهُ في حجرٍ صحي ثم خرج من باب ورجع وهو حامل ملقطاً والتقط بهِ الكتاب من يدي ومزق غلافهُ بسكين واخرج الرسالة بالملقط وقرأها بدون ان يمسها كانني مصاب بالطاعون مع اني آتٍ من بلاد سليمة · ولما عرف من انا وما هي منزلتي بين قومي خفف شيئاً من حذرهِ وعبوستهِ الاولى ورحب بي واشار اليَّ ان اغتسل ودعاني للجلوس معهُ على مائدتهِ الغداء

ثم دعا كاتب سرهِ او ترجمانهُ (قونشلير) ليكون ترجماناً بيني وبينهُ لانهُ لا يحسن كثيراً التكلم باللغة الفرنسوية واظهر لي صريحاً ان دعوتهُ لي للغداء داخلة ضمن حدود الكرنتينا فلا المس شيئاً الاَّ ما يقدم لي الخادم · وحينئذٍ تذكرت رفقائي رئيس المركب وبحريتهُ وقد فرغت المؤونة من عندهم وحجر عليهم فلا يقدرون ان يختلطوا باحد فرجوت من القنصل ان يرسل لهم شيئاً من القوت ففعل وامر ان يقدم لهم الخبز والدجاج واللحم بواسطة القواس فشكرت القنصل على لطفهِ وكرمهِ والشرقيون معروفون بالكرم وحسن الضيافة · ثم ذكرت لهُ جاريتي زينب وطلبت احضارها الى القنصلية فحضرت مع القواس ولما مثلت امامهُ حدّق فيها كثيراً فرأى ما هي عليهِ من غضاضة الصبا والجمال الجاوي فقطب حاجبيهِ والتفت نحوي وسألني وهل انت مزمع ان تأخذ هذه المرأة معك الى فرنسا · قلت اذا شاءت ان ترافقني الى وطني فلا سبيل لي الى منعها · قال ولكن الا تعلم انها اذا وطئت الاراضي الفرنسوية فتكون حرةً · قلت اني اعتبرها حرة منذ الآن · قال اولا تعلم انها اذا

(١) لم تزل هذه الوكالة باقية الى الآن الا ان معظمها خرائب متهدمة وهي ملك اسرة سرور

سئمت الاقامة في فرنسا وارادت الرجوع الى مصر فانك مضطر لتسفيرها على نفقتك . قلت اعلم ذلك . قال اني اشير عليك يا مسيو دي نرفال ان تبيعها هنا فانت سائح جوال في البلاد برًّا وبحرًا ويشق عليك ان تصحب امرأة مثل هذه في اسفارك . قلت وكيف ابيعها في بلد موبوء بالطاعون فان ذلك منتهى القساوة . قال انت وشأنك اذًا . وغلب على ظني ان القنصل كان يقصد من ذلك ان يشتريها مني بثمن بخس ويجعلها خادمة في منزله . ثم ذكرت لهُ بواسطة الترجمان ما حدث لي في القاهرة من امر السكنى والزواج وكيف اضطررت لمشترى الجارية فتبسم ضاحكاً

ثم انتقلنا بعد ذلك الى قاعة الاكل وكان في وسطها مائدة كبيرة مستديرة وعليها الاطباق وحولها الكراسي فاشار اليَّ القنصل بالجلوس على كرسي منفرد وجلس بازائي في الطرف الاخر وعلى يمينه القونشلير وعلى يساره ابنهُ وهو غلام صغير في السابعة من عمره . واما القواس فوقف بيننا كحاجز . وكنت اؤمل ان يدعو زينب لمشاركتنا في الغداء . وكانت متربعة على حصير عند مدخل باب الحريم فربما ظنت هذه الساذجة المسكينة اني احضرتها عند القنصل لكي ابيعها . وكان الخادم يقدم لنا الطعام على الطريقة الاوربية الا انهُ كان يضع امامي صحافًا خصوصية لئلا اشترك مع الباقين في الصحفة العمومية منعاً للاختلاط . ثم بدأ الحديث بيننا فذكرت للقنصل مجمل رحلتي منذ خرجت من فرنسا وسياحتي في سويسرا والمانيا والنمسا وما لاقيتهُ من الحوادث النادرة في فينا والبندقية وبلاد اليونان وانتقالي من سيرا الى الاسكندرية واقامتي في القاهرة . وذكر لي انهُ ولد في سوريا وهو من الطائفة الكاثوليكية وانهُ يتاجر بين دمياط والشواطئ السورية بالارز والحبوب وغيرها [1] . واعتذر مني لعدم اشتراك زوجتهِ معنا في الاكل لان ذلك مخالف

(١) علمت بعد البحث الدقيق من بعض الاسر الدمياطية ان قنصل فرنسا الذي ذكرهُ هذا السائح هو ميخائيل بن جرجس سرور . واسرة سرور كانت في دمياط ذات وجاهة نشأت في دمشق الشام وهاجرت الى دمياط قبل عهد محمد علي باشا واكثر اعضائها كانوا قناصل لعدة دول . وقد عثرت على نشرة من ادارة التاريخ العام في الشرق طبعت في جنيف سنة ١٨٧١ جاء فيها تحت عنوان القناصل في الشرق ما يأتي « الكافاليير ميشل سرور . قنصل الولايات المتحدة الاميركية الشمالية في دمياط وعنده وسام من ملكة اسبانيا ايزابلا الكاثوليكية ولد سنة ١٧٩٧ وهو ابن حنا سرور المثري الوجيه فيس قنصل انكلترا واسبانيا بدمياط وبعد وفاة ابيهِ سنة ١٨١٤ شغل الوظائف والرتب التي كانت لهُ وهو في السادسة عشرة من عمره وكان متضلعاً من لغات كثيرة . وفي عام ١٨٢٦ اسندت اليهِ وظيفة فيس قنصل بروسيا ومنح الوسام الملوكي من الملكة ايزابلا الكاثوليكية . وفي سنة ١٨٦١ عين قنصلاً للولايات المتحدة الشمالية بامر ملك بروسيا وهو ذو وجاهة كبيرة وبيتهُ مفتوح للضيوف والغرباء بكرم شرقي ومقرب من سمو محمد علي باشا وصديق حميم لسمو نجلهِ ابرهيم باشا الذي يثق بهِ كثيرًا وبكلفهُ قضاء اشغالهِ كلها »

العوائد الشرقية ولكنهُ سيدعوها لتقابلني و يعرفني بها . ثم لم يمضِ الاَّ القليل حتى دخلت سيدة جميلة الطلعة في الثلاثين من عمرها رشيقة القوام كانت تخطو على مهل بخيلاء ودلال . فجلست على مقعد عالٍ ذي وسائد من القطيفة (فوتيل) بعد ان حنت رأسها امامي مرحبة بي فوقفت احتراماً لها وكان شعرها الجميل معقوداً على رأسها وعلى كتفها شال اصفر من الكشمير الحريري الغالي الثمن مشبوك بحلية كبيرة ذهبية مرصعة بالماس وعلى شعرها وزنديها حلّى مرصعة بالحجارة الكريمة تسطع بهاء وكانت مكحلة العينين مزججة الحواجب على الطرز الشرقي فكانت على هذا الشكل وهي جالسة على المقعد الحريري المرتفع كانها ملكة او عذراء رافائيل . وفي اثناء الطعام وجه القنصل نظر زوجتهِ الى الجارية فكلمتها وسألتها بعض اسئلة لم افهم معناها . ثم امرت الخادم ان يأتيها بالطعام فاحضر لها سفرة صغيرة مستديرة ووضعها امامها فاكلت

و بعد الغداء خرجت لاتفرج على المدينة وتكرم القونشلير برافقتي فلم اجد فيها مايستحق الذكر سوى الابنية المرصوصة حول رصيف المنيا وهي على شكل قوس (امفيتياتر) بعضها فوق بعض وكان القواس يسير امامنا و يبعد عنا الناس بعصاهُ الفضية . ورأينا قبة ولي مشهور لها حرمة عند الاهالي وخصوصاً عند البحارة المسلمين . وزرنا كنيسة شرقية قديمة مبنية على الطرز البيزنطي من عهد الصليبيين . وعند باب المدينة تل او اكمة مسوَّرة بباب مقفل على الدوام ور بما كانت جزءًا من السور القديم و يقال انها مدفن عظام جنود القديس لويس الذين قتلوا تحت اسوار دمياط

وفي تلك الليلة رجعت الى الذهبية ونمت فيها وفي الصباح حضر اليَّ القواس وقال لي ان مركباً يونانيًا يدعى « آجيا برباره » سيقلع في مساء اليوم التالي من آخر بوغاز دمياط (رأس البر) وهو مسافر الى سوريا وان استعد للسفر فيهِ . وان مركباً للقنصل مشحوناً ارزاً سينقلني مع جاريتي وامتعتي في البوغاز الى هذا المركب اليوناني الراسي في عرض البحر . فسررت جداً من هذا النبإ غير المنتظر

ديمتري نقولا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة الفرنسوية والحرب

رأينا في السينتفك اميركان فصلاً شائقاً بهذا العنوان من قلم احد مشاهير الكتاب قال فيهِ ما فحواهُ :

ان تلبية النساء الاوربيات لداعي الحرب باتت امراً شائعاً عامًّا حتى الفتهُ البلاد المحايدة ولم تعد تحفل بهِ كثيراً . وقد تحررت بهِ المرأة من تقاليد القرون الماضية التي كانت تقضي عليها بالوقوف مكتوفة اليدين ترى الحوادث تجري امامها ولا تمدّ اليها يداً

فقد جاءت الانباء من باريس بوجهٍ خاصّ ان الامهات والاخوات والحليلات والخليلات اقبلن زرافات الى المعامل واماكن الاعمال الوضيعة وحللن محلّ الرجال فيها ليتفرغ هؤُلاء لحمل السلاح والدفاع عن الوطن تحت راية الجمهورية

وبعد ان اشار الكاتب الى عشر صور نشرت مع مقالتهِ وهي تمثل النساء في اعمالهنّ المختلفة قال ان النساء في معامل الميرة والذخيرة يعملن كل شيء من قوالب القنابل الى الكبسول والذخير . وقد دلّت التجارب ان ايديهنّ التي سودها البارود وخَبَث المعادن تستطيع معالجة المخل وادارة الادوات المختلفة كما تستطيع معالجة الاعمال الدقيقة التي تقتضي رشاقة ولباقة واتئاداً . وعجيب ان هذه النساء التي تعمل في المعامل لا تبدي ابتسامة دلالة على الاهتمام بالعمل والجدّ فيهِ والعلم بان لا وقت هناك للمزاح

ومن الاعمال الوضيعة التي تشتغل نساء باريس بها نظارة الكروم وقرع الطبول اعلاناً للاوقات فيها . ومنها توليهنّ نظارة محطات سكك الحديد في الاقاليم والاعمال التلغرافية فيها . وفي سكك حديد باريس الممدودة في انفاق تحت الارض ترى النساء واقفات عند المداخل والمخارج يراقبن تذاكر السفر بكفاءة لا تقلّ عن كفاءة احسن الرجال . وفي معظم المدن الفرنسوية وضعت حركات الترام والاومنيبوس وسائر المركبات العمومية في ايدي النساء فقمن بهذا العمل الشاق خير قيام لان كثيرات منهنّ جيء بهنّ من الحقول والمزارع حيث تعودنَ المشقة منذ الصغر

وتوسّع في العادة الفرنسوية القديمة وهي ان تقوم النساء باعمال الرجال في الحقول عند الاقتضاء حتى اصبح معظم الايدي العاملة فيها منهنّ دون الرجال . فترى المحراث يغرز في التربة تحت ايديهنّ اللطيفة الى حدّ ما كان يغرز تحت ايدي الرجال الجاسئة الخشنة . وليست قعقعة المنجل في ايديهنّ ولا خشخشة الحَصَد باخفّ وقعاً في الآذان منهما في ايدي الرجال وتراهنّ يجمعن الاثمار ويحزمنها حزماً و ينقلنها الى المركبات و يعملن سائر ما شابه هذه الاعمال من متعلقات الحقول

وقد حللن محلّ الرجال كلهم تقريباً في الاشغال الكتابية المتعددة في اماكن التجارة وفي كثير من الدوائر البلدية . فهنّ يغسلن الشوارع و يخبزن الخبز و يسُسْنَ الخيل و يحفرن في المناجم و يعنين بالمرضى والجرحى : وليس ثمة عمل يعملهُ الرجال الأ و يعملنهُ بمثل كفاءتهم ما خلا اعمال الحرب

فهذا المثل العالي منهنّ يدلُّ على عزم فرنسا عزماً اكيداً ان لا تتنكّب القتال او تنتهي الحرب على شكل يجعل تجددها في الاستقبال امراً بعيد الاحتمال . فقد ذاعت في فرنسا منذ سنة حكاية لانخالها الأ صحيحة . ومآلها انهُ لما قررت انكلترا الانضمام الى الحلفاء عرضت المانيا على فرنسا ردّ ولايتي الزاس ولورين بشرط ان تتعهد لالمانيا بعدم دخول الحرب وتعطي ضماناً بذلك . وفي هذا العرض ما فيهِ من تشويق فرنسا واغوائها ولاسيما ان تينك الولايتين اقتطعتا في حرب السبعين من لحمها الحيّ فجرحهما لم يندمل بل لا يزال نغّاراً وان التأم فلينغر ثانية

وان الجرح ينغر بعد حين اذا كان البناء على فسادِ

قالوا : و بدت علامات التردد عن الحرب على اولي الامر عملاً بما في تلبية طلب المانيا من حقن الدماء واقتصاد الاموال ولكنهم عرضوا الامر على الامة الفرنسوية رسمياً لانهُ من حقها وخصوصاً النساء منها ان تبدي صوتها في المسئلة . فكان الجواب ما يأتي :

« اننا نرفض ما عرضت المانيا . نعم اننا نريد ولايتي الزاس ولورين ولكننا لا نحارب من اجلهما فقط بل نحارب من اجل اولادنا واولاد اولادنا لتبطل الحرب الى الابد . فاذا كان لا بدّ لنامن فقد ابنائنا وازواجنا وآبائنا واخوتنا واصحابنا فليكن ذلك ولكن لا مناص لنا من الحرب الى النهاية مهما كلفنا ذلك ولو آل الامر الى فنائنا القومي »

فهذه الحكاية قد تكون صحيحة وقد لا تكون ولكن وجود هذه الروح ظاهر كلّ الظهور فلا بدع اذا رأينا النساء ينضوين الى راية الوطن على مثل ما وصفنا من الغيرة والغيرية والتضحية

وقد صدَّر محرر السينتفك اميركان هذا المقال بتعليق قال فيهِ : ان لحكاية اشتراك نساء فرنسا وسائر الامم المتحاربة في هذه الحرب وحلولهنَّ محلَّ الرجال في كثير من فروع الاعمال التي استأثر بها الرجل دون المرأة وجهاً غير الوجه الذي يمس القلب والعواطف وهو وجه تعديل مسئلة العمل بعد الحرب بعد الذي ظهر من كفاءة النساء في كثير من فروع الاعمال التي استأثر بها الرجل دون المرأة · وهذه المسئلة من الشان بمكان عظيم ولاسيما بعد ما شاع وذاع ان النساء سيبقين بعد انقضاء الحرب في بعض فروع الاعمال التي يتولينها الآن

ابادة البعوض

معلوم من تجارب روس وغيرهِ من المشاهير ان البترول او زيت الكاز خير الطرق لابادة البعوض (الناموس) · ويراعى في هذه الطريقة امران سرعة انتشار الزيت على وجه البركة التي يراد ابادة عوَم البعوض منها وعدم تبخرهِ بسرعة · وقد وجد بالتجربة ان اوقية من الكيروزين (البترول الخام) كافية لتغطية ١٥ قدماً مربعة من سطح الماء · واذا كانت البركة غير معرضة للرياح بقي الزيت يغطي وجهها عشرة ايام · ومزية الكيروزين على الزيت الصرف في بطء تبخرهِ

ويلزم الانتباه الى كل بقعة من الماء الراكد توجد حول المنازل ولاسيما اذا لم تكن في مهبّ الريح فانها مباءة للبعوض يبيض فيها ويتوالد بسرعة مدهشة · اما البقع المعرضة للريح فلا يستطيع البعوض ان يبيض فيها

وقد اكتشفت الحكومة الاميركية وهي تحارب البعوض في ترعة بناما مزيجاً فعالاً لابادتهِ فاستعملت منهُ مقادير عظيمة · وهو مركب من الحامض الكربوليك والراتينج والصودا الكاوية · وغنيٌّ عن البيان انهُ حيثما يمكن ردم البرك والبحيرات والمستنقعات التي تركد المياه فيها فلا حاجة الى استعمال البترول او غيرهِ

السمن والنحافة

بينما نرى البعض لا همَّ لهم الأ معالجة سمنهم قصد ازالتهِ نرى البعض الآخر وهمُّهم الاعظم معالجة نحافتهم للحصول على السمَن الذي يفر منهُ غيرهم · وقد يلجأ الفريقان عن سلامة طوية الى الاعلانات الكثيرة التي تنشر لمعالجة هذا وذاك فلا ينتفعون شيئاً غير

انفاق المال اذ لا مشاحة في ان السمن والنحافة يتبعان الامزجة فاصحاب الامزجة العصبية لا يسمنون ولو حقنوا ابدانهم بالدهن واصحاب الامزجة الدموية البلغمية يرون على الغالب سماناً . كذلك من الاجسام ما يكتسب السمن بعد بلوغ حدّ محدود من العمر . وكثيراً ما يسمن الناس في الشرق عند مجاوزة الثلاثين . ثم ان للمعدة دخلاً كبيراً في المسئلة فان كلّ ما يخلّ بالجهاز الهضمي يمنع التغذية التامة وبالتالي تجمُّع الدهن في الجسم . وعليهِ فاصحاب الامراض المعدية قلما يسمنون واذا سمنوا فان سمنهم ورمٌ

على اننا مع هذا كلهِ لا ننسى ان الاقلال من اكل المواد الدهنية والنشوية وتناول الحوامض وكثرة الرياضة وقلة النوم تزيل السمن او تخففهُ كما اننا لا ننسى ان الالتجاء اليها قد يكون سبب ضرر للجسم . فيجب مشاورة الطبيب في ذلك مع العلم بان كثرة شرب المسكر وكثرة الاكل وتعدد اوقات الطعام وغيرها من عادات الهيئة الاجتماعية الحالية تفضي الى السمن وتخريب الصحة في وقت معاً

فضل كستبان المرأة

للكستبان الذي يسمى في الشام كشتباناً وقمعاً فضل في باب الاكتشاف والاختراع . فان مردوك مكتشف الانارة بالغاز كان يشعل الغاز ذات يوم من انبوبة فاراد اطفاءهُ فتناول قمع امرأتهِ مسرعاً ووضعهُ على فوهة الانبوبة فانطفأ الضوء ولكن الغرفة امتلأت من رائحة الغاز فادنى لهباً من القمع فاشتعل الغاز لان القمع كان كثير الثقوب . ولكن ظهر لمردوك ان النور المنبثق من الثقوب ألمع من نور الغاز المشتعل على طرف الانبوبة . وبناء على هذا الاكتشاف عمل المصباح المعروف باسم «كوكسبر» وعلى مثالهِ تصنع المصابيح الغازية المتداولة

العصفور الدُّوري

لما حرّم في هذا القطر صيد العصفور السمين المعروف باسم «بكافيجا» جعل الصيادون يكثرون من صيد العصفور الدوري ويبيعونهُ فيلقون اقبالاً كثيراً او قليلاً تبعاً لاختلاف الذوق والعادة . والدوري كثير الهبر (اللحم الاحمر) قليل الدهن وطعم هبرهِ كطعم [illegible] سونطيور طعماً وربما فاق البكافيجا في ان لحم هذا اطيب ما يكون مشوياً ولكنهُ اذا شوي ذاب دهنهُ وهو الاكثر فلا يبقى منهُ الاَّ العظم والهبر وهو الاقل.

وفي اوربا واميركا نوع من الدوري يسمى في اميركا الدوري الانكليزي وفي انكلترا دوري البيوت لملازمتهِ اياها كما يسمى عندنا بالدوري لمثل ذلك · وقد سنت وزارة الزراعة الاميركية قانونًا اشارت فيهِ بابادة الدوري الانكليزي بدعوى انهُ « صخَّاب قذر كثير الشقاق والخراب » · وقالت احدى الصحف الاميركية فيهِ « ان عصافير الغناء لن تعود الى حدائقنا حتى يبرحها الدوري » وعليهِ قاموا يجدُّون في صيدهِ ويخترعون الشراك لاقتناصهِ · وقالت الجريدة المشار اليها في حض القوم على صيدهِ : وليس ثمة ما يمنع اتخاذنا العصفور الدوري طعامًا لنا كما يصنع اهل اوربا منذ عدة قرون · فان لحمهُ لذيذ المذاق وكثرة عددهِ تعوضنا من صغر جسمهِ · ومنذ مدة صنع احد ولاتنا وليمة لبعض اصحابهِ وكان افخر الالوان التي قدمت اليهم فطير صنع من الدوري فاكلوا مريئًا وهم يظنون انهم يأكلون لحم زغاليل « البوبولنك » (من افخر الطيور الاميركية) ولم يبح لهم بسرّ هذهِ الجفنة الانيقة الاَّ بعد انتهاء المأدبة »

غليسرين الخيار

قد يكون الخيار على شدة ولع الشرقيين بهِ كبير الضرر فانهُ عسر الهضم غالبًا جالب للحميات ناقل للعدوى ومع ذلك ترانا نترقَّب ظهورهُ كلَّ عام بذاهب الصبر · ولو حُسب بقلة كما هو في الحقيقة لوجب طبخهُ كسائر البقول قبل اكلهِ ولكننا نحسبهُ فاكهة فنأكلهُ بلا طبخ كما نأكل العنب والتفاح · اما الغربيون فقلما يتناولون شيئًا من البقول نيئًا واذا ارادوا عمل سلاطة منها غسلوها بالماء الغالي لقتل المكروبات التي قد تكون عالقة بها · وقد ذهب الغلوّ ببعضهم ان لا يأكل الفاكهة الاَّ مطبوخة

على ان للخيار حسنة لا تنكر وهي انهم يستخلصون منهُ مرهمًا يسمونهُ مرهم الخيار ومنهُ يصنعون دهانًا عطريًّا يسمونهُ غليسرين الخيار وهو مركب من احد اصناف الصابون النقي ومرهم الخيار وماء الورد والغليسرين العادي على نسبة ½ اوقية من الاول واوقية من الثاني و ٣٠ اوقية من الثالث واوقيتين من الرابع

ذبح الدجاج بلا ألم

اذا شئت تخفيف ألم الدجاجة عند ذبحها فاربطها برجليها وعلقها بمسمار ثم [illegible] اليسرى رأسها حيث يتصل بعنقها فتنفتح فاها فمدَّ سكينا حادة الى داخل فمها الفريقان [illegible] الوريدي بوخزة فينزف دمها بلا ألم



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ، ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

عظة الدهر لابناء العصر

لا تظلم الدهر مهما جار او عدلا ... ففي مدار القضا يجري القضا سبُلا
والحي في ملتقى الاهوال تقذفهُ ... يد الزمان فلا يلقى لهُ حوَلا
من لم يطأطئ لدى الاهوال هامتهُ ... يظلْ في ملتقى الاهوال معتقلا
وللمقادير في مجرى الامور قوًى ... تقوى على ان تدكّ السهل والجبلا
في كفها تحمل الافلاك سائرةً ... فلا تضل السرى مهما سرت عجلا
ان الليالي اذا جنّت تراجع ما ... مضى نهاراً وتروي الحادث الجللا
تؤرّق الطفل في مهد الرضاع فان ... بكى شكا او جرى يستعجل الاجلا
يمسي الوليد وشعر الراس منظرهُ ... يبدو لناظرهِ كالليل مكتحلا
(ما بين غمضة عين وانتباهتها) ... يظل بالشيب شعر الراس مشتعلا
والناس ما بين غرّ مسّهُ خبَل ... وبين حرّ يرى التمويه مبتذلا
يغالب الدهر بالحسنى فيغلبهُ ... لدى النزال جباناً كان او بطلا
والحر يرجو اذا ما عاش يذكرهُ ... حيٌّ وان مات يبقى الذكر منتقلا
والخلق ما بين مفتون ومعتدل ... يرضى العدالة فيما قال او فعلا
لله ما شاء في تدبيرهِ حكم ... لا يدرك العقل من اسبابها عللا
فللسعود فريق لا يضل ولو ... شاء الضلال لضل القصد واعتدلا
وللنحوس فريق لو يساق الى ... حسن السبيل لما القى لهُ سبلا
وما السعادة ان تسدي الامور الى ... من ليس يحسنها قولاً ولا عملا

وانما قسمة الارزاق يدركها ... موفّق جدّ في الاسباب واتكلا
والدهر كالصلّ ان قاومت ثورتهُ ... أبدى نيوب الاذى وانقض مقتتلا
دعهُ اذا ما قسا اولان غير شجٍ ... ليقضي الله امراً شاءهُ ازلا
والدهر عاجلهُ ماضٍ وآجلهُ ... كالظل اطول ما يبدو اذا افلا
فاصبر على ما تلاقي منهُ ان لهُ ... حالاً تمرُّ وحالاً تشبه العسلا
وسالم الدهر والايام متقياً ... من الاذى ما يسيء الحال والاملا
وأرض الضمير وما يوحي اليك بهِ ... ان كان قلبك بالاحسان مشتغلا
فمن عيوب الورى ان يستبدّ فتى ... بالامر لا ناقة يرجو ولا جملا
يكفي الاجير من الدنيا نزاهتهُ ... وهي الشفيع لدى من يفهم الرجلا
فللقلوب وان دقاتها خفيت ... عن العيون فعال تهدم الجبلا
وللتكهرب سر من تواصلهِ ... مع الوجود يدوم الجذب متصلا
وللكواكب من حسن الادارة ما ... يكون للمرء في اعمالهِ مثلا
كأنما الناس في ملهى الحياة لما ... دور فتُشهدهُ الاجيال والدولا
فليحسن المرء في التمثيل آيتهُ ... كي يُشهد العلم من لم يَشهد العملا
ولا يشد يداً ان طوقت عنقاً ... فاللين اولى بمن يقسو اذا عقلا
ومن يولّ رقاب الناس راق لهُ ... ذكر يطيب اذا ما ظلّهُ رحلا
ومن يراقب صروف الدهر شاهدها ... لا يقبل العد تفصيلاً ولا جملا
وشيمة الوغد كالحبلى يحار لدى ... محمولها الرأي حتى تنتهي حبلا
تخال ظاهرهُ الحسنى وباطنهُ ... كمرجل اججت احشاؤهُ فغلا
ينأى عبوساً ويدنو باسماً ويرى ... طي ابتساماتهِ ما لو بدا قتلا
يحتال بالناس للايقاع في شركٍ ... من الشباك كمن يستدرج الحجلا
كم غادرٍ يقسم الايمان مدعياً ... صدق الاخاء ويحوي قلبهُ دغلا
يرضى عن العيب ان حابى ويغضب ان ... جافى كأن اساس العدل ما اعتدلا
ويزدري الفضل جهلاً منهُ اوحسداً ... ما لم يكن راضياً عمن لهُ فعلا
وقلّ عند ذوي الغايات ينصف من ... يرضي الضمير ولو يستشهد الرسلا
فاستكثر الخير للاخرى ولو كره الحسودُ واشتد يرجو دونهُ بدلا

والخير ان كان تفضيل فاحسنهُ ما يدفع الجوع او ما يدفع العللا
ومن رأى وجهة الاحسان قاصرةً على سبيل تعدى الحد وانتقلا
وللحياة تقاليد وفي يدها من معجزات الاماني ما حلا وغلا
تبدو فيعدو لها العاني يمدُّ يداً وحظهُ بالندى حظ السراب جلا
يبني القصور مناماً في الهوا فاذا ما أمّها لا يرى قصراً ولا طللا
ومن رزايا الورى يشقى الحياة اب باسم البنين ولا يشكو الشقا خجلا
يواصل الليل سعياً بالنهار وما زار الكرى منهُ جفناً او هوى مقلا
يقضي الليالي على ضيم وفي ضجر والابن يلهو وعن اشغاله غفلا
ومن تجافى رضا الاباء ضلَّ هدى واستغضب الله والاوطان والمللا
والله يرضى عن الابناء ما رضيت آباؤهم عن سلوك طاب واعتدلا
وما مجاهدة الآباء مجدية نفعاً اذا الابن من حسن الخلال خلا
كم والدٍ سرّهُ ان يلقى الوليد نما جسماً وظن نمو العقل محتملا
فراعهُ اليأس واستلقى يعضُّ يداً ويصفق الكف حزناً صدّع الجبلا
يمَّ الخمار لمن لا مال في يده يقيه مدّ يدٍ قد تنثني شللا
ومن تحت يدهُ عن وجهه عرقا ينصبُّ من دمه كالدر منهملا
لا يبسط الكف تبذيراً ليخدعهُ بالمدح مستغفل ان آب او قفلا
وليس يحلو التحلي بالثياب اذا لم يتخذ دونها ثوب الحيا حللا
وما الرقي تعاليم نكررها لفظاً ونفخر من تسطيرها جملا
وانما ادب في النفس شب على حب الفضائل فاسترعى التقى عملا
وما تغني الفتى بالنفس يطربهُ مثل استماع صدى اعماله نقلا
والفخر بالنسب الموروث منقصة ما لم يكن عمل الانسان متصلا
ومن تلاعب بالايام في صغر لمت به كبراً واستدبرت مللا
ومن رأى ولداً ينأى بجانبه عن نصح والده فليهده السبلا
يلين قلباً ويحلو منطقاً ويفي عهداً ويرعى الوفا طفلاً ومكتهلا
يرعى الوليد صغيراً كي يكون غداً للوالدين يداً تسقيهما العسلا
فمن دم الابوين التفَّ ساعدهُ واشتد ساقاً وربى العظم والعضلا

وما الجهاد لتقويم النفوس بغي عند امرئ يألف الاهمال والكسلا
وللنجابة في وجه النجيب حلى تنمُّ عن خلق في خلقهِ كملا
والعقل كالشمس يلقي من اشعتهِ على الوجوه شعار النبل مختزلا
كأنما حدق الابصار آلةُ مر صدٍ ترينا الذكا ان قل او فضلا
والطفل كالزرع قد ينمو ولا ثمر يرجى لمن شاء يجني منهُ ما حملا
فلا يغرنّك ان تلقاهُ في صغر عليهِ من لمحات الاذكياء طلا
ما احسن الابن يحلو ان نأى خبراً وان دنا طاول الجوزاء والحملا
يرضى الجبان اذا خارت عزائمهُ يوم الرهان يضحي النفس مختبلا
فلا ينال من الدنيا سعادتها ولا يرى نعمة الاخرى اذا وصلا
شتانَ بين دم يجري النشاط بهِ حيًّا وبين دم عن جريهِ بطلا
كأن للدم من جري النشاط يداً تثير في الجسم ما من حسهِ خدلا
ان الغيور اذا ناديتهُ ذنباً ابى وان يُدْعَ رأساً قام وارتجلا
ولا ينال المعالي من ينام على لين الفراش ويلقى عيشهُ ذللا
فالبس رداء على قدر الدثار بهِ واجعل زكاة الردا من جسمك البللا
واعمل وانت صغير ما تضيق بهِ ذرعاً اذا جف منك العود او ذبلا
وانبذ مطاوعة الداعي الى لعب فللاهي يشد الرحلَ من عطلا
وكن حليف حنان للدروس فما عهد الدراسة باقٍ لو بَقَى اجلا
واقبل بقلبك وعياً واستمع اذناً وارع المعلم مهما اشتد او سهلا
فالمنهل العذب مهما عز موردهُ لا ينثني عنهُ عزم المرتجي املا
سارع اليهِ غلاماً كنت او هرماً واُهد الزمان من الاعمال ما جملا
وجمّل العلم بالآداب فهي لهُ كالملح إن يَخلُ منهُ الزاد ما أُكلا
وما ازدياد الفتى علماً يفيد اذا لم يكتسب ادباً يمحو بهِ الزللا
وحلية العلم تهذيب النفوس فان طاش امرؤ وادعاهُ عدَّ منتحلا
والعلم ان قل عند الغرّ يكسبهُ من الغرور ادعاءً يخدع الجهلا
يأبى النصيحة كبراً وهو يجهلها ومن تمادى على فعل الخطا ثقلا
يخطو خطا الزهو والاعجاب من صلف ويرقص الكتف ان نودي وان سئلا
ورب عاتٍ يرى في موقف الشهوات خاشع الطرف من زلاتهِ وجلا

يسائل العفو ممن كان يمقتهُ . بالامس كالمتناسي سوء ما فعلا
والدهر من شأنهِ يقتصُّ واحدة . منا بواحدة حالاً ومقتبلا
ومن رأى مصعداً بعد الصعود هوى . فانهُ الرمز يتلو مَنْ علا نزلا
فليقلل الغرُّ من غلوائهِ حذرا . من كبوة يتوارى خلفها خجلا
وليس يجدي وقد زلت بهِ قدم . يشكو القضا ندماً او يرتجي حيلا
وطيُّ مختبأ الايام معضلة . حب الحياة وان ضاقت بنا سبلا
إلام يشكو الورى والجيل يتبعهُ . جيل على العهد والترتيب قد جبلا
وباطلاً زعموا ان الحياة لهـا . صفو يدوم ويحلو كلما صقلا
وليس في الناس من يدري بدايتها . ولا نهايتها مهما ادعى الجدلا
وانمـا آيةٌ والله مودعها . في الارض ما دام سرُّ الشمس متصلا
ربِّ اهدني للصراط المستقيم ولا . تجعل سوى العلم للابناء متكلا

الدكتور
السيد بك رفعت

شكر وايضاح

سيدي محرر المقتطف الزاهر

اشكر لكم اهتمامكم بانتقاد عبارات جاءت في ترجمتي لكتاب « فتوح البلدان » للبلاذري فضلاً عن الاشارة اليهِ وتقريظهِ في « مقتطف » آب (اغسطس) . بيد انهُ لا بدَّ لي من الملاحظات الآتية

انهُ وان تبادر الى الذهن لاول وهلة ان المقصود من قول البلاذري في الصفحة الاولى « رددتُ من بعضهِ [الحديث] على بعض المقابلة والنقد — وهو ما فهمتموهُ من التعبير — الاَّ انهُ لدى مراجعة كتب اللغة تجدون ان المراد انما هو ما ذهبت اليهِ في الترجمة من معنى اللمّ والتركيب . واليكم ما جاء في « الفائق » للزمخشري جزء اول صفحة ٢٣٦ : « وردَّ اولاها [الرعيّة] على أُخراها . . . . اي اذا استقدمت اوائلها وتباعدت عن الاواخر لم يدعها لتفرَّق ولكن يزع المستقدمة حتى تصل اليها المستأخرة فتكون مجتمعة متلاصقة » . وفي « النهاية » لابن الاثير جزء ثان صفحة ٧٥ : « تردَّد بعض خلقهِ على بعض وتداخلت

اجزاوُهُ » وصفحة ٧٦ : « وردَّ اولاها على أُخراها اي اذا تقدَّمت اوائلها وتباعدت عن الاواخر لم يدعها تتفرَّق ولكن يحبس المتقدمة حتى تصل اليها المتأخرة » . والمعنى هذا هو الذي فهمهُ ده غويه على ما ذكر باللاتينية في آخر « فتوح البلدان » صفحة ٤٣

اما لفظة طوامير المرادفة لقراطيس فانهُ وان كان المعنى الشائع صحف البردي المستعملة للكتابة كما ذكرتم وكما نوَّهتُ في الحاشية الاولى على الصفحة ٣٨٣ من ترجمتي الأ انهُ يلوح لي ان البلاذري استعملها بمعنى « البُرْد » اي الاقمشة ولذلك ترجمتها ب Fabrics واذا راجعتم « القاموس » « وتاج العروس » تبين لكم انها أُستعمل لذلك المعنى . وهو المعنى الذي فهمهُ زيدان في كتابهِ « تاريخ التمدُّن الاسلامي جزء اول صفحة ١٠٣ حيث قال : « والقراطيس بُرد مصرية كانوا يحملون بها الانية والثياب » واشار اليهِ Lane في قاموسهِ المعروف تحت قرطاس حيث قال : "A kind of the fabric of Egypt." وربما كانت اللفظة (طومار) يونانية كما ذكرتم او ايثيوبية كما ذكر فرنكل (Frankel) في كتابهِ "Aramäischen Fremdwörter" صفحة ٢٥١

ولا يُفهم من ردّي هذا اني اعتقد في ترجمتي الكمال فاني اشعر اني برغم كوني بذلت المجهود في البحث والتنقيب فالترجمة لم تأتِ خلواً من الضعف في بعض التعابير وما ذلك الأ لصعوبة المسلك وتعقيد لغة الكتاب وبُعد عهد موَلّفهِ . واقبل في الختام فائق احترامي

جامعة كولمبيا — نيويورك فيليب حتي

[المقتطف] لو قال البلاذري "رددت بعضهُ على بعض" بغير حرف "من" كما قال الزمخشري « ردَّ اولاها على اخراها » لما خامرنا ريب في صحة ما فهمتموهُ ولكن يبعد عن الظن انهُ ادخل هذا الحرف عبثاً . ثم انهُ ينتظر ممَّن عُني بجمع الاخبار المختلفة واختصارها مع ما فيها من الاختلاف والتناقض ان يعنى ايضاً بمعارضة بعضها ببعض لتمحيصها وابقاء الراجح وترك المرجوح عند اختصارها . ونفضل ان يكون هذا مراد البلاذري على ان يكون مرادهُ مجرَّد « اللم والتركيب » لان المعنى الاول احرى بمن كان مثلهُ ولو كان المراد لا يدفع الايراد . ومع ذلك فقد يكون ما فهمتموهُ هو الصواب

باب الزراعة

استغلال الارض

(١٠)

يعتمد جمهور اصحاب المزارع المتوسطة و بعض اصحاب المزارع الواسعة في فلاحة غيطانهم على عمال من اصاغر الفلاحين يأخذون بدل عملهم جزءا من محصول الغيط الذي يفلحونهُ بايديهم. وفلاحة الارض بهذه الطريقة (١) تخفف عن اصحاب الاطيان مؤُنة دفع اجرة العمل نقدية اذ يتعسر على جمهورهم ذلك في اكثر الاوقات (٢) وفي بعض الاحوال تدعو العمال المزارعين الى الاجتهاد التام في فلاحة الارض التي سيأخذون جزءاً من غلتها. ولم اقل في اغلب الاحوال لاني رأيت في بعض من المزارع ان مزارعيها ليست عندهم هذه العاطفة اما لضعف هممهم و بصيرتهم او لسوء معاملة المالك لهم او للأمرين معاً. فان المزارعين في الغالب لا يأخذون نصيبهم كلهُ في وقت تجهيز المحصول مرة واحدة حتى تقل الفرصة لسوء الحساب بينهم و بين المالك بل انهم لفقرهم يأخذون ما يلزم لمعيشتهم قبل حلول وقت المحصول. وكثيراً ما يكون ذلك بصفة مرتب شهري اكثرهُ من الحبوب واقلهُ من النقود. فالعامل البليد يقنع بما يأخذهُ ولو كان دوناً لا يكاد يسد رمقهُ والمالك الطامع يحسب عليهم ما يأخذونهُ باغلى الاثمان. وقلما ينصفهم بعد ذلك و يبني حسابهُ على انهُ اذا جاء المحصول رديئاً فلا يمكنهُ ان يسترد منهم ما كانوا اخذوهُ زيادة عن استحقاقهم. فكذلك اذا جاء المحصول حسناً لا يعطيهم اكثر مما اخذوهُ و بين هاتين الحالتين وامثالهما تضيع مزية العمل بهذه الطريقة ولم أرها على اتمها الا عند بعض اصحاب المزارع المتوسطة الذين يباشرون اعمالهم بانفسهم فيأبون على مزارعيهم التواني والتكاسل وعلى ذممهم الاجحاف في محاسبتهم

اما الجزء الذي يأخذهُ المزارعون بدل عملهم فيختلف باختلاف جودة الارض ونوع المحصول فيكون الخمس او الربع في الارض الاجود والزرع الاوفر غلة او الثلث الى النصف

في الارض الاقل جودة والزرع الادنى غلة وكذلك يختلف ايضاً باختلاف بعض الظروف الاخرى كما ترى تفصيلهُ في الامثلة التالية

(مثال اول) تكون خدمة اليد جميعها من حرث وزرع وري وتسميد وعزق وضم ودراس الخ على المزارع ولهُ الخمس في القطن والقمح والربع في الذرة وليس لهُ في البرسيم شيء بل هو للمواشي التي تعمل في الغيط اما المواشي العاملة في الحرث والدراس والسواقي واجرة آلة الري الخ فتكون على صاحب الاطيان واذا لزم استكراء انفار في بعض مواسم العمل كالعزيق والجني لتشهيلها فتكون الاجرة على حساب المزارع · ولهُ ان يأخذ طلباتهِ في وسط السنة من صاحب الاطيان حبوباً بالاثمان المناسبة ونقدية بدون فايظ · وربما يشترط على المزارع رعي الماشية وتنظيف زرائبها · والمزارع الذي يشتغل بهذه الصفة يسمى في العرف بالمرابع وجمعهُ (مرابعين)

(مثال ثان) المزارع عليهِ جميع الخدمة سواء كانت يدوية او بالمواشي وجميع المصاريف الاخرى من اجرة ري وثمن تقاوي الخ ولهُ خمسان وللمالك ٣ اخماس نظير الارض وليس عليهِ شيء ولكن احياناً يكون مثال المحصول ونصف اجرة الحفر عليهِ · واذا اشترك المالك مع المزارع في الخدمة مناصفة يكون للمزارع خمس واحد فقط

(مثال ثالث) في زراعة الذرة خاصة بالجهات الجنوبية العالية على المزارع جميع الخدمة اليدوية من بدء التخفير الى التخزين بما في ذلك تطهير المراوي وتخزين نصيب صاحب الارض · واحياناً يكون على المزارع خدمة مواشي المالك مدة زراعة الذرة وخدمتهُ ايضاً مدة فراغهِ من الاعمال · اما في الجهات البحرية الواطية فيكون للمزارع الثلث ولاسيما اذا كان عليهِ التقاوي فاذا كان عليهِ استحضار السماد يكون لهُ النصف

(مثال رابع) في زراعة الارز خاصة على المزارع جميع الخدمة والمصاريف من اول الزراعة لآخرها بما فيهِ التقاوي والدراس ما عدا التلاويط ولهُ في نظير ذلك الخمسان

(مثال خامس) في زراعة الشعير بالجهات البحرية الواطية على المزارع جميع الخدمة والمصاريف بما فيهِ التقاوي ولهُ الثلث اذا كانت الارض المزروعة باقا والاَّ فلهُ الخمسان غالباً او النصف احياناً اذا كانت الارض رديئة

(مثال سادس) في زراعة القطن خاصة بالجهات البحرية على المزارع جميع

الخدمة والمصاريف الخ وله الثلث الأ اذا كانت الارض رديئة فيكون له الخمسان واحياناً النصف

(مثال سابع) الشركة المحمولة (او فدادن يخدم فداناً) استأجر زيد اطياناً بايجار معتدل فالزارع لها عليه عمل اليد جميعهُ والنصف في التقاوي وفي شغل المواشي واجرة الري وعليه نصف الايجار وله نصف المحصول نظير ذلك واذا كان معتاداً دفع جانب من الايجار في الصيف حيث النقود لدى الفلاحين شحيحة فلا يلزم الزارع بدفع شيء

(مثال ثامن) زيد له غيط ملك فمزارعوهُ قد يشاركونهُ فيهِ بالكيفية الآتية

يحسب عليهم نصف ايجار الارض بمراعاة ان تكون قيمة الايجار اقل من قيمة المثل بنحو الربع او الثلث تقريباً ثم يقومون بمصاريف زراعتها وخدمتها بدون ان يكون على المالك شيء مطلقاً ولهم في نظير ذلك صافي نصف المحصول بعد تسديد ما يخصهم من الايجار فكأن المالك في نظير اعطائهم نصيبهم في الارض بايجار اقل من المثل يكون استفاد منهم خدمتهم له في النصف الآخر. وفي هذا المثال قد يلزم المالك بنصف اجرة جني القطن خاصة ونصف اجرة الخفر ايضاً

(مثال تاسع) في زراعة الذرة الغيطي في ارض الملق بالصعيد على المزارع جميع اجراآت الخدمة والري الخ وله الثلثان لان الري كلهُ بالآلات ويستدعي تعباً عظيماً وللمالك الثلث فقط نظير الارض

(مثال عاشر) في زراعة القصب في الصعيد خاصة على المزارع خدمة اليد فقط وله السدس والباقي للمالك نظير الارض والتقاوي والمواشي وماء الري

(المثال الحادي عشر) في زراعة الذرة التي تروى بالارتوازي على المزارع خدمة اليد فقط وله الخمس او السدس اذا كانت الارض جيدة جداً والباقي للمالك نظير الارض وماء الري والتقاوي والسماد الخ

وحينما تكون المزارعة او المشاركة في زرعة واحدة تقل الفرصة لصاحب الغيط الذي لا يلتزم الانصاف في معاملة مزارعيهِ. وان كان ما ذكرناهُ هنا ليس مستوعباً لكل صور المشاركة والمزارعة في جميع الجهات الا ان فيهِ الكفاية لادراك طريقتها

احمد الالفي
مأمور زراعة

تجذير القمح

اكتشاف مهم في الزراعة

كان الدكتور هنري جسب المرسل الاميركي في بيروت يفتخر بانهُ وجد نبتةً من القمح فيها ٢٥ سنبلة و يريها لزوارهِ معجباً بها. اما نحن فرأينا نبتة واحدة فيها اكثر من مضاعف ذلك من السنابل . ولا نعلم ما هي الاسباب التي جعلت حبة القمح تولّد ذلك المقدار وغاية ما نعلمهُ ان الارض التي وجدت فيها جيرية قلما زرعت قبلاً وهي في مرتفع من الارض في ساحل بركة قارون

وقد قرأنا الآن في مجلة المعرفة الانكليزية مقالة وجيزة للقس ادورد سيلي قال فيها ان هذا التجذير او التكنين اي تولُّد سنابل كثيرة من اصل واحد ناتج عن خاصّةٍ في نبات القمح فهو يجذّر دائماً ولكن اذا حضن اكثرهُ بالتراب عند اول ظهورهِ ثم حضن ثانيـة وثالثة كلما نما كثرت جذورهُ وفروعهُ وظهر في كل فرع منها سنبلة . وقد استنبط عزاقةً تشق الارض خطوطاً ضيقة عمق الخط منها عشرة سنتمترات فقط وتزرع فيها القمح تلقيطاً كما تزرع الذرة الشامية في هذا القطر. وتطمرهُ بقليل من التراب ثم يترك حتى ينمو و يصير في كل حبة ثلاث اوراق فتمر هذه العزاقة على مساطب الخطوط فتلقي منها تراباً يحضن القمح حتى يكاد يغمرهُ فتكثر جذورهُ و يزيد نموهُ وتتولّد منهُ فروع جديدة وكلما نما اعملت العزاقة حتى يحضن ثانية وثالثة . وفي العزاقة خمسة اسلحة و يجرها حصان او حصانان ولكن يمكن الاستغناء عنها عندنا بالعزق العادي كما يعزق القطن والخضر

وقد امتحن مخترع هذه العزاقة زرع الحنطة وحضنها كذلك فوجد ان الفدان الذي يزرع تلقيطاً على هذه الصورة تكفيهِ كيلتان من تقاوي القمح واما الفدان الذي يزرع بَذْراً حسب الطريقة المتبعة يلزم لهُ سبع كيلات . وسنابل الفدان الاول تكون اكثر من سنابل الفدان الثاني كثيراً واطول ومحصولهُ اكثر جدًّا

ترى في الصورة المقابلة سنابل حبتين من القمح المجذر او المكنن حسب هذه الطريقة وما فيهما من السنابل الكثيرة الكبيرة و بينهما نبات حبة مما زرع حسب الطريقة العادية وليس فيها الاَّ خمس سنابل صغيرة . وترى في الصورة التي تحتها نبتتين قطعت سنابلهما وقطعا من الارض حتى ظهرت جذورهما وهما من القمح الذي كنن او جذّر . فعسى ان يجرّب ذلك بعض محبي التجارب الزراعية و يوافونا بنتيجة تجاربهم

محصول القطن المصري

حارت الافهام فيما اصاب موسم القطن المصري هذا العام فقد نبت قويًا وساعده الحر على النمو السريع وكانت مياه الري وافرة حتى اعتقد اكثر المقدرين انهُ يزيد على سبعة ملايين قنطار وقد يصل الى ثمانية ملايين . ولكن لما ابتدأ لوزهُ يظهر اتضح ان فروعهُ السفلى المسماة بالحرج قليلة جدًّا او مفقودة تمامًا ثم ظهر ان زمام الاطيان المزروعة قطنًا قليل اقل مما كان في السنين الاخيرة ما عدا السنة الماضية التي قُلِّل فيها الزمام قصداً بامر الحكومة . وجاءت ثالثة الاثافي بانتشار دودة اللوز ودودة البزر القرنفلية . وهذه الاخيرة قضت على ربع المحصول او على اكثر من ربعهِ ولا نبالغ اذا قلنا ان ثلث المحصول تلف تمامًا قياسًا على الاطيان التي رأيناها في القليوبية والغربية والفيوم ونعرف مقدار محصولها في السنوات الماضية . فان الاطيان الخصبة منها جدًّا التي كان متوسط محصول فدانها ستة قناطير الى ثمانية بلغ محصول الفدان منها الآن ثلاثة قناطير الى اربعة والتي كان متوسط محصول الفدان منها ثلاثة قناطير الى اربعة بلغ محصول الفدان منها الآن قنطارين ونصف قنطار الى ثلاثة . وكل الذين ذاكرناهم في هذا الموضوع من اصحاب الاطيان يقولون هذا القول ويشكون هذه الشكوى ولذلك لا نستغرب اذا بلغ متوسط محصول الفدان في القطر كلهِ اقل من ثلاثة قناطير وبلغ المحصول كلهُ اقل من خمسة ملايين قنطار . وارتفاع الاسعار يقوم مقام قلة المحصول في الغالب عند الذين تأخروا في بيع قطنهم الى حين ارتفاع سعرهِ فان سعر الكنترانات بالغ عند كتابة هذه السطور ثلاثين ريالاً والقطن العفيفي يباع قنطارهُ في الارياف بستة جنيهات الى سبعة والسكلاريدس بسبعة جنيهات الى ثمانية وهي اسعار لم ترها مصر الأ زمن الحرب الاميركية منذ خمسين سنة

محصول القطن الاميركي

ان ما اصاب القطن المصري فقلل محصولهُ اصاب القطن الاميركي ايضاً فقلل محصولهُ كما قلل محصول القطن المصري وهاك جدول مساحة الاطيان التي زرعت قطنًا في اميركا في السنين العشرين الماضية بالفدان واحوال الزراعة شهراً فشهراً ومقدار المحصول الذي نتج منها بالبالات الاميركية وزنة كل بالة خمسة قناطير

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المساحة بالفدان	المحصول بالبالة
١٩١٦	٧٧ ٥	٨١ ١	٧٢ ٣	٦١ ٢	٥٦ ٣	٣٥ ٩٩٤ ٠ ٠	
١٩١٥	٨٠ ٠	٨٠ ٣	٧٥ ٣	٦٩ ٢	٦٠ ٨	٣٢ ١٠٧ ٠٠٠	١٢ ٠١٢ ٥٨٧
١٩١٤	٧٤ ٣	٧٩ ٦	٧٦ ٤	٧٨ ٠	٧٣ ٥	٣٦ ٨٣٢ ٠٠٠	١٦ ٧٣٨ ٢٤١
١٩١٣	٧٩ ١	٨١ ٨	٧٩ ٦	٦٨ ٢	٦٤ ١	٣٧ ٠٨٠ ٠٠٠	١٤ ٦١٠ ٩٦٤
١٩١٢	٧٨ ٩	٨٠ ٤	٧٦ ٥	٧٤ ٨	٦٩ ٦	٣٤ ٢٨٣ ٠٠٠	١٤ ٠٩٠ ٨٦٣
١٩١١	٨٧ ٧	٨٨ ٢	٨٩ ١	٧٣ ٢	٧١ ١	٣٦ ٠٦٥ ٠٠٠	١٦ ١٠٩ ٣٩٤
١٩١٠	٨٢ ٠	٨٠ ٧	٧٥ ٥	٧٢ ١	٦٥ ٩	٣٢ ٤٠٣ ٠٠٠	١٢ ١٢٠ ٠٩٥
١٩٠٩	٨١ ١	٧٤ ٦	٧١ ٩	٦٣ ٧	٥٨ ٥	٣٠ ٩٣٨ ٠٠٠	١٠ ٦٠٩ ٦٦٨
١٩٠٨	٧٩ ٧	٨١ ٢	٨٣ ٠	٧٦ ١	٦٩ ٧	٣٢ ٤٤٤ ٠٠٠	١٣ ٨٢٥ ٤٥٧
١٩٠٧	٧ ٥	٧٢ ٠	٧٥ ٠	٧٢ ٧	٦٧ ٧	٣١ ٣١١ ٠٠٠	١١ ٥٧١ ٩٦٦
١٩٠٦	٨٤ ٦	٨٣ ٣	٨٢ ٩	٧٧ ٣	٧١ ٦	٣١ ٣٧٤ ٠٠٠	١٣ ٥١٠ ٩٨٢
١٩٠٥	٧٧ ٢	٧٧ ٠	٧٤ ٩	٧٢ ١	٧١ ٢	٢٦ ١١٧ ١٥٣	١١ ٣٤٥ ٩٨٨
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	٨٤ ١	٧٥ ٨	٣٠ ٠٥٣ ٧٠٠	١٣ ٥٦٥ ٨٨٥
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	٢٨ ٠١٦ ٨٩٣	١٠ ٠١١ ٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	٢٧ ١١٤ ١٠٣	١٠ ٧٢٨ ٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	٢٧ ٢٢٠ ٤١٤	١٠ ٦٨١ ٠٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	٢٥ ٧٥٨ ١٣٩	١٠ ٣٨٣ ٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٣٤ ٢٧٥ ٠٠٠	٠٩ ٤٣٦ ٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	٢٤ ٩٦٧ ٠٠٠	١١ ٢٧٥ ٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	٢٤ ٣٢٠ ٠٠٠	١١ ٢٠٠ ٠٠٠

ويتضح من إنعام النظر في هذا الجدول وجود الارتباط بين حالة الزراعة ومقدار المحصول ولكن يجب ان يؤخذ متوسط الحالات في الاشهر الخمسة كلها وقد كان المظنون في شهر سبتمبر ان محصول القطن الاميركي يبلغ ١١ مليونًا و ٨٠٠ الف بالة وفي شهر اغسطس انهُ يبلغ ١٢ مليونًا و ٨٠٠ الف بالة ولكن لما ظهر التقرير الاخير عن حالة القطن ترجح ان المحصول لا يبلغ ١١ مليون بالة ولذلك ارتفعت الاسعار كثيراً ولا تزال آخذة في الارتفاع

اين يصرَّف القطن الاميركي

كانت معامل اميركا قبيل الحرب تأخذ اقل من ستة ملايين بالة من محصولها اما الآن فصارت تأخذ اكثر من سبعة ملايين بالة كما ترى في هذا الجدول

	موسم ١٩١٥	موسم ١٩١٤	موسم ١٩١٣	موسم ١٩١٢
اميركا	٧١٠٧ ٠٠٠	٦٢٣١ ٠٠٠	٥٧٧٢ ٠٠٠	٥٥٨٨ ٠٠٠
انكلترا	٣٢١٠ ٠٠٠	٣٢٠٩ ٠٠٠	٣٢٦١ ٠٠٠	٣٤٥٠ ٠٠٠
اوربا	٣٠٤٩ ٠٠٠	٣٩٢٠ ٠٠٠	٥١٩٤ ٠٠٠	٤٩٢٤ ٠٠٠
اليابان والمكسيك الخ	٠٥٣٧ ٠٠٠	٠٥٣١ ٠٠٠	٠٣٨٠ ٠٠٠	٤٠٧٠ ٠٠٠
المجموع	١٣٩٠٣ ٠٠٠	١٣٨٩١ ٠٠٠	١٤٥٥٣ ٠٠٠	١٤٣٦٩ ٠٠٠

مواسم اميركا

يظهر ان هذه السنة سنة محل في الولايات المتحدة الاميركية كما ترى في الجدول التالي من تقدير ديوان الزراعة لها في شهر سبتمبر الماضي

	تقدير المحصول في سبتمبر	ما بلغهُ في العام الماضي
القمح	٠٦١١ ٠٠٠ ٠٠٠ بشل	١٠١٦ ٠٠٠ ٠٠٠ بشل
الذرة	٢٧٠١ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٣٠٥٥ ٠٠٠ ٠٠٠ «
الاوت	١٢٣١ ٠٠٠ ٠٠٠ «	١٥٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «
الشعير	٠١٨٤ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٠٢٣٧ ٠٠٠ ٠٠٠ «
الراي	٠٠٤٢٩ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٠٠٤٩ ٠٠٠ ٠٠٠ «
البطاطس	٠٣١٨ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٠٣٥٩ ٠٠٠ ٠٠٠ «
البطاطا	٠٠٦٩ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٠٠٧٤ ٠٠٠ ٠٠٠ «
الرز	٠٠٣٣ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٠٠٢٩ ٠٠٠ ٠٠٠ «

فتقدير كل هذه الحاصلات يدلُّ على النقص الكبير فيها بالنسبة الى العام الماضي الأ الرز فان في محصوله زيادة قليلة . ومما يدل تقديرهُ على الزيادة ايضاً البنجر الذي يستخرج منهُ السكر فقد كان محصولهُ في العام الماضي ٦٥١٠٠٠٠ طن وقدر محصولهُ هذه السنة في شهر سبتمبر ٧٦٦٠٠٠٠ طن

باب الصناعة

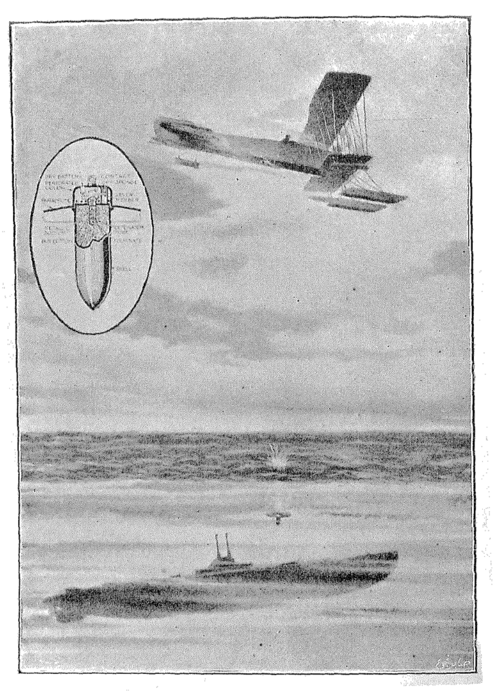
الطيارات لقتال الغواصات

لا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد . فلما تكرر فتك الغواصات حتى ضاق ارباب السفن بها ذرعاً قام المخترعون يحاربونها بالطيارات فقد ظهر لهم ان الطيَّار يرى الغواصة وهي غائصة في الماء و يقدّر عمقها تقديراً قريباً من الحقيقة فاستنبطوا قنبلة شديدة الانفجار اذا طرحت من الطيارة نزلت الى الماء وغاصت بسرعة وانفجرت حيث يريد الطيار ان تنفجر . وهي موءلفة من وعاء مملوء بالمادة المتفجرة وفي رأسها انبوب صغير فيهِ قليل من معدن الصوديوم الذي يشتعل اذا مسهُ الماء وفيهِ ايضاً قليل من قطن البارود والمادة المتفرقعة التي توضع في الكبسول . و يتصل بوعاء القنبلة قرص مستدير يتحكم في سرعتها . وفي اعلاها ثقوب يدخل منها الماء فاذا دنت من الغواصة وصل الماء الى الصوديوم واشعلهُ فيشتعل بهِ قطن البارود وتنفجر القنبلة واذا حدث ما عاق الماء عن الدخول لإشعال الصوديوم ففي القنبلة آلة كهربائية متصلة بمخل في طرفهِ اسفنجة فمتى غاصت القنبلة في الماء ابتلّت الاسفنجة وثقلت في طرف المخل فتحركهُ فيتصل المجرى الكهربائي وتتولّد منهُ شرارة تشعل المادة المتفجرة التي في القنبلة

وقد نقلنا في الشكل المقابل صورة طيار وطيارة وقد رمي قنبلة من هذه القنابل على غواصة في الماء فغاصت فيهِ فوق الغواصة . والى جانب الطيارة صورة هذه القنبلة وقد قطع جانب منها لكي يظهر باطنها

قياس الحرارة الشديدة

اذا كانت الحرارة شديدة جدًّا كالحرارة التي يصهر بها الحديد والفضة والذهب فالمقاييس العادية لا تصلح لها او لا يسهل استعمالها على الصنّاع في المعامل . وقد وُجد بالاختبار ان النور الذي يشع من معدنٍ حامٍ يكون سطعانهُ على نسبة حرارة ذلك المعدن اي اذا عرفنا مقدار نور الجسم الحامي عرفنا درجة حرارتهِ . فصنعت آلة سميت البيرومتر النظري فيها مصباح كهربائي صغير ينظر بها الصانع الى نور الجسم المحمى و يقابلهُ بنور المصباح الكهربائي و يتحكم بنور هذا المصباح حتى يصير نورهُ مماثلاً في سطعانهِ لنور المعدن



صورة طيارة تحارب غواصة وقد اطلق الطيار من طيارتهِ قنبلة شديدة الانفجار على الغواصة فغاصت فوقها · وهي ظاهرة في الشكل

مقتطف نوفمبر ١٩١٦
امام الصفحة ٥٠٤

المحمى تماماً والتحكم بنور المصباح الكهربائي يكون بواسطة دائرة مقسومة الى درجات تعرف منها درجة حرارة النور الكهربائي فتعرف درجة حرارة المعدن المحمى لمماثلة نوره حينئذٍ النور الكهربائي

تلوين النحاس

النحاس الاصفر والاحمر يسهل تلوينهما بما يراد من الالوان وطريقة ذلك ان تمزج اكسيد الحديد والبلمباجين وتجبلها بالسبيرتو او الماء . والسبيرتو افضل لان المزيج يجف بسرعة . ثم ادهن النحاس بهذا المزيج وضعهُ في فرن او احمهِ بقنديل السبيرتو فيتغير لونهُ ويكتسب لوناً جديداً حسب ما في المزيج من اكسيد الحديد وحسب المدة التي تعرّض فيها للحرارة . فاذا زاد اكسيد الحديد زاد اللون كمدة . ثم ينزع المزيج عن النحاس بفرشاة او خرقة مبلّلة بالسبيرتو ومتى نظف يدهن بورنيش يقيهِ من الصدإ ويمكن ان يسخن ويدهن بقليل من الشمع بدل الورنيش

ويمكن تلوين النحاس بلون اسمر بدهنهِ بمزيج من خلاّت النحاس (الزنجار) وملح النشادر والخل . ويكون مقدار خلات النحاس ثلاثة اضعاف ملح النشادر فيكتسب النحاس لوناً اسمر وتشتدُّ سمرتهُ اذا اضيف الى المزيج قليل من الشب الازرق . واذا أُريد ان يكون النحاس اسمر ضارباً الى الحمرة فادهنهُ بمزيج من خلاّت النحاس والزنجفر وملح النشادر والشب الابيض . ويكون كل من ملح النشادر والشب الابيض مضاعف خلاّت النحاس والزنجفر . ثم يحمى النحاس كما تقدم . ويمكن تلوين النحاس بألوان زرقاء مختلفة بتغطيسهِ في مصهور كبد الكبريت ثم مسحهِ وغسلهِ وتكرير ذلك حتى يكتسب اللون المطلوب

المصنوعات الكهربائية

كانت قيمة المصنوعات الكيماوية الكهربائية في الولات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠٩ نحو ١٨ مليوناً ونصف مليون من الريالات فصارت سنة ١٩١٤ اكثر من ٢٩ مليوناً ونصف مليون وذلك عدا الحديد والصلب اللذين يسبكان بالاتاتين الكهربائية . فاذا حول هبوط الماء في شلال اسوان الى كهربائية فلا يبعد ان تستعمل لعمل المواد الكيماوية الكهربائية كالسيناميد ونحوهِ فيكون منها عمل نافع كثير الربح لاسيما وان اكثر ما يلزم لذلك الكهربائية التي تتولد من الشلال والنيتروجين من الهواء

النسيج من القرّاص

الحاجة ام الاختراع · لما قلّ الوارد من القطن والصوف الى بلاد الالمان مدة الحرب التفتوا الى نبات القرّاص وما في عروقهِ من الالياف فاستنبط احد الكيماويين طريقة لاستخراج هذه الالياف سليمة متينة فصارت تغزل وتنسج و يقال ان ما ينسج منها متين صقيل كانهُ منسوج من الحرير

السماد من الجلد الدبيغ

من الاختراعات التي دعت اليها الحاجة في بلاد الالمان مدة هذه الحرب استخراج السماد من قصاصة الجلود المدبوغة فان قصاصة الجلد المدبوغ لا تصلح للسماد لما فيها من التنين (مادة العفص الذي يدبغ بهِ الجلد) فاستنبط بعضهم طريقة لاستخراج التنين من القصاصة وهي ان تنظف اولاً مما هو عالق بها من المواد الدهنية ثم توضع في سائل قلوي على درجة ٥٠ الى ٦٠ بميزان فارنهيت فيخرج التنين منها ثم تعاد معالجتها بالمادة القلوية فتصير سماداً من اصلح الاسمدة للمزروعات · والتنين لا يطرح بل يستخرج كلهُ من السائل القلوي لانهُ ثمين كالسماد

سقوط العتب الاكبر في كبري سنت لورنس

ذكرنا في مقتطف سبتمبر ان كبري سنت لورنس باميركا وهو اكبر كباري الحديد سقط في النهر لخلل فيهِ

وقد اقيم بعدهُ كبري آخر تلافى مهندسوهُ الخطأ الذي وقع في الكبري الاول ولكنهم وقعوا في خطإٍ آخر فان العتب الاوسط ثقلهُ خمسة آلاف طن وطولهُ ٦٤٠ قدماً ويوءلف مع الكابولين اللذين يتصل بهما حينما يوضع في محلهِ باباً سعتهُ ١٨٠٠ قدم · ولما تم عملهُ حمل على القوارب المتينة وجيء بهِ الى ما بين الكابولين ليرفع الى مكانهِ ١٤٥ قدماً وكان ذلك في الحادي عشر من شهر سبتمبر الماضي فربط بالسلاسل من زواياهُ الاربع واخذت الآلات المائية المعدة لرفعهِ ترفعهُ رويداً رويداً وكان المقدَّر ان رفعهُ يتمُّ في ٢٠ ساعة ولكن لم يكد يرتفع بضع اقدام حتى افلتت زاوية من زواياهُ الاربع فالتوى واختلت موازنتهُ فسقط وغاص في الماء حيث العمق مئتا قدم ولا يرجى اخراجهُ من هناك

ولا بدَّ من انفاق مليون من الريالات وانقضاء سنة اخرى من الزمان حتى يصنع عتب آخر بدلاً منهُ



THE INSECT AND RELATED PESTS OF EGYPT.

حشرات مصر

بحث المستر ولككس في الحشرات التي تضرُّ المزروعات والاشجار المثمرة وغير المثمرة والحيوانات الاهلية والحاصلات المخزونة والمباني والامتعة والتي تضرُّ الانسان ايضاً من حيث نقلها مكروبات الامراض اليهِ . ومرادهُ ان يصدر كتباً في ذلك يذكر فيها طبائع هذه الحشرات وكيفية اتقائها . وقد اصدر الآن الجزء الاول من المجلد الاول وموضوعهُ دودة بزر القطن القرنفلية وهو كتاب كبير باللغة الانكليزية مزدان بالصور الجميلة لتوضيحهِ ولكنهُ مطبوع بحروف فرنسوية قلما ترتاح اليها عين مَن الف مطالعة الكتب الانكليزية . وما اعظم الضرر الذي لحق بالقطر المصري من جراء هذه الدودة الصغيرة فقد قدَّرهُ المؤلف عن موسم سنة ١٩١٣ بنحو تسعة ملايين جنيه اذا فرض ان نقص المحصول بسببها كان قنطاراً ونصف قنطار من كل فدان وكان ثمن القنطار ١٧ ريالاً وعليهِ فضررها في محصولنا الحاضر اكثر من مضاعف ذلك لان ثمن القنطار مع بزرتهِ اكثر من ٣٤ ريالاً . وعلى كل حال لا يقل ضررها السنوي في القطر المصري عن عشرة ملايين من الجنيهات . فعدو مثل هذا يخسّر القطر كل سنة اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات يستحق ان تنفق الوف الجنيهات على درس اطوارهِ وطبائعهِ قصد الوصول الى آفة تهلكهُ او طريقة تخلصنا منهُ . ولكن هيهات فالمستر ولككس واخوانهُ اشتغلوا وتعبوا في السنوات الثلاث الماضية ولم يقل فتك هذه الدودة بل زاد . وسنأتي في الجزء التالي على بعض الفوائد من هذا الكتاب النفيس

ديوان عبد الرحمن شكري

اهدى الينا صاحب هذا الديوان الجزء الخامس منهُ وهو كالاجزاء السابقة في جودة النظم لفظاً ومعنى . وقد صدَّرهُ بمقدمة طويلة في الشعر ومذاهبهِ

المنظومات الدرّية

هو ديوان يحتوي على قصائد شتى من مديح وغزل وفخر وسياسة ورثاء بقلم الياس افندي طربية احد متخرجي مدرسة المحبة الاخوية في عرامون كسروان بجبل لبنان . وقد نظمهُ في بلاد الارجنتين احدى جمهوريات اميركا الجنوبية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) معنى ملكانية ويعقوبية وميانية

شبراخيت . احمد افندي الصراف .

كنت اطالع في الجزء الثاني من خطط المقريزي طبعة المليجي سنة ١٣٢٤ هجرية فاذا في السطر الثالث من الصفحة ٥٩ قولهُ « فتحت ارض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعقوبية وميانية » فما مرادهُ بلفظة ملكانية ولفظة ميانية . اما يعقوبية فاظن انها الفرقة التي يطلق الفرنسويون عليها اسم Jacobins . ارجو الاجابة في المقتطف

ج . اختلف المسيحيون من قديم الزمان في طبيعة السيد المسيح فقال بعضهم ان فيهِ طبيعة واحدة وكان زعيمهم الاسقف يعقوب البرادعي الذي نشأ في اواخر القرن السادس المسيحي فسموا يعاقبة نسبة اليهِ ويقال ان القبط الارثوذكس في مصر كانوا منهم . وقال بعضهم ان فيهِ طبيعتين وهم الاكثرون وكان منهم اهل القسطنطينية وبيت الملك فسموا ملكانية نسبة الى بيت الملك . ويظهر لنا ان المقريزي يريد بالميانية المانية نسبة الى ماني الفارسي الذي نشأ في اوائل القرن الثالث المسيحي وحاول المزج بين المسيحية والمجوسية وكثر اتباعهُ شرقاً وغرباً حتى كثر انصارهُ في رومية نفسها بين سنة ٣٧٠ و ٤٤٠ واليعقوبية غير الجاكوبيين الفرنسويين فان هؤلاء حزب سياسي نشأ سنة ١٧٨٩ سماهُ خصومهُ كذلك لان زعماءهُ كانوا يجتمعون في شارع سان جاك بباريس

(٢) معنى آلية

ومنهُ . اقرأ في المقتطف لفظة المواد الآلية فما معنى الآلية وهل ياؤها مشددة او مخففة

ج . ياؤها مشددة هكذا آليّة نسبة الى آلة يراد بها ما كان اصلهُ حيًّا او من مادة حية كاللحم والجلد والشعر والتمر ويقابلهُ المواد الجمادية او المعدنية كالحديد والنحاس والماء . والذين عربوا الكتب العلمية في مصر استعملوا كلمة عضوية بدل آلية اما نحن ففي اول

عهدنا بالترجمة رأينا علماء العرب الاقدمين مثل ابن سينا يستعملون كلمة آلي وآلية فجرينا مجراهم

(٣) دائرة معارف عربية

المنصورة . اليوزباشي ثابت افندي حسن عضو مجلس قرعة الدقهلية . اي الدائرتين تفضلون البستانية لفزارة مادتها او الوجدية لحداثتها

ج . لا نتذكر اننا رأينا الثانية او طالعنا شيئاً منها ان كنا قد رأيناها واما الاولى فحسنة جدًّا في بابها وحبذا لو تمّت او لو قام جماعة من محبي التقدم وجمعوا مالاً كافياً لانشاء دائرة معارف عربية مثل الدوائر الانكليزية والفرنسوية الكبرى . ولكن المال الذي يقتضيهِ هذا العمل حتى يأتي متقناً لا يقل عن عشرات الالوف من الجنيهات ولا يرجى ان يباع من الكتاب بعد اتمام طبعهِ ما يفي بربا المال الذي ينفق عليهِ

(٤) خضاب الشعر والصحة

ومنهُ . هل خضاب الشعر يضر بالصحة فوق ضررهِ الادبي

ج . اذا كان الخضاب نباتياً كالحناء فلا ضرر منه واذا كان معدنيًّا فبعضهُ سام كاملاح الرصاص و بعضهُ غير سام كاملاح الفضة ولكن من المحتمل انهُ يضر الشعر

(٥) صحة الاحلام

ومنهُ . رأيت في دائرة البستاني تأويلاً لرؤيا الذئب فهل في ذلك ما يؤيد الرأي القائل بتفسير الاحلام

ج . تجدون في مقتطف مايو الماضي كلاماً وافياً على الاحلام وعلاقتها بالحالم وهو لأكبر فيلسوف من فلاسفة العصر وفيهِ خلاصة ما يقال في هذا الموضوع وما قامت الادلة على اثباتهِ . اما ما ذكرتهُ دائرة المعارف فمنقول عن الدميري وهو مثل كثير مما ذكرهُ الدميري غفر الله لهُ لا يقوم دليل على صحتهِ

(٦) توارد الخواطر

ملوي . زكي افندي ناشد سركيس . قال امرؤ القيس في معلقتهِ

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وقال طرفة بن العبد البكري مثلهُ ولكنهُ ابدل تجمل بتجلد . فايهما نقل عن الآخر وهل ذلك جائز في الشعر

ج . يقال ان اتفاقهما من باب توارد الخواطر اي ان المعنى الذي طرقاهُ كان شائعاً فاتفق انهما عبرا عنهُ على اسلوب واحد واختلفا في القافية لاختلاف الروي في المعلقتين وذلك ليس مستبعداً او ليس في حد المحال ويجوز ان يكون قول طرفة من قبيل التضمين لقول امرء القيس او الاستعانة

(٧) سبب الشفق

مصر . احد المشتركين ما سبب ظهور الشفق عند الغروب

ج · سببهُ انعكاس نور الشمس بعد غروبها عن الذرات العائمة في الهواء فان النور ينتشر من الشمس الى كل جهة فاذا هبطت تحت الافق درجة او درجتين او اكثر الى ١٨ درجة فان بعض اشعة النور الصادرة منها تنعكس عمَّا في الهواء من دقائق الهباء والبخار وترتد الينا فنرى بها ما انعكست عنهُ

ومنهُ · ما سبب الالوان الجميلة التي تظهر في السماء عند شروق الشمس وغروبها في اكثر الاحيان

ج · ان نور الشمس الذي يكوّن الشفق والفجر كما تقدم يكون اكثرهُ ناتجاً عن الانعكاس وبعضهُ عن الانكسار وقد يتحول في الحالين الى الوانهِ او يمتص بعضهُ ويصل الينا البعض الآخر حسب ما يكون في الهواء من الهباء ودقائق البخار وذلك هو سبب الالوان الجميلة التي ترونها وسبب اختلافها

(٨) معنى ديموقراطي وارستقراطي

ومنهُ · ما اصل اشتقاق كلمتي ديموقراطي وارستقراطي اللتين نراهما في الكتب والجرائد

ج · ديموقراط يونانية مركبة من كلمتين ذيموس اي شعب (وعندنا ان كلمة ذمة وذمي منها لان المراد بها الشعب المحكوم) وكراتين حكومة او سلطة · اي الحكومة التي من الشعب · وكلمة ارستقراطي مركبة من كلمتين يونانيتين ايضاً ارستوس اي الخاصة وكراتين اي حكومة ومعناها الحكومة التي يتولاها اعيان الشعب ثم صارت تطلق على اعيان الشعب انفسهم

(٩) شهوة الطعام

ومنهُ · اذا اشتهى الانسان نوعاً من الطعام ليكن ملوخياء او باميا او اي صنف آخر فاي جزء من جسمهِ يطلب ذلك الصنف فيذكر انهُ يشتهيهِ

ج · ان شهوة الطعام فعل عصبي تدعو اليهِ حاجة الجسم الى الغذاء او يدعو اليهِ اعتياد الجسم الاكل في وقت محدود · واشتهاء هذا الطعام او ذاك بالذات نوع من تذكُّر اللذة التي كان الجسم يجدها باكل ذلك الطعام وهو ايضاً فعل عصبي · اما ماهية هذا الفعل العصبي فغير معلومة

(١٠) عفن الثياب

مصر · مصطفى رشيد بك · غسلت ملاءة فراش من تيل قبل استعمالها ثم كويت قبل جفافها وحُفظت بعد ذلك مندّاة بالماء قبل تمام جفافها في الدولاب الخاص بها فتسبب عن ذلك تعفن انتج فيها بقعاً صغيرة سوداء · فاي طريقة يمكن استعمالها لازالة هذه البقع

ج · في الصيدليات سائل يسمى ماء جافل eau de Javelle يزيل هذه البقع اذا كانت سطحيَّة واما اذا تمكن العفن من

الملاءة حتى اتلف خيوطها فهذه الخيوط تُتخات بسرعة في مكان البقع اي تُخرق قبلما تُخرَّق الملاءة · ويصنع ماء جافل هذا باذابة كربونات البوتاسيوم وكلوريد الجير (مسحوق القصارة) بالماء

(١١) كذب الفراسة

جوندياهي بالبرازيل الخواجه حسيب ابو خلف · وضع احد التجار خادماً في محلهِ وكان قد قرأ بعض كتب الفراسة فاخذ يقابل اوصاف الخادم وحركاتهِ وسكناتهِ على ما قرأ من كتب الفراسة فوجد انهُ اذا صح علم الفراسة فلا يمكن ان يكون هذا الخادم صادقاً في خدمتهِ · لكن الخادم كان يقوم بكل ما يطلب منهُ حق القيام · فاخذ ينازع التاجر عاملان عامل الميل الى الخادم لانهُ قائم بما يطلب منهُ وعامل النفور منهُ لانهُ قد يمكن ان لا يكون صادقاً في خدمتهِ كما يدل علم الفراسة · اخيراً تغلب عليهِ عامل الفراسة واخرجهُ من محلهِ آسفاً على فراقهِ فهل يصح علم الفراسة وهل يمكن التعويل عليهِ

ج · ان الصحيح من الفراسة لا يدل على كون الخادم اميناً او غير امين والعلامات التي يقال انها تدل على ذلك لا يعوَّل عليها · راجعوا ما كتبناهُ في المجلدين ٣٦ و ٢٧ من المقتطف مقالات عنوانها الصحيح من الفراسة

(١٢) مشاهير رجال هذه الحرب

ومنهُ · من هم مشاهير رجال الحرب الاوربية الذين امتازوا على غيرهم وسيكون لهم اعظم ذكر في التاريخ سواء كان من رجال السياسة او من رجال الحرب

ج · ان الذين امتازوا كثيرون والظاهر ان اشهرهم كتشنر في انكلترا وجوفر في فرنسا وهندنبرج في المانيا والارشيدوق نقولا في روسيا من رجال الحرب واسكويث وغراي ولويد جورج في انكلترا وبريان في فرنسا والامبراطور ولهلم ومشيرهُ الدكتور بتمن هلفج في المانيا من رجال السياسة · وقد يشتهر غيرهم مثلهم قبل انتهاء هذه الحرب

(١٣) التزوج بين الاقارب

ومنهُ · ما هي آراء السر جورج داروِن المترجم في المجلد ٤٢ من المقتطف في تزوج اولاد الاعمام بعضهم ببعض

ج · لا نظن ان لهُ رأياً مخصوصاً في ذلك لانهُ كان رياضيًّا لا طبيعيًّا والمحقق ان تزوج الاقارب يضرُّ اذا كان فيهم مرض وراثي او استعداد لمرض وراثي وذلك لان الميل الى ذلك المرض يقوى باتصالهِ الى الاولاد من الاب والام معاً · ولكن اذا لم يكن فيهم مرض وراثي ولا ميل الى مرض وراثي فلم يقم دليل حتى الآن على ان تزوجهم يضرُّهم . ومن المرجح انهُ ينفعهم اذا كان فيهم صفة صالحة يحسن اثباتها وتقويتها . راجعوا ما كتبناهُ في هذا الموضوع في الجزء الاخير من المجلد التاسع والجزء الثالث من المجلد العاشر



اوجه القمر في شهر نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاول	٢	٧	٥١ مساء
البدر	٩	١٠	١٨ ·
الربع الاخير	١٨	٠٠	١ صباحاً
الهلال	٢٥	١٠	٥٠ ·
القمر في الاوج	١٦	٤	٠٠ ·
· · الحضيض	٢٧	٩	٤٢ مساء

السيارات

عطارد · يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

الزهرة · تكون كوكب صباح

المريخ · يكون كوكب مساء

المشتري · يغرب نحو الساعة ٤ صباحاً

زحل · يشرق نحو الساعة ١٠ مساء

السر لودر برانتون

خسر العلم الطبيعي عموماً والطبي خصوصاً خسارة لا تقدر بوفاة السر لودر برانتون الطبيب الانكليزي المشهور توفي في ١٦ سبتمبر الماضي ولهُ من العمر ٧٣ سنة · ولد سنة ١٨٤٤ ودرس الطب في جامعة ادنبرج وفي باريس وفينا و برلين وليبتسج · واختار الاقامة في لندن فعين استاذاً لعلم الاقراباذين في مستشفى مدلسكس وطبيباً مساعداً في مستشفى سان برثولوميو المشهور

واعظم ما اشتهر بهِ مباحثهُ في فعل الادوية في الجسم فجرَّب تجارب كثيرة في نفسهِ وفي الحيوانات للوصول الى غرضهِ · وسنة ١٨٨٥ نشر كتاباً في علم الاقراباذين (تركيب الادوية) والمواد الطبية والعلاج فطبع طبعات كثيرة في انكلترا وسائر اوربا

وفي سنة ١٨٨٦ عين عضواً في اللجنة التي انتدبت لفحص طريقة الحقن التي اتبعها باستور في معالجة الكَلَب · وسنة ١٨٨٩ عين عضواً في اللجنة التي انتدبها نظام حيدر اباد للبحث في فعل الكلوروفورم · وامتدت شهرتهُ في انكلترا في تشخيص الامراض حتى كان يستشار من كل حدب وصوب وبلغ في فن العلاج غاية ما بعدها غاية فادخل صنفاً جديداً من الادوية وهو المسمى vasodilator اي موسّع الاوعية الدموية · وهو اول من استعمل نيتريت الاميل في معالجة داء الالم الفؤادي (angina pectoris) فان فعلهُ الفسيولوجي مقاوم لاعظم اسباب هذا المرض اي اشتداد ضغط الدم

رآسة الولايات المتحدة الاميركية

في اوائل الشهر الجاري (نوفمبر) وبعبارة ادق في يوم الثلاثاء الاول بعد يوم الاثنين الاول منهُ ينتخب الاميركيون رئيسهم فاما ان يعاد انتخاب الدكتور ولسن الرئيس الحالي للمرة الثانيـة فتبقى مقاليد الاحكام في ايدي الديموقراطيين واما ان يفوز المستر هيوز مرشح الجمهوريين فتعود ازمة الاحكام الى يدهم

ومهما يكن من انتخاب هذا او ذاك فان الرئيس الجديد يتولى منصب الرآسة في ٤ مارس المقبل وفي خلال المدة التي تمرّ بين انتخابهِ وتوليهِ منصبهُ قلما يسمع الناس شيئاً عنهُ. اما مرشح الجمهوريين فقاضٍ من قضاة المحكمة العليا فلما رشح للرآسة اعتزل منصبهُ ليتفرغ لحركة الانتخاب وهو انكليزي الاصل من مقاطعة ويلس. والرئيس ولسن انكليزي الاصل ايضاً من اسكتلندا وكلاهما ابنا قسيس وقد كانت حرفتهما التدريس في اوائل عمرهما ثم انتقل الرئيس الى احدى الجامعات الكبرى حيث بقي استاذاً فيها ثم رئيساً لها الى ان انتخب رئيساً للجمهورية اما هيوز فاشتغل بالمحاماة ثم عين حاكماً لولاية نيويورك . واوجه الشبه بين الاثنين كثيرة حتى قال فيهما بعض الظرفاء ان هيوز هو ولسن ملتحٍ

ولما كان المستر هيوز حاكماً لنيويورك ارادت احدى الجامعات ان تدعوهُ لوضع حجر الزاوية في بناء منتداها فطلبوا من صديق لهُ وزميل قديم في المحاماة ان يدعوهُ لذلك فقال «لم تحسنوا الاختيار . انا آخر رجل يصلح لهذه المهمة. فانهُ منذ تولى هيوز منصب حاكم نيويورك اغلق بابهُ دون اخصائهِ واقربائهِ . ارسلوا اليهِ رجلاً غريباً يأتكم مسرعاً ولكن اذا ذهبت انا اليهِ لم يجب دعوتي خشية ان يكون ملبياً لداعي عامل شخصي وبالتالي لداعي عامل ينكرهُ ويكرههُ»

ويعيِّر الرئيسَ ولسن خصومهُ بعبارة قالها في خلال الحرب الحاضرة وهي «انا اكبر من ان احارب» . وقد فسرها احد اصحابهِ بقولهِ ان المستر ولسن اراد بهذه العبارة ان امتهُ العظيمة فوق كل محاولة يقصد بها استخدام قواها العظيمـة للضرب على ايدي الامم الضعيفة (اشارة الى المكسيك) وانها تحتمل من الاذى والاهانة ما هو في طوق البشر قبل خوض المعترك

وعيّر بعضهم المستر هيوز بقولهِ انهُ ان كان ولسن اكبر من ان يحارب فهيوز اكبر من ان يتكلم اشار بذلك الى رفض المستر هيوز ان يبوح بسياستهِ قبل ترشيحهِ لمنصب الرياسة . وانما رفض ذلك علماً منهُ انهُ لا يليق بقاضٍ من قضاة المحكمة العليا ان يدخل في المنازعات السياسيـة وهو في منصبهِ القضائي

علاقة اطلاق المدافع بالمطر

ثبت للعلماء ان لا علاقة البتة لاطلاق المدافع بنزول المطر ومع ذلك لا يزال هذا الوهم مستوليًا على العقول في كلّ مكان حتى قالت مجلة ناتشر الانكليزية في عدد اخير لا غنى عن نشر بلاغ علميّ رسميّ ليبدّد الاشاعة التي شاعت عندنا في هذه الايام وهي ان سبب كثرة تهطال الامطار في انكلترا هذا الصيف الفائت كثرة اطلاق المدافع في فرنسا وفلاندر . فقد اقيمت التجارب في اوربا واميركا والاسكا واستراليا لتحقيق هذه العلاقة فظهر بطلانها . ثم انهُ لو استعملت قوة اطلاق المدافع كلها لازالة الحرارة واحداث البرد اللازم لانعقاد البخار مطراً ما كفت لذلك فكيف وهي لا تستعمل كلها لاحداث البرد . وكذلك يجب ان نذكر انهُ مرّت بنا فترات بين مطر ومطر كان الطقس فيها على اصفى ما يكون في حين ان اطلاق المدافع كان جاريًا مجراهُ المعتاد

الورق من حطب القطن

ذكرنا فيما سبق ان الالمان يسعون في عمل الورق من سوق القطن وليس ذلك بمستغرب فان القطن من الفصيلة الخبازية كالخبازي والملوخية والخطمي وهذه الفصيلة معروفة بكثرة ما فيها من الالياف . وقد ظهر من تجارب بعض الاميركيين ان هذه الالياف يمكن عمل ورق منها وخيوط وحبال وان الخيوط يمكن ان تنسج ملابس . وقد جاء في قاموس الحاصلات الاقتصادية الذي تصدرهُ حكومة الهند ان حطب القطن يحتوي اليافًا متينة طويلة تنفصل عنهُ بالتعطين كما يصنع بالتيل والكتان . وقد المع كثيرون من الباحثين الى ذلك منذ اكثر من عشرين سنة واشاروا باستخدام هذه الالياف في التجارة اي بنسج منسوجات منها ففي جزر سندوتش مثلاً يصنع الاهالي خيوطًا متينة من الياف نبات يشبه نبات القطن في جميع اوصافهِ . وفي سنة ١٨٨٩ عرض في قسم المنسوجات من معرض باريس الذي اقيم في تلك السنة الياف متينة استخرجت من احد اصناف القطن المزروع في ولاية جورجيا الاميركية . وكان استخراجها من سوق القطن الخضراء بعد زرع القطن بستين يوماً

لحم صغار العجول

شاع في اوربا واميركا منذ عهد بعيد ان لحم العجول قبل بلوغها الاسبوع الثالث من عمرها لا يصلح طعامًا للناس حتى سنّ بعض الحكومات قوانين يحظرون بها بيع هذا اللحم . ولكن يظهر من المباحث التي بحثها بعض العلماء حديثًا ان هذه الاشاعة ككثير غيرها من الاشاعات التي صدقها العامة حتى العلماء بالتواتر لا بالمشاهدة والتحقيق . فمنذ

بضع سنوات أطعم طبيب اميركي سبع عائلات مؤلفة من ٢٠ نفساً شيئاً من هذا اللحم في جملة طعامهم وبقي على ذلك مدة طويلة فلم يؤثر فيهم تأثيراً ضاراً · وظهر لهُ من تجارب اخرى جرَّبها بعد ذلك ان لحم البقر العاديّ وهذا اللحم ينهضمان بسرعة واحدة· وجرَّب آخر تجارب في لحم ار بعين عجلاً عمر اكبرها اسبوع واحد فظهر لهُ بالتحليل الكيماوي ان لحمها لا يختلف اختلافاً فسيولوجياً يعتدُّ بهِ عن لحم البقر العاديّ وان الصنفين على درجة واحدة من حيث سهولة الانهضام · وأطعم بعض الهررة لحم العجول الصغيرة ومنع عنها كلَّ طعام آخر من الاطعمة المحتوية للنتروجين فنمت نموَّاً طبيعياً وسمنت وولدت أجراء تامة الخلق والعافية

تفتيح الازهار بالصناعة

منذ بضع سنوات قصد رجل فرنسوي انكلترا وجرَّب تجارب زراعية امام جماهير من المشاهدين فدهشوا اشدَّ دهشة اذ لم يدركوا سرَّ هذه التجارب · واهمها انهُ جاء بوردة تحمل ازهاراً لا تزال براعم وقال للمشاهدين ان هذه البراعم ستنفتح ازهاراً كاملة في نحو عشر دقائق ثم شرع في تجربتهِ فسقى الوردة وغطاها بغطاء من الزجاج مدة عشر دقائق ثم رفع الغطاء واذا المشاهدون يرون تحتهُ ورداً تامّ الانفتاح والتنوير. واذ رأى في وجوههم دلائل الشبهة والريبة في حقيقة ما يرون سمح لهم بالدنو من الوردة واقتطاف ما شاؤوا من ازهارها ففعلوا وتحققوا ان ليس في الامر تموِيه او خداع · ولم يكشف السرّ الاَّ بعد مضي زمان طويل على هذه التجارب · والسرّ ان الرجل المشار اليهِ جاء بوردة توشك ازهارها ان تنفتح · وقبل التجربة بوقت قصير حفر خندقاً قريب القعر حولها ووضع فيهِ شيئاً من الجير الحيّ بحيث لا يمسّ الجذور ثم ملأهُ تراباً كما كان قبل حفرهِ · ولما شرع في تجربتهِ بدأ بصب الماء كما تقدم فتخلل الماء التراب واتصل بالجير فتولد من ذلك حرارة كثيرة وبخار أُبقي حول الوردة بالغطاء الزجاجي الذي وضع عليها · فهذه الحرارة وهذا البخار اثرا تأثيراً شديداً في انماء الوردة على عجل وتفتيح ازهارها

وكثيراً ما ترى البستانيين يلجأُون الى هذا المبدإ في تفتيح الازهار ولو اختلفت الطريقة · وذلك انهم يغطسون سوق النباتات في ماء شديد الحرارة مدة خمس دقائق فينفتح ما عليها من الزهر

الطبخ بالكهربائية

شاع استعمال حرارة الكهربائية لطبخ الطعام كما شاع استعمالها لتدفئة البيوت وزاد احد المخترعين الاميركيين على ذلك ان

اوصل آلة كالساعة بالموقد الكهربائي حتى تستغني بها ربة البيت عن خادم يلاحظ الطعام و يقطع المجري الكهربائي حينما ينضج . فاذا كان طبخ الطعام يقتضي ساعتين مثلاً ادارت ربة البيت الساعة حتى تقطع المجرى الكهربائي بعد ساعتين تماماً فتقطعهُ في الميعاد اذ يكون الطعام قد نضج . واذا دعت الحال الى استعمال الغاز مع الكهربائية فالآلة توقد الغاز وتطفئهُ في الميعاد المحدَّد لها . و يقال ان الطبخ بالكهربائية اصلح من الطبخ على نار الفحم او الغاز لانهُ يسهل جعل الحرارة تحيط بالطعام الذي يراد طبخهُ من كل الجهات فينضج كلهُ معاً في وقت واحد . والظاهر ان النفقة اقل من نفقة الطبخ بالفحم او بالغاز

قوانين الصحة في الهند

كاد متولو شؤُون الصحة العامة في الهند يقنطون من اصلاح حال المنازل والشؤُون الصحية بين العامة لفرط ما يلقون من المعارضة بدعوى ان هذا القانون وذاك الامر يخالفان العقائد الدينية والتقاليد الاجتماعية المرعية من قديم الزمان . وهذا كلهُ يجري مع قيام كثيرين من الكتَّاب الهنود يبينون لمواطنيهم خطأهم و يسفهون معارضتهم . فقد كتب الدكتور « ماها ماهو باضيايا جنجا نات جا » مقالة جمع فيها قوانين السنسكريت القديمة بهذا الصدد وهي تبحث في صحة المنازل وتوصي بقواعد دقيقة جدًّا فيما يخص الطعام والشراب . وكثير منها على جانب من الحكمة والصواب تساعد موظفي الصحة العامة في حث الاهالي على العناية بصحتهم . وقد ختم الكاتب مقالتهُ بقولهِ : « ان اهل هذه البلاد القدماء عرفوا ومارسوا من قوانين الصحة ما لا يعرفهُ ابناؤُهم فكان جهل الابناء واهمالهم وخيم العاقبة عليهم »

النخل في اميركا

تستورد اميركا معظم بلحها وتمرها من بلاد جنوب اوربا وشمال افريقية . وقد قرأنا في السينتفك اميركان ان قسم التجارب الزراعية في جامعة اريزونا زرع منذ بضع سنوات مئتي نخلة فنمت احسن نموٍ واخرجت في الموسم الماضي ٢٢ الف رطل من التمر الجيد بيع الرطل منهُ بسبعة عشر سنتاً او نحو ٤¾ الغرش . قالت الجريدة في التعليق على ذلك وقد اثبتت عمدة جامعة اريزونا ان زرع النخل يمكن ان يصبح تجارة رابحة في وادي نهر سولت وفي سائر الامكنة التي تشبههُ في اقليمهِ . وليس بين الاشجار ما هو اجمل منظراً من النخلة الباسقة واقوم ساقاً فهي احسن ما يزدان بهِ وجه المروج والحدائق وأُكلُها حلو لذيذ المطعم . وفي شمال افريقية يتخذهُ الاهالي طعاماً لم يأكلونهُ كل يوم بين بلح و بُسْر ورُطَب وتمر

مجمع الزراعي الدولي

ذكرنا غير مرة انهُ انشئ مجمع دولي في رومية يبحث اعضاؤهُ في ما يتعلق بالزراعة وقد اشتركت ٥٥ دولة وحكومة في عضويتهِ ولم توقف هذه الحرب اعضاءهُ عن الاجتماع مدة ما كانت ايطاليا ملازمة الحياد فلما دخلت الحرب مع الحلفاء اضطر اعضاء المانيا والنمسا والمجر وتركيا وبلغاريا ان يغادروا رومية فانتقل المجمع كلهُ الى سويسرا . وهو المجمع العلمي الوحيد الذي لم تفصم الحرب بين اعضائهِ ولكن منشوراتهِ الشهرية التي تصدر بالانكليزية والفرنسوية والايطالية صارت خالية من الاشارة الى ما في المطبوعات الالمانية وغيرها من مطبوعات الدول المشايعة لالمانيا

الملاريا وعلب الصفيح

ظهر من البحث ان علب الصفيح التي تحفظ فيها اللحوم والاسماك المقددة وما اشبهها قد تكون بؤرة للامراض في البلاد التي يكثر فيها المطر . وذلك انها بعدما يؤكل ما فيها تلقى في عرصات المنازل والمعامل واذا نزل المطر وامتلأت منهُ امست مباءة لهوام البعوض . فالعادة الجارية في بعض البلاد اذا اكلوا ما فيها يثقبونها لكي لا يجتمع ماء المطر فيها

الورق في المانيا

لما اخذت المانيا تشعر بضيق نطاق الحصار الذي ضربهُ الحلفاء عليها جعلت تقتصد في جميع ضروب معيشتها كما هو مشهور وتصدر الاوامر والنواهي وتسنّ القوانين كلّ يوم لتطبيق معايش رعيتها على الحالة الحاضرة في البلاد من حيث كثرة الحاجيات او قلتها . ومما اوصت بهِ في بعض منشوراتها جمع الورق القديم حيثما يوجد فعين في برلين وحدها ٤٥٠ مستودعًا لجمعهِ وفي بروسيا كلها الفا مستودع . وللتلاميذ المدارس اليد الطولى في هذا العمل وهم اقدر الفئات على جمع الورق . فاذا جاء الورق الى المستودع ارسل الى المعامل حيث ينظف و يصنع منهُ ورق جديد . و يعطى المكثرون من جمعهِ خواتم حديد جزاء تعبهم

قيمة النفاية

باعت بلدية احدى مدن انكلترا الصغيرة نفاية المنازل والدكاكين بمبلغ ٥٠٠ جنيه في السنة منها نحو ٢٠٠ ثمن خبث الحديد . ونحو ٥٠ جنيهًا ثمن بقايا السمنت ونحو ١٠٠ جنيه ثمن صفائح قديمة وغيرها . ونحو ١٤ جنيهًا ثمن ورق قديم والباقي ثمن نفايات اخرى . وقد زاد ثمن نفاية الورق والزجاج بسبب الحرب

سفينة من الخرسانة

بنت وزارة بحرية اسوج سفينة من الحجر والخرسانة اضلاعها من الفولاذ وحمولتها نحو الف طن . وقد بنتها على سبيل التجربة ويقال انها جاءت طبق مرامها فلذلك قررت ان تبني سفناً على مثالهـا تحمل ١٥ الف طن الى ٢٠ الفاً . وقد اوصت الآن ببناء سفينة تحمل ثلاثة آلاف طن لزيادة الاطمئنان

وليست السفينة المذكورة آنفاً باول سفينة صنعت من الحجر والخرسانة فقد صنع الانكليز سنة ١٩١٢ سفينة منها تمخر في قناة منشستر طولها ١٠٠ قدم وعرضها ٢٨ قدماً وعلوها ٨ ½ قدم . وفي سنة ١٨٤٩ بنى الفرنسويون سفينة من هـذا النوع عرضوها في المعرض العام الذي اقيم سنة ١٨٥٥

نفاية السمك سماداً

يقدرون ان نفاية السمكة من امعائها ورأسها وذنبها وزعانفها تبلغ ربعها وزناً او اكثر من ذلك الى الثلث تبعاً لنوعها . وقد اخذوا يستعملون بعض هذه النفاية سماداً في كندا ولكن معظمها لا يزال يطرح جانباً ولا ينتفع بهِ . والمساعي مبذولة الآن لاستخدام النفاية كلها سماداً

اللبن من الفول

يصنع الصينيون لبناً من الفول والغالب انهم يصنعونهُ من فول الصويا وذلك بان يبلّوا الفول حتى يبتلّ جيداً ويجرشوهُ بالرحى ثم يصفُّوهُ باكياس من الشعر ويضيفوا اليهِ ماء ويغلوهُ ويصفوهُ ثانيةً ويفرغوهُ في زجاجات ويبيعوهُ لبناً كلبن البقر . والغالب انهم يفعلون ذلك كلهُ ليلاً ثم يبيعونهُ في الصباح والذين يشترونهُ يعلمون انهُ مصنوع من الفول وهم يستطيبونهُ كلبن البقر وهو مغذٍ ومهل الهضم مثلهُ

البراميل من مصاصة القصب

ان مكرري السكر في جزائر هواي وجدوا مصاعب كبيرة في جلب الاكياس لارسال السكر بها الى اميركا فاستنبطوا طريقة لضغط المصاص وعمل البراميل منهُ وهي متينة يرسلون بها السكر ويجلبون البوتاس سماداً ويقال ان البراميل المصنوعة من المصاص لا يتخللها الماء ولا تحرقها النار ولا تنشق كما تنشق اكياس السكر المصنوعة من الخيش

الطيارات والتربيد

يقال ان ضابطاً اسوجيًّا اخترع آلة تمكّن الطيار من توجيه التربيد وهو غائص في البحر

قوام السيّار زُحل

قال المعري الشاعر الحكيم في بعض قصائدهِ

زُحل اشرف الكواكب دارًا
من لقاء الردى على ميعادِ

ولا بدّ ما يتم قولهُ يوماً من الايام . اما الآن فزحل لم يزل في بداءة عمرهِ ويظهر من ارصادهِ الاخيرة انهُ مؤلف من طبقات متراكزة الداخلة منها اسرع دوراناً من الخارجة

قناة جديدة

احتفل الفرنسويون في مايو الماضي بافتتاح قناة احتفروها بين بلدة ارل على نهر روان ومدينة مرسيليا وقد اضطروا الى حفر نفق في التلال الواقعة شمالي مرسيليا طولهُ ٤ ½ ميل وعرضهُ ٧٢ قدماً وعمق الماء فيهِ ١٠ اقدام بحيث تستطيع القوارب الصغيرة ان تمخر فيهِ بين نهر روان ومرسيليا . وطول القناة نحو ٥٠ ميلاً

تشغيل الذين عموا بالحرب

من المعلوم ان حاستي السمع واللمس في الاعمى اقوى منهما في البصير ولذلك رأى الفرنسويون ان يولّوا الذين فقدوا بصرهم في الحرب العمل بالتلغراف اللاسلكي لانهُ يقتضي ان يكون العامل بهِ قوي السمع وشديد اللمس

ثمن احسن يد صناعية

تبرع فرنسوي مجهول الاسم بمبلغ الفي جنيه تعطى جائزة لمن يصنع احسن يد صناعية يستخدمها صاحبها برشاقة وخفة قلما تفرقان عمّا في اليد الطبيعية وقد مدّ اجل المسابقة الى ما بعد انتهاء الحرب بسنتين واشترط ان تكون مقتصرة على رعايا الحلفاء والمحايدين

نقل البريد بالبلون

جاء من ڤينا ان في النية تسيير الطيارات او البلونات بين برلين وڤينّا وبودابست وصوفيا والقسطنطينية لحمل البريد ويقال ان بعض البنوك عازمة ان تمد هذا المشروع بالمال لتحقيقهِ

الطيارات في هولندا

لم يكن يرى في جو هولندا منذ بضعة اشهر سوى طيارة واحدة حربيّة اما الآن فيرى فيهِ بضعة طيارات والعمل جار في معامل هولندا في انشاء الطيارات الحربية بكل معدّاتها

حرارة الشمس

آخر تقدير لحرارة الشمس على سطحها هو تقدير العالم الفلكي بسكو من فرسوفيا عاصمة بولندا . فقد جاء فيهِ ان متوسط حرارة الشمس على سطحها ٧٤٠٠ درجة بمقياس سنتغراد

فهرس الجزء الخامس من المجلد التاسع والاربعين

صفحة

المقتطف

الجزء السادس من المجلد التاسع والاربعين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١٦ — الموافق ٥ صفر سنة ١٣٣٥

متى تنتهي هذه الحرب

قال ثيوسيديدس المؤرخ اليوناني الحكيم « ان الحرب ابعد اعمال الناس عن التقدير » .

وقال حكيم العرب زهير بن ابي سلمى من معلقتهِ المشهورة

وما الحربُ الأَ ما علمتمْ وذقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وتضرَ اذا ضرَّيتموها فتضرَمِ
فتعركُكمْ عركَ الرحى بثفالها ... وتلقحْ كشافاً ثم تحملْ فتتئمِ
فتنتجْ لكم غلمانَ اشأمَ كلهم ... كاحمر عادٍ ثم ترضعْ فتفطمِ

ولذلك مدح من يسعى في اصلاح ذات البين بين المتحاربين ولو تحمَّل الديات بنفسهِ فقال

سعى ساعيا غيظِ بن مرةَ بعدما ... تبزَّل ما بين العشيرةِ بالدمِ
فاقسمتُ بالبيت الذي طاف حولهُ ... رجال بنَوهُ من قريش وجرهمِ
يميناً لَنِعْمَ السيدانِ وُجدتما ... على كل حالٍ من سحيل ومُبرَمِ
تداركتما عبساً وذبيان بعدما ... تفانوا ودقُّوا بينهم عطرَ منشمِ
وقد قلتما انْ ندرك السلم واسعاً ... بمالٍ ومعروف من الامر نسلمِ
فاصبحتما منها على خير موطنٍ ... بعيدَين فيها عن عقوق ومأثمِ
عظيمين في عليا معدٍّ وغيرها ... ومَن يستبحْ كنزاً من المجد يعظمِ

فهل يقوم من الدول الباقية على الحياد دولتان تسعيان كما سعى رجلان من غيظ بن مرة ولتداركان الدول المتحاربة بعدما تفانت ونقولان لها ان ادراك السلم ولو بمال ومعروف هو السلامة والغنم والساعي الى الصلح ينال كنزاً من المجد يعظم بهِ . واذا لم يحدث ذلك وجرت الحال على ما رأينا في هذا العام والذي قبلهُ ولم تنشأ عوامل جديدة ليست في الحسبان فقد

تمرُّ السنة والسنتان والثلاث قبلما تضع الحرب اوزارها . فان العوامل العادية التي ينتظران تطيل هذه الحرب كثيرة متباينة لا تقتصر على العَدَد والعِدَد بل تتناول ما عند الامم المتحاربة من المال وما في صدور شعوبها من الصبر على المكاره . فاذا نفد المال او ذهب الصبر من احد الخصمين فلا بدَّ لهُ من الاندحار والاستسلام للقضاء . وقد يحدث ما ليس في الحسبان فتُغمَد السيوف بغتةً كما امتُشقت بغتةً ولكن يستحيل تقدير ذلك وتعيين زمانهِ ومكانهِ من الآن لان الحرب ابعد اعمال الناس عن التقدير كما قال ثيوسيديدس

لما نشبت هذه الحرب سألنا السيامي المحنك لورد كرومر عن المدة التي تقيمها فقال انها لا تدوم اكثر من بضعة اشهر . وقد مضت الآن سنتان و بضعة اشهر ولم نزل حيث كنا . ولما قال لورد كتشنر انها تدوم ثلاث سنوات فاكثر حسب الناس انهُ قال ذلك على سبيل المبالغة . وقد مضت سنتان وجانب من الثالثة وما من دليل قاطع على انها تنتهي هذه السنة وقد لا تنتهي في السنة الرابعة

ولم تنشب حرب في عصر من العصور استعمل فيها الناس من العلم والمهارة ما استعملوهُ في هذه الحرب . فاستعانوا بكل العلوم الرياضية والطبيعية والكيماوية والطبية وبكل ما وصلوا اليهِ من المهارة الصناعية والمالية . فاتقنوا الغواصات والطيارات والاسلحة على انواعها وتقاذفوا بالقنابل الضخمة والسوائل النارية والغازات الخانقة . ودكوا الحصون الضخمة التي يضرب المثل بمناعتها واصاروها هباء منثوراً وابدلوها بالخنادق التي لا تنال الأ القنابل تفعل بالارض فعل البراكين او بخنادق تحتها تنسف بها نسفاً . وجادوا بالاموال بسخاء ادهش كبار الماليين حتى ان ما كان ينفق على حرب كبيرة تدوم شهوراً ينفق الآن في يوم واحد

بدأت الحرب والتفوُّق لالمانيا في الاسلحة وتدرُّب الجنود وسرعة نقلهم من ميدان الى آخر حتى خُيِّل انها ستقضي على فرنسا في شهر من الزمان ثم تعود وتقهر روسيا قبل الشتاء . ولكن حسابها اختلَّ في معركة المارن وقام رجال الانكليز وتطوعوا للحرب بمئات الالوف ومن ثم صارت الحرب سجالاً واتسع نطاقها رويداً رويداً حتى عمَّت قارة اوربا كلها واشتركت فيها اسيا وافريقية وجزائر البحر واضحت الحروب القديمة امامها كالاعيب الصبيان وانضمت تركيا وبلغاريا وايطاليا ورومانيا الى الدول المتحاربة

اذا انعمت نظرك في الحروب القديمة رأيت في كل حرب منها رجلاً فاق الاقران وامسك عنان تلك الحرب بيدهِ فسيَّرها كما شاء . وقد نشرت مجلة لندن صور خمسة من الرجال العظام الذي كان لهم الشأن الاكبر في الحروب الاوربية السابقة وهم امير البحر

درايك وامير البحر نلسن والقائد ولنتن في انكلترا ونبوليون في فرنسا وملتكي في المانيا . وابقت مكاناً فارغاً لمن يستحق ان يذكر اسمهُ معهم من قواد هذه الحرب كما ترى في الصورة التالية . ولكن زمامها ليس في يد رجل واحد ولا هي خاضعة لمشيئة احد . وكأن القوّاد فيها مسيَّرون لا مخيَّرون وغاية ما يتوخونهُ ان يسيروا مع التيار ولا يغوصوا فيهِ حتى يبتلعهم وما منهم مَن يتوقع ان يضرب خصمهُ ضربة فاصلة في القريب العاجل

افتبقى الحال على هذا المنوال وتستمرُّ الحرب سجالاً سنين كثيرة . كلاَّ فقد زالت الاحلام التي كانت المانيا تمني نفسها بها وصارت ترضى من الغنيمة بالاياب وتخرج من هذه المعمعة لا عليها ولا لها . وجعلت تنادي باعلى صوتها انها دُفعت الى الحرب مُكرَهة وتود ان يقوم مَن يخرجها منها . والحلفاء رأَوا الآن ان الحصر البحري لم يمت الالمان جوعاً ولا حرمهم من مواد الحرب وانهم على كثرة مَن قُتل منهم ومن جرح واسر لم يزل جيشهم كبيراً جدًّا ولم يزالوا قادرين على الدفاع وعلى الهجوم ايضاً ولم تنفد حيلتهم الواسعة في الاختراع والاستنباط وقد استخدموا العدد العديد من الاسرى في الصناعة والزراعة لكي يتفرغ رجالهم للحرب والصدام . والتفت الى ذلك مكاتب في جريدة التيمس فقال ما خلاصتهُ

« ان الالمان لجأُوا الى الدفاع بعد الهجوم في كل الميادين تقريباً والحلفاء يفوقونهم في كل شيء عدداً ومادةً ما عدا القوة العقلية وفي يدهم زمام البحار فهم يضيقون على الالمان تضييقاً لا يضعفهُ علم ولا تقوى على احتماله حمية وطنية مهما عظمت . وما من دولة محايدة يؤْبهُ لها الاَّ وهي تفضل الانضمام الينا على الانضمام اليهم . وستكون العاقبة لنا حتماً ولكنها قد لا تزال بعيدة فان المانيا لم تقهر حتى الآن . تجنبت بوارجها القتال قبل ان يقضى عليها . نعم أُقفلت اسواق المسكونة في وجهها وأُرصدت ابواب البحار امام سفائنها وقد حدث مثل ذلك لنوبوليون بونابرت في معركة الطرف الاغر ولكنهُ بقي في اوج مجدهِ وبقيت ملوك الارض تخطب ودهُ وتتسابق الى نيل رضاهُ

« والانسان يعيش في البر لا في البحر والدولة البرية التي تتسلط على نصف اوربا وتمتد سلطتها من البلطيك الى الاناضول لا يمكن اذلالها بقوة بحرية لانها لا تزال تستورد ما تحتاج اليهِ من البلدان الواسعة التي تحت سطوتها

« ولا مشاحة في ان ايصاد البحار دون المانيا قد اضرَّ بها كثيراً ولكن الضربة القاضية لا تكون الاَّ في البر . هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل (وقد مثلت ذلك مجلة لندن بصورة وقف فيها الجنرال جوفر الفرنسوي امام امير البحر جاليكو الانكليزي

وقال نعمًا ما فعلت ولكن الضربة القاضية تكون في البر لا في البحر كما ترى في الصورة التالية)

« ولقد اخطأنا في القاء اعتمادنا كله على قوتنا البحرية واهمالنا لقوتنا البرية فكنا كالخراف امام الذئاب لما ذهبنا لمحاربة المانيا في فرنسا لاننا اعتدنا الراحة والرفاهة فاسأنا الى انفسنا والى اوربا كلها باهمالنا قوتنا البرية

« وسبيلنا الآن ان نعلم ان قوة المانيا الحربية لم تضعف حتى الآن ولا دليل على انها لا تستطيع مواصلة الحرب وامداد جنودها بالرجال والسلاح سنةً اخرى او سنتين

« من المحتمل ان قيادة جيوش الالمان جعلت منذ الربيع الماضي تخفي عدد قتلاهم وجرحاهم ولا تذكر الأ القليل منهُ حالما رأت اننا نعنى بذلك ونبني عليهِ احكامنا. ولها غرض آخر اهم وهو ان لا يعلم الشعب الالماني ما حلَّ برجالهِ . ومع ذلك فانها لم ترسل الى ميدان القتال حتى الآن الأ القليل من مجندي سنة ١٩١٧ ولم ترسل احداً من مجندي سنة ١٩١٨. وهي تستطيع ان تجند كل سنة نحو نصف مليون من الشبان . وكثيرون من الجرحى يشفون و يعودون الى ميادين القتال. وقد يكون عندها الآن مليونان من الرجال المستعدين لحمل السلاح وانجاد الجنود المقاتلة . ولا جدال في انها خسرت هي والنمسا خسارة فادحة في الصيف الماضي ولكن خسارتهما هذه لا تستلزم ان يطرحا سلاحهما حالاً و يطلبا الصلح ناهيك عن ان التزامهما خطة الدفاع تقلل خسارتهما من الرجال وتمد اجل الحرب كثيراً

« فلا ينبغي لنا ان نتوانى بل يجب علينا ان نزيد همةً واقداماً ونوالي الهجوم نحن وحلفاؤُنا ونكثر من سبك المدافع والقنابل واعداد الجنود ونستعين بكل رجال الامبراطورية البريطانية . وما دامت حكومتنا قد اقرَّت التجنيد الجبري ووزَّعت ادارة الاعمال على الاكفاء من الرجال فلا يهمنا بعد الآن مَن يدخل الوزارة او مَن يخرج منها

« وستنتهي هذه الحرب حينما تتأكد المانيا انها تخسر كثيراً باطالتها ولا تستفيد شيئًا منها. ولكن ما من احد يعلم متى يكون ذلك . من المرجح ان اولي الامر في المانيا علموا الآن هذه الحقيقة ولكن يصعب عليهم ان يجاهروا بها قبلما تدور الدائرة على قوادهم في معركة كبيرة فاصلة لاسيما وان الشعب الالماني قد استهوي وأُقنع ان الفوز في يدهِ فيصعب عليهِ ان يصدق الآن ما يناقض ذلك »

واستطرد الكاتب الى ما يجب على الامة الانكليزية فعلهُ بعد ان يعقد النصر للحلفاء فقال

« ان الحرب ستنتهي يوماً ما فكيف يكون حالنا حينئذٍ . اذا اعتبرنا قوانا البرية والبحرية وخيرات بلادنا فسنصير اعظم دولة حربية في المسكونة ونكون معتمد حلفائنا ونمتلك ١٠ مساحةً

مليون ميل مربع من مستعمرات الالمان و يكون عندنا جيش محنك من الجنود والضباط يعدُّ بالملايين و يزيد تفوُّقنا البحري عمَّا كان قبل الحرب وتحقق الامم كلها ان امبراطوريتنا مرتبطة بعضها ببعض . عراها لا تنفصم وشعوبها لا تقهر وفعالها خليق بماضيها المجيد

« ولقد كان ضعفنا العسكري شوكاً في جنب جنودنا في السنوات الاخيرة وهو من اكبر الاسباب لنشوب هذه الحرب الاَّ انَّ ذلك قد مضى وانقضى . لكننا قد نخسر كل ما اكتسبناهُ الآن اذا قامت فينا وزارة تطلب ان نطبع سيوفنا سككاً ورماحنا مناجل قبل ان يحين الزمان الصالح لذلك . فيجب علينا ان نكون على حذر مدة خمسين سنة الى ان تزول رزايا هذه الحرب وما اثرتهُ في النفوس و يعود الامن والسلام الى نصابيهما

« وعلينا ان نحذر الغرور كما نحذر الخمول لئلاَّ نضيع ثمار الظفر فقد أعطينا زعامة حلفائنا فصارت زعامة اوربا لنا بحق مكتسب فلا ينبغي لنا ان نحل محل المانيا فنكون قوة حربيَّة مستبدة مثلها لاننا اصحاب البوارج والرجال والاموال ونتوخى التفوق الحربي على غيرنا بل يجب ان يكون غرضنا النفع العام وخدمة نوع الانسان . اما البحر فيجب ان يبقى لنا التفوق فيهِ واما البر فيجب ان يكون عندنا من القوة ما يكفي لحماية ثغورنا و بلادنا مهما اختلفت تصاريف الزمان . ولا نخدعنَّ انفسنا بان القوة البحرية كافية وحدها كما فعلنا فيما مضى

« يجب ان نمرن شباننا كلهم على استعمال السلاح لا لكي يضرموا نار الحرب بهِ بل لكي يمنعوا اضطرامها ويحموا كل املاكنا ومستعمراتنا و يحفظوا تاريخ اسلافهم المجيد

« والفوز في الحروب والتغلُّب على المكاره مغروسان في نفوسنا حتى ان جنودنا الذين دارت الدائرة عليهم في اول الحرب واضطروا ان يعودوا القهقرى امام العدو لم يكن يخطر لهم ان يفتكروا او يشكوا الاَّ بان الفوز سيكون لهم اخيراً . وقد دامت هذه العزائم كل مدة الحرب وستبقى اشرف ميراث نورثهُ لذريتنا من بعدنا »

هذا ولم نكد ننتهي من كتابة هذه السطور حتى طيَّر الينا البرق ان المانيا عزمت ان تجعل بلادها كلها معملاً للاسلحة والذخائر الحربية او ان تحسب البلاد كلها محلاً تجاريًّا كبيراً وتستخدم كل ما في بلادها من الايادي العاملة ومعدات العمل لخدمة الجيش وان لا تكتفي باستخدام الرجال والاسرى بل تستخدم النساء ايضاً و يقال انها عزمت على تجنيدهنَّ ايضاً . وان انكلترا قررت انشاء ادارة للتموين برآسة رجل مطلق التصرُّف يحق لهُ ان يرغم الناس على الاقتصاد وانها حظرت على السكان اتلاف المواد الغذائية واستعمال السكَّر في الكماليات وطحن الدقيق على الاسلوب الذي يزيل منهُ المدة السمراء فتقل تغذيتهُ

علاج الدوسنطاريا الجديد [1]

جربت الانزيم اوزون الذي اخترعهُ حضرة الدكتور بحري بك المدرس في مدرسة الصيدلة بقصر العيني في ثلاثين مريضاً مصابين بالتهابات معوية دوسنطارية بعضها حادٌّ والبعض مزمن ومعظمهم في سنّ الكهولة . فكانت نتيجة تجاربي ما يأتي . واني اقتصر هنا على وصف اهمّ المشاهدات

(١) خليل رضوان . حلاّق عمرهُ ٥٥ سنة فيهِ ضعف عام ناشئ من دوسنطاريا مزمنة اصيب بها قبل معالجتي اياهُ بثلاثة اشهر وكان يشكو « تعنياً » شديداً ومغصاً والماً عند الضغط على البطن . ويتبرز نحو ٣٠ مرة في اليوم والبراز مؤلف من كمية قليلة من المواد المخاطية يخالطها دم . وقد استعمل جميع الادوية المعتادة بلا فائدة

وعند مشاهدتهِ اشرت عليهِ بالاقتصار على شرب اللبن وحقنتهُ تحت الجلد مرة كل يوم مدة ستة ايام بسنتمترين مكعبين من الانزيم اوزون كل مرة . ولاحظت ان حرارتهُ ارتفعت بعد الحقنة الاولى ببضع ساعات فبلغت ٣٨ درجة سنتغراد والتهب الجلد في موضع الحقنة ولم تتحسن الحالة الدوسنطارية

وفي اليوم الثاني اي بعد الحقنة الثانية هبط عدد التبرزات الى عشرة وخف التعني . وبعد الحقنة الرابعة صار برازهُ طبيعيًّا وزالت منهُ المواد المخاطية الدموية وشفي تماماً بعد الحقنة السادسة . ولم ينتكس حتى الآن

(٢) فرج حنا . ممرض عمرهُ ٣٠ سنة مصاب بدوسنطاريا مزمنة مستعصية من مدة ستة اشهر قبل رؤْيتي اياهُ ولم يتبع نظاماً معيناً في اكلهِ وتعالج بزيت الخروع وسلفات الصودا والسيمارو با وقشر الرمّان والتنين والمصل ضد الدوسنطاريا فلم ينتفع منها . وحقنتهُ انا نفسي اربع مرات بالامتين فتحسنت حالهُ وقتيًّا ورأيتهُ بعد ذلك بشهر واذا بمرضهِ قد اشتدَّ فحقنتهُ بخمس حقنات من الانزيم اوزون في خمسة ايام متوالية فشفي شفاء تامًّا ولم ينتكس الى الآن

(٣) مريم بقطر . عمرها ٥٠ سنة . مريضة في حال النقه من الحمّى الراجعة ومصابة بتصلب الشرايين والانفزيما . وبلغ منها الضعف ان حالتها اضطرت الطبيب الى حقنها بزيت الكافور

(١) ترجمة رسالة تلاها الدكتور فليمون فيتالي الطبيب في مستشفى الامراض المعدية بالعباسية على المجمع العلمي المصري في جلستهِ الاخيرة ذاكرًا فيها نتيجة التجارب التي جربها في استعمال الانزيم اوزون الذي استنبطهُ الدكتور بحري بك الكيماوي المعروف للمصابين بالنزلات المعوية الدوسنطارية

تحت الجلد . وكانت قد اصيبت بدوسنطاريا شديدة منذ ١٠ ايام تتبرز من ٣٠ الى ٤٠ مرة في اليوم . فحقنتها خمس مرات بالانزيم اوزون فتحسنت حالتها سريعاً بعد الحقن . ثم اكلت خياراً وطمعية فانتكست فحقنتها ثلاث مرات بالانزيم وشددت عليها بشرب اللبن فشفيت تماماً

(٤) محمد مصطفى . عربجي مدمن للخمر والحشيش اصيب بالدوسنطاريا بعد سكرة طافحة يوم شم النسيم . مدة المرض ٦ ايام وعدد التبرزات ١٥ في اليوم تصحبها العوارض الاكلينيكية المعروفة . فعملت له حقنة واحدة وفي اليوم التالي هبطت التبرزات الى مرتين فقط وكانت طبيعية . ولم ينتكس

(٥) احمد متولي . بناء مصاب بدوسنطاريا حادة مدتها عشرة ايام وعدد التبرزات ١٠ في اليوم وقد رأيته يأكل فولاً مدمساً فعملت له حقنة واحدة احدثت له انزعاجاً دام ١٢ ساعة . ولم يتبرز الا مرة واحدة في الاربع والعشرين ساعة التالية للحقنة وشفي تماماً بلا نكسة

(٦) هانم يوسف . ممرضة عمرها ٣٠ سنة اصيبت بالدوسنطاريا قبل المشاهدة بخمسة عشر يوماً وكانت تستر مرضها خوف ملازمة السرير . وكانت تشعر بمغص شديد وتعن قوي وتتبرز ٢٠ مرة في اليوم . فحقنت مرة بالانزيم فسبب لها التهاباً موضعياً وضعفاً عاماً وصداعاً وارتفعت حرارتها الى ٣٨ سنتغراد وبقيت مرتفعة ثلاث ساعات ولم تتبرز سوى ثلاث مرات في الاربع والعشرين ساعة التالية . وكان البراز مهلاً وطبيعياً ولم تنتكس . وكانت قبل اصابتها تمرّض امرأة اوربية مصابة بالتيفويد والدوسنطاريا سيأتي الكلام عليها فيما بعد . وقد شفي جميع المرضى الذين عالجتهم سوى اربعة كانت الدوسنطاريا فيهم مضاعفة بامراض اخرى شديدة فتوفوا وواحد شفي بغير الانزيم: وهاك ملاحظاتي عنهم

(١) سيدة اوربية مسنة اصيبت بحمى تيفويدية مضاعفة بدوسنطاريا شديدة وضعف عام فحقنت ثلاث مرات بالانزيم فلم يجدها نفعاً فتوفيت بعد ايام قليلة . ومما يلاحظ انها اعدت الممرضة هانم يوسف بالدوسنطاريا دون التيفويد مع وجود مكروب الحمى والدوسنطاريا في برازها في وقت واحد

(٢) طفل اصيب بالتهاب رئوي شعبي ودوسنطاريا حقن مرة بالانزيم وتوفي في اليوم التالي

(٣) صبية اصيبت بالتيفويد مع شلل نصفي ودوسنطاريا فتوفيت

(٤) غلام نوبيّ اصيب بالتيفويد مع اسهال شديد فتوفي

(٥) شاب اوربي معتوه في حال النقه من التيفويد اصيب بدوسنطاريا اميبية مستعصية جداً . حقن بالامتين ١٢ مرة وبالمصل المضاد للدوسنطاريا ٤ مرات وبالانزيم

٥ مرات وشرب عدة مطهرات وقوابض للامعاء فلم ينفعهُ ذلك كلهُ وانما نفعتهُ الحقن الشرجية بسلفات النحاس مرتين في اليوم

ولم اتمكن من فحص براز جميع المرضى بالمكرسكوب ولكني فحصت ثمانية منهم فوجدت الاميبا في الشاب الاوربي المعتوه دون غيره

وحصل لاكثر المرضى انزعاج عام (خستكه) وصداع خفيف وارتفاع في الحرارة بعد الحقنة الاولى ببضع ساعات ولكن ارتفاعها لم يدم اكثر من اربع ساعات . وحصل لهم ايضاً التهاب جلدي محل الحقن كانت تبلغ مساحتهُ سنتمترين الى ثلاثة سنتمترات مربعة وكان يزول بالدهن بصبغة اليود . ويظهر لي ان سبب هذا الالتهاب فعل الانزيم بالجلد لانني عقمت الحقنة والجلد بنفسي . ولاحظت ان عدد التبرزات كان يهبط وحالة المريض تحسن بعد اول حقنة . واستنتج من هذه التجارب ما يأتي :

اولاً ان الانزيم اوزون لا يؤثر تأثيراً سيئاً في المريض مهما كانت حالتهُ من الضعف فليس هناك مانع يمنع استعمالهُ

ثانياً ان الانزيم اوزون ينفع في الالتهابات الدوسنطارية الحادة والمزمنة على السواء

ثالثاً ان فعلهُ يضاهي فعل الامتين والمصل المضاد للدوسنطاريا ولكنهُ اعظم نفعاً واسرع مفعولاً من العلاجات الاخرى كالمسهلات والقوابض ومضادات عفونة الامعاء

الدكتور فليمون ڤيتالي

وقد كتب الينا حضرة الدكتور ابو خاطر ما يأتي :

ي ق عمرهُ ٣٩ سنة تاجر في السودان منذ سبع عشرة سنة اصيب بالدوسنتاريا منذ ١٨ شهراً وحضر الى الاسكندرية في ٢٠ سبتمبر حيث اخذ بعض الاطباء الذين لا غبار على معارفهم يعالجونهُ واستوفوا فيهِ كل انواع العلاج . وحقن في السودان والاسكندرية بستين حقنة بالاماتين بلا فائدة . ثم حضر في اكتوبر الى مصر فحقن بعشر حقن من مصل الدكتور بجري كل يوم واحدة فظهرت الفائدة جلية بعد الحقنة السادسة و بعد العاشرة كان الشفاء تامًّا ثم حقن احتياطاً بواحدة كل يومين وبلغ كل ما حقن بهِ ١٤ حقنة . وهو الآن بصحة تامة يتناول من الغذاء صباحاً فنجان كاكاو و بيضتين والظهر فولاً وماكرونه وارزاً بلبن وفي المساء كاكاو ولبناً

فنجاح مصل الدكتور بجري في هذه الحادثة باهر والآمال بهِ كبيرة

الدكتور امين ابو خاطر

امالي ٌّحيوية والشيخوخة

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٢) اسباب الشيخوخة

ان المصائب التي تبتلي الانسان في الشيخوخة تقضي بالبحث عن الاسباب التي يمكن ان تكون علة لها . والآراء في ذلك كثيرة ومتضاربة نقتصر على ذكر المهم منها فيما يأتي

زعم بعضهم ان حياة الحويصلات تقوم بخمير حيوي خصوصي يضعف شيئاً فشيئاً كلما نمت الحويصلات وتكاثرت الاَّ ان هذا الزعم نظرية فرضية لا يؤيدها برهان لان هذا الخمير لم يشاهدهُ احد ولا يعلم هل يوجد حقيقة او لا

وزعم البعض ان التولد الحويصلي محدود وغير كافٍ لتجديد النقص في الحويصلات التي تتألف منها البنية . وبما ان الشيخوخة تحصل في الانواع والافراد والاعمار المختلفة فعدد المواليد التي تستطيعها الحويصلة يختلف باختلاف هذه الاحوال . وقد تعذر عليهم ان يفسروا كيف يقف تكاثر الحويصلة عند عدد معين في فردٍ ويزيد كثيراً في فرد آخر

وزعم آخرون ان النمو في الحيوان يأخذ بالتباطوء من الولادة فما بعدها وان قوة الحويصلة على التكاثر تضعف رويداً رويداً كل مدة الحياة فيوءدي هذا الضعف ضرورةً الى حالة لا يعود الجسم فيها قادراً على تعويض النقص فيحصل الذُّبول والضمور . يدحض ذلك ان تكاثر الحويصلات الذي يكون على اشدهِ في الدور الجنيني ويأخذ بالتباطوء بعدهُ يبقى سائراً في كل ادوار الحياة باختلاف في القوة والنشاط

وزعموا ايضاً ان صعوبة شفاء الجروح في الشيوخ عائد الى نقص التولد الحويصلي وان حويصلات المبادلة التي تقوم في الأدمة مقام الحويصلات المندثرة ينقص تولدها نقصاً كبيراً . وبما ان جفاف الاقسام السطحية وتقشرها يسيران بدون انقطاع فمن الضرورة ان يوءدي ذلك الى خسارة الادمة وفقدها فقداً تامًّا . وطبقوا هذه النظرية على الغدد التناسلية والعضلات وما سواها من الاعضاء . يدحض ذلك ان الشعر والوبر والاظافر وهي فروع من الجلد يبقى نموها سائراً كل مدة الحياة حتى في الهرم وكثيراً ما يزيد نموها فيهِ . ومن الواضح ان هذا النمو لا يحصل الاَّ بتجدد الحويصلات التي تتألف هي منها لان الوبر الذي يكسو بعض اقسام الجسم يزيد كمية وطولاً في الشيخوخة ولان الشعر في بعض السلالات الواطئة كالمغول يكون اقل في الشباب مما هو في الكهول والشيوخ . فشعر الشارب لا ينبت في

الشباب واللحية نادرة او لا وجود لها · و يشبه ذلك ظهور شعر الشاربين في عجائز النسل الابيض لان الزغب الذي يغطي الشفة العليا والذقن والخدين في الفتيات و يكاد يكون غير ظاهر ومحسوس يتحول في شيخوختهن الى شعر حقيقي و يتولد منهُ شنب وعارضان ولحية

ينمو شعر الصدغ في شيخ ابن ٦١ سنة ١١ مليمتراً في الشهر وفي فتى سنهُ ١١ — ١٥ سنة ١١ مليمتراً الى ١١٫٨ · فالنمو يقرب ان يكون متعادلاً بينهما رغماً عن الفرق العظيم بين العمرين وهذا دليل واضح على ان النمو الحويصلي في الشيوخ ليس بضعيف · وقد تحققنا نمو الاظافر حتى الهرم لان ظفر الاصبع الوسطى في يد مدام روبينو التي ذكرت آنفاً طال مليمترين ونصف مليمتر في ثلاثة اسابيع فكان يقضي ذلك بتقليمها من وقت الى آخر · ووجدنا ظفر امرأة عمرها ٣٢ سنة يطول ثلاثة مليمترات في اسبوعين فالفرق بين نمو هذه وتلك لا يقابل الفرق العظيم بين العمرين · على ان شعر الشيوخ وان بقي نموهُ سائراً فانهُ يصاب بحوُول الشيخوخة الظاهر بالشيب فهو ينمو طولاً الأ ان مادتهُ الملونة تقل شيئاً فشيئاً الى ان تزول تماماً · وقد عللت ذلك في كل ما سبق لي من الكتابات سواء كان في كتابي « دروس في الطبيعة الانسانية » او في المقالات الكثيرة التي نشرت في المجلات وانا الآن اشد تمسكاً برأيي الذي ارتأيتهُ والذي يجب ان يكون اساساً لتفسير كل ظواهر الشيخوخة

اثبت فيما سبق ان الفاغوسيت(١) يلاشي المادة الملونة للشعر وقياساً عليهِ يكون ضمور

(١) في هذه المقالة بعض كلمات مستحدثة في الطب رأينا تفسيرها في هذه الحاشية تسهيلاً لفهم المقالة وهي :

(٢) المكروفاج Macrophages اسم جنس للحويصلات التي تكون بتقدم العمر وتسطو على الحويصلات التي تتألف منها الاعضاء فتتلفها

(٣) الفاغوسيت Fagocytes نوع من المكروفاج يفترس الحويصلات الطرية كحويصلات العضلات والكبد والكليتين

(٤) النيوررونوفاج Neuoronophages نوع من الفاغوسيت يفترس الحويصلات العصبية

(٥) الاوستيوكلاست Osteoclastes نوع الفاغوسيت الذي يفترس المادة العظمية

(٦) الكروموفاج Cromophages الفاغوسيت الذي يمص المادة الملونة للشعر

(٧) الميوفاج Myophages الفاغوسيت الذي يتلف الالياف القابضة للعضلات

(٨) الساركوبلاسما Sarcoplasma هي الحبيبات التي تكون ضمن الحويصلات ومنها تتكون المادة العضوية وخصوصاً العضلات وفي الشيخوخة تصبح فاغوسيتاً لاتلاف الميوبلاسما

(٩) الميوبلاسما Myoplasma هي السائل الذي يكون ضمن الحويصلات ومنهُ تنشأ قوة النمو في العضلات

(١٠) الارتيريوسكليروز Arteriosclerose هي العلة المعروفة بتصلب الشرايين وتحصل من رسوب المادة الكلسية على جدرانها

(١١) الاثروما Atherome علة شريانية مسببة عن الارتيريوسكليروز وفيها تضيق فتحة الشريان الاورطي

الاعضاء السائرة الى الشيخوخة ناتجاً من فعل المفترسات التي من طائفة الفاغوسيت وهي المكروفاج . فطائفة الفاغوسيت هذه هي التي تلاشي افضل العناصر في بنيتنا كالحويصلات العصبية والكبدية والكلوية وقد اقام مذهبنا هذا قيامة المعارضين واثاروا علينا حرباً عنيفة ولاسيما فيما يختص بمكروفاج النسيج العصبي في الشيخوخة

وكان اخص المعارضين لنا علماء الاعصاب فحمل مورينسكو من مدة طويلة حملة كبيرة وانكر علينا القول بضمور الحويصلة العصبية فقال ان الفاغوسيت الذي يحيط بحويصلات الدماغ ويفترسها لا يوجد غالباً في الشيوخ ولو بلغوا من العمر طويلاً . واثباتاً لزعمه تلطف فارسل اليَّ انموذجين من تحضيراته المأخوذة من دماغي شخصين طاعنين في السن فراجعتها وانعمت النظر فيها فاقتنعت بخطإ مناظري لاني وجدت في دماغي هذين الشيخين (مات احدهما وعمره ١١٧ سنة) كمية كبيرة من الحويصلات الدماغية محاطة بالفاغوسيت وسائرة الى التلف الا ان تلوين القطع كان ضعيفاً وكانت الصورة اقل وضوحاً من الصور التي نحضرها نحن لابحاثنا

ثم نشر مورينسكو انتقاداً جديداً على مذهبي هذا بدون ان يلتفت الى جوابي وكتب فصلاً طويلاً عنوانهُ «دروس هستولوجية في سير الشيخوخة» وابتكر اسماً حلَّ محل الفاغوسيت وهو النيورونوفاج الا انهُ انكر ان لهُ سلطة على الاجسام الغريبة وزعم ان الحويصلة العصبية تضمر بدون ان يكون لضمورها علاقة بالعناصر التي تحيط بها وان النيورونوفاج لا يعمل فيها عملاً ما بل يضغط عليها ويزحزحها من مكانها ويحل محلها فتضمر بخسارة مكانها وغذائها . وقال ما خلا ذلك ان الحويصلة العصبية لا توجد على الاطلاق ضمن النيورونوفاج ولهذا لا يجوز ان يعد النيورونوفاج فاغوسيتاً اي لا يجوز اعتبارهُ عنصراً من العناصر المفترسة التي تستطيع ان تلتهم الاجسام التي تخالطها . وجاراهُ كثيرون على ذلك وزاد بعضهم ان النيورونوفاج تكون غالباً خالية من البروتوبلاسما اوليس لها منها سوى قشرة رقيقة

لا محل هنا لتفنيد آراء مناظرينا بالتفصيل الا اننا نوجه النظر الى الخطإ الذي سرى الى عملهم فافسد برهانهم وهو اننا اذا اردنا ان ندرس بنية الجهاز العصبي وجب ان نعالجها بكواشف يصعب معها المحافظة التامة على النسيج العصبي اللطيف ولهذا يجب قبل بت الحكم في نتيجة الفحص ان يراعى ما يطرأ على النسيج العصبي من التغييرات التي يصعب على الغالب اجتنابها . وبياناً لذلك اذا القينا نظرنا على الصور التي صورها اولئك العلماء واستشهدوا

بها على اثبات رأيهم وجدنا ان النيورونوفاج قد عولج بتحضيراتهم معالجة سيئة وتحققنا ان تهتك الحويصلات بالعمل الصناعي هو الذي حملهم على الزعم ان النويات التي تحيط بالحويصلات العصبية لا عمل لها وعلى القول بخلو العناصر من البروتوبلاسما او باحتوائها على قشرة رقيقة منها

ان المعروف والمحقق ان النويات لا تكون حرةً على الاطلاق واذا وجدت خالية من البروتوبلاسما كان ذلك ناتجاً بدون شك من خلل في طريقة التحضير · فالنيورونوفاج لا يتألف من نواة وغلاف قشري فقط بل يحتوي كما تحتوي كل حويصلة على بروتوبلاسما الأ ان البروتوبلاسما فيهِ تذوب غالباً بالطرق العنيفة التي تستعمل بالتحضير الهستولوجي

يذكرني برهان مناظريّ بجواب تلميذ في الطب عن سؤال استاذٍ سألهُ ما هو مكروب السل اجاب هو باشيلوس صغير احمر والحقيقة ان باشيلوس السل هو مثل كل المكروبات لا لون لهُ فيلوَّن عادة بلون احمر لكي تستطاع روءيتهُ فالتلميذ الذي لم يعرف هذا الباشيلوس الأ في التحضيرات الملونة رسخت معرفتهُ في ذهنهِ مغلوطة · والنيورونوفاج اذا عولج بالطرق الموافقــة ظهر كما تظهر كل الحويصلات غنيًّا بالبروتوبلاسما واذا عولج علاجاً لا يذيب محتوياتهِ ظهرت فيهِ محتويات بهيئة حبيبات شبيهة بالحبيبات التي توجد داخل الحويصلات العصبية

انصرف مانوليان من معهد باستور الى تحسين طرق التحضير ليتمكن من درس النيورونوفاجي وجلاء غامضها فاتضح لهُ ان الحويصلات العصبية التي تتلف في المصابين بالكلب يتسبب تلفها من امتصاص النيورونوفاج المحيط بها لما في باطنها وثبت لهُ من ابحاثنا في الغدد الدماغية الشوكية في الانسان المصاب بالكلب وجود فاغوسيت لا ريب فيهِ · وان اكثر الحويصلات العصبية الغددية يظهر ضمن بروتوبلاسماها عدد كبير من الحويصلات الصبغية بلون اسمر واسود واصفر وتلك الحبيبات تجتمع غالباً على هيئة كتل مندمجة · فاذا لم تكن هذه الظواهر نتيجة افتراس العناصر الهاجمة اي نتيجة الفاغوسيتوز بل نتيجة العمل الميكانيكي للعناصر كما يدعي مور ينسكو وجب ان تكون الحبيبات منتشرة في النسيج الموصل بين الخلايا وليس ضمن العناصر الهاجمة

لاسبيل بعدُ للريب ان النيورونوفاج يحيط بالحويصلات العصبية في حوُول الشيخوخة ويمتص ما في باطنها فيسبب ضمورها كليًّا او جزئيًّا واما الزعم بان النيورونوفاج لا يعد من نوع الفاغوسيت لانهُ لا يدخل الى باطن الحويصلة ليمتص ما فيهِ فباطل من حيث ان

الفاغوسيت لا يلزمهُ عند امتصاص عنصر حويصلي ان يحيط بالحويصلة كلها او ان يدخل الى باطنها بل يكتفي باخذ جزء من باطنها واحداث عمله فيها

ثم وان يكن تلف الحويصلات العصبية في الهرم امراً عامًّا الاَّ ان الشواهد على بقائها سليمة فيه ليست معدومة وعليهِ لا غرابة اذا سلمت بعض القوى العقلية في الشيوخ بسلامة الحويصلات الدماغية من فعل النيورونوفاج الاَّ انها شواهد نادرة والقاعدة العامة هي ان يعمل النيورونوفاج عملاً كبيراً في ادمغة الشيوخ فيخسروا بذلك قوام العقلية

***

ان الفاغوسيت ليس العامل الوحيد الذي يؤدي عملهُ الى تلف الانسجة لان الكرومفاج يفعل في الشيب والنيورونوفاج في ضمور الدماغ والى هذين الصفين من الفاغوسيت المختصين برتبة المكروفاج ينضم كثير من العناصر المشابهة لها التي تُساق الى انسجة الشيوخ وتتلف فيهم الحويصلات المختلفة المهمة كالحويصلات الكلوية والحويصلات الكبدية واذا كانت ظواهر الفاغوسيتوز اي ظواهر الافتراس غير واضحة في عمل المكروفاج كوضوحها في كثير من الامراض العفنية فذلك راجع الى خاصة في المكروفاج وهي انهُ لا يمتص ما في باطن الحويصلة دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً وفي اقسام صغيرة منها وتتضح خاصتهُ هذه جيداً في ضمور المبيض لانهُ متى احاط بهِ قبض على الحبيبات التي تملأُهُ ونقلها الى مسافة بعيدة و يأخذ الفاغوسيت الذي يجاورهُ بامتصاص اجزائهِ شيئاً فشيئاً الى ان يفنى المبيض ولا يبقى منهُ شيء او يبقى جزء صغير منهُ لا اهمية لهُ او يتحول الى كتلة لا شكل لها وقد تحققت بنفسي اهمية عمل المكروفاج في ضمور العنصر المولد الانثوي ووقف منشسكي على ظواهرهِ في معملي

على ان الظواهر الفاغوسيتية الواضحة والجلية في ضمور الحويصلات العصبية والمبيضية قد تكون خفية وقليلة الوضوح والجلاء في ضمور بعض الانسجة كالعضلات . فالمعروف ان اوضح اعراض الشيخوخة ضعف العضلات وان من يبلغ الستين من العمر لا يكلف عملاً من الاعمال التي تستدعي الجهد العضلي لانهُ لا يستطيع ان يقوم بهِ كما كان يقوم بهِ قبل هذا العمر اذ تكل العضلات بسرعة وتضعف حركتها و يبطؤُ المشي و يصبح متعباً . ومن تبقَ فيهِ القوى العقلية نشيطة يشكُ من الضعف العضلي الشديد . فهذه الحالة هي حالة ضمور حقيقي في النسيج العضلي الذي استلفت انظار العلماء من مدة طويلة ووجهوا اليهِ بحثهم

فثبت لهم حصول تغيير في النسيج العضلي المخطط وظهور الضمور الحقيقي في العضلات الكبرى حيث شاهدوا ان حزمها ترق وان نسيجها يمتلئ بالحبيبات السمراء والمصفرة وبالنويات الحويصلية التي يتألف منها مجاميع متوالية تبدو عليها علامات النشاط الموضعي بالتكاثر الذي يشبه كثيراً تكاثر المجاميع الجنينية

وبما ان لحؤول النسيج العضلي اهمية كبيرة للوقوف على كيفية سير الشيخوخة فقد وجهنا اهتمامنا الى درس عدة حوادث من ضمور العضلات في الحيوانات المسنة فوقفنا بسهولة على ما وقف عليه الذين تقدمونا في هذا البحث ووجدنا ان الحزم العضلية تمتلئ بالنويات التي تتكاثر فيها شيئاً فشيئاً وينتج من تكاثرها فقد المادة الانقباضية جانباً او كلها . والالياف العضلية التي حافظت وقتاً طويلاً على بنيتها المخططة ينتهي حالها بفقد بنيتها فتتحول الى كتلة عديمة الشكل يحيط بها عدد كبير من النويات

والعلماء الذين سبقونا الى مشاهدة هذه الاحوال ذكروها ذكراً بسيطاً ولم يعيروها ما تستحقهُ من الاهمية لان هذا التكاثر الواضح يدل على انهُ عرض للشيخوخة يمكن ان لا ينتج من ضعف قوة الحويصلات على التوليد خلافاً لما يزعمون في نظرياتهم الكثيرة التي يعللون بها سير الشيخوخة بل هو مظهر قوي لتلك القوة . وهذا مثال جديد نضيفهُ الى الامثلة السابقة التي عللنا بها شيب الشعر وضمور الحويصلات العصبية وهو دليل على ان الظواهر التي تظهر في حؤول الانسجة في الشيخوخة هي ظواهر خصوصية مستقلة عن القوة المولدة للحويصلات . فالنويات العضلية تزيد في ضمور العضلات كما تزيد في ضمور الدماغ النويات الدماغية التي يتولد منها النيورونوفاج وما عدا ذلك تزيد كمية المادة البروتوبلاسمية للالياف العضلية وهي الساركوبلاسما التي تعوض عن المادة المخططة للعضلات اي الميوبلاسما بمولد جديد يجب ان يوضع في صف الظواهر الفاغوسيتية . ففي الليفة العضلية الصحيحة تكون الموازنة تامة بين هاتين المادتين وبين النويات الخاصة بالساركوبلاسما واما في الشيخوخة فالساركوبلاسما ونوياتها تنمو على نفقة المادة الانقباضية فتختل الموازنة وينتج من اختلالها ضعف القوة العضلية وتصبح الساركوبلاسما في هذه الحالة فاغوسيتاً للميوبلاسما والميوفاج فاغوسيتاً خصوصياً لاتلاف المادة الانقباضية للعضلات كما اصبح الكروموفاج فاغوسيتاً للمادة الصبغية للشعر والنيورونوفاج فاغوسيتاً للحويصلة العصبية

ومن غرائب ضمور الشيخوخة التي تستلفت النظر ان اكثر الاعضاء تتصلب وتصاب بما يسمَّى بالسكليروز . والاعضاء الصلبة اي الهيكل العظمي تصير اقل صلابة فان العظام تدق

وتتسع مسامها وتخسر من وزنها وبهذا نعلل سهولة كسر العظام في الشيوخ · وقد يظن ان المكروفاج الذي يستطيع ان يتلف العناصر الطرية كالعضلات لا يستطيع ان يقضم مادة صلبة كالعظم ملآنة بالاملاح المعدنية وان ضمور العظام لا يمكن ان يكون من قبيل الظواهر الفاغوسيتية التي سبق بيانها · والجواب على ذلك ان الضمور هنا يحصل ايضاً بعمل حويصلات تشبه كثيراً بعض انواع المكروفاج وهي ذات نويات متعددة يطلق عليها اسم الاوستيوكلاست وهي لا تزدرد قطعاً عظيمة وتذيبها في باطنها بل تنمو حول الصفائح العظمية وتذيبها كأن هذه الحويصلات تفرز مادة حامضة تذيب المادة الكلسية فيلين العظم · ويرجح حصول ذلك قياساً على ما يحصل في تسوس العظام

وبعمل هذا النوع من المكروفاج اي الاوستيوكلاست يتحلل بعض الكلس من العظام ويسير في الدورة الدموية ويرسب في الانسجة المختلفة وخصوصاً في الغضاريف فتتصلب او تتعظم والى هذا السبب يرجع عيب العمود الفقري في الشيوخ اي تصلب الغضاريف بين الفقرات

وينتقل الكلس ايضاً بنوع خصوصي الى الشرايين ويرسب على جدرانها فيجعلها قاسية الى حد انها تصير قابلة للكسر وهذه الحالة هي ما يعرف عادة بالاثروما الكثيرة الحدوث في الشيوخ · وقد اتفق المؤلفون على وجود علاقة بين ضمور العظام والعلل الاثرومية وهذه العلاقة كثيرة الوضوح في الجمجمة لان الشريان الغشائي يصير اثرومياً ومتعرجاً والاثلام التي تقبه في باطن الجمجمة تزيد غوراً واتساعاً بسبب ضمور الصفائح الزجاجية وهي الطبقة الباطنة لعظم القحف وتكوّن اسناد على جوانب الاثلام

فمفارقة الاملاح الكلسية للعظام بحيث تصبح اضعف مما كانت واكثر قبولاً للكسر ورسوب هذه الاملاح على جدران الاوعية بحيث تخسر مرونتها وتصبح غير صالحة لتغذية الاعضاء التي تتوزع فيها هما من ظواهر الخلل في نظام الطبيعة في دور الشيخوخة اذ في هذه الحالة يقع فساد غير اعتيادي في قضاء وظيفة الحويصلات التي يتألف منها الجسم · واثروما الشرايين مرتبطة كل الارتباط بالارتريوسكليروز العلة الكثيرة الحدوث في الشيوخ وان تكن غير مطلقة فيهم · وهذا الانحراف الوعائي مسئلة كثيرة التعقيد لم تحلها الابحاث السابقة الى الآن حلاً مقنعاً ويدعو حلها الى ابحاث جديدة لكشف غامضها

ويرجح ان تحت اسم الاثروما والارتريوسكليروز قد جمعت امراض شريانية

من اصل وطبيعة مختلفين لانهما يحصلان احياناً عقيب علل التهابية مسببة من المكروبات وسمومها . ومن امثلتها الارتيريوسكليروز الزهري الذي تخترق فيهِ المكروبات النوعية جدران الاوعية وتحدث فيها عللاً شديداً تكون سبباً من اقوى الاسباب للشيخوخة الباكرة .

وقد اظهرت الابحاث الاخيرة حقائق مهمة جدًّا في هذه المسئلة عرفوا منها اصل بعض انواع اثروما الشرايين فقد توفق بعضهم الى احداث اثروما صناعية في الارانب بحقنها بسم المحفظة فوق الكلية اي بالادرنالين وامكن البعض الآخر احداثها بالحقن بسم الدخان اي بالنيكوتين فدل ذلك على انهُ يوجد بين العلل الشريانية التي لها شأن كبير في الشيخوخة علل التهابية مزمنة مسببة عن المكروبات وغيرها مسبب عن سم داخلي كالادرنالين او خارجي كالنيكوتين . وهذه النتيجة تتفق مع الحقيقة التي ذكرناها مراراً وهي ان العلل الشريانية وان تكن كثيرة الحدوث في الشيخوخة فليس من الضرورة ان يكون لها ارتباط بتقدم العمر

وقد استدلوا من عمل سم الادرنالين في توليد بعض العلل الشريانية على ان بعض الغدد الوعائية تعمل عملاً كبيراً في حؤُول الشيخوخة وقال بعضهم ان الشيخوخة هي استطالة مرضية ناجمة عن حؤُول الغدة الدرقية اوحؤُول الغدد الاخرى الوعائية الدموية المكلفة بوظائفها على تحقيق ظواهر التغذية وقد لاحظوا من مدة طويلة ان منظر المصابين بالانتفاخ العام Myxœdème عقيب حؤُول الغدة الدرقية يشبه منظر الشيوخ وكل من تسنَّى لهُ من السياح ان يشاهد البُله في السافوي وسويسرا والتيرول يدهش من هيئة الهرَم البادية فيهم حتى في الصغيري العمر منهم لان حؤُول الغدة الدرقية هو الذي يحدث فيهم البله وانحطاط البنية . وبما ان هذه الغدة والغدتين فوق الكلية تصاب بالحؤُول فلا يبعد ان يكون لها دخل في احداث الشيخوخة ومن المحقق ان لهذه الغدد فائدة في اتلاف بعض السموم التي تدخل البيئة فاذا اصيبت بعلة اصبحت الانسجة مهددة بالتسمم الاَّ انهُ لا يحق الجزم في ان عملها هذا يكون الباعث الوحيد او الفاعل العظيم في حؤُول الشيخوخة لان امتحانات وينبرغ في معمل باستور اثبتت سلامة هذه الغدد في الحيوانات المسنة (من نوع القط والكلب والحصان) مع وجود كل دلائل الهرَم فيها . ومات شيخ في الثمانين بذات الرئة وكانت غدتهُ الدرقية صحيحة تماماً

ومما لا يجوز اغفالهُ هو ان الشيوخ يموتون غالباً بامراض عفنية كذات الرئة والسل

والحمرة · والغدد لإعائية عموماً والدرقية منها خصوصاً تصاب غالباً في سير هذه الامراض فيقع بذلك الخلل و ينسب الى الشيخوخة ما يجب ان ينسب الى العلة العفنية

ان منظر الاشخاص الذين تستأصل منهم الغدة الدرقية يشبه منظر الشيوخ الأ انهُ لا يجوز ان نبالغ في هذه المشابهة اذ توجد فوارق بين الفريقين تميز الواحد منهما عن الآخر بعلامات خصوصية منها تورم الجلد (ايذيما) في الذين استؤصلت منهم الغدة الدرقية وعدم تورمهِ في الشيوخ · وسقوط الشعر في المصابين بالانتفاخ العام Myxœdème. واستمرار نموهِ في الشيوخ · وغزارة دم الحيض في النساء بعد استئصال الغدة الدرقية وفقدهُ في العجائز · وزيادة نمو الجهاز العضلي بعد استئصالها وضمورهُ في الشيوخ

وزد على هذا ان الابحاث الفيسيولوجية لا تؤيد الرابطة المتينة بين الشيخوخة وامراض الغدة الدرقية اذ تحقق ان استئصالها لا يحدث هزالاً الأ في صغار العمر وان خطر الهزال يزول بعد سن الثلاثين وهو حد الشباب اي دور النمو الذي تكون وظيفة الغدة الدرقية فيهِ على اقواها و يندر ان يعقب استئصالها هزال من سن ٥٠ الى ٧٠ · ومن ثم فاستئصالها من الحيوانات القراضة (الجرذان والارانب) لا يعقبهُ هزال مع انها من الحيوانات التي تشيخ باكراً ومثلها الطيور · وفي الحيوانات المجترة يعقبهُ هزال بطيء · وفي الانسان والقرود هزال معتدل ولكنهُ ثابت · وفي الضواري هزال شديد · اي ان هذه الحوادث لا تسير كلها على نمطٍ واحد

لم يبقَ محل للريب في ان الامراض العفنية تعمل عملاً كبيراً في حؤول الشيخوخة وفي اتلاف عناصر الانسجة بفعل المكروفاجات المختلفة (النيورونوفاج والميوفاج الخ) فتحل هذه محل تلك وتعوض عنها بنسيج ليفي و يمتد عملها الى اعضاء الافراز كالكليتين والى الاعضاء التناسلية و بصورة متكيفة الى الجلد والاغشية المخاطية والهيكل العظمي · وليس بين الاعضاء ما هو اقوى من الخصيتين على مقاومة هجوم المكروفاج لاننا عرفنا شيخاً عمرهُ ٩٤ سنة وآخر عمرهُ ١٠٣ سنوات كان المفرز المولد كبير الكمية فيهما وهذا ليس بنادر في الانسان وفي الحيوانات المعمرة من ذوات الثدي · وقد درسنا مع و ينبرغ حالة كلب مات وعمرهُ ٢٢ سنة بعد ان عانى الشيخوخة عدة سنوات فتحققنا وجود الحؤول في اعضائهِ مع هجوم المكروفاج وكانت خصيتاهُ بحالة نشاط عجيب دلالة على حفظ الغريزة النوعية فيهِ · ودرسنا حالة كلب آخر مات وعمرهُ ١٨ سنة كان مصاباً بالسرطان بحيث لا ينتظر ان يكون عنصر النتاج فيهِ سليماً

تحوّل الانسجة اذاً في الشيخوخة لا يجوز ان يعتبر قاعدة مطلقة لأعواذ لها وتكيّف الاعضاء فيها لا يسير كذلك سيراً مطلقاً على ناموس المكروفاج الذي بهِ تتلف الحويصلات ويعوض عنهُ بالنسيج الليفي . والاعضاء التي تولد الفاغوسيت كالطحال والنخاع "مظمي والغدد الليمفاوية وان ظهرت فيها بعض اعراض التحوّل الليفي في الشيخوخة فانهُ يبقى بها دائماً ما يكفي لتوليد كمية من المكروفاج الذي يتلف العناصر المهمة

والعضو الذي تظهر فيهِ تنوعات الشيخوخة بدون دخل المكروفاج هو العين لان الماء الازرق (الكتركتا) وقوس الشيخوخة التي تظهر على هيئة حلقة بيضاء لبنية حول القرنية وهي كثيرة الحدوث في الشيوخ هما تنوعان يحدثان من تخلل المواد الدهنية في البلورية وفي قسم من القرنية فيسبب اكدادهما وينسب رسوب الدهن في باطنها الى خللٍ في تغذيتها . واذا وقع الحوُول الدهني في قسم من اقسام الجسم عقبهُ عمل المكروفاج واما في القرنية والبلورية فلا يحصل ذلك لاسباب اخصها تشريحية لان لاكثر الاعضاء ما عدا عناصرها المهمة مكروفاجات خاصة بها مستعدة دائماً للعمل . فللمراكز العصبية النفروغلي (nevroglie) التي هي مصدر النيورونوفاج . وللعضلات المخططة الساركوبلاسما التي تعمل عمل المكروفاج . وللعظام الاوستيوكلاست . واما الكبد والكليتان فتهاجمها المكروفاجات بسهولةٍ وتسوق اليها الدورة الدموية واما البلورية والقرنية فليس لهما من العناصر ما يقوم بعمل المكروفاج

ان بعض الامراض العفنية تجلب الشيخوخة الباكرة فاولد المصاب بالزهري هو عجوز صغير ذو وجه مجعد ولون كالح وجلد ناشف مترهل كثير الغضون يبين كأنهُ اوسع مما يلزم لغلاف الجسم الذي يلبسهُ . فهذا الهزال هو بدون ريب من عمل مكروب الزهري الذي سمّ الولد في جوف امهِ . وهذه المشابهة تحمل على الزعم بان الشيخوخة قد تكون نتيجة تسمم مزمن وبطيءٍ لان السموم التي لا تقتل او التي تنفرز من الجسم تضعف الانسجة فتخل وظيفتها وتضعف الا ان الفاغوسيت هو اقوى كل العناصر على احتمال فعل السموم التي تسري الى جسمنا بل تنتبه قوتهُ احياناً بتأثير تلك المواد السمية فيقوم في هذه الحالة نزاع بين العناصر المهمة والمكروفاج تكون الغلبة فيهِ للمكروفاج

واذا شئنا ان نوضح هل في الامكان تحسين حالة شيخوختنا يجب ان ندرس المسئلة من عدة وجوهٍ . وهذا ما سنجتهد ان نبينهُ في الفصول الآتية

الدكتور
امين ابو خاطر

المتطببون في الصين

في الصين كما في سائر بلاد الدنيا وخصوصاً المشرق رجال اتخذوا التطبيب لهم حرفة من غير ان يدرسوا فن الطب او يجوزوا امتحاناً فيهِ او تكون بايديهم شهادة بانهم اهل لتعاطيهِ . فهم المتطببون لغة والدجّالون اصطلاحاً

وكثيراً ما يكون المتطبب في الصين تاجراً كسدت بضاعتهُ فافضى بهِ الحال الى الافلاس فلجأ الى معالجة الناس ولاسيما انهُ في حرفتهِ الجديدة لا يحتاج الى بضاعة كثيرة اذ الادوات الطبية والجراحية تكاد تكون مجهولة في تلك البلاد

ومن اهمّ طرق العلاج واعمها في الصين غرز الابرة وهو قديم العهد جدًّا لا يعرف بدؤُهُ بالتحقيق . فان على سطح الجلد ٣٣٧ علامة خلقية يجب على كل من شاء احتراف هذا الفن ان يعرفها و يتعلم اسماءها و يدري مواضعها بالتدقيق اذ لكل منها في زعمهم علاقة بجزء من اجزاء الجسم الباطنة . وهم يحذرون مسّ الشرايين كلّ الحذر فلذلك يضطرون الى درسها درساً جيداً تفادياً من الخطإ . ودرسهم اياها يكون على تمثال انسانيّ رسمت على سطحهِ الشرايين ودُلَّ فيهِ على المواضع التي لا يجوز غرز الابرة فيها ضرراً . وقد يتفق احياناً كثيرة ان تنكسر الابرة في جسم العليل فتترك مكانها الى ان يستخرجها طبيب من الغربيين

اما الابرة فتشبه في منظرها ابرة الخياطة العادية ولكنها اطول منها واغلظ ومن هؤلاء المتطببين ما يبلغ طول ابرتهِ قدمين . و يقول المعجبون بهم انهم يستطيعون غرزها كلها في جسم العليل من غير اذًى . وواقع الامر ان طول الابرة وغلظها يراد بهما بيان نَطَس صاحبها وامتداد شهرتهِ . وهي عندهم على ثمانية اشكال . واذا ارادوا غرزها دقّوا على طرفها الآخر بقدوم صغير

وكثيراً ما يحصل المتطبب على كتاب للوصفات الطبية من طبيب اقعدهُ العجز عن العمل . فاذا بات الكتاب في يدهِ كان آلة للموت او الحياة للقتل او الشفاء طبقاً لداعي الجهل او الاتفاق واعظم المتطببين مكانة في العيون ابناء المتطببين وخصوصاً احفادهم . فمن تطبب ابوهُ « قبلهُ ثم قبل ذلك جدُّهُ » كان صاحب القدح المعلّى في العلاج . وليست هذه المكانة مبنية على مجرّد اعتقاد بالوراثة وفعلها بل على اعتقاد بعظم قيمة الوصفات الطبية المتوارثة ابًا عن جدّ

وتختلف اجرة المتطبب باختلاف طبقتهِ وطبقة المرضى الذين يعالجهم . فاذا عادهم وهو راكبٌ المحفَّة الصينيَّة المعروفة اختلفت اجرتهُ من ٣ غروش الى نصف ريال في الكثير . وجزءٌ كبير من هذه الاجرة يدفعهُ اجرة للمحفَّة . واذا كان من اهل الطبقة الدنيا جاء على الغالب ماشياً وكانت اجرتهُ اقل مما ذكر

واهمُّ ما يلجأ اليهِ في تشخيص المرض جسُّ النبض في مواضع مختلفة من الجسم . فهو يجسهُ في الرسغين اولاً . وكلُّ رسغ مقسوم الى ثلاثة اقسام . والجسّ في كل قسم يكون على حالتين اما خفيفاً واما شديداً وكلٌّ من هذه الحالات يدلُّ على عضو من اعضاء الجسم الباطنة وبذلك يعرف الطبيب حالة اثني عشر عضواً منها كما يزعم حتى اذا عرف العلة واستقصى مكانها سأل بعض مسائل يحسبها ثانوية لا حاجة اليها في حقيقة الامر ثم يكتب وصفة تتضمن جرعات كبيرة من مركب تنقي لهُ نفس الذئب حتى ينقياً . ويعتقد الصينيون انهُ كلما كبرت الجرعة كان فعلها احسن واضمن

ومن غريب ما يذكر عن قلة فطنة الصينيين على قِدَم عهدهم بالحضارة والفلسفة واشتهارهم بالمواظبة على العمل وكونهم صنُع الايدي في كل صنعة يدوية يحترفونها — ان الاطباء الغربيين المقيمين بين ظهرانيهم اذا دعوا لعيادة مريض اضطروا ان يوصوهُ هو واهلهُ اشدّ توصية بان لا يبتلع الورق الذي يُصَرُّ الدواء فيهِ . وهذا يذكرنا قصة قرأناها عن اميركي كان مقيماً في الصين فاراد ان يعود الى وطنهِ لزيارة اهلهِ فابتاع لهم هدية طاقماً للشاي من الصيني البديع الصنع الغالي الثمن . فلما فتحت الهدية وجد احد الفناجين مشقوقاً فارسلوا الى المعمل الذي صنعت الفناجين فيهِ يطلبون صنع فنجان كالمشقوق تماماً . فجاءهم فنجان مثلهُ تماماً في كلّ شيء حتى في شقهِ !!

وفي الاقراباذين الصيني بعض الادوية المعروفة عندنا وفيهِ ايضاً كثير من الادوية مثل التي وصفتها الجنيّات الثلاث في رواية مكبث لشكسبير وهنّ جالسات حول قدرهنّ . منها جلد افعى . حيوان متحجر شعر قرن الايل وبَرَ كركدن . كتان حجري (اسبستوس) دود قزّ . سوس . صدف محارة وهلم جرًّا . ويكاد كلُّ شيء تمجهُ الذوق وينفر منهُ الانف يحسب دواء ناجعاً . وترى دكاكين الادوية كثيرة في كل مكان

واعجب من ذلك كلهِ طريقة معاملة المرضى لاطبائهم وهي تشبه طريقة اهل المشرق كلهِ قاصيهِ ودانيهِ فاذا لم يشفَ المريض سريعاً على يد طبيبهِ الاول دعا ثانياً . فاذا كان حظهُ منهُ حظهُ من الاول دعا ثالثاً . الى ان يدعو سائر اطباء الحيّ ويمتحن مهارتهم في نفسهِ

السفر بين اوربا واميركا

بالبلون

يقال ان الكونت تسبلن الالماني المعروف بالبلونات المنسوبة اليهِ يحاول الآن صنع طرز جديد يجتاز الاوقيانوس الاتلانتيكي الفاصل بين اوربا واميركا . وقد عرف عن هذا البارون ان الغاية التي كان يرمي اليها من عمل بلوناتهِ في بادئ الامر هي اكتشاف القطب الشمالي فلما سبقهُ بيري الاميركي الى ذلك غيّر خطتهُ فجعل من جملة اغراضهِ اجتياز الاتلانتيكي ببلونهِ . فتألفت لجنة لاخراج هذه الفكرة الى العمل يرأسها الاستاذ هرجسل المتيورولوجي الالماني

ومما هو جدير بالذكر ان الرحّالة الاميركي « ولمان » كان قد بنى بلوناً لاكتشاف القطب سماهُ « اميركا » فاخفق ولكنهُ سبق كلّ من سلفهُ بجعل بلونهِ يطير مدة ٧٠ ساعة متوالية من غير ان ينزل بهِ الى الارض . وحذا رحالة آخر اميركي اسمهُ « فنيمان » حذوهُ فبنى بلوناً اسمه « أكرون ا » على نية اجتياز الاتلانتيكي من الغرب الى الشرق فضاع البلون بمن فيهِ

وعلى هذا الاثر تألفت شركة المانية اميركية لعبور الاوقيانوس المذكور برآسة رجل اسمهُ جو بروكر . فصنع بلوناً سماهُ « سوكارد » وعزم على السفر بهِ من جزر كناري غربي افريقية الى جزر الانتيل الصغرى مطاوعة للرياح التجارية ثم عدل عن هذا العزم كما سيجيء

وقد بحث كاتب في السينتفك اميركان في مسئلة الطيران فوق الاتلانتيكي وما تستلزم من التدابير قبل الاقدام عليها فقال انها تستلزم اختيار طريق يكون اخصر الطرق وتكون الاحداث الجوية فيهِ اكثر ملاءمة للمسافر منها في غيرهِ . وهذه الاحداث هي اولاً دوام الحرارة والضغط الجوي على حال واحدة تقريباً غير عرضة للتقلب الكثير . وثانياً هبوب رياح ثابتة معتدلة لا تزيد شدتها على حدّ معيّن

اما من حيث الامر الاول فيقال اجمالاً ان كل تغيّر مفاجيء في درجة الحرارة والضغط الجوّي يفضي الى تقلص غاز الهدروجين الذي يملأ البلون بهِ او الى تمددهِ فلا بدّ من التحوط لذلك اذا أُريد ابقاء البلون على علو واحد وهذا ما يسمونهُ بالتوازن العمودي وهو اهمّ ما يشغل المشتغلين بهذا الفنّ . وقد احتاطوا لتقلّص الغاز وما يعقبهُ من تغيّر شكل البلون بنفخ الهواء فيهِ الى ما يسمونهُ « البالونت » وهي بلونات صغيرة ضمن البلون الكبير يبعيضهُ الهواء مما فقدهُ تقلص الغاز ولكن يزيد ثقلهُ ويقل ارتفاعهُ . ومتى تمدّد الهدروجين

ضغط على الهواء واخرجة من « البالونت » . ولكن قد يبقى المدروجين آخذاً في التمدُّد بعد خروج الهواء من البالونت فلا بدَّ حينئذٍ من ايقافهِ عند حدهِ خشية ان تفضي زيادة تمددهِ الى انشقاق البلون . وفي معظم البلونات يتدارك كون ذلك بمصراع يخرج منهُ الغاز متى بلغ حدًّا معيناً من الضغط . وعيب هذه الطريقة فقد بعض الغاز من غير ان تكون هناك واسطة لتعويضهِ عند الاقتضاء

وقد اخترع مشاهير الطيارين عدة طرق لاصلاح هذا العيب . فالطيار « ولمان » وصل ببلونهِ « اميركا » ذيلاً وتركهُ يغوص في ماء البحر فاذا خفَّ البلون بتمدد الغاز اخذ في الارتفاع فيرتفع الذيل معهُ فيزيد ثقلهُ بخروجهِ من الماء و بالتالي يزيد ثقل البلون فيكفّ عن الصعود . واذا ثقل البلون بتقلص الغاز غاص الذيل في الماء فخفَّ و بالتالي خفَّ البلون فكفَّ عن الهبوط . ولكنهُ وجد بالاختبار ان هذا الذيل لا يفي بالمرام لانهُ يعرّض البلون لكثير من الاضطراب لاقلّ نوء يحدث في البحر

اما الطيار ڤنبهان فاحاط البلون بشبكة من اسلاك الفولاذ تمنع الغاز من التمدُّد وتبقيهِ على حجم محدود فاذا أحمت الشمس الغاز ازداد الضغط في البلون ولكن حجم الغاز يبقى واحداً و بالتالي تبقى قوة رفع البلون كما هي . واذا برد الغاز باقبال الليل او بسبب آخر قلَّ ضغط الغاز ولكن حجمهُ يبقى كما كان لان البلون يملأُ غازاً تحت اقل درجات الحرارة . اما ارتفاع البلون فيضبط باجربة تملأُ هواء اذا ارتفع البلون فيكفّ عن الارتفاع او يأخذ في الهبوط حتى يبطل ارسال الهواء الى الأجربة

واما الطيار بروكر فكان يرمي الى ابقاء ضغط الغاز في بلونهِ متساوياً برشاش من الماء يبقي حرارة الغاز واحدة على الدوام . ولكن شركتهُ توقفت كما تقدم القول

و يقال ان في احدث البلونات التي بنيت على نية اجتياز الاوقيانوس جهازاً مؤَلفاً من طلمبة مزدوجة تصل ما بين غلاف البلون الحاوي للغاز وخزان حاوٍ للغاز الاحتياطي فتعطي الطلمبة وتأخذ بينهما على حسب تقلص الغاز في غلاف البلون او تمدّدهِ . ولهذه الطريقة مزيتان الاولى عدم فقد شيءٍ من الغاز . والثانية ان الخزان يعيض البلون مما يفقد من غازهِ بخروجهِ من مسامهِ

هذا ما يقال في الحرارة وضغط الهواء . اما مسئلة اعتدال الرياح فغاية ما يقال فيها انهُ منذ نحو عشر سنين كانت سرعة اسرع البلونات لا تزيد على اربعين ميلاً في الساعة وعليهِ لم يكن البلون ليستطيع المسير ضدَّ ريح تساوي سرعتها سرعتهُ او تزيد عليها اما الآن

وقد بلغت سرعة احدث البلونات ٧٥ ميلاً في الساعة فقد سهل عليها اجتياز الاتلانتيكي على نسبة ازدياد سرعتها

ومما يساعدها على ذلك ما رسم من الخرائط الكثيرة في بعض مراصد اميركا وانكلترا مدة سنين كثيرة . وفي هذه الخرائط بيان الرياح المتسلطة على جوّ الاتلانتيكي الى علوّ كثير باعظم ما يكون من الضبط والدقة . ويؤخذ منها ان اسهل الدروب التي يجتاز فيها الاوقيانوس اثنان . الاول طريق يمتدّ بين مدينة سان جون في نيوفوندلند بازاء كندا وبين مدينة فالنشيا في ارلندا والمسافة بينهما ١٨٠٠ ميل (انظر الخريطة المرسومة) ولا تزيد سرعة هبوب الرياح فيها على ٢٨ ميلاً . ويمكن البلون الذي سرعتهُ ٧٥ ميلاً في الساعة ان يجتاز هذه المسافة من الغرب الى الشرق في ١٨ ساعة الى ٢٠ ساعة . ومن الشرق الى الغرب في ٣٦ ساعة الى ٤٠ . وهذا الفرق ناشىءٌ عن تسلط الرياح الغربية . وكذلك يمكن البلونات ان تسير على هذا الخط ستة اشهر في السنة على القليل

واما الطريق الثاني فيمتدُّ ما بين لسبون (لشبونة) عاصمة برتوغال واحدى جزر الانتيل الصغرى والمسافة بينهما ٣٦٠٠ ميل فهو طويل فلذلك نبذوهُ في جنب الطريق الاول المختصر على ان وجود طرفي الطريق الاول في ارض انكليزية يحول الآن دون قيام البلونات الالمانية منها فلا بدَّ من قيامها من ارض المانية هي اقرب ما يكون الى الساحل الاميركي . واذا قلنا ان الالمان اتخذوا غنت في البلجيك قاعدة لبلوناتهم هذه فان المسافة بينها وبين فرضة بنغور في ولاية ماين باميركا نحو ٣٢٠٠ ميل . فهل عندهم بلونات تقوى على البقاء طائرة طول هذه المسافة . والمقول ان عندهم ما يشبه هذه البلونات فانهم بنوا بلونات ثقل الواحد منها ٦١ طنًّا منها ٢١ طنًا حمولة تقسم هكذا :

١ طنٌ ثقل ١٥ رجلاً (ربان ومساعدان لهُ و٤ للدفة ومهندس و٧ ميكانيكيين)
١٩ « ثقل الوقود مدة ٥٢ ساعة
١ « مؤُونة
——
٢١

وغني عن البيان انهُ اذا كانت سرعة البلون في الساعة ٧٥ ميلاً فانهُ يقطع ٣٩٠٠ ميل في ٥٢ ساعة . وهذا يزيد ٧٠٠ ميل على المسافة بين البلجيك واميركا . والمظنون انَّ هذه الزيادة قد تكفي لحساب الطوارىء التي تطرأ على البلون فتعوق مسيرهُ . على انها قد تكون دون الكفاية بكثير . وهذا ما تبينهُ لنا الايام

الطبّ الشرعيّ

الحياة والموت وعلاماتهما

الحياة

الحياة هي الانفعال بالمؤثرات الخارجية والقدرة على تحويل الغذاء الى بروتوبلاسما وعلى النمو والتوليد والافراز. وتشترك كل احشاء الجسم واجزائهِ في هذه الافعال. واهم الظواهر التي يعرف بها الحي من الميت ضربات القلب والتنفس

الموت

الموت هو توقف القلب او الرئتين او الدماغ عن العمل ثم توقف غيرها من الاعضاء. واذا كان السبب الاول للوفاة وقوف القلب سمي ذلك بالسنكوب او السكتة القلبية وتشاهد في امراض القلب والدفثيريا والتسمم بالكلوروفورم والنزف الشديد. واذا كان السبب الاول وقوف التنفس سمي اسفكسيا (الاختناق) ويشاهد في احوال كتم النفس والخنق والشنق والغرق والتتانوس والتسمم بالاستركنين واصابات مركز التنفس في المخ. واذا كان السبب الاول في المخ يعرف ذلك بالسكتة المخية او الكوما كما في احوال التهاب السحايا المخية والتسمم بالافيون والكحول والمواد المخدرة. وفي هذه الحالة تشاهد الاوعية الوريدية ممتلئة بالدم داخل الجمجمة. واما في حالة السكتة القلبية فانك تجد القلب ممتلئاً بالدم والمخ والرئتين خالية منهُ. ما لم يكن السبب النزف الشديد فاننا نجد القلب خالياً من الدم ايضاً ولكن في اغلب حالات الموت يكون السبب غير بسيط الى هذا الحدّ بل يشترك سببان معاً فلو حصل نزف في قنطرة ڤارول فانهُ علاوة على حدوث الموت بالكوما يؤثر هذا النزف في مركز التنفس العصبي بالمخ و ينشأ عن ذلك علامات الاسفكسيا ايضاً وهلمّ جرّاً

الاسباب الطبيعية للموت الفجائي

(١) امراض القلب وهي امراض الصمامات وخصوصاً صمامات الاورطى وامراض الشرايين المزدوجة القلبية والاستحالة الدهنية او الحوُول الدهني لعضلة القلب وتمزق القلب الفجائي وانفجار الاورطى او اي وعاء آخر كبير. والنزف الرئوي نتيجة درن في الرئة و يكثر في الرجال

(٢) الاورام المخية التي لم تعالج والنزف المخي بسبب الوفاة الفجائية في بضع ساعات او حالاً و يشاهد في المتقدمين في السن عادة ولكن هذا لا ينفي حدوثهُ في الاطفال والشبان

(٣) دخول اجسام غريبة في الحنجرة واوزيما المزمار والتهاب الرئة

(٤) انفجار انورزم في البطن او حمل خارج الرحم او ثقب قرحة في المعدة او الاثني عشري او في الامعاء الدقاق من حمى تيفودية او في الزائدة الدودية او سدادة معوية اوجلطة دموية (embolism) في الرئة نتيجة ثرمبوز (thrombosis) تخثر وريدي في اوعية الرحم عقب الوضع او انفجار طحال كبير او كيس ديداني (hydatid) اونزيف في البنكرياس

(٥) بين الوفيات وفاة لا يجد الطبيب بالتشريح سبباً لها مثال ذلك السكتة القلبية في الدفثيريا فانهُ لا يجد في القلب اي تغيير . وفي داء اديسون (المرض النحاسي) وفي الذبحة الصدرية . وفي السعال الديكي احياناً لا يوجد في القلب او الحنجرة اي تغيير وكذلك في الوفاة على اثر رعب او صدمة او الضرب على البطن او العنق او في منطقة القلب او الصفن

وابسط الامراض في مدمني الخمر كثيراً ما يفضي الى وفاة فجائية . ومثل ذلك يقال عن المصابين بالالتهاب الكلوي الحبيبي وكثيري السمن

علامات الموت

(١) وقوف القلب . و يعرف ذلك بالتسمع بالاذن او السماعة (المسماع) او بالشعور باليد بدقاته او بنبض الشرايين التي قرب سطح الجلد او بربط اصبع ربطاً محكماً فاذا ورم الجزء الذي اسفل الرباط يكون القلب لا يزال ينبض وبالعكس اذا لم يرم . او بفتح شريان صغير وملاحظة تيار الدم هل يندفع بشكل رشاش او لا يندفع فاذا اندفع دل ذلك على الحياة

(٢) وقوف التنفس . اطول مدة وقف فيها التنفس ثم اعيدت الحياة ثلاث دقائق ونصف و يعرف وقوف التنفس بملاحظة حركات الصدر وبالتسمع وبوضع مرآة امام الفم فان اكتست بضباب فلا يزال الشخص حيًّا او بوضع ريشة امام الفم فان تحركت دل ذلك على الحياة ايضاً

(٣) برودة الجسم . عند حدوث الوفاة تفقد العوامل التي تولد الحرارة في الجسم

فيبرد تدريجيًّا . وقال بعضهم انهُ يبرد نحو درجة واحدة من مقياس سنتغراد في الساعة حتى تبلغ حرارتهُ حرارة الوسط الذي هو فيهِ . ولا يعول على الحرارة الخارجية بل تؤْخذ الحرارة من المستقيم و يؤَخر نزول حرارة الجسم الحميات والتسمم بالاستركنين والوفاة الفجائية والسنّ المتوسطة والاسفكسيا والسمن والتدثر وعدم وجود هواء كاف في الوسط الذي هو فيهِ وصغر حجم الوسط وليونة المادة الموضوعة عليها الجثة وشدة حرارة الجو والدفن في الارض . و يسرع برودة الجسم الامراض المزمنة وخصوصًا المصحوبة بضعف عام والوفاة التدريجية وكبر السنّ والصغر والنحافة والعري والهواء الكثير وسعة الوسط وصلابة المادة التي وضعت الجثة عليها و برودة الجو والتغطيس في الماء

تبتدئ البرودة في الاطراف اولاً واذا وجدت حرارة الجسم الداخلية كحرارة الوسط يمكنك القول بان الوفاة حصلت من مضي ٨ ساعات الى ١٢ ساعة على الاقل

(٤) تغيير في لون الجلد . اذا توقف الدم عن الدوران شحب لون الجلد عقب الوفاة مباشرة ولا يظهر ذلك جيداً في سود البشرة ولا في المتسممين بأَول اكسيد الكربون او المصابين باليرقان . و يفقد الجلد مرونتهُ و بعض شفوفهِ . واذا فحصنا اليد مثلاً في الحي بالسبكترسكوب نرى طيف الدم خلافًا للميت فان هذا الطيف لا يرى في دمهِ . و يحدث تغيير لونيّ آخر في جلد الميت في الاجزاء المدلاة منهُ يعرف بالكدم الرمي سنتكلم عليهِ فيما بعد

(٥) تأثير الحرارة في الجلد . لا يلجأُون عادة الى هذه التجربة لمعرفة الحي من الميت ولكن لا بأْس من ذكرها وهي اذا مسّت النار جلد الحي تكونت مكان مسّها فقاعة مملوءة بسائل زلالي واذا ازيل غشاء الفقاعة يشاهد احمرار في الجلد الحقيقي تحتها و بعد زمن وجيز يشاهد حول الفقاعة خط احمر اللون . وفي الميت قد تتكون الفقاعة ولكنها تكون ممتلئة هواء او سائلاً غير زلالي والجلد اسفلها غير احمر وليس حولها احمرار . ومن قبيل هذه التجربة قطر نقطة من الاثير في العين فان احمرت الملتحمة دلّ ذلك على وجود الحياة

(٦) فقد الاحساس والحركة . يجب في الوفاة الحقيقية ان يفقد الاحساس والحركة ولكن لا يفوت الطبيب انهما يفقدان ايضًا في الوفاة الظاهرة مثلاً في بعض احوال السبات العميق والغرق والسكتة المخية والامراض العصبية والصرع والتنويم المغنطيسي

(٧) تغييرات في العين وحولها · تفقد القرنية قوتها العاكسة في الموت وفي التخدير العمومي وفي السكتة المخية وفي التسمم البولي والصرع والتسمم بالمخدرات · وتظلم القرنية في الوفاة وفي الضعف العام الشديد وقد تستمر شفافة الى حين بعد الوفاة وتلين كرة العين عقب الوفاة وتتمدد حدقة العين ايضاً ما لم يكن سبب الوفاة التسمم بالافيون فانها تضيق ولا تتأثر بالضوء او العقاقير ولكن اذا وضع في العين اتروبين او ايزرين فقد يستمر تأثيره في الحدقة بعد الوفاة ساعة على الاكثر فالاول يمددها والثاني يقلصها

(٨) تغييرات دموية · الدم لا يتجلط الا اذا كان ميتاً والتجلط لا يحدث في الاوعية الدموية بسرعة حدوثه خارج الجسم بل في الحالة الاخيرة يحدث في بضع دقائق وقد لا يحدث في الجسم الا بعد برودته · وعقب الوفاة تنقبض الشرايين ويركد الدم في الاوردة واذا قطع وريد فقد ينزف منه دم ولكن هناك فرقاً بين النزف الحيوي وغير الحيوي

(٩) الكدم الرمي · هو لطع حمراء غامقة او ارجوانية تظهر في الاجزاء المدلاة من الجسم عقب الوفاة ببضع ساعات (من ٣ ساعات الى ١٢ ساعة) وتبتدئ صغيرة ثم تكبر وتجمع و يتصل بعضها ببعض · وتظهر عادة في الجزء الخلفي من الجسم اذا كانت الجثة ملقاة على ظهرها ولا تظهر في الاجزاء المضغوطة سواء كان ضغطها بثقل الجسم كالكتفين والاليتين والكعبين او برباط · وهذه الظاهرة لا توجد فقط في ظاهر الجثة بل في الاحشاء الداخلية كالرئتين والمعدة والكبد والكليتين والمخ والامعاء ولكن يجب ان نفرق بين الكدم الرمي والاحتقان الحيوي في الاحشاء فاذا كانت الرئة محتقنة يمكن تفتيتها بسهولة بالاصبع ولا يمكن ذلك في حالة الكدم · وفي باقي الاحشاء لا يرى احمرار دائم ولا ورم ولا يتكون صديد في الكدم الرمي بخلاف ما هو الامر في الاحتقانات الحيوية

وفي بعض الاحيان تفيد الكدمات الرمية اذ تدلنا هل نقلت الجثة من موضعها ام لا · فاذا وجدنا الجثة ملقاة على وجهها والكدمات في الظهر دل هذا على تغيير وضعها ولكن اذا نقلت الجثة قبل حصول الكدم او بعده والدم لا يزال سائلاً اي لم يتجلط فيتغير الكدم بتغيير الوضع ولا يفيدنا ذلك شيئاً

وقد يتشابه الكدم الرمي والكدم الحيوي فعند شق الكدم الحيوي يشاهد ايكوموز متخلل الانسجة لا يزول بالغسل بالماء وجلط دموية ولكن في غير الحيوي يشاهد في الاوعية ويزول من الانسجة بالغسل وهو سطحي لا يتخللها كالحيوي و يصحب الكدم الحيوي ورم

وسحيح بعض الاحيان واذا مضى عليهِ بضع ايام يتغير لونهُ بالوان مختلفة · وهذا لا يشاهد في غير الحيوي علاوة على ان الكدم الرمي لهُ حافة منتظمة و يوجد في اجزاء مخصوصة من الجسم واما الحيوي فحافتهُ غير منتظمة و يوجد في اي جزء · ولنلاحظ ان الكدم الرمي لا يتغير لونهُ الاَّ بالتعفن الرمي فيكتسب لوناً نحاسياً او اخضر

(١٠) التغير في العضلات · يحصل في العضلات ثلاثة تغيرات مهمة عقب الوفاة (١) ارتخاء ابتدائي (٢) تيبّس (٣) ارتخاء ثانوي

ففي الارتخاء الابتدائي تتأثر العضلات اذا نبهت بتيار كهربائي وتوَّثر تأثيراً قلويًّا في ورق عباد الشمس (اللتموس) · ولا تنقبض العضلات من نفسها ومتوسط بقاء هذه الحالة ثلاث ساعات وقد تمكث اكثر من ذلك · وشوهدت في رجل بعد قطع رأسهِ بمدة ٢٦ ساعة · وفي حالة التيبُّس الرمي يكون تأثيرها على ورق اللتموس حمضيًّا ولا تتأثر العضلات بالتيار الكهربائي و يبتدئ في الفك الاسفل والوجه والعنق ثم يمتدُّ الى الجذع والاطراف العليا فالاطراف السفلى وفيهِ تتقلص جميع العضلات وتيبس الاطراف ويظهر التقلص على الخصوص في القلب في البطين الايسر ويجمد الميوسين وتخرج كية وافرة من ثاني اكسيد الكربون · ويظهر بالمكرسكوب ان الالياف العضلية فقدت بعض شفوفها واذا فقدت العضلات انقباضها باي وسيلة فانها لا تعود ثانياً الى الانقباض وعليهِ فلا يمكن خلط التيبس الرمي بالتتانوس او الصرع او الهستيريا فان التيبس الرمي يبدأ في الجثة بعد ثلاث ساعات او اربع عقب الوفاة وقد يبتدئ والجسم لم تبلغ حرارتهُ حرارة الوسط الذي هو فيهِ · ومن الاسباب التي توَّجل حدوث التيبس الرمي الوفاة الفجائية كالشنق والخنق وتحدث سريعاً في المولودين حديثاً وفي المنهوكي القوى بالامراض وغيرها كما يشاهد في الجند في الحروب وفي احوال التسمم بالمواد التي تحدث تشنجات كالاستركنين · وكلما اسرع في الظهور اسرع الارتخاء الثانوي وعلى الراجح ينتهي التيبس في ٢٤ ساعة الى ٣٦ ساعة ويتأثر في ذلك بحسب الجو ففي الجو البارد يبقى طويلاً وربما بقي اسبوعاً او عشرة ايام في البلاد الباردة جدًّا وفي الجو الحار يبقى مدة قصيرة · وكذلك يتأثر بحسب سبب الوفاة ففي الامراض المضعفة جدًّا يبقى قليلاً وفي الامراض العفنة كالتسمم العفن قد لا يوجد وفي احوال التسمم بالزرنيخ والزيبق يبقى طويلاً · وقد يرى التيبس في الاطراف في الجو الحار في حين ان التعفن يكون قد ابتدأ في باقي الجثة كما هو الحال في صيف مصر

وهناك حالة يجوز ان نسميها التيبس المعجل وهذه تشاهد في الجثث التي تلقى في سائل

فعال او تحرق فان جميع السوائل الزلالية تجمد ولذلك يظهر التيبس سريعاً · ومن التيبس الرمي نوع يعرف بالتيبس الوقتي وهو الذي لا نشاهد قبلهُ الارتخاء الابتدائي وهذا يظهر في الاشخاص الذين أُجهدوا كثيراً قبل الوفاة وفي اقوياء البنية وفي الوفاة الفجائية وفي احوال الوفاة الناشئة عن اضطراب شديد في الجهاز العصبي كما في احوال السكتة المخية او الاصابة بالرصاص في الرأس وفي الغرق او الانتحار او البرد · ومع ذلك فقد يحصل في الوفاة العادئة و يميز عن التيبس الرمي العادي بانهُ اذا كان الميت قد امسك بيدهِ شيئاً وهو يلفظ روحهُ بقي ذلك الشيء في يدهِ كما كان قبل موتهِ · و يفيد ذلك في احوال الانتحار فربما نشاهد الآلة التي استعملت في اليد كما قد تبقى في اليد اجزاء من شعر او ملابس القاتل فيتميز بها في احوال الموت الجنائي · وفي بعض الاحيان يقلد بعض الجناة هذه الحالة بوضع سكين في يد المجني عليهِ بعد وفاتهِ وتربط برباط حتى يأتي التيبس الرمي العادي و يرفع الرباط ولكن في هذه الحالة يمكن بمشاهدة آثار الرباط واتجاه السكين وملاحظات اخرى على الاصابة نفسها والتحقيق تلافي الوقوع في الخطإِ

(١١) التعفن الرمي · بعد ان ينتهي دور التيبس الرمي يمر على الجثة دور الارتخاء الثانوي ومعهُ التعفن الرمي وفي هذا الدور لا تتأثر العضلات بالتيار الكهربائي · والتعفن الرمي هو مجموع اعمال تحلل بها مركبات الجسم المركبة الى مركبات بسيطة وعناصر اولية كالماء والنشادر والنتروجين وثاني اكسيد الكربون وغيرها · و يؤثر في سرعة حدوث التعفن العوامل الآتية :

عوامل داخلية

(١) السنّ · ففي الاطفال والشبان يكون التعفن اسرع منهُ في الشيوخ

(٢) الجنس · في النساء السمينات يكون التعفن اسرع منهُ في الرجال وخصوصاً اللاتي في دور النفاس

(٣) حالة البنية · السمين يتعفن باسرع من النحيف

(٤) نوع الوفاة · يتأخر التعفن في صحيح البنية في الوفاة الفجائية واما في حالة الامراض المزمنة والحادة والحميات والتسمم بكبرتوز المدروجين او الاختناق بالدخان فالجثة تتعفن بسرعة واما في التسمم بحامض الفنيك او الزرنيخ او الانتيمون او كلورور الزنك فالتعفن يتأخر

عوامل خارجية

(١) وجود الهواء يسرع التعفن كما اذا كانت الجثة عارية من الملابس او في ارض ذات مسام او مشققة او وضعت الجثة في صندوق غير محكم الغطاء · وعدم وجود الهواء او قلته يؤخران سرعة التعفن كما اذا كان على الجثة ملابس كثيرة او وضعت في ارض ملساء (طينية مثلاً) او في صندوق محكم الغطاء

(٢) حرارة الوسط · فدرجة الحرارة الملائمة للتعفن هي من ٢٨ سنتغراد الى ٣٨ والدرجات غير الملائمة هي من ٤٥ الى ١٠٠ سنتغراد اذ تجف سوائل الجسم وكذلك البرد لا يلائمهُ

(٣) الرطوبة تساعد التعفن والجفاف يؤخرهُ

(٤) نوع الوسط الذي تدفن فيهِ الجثة · فالجثة تتعفن في الهواء بسرعة تساوي ضعفي السرعة التي تتعفن فيها لو وضعت في الماء وثمانية اضعاف هذه السرعة لو وضعت في الارض في الزمن نفسهِ · او بعبارة اخرى التعفن الذي يشاهد في جثة تركت اسبوعاً في الهواء يشاهد في جثة تركت اسبوعين في الماء وثمانية اسابيع في الارض ولكن هذه نسبة تقريبية تتأثر بجميع العوامل السابق ذكرها

تأثير التعفن في الجثث · يحصل في الجثة تغيرات في اللون والرائحة والقوام فالتغيير في اللون ناشىء عن تحليل الهموجلوبين (المادة الملونة في الدم) والرائحة ناشئة عن غازات التعفن التي تتولد اثناء تحليل الجسم اما التغيير الذي يحدث في القوام فهو لين في جميع اجزاء الجسم حتى تصبح الجثة عجينة واحدة ثم تنحل الى مركبات بسيطة وعناصر اولية

اول تغيير في اللون يشاهد بعد يوم او اثنين من الوفاة وهو اخضرار حول السرة في الجلد او في الجهة اليمنى من البطن اسفل السرة و يتزايد هذا الاخضرار تدريجاً حتى يغطي الجذع واعضاء التناسل ثم تظهر لطع منهُ على الوجه والاطراف وفي الوقت نفسهِ او في اليوم الثالث تظهر الاوردة على سطح الجسم كخطوط زرقاء محاطة بتغييرات في لون الجلد ناشئة عن تحليل الدم من احمر الى ارجواني الى اخضر الى اسود

ومن اليوم الخامس الى السادس او قبل ذلك ينزل بضغط غازات التعفن سائل غامق اللون من الانف والفم واحياناً رغوة ويبدأ البطن في الانتفاخ وكذلك الوجه واعضاء التناسل الظاهرة وقد يبرز اللسان وكرة العين وفي اليوم الثامن او العاشر تنخفس القرنية وفي بحر الاسبوع الثالث تظهر فقاقيع على الجسم مملوءة بسائل غامق اللون وتسيب الاظافر

والجسم جميعهُ يأخذ لوناً اخضر او اسود وتظهر الديدان في اجزاء مختلفة منهُ وينتفخ انتفاخاً شديداً يجعل معرفة ملامح الوجه مستحيلة

تأثير التعفن في الاحشاء · يظهر الكدم الرمي الاحمر او الاخضر في الحنجرة بعد ٣ او ٥ ايام ويلين مخ الاطفال ويصير عجيني القوام في ٤ او ٥ ايام او اقل ويظهر الاخضرار في غشاء المعدة او الامعاء المخاطي بعد خمسة او ستة ايام ويلين الطحال في نفس هذا الزمن ايضاً ويظهر في سطح الكبد تغير رمي في اللون ولكن قوامها يستمر صلباً بضعة اسابيع وفي اسبوع او اثنين يلين مخ البالغ واما القلب فيمكن تمييزهُ لبضعة اشهر عقب الوفاة وان كان يلين جداً في يومين اذا كان سبب الوفاة تسمم عفن · ويبدأ في الرئتين سريعاً ظهور فقاقيع غازات التعفن ولكنهما لا تتعفنان الاَّ بعد اشهر اذ تتحولان الى عجينة خضراء سوداء وكذلك الكليتان والمثانة والمريء والبنكرياس

واما الحجاب الحاجز فيبقى زمناً طويلاً يمكن تمييزهُ فيهِ وهذا الزمن قد يكون ستة اشهر والرحم يمكن تمييزهُ بعد تسعة اشهر او اثني عشر شهراً وكذلك الشريان الاورطي

(١٢) التصبُّن (ادپبوسير) · قد تتحول الانسجة الرخوة في الجسم الى صابون يعرف بالادپبوسير وهذا الصابون نتيجة تأثير النشادر وهو احد الغازات الناشئة من التعفن في دهن الجسم · وفي بعض الاحيان يستبدل النشادر بمادة قلوية اخرى كالبوتاسا الكاوية او هيدرات الجير اذا لحق الجثة ماء شُبّع باحدى هاتين المادتين والانسجة الدهنية الموجودة في الجسم هي التي تتحول اولاً الى ادپبوسير كالاليتين والثديين وربما تتحول جميع الجثة الى صابون ويساعد هذا التحويل الرطوبة والجو الحار والسّمن ويشاهد في الجثث التي تدفن في الآبار او المراحيض وتأخذ الجثة اشهراً حتى تتصبن وقد يتصبن جزء منها في اسابيع

(١٣) تحول الجثة الى موميا · اذا تعرضت الجثة لتيار هواء جاف حارّ قبل ابتداء التعفن فانها تجف وتتحول الى موميا وتبقى كذلك سنين عديدة ويحصل ذلك طبيعيًّا في البلاد الحارة عند ما تدفن الجثة في الرمل قرب سطح الارض وشوهدت في الاطفال المولودين حديثاً الذين يرمون على سطوح المنازل وفي هذه الحالة تأخذ الجثة اشهراً عديدة حتى تتحول الى موميا

الدكتور محمد زكي شافعي
طبيب مركز الفيوم

المساواة بين الرجال والنساء

لا مساواة بين الناس لا بين الرجال والنساء كطائفتين ولا بين الرجال وحدهم ولا بين النساء وحدهنّ . هذا عند التخصيص واما عند التعميم فالرجال والنساء مشتركون في الحقيقة الانسانية متساوون فيها . والرجال وحدهم متساوون في الماهية وكذلك النساء وحدهنّ . ولكن ما كل ما يُطلَب من الرجل الآن او ينتظر منهُ يُطلَب من المرأة او ينتظر منها لان بين الرجال والنساء فرقاً اجتماعيًّا واضحاً فهل هو طبيعي ثابت او هو وضعي ناتج عن التربية وحال الاجتماع . اي هل كان النساء كذلك دائماً رجالهم ممتازون على نسائهم في قواهم العقلية والبدنية او كانوا متساوين ثم اختلفوا تبعاً لحال الاجتماع وقد يعودون الى المساواة . وهل المتوحشون مثل المتمدنين من هذا القبيل

اشترك الدكتور روبرت لوي والدكتورة لتا هولنجورث الاميركيان في مقالة كتباها في هذا الموضوع ونشراها في المجلة الشهرية الاميركية وجمعا فيها خلاصة ما حققهُ العلماء فيهِ حتى الآن وها نحن موردون زبدتها فيما يلي قالا : —

ان القائمين بالدعوة التي ترمي الى مساواة النساء بالرجال في الحقوق والاجور والاعمال يطلبون فك القيود التي تمنع النساء من مجاراة الرجال في الاعمال البدنية والاشغال العقلية. اما الذين يخالفونهم في ذلك فيبنون مخالفتهم على امرين الاول ان ازالة هذه القيود توقع في نتائج غير مرضية من حيث الآداب القومية والقواعد الاجتماعية والثاني ان المرأة غير صالحة طبعاً للقيام باعمال الرجل . اما الامر الاول فالبحث فيهِ خارج عن نطاق العلوم الطبيعية لان كون الشيء مرضيًّا او غير مرضيٍّ يتوقف على الرأي والمعتقد ولا دخل فيهِ للحقائق العلمية . وقد يتصل علم الاجتماع الى معرفة النتائج التي تنتج عن ازالة هذه القيود معرفة استقرائية يقينية حتى يصير المرء ينبئ بحدوثها قبلما تحدث كما تنبئ العلوم الطبيعية بحدوث النتائج من مقدماتها لكن علم الاجتماع لم يتصل الى ذلك حتى الآن فلم يبقَ للعلم الطبيعي الاَّ البحث في الامر الثاني من الامرين المتقدمين وهو كون المرأة غير صالحة طبعاً للقيام باعمال الرجل وعلى ذلك مدار هذه المقالة

ان اكثر ما يلجأ اليهِ ويعتمد عليهِ القائلون بعدم مقدرة المرأة على مساواة الرجل هو انها لا تعمل ولم تعمل بعض الاعمال التي يعملها الرجل . فاذا مالت اليها الآن فميلها غير طبيعي . الاَّ ان هذا القياس غير صحيح لان عدم عملها تلك الاعمال لا يستلزم ان يكون سببهُ انها

تأباها بالطبع اذ قد يكون السبب انها مُنعت عنها لدواعٍ خصوصية . فالآن صار الكتّاب على الآلة الكاتبة من النساء ولم يكن الامر كذلك منذ سنوات قليلة بل كان الكتّاب كلهم من الرجال ومع ذلك لا نقول ان طبيعة المرأة تغيرت في عشر سنوات او عشرين سنة . ولو وجدنا المرأة تمتنع عن تعاطي بعض الاعمال في كل البلدان لغير سبب قوميّ او اجتماعي لكان في ذلك مندوحة للقول انها غير لائقة بها طبعاً

والبحث في هذا الموضوع يجب ان يكون بيولوجيًّا وسيكولوجيًّا اي من حيث جسم المرأة ومن حيث عقلها ولكن لا بدَّ قبل ذلك من ان نعرف حال المرأة بين طوائف الناس المختلفة

ان كثيرين من المطالبين بحقوق النساء ومساواتهنَّ للرجال يدَّعون ان التفوُّق كان للنساء في اول فجر العمران اي ان النساء كنَّ في الدرجة الاولى وكان الرجال في الدرجة الثانية بعدهنَّ ولذلك كان الابناء ينتسبون الى امهاتهم لا الى آبائهم ولم يصر التفوق للرجال الا منذ عهد غير بعيد في جنب العهد الاول ولذلك فانحطاط المرأة عن الرجل الذي نراهُ الآن ليس متأصلاً في بنيتها بل هو ناتج عن تفوُّق سببهُ الحضارة الحالية

لكن لم يقم دليل على ان التفوق كان للمرأة في عصر من العصور . والحقيقة ان بعض الذين لا يزالون على الفطرة يرجعون في انسابهم الى آبائهم وبعضهم يرجعون الى امهاتهم وبعضهم لا يرجع في نسبهِ الى الاباء ولا الى الامهات . وكذلك لا يصح القول بان الانتساب الى الامهات كان عامًّا في وقت من الاوقات . ولو فرض انهُ كان عامًّا لما كانت عموميتهُ دليلاً على تفوق المرأة فان الانتساب الى الامهات شيء وتفوق النساء على الرجال شيء آخر . فاهالي غينيا البريطانية ينتسب كل واحد منهم الى قبيلة امهِ لا الى قبيلة ابيهِ ويرث املاك خالهِ لا املاك عمهِ ولكن مقام المرأة هناك دون مقام الرجل . وقد توجد قبائل يتفوق نساؤُها على رجالها ويتسلطن عليهم ولكنها قليلة جدًّا ولا يكون الانتساب فيها الى الام بل الى الاب

والامر الذي يستحق النظر هو ماذا كانت اعمال المرأة على اختلاف الامكنة والازمنة . فالاعتناء بالاطفال منوط بها لسبب طبيعي وهذا الاعتناء وضعف جسمها اذا قوبل بجسم الرجل يمنعانها عن الحرب والصيد . فهل فيها علة اخرى تعدُّ من لوازم بنيتها . ان علم الانسان ينفي ذلك او لا يثبتهُ . وفي كل قبيلة تقسم الاعمال بين الرجال والنساء ما عدا الاعتناء بالاطفال ولكن سائر الاعمال التي يتعاطاها الرجال والنساء يختلف اختصاصهم بها باختلاف القبائل فالحياكة خاصة بالرجال في قبيلة الهوبي وبالنساء في قبيلة النافاجو مع ان الثانية

تعلمت الحياكة من الاولى فيما يقال وكلتاهما من قبائل هنود اميركا . وصناعة الخزف خاصة بالنساء عند تلك القبائل وبالرجال عند بعض القبائل الافريقية . وما من سبب لاختصاص النساء بالدباغة عند قبائل الردسكن من قبائل اميركا والرجال بالفلاحة عند البوبلو والنساء بها عند هنود الاركواس ولا لاختصاص الرجال بدهن الثياب عند بعض هنود اميركا واختصاص النساء بدهن الاكياس المصنوعة من الجلد

وقد قام النساء باعمال كثيرة مهمة في كل مكان وزمان ولم تكن اعمالهن مقصورة على الامور البيتية بل كثيراً ما كان لها شأن كبير في الامور المعاشية والصناعات المختلفة . ولكن لم تكن هذه الاعمال لتفصل المرأة عن اعمالها البيتية كالاعمال التي تتعاطاها الآن . فالزنجية تمسك المعول بيدها وطفلها على كتفها والهندية تكشط الجلود وتصنع السلال وتطرز الصداري في خلال اعمالها البيتية . ومفاد ذلك كله ان تعاطي المرأة لبعض الاعمال او منعها من تعاطيها جاريان على مقتضى العادة وليس لها سبب طبيعي . ولا يستثنى من ذلك الا ما يتعلق بولادة الاولاد . والادلة من علم الانسان لا تبيح لنا القول بان الطبيعة تقضي على المرأة بتعاطي الاشغال السياسية او بالامتناع عن تعاطيها ولا انها اصلح من الرجل لتعاطي صناعة الخزف او الحياكة او الدباغة او الفلاحة او الشعر او التصوير او انها اقل صلاحية منهُ وانما تدلنا على ان الامم المختلفة اختلفت كثيراً في تعيين الاعمال لرجالها ونسائها ولا تؤيد قول القائلين ان الاعمال التي اختص بها الرجال والتي اختص بها النساء عند متمدني هذا العصر قد قسمت كذلك بينهم لسبب طبيعي دعا الى هذه القسمة وهذا التخصيص

ولنعد الآن الى ما بين الرجال والنساء من الفروق الجسمية والعقلية وننظر في هل المرأة احط من الرجل جسداً وعقلاً

ادعى بول البرخنس منذ سنة ١٨٨٤ ان الصفات الوحشية اوضح في المرأة منها في الرجل وحاول اثبات ذلك بتسعة ادلة تشريحية لكن تصدى لهُ بول بارتلس ونقض ادلتهُ وبيّن ان اربعةً منها غير صحيحة او مشكوك فيها وواحداً لا علاقة لهُ بالموضوع والبقية غير مهمة فيه وقال انهُ يمكن ان يستدل على ان الرجل اقرب الى الوحشية من المرأة بدليل قوة فكيهِ وكبر وجههِ . وقال غيرهُ ان المرأة اشبه بالطفل من الرجل لطول جذعها وقصر ساقيها وكبر رأسها ولكن طول اطراف الرجل وصغر رأسهِ يجعلانهِ اقرب الى السعدان منها . وقد استنتج سانتز من بحثهِ ان الرجل والمرأة مختلفان بناء ولكن كلاً منهما كامل في بنائهِ البيولوجي

ومن المسائل التي يكثر ذكرها والعود اليها صغر دماغ المرأة اذا قوبل بدماغ الرجل

اذ الراسخ في الاذهان ان العقل الكبير يكون في الدماغ الكبير ولذلك يحسن البحث في هذا الامر بشيء من الاسهاب

لا شبهة ان دماغ الرجل اثقل من دماغ المرأة في كل الشعوب التي وزنت فيها ادمغة الرجال والنساء. فمتوسط ثقل دماغ الرجل من الانكليز ١٣٢٥ غراماً ومتوسط ثقل دماغ المرأة منهم ١١٨٣ غراماً. وقد قيست مساحة جرم الدماغ في مئة باقاري ومئة باقارية فاذا متوسط دماغ الرجل ١٥٠٣ سنتمترات مكعبة ومتوسط دماغ المرأة ١٣٣٥ سنتمتراً مكعباً. واذا قابلنا دماغ الرجل بدماغ المرأة من غير نظر الى جسميهما فدماغ الرجل اكبر واثقل من دماغ المرأة ولكن دماغ الفيل ودماغ الحوت كلٌّ منهما اكبر واثقل من دماغ الرجل فثقل دماغ الفيل ٤١٠٠ الى ٤٨٠٠ غرام وثقل دماغ الحوت من ١٩٠٠ الى ٢٨٠٠غرام ولذلك فمن الجهل ان نعلّق على ثقل الدماغ المطلق اهمية كبيرة في المقابلة بين الرجل والمرأة من حيث القوى العقلية. ويؤيد ذلك اختلاف ثقل الدماغ في كثيرين من الرجال من غير نسبة الى عقولهم. نعم ان الرجال الذين امتازوا على غيرهم هم في الغالب من كبار الادمغة ولكن ذلك غير مضطرد فان ادمغة بعض العلماء المشهورين وُجدت اخف من المتوسط وادمغة بعض الذين لا شأن لهم وجدت كبيرة جداً وقد احصى ولدير ثقل ادمغة كثيرة فوجد ان اخف دماغ وزنتهُ ٩٠٠ غرام واثقل دماغ وزنتهُ ٢٠٠٠ غرام هما دماغا رجلين غير ممتازين على غيرهما لا في صغر العقل ولا في كبره

واذا نظرنا الى ثقل الدماغ مع اعتبار ثقل الجسم وجدنا ان دماغ المرأة منسوباً الى ثقل جسمها اثقل من دماغ الرجل منسوباً الى ثقل جسمهِ. فان نسبة ثقل جسم المرأة الى ثقل جسم الرجل كنسبة ٨٣ الى ١٠٠ واما نسبة ثقل دماغ المرأة الى ثقل دماغ الرجل فكنسبة ٩٠ الى ١٠٠ او ان كل ١٠٠ درهم من دماغ الرجل يقابلها ٤٧٤٧ درهماً من جسمهِ واما كل ١٠٠ درهم من دماغ المرأة فيقابلها ٤٤١٧ درهماً فقط من جسمها. فهل يصح ان نستنتج من هذه الحقائق تفوّق المرأة على الرجل عقلاً. كلاّ ولا سيما اذا قابلنا بين ثقل دماغ الانسان منسوباً الى ثقل جسمهِ وثقل ادمغة بعض الحيوانات منسوباً الى ثقل اجسامها والاَّ فاننا نجد ان الجُرَذ يجب ان يكون اعقل من الانسان وان الخلد متوسط بين الرجل والمرأة وان الفيل اقل عقلاً من اكثر الحيوانات. لكن نسبة ثقل الدماغ الى ثقل الجسم لا تخلو من دلالة صحيحة لان ادمغة الحيوانات الراقية اثقل من ادمغة الحيوانات التي دونها اذا قيست بثقل اجسامها وكذلك الحيوانات الصغيرة الجسم التي من نوع حيوانات اكبر منها ادمغتها اكبر

من ادمغة الحيوانات الكبيرة منسوبةً الى اجسامها كما في الهر والاسد فان نسبة دماغ الهر الى جسمهِ ثقلاً اكبر من نسبة دماغ الاسد الى جسمهِ ثقلاً . وقد تكون زيادة دماغ المرأة منسوباً الى جسمها مرتبطة بصغر جسمها . وخلاصة ما تقدم من هذا القبيل ان زيادة ثقل الدماغ لا يلزم ان تدل على زيادة العقل لا في الرجال ولا في النساء مع وجود الارتباط التام بين الدماغ والعقل . ولعلَّ ما استنتجهُ بارتلس بعد البحث المدقق في هذا الموضوع هو عين الصواب وهو ان ثقل دماغ الرجل ودماغ المرأة يدل على انهما متساويان في الاستعداد العقلي

ولننظر الآن ما يستنتج من الابحاث العقلية في هذا الموضوع . فقد كان اعتقاد العلماء وغير العلماء ان المرأة دون الرجل عقلاً اي ان متوسط عقول النساء دون متوسط عقول الرجال . لكن البحث الاستقرائي في المدارس التي يتعلَّم فيها الذكور والاناث جعلت كثيرين من العلماء يعدلون عن هذا الاعتقاد . وقد رأى بول بارتلس ما اقنعهُ ان النساء يماثلن الرجال مهارة في لعب الشطرنج والسياسة والعلوم الطبيعية والمضاربات في البورصة وكل ما يتوقف على إعمال العقل ولكنهنَّ دون الرجال فيما يستلزم سعة الحيلة . فلا تفلح المرأة مثل الرجل اذا قادت جيشاً او تولت ادارة سفينة او تعاطت صناعة الطب او نظمت الشعر او اخذت زعامة الجماهير . وخالفهُ فورل في ذلك فقال ان الرجل يفوق المرأة في قوة الادراك والمرأة تفوقهُ فيما يتوقف على الارادة . والظاهر من اختلاف العلماء انهُ لم تقم حتى الآن ادلة كافية على تقرير منزلة المرأة من حيث نسبة قواها العقلية الى قوى الرجل العقلية

ولا مشاحة في ان الاعمال العقلية التي عملتها النساء في الماضي هي دون اعمال الرجال العقلية . وقد عُلِّل ذلك قبلاً بالعادة الشهرية التي تنتاب النساء . ولكن لم يقم العلماء دليلاً علميًّا على وجود ارتباط بين هذه العادة والعقل . وقد بحث ارتولد سنتين في احوال ١٠٠٠ امرأة عمر كلٍّ منهنَّ اكثر من ١٨ سنة فلم يجد ما يؤيد ذلك . وستبقى هذه المسألة عند هذا الحد الى ان يبحث النساء انفسهنَّ فيها ويثبتنَ وجود هذا الارتباط او ينفينهُ

والخلاصة ان منع النساء عن تعاطي بعض الاعمال بناء على انهنَّ غير صالحات لها بطبيعتهنَّ بدليل عدم تعاطيهنَّ لها من قبلُ خطأ محض مبني على جهل تاريخ الانسان الذي يدل على ان النساء تعاطين مختلف الاعمال كلها في امكنة وازمنة مختلفة . وان الرجل والمرأة متساويان جسداً وعقلاً وان اختلاف المرأة عن الرجل في العادة الشهرية لم يقم دليل على انهُ يؤثر في اعمالها فيجعلها دون الرجل في تعاطي الاعمال والاشغال ولذلك لا وجه لمنع المرأة عن عمل من اعمال الرجل بدعوى انها منحطة عنهُ

المذنبات المفقودة

ربما كانت ذوات الاذناب اعظم كواكب السماء غرابة وابعدها عن الاستقصاء غوراً واكثرها على الافهام استغلاقاً . فان بعضها لا يرى الا بالتلسكوب او يرى نقطاً ضئيلة النور كما ترى الكواكب الضئيلة . وبعضها يُرى متلألئ النور غير منتظم الشكل مما يرعد قلب الجاهل ويطرب لب العالم . وسواء كان مظلماً او منيراً فان رؤيتهُ لا تدوم الا قليلاً وزيارتهُ لا تكون الا لماماً

وقد حاول الفلكيون بآلاتهم تتبع ذوات الاذناب الى ابعد ما يمكن في ترحالها بعد حلّها ففازوا ببعض الفوز بدليل معرفتهم شكل افلاك بعضها وهو الشكل الاهليلجي ولمّا عرفوهُ انبأُوا بالزمان والمكان اللذين تظهر فيهما ثانية . واشهر المذنبات التي تشاهد من الارض آناً بعد آن مذنب هلي والفترة بين زيارة وزيارة نحو ٧٥ سنة

ولكن هناك مذنبات تظهر ساطعة الى حين ثم تختفي ولن تعود الينا ابد الدهر . ومذنّبات تزورنا في مواعيد منتظمة ثم تقطع زيارتها لسبب مجهول . اما المذنبات التي تفاجئنا بزيارة قصيرة ثم لا تعود الينا فلا نحفل بها ولا يسوءُنا وداعها الا بقدر ما يسرُّنا تسليمها . واما الثانية اي التي تكررت زياراتها حتى الفناها وانسنا بها فانها توحشنا بفراقها الطويل الذي لا يأذن بلقاء بعدهُ ونفتقدها افتقاد البدر في الليلة الظلماء . وهي ما سميت بالمذنبات المفقودة

في صيف سنة ١٧٧٠ ظهر مذنب هائل الكبر . وكانت مساحتهُ الظاهرة اكبر من مساحة القمر ٢٥ ضعفاً . فاقام بين أظهرنا بضعة اشهر اكثر الفلكيون في خلالها من مراقبتهِ واقتصاص اثرهِ فعسر عليهم ان يعرفوا هل كان مسيرهُ في شكل اهليلجي" اي في دائرة الى الطول او غير اهليلجي اي في دائرة لا يلتقي طرفاها . فان كان الثاني فانهُ لا يرى من الارض مرة ثانية وان كان الاول فانهُ يرى بعد مرور مدة معلومة . واخيراً عرف الفلكي لكسل ان هذا المذنب يدور في فلك اهليلجي وانهُ لا بدَّ ان يرجع الينا بعد خمس سنوات ونصف سنة من زيارتهِ المذكورة . ولكن لم يعرف الفلكيون هل عاد هذا المذنب فظهر . إما لان نورهُ كان شديد الضعف فلم يُرَ وإمّا لانهُ حاد عن جادتهِ الاولى وتاه في عرض هذا الفلك الدوّار

على ان الفلكيين لم يقنطوا منهُ ولاسيما انهم عرفوا كثيراً من حركاتهِ وسكناتهِ مدة

ظهوره فادهشهم عدم ظهوره وبقوا يرجونهُ · ولكن ترجح لهم من البحث انهُ لا بدَّ ان يكون قد غيَّر سيرتهُ الاولى تحت تأثير المشتري ذلك انهُ في سنة ١٧٦٧ اي قبل ظهوره بثلاث سنوات دخل في اطراف فلك المشتري فوقع تحت تأثيره · وليس ببعيد ان يكون هذا التأثير قد غيَّر خطَّ سيره من اهليلجي الى شلجمي او هذلولي · وكان بعض الفلكيين قد ذهبوا الى ان المذنب انما غيَّر خط سيره من اهليلجي ضيق الى اهليلجي اكبر منهُ يقتضي قطعهُ اياهُ ست عشرة سنة بدلاً من خمس سنوات ونصف · ولكن الواقع لم يطابق مذهبهم هذا فحسب المذنب بين المذنبات المفقودة

وفي سنة ١٧٧٢ وسنة ١٨٠٥ شوهد مذنب آخر · ثم في سنة ١٨٢٦ اكتشف فلكي نمسوي اسمهُ بيالا مذنباً اثبت البحث انهُ هو المذنب الذي ظهر في السنتين المذكورتين · ومما زادهُ شهرة انهُ ظهر من الحساب ان زيارتهُ التالية للارض ستكون سنة ١٨٣٢ فيمرُّ تجاه فلكها وعلى بعد ٢٠ الف ميل عنهُ فقط وربما دنا منهُ اكثر من ذلك · وقال الفلكيون انهُ اذا اتفق وجود الارض حينئذٍ في ذلك الجوار فقد تجذبهُ اليها فيصطدم بها فذعر الناس لذلك · ولكن دلَّ الحساب ان المذنب يمرُّ بجوار نقطة البعد الاقرب من الشمس قبل الارض بشهر · وفي الميعاد المضروب ظهر المذنب من غير ان يلي ظهورهُ حادث من الحوادث التي خافها الناس وحسبوا لها شرَّ حساب

وبعد ذلك باربعين سنة اي سنة ١٨٧٢ مسَّ هذا المذنب الارض في زعم الفلكي كلينكرفوس · وكان قد كتب الى آخر يخبرهُ برأيهِ اي بتماسّ الارض والمذنب ويطلب اليهِ ان ينقب عن المذنب في مكان من السماء عيَّنهُ لهُ · فرأى هذا الفلكي في المكان المعيَّن وفي الزمان المعيَّن شيئاً يشبه المذنب ولكنهُ لم يستطع مراقبتهُ كثيراً لعدم ملاءمة الاحوال الجوية · ولا يعلم هل هو المذنب الذي اكتشفهُ بيالا ام لا · فان كان هو فان هذا الفلكي هو آخر الذين رأوهُ اذ لم يقل احد بعد هذا التاريخ انهُ رآهُ

على انهُ حدثت بين سنة ١٨٣٢ وسنة ١٨٧٢ حوادث جمة حملت الفلكيين على القول ان مذنب بيالا انقسم قطعاً صغيرة يجري بعضها في اثر بعض · وتفصيل هذا الاجمال انهُ انقدَّ اولاً مذنبين مستقلين الواحد عن الآخر فبقيا يجريان كفرسي رهان عدداً من السنين · واول مشاهدتهما مزدوجين كانت سنة ١٨٤٦ فان الفلكيين رأوهما حينئذٍ اثنين مختلفين في اللمعان ولأَلمعهما ثلاثة اذناب على زاويتين متساويتين · وامتدَّ احد هاتيك الاذناب الى المذنب الاصغر واتصل بهِ كأَنَّ بين الاثنين جسراً من نور · ثم رئيا مرة اخرى سنة

١٨٥٢ وكانا لا يزالان يجريان معاً . وكانت المسافة بينهما نحو ٢٠٠ الف ميل سنة ١٨٤٦ فاصبحت ١٢٧٠٠٠٠ ميل سنة ١٨٥٢

ولم يرَ هذا المذنب بعد ذلك بالتحقيق وانما رئي شبه مطر من الشهب والنيازك متساقط من ناحية النقطة التي تماسّ فيها فلكا الارض والمذنب . وكان تاريخ تساقط الشهب متأخراً نحو ثلاثة اشهر عن الميعاد الذي حسب لمرور المذنب نفسهِ في تلك النقطة . والفلكيون يعللون ذلك بما يأتي بانين تعليلهم هذا على حادثة فلكية اخرى

بعد سنة ١٨٥٢ تفرق المذنبان شعاعاً ولكل من قطعهِ حركة المذنب الداخلية ففعلت بها الشمس او غيرها من السيارات التي اتفق وجود القطع بجوارها وكبحت جماحها وهكذا جرت جملةً في الفلك الذي كان المذنب الاول يجري فيهِ فكانت النتيجة سلسلة طويلة من الاجرام السماوية الصغيرة . وفي ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٧٢ مرَّ جزء من هذه السلسلة ضمن مدى جاذبية الارض فتساقط قطعاً في جوّها حميت بقوة الاحتكاك الشديد الى حرارة بيضاء فظهرت لنا منيرة كالشهب . وكان قد جرى مثل ذلك سنة ١٧٩٨ وسنة ١٨٣٨ في زمانين ومكانين قدرا للمذنب المذكور ولكن تساقط الشهب فيهما اختلف عن تساقطهِ سنة ١٨٧٢ في حدوثهِ فيهما قبل الميعاد المقدر لظهور المذنب . وهذا كلهُ يدلُّ على انهُ اذا فقد مذنب فلا يبعد ان يكون سبب فقدهِ تفرقهُ بداد بداد . ثم انقضّت هذه الشهب في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٨٥ وقد شاهدنا انقضاضها في مصر ووصفناهُ في مقتطف دسمبر سنة ١٨٨٥ ويناير سنة ١٨٨٦

ومن المذنبات المفقودة مذنب اكتشف اولاً في اغسطس سنة ١٨٤٤ . واول من رآهُ بالتلسكوب الفلكي دي فيكو ثم لم يلبث ان ظهر بالعين المجردة . وظهر بالحساب انهُ يسير في دائرة اهليلجية وانهُ يعود مرة كل ٥ $\frac{1}{2}$ سنة وعليهِ انتظروا ظهورهُ سنة ١٨٥٠ ولكنهم لم يروهُ اما لشدة صغرهِ او لانهُ لم يعد حقيقة . فانتظروهُ سنة ١٨٥٥ فلم يَعُد فيها ولا فيما بعدها

ومن اشهر المذنبات المفقودة مذنب سنة ١٢٦٤ وقد اشار اليهِ فلكيو الصين واوربا معاً . وفي سنة ١٥٥٦ شوهد في جوهما مذنب قال الفلكيون انهُ هو مذنب ١٢٦٤ بعينهِ وظهر لهم بالحساب انهُ يتمُّ دورتهُ حول الشمس في ٣٠٠ سنة وسنتين او في ٣٠٠ سنة وثماني سنوات وعليهِ كان يجب ان يظهر سنة ١٨٥٨ او بعدها ببضع سنين ولكنهُ لم يظهر . وكان قد ظهر مذنب كبير سنة ٩٧٥ فظن بعض الفلكيين الذين رأَوا مذنب سنة ١٢٦٤ انهُ هو بعينهِ

وخلاصة ما تقدم ان المذنبات في نظامنا تجري حول الشمس في ثلاثة انواع من الطرق

او الافلاك المختلفة اولها الاهليلجي فتعود الينا بعد مدة طالت او قصرت . والثاني والثالث الشلجمي والهذلولي فلا يحتمل ان تعود الينا . فهي تتبع بذلك ناموساً اكتشفهُ السر اسحق نيوتن وهو ان كلّ جرم فلكي تابع لشمسنا يدور حولها في خط منحنٍ هو بعض جزء من سطح المخروط فاما الاهليلجي واما الشلجمي واما الهذلولي . ولما كان الثاني والثالث مستمرين على الانفراج فكل مذنب يسير عليهما لا يعود . على انهُ كثيراً ما يطرأُ على فلك المذنب خلل فيتحول من المنحني المقفل الى المنفرج اي من الشكل الاول الى الشكلين الآخرين . ومن اراد زيادة التفصيل فليراجع ما كتبناهُ عن المذنبات في المجلد التاسع من المقتطف

البورصة واعمالها

كثر في هذه الايام ذكر البورصة واعمال المضاربات وتأْثيرها في ثروة البلاد فرأينا ان نورد الفصل الآتي في البورصة واعمالها نقلاً عن كتاب « البورصة و بيع القطن » لمؤلفهِ محمود خاطر بك سكرتير صاحب المعالي وزير الزراعة :

« تنقسم اعمال البورصة الى قسمين كبيرين قسم للبيع بالنقد وآخر للبيع الى اجل

اما اعمال البيع بالنقد فتجري بغير نصّ على ميعادهِ ولهُ صفة تجارية بالنسبة للسمسار وصفة مدنية او تجارية بالنسبة للعميل

واما البيع الى اجل فيكون بتحديد الثمن بين المتعاملين بمقتضى عقد او كنتراتو وابقاء تسليم المبيع الى زمن مستقبل يتفق عليهِ وهو ما يعبرون عنهُ في بيع القطن بالبيع على الكنتراتات

وعمليات البيع التي تتم بالنقد تنجز في يومين تاليين لتاريخها لا يحسب منهما يوم العطلة. وتسوّى عمليات البيع الى اجل في مواعيد نصف شهرية تحددها لجنة البورصة في شهر دسمبر من كل عام فيعمل بها لمدة سنة كاملة ولا يجوز تغييرها باية حال

وقد خُصصت « بورصة مينا البصل » لبيع الاقطان والبذرة والغلال والحبوب بالنقد فالبيع فيها بيع حقيقي على بضاعة حاضرة وملاحظة الاعمال في هذه البورصة موكولة الى جمعية المحاصيل

واختصت « بورصة الاسكندرية » ببيع الاقطان على الكنتراتات فالبيع فيهما لقطن مستقبل ومراقبة اشغالهِ منوطة بجمعية سماسرة البضائع الذين ينفذون اوامر المتعاملين بصفتهم وسطاء

وفي « بورصة الاسكندرية » لكلٍّ من بيع النقد والبيع الى اجل مقصورة Corbeille تشمل حلقتين احداهما داخل الاخرى . ففي الحلقة الداخلة تتم جميع الاعمال ولا يدخلها الأ السماسرة المقررون او مندوبوهم الرؤساء . وكل عمل يعمل خارج البورصة لا بد من انهائهِ في نفس هذه الحلقة والأكان لاغياً

والبيع على الكنتراتات يكون عادةً للقطن الشعر ويعتبر صحيحاً ولو كان قصد المتعاقدين منهُ مجرد دفع الفرق في الاثمان

وبيان ذلك ان للبائع والمشتري على الكنتراتو ان ينصا في عقدهما اما على تنفيذ السوق الحقيقية بتسليم البضاعة او ترك الخيار لاحدهما بان يدفع الفرق بين الثمن يوم التسليم والثمن يوم البيع دون تسلُّم البضاعة وهذا يعرف بالمضاربات . ويعبّرون عن دفع الفرق بالتغطية

ويضطر المضاربون غالباً الى دفع فروق الاثمان لان مضارباتهم تتناول كميات من الاقطان توازي عشرة امثال المحصول على التقريب مما يتأتى معهُ حصول التسليم والاستلام فيما بينهم على الدوام . وهذا القدر قليل في جنب مضاربات نيويورك فانها تجاوزت في بعض السنين مائة مثل محصول اميركا

وقد اصدرت الحكومة المصرية في ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٩ قانوناً للبورصة يحرم على السماسرة ان يشتغلوا لانفسهم في البيع على الكنتراتات فقلّت بذلك المضاربات التي كانت وطأتها قد اشتدت على الناس بعد ازمة سنة ١٩٠٧ بسبب مداخلة السماسرة في المبيعات مما ادى الى خسارة فادحة اثرت في الحالة الاقتصادية المصرية وفي اسواق التجارة تأثيراً عظيماً

والاصل في البيع على الكنتراتات هو المحافظة على مراكز التجار واصحاب الاقطان بضمان الربح لهم . فان التاجر اذا اشترى مثلاً الف قنطار من القطن بمتوسط ثمن القنطار الواحد ٣٦٠ قرشاً ثم صعد السعر في البورصة الى ٣٨٠ قرشاً قبل تجهيز القطن وتعبئتهِ أمكن التاجر في هذه الحالة ان يبيع الالف القنطار على الكنتراتو بهذا السعر الاخير ليضمن ربحهُ منها

وللتاجر ولغيرهِ من المضاربين ان يبيع قطناً لا يملكهُ ويدعون هذا في اصطلاحهم بالبيع على المكشوف فيطلب من احد السماسرة بيع خمسة آلاف قنطار مثلاً وهو لا يملك منها قنطاراً ولكنهُ يدفع نظير ذلك الى السمسار تأميناً يختلف من ١٠ قروش الى ٢٠ قرشاً او اكثر عن القنطار الواحد ضماناً لسداد قيمة الخسارة عند حدوثها . فاذا نزلت السوق فان البائع يشتري بثمن رخيص ما باعهُ بثمن غالٍ ليسلمهُ ويكون الفرق ربحاً لهُ

واذا استمرت الاسعار في صعود واضطر البائع الى التسليم فانهُ يشتري بثمن غال ما باعهُ بثمن رخيص ليسلمهُ و يكون الفرق حينئذٍ خسارة عليهِ

وقد يتيسر للبائع شراء البضاعة و يتعذر على المشتري استلامها فيؤجلان ذلك الى وقت آخر . ولكن المشتري يدفع للبائع في هذه الحال غرامة التأخير في الاستلام Report

وقد يتعذر على البائع شراء البضاعة وتسليمها الى المشتري فيؤجلان ذلك ايضاً الى زمن مستقبلٍ غير أن البائع يدفع حينئذٍ الى المشتري غرامة التأخير في التسليم Deport

و بيع الناس في البورصة قطناً لا يملكهُ امر مشروع لا محظور فيهِ لانهُ يؤدي مهما كثر عدد المتعاملين ومهما تعددت المعاملات بينهم الى حصول تسليم البضاعة بالفعل بين البائع الاول والمشتري الاخير بمعنى انهُ اذا حلّ الاجل المضروب في الكنتراتو اصبح التعامل على بضاعةٍ حاضرةٍ يحتم معهُ اجراء التسليم والاستلام

وقد انتشرت المعاملة بالكنتراتات وشاع استعمالها في المضاربات بطرق مختلفة وضروب متعددة يجريها المضاربون بواسطة السماسرة مع تجار مخصوصين او مضاربين آخرين في البورصة واليك بيان عملياتها على الاجمال :

١ — العملية الثابتة Fix وهي عملية يطلب المشتري ربحهُ منها بصعود الاسعار حيث يكون هبوطها خسارة عليهِ كما يطلبهُ البائع بنزول الاسعار حيث يخسر عند صعودها

ففي حالة طلب الربح من الصعود يشتري المضارب مقداراً من القطن على الكنتراتو لاجل مسمى فاذا صعدت السوق في مدة العملية فانهُ يربح بالبيع زيادة السعر . واذا نزلت السوق واضطر للبيع خسر مقدار النزول

وفي حالة طلب الربح من النزول يبيع المضارب مقداراً من القطن على الكنتراتو لاجل معلوم فاذا نزلت السوق في مدة العملية ربح بشراء ما باعهُ مقدار النزول . واذا صعدت السوق خسر مبلغ الصعود لاضطرارهِ الى الشراء بثمن أعلى

وهذه العملية اشبه شيء بالتجارة الحقيقية يتبع الربح والخسارة فيها حال السوق بدون تقييد بمبلغ معين

و يدفع البائع والمشتري في هذه العملية تأميناً Marge ضماناً لسداد قيمة الخسارة في حال حدوثها . وقد لا يدفعان هذا التأمين لمكانتهما وشهرتهما في البورصة

٢ — عملية المراهنة Primes وهي عملية يطلب بها المشتري ربحهُ من صعود الاسعار كما يطلبهُ البائع من هبوطها

وتختلف هذه العملية عن العملية الثابتة السابق ذكرها بان الخسارة فيها محدودة والربح منها مطلق ٠ ويدفع المضارب في عملها مبلغاً معيناً عن كل قنطار رهناً عليها غير مرتجع Prime perdue

لنفرض ان فلاناً اشترى قطناً للصعود سعر القنطار ١٨ ريالاً وانهُ دفع رهناً على القنطار الواحد ١٠ قروش فلا بد من تغيير السوق في يوم التصفية بحالةٍ من الاحوال الآتية :

ا — ان ينقص السعر عن ثمن المشترى ٠ وفي هذه الحالة يخسر المضارب قيمة الرهن فقط سواء في ذلك نزل السعر الى ١٧٫٩٩ او ما دون ذلك بغير تحديد

ب — ان تثبت السوق على سعر المشترى بان يكون ١٨ ريالاً وفي هذه الحالة يخسر المضارب قيمة الرهن فقط لانهُ كما اسلفنا رهن غير مرتجع

ج — ان يزيد السعر على ثمن المشترى بما لا يبلغ قيمة الرهن بان يكون ١٨٫٢٥ مثلاً وفي هذه الحالة يربح خمسة قروش من علو السعر يقابلها خسارة مبلغ الرهن وهو ١٠ قروش فيكون صافي خسارتهِ خمسة قروش في كل قنطار

د — ان يزيد السعر عن ثمن المشترى بمقدار قيمة الرهن بان يكون ١٨٫٥ وفي هذه الحالة يربح من علو السعر عشرة قروش يقابلها خسارة الرهن فهو لا يربح ولا يخسر

ه — ان يزيد السعر عن ثمن المشترى بما يتجاوز قيمة الرهن بان يكون مثلاً ١٩ ريالاً وفي هذه الحالة يربح من علو السعر ريالاً يقابلهُ خسارة مبلغ الرهن فيكون صافي ربحهِ ١٠ قروش ٠ وكذلك يربح كل قيمة الصعود بعد ذلك بدون تقييد

واذا باع فلان قطناً للنزول سعر القنطار ١٨ ريالاً مثلاً ودفع رهناً على القنطار الواحد ١٠ قروش فلا بدَّ في هذه العملية ايضاً من تغيير السوق في يوم التصفية بحالة من الاحوال الآتية :

ا — ان يزيد السعر عن ثمن البيع ٠ وفي هذه الحالة يخسر المضارب قيمة الرهن فقط سواء في ذلك صعد السعر الى ١٨٫١ او الى ما فوق ذلك بغير تحديد

ب — ان تثبت السوق على سعر البيع بان تكون ١٨ ريالاً وفي هذه الحالة فانهُ يخسر ايضاً قيمة الرهن لانهُ رهن كما عرفنا غير مرتجع

ج — ان ينقص السعر عن ثمن البيع بما لا يبلغ قيمة الرهن بان يكون ١٧٫٧٥ مثلاً وفي هذه الحالة فانهُ يربح خمسة قروش من نزول السعر يقابلها خسارة مبلغ الرهن فهو لا يربح ولا يخسر

ه — ان ينقص السعر عن ثمن البيع ما يتجاوز قيمة الرهن بان يكون مثلاً ١٧ ريالاً وفي هذه الحالة فانهُ يربح من نزول السعر ريالاً يقابلهُ خسارة مبلغ الرهن فيكون صافي ربحهِ ١٠ قروش وكذلك يربح كل قيمة النزول بدون تقييد

(نتيجة) لزيادة السهولة في احتساب الربح من عملية المراهنة للصعود قد اصطلحوا على اعتبار السعر مكوَّناً من ثمن المشترى زائداً عليهِ قيمة الرهن وهو في حالة الشراء المتقدمة ١٨٫٥٠ فالربح يكون فيما يزيد عن ذلك·١٠١ في عملية المراهنة للنزول فيحسبون الربح باعتبار السعر مكوَّناً من ثمن البيع ناقصاً قيمة الرهن وهو في حالة البيع السالفة ١٧٫٥٠ فالربح يكون فيما هو دون ذلك

(ملحوظ مهم) اذا كان عند احدهم الف قنطار من القطن وكان بين امل في صعود السعر وخوف من هبوطهِ امكنهُ ان يبيع على المكشوف الف قنطار بعملية المراهنة · فاذا نزلت السوق كانت قيمة النزول ربحاً لهُ فيما باعهُ على المكشوف يعوّض عليهِ خسارتهُ في قطنهِ · واذا صعدت السوق خسر فيما باعهُ على المكشوف قيمة الرهن وحدهُ وربح في قطنهِ قيمة الزيادة في الاسعار

٣ — العملية المشتركة Stellage وهي عملية مراهنة مزدوجة Double prime تكون للصعود وللنزول معاً اي أن المضارب بواسطتها يشتري كمية من القطن للصعود ويبيع مثلها للنزول في وقت واحد · ولهذا فمبلغ الرهن على هذه العملية يكون ضعفهُ في عملية المراهنة البسيطة Prime simple

فاذا اشترى انسان ٢٥٠ قنطاراً بالعملية المشتركة سعر ٢٠ ريالاً لمدة معلومة فانهُ يدفع عشرين قرشاً مثلاً على كلّ قنطار ليبيع بالسعر نفسهِ وفي الوقت عينهِ وللمدة ذاتها ٢٥٠ قنطاراً فيعامل بذلك عند الصعود على ما اشتراهُ فقط ويعامل عند النزول على ما باعهُ لا غير

فان ثبتت السوق في يوم التصفية على سعر ٢٠ ريالاً فانهُ يخسر مبلغ الرهن

وان صعد السعر او نزل بما لا يبلغ حدّ الرهن بأن كان ٢٠٫٥٠ مثلاً في الصعود و ١٩٫٥٠ في النزول فانهُ يخسر الفرق الحاصل بين قيمة الرهن وقيمة صعود السعر او هبوطهِ وهو في هذه الحالة ١٠ قروش

وان صعد السعر او نزل بما يبلغ حدّ الرهن بأن كان ٢١ في الصعود و ١٩ في النزول فانهُ لا يخسر ولا يربح

وان صعد السعر او نزل الى ما يزيد عن حدّ الرهن بأن كان في الصعود ٢١٫١ مثلاً

فما فوق وفي الهبوط ١٨٫٩٩ فما دونهُ ربح مبلغ الزيادة او النقص بدون تقييد

٤ — العملية المضاعفة بالاختيار Doublé faculté وهي عملية عن كمية من القطن تعتبر بالاختيار مضاعفة عند الربح . وتكون هذه العملية المضاعفة للصعود كما تكون للنزول

فاذا اشترى فلان للصعود ٢٥٠ قنطاراً من القطن بالعملية المضاعفة سعر القنطار ١٨ ريالاً لاجلٍ مسمّى مع دفع ١٠ قروش عن كل قنطار حيث يحتسب السعر الحقيقي في هذه العملية ١٨٫٥٠ . فان المضارب يقفل العملية المذكورة بعملية اخرى ضدّها بان يبيع للنزول في الوقت عينهِ وبسعر الشراء نفسهِ وللمدة ذاتها ٢٥٠ قنطاراً فتلغى عملية البيع هذه عملية الشراء السابقة لانهما عمليتان ثابتتان يقابل الربح في عملية الشراء خسارة تعادلهُ في عملية البيع والعكس بالعكس

فان نزلت السوق في يوم التصفية الى ما هو دون السعر الحقيقي وهو ١٨٫٥٠ بأن كانت ١٨٫٤٩ فما دونهُ خسر المضارب مبلغ الرهن وان ثبتت على سعر ١٨٫٥٠ خسر مبلغ الرهن ايضاً

وان صعدت عن الثمن الحقيقي الى ما لا يبلغ الرهن بان كان السعر ١٨٫٧٥ خسر الفرق بين صعود السعر عن الثمن الحقيقي وبين مبلغ الرهن اي انهُ يخسر خمسة قروش في كل قنطار

وتحسب الخسارة في هذه الحالات الثلاث باعتبار ان المضارب يملك ٢٥٠ قنطاراً لاغير

وان صعدت السوق عن الثمن الحقيقي الى ما يبلغ قيمة الرهن بان كان ١٩ ريالاً فان المضارب لا يخسر ولا يربح

وان زاد السعر الى ما يتجاوز حدّ الرهن بأن كان ١٩٫١ فما فوق ربح المضاوب مقدار الزيادة بدون تقييد

ويحسب الربح في هذه الحالة باعتبار ان المضارب يملك ٥٠٠ قنطار اي ضعف الكمية المشتراة . وهذه الكمية الاضافية وهي ٢٥٠ قنطاراً يسمونها Arie يعني هوائية

وقد علمنا مما فات ان نصف هذه الخمسمائة قنطار ملغى بعملية بيع سابقة فكأن المضارب لا يملك عند الصعود غير ٢٥٠ قنطاراً وهي الكمية الهوائية

واذا علمت ان الكمية الهوائية لم يدفع عنها فيما مضى رهن عرفت السرّ في احتساب السعر الحقيقي في هذه العملية ١٨٫٥٠ بخلاف ما جرى في العمليات المتقدمة

وتجري عملية المضاعفة للنزول بمثل جريانها للصعود بالكيفية السابقة

ويجوز للمضارب في عملية المضاعفة اذا امّل الربح ان لا يقفل عملية الشراء ببيعهِ ما يقابلها او عملية البيع بشرائهِ مقدارها فيحتسب لهُ الربح حينئذٍ في المثال المتقدم على ٥٠٠ قنطار وتحتسب لهُ الخسارة اذا حدثت على ٢٥٠ قنطاراً فقط

(نتيجة) بمقارنة العملية المضاعفة بعملية المراهنة نجد الفرق بينهما

ا . ان الرهن على عملية المضاعفة ضعفهُ في عملية المراهنة

ب . أن ثمن الشراء يعتبر ثمناً حقيقيًّا في عملية المراهنة وهو اي الثمن الحقيقي في عملية المضاعفة يكون من ثمن الشراء زائداً مبلغ الرهن

ج . أن للمضارب الحق في عملية المضاربة ان لا يقفل عمليتهِ ليحتسب لهُ الربح على ضعف ما اشتراهُ او باعهُ

٤ — العملية الراحلة Arbitrages وهي عملية يشترى بواسطتها المضارب قطناً مصريًّا في الاسكندرية على الكنترراتو وبيبع مثلهُ في ليفربول او العكس طلباً لربح الفرق بين السعرين . وهذه العملية يغلب جريانها بين التجار وكبار المضاربين

ويجوز ايضاً اجراء هذه العملية في الاسكندرية بشراء قطن نوفمبر مثلاً وبيع قطن مارس طلباً لاكتساب فرق السعرين

وكذلك يجوز اجراؤُها بنقل العمليات المتقدمة من شهر الى شهر حيث يدفع المضارب فرق السعر في الشهرين Ecart

(تنبيه) ان مبلغ الرهن الذي يدفع على عمليات المضاربات يختلف باختلاف اسعار السوق وحركة الاعمال وباختلاف حال الزراعة ايضاً وبحسب ما تكون العملية لموعد قريب او بعيد

ويعلّق قوم على هذه العمليات وامثالها في المضاربات اهميّة عظيمة لحفظ اسعار القطن وتوجيه الرغبات اليهِ واعلاء شأنهِ في التعامل بهِ وتداول النقود بين المتمولين بسببهِ واستثمار المال بتعدد انواع الاخذ والعطاء في اصنافهِ ويرون في ابطال هـذه المضاربات وقوف حركة الاقطان التي عليها مدار الثروة العمومية لهذه البلاد

وهذا رأي اذا سلّمنا بهِ جدلاً لا يخالفنا القائلون بهِ في ضرر المضاربات اذ تجاوز في عملياتها حدّ التوسط والاعتدال

وقد اوردت ها هنا اعمال المضاربات على سبيل المثال . غير راغبٍ فيها ولا حاثٍ عليها فانها مضيعة للآمال في كل حال »

رومانيا تاريخها واحوالها

كان الشعب الروماني قدماً يقطن البلاد الواقعة بين البحر الاسود والبحر الادرياتيك والبحر المتوسط . وكان مؤلفاً من قبائل شتى منتشرة شمالي نهر الدانوب وشرقيهُ وفي ترانسلفانيا وجبال كرباتيا . وبعد تقسيم مملكة الاسكندر وجهت رومية همها الى فتح هذه البلاد في عهد الامبراطور تراجانوس . ولما اضمحلت سلطة رومية بقي قسم كبير من الرومان في هذه البلاد فاستوطنوها وامتزجوا باهلها الاصليين وكانوا ارقى منهم حضارة فاضطروهم الى اتخاذ اللاتينية لهم لغة والى التخلق باخلاقهم وهكذا اندثرت لغتهم القديمة ونشأ الشعب الروماني الحالي من امتزاج الرومانيين باهل البلاد الاصليين واسمهم الداس

اما رومانيا الحالية فيحدها شمالاً النمسا وشرقاً روسيا والبحر الاسود وجنوباً نهر الدانوب الفاصل بينها وبين بلغاريا وغرباً صربيا . وعدد سكانها ثمانية ملايين منهم سبعة ملايين من الارثوذكس . والباقون منهم نحو النصف من اليهود و٢٥٠ الفاً من المسلمين و٨٠ الفاً من الانجيليين و٦٠ الفاً من الكاثوليك و٥٠ الفاً من اهل المذاهب الباقية . وبقيت هذه البلاد في يد تركيا مدة ستة قرون ولذلك تجد في اللغة الرومانية كثيراً من الالفاظ التركية مثل توتون (تبغ) وآغا وبخشيش وهايدي وغيرها . وكان الرومانيون في حرب دائمة مع الدولة العثمانية حتى عقد مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ على اثر حرب القريم فاعطيت رومانيا بعض الامتيازات منها اولاً ضم الامارات الرومانية في ايالة واحدة . ثانياً استقلالها الاداري تحت سيادة تركيا . ثالثاً تعيين حاكم مسيحي لها فعين البرنس شارل هوهنزلرن من اسرة امبراطور المانيا . وكان تنصيبهُ فاتحة عصر مجيد لرومانيا فلما بلغ بخارست عاصمتها في ١٠ مايو سنة ١٨٦٦ اقيمت الافراح في طول البلاد وعرضها احتفالاً بمقدمهِ . فهبَّ يفتح المدارس ويمد سكك الحديد ويهتمّ باصلاح العاصمة حتى صارت تضاهي اجمل العواصم الاوربية . ثم جعل همهُ اصلاح الجيش وكان قائد الاي في الجيش الالماني لما وقعت الحرب بين بروسيا والدنمرك . ولعلهُ كان يرمي باصلاح جيشهِ الى محاربة النمسا كما تصنع رومانيا الآن لتخليص ثلاثة ملايين من قومها من نير النمسا والمجر

ورومانيا بلاد زراعية تخرج مقداراً كبيراً من القمح والذرة . وهي غنية بالبترول حتى لتعد الاولى فيهِ بعد اميركا وروسيا . وفيها من الغابات ما مساحتهُ سبعة ملايين ونصف مليون فدان يستخرجون منها الخشب ويصدرونهُ الى الخارج

وفي ١٠ مايو سنة ١٨٧٧ على اثر حرب روسيا وتركيا رقيت رومانيا الى مملكة ونودي بالبرنس شارل ملكاً عليها . وتوفي هذا الملك في اوائل الحرب الحاضرة عن بنت ماتت صغيرة السن فخلفهُ ابن اخيهِ الملك فردينان الحالي وهو متزوج البرنسس ماري بنت دوق ادنبرج عم ملك الانكليز الحالي ووالدتها الغراندوقة ماري بنت اسكندر الثاني قيصر روسيا . وللملك فردينان ابنان وثلاث بنات

وقد زرت هذه المملكة منذ بضع سنوات بطريق الاستانة فرست الباخرة في اول مرفإٍ منها وهو ميناء قسطنجه على البحر الاسود في اقليم دوبريجه . وكان هـذا الاقليم تابعاً لتركيا وبقي في حيازتها حتى سنة ١٨٨٨ ثم ضم الى رومانيا بعد مفاوضات طويلة بين الحكومتين كادت تفضي الى الحرب . وكانت قسطنجه فيما مضى قرية صغيرة اما الآن فمدينة عامرة ذات شوارع واسعة مفروشة بالاسفلت وعلى جانبيها الاشجار الباسقة انفق عليها وعلى مينائها واحواضها نحو ٨٩ مليون فرنك

ومن قسطنجه ركبنا القطار الى بخارست عاصمة رومانيا والمسافة بينهما ٦ ساعات وعدد المحطات ٢٢ . وما زال القطار يستقبل محطة ويودع اخرى حتى بلغنا الجسر العظيم الممتد فوق نهر الدانوب عند مدينة تشرنافودا . وطولهُ اربعة آلاف متر وبلغت نفقاتهُ ٣٥ مليون فرنك . واقليم دوبريجه واقع في هذه المنطقة وشهرتهُ الآن غنية عن البيان لانهُ احد ميداني القتال في رومانيا

اما بخارست فيسميها الترك بكرش . عدد سكانها ٨٠٠ الف نسمة . والقادم اليها من الشرق تدهشهُ ابنيتها التي لا تقلُّ في جمالها وفخامتها عن ابنية العواصم الاوربية . وقد اكثروا من غرس الاشجار في الميادين وجوانب الشوارع حتى يخيل لمن فيها انهُ في بستان . واعظم شوارعها شارع فيكوري . وفيهِ من القهوات والملاهي ما لا يقلُّ عن اعظم شوارع باريس . ومركبات الاجرة فيها احسن منها في سائر العواصم منظراً واتقاناً لانهُ فرض على العربجية ان يلبسوا زيًّا واحداً مؤلفاً من بالطو قطيفة زرقاء تصل الى القدمين . وفي وسطها منطقة حمراء . وخيل المركبات من الخيل المطهمة يؤتى بها على الغالب من روسيا . والعربجية روسيو الاصل وكانت لهم في روسيا عادة غريبة وهي انهُ اذا تزوج الواحد منهم ورزق ولداً خصى نفسهُ . فلما درت الحكومة الروسية بهذه العادة المضادة لناموس الاجتماع نفتهم من البلاد فلجأُوا بجملتهم الى بخارست عاصمة رومانيا

ومن شوارعها الكبرى شارع كولسا يسكنهُ اهل الطبقة العالية وترتيبهُ هكذا : ممشى

على جانب لمرور الناس غرست على محاذاتهِ الاشجار · ثم طريق آخر للمركبات · ثم طريق في الوسط للخيل مفروش بالرمل وعلى حذائهِ الاشجار · ثم طريق آخر للمركبات على الجانب الآخر ثم ممشى · وليس فيهِ دكاكين ولا حوانيت فهو بذلك شبيه بشارع قصر الدوباره

وزرت غبطة المتروبوليت (وهو الرئيس الديني في رومانيا) ثم الكنيسة وهي قديمة العهد فرأيت فيها تابوتاً من الفضة فيهِ عظام القديس ديمتريوس الذي يكرمهُ الرومانيون كل الاكرام فاذا انحبس المطر حمل رجال الدين التابوت وطافوا بهِ في المدينة داعين الله ان يجود عليهم بالغيث لانعاش الزرع · والرومانيون كثيرو التعبّد ففي عاصمتهم ١١٦ كنيسة ارثوذكسية

وكنت قبل سفري من القاهرة قد قابلت معتمد رومانيا فاشار عليَّ بزيارة جبل سينايا وفيهِ قصر الملك حيث يقيم هو وبطانتهُ وكذلك تقصدهُ الطبقة العليا للتصييف والبعد بينهُ وبين العاصمة ٣ ساعات · فركبت القطار اليهِ وكان فيهِ كثيرون من الرومانيين وهم لطيفو العشرة لا يتطلبون للتعارف شروطاً كثيرة فدلوني انا والذين معي على كل شيء يستحق المشاهدة في طريقنا من ذلك ينابيع البترول المشهورة وحقول الفاصوليا فانها من حاصلات رومانيا الزراعية الكثيرة وللفلاحين طريقة غريبة في زرعها فانهم يعرشونها على اوتاد يبلغ طول الواحد منها ٩ امتار حتى يتخيل من يراها انها اشجار باسقة · والمسافة بين وتد ووتد متران · وقد جعل الرومانيون من هذا الجبل حديقة غناء يعجز القلم عن وصف محاسنها · وفيهِ فندق يقدم الى الآكلين على موائدهِ بعض الالوان الشرقية كالباذنجان «المحشي» والرز المدفون يقدمون معهُ اللبن الرائب في «سلاطين» بيضاء كما نراها هنا . ومن انواع الحلوى الشرقية البقلاوه والقطايف

وزرت قصر الملك ومعي توصية من معتمد رومانيا الى السر تشر يفاتي · والقصر على بعد ساعة من الفندق فقصدت اليهِ في طريق كستها غابات الصنوبر عن الجانبين فلما قابلت السر تشريفاتي بالغ في اكرامي وقال ان الملك منحرف المزاج كما لا بدّ ان تكون قد علمت من الصحف ولكن ولي العهد (الملك الحالي) يقابلك وسأرسل اليك علماً بذلك في الفندق

وفي الغد وردتني رسالة بان اذهب الى القصر الساعة الثالثة بعد الظهر فادخلني احد التشريفاتية قاعة الاستقبال حيث تشرفت بمقابلة سمو ولي العهد وكان بملابسهِ العسكرية وجرى بيننا حديث على مصر ورومانيا ودعاني لزيارة ديرارجيش حيث اشاهد قبب الاجراس الرخامية المذهبة وقد صفت بطريقة هندسية غريبة مما لا مثيل لهُ في العالم · ولزيارة مناجم الملح وعمقها في بعض الاماكن ١٥٠ متراً وليس هناك حجر او تراب بل الملح

النقي . ومما قال لي ان رومانيا بلد زراعي كالقطر المصري ولكنَّ الحكومة توجه همها الى الصناعة ايضاً . ودامت المقابلة نصف ساعة ثم انصرفت شاكراً

وفي هذا الجبل كنيسة وقد زرتها وصليت فيها مع المصلين . ومع ان الصلاة باللغة الرومانية فان المسيحي الشرقي يسهل عليهِ تتبعها وفهمها من الحانها . وملابس القسيسين عندهم كملابسهم عندنا . والمصلون يبقون وقوفاً مطاطئي الرؤُوس غاضي الابصار ولكن النساء يخررن على الركب سجوداً في القداس ثم عند عرض الكاس . ولا يدار بالصواني لجمع الصدقات من المصلين كما هي الحال عندنا بل عند باب الكنيسة مائدة عليها صينية وامامها الشموع فالداخل للصلاة يأخذ شمعة ويضع في الصينية ما تسمح بهِ نفسهُ

وبعد الصلاة عدنا الى بخارست لنسافر منها الى بلغراد عاصمة السرب

ادوار الياس باشا

حبوب إطالة العمر

ليس لإطالة العمر حبوب كالحبوب التي تؤْخذ لكثير من الادواء وانما ذكرت الحبوب هنا على سبيل الاستعارة وهي استعارة مستحبة . وعندنا انهُ لو اكتشفت حبوب لاطالة العمر لوجدنا الناس ما بين راغب فيها او راغب عنها مقبل عليها او رادّ لها شأنهم في بضاعة الحياة حيثما كانوا . فاننا بينا نرى شاعراً كالمتنبي يقول

واذا الشيخ قال أفٍّ فما مـــلَّ حياة وانما الضعف ملاّ

نرى شاعراً غيرهُ يقول

وحُقَّ لمن أتت مئتان عاماً عليهِ ان يملَّ من الثواء

على انهُ لو قرن طول الحياة بالصحة الدائمة والشباب الدائم ووفرة اسباب الغبطة ما وجدت انساناً يملُّهُ ولو كان هناك من يقول غير ذلك اي ان الانسان يسأم العمر الطويل ولو صحبتهُ جميع اسباب السرور رغبة في معرفة ما وراءهُ . ومعنى ذلك ان الموت يصبح امنية الاماني بعد ان يكون طول الحياة تلك الامنية كما هو العرف الآن

سئل احد محافظي مدينة لندن وكان قد انتخب محافظاً وهو فوق الثمانين من عمرهِ كيف بلغت هذا الحد من العمر وانت على ما نراك من القوة والعافية وبُعد الهمة فاجاب بما يأتي ونشر جوابهُ في احدى الصحف تحت العنوان المتقدم . قال :

« اعتنِ بشرايينك فان الانسان يشيخ بقدرما تشيخ شرايينهُ فاذا ضعفت اقتحم الدم اسوار الدماغ وغيره من الاعضاء الجوهرية والعاقبة معروفة

« والعناية بالشرايين تقتضي نومك باكراً وهذا ما الحّ فيهِ شديد الالحاح بوجه خاص. اما انا فكنت اطيل النوم ليلاً كلما استطعت . هذا من جهة النوم واما من جهة الطعام فاني اقلل من اكل اللحم ما امكنني . ولم اجر في زماني على قواعد معينة في الطعام بل اني آكل ما يقدم اليَّ باعتدال واشرب كأساً من الخمر وادخن سيجاراً . وعليهِ اقول ان الاعتدال في المعيشة والامتناع عن المسكر يمكنان المرء من التمتع بهذه الحياة

« واما الرياضة فانا من المعتقدين بعظم شأنها ولكن شغلي كان يمنعني ان انال منها قدرما احب لكن الشغل والعمل لا يضران احداً بل بالضدّ من ذلك يحفظان للناس صحتهم »

نقول وهذا كلهُ صحيح لا غبار عليهِ الاَّ اذا كانت البنية خربة بالفطرة وحينئذٍ فان هذه الحياة لا تستحق ان تعاش كما يقول الانكليز في بعض تعابيرهم . ولكن هناك رجالاً كديوجنس والمعري وملتون وغيرهم احبوا الحياة وساغ لهم شرابها وهم بين مقعد واعمى ومشوَّه ومصاب بداء عياء . فهؤُلاء وامثالهم انما احبوا الحياة ولو لم يتمتعوا تمتعاً كاملاً بملاذّها واطايبها لانهم كانوا يشعرون من انفسهم بمشاركة الغير لهم في ضرّائهم على حد قول بعض شعراء الانكليز :

« اذا صافحتك الخيبة في عملك . ورأيت عثرات الامال تقف في سبيل مشروعاتك . وصديقاً لك كنت تعهدهُ وافياً قد انقلب غدّاراً وعدوًّا مبيناً وخان عهود صداقتك . واذا رأيت نفسك تتخبط في اسفل السلّم تحاول الصعود فلا تستطيع — فان علمك بوجود من يعطف عليك و يشاطرك تعبك وألمك يكون لك كنزل في السماء

« رجل يقدر جهدك حق قدرهِ . رجل يفهمك و يدرك موقفك فلذلك يعطف عليك . رجل يشغلهُ امرك ولو كان بعيداً عنك . رجل لن ينساك . رجل يعنى بك حقيقة

« هذا كلهُ يدفع عوامل الانبساط الى قلبك ويحرّك جوارحك حتى ليكاد السرور يطفح عليك وتكاد الدموع تترقرق في عينيك . فان هذه الحياة تستحقُّ ان تعاش اذا وجدتَ فيها من يرثي لك و يقاسمك احزانك وعلمت ان هناك من يهتمُّ بك

« ليست ايام هذا العمر بالمنيرة كلها بل فيها ايام كثيرة مظلمة تتلبد السحب في جوّها ولكن الشوكة لا تقتل الوردة بل ان السحب السوداء المتلبدة تحفّها دارةٌ من نور اذا وجدتَ في هذه الدنيا من يعنى بك و يعطف عليك في مصابك »

مصر منذ تسعين سنة

(١١)

الافندي الارمني

في صباح اليوم التالي خرجنا من مرفإ دمياط في قارب لقنصل فرنسا ورافقنا القواس وقد عهد اليهِ في شحن الرز من العزبة ونقلهِ الى المركب اليوناني الرامي في عرض البحر عند راس البوغاز. فسار بنا القارب بين مروج خصبة وغابات من النخيل. وبينما كنت امتع بصري بتلك المناظر البديعة البهجة والقارب يسير بنا الهوينا ومياه النيل الصافية كالمرآة تتجعد كحلقات الزرد من نسمات السحر وتتلاطم معانقة مياه البحر المالحة اذ وصل الى سمعي غناء بلغةٍ غريبة وقد تكرر مطلعهُ هكذا: « استنبولدن آه يلير فرمان . علي عثمان يارجمندة يلير استنبولدن » فالتفت الى مصدر الصوت فرأيت شابًّا بهي الطلعة ولكنهُ زري الهيئة فسألت القواس عنهُ فقال انهُ شاب ارمني صعلوك من اسطنبول يجول في البلاد للاستجداء وهو يغني بالتركية اغنية دارجة شاعت عند صدور الفرمان من السلطان بقتل الانكشارية

ثم وقف بنا القارب عند عزبة بالقرب من بحيرة المنزلة لشحن اكياس الرز فخرجت الى البر وجلست على العشب فاتى ذلك الشاب الارمني وجلس بالقرب مني فتبينتهُ واذا هو جميل الهيئة بملامح شركسية وعينين سوداوين استرسل شعرهُ على جبينهِ وفوديهِ تحت طربوش احمر تركي وهو يلبس « غنبازاً » قصيراً او ساية من الحرير مقلمة بخطوط ملونة الاَّ انها عتيقة فوقها جبة قصيرة من جوخ اسود عريضة الاكمام الاَّ انها ممزقة . وفي وسطهِ منطقة ملونة فهو في هيئتهِ هذه وشكلهِ كتركي فقير ولم أرَ في وسطهِ الغدارات والخناجر حسب عادة الترك بل وضع بدلاً منها دواة طويلة من نحاس اصفر فتأكدت حينئذٍ انهُ « افندي » من رجال الكتابة ودهشت حينما بادأني بالتحية باللغة الفرنسوية قائلاً : بونجور مسيو

فقلت لهُ أأنت مصري ؟ اجاب كلا انا من اسطنبول هاجرت الى هذه البلاد مع مَن هاجر من الاتراك والارمن للارتزاق بعد ان استقل محمد علي باشا في حكم ولاية مصر

وكنت كاتباً ومترجماً في سراي طوسون بك نجل سعادته . ثم خرجت من عنده وحضرت الى دمياط ولما علمت انك مسافر الى سوريا عزمت ان اصحبك في السفر الى بيروت ولي هناك شقيق كاتب عند حاكم تلك المدينة ومقرب اليه . فالتفت نحو القواس وقلت له لا أرى بأساً ان يسافر هذا الشاب معنا . فاخذني ناحية وقال لي همساً : اني لا ارى من الفطنة والصواب ان تصحبه معك لئلا تضطر ان تدفع عنه نفقته واجرة السفر في المركب اليوناني لانه فقير معدم لا يملك سوى دواته واقلامه فهو من الجوالين الصعاليك الذين يجولون في البلاد متخذين مهنة الكتابة ونظم الاشعار للاستجداء ولما وصل الى دمياط قصد القنصل فنقده بعض دريهمات وصرفه

فالتفت حينئذٍ نحو الشاب وقلت له اني آسف يا عزيزي لكوني لا اقدر ان اصحبك معي في المركب فليس في وسعي ان ادفع عنك اجرة السفر فقد نفدت دراهمي وما عندي لا يكاد يكفيني للوصول الى بلادي . فاجابني لا بأس سابقى هنا عند الفلاحين الى ان يمر بعض السياح الانكليز الذاهبين الى سوريا ولا بد ان اجد بينهم واحداً ذا حنان وعطف ومروءة فيأخذني معه . فآلمني هذا الكلام وحرك في قلبي عاطفة الغيرة والمنافسة الجنسية فندمت لما ابديته من الجفاء نحو هذا الشاب المسكين

— بوغاز دمياط و بحيرة المنزلة —

وبينما كان الفلاحون يشحنون اكياس الرز في القارب اتخذت هذه الفرصة للتفرج على بحيرة المنزلة القريبة من هناك فسرت مع القواس في تلك المروج والغياض واجتزنا قرية تدعى « العزبة » وكل بيوتها حقيرة من الطوب النيء ما عدا جامعاً قديماً متهدماً واثار برج من الحجر الصلب وكلاهما تهدما في حصار دمياط على عهد الصليبيين تحت قيادة الملك لويس التاسع . وكان هذا البرج من حصون دمياط القديمة ذات الاسوار المنيعة وكانت على شاطئ البحر غير انه على طول الزمن تغلب طمي النيل على المياه فصارت المدينة على بعد بضعة اميال من الشاطئ . وقد قرر العلماء ان تربة الاراضي المصرية تكتسب ميلاً من ارض البحر في كل ستمائة سنة بواسطة الطمي . وان مدينة دمياط الحالية كانت منذ تأسيسها على شاطئ البحر الملح فصارت الآن على مرّ الزمن و برسوب طمي النيل على مسافة اميال من البحر

وكانت دمياط محطاً للقوافل والمسافرين بين البرّين مصر وسوريا في الزمن السابق

ولم تزل الى الآن آثار مدن وخرابات على شاطىء البحر وضفاف بحيرة المنزلة طمرتها الرمال بعد ان قذفتها الرياح من الصحاري الشرقية · وتتبع العلماء هذه الآثار على شاطىء البحر فوجدوا خرائب مدن مصرية كثيرة بنيت على عهد ملوك طيبة والملوك الرعاة · وبعض تلك المدن كانت على شاطئ البحر فتغلبت عليها الرمال الشرقية والطمي فصارت على مسافات بعيدة عن البحر وقد احصى العلماء الجيولوجيون طبقات الطمي وعلوها عن الماء وحسبوا الزمن الذي ترسب فيهِ كل طبقة من الارض بسبب طمي النيل في كل سنة من السنين فوجدوا ان عمر الاراضي المصرية اربعون الف سنة منذ كانت المياه غامرة بلاد الدلتا كلها

ثم وصلنا الى بحيرة المنزلة وهناك رأينا الوفًا من قوارب الصيادين تمخر في تلك البحيرة وبين جزرها الكثيرة لصيد السمك · ويصطادون منهُ في كل سنة الوفًا من القناطير تكفي مؤُونة مصر كلها · وبحيرة المنزلة هي بحيرة ماريوتنيس القديمة وعلى شواطئها كانت مدينة تانيس العاصمة القديمة ومدن كثيرة عفَت آثارها ومدينة بيلوزا مفتاح القصر المصري في الحدود الفاصلة بين سوريا ومصر ومن هذه المدينة اجتاز الملوك الفاتحون لاجتياح مصر كملوك اشور وفارس واليونان والرومان · ومنها دخل الاسكندر الى مصر · وحول البحيرة اراضٍ مشبعة من نشع مياه النيل تزرع ارزاً وتتخللها اشجار الطرفاء والجميز والنخل وعلى ضفاف الترع نباتات البردي واللوتس الارجواني والنيلوفر وتحوم حولها الطيور من حمام وبط واوز وغيرها من الطيور المائية الصالحة للصيد

وبينما كانت انظاري متجهة الى حركة قوارب الصيادين والى مدهشات الطبيعة وافكاري منصرفة الى تلك العاديات القديمة سمعت تلك الاغنية التركية التي سمعتها في القارب من ذلك الشاب الارمني الذي رفضت ان اصحبهُ معي تبعًا لمشورة القواس وكان يكرر نشيدهُ فالتفت فرأيتهُ واقفًا على بعد بعض خطوات مني وفي وسطهِ دواتهُ الصفراء النحاسية وتحت ابطهِ صرة ثيابهِ وهي كل ما يملك من حطام الدنيا فحملتني الشفقة عليهِ الى استئناف الحديث معهُ فتركت القواس ودنوت منهُ وقلت لهُ همسًا

كنت اود ان آخذك معي الى سوريا لولا الضائقة المالية ولكني ساطلب من ربان المركب ان يأخذك باجرة قليلة وانا اقدم لك الطعام مدة السفر تخفف عنك

وطأة الم . وقد رأيت هذا القواس الانكشاري حاقداً عليك فربما كان ذلك لانك تعرض بهِ في اغنيتك التركية عن صدور الفرمان بقتل الانكشارية . فاجابني لا بل هو نفسهُ بادأني بالعداء ولم يدعني اقابل القنصل بدمياط ولولا انهُ جعل نفسهُ تحت حمايتهِ وادعى بانهُ الباني لما بقي الى الآن حيًّا فلا يوجد الآن انكشاري واحد في كل السلطنة التركية

فاهتممت باصلاح ذات البين بينهما وعزمت ان اصحبهُ معي فحمل صرة ثيابهِ تحت ابطهِ واتبعنا ولما رجعنا من تطوافنا الى العزبة رأينا القارب امتلأ من اكياس الرز والجارية جالسة بين اقفاص الدجاج تنتظرني بفروغ صبر . فسار بنا القارب في الترعة الدمياطية الى البوغاز (رأس البر) وكنا كلما تقدمنا نتسع امامنا طبقات الرمال من الضفتين وهذا ما جعل الترعة غير صالحة لمسير السفن الكبيرة . فالمراكب التي ترد من سوريا واليونان واسطنبول ترسو في آخر البوغاز . ورأينا على ضفتي الترعة آثار حصنين قديمين متهدمين من عهد الصليبيين . وبعد ساعتين وصل بنا القارب الى البوغاز حيث ملتقى ماء النيل بالماء الملح وتبينا المركب اليوناني فاذا هو سفينة صغيرة بساريتين على احداها شراع مثلث . فاوجست خيفة من السفر فيها ورأيت ولكن بعد فوات الوقت ان من الخطر السفر في مثل هذا المركب الصغير الذي قد لا يتحمل تلاطم امواج البحر المتوسط وخصوصاً وهو مثقل بمئات من اكياس الرز . ولما لصق القارب بالمركب تدلى منهُ سلم من حبالٍ فصعد القواس اولاً ثم تبعتهُ مع الجارية والشاب الارمني ونقل البحارة كل صناديقي وامتعتي فجلسنا عند مؤخر المركب بينما كانوا ينقلون اكياس الرز من القارب الى المركب حتى امتلأ منها وصارت كجبلٍ عالٍ امامنا . وفي هذه الاثناء دنا مني رجل طويل بلباس ازرق وقبعة سوداء من الفرو وحياني بالرومية قائلاً «كاليمرا» وعرفني بهِ القواس فاذا هو ربان السفينة ثم ذهب لملاحظة اتمام الشحن . وضاق بنا المكان واكياس الرز من حولنا ونحن في فرجةٍ ضيقةٍ بينها لا تكاد تكفي لجلوسنا فكيف نقدر ان ننام او نسير . وليس في المركب سوى غرفة واحدة للربان واخرى للطبخ والعفش واقفاص الطيور وفي جانبيهِ قاربان صغيران مربوطان بحبال الساري

وفي المطبخ خادم وهو غلام رومي صغير في الثالثة عشرة من عمرهِ فلما رأى الجارية صاعدة الى المركب صرخ بملء صوتهِ «كا كوما كالا» اي ها هي سيدة حسناء ولا اعلم هل

كان يقصد بذلك السخرية · ولما انتهى القواس من شحن الرز جاء الينا مودعاً فقلت لهُ اين الغرفة التي قلت لي عنها فقد وعدتني انك ستكلم الربان ليضعني مع جاريتي في غرفة مخصوصة فاين هي · فلست ارى في هذا المركب سوى غرفة الربان · فانظر الى ما نحن فيهِ في هذه الفرجة الضيقة اننا لا نقدر ان نمد ارجلنا فيها هل نبقى على هذه الحالة كل مدة السفر ان ذلك امر لا يطاق · فتبسم واجاب ببرودة كن مطمئناً فقد كلمت الربان وسيضعك في مكان احسن من هذا

ثم ودعني وانصرف وركب في القارب ورجع الى دمياط · وكان المركب مع ثقل شحنهِ يتمايل يمنةً ويسرةً من هبوب الريح وتلاطم الامواج فقلت في نفسي ان المركب يرقص بنا ونحن في البوغاز فكيف اذا مخر في البحر العجاج · هل ابقى مسجوناً بين اكياس الرز مدة ثلاثة ايام او اربعة او اكثر حسب ملاءمة الريح لنا · فسلمت امري الى حكم قهري لا مرد لهُ والتفت نحو الارمني وكان جالساً بجانبي وقلت لهُ ان يذهب ويسأل الربان عن الغرفة التي وعدني بها القواس وقل لهُ اني مستعد لان ادفع اجرتها مهما كانت · فذهب وبعد هنيهة رجع مع الربان فقال لي هذا ارجوك المعذرة يا مسيو اذ ليس في مركبي غرفة تصلح لك تعال معي حتى اريك غرفتي التي انام فيها

فقادني بين الاكياس وقد تعذر علينا المسير الى ان وصلنا الى كوةٍ مربعة ينزل فيها ببعض درجات الى غرفة صغيرة ضيقة مظلمة لا تسع شخصين اذا تمددا · وقال لي هذه هي الغرفة ان شئت فاجلس فيها فابيت وما صدقت ان خرجت من هناك وقد ضاق صدري واشتد بي الكدر والغم والندم فلما رآني الربان في تلك الحالة طيّب خاطري واخذني الى جانب المركب حيث القارب الكبير وفوقهُ مظلة من القماش وهو مربوط ربطاً وثيقاً في السارية وقال لي هذا اصلح مكان لك عندي ولك فيهِ سعة وراحة في الجلوس والنوم وسافرش بطن القارب بالاحرمة واجعل لك اغطية تقيك من البرد · فما هي غرفتك مع جاريتك فهل انت مسرور ؟ ولما رأيت المكان صالحاً سري عني قليلاً

ربان السفينة

وعند عصارى النهار هبت ريح موافقة واقلع بنا المركب من البوغاز · وكان مسيرنا متعرجاً حسب هبوب الريح وحسب الطريقة القديمة ففي النهار تسترشد السفينة

بالشمس وفي الليل بالنجوم فقلت للربان لماذا لا تضع في مركبك « البوصلة » فاراني على مقربة من دفة المركب بوصلة قديمة مخربة وقال لي قلما اعتمد عليها لطول خبرتي وحنكتي في الاسفار · وتبينت الرجل لاعلم اخلاقهُ واوصافهُ من ملامحهِ فظهر لي انهُ كثير الادعاء والدهاء يثق بنفسهِ وخبرتهِ البحرية اكثر من ثقتهِ بمركبهِ وشراعهِ القديم وبوصلتهِ المعطلة ودفتهِ الصغيرة

وعند المساء دعاني اول مرة للعشاء معهُ وكان العشاء قصعة كبيرة من الرز فجلسنا كلانا وبحرية المركب الثمانية والشاب الارمني حول هذا الهرم الكبير من الرز وكنا نأكل بملاعق صغيرة من الخشب · ثم احضر لنا ابريقاً كبيراً من الخزف ملئ خمراً تدعى عندهم « كومنداري » وهي في الحقيقة خمر قبرصية حرّيفة الطعم واظهر لي كثيراً من التودد واللطف وانطلق لسانهُ في الحديث بعد ان امتلأ جوفهُ من الخمر واظهر لي حقيقة امرهِ فقال انهُ يدعى — بابا نقولا — من اهالي طرابلس الشام وهو من طائفة الروم الكاثوليك· وسألني هل افهم اللغة اللاتينية فاجبتهُ بالايجاب · وحينئذٍ اخذ من جيبهِ علبة من صفيح واخرج منها ورقة كبيرة من الرق النباتي ووضعها امامي وقال لي اقرأ فهذه احدى الشهادات باستقامتي ومتانة سفينتي وحسن سلوكي مع السياح والركاب وامانتي في تسليم البضائع الى اربابها فاخذت الورقة وفحصتها واذا هي مكتوبة باللغة الطليانية لا اللاتينية موقعة من بعض اباء الاراضي المقدسة الفرنسيسكان ومآلها ان الربان الكسيس كاثوليكي عاملهم احسن معاملة ونقلهم في مركبهِ من بيروت ودمياط الى يافا · وفي اسفل الورقة ختم القبر المقدس بالشمع الاحمر · فقلت لهُ ان هذه الشهادة معطاة لشخص يدعى الكسيس وانت قلت لي ان اسمك بابا نقولا · اجاب لقد اخطأوا في كتابة الاسم

ولا اعلم مبلغ هذا الكلام من الصدق وداخلني ريب في حقيقة اسم هذا الرجل وجنسيتهِ وانتسابهِ للكاثوليك مع ان ظواهرهُ تدل على انهُ رومي صرف ولغتهُ اليونانية · وربما انتحل لنفسهِ هذا الاسم من ربان آخر يدعى الكسيس اشترى منهُ المركب والشهادة معاً

وبعد الغداء رجعت الى موضعي في القارب وهب النسيم المنعش وكان الجو صافياً والبحر رهواً واما الشاب الارمني فجلس بالقرب من الجارية يسليها بقصص وحكايات خرافية

وكنت اسمعهُ يقول لها من حين لآخر « كان يا ستي . قال الملك يا ستي » وهي تصغي اليهِ بانتباه وسرور . وكان الربان يلعب بالشطرنج مع مدير الدفة وفرش البحارة المسلمون ثيابهم على ظهر المركب للقيام بفروض صلاتهم متجهين نحو القبلة حيث بلادهم المقدسة وليس في الدنيا امة اشد تمسكاً بفرائض دينها من الامة الاسلامية

وفي صباح اليوم الثالث نهضنا من النوم فظهرت لنا عن بُعد جبال فلسطين وانتعشت قلوبنا عند دنونا من البر بعد ان لبثنا ثلاثة ايام بين السماء والماء . وكان الربان على مقربة منا يعزف على قيثارةٍ نغماً روميًّا . وخادمهُ الغلام يغني اغنية عربية مطلعها « يا حبيبي يا عيني يا محبوبي يا سيدي » وهو يكررها مراراً . فسألت الارمني عن معنى كلمة « حبيبي » فقال تعني طائش او مجوني

وعند عصاري ذلك اليوم سكنت الريح وكانت السفينة تسير متثاقلة ورأيت على وجه الارمني علائم الكدر والغم فسألتهُ عن السبب فقال اخشى ان يطول سكون الريح ولا نصل الى احد الشواطئ قبل يومين او ثلاثة . قلت وما الضرر في ذلك فنحن في أمنٍ وارتياح . قال نعم. ولكن ماء الشرب كاد يفرغ من عندنا

فذعرت من هذا النبإ وقلت لهُ عجباً نحن في خطر الموت عطشاً والربان جالس بغير اكتراث يتلاهى بالشطرنج ويغني ويعزف بالقيثارة هلم بنا نكلمهُ . فاخذني واراني برميل الشرب فتطلعت واذا في قعرهِ شبر من الماء لا يكاد يملأ ست زجاجات . ولما سألنا الربان عن ذلك اجاب ليس في اليد حيلة والامل معقود بنواصي الريح فاذا وافقتنا نصل غداً الى حيفا او عكاء فنملأ براميلنا ماء قراحاً . ثم عاد الى موضعهِ يعزف على قيثارتهِ وغلامهُ يكرر اغنيتهُ « يا حبيبي يا عيني » فرجعت الى موضعي اسفاً من برودة طبع هذا الرجل وعدم اكتراثهِ لما نحن فيهِ من الخطر

صحوت عند الفجر في اليوم التالي وتطلعت الى الشرق مؤملاً ان ارى المركب على مقربة من احدى المدن البحرية فظهرت لي جبال فلسطين باجلى وضوح وجبل الكرمل على مسافة بعيدة عنا . وجلت في السفينة فرأيت الناس كلهم لم يزالوا نياماً عدا الغلام الرومي فكان واقفاً عند برميل الماء يغرف منهُ و يغسل وجههُ ورأسهُ كأنهُ عند عين ماء متدفقة . فصعد الدم الى رأسي من هذا العمل نحن في المركب خمسة عشر شخصاً ولم يبقَ عندنا من الماء ما يكفينا للشرب في ذلك اليوم . وهذا الغلام يستنفدهُ في غسل رأسهِ ان ذلك

لمصاب عظيم . فتقدمت منهُ وانتهرتهُ بحدة . ولما لم اعرف بالعربية كلمة اقولها في تأنيبهِ فكرت في كلمة «حبيبي» التي فسرها لي الارمني بمعنى طائش او مجوني فقلت لهُ مظهراً الغضب آه «يا حبيبي يا حبيبي» فضحك وتوارى عني . ولما علمت حقيقة معنى يا حبيبي عاتبت الارمني على ما فعل ولكن ظهر لي انهُ لم يتعمد الخطأ

وقال لنا الربان انهُ اذا ظلت الريح ملائمة لنا ففي صباح اليوم التالي نصل الى جبل الكرمل . وحينئذٍ سمعنا صراخاً مزعجاً من ظهر المركب «الفرخة الفرخة» فخرجنا لنعلم جلية الامر فاذا دجاجة لاحد النوتية فرت من القفص وطارت وسقطت في البحر وصاحبها واقف يندبها بدموع سخينة واخيراً القى نفسهُ في الماء على حين غفلة قاصداً ان يخلص الدجاجة من الغرق . فاضطر الربان ان يصدر الامر بتوقيف المركب عن المسير وكان النوتي يسبح وراء الدجاجة وقد جرها الموج الى مسافة بعيدة عنا ثم قبض عليها ورجع الى المركب منهوك القوى فحمل على آخر رمق . وقد استغرق وقوفنا مدة ساعة فخرقت الارم واشتد بي الغيظ من جراء ذلك وقلت للربان كنت اود ان ادفع ثمن عشر دجاجات ولا نتوقف عن المسير . فقال ان هذا النوتي فقير لا يملك غير هذه الدجاجة و يعتقد كرجل متدين انهُ اذا تركها تغرق يرتكب وزراً . وتداخل الارمني في الحديث فقال ان من فروض الدين عند المسلمين الشفقة على الحيوانات ولا يجوز عندهم الأ قتل الوحوش الضارية وذبح الحيوانات الصالحة للأكل التي اجاز الشرع ذبحها وانهم يشفقون على الكلاب ايضاً ويرون من الصلاح تقديم الطعام لها وخصوصاً مسلمي اسطنبول ولذلك ترى شوارعها غاصة بالكلاب تزاحم المارة في سيرها وان لها جراية معينة من المطبخ السلطاني . وذكر لنا نادرة حدثت على عهد احد السلاطين وذلك ان العامة تذمروا من كثرة الكلاب في الشوارع ورفعوا شكواهم الى السلطان فامر بجمعها وابعادها الى جزيرة قفراء قريبة من هناك لانهُ لا يجوز قتلها . وبعد بضعة ايام اشتد بها الجوع وملأت الفضاء نباحاً وعواء ليلاً ونهاراً حتى اقلقت راحة الناس فاجتمع الوف من الصفتاء وذهبوا الى السلطان وطلبوا ارجاع الكلاب لئلاً تموت جوعاً. فامر بارجاعها الى المدينة

ديمتري نقولا

باب الزراعة

تحديد اسعار الحبوب ومنع اصدارها

هل يجوز تحديد اسعار الحاصلات في بلاد زراعية
وهل يجوز تحديد اسعار المصنوعات في بلاد صناعية
الجواب عن هذه المسائل كلها يجب ان يكون سلبياً للاسباب التالية

اذا ارادت الحكومة ان تحدد سعر صنف من الاصناف فهي انما تقصد ان تخفض سعرهُ او تمنع ارتفاعهُ لتمنع زيادة الكسب منهُ . فان كان الصنف من حاصلات البلاد او من مصنوعاتها فلا يرتفع سعرهُ الأ لسبب من الاسباب التالية وهي اما لان نفقاتهِ زادت عن المعتاد كما زادت نفقات الزراعة عندنا في السنين الاخيرة فيزاد السعر لكي تفي زيادتهُ بزيادة النفقات . او لان المحصول نقص كما نقص محصول الفدان من الفول والقطن هذه السنة . او لزيادة الطلب عليهِ في البلدان الاخرى وارتفاع سعرهِ فيها . او لاجتماع سببين من هذه الاسباب الثلاثة او لاجتماعها كلها معاً . واذا لم يكن سبب من هذه الاسباب فيبعد ان ترتفع الاسعار اعتباطاً لانهُ لا يحتمل ان يتفق كل اصحاب الحاصلات والمصنوعات ويعقدوا عهداً بينهم على رفعها . واذا حاول احدهم رفعها فلا يوافقهُ غيرهُ بل الغالب ان يتنافسوا في الرخص لكي يضر بعضهم بعضاً او يزاحمهُ في البيع . والبلاد الزراعية لا بدَّ من ان تصدر جانباً من حاصلاتها والبلاد الصناعية من مصنوعاتها . فاذا تعرضت الحكومة لحاصلات بلادها او مصنوعاتها وخفضت اسعارها فانها تضرُّ بفريق كبير من شعبها وتوقعهُ في خسارة

وحسبنا دليلاً على ذلك ما حدث في هذا القطر لما حُدد سعر القطن منذ سنتين فان البلاد خسرت بذلك خسارة كبيرة جدًّا . ولو حُدِّد سعر القطن هذا العام لما بلغ نصف ما بلغهُ الآن وخسرت البلاد ملايين كثيرة من الجنيهات ترد اليها من الذين يشترون قطنها

ويحدث مثل ذلك دائماً اذا تعرضت حكومة البلاد الزراعية لخفض اسعار الحاصلات الزراعية وحكومة البلاد الصناعية لخفض اسعار الادوات الصناعية

ولكن الا يجوز للحكومة ان تتعرض لتحديد الاسعار بوجه من الوجوه

والجواب نعم يجوز لها ذلك ويجب عليها في الاحوال التالية . فاذا كانت صناعية جاز لها بل وجب عليها احياناً ان تتعرض لاسعار الاصناف الزراعية وتحدد سعرها لان هذه الاصناف يؤتى بها من الخارج فيجب عليها ان تحدد سعرها اذا رأت ان التجار احتكروها لكي يزيد ربحهم منها فتتفضل ان تقلل ربحهم او تزيله لاجل منفعة الشعب كله . ومن القواعد المقررة انهُ يجب تضحية القليل لنفع الكثير

وكذلك اذا كانت البلاد زراعية واحتكر بعض تجارها المصنوعات الضرورية التي يؤتى بها من الخارج كما اذا احتكروا الادوية او المحاريث او انابيب جر الماء وجب على الحكومة ان تمنع احتكارهم وتخفض الاسعار

ورب قائل يقول ألا يحتمل ان التجار يحتكرون الحاصلات الزراعية في البلاد الزراعية فيصير شأنهم شأن التجار في البلاد غير الزراعية ويجب على الحكومة مصادرتهم حينئذٍ

والجواب ان اقل نظر الى البلاد الزراعية يقنع كل احد ان العاملين بالزراعة فيها يكون عندهم دائماً كفافهم من الحاصلات الزراعية كالذرة والفول والقمح واللبن والبيض فلا يكاد القمح يفرك حتى يجعلوا يشوونهُ ويأكلونهُ فريكاً . وحالما يحصد ويوضع في الاجران يأكلون منهُ هم ومواشيهم ثم يحفظون جانباً منهُ في بيوتهم ولو اختلاساً . وقبل ان ينفد ما عندهم منهُ تكون كيزان الذرة قد صلحت للاكل فيأكلون منها الى ان تجمع وتدق ويحفظون مؤونتهم من الذرة الشامية والبلدية الى زمن حصاد القمح . والذين لا يفعلون ذلك منهم قلال وقلما يفيدهم رخص الاسعار لقلة تدبيرهم . وسواء كانوا مدبرين اوغير مدبرين فارتفاع الاسعار يفيدهم كلهم لان ايجار الاطيان التي يزرعونها يدفع نقداً فاذا كان ايجار الفدان ١٠٠٠ غرش وبلغ محصولهُ ستة ارادب من القمح وستة من الذرة وكان سعر اردب القمح جنيهاً وسعر اردب الذرة ٩٠ غرشاً بلغ ثمن المحصول من القمح والذرة معاً ١١٤٠ غرشاً فلا يبقى للفلاح منها الا ١٤٠ غرشاً مع التبن الحاصل من القمح وهي لا تكفي ثمن التقاوي والسباخ واعمال الزراعة . ولكن ان كان ثمن اردب القمح ٢٠٠ غرش وثمن اردب الذرة ١٨٠ غرشاً كما هما الآن بلغ ثمن محصول القمح والذرة معاً ٢٢٨٠ غرشاً فيبقى لهُ من ثمنهما بعد دفع الايجار ١٢٨٠ غرشاً مقابل خدمته وتعبه وثمن التقاوي والسباخ فلا يهمهُ بعد ذلك ولو اضطر في آخر السنة وقبل الحصاد ان يشتري اردباً من القمح لعياله ويدفع ثمنهُ ٢٥٠ غرشاً

هذا حال الفلاحين في البلدان الزراعية كالقطر المصري وهم فيهِ اكثر من تسعة اعشار السكان . واصحاب الاطيان الكثيرة وهم من العشر الباقي حالهم مثل حال الفلاح فاذا كانت

الاسعار منخفضة فلا مطمع لهم ان يحصّلوا كل ايجار اطيانهم ولا بدَّ مما ينكسر لهم عند الفلاح عشرة في المئة الى عشرين في المئة تضيع عليهم واما اذا ارتفعت الاسعار فانهم يحصّلون الايجار كلهُ و يزيدونهُ سنة بعد سنة · وخسارتهم بما يشترونهُ من الخبز الغالي لبيوتهم لا تقاس بربحهم من ارتفاع اسعار الحبوب

لنفرض ان المالك يملك مئة فدان فقط وهذا متوسط ما يملكهُ اكثر المالكين· وان متوسط ايجارها في السنة ٦٠٠ جنيه · ولنفرض ان سعر اردب القمح كان في سنةٍ ١٠٠ غرش وفي سنة اخرى ٢٠٠ غرش وان المالك يشتري خبزاً لبيتهِ في اليوم باربعة غروش فقط في زمن الرخص و بثمانية غروش في زمن الغلاء فالفرق نحو ١٥ جنيهاً في السنة ولكنهُ لا يستطيع ان يحصل من ايجار اطيانهِ اكثر من ٥٠٠ جنيه في زمن الرخص و يحصل الستمائة الجنيه كلها ويزيد عليها في زمن الغلاء فاين الخمسة عشر جنيهاً التي يخسرها بارتفاع سعر الخبز من المئة الجنيه او اكثر التي يربحها بارتفاع سعر القمح

ولكن ما حال رجل ليس فلاحاً ولا صاحب اطيان · قد يُظَن لاول وهلة انهُ يكسب بهبوط اسعار الحبوب و يخسر بارتفاعها · وهذا وهم في الغالب او لا يقع الاَّ اذا كان الانسان عطلاً لا عمل لهُ او خادماً باجرة معينة لا يستطيع رفعها واما الصانع والتاجر وكل اصحاب الاعمال المنتجة فانهم يستفيدون برواج التجارة والمصنوعات متى ارتفعت اسعار الحاصلات وزادت الاموال في ايدي الناس· فبائع الاقمشة وبائع الثياب وبائع التبغ و بائع البسط وبائع الاثاث وبائع الادوات المنزلية والاسكاف والسروجي والحداد والنحّاس والصائغ والجوهري وكل ذي عمل مفيد كل هؤُلاء تروج بضائعهم و يربحون من رواجها اضعاف ما يخسرونهُ بارتفاع ثمن الخبز الذي يأكلونهُ

بقيت طائفة المستخدمين والموظفين الذين لا يملكون ارضاً زراعية ولا املاكاً اخرى وهؤُلاء عددهم قليل جدًّا في كل بلاد ولا نظن انهم يزيدون على ٥ في المئة في القطر المصري فلا يجوز ان نضر ٩٥ في المئة من السكان لكي نمنع الضرر عن ٥ في المئة

وارتفاع اسعار الحاصلات الزراعية في البلدان الزراعية قلما يحدث الاَّ اذا ارتفعت اسعارها في الخارج وزاد الطلب عليها او اذا قلت جدًّا وزادت النقود بين ايدي الناس · فلولا زيادة الطلب على القطن المصري لما ارتفع سعرهُ مطلقاً ولولا زيادة الطلب على الحبوب المصرية هنا وفي الخارج لما زاد سعرها فمنع اصدارها وتخفيض سعرها ليسا من الحكمة الاقتصادية في شيء

وقد يظن البعض انهُ اذا لم تمنع الحكومة اصدار الحبوب من القطر صدرت كلها ومات السكان جوعاً ولكن هذا الظن في غير محلهِ · فاولاً ان الفلاحين وهم تسعة اعشار السكان لا يبيعون موُونتهم باي سعر كان · وثانياً ان السعر الذي يشتري بهِ ابن فرنسا او ابن انكلترا القمح المصري لا يتعذر على المالك المصري ان يشتريهُ بهِ بعد طرح مصاريف الشحن التي تضاف اليهِ · فاذا اشترى ابن لندن اردب القمح بمئتين وخمسين غرشاً لم يستطع التاجر ان يصدرهُ الى انكلترا الاَّ اذا اشتراهُ بمئتي غرش على الاكثر · واردب القمح يمون البيت المتوسط شهرين على الاقل فزيادة مئة غرش في ثمن الاردب هي نحو غرشين في اليوم او مقدار ثمن الدخان الذي يدخنهُ المرء في يومهِ · فهل يصحُّ ان نهتم بهذا المبلغ الطفيف ونحرم البلاد من مئات الالوف من الجنيهات كل سنة · فقد بلغ ثمن ما صدر من القمح والذرة في التسعة الاشهر الاولى من هذه السنة اكثر من مليون جنيه ولو استمرَّ الترخيص باصدارها الى آخر السنة لبلغ ثمن الصادر منهما نحو مليوني جنيه · ولو منعت الحكومة اصدار الحبوب من اول السنة واكثرها من الذرة لبقيت في البلاد وسوّست فيها لان الذرة الجديدة صارت على الابواب بل الصيفي منها ورد الى الاسواق · وهاك جدول الصادر في هذه السنة حتى آخر سبتمبر الماضي مع ثمنها

القمح	٠٦٧٢١٩ اردبًّا	١٠٦٠٩٤ جنيهاً
الذرة	٨٩٣٠٨٩ «	٩٠١٥٥٥ «
الفول	١٠٢٠١٢ «	١١١٩٦٤ «
العدس	٠١٣٥١٨ «	٠٢١٩٠٢ «
الرز	٠١٧٤١٣ طنًّا	٢٠٨٨٢٤ «
السمسم	٠٠٤١٧١ «	٠٨٢٦٤٥ «
الفول السوداني	٠٠٠٨٣١ «	٠١٧٧٤١ «
والجملة		١٤٥٠٧٢٥

فثمن هذه الاصناف بتثمين الجمرك نحو مليون ونصف من الجنيهات ولعلَّ التجار الذين اصدروها اخذوا ثمنها مليونين او اكثر · واذا استطاع القطر ان يصدر مقدارها في التسعة الاشهر التالية و يبيعها بالاسعار الحالية بلغ ثمنها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات · ولا يحتمل ان يصدر التجار صنفاً الاَّ اذا اشتروهُ بسعر ارخص من سعرهِ في الخارج وكانت البلاد في

غنى عنهُ لانهُ اذا لم تستغنِ البلاد عنهُ فسعرهُ يرتفع حالاً ويزيد على سعرهِ في الخارج فيعدل التجار عن اصدارهِ من تلقاء انفسهم

ولو كان القطر المصري غير زراعي او لو كان اعتماد السواد الاكبر من سكانهِ في طعامهم على الحبوب التي يجلبونها من الخارج لوجب على الحكومة ان تجلب لهُ الحبوب بنفسها او تسيطر على تجار الحبوب حتى يكتفوا باقل ما يمكن من الربح كما تفعل البلاد الانكليزية الآن ولكنهُ قطر زراعي كما لا يخفى واذا ارتفعت اسعار الحبوب في الخارج اهتم بزراعتها حتى تزيد على حاجتهِ كما حدث في هذا العام والذي قبلهُ · واذا رخصت اسعارها جدًّا في الخارج حتى زال الربح من زرعها اهملها وصار يجلب جانباً كبيراً منها من الخارج كما كان يفعل في السنوات الماضية

محصول القطن المصري

تقدير وزارة الزراعة

نشرت وزارة الزراعة في ٩ نوفمبر الماضي تقديرها لمحصول القطن المصري قالت فيهِ ما نصهُ

« اضطررنا الى تعديل رأينا في مقدار المحصول المبني على تحقيقات موضعية بالنظر للنقص الذي اشير اليهِ في صوافي الحليج ولاجل ان نستوثق من حقيقة هذا النقص سألنا جميع معامل الحليج المصرية فاجابتنا بما يستنتج منهُ ان اصناف القطن تدل كلها على عجز بالنسبة لمثلها في العام الماضي وهذا العجز مقدر بسبعة في المئة في صنف السكلاريدي و ٥ ٧/١٠ في المئة في النوباري و ٥ ٨/١٠ في الاصيل والعفيفي فاذا قسنا هذه النتائج على مقدار ما هو مزروع من هذه الاصناف في الوجه البحري اسفرت النتيجة عن متوسط قدرهُ ٦ ٨/١٠ في المئة يسقط من احصائنا المبني على المشاهدات الزراعية · اما في الوجه القبلي فيبلغ العجز في الحليج اقل من العجز المذكور وهو يقدر بـ ٤ ٣/١٠ في المئة .

وفي الجدول الآتي تقدير محصولي الوجهين القبلي والبحري مستنتجاً من المشاهدات الموضعية اولاً ثم صافي هذا التقدير بعد اسقاط قيمة عجز تصافي الحليج مع الاشارة الى كلٍ من مساحتي الوجهين المذكورين

	المساحة بالفدان	تقدير المحصول	متوسط محصول الفدان	نقص صافي الحليج المئوي	صافي المحصول النهائي	تصحيح متوسط الفدان
الوجه البحري	١٢٨٩٨٦٩	٤٨٢٤٧٠٧	٣,٧٤	٦ ٨/١٠	٤٩٩٦٦٢٧	٣,٤٨٧
الوجه القبلي	٣٦٥٦٤٣	١٠٨٩٠٨٥	٤,٣٥	٤ ٣/١٠	١٠٢٣٧٥٥	٤,١٦٧
المجموع	١٦٥٥٥١٢	٦٤١٣٧٩٢	٤,٨٧	٦ ١٤/٠٠	٦٠٢٠٣٨٢	٣,٦٣٦

فيكون مقدار محصول القطن لسنة ١٩١٦ — ١٩١٧ استناداً الى تقدير المساحة التي قرتها وزارة المالية ٦٠٢٠٣٨٢ قنطاراً

وتكون النسبة المئوية في محصول الوجه البحري ٨٣ وفي الوجه القبلي ٩٥ ومتوسطها ٨٤ انتهى

تجارب في ري القطن

ان الطريقة المتبعة لمناوبات الري في اكثر مديرية الفيوم هي اجراء الماء الى الاطيان مدة عشرة ايام وقطعها عنها عشرة ايام. ومقدار الماء محدود لانهُ ينصبُّ في الغالب من فتحة في الترعة (البحر) لا يمكن توسيعها فيتوقف مقدار الماء المنصب منها على ارتفاعهِ في البحر وهذا الارتفاع يعيَّن في الفيوم حيث تقسم المياه على الابحر المختلفة. والماء الذي ينصب في كل حوض من الفتحة المعينة لريهِ يفرض انهُ يكفي لري كل ما يزرع فيهِ من القطن في عشرة ايام اي لري ثلثهِ في هذه العشرة الايام. فالفدان الذي يروى في اليوم الاول من هذه العشرة الايام لا يروى ثانية الاَّ بعد ان تنقضي العشرة الايام كلها وعشرة ايام النشفة وتأتي العشرة الايام التالية للري. اي ان القطن يروى مرة كل عشرين يوماً ولو كان الحر لا يطاق في يونيو و يوليو

وقد رأينا بعض المزارعين يقللون زمام زراعة القطن عن القدر المعين فيتوفر معهم جانب من الماء يطبقون بهِ بعض قطنهم فيأتي محصولهُ وافراً مثال ذلك ان فلاحاً استأجر تسعة افدنة لكي يزرع ثلاثة منها قطناً فزرع فدانين فقط ولما كان الماء الذي يحق لهُ يكفي لري ثلاثة افدنة اخذ ثلثيهِ في اول دور العمالة فروى الفدانين بهِ وابقى الثلث الثالث الى آخر دور العمالة اي الى اليوم العاشر فروي بهِ ثانيةً فداناً من ذينيك الفدانين وكرر ذلك مرتين او ثلاثاً مدة اشتداد الحر فجاء محصول الفدان الذي رواهُ كذلك اكثر كثيراً من محصول الفدان الذي اكتفى بريهِ مرة كل عشرين يوماً

ولما ثبت لنا ذلك بالامتحان طلبنا من وزارة الزراعة ان تمتحنهُ في اطياننا بسنهور فامتحنتهُ في الموسم الاخير وامتحنهُ بعض المستأجرين ايضاً وهاك خلاصة امتحانها وامتحانهم

تجارب الوزارة عندنا

	محصول الفدان		المحصول كلهُ			
	رطل	قنطار	رطل	قنطار	فدن	
١	٠٣ ½	١٦	٠٧	٣٢	٢	رويا على ١٠ ايام
	٩٠	٠٩	٩٠	٠٩	١	يجاورهما روي على ٢٠ يوماً
٢	٩٠	١٠	٩٠	١٠	١	روي على ١٠ ايام
	١٠	٠٦	٢٠	١٢	٢	يجاورانهِ رويا على ٢٠ يوماً
						تجارب خصوصية
١	٧٥	١٥	٧٥	١٥	١	روي على ١٠ ايام
	٠٠	١٢	٠٠	٢٤	٢	يجاورانهِ رويا على ١٠ ايام
	٠٣ ½	٠٦	٠٧	١٢	٢	" " " ٢٠ يوماً
	٠٠	١٢	٠٠	١٢	١	روي " ١٠ ايام
	٧١	٠٥	٧١	٠٥	١	يجاورانهِ رويا " ٢٠ يوماً

وقد نقص محصول الاطيان كلها هذه السنة ٣٥ في المئة عمَّا كان منذ سنتين ولولا ذلك لبلغ محصول الفدان الجيد الذي روي على عشرة ايام نحو ٢٢ قنطاراً كما بلغ منذ سنتين ومحصول الفدان غير الجيد ١٤ قنطاراً او اكثر . وعلى كل حال فالري على عشرة ايام زاد المحصول من سبعين في المئة الى اكثر من مئة في المئة حتى ان الري مرة واحدة على عشرة ايام لما اشتدَّ الحر زاد المحصول كثيراً كما ترى في الجدول المتقدم

ونرجح انهُ لو كان الري على ١٥ يوماً او ١٦ يوماً اي لو جعلت ايام العمالة ٨ وايام البطالة ٨ لزاد المحصول اكثر من ذلك

وقد بلغنا ان وزارة الزراعة امتحنت ذلك في اطيان اخرى في الفيوم فان كانت قد وصلت الى نتيجة مثل هذه فعسى ان تقنع مصلحة الري بتصليح ري الفيوم

زرع القمح

ورأي نقابة سنتماي الزراعية

اجرت نقابة سنتماي تجارب في الكمية اللازمة من التقاوي لزراعة فدان من القمح وهاك خلاصتها :

اولاً كمية التقاوي — استعملت النقابة لكل فدان ثلاث كيلات

ثانياً طريقة الزرع — هي ان يلقط القمح خلف المحراث كما يصنع في زراعة الذرة

ثالثاً الاقتصاد في التقاوي — ان الاقتصاد الناتج وخصوصاً لكبار المزارعين الذين يزرعون كمية وافرة من القمح عظيم جداً لان اكثر الزراع يضع من سبع كيلات الى عشر في الفدان

وبهذه الطريقة يوفر الزارع من اربع كيلات الى سبع مما لا يقل ثمن متوسطهِ عن مئة قرش صاغ في كل فدان

اما اجرة العامل الذي يلقي البذار خلف المحراث فلا تكلف عشر هذا المبلغ لانهُ يكفي ان يكون العامل ولداً صغيراً

رابعاً المحصولات — لقد عملت النقابة موازنة بين القمح المزروع بالطريقة الاعتيادية وبين المزروع بطريقة النقابة واليك النتائج

طريقة	محصول سنة ١٩١٥	كمية التبن	شكل الحبة
النقابة	٧ ارادب	كثيرة	اكبر واحسن واتقن وزناً
الاعتيادية	٦,٥ ارادب	اقل	أقل حجماً ووزناً

والارض التي حصلت فيها التجربة واحدة من جهة تحليلها الكيماوي والطبيعي وعدد الريات كان واحداً ونوع التقاوي كان واحداً

وهنا يجدر بنا ان ننبه المزارعين الى الاعتناء بانتقاء التقاوي من الحبة السليمة الكبيرة الحجم ذات المنظر الحسن لان ذلك لهُ تأثير كبير في حسن المحصول

خامساً التعليل العلمي — بالاجمال ان عدد الشجيرات في اية ارض كانت اذا زاد زيادة كبيرة أضر لان ضيق المكان بين الشجيرات يقلل من المادة الغذائية اللازمة لكل شجيرة و يقلل كمية النور والهواء اللازمة لان تجعل النبات في حالة صحية جيدة

ونظراً الى هذا الضيق في المعيشة وقلة الاكسجين حول الشجيرات ينمو النبات ضئيلاً

ضعيفاً وتكون الحبة صغيرة . اما اذا زرع النبات خطوطاً فالهواء والشمس يتخللان الخطوط ولاسيما اذا امكن عملها من الشرق الى الغرب وزد على ذلك ان القمح يخلف كثيراً فالحبة تنبت بجانبها عدة شجيرات فلا معنى اذاً لوضع كثير من التقاوي وهذه الحقيقة يعرفها كل زارع يلاحظ نمو النبات

النتيجة

اولاً ان احسن طريقة هي زرع القمح نثراً وراء المحراث لتخرج خطوطاً : وان امكن جعل الخطوط من الشرق الى الغرب كان ذلك افضل

ثانياً ان كمية التقاوي يجب ان لا تزيد على ثلاث كيلات لكل فدان

ثالثاً وجد بعد التجارب ان المحصول بهذه الطريقة احسن

رابعاً ان القمح الذي زرع بطريقة النقابة كان اقل تعرضاً للامراض من غيره

رئيس النقابة

تقييد اصدار البيض

اصدر مجلس الوزراء قراراً بتقييد اصدار البيض من القطر المصري هذا نصهُ

بعد الاطلاع على قرار مجلس الوزراء الصادر في ٣٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٣ (١٦ مارس سنة ١٩١٥) باباحة اصدار البيض بلا شرط ولا قيد

وبما ان الطلبات للخارج زادت زيادة كبرى حتى ان الصادرات في شهر اكتوبر الماضي زادت اضعافاً مضاعفة على مثلها في الشهر نفسهِ من الاعوام الماضية

وبما ان الضرورة تقضي في هذه الاحوال بتقييد الاصدار لتوفير ما تحتاج اليهِ البلاد من البيض لا لاجل الاستهلاك العادي فقط بل لاجل الوفاء ايضاً بحاجة معامل التفريخ حتى تستطيع الاشتغال بصورة منظمة

وبما انهُ مع ذلك ينبغي النظر في المسألة من حيث تموين البلاد بالمقدار اللازم من البيض ومن حيث المحافظة على مصالح الصناعة المصرية الخاصة بهذا الصنف

وبما ان خير وسيلة للتوفيق بين جميع المصالح هي الاقرار منذ الآن على تعيين المقادير التي يجوز اصدارها من البيض في المدة الواقعة بين اول نوفمبر سنة ١٩١٦ وبين آخر ابريل سنة ١٩١٧ بمراعاة حاجة البلاد من جهة ومقدرتها على الانتاج من جهة اخرى وعند انقضاء تلك المدة تعود الحكومة الى النظر في هذه المسألة

وبما ان العمل على هذا الوجه يكون لهُ مزية اخرى وهي ملافاة التقلبات الفجائية في الاسعار المحلية

وبعد الاطلاع على الرأي الذي ابدتهُ لجنة التموين

قرر ما هو آت

المادة الاولى — يلغى القرار السابق ذكرهُ الصادر في ١٦ مارس سنة ١٩١٥ باباحة اصدار البيض

المادة الثانية — في خلال المدة الواقعة بين اول نوفمبر سنة ١٩١٦ وبين ٣٠ ابريل سنة ١٩١٧ يجوز اصدار مئتي مليون بيضة بحيث لا يتجاوز ما يصدر في كل شهر المقادير الآتية

١٧,٠٠٠,٠٠٠	في شهر نوفمبر	سنة ١٩١٦
٤٢,٠٠٠,٠٠٠	« ديسمبر	« ١٩١٦
٦٤,٠٠٠,٠٠٠	« يناير	« ١٩١٧
٤٧,٠٠٠,٠٠٠	« فبراير	« ١٩١٧
٢٦,٠٠٠,٠٠٠	« مارس	« ١٩١٧
٠٤,٠٠٠,٠٠٠	« ابريل	« ١٩١٧

المادة الثالثة — اذا نقصت الكمية الصادرة في شهر من الشهور عن النهاية القصوى المحددة لهُ اضيف الفرق الى الشهر التالي لهُ . واذا وجد في الجمرك في آخر اي شهر ارسالية من البيض كان تصديرها موقوفاً نظراً لبلوغ الصادرات في الشهر المذكور غايتها العظمى فان هذه الارسالية تكون لها الاولوية في الحصول على اذن التصدير في الشهر التالي

وزارة الزراعة وتقديرها للقطن

ذكرنا في هذا الباب تقدير وزارة الزراعة الاخير لمحصول القطن ولا يحتمل ان تغيرهُ بعد الآن ولقد كان جمهور المزارعين يقول ان المحصول اقل من ذلك كثيراً ويقيم الادلة على صحة قولهِ ولكن ما من احد تكفي ادلتهُ لنقض ادلة وزارة الزراعة لان لديها من الوسائل لمعرفة متوسط محصول الفدان اكثر مما يحتمل ان يكون لدى غيرها . وكان المظنون ان تقديرها للمحصول باكثر مما قدرهُ كل احد من المزارعين يخفض سعر القطن كثيراً لكن السعر لم ينخفض بل زاد ارتفاعاً وبلغ سعر نوفمبر في الكنترات يوم كتابة هذه السطور في ١٧ نوفمبر ٤٣,٣٠ الريال للقطن المفيفي و ٤٦,٣٠ الريال للسكلاريدي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

دواءُ كل شيءٍ

اذا كان لكلّ داءٍ دواءٌ فدواءُ جميع الاسقام ان تُبْعَد عن الصدر دواعيهِ

أَبعد عن الصدر دواعي الصدرِ وعش قريرَ العين طول العمرِ

ودواعي الصدر هي الهموم النواصب التي تتناوشهُ فترى جمهور الاطباء ينهى عن ذلك ويحذر من عواقبهِ

على ان الهمّ قديم قدم الانسان نفسهِ ولعلهُ اقدم عواطفهِ حتى يقال ان اول عاطفة جالت في صدر آدم بعد طردهِ من الجنة اهتمامهُ بالمعيشة خارجها . وقد حسب ابو الطيب ان الهمّ خلق ملازم للاديب الفاضل فقال مطلعهُ المشهور

افاضلُ الناس اغراضٌ لدى الزمنِ يخلو من الهمّ اخلاهم من الفطنِ

واشترط لخلوّ الراس من الهم خلوهُ من الفطنة . فاذا شاء العليل العمل بالمشورتين وقع في التناقض واذا شاء العمل بمشورة الطبيب دون الشاعر خاف ان يتهم بالبله او شاء الجري على حكم الشاعر خاف ان يخرب صحتهُ . وفي حالة مثل هذه يقدم رأي الطبيب لان الشعراء في كل وادٍ يهيمون فضلاً عن ان الصحة اسّ الفطنة والعقل الصحيح في الجسم الصحيح

وقد هال احد كبار رجال الصحة في انكلترا كثرة الذين ابتلوا بالاسقام العصبية على اثر هموم الحرب وشواغلها فكتب هذه النبذة قال :

« أرأيت كثرة الذين اصيبوا بالامراض العصبية على اختلاف عددها . هؤُلاء هم الذين عصفت الحرب باهليهم فافقدتهم اعزاءهم وذهب ما لهم وضاقت سبل الرزق في وجههم واستسلموا للهم والكآباء

واحسن الادوية لذلك ابسطها وهي الكفاية من الطعام البسيط المغذي ومن الهواء النقي ومن الراحة والنوم وقراءة كتب الظرفاء الذين اشتهروا ببساطة التعبير وسلامة الذوق والاكثار من المزاح اللطيف . واعظم ما اقولهُ بعد ذلك هو هذا : لا تهتمّ ولا تغتمّ بل ولِّ وجهك

شطر الجانب المنير من هذه الحياة الدنيا . واختر لنفسك عشراء خير لزمهم البسط وانشراح الصدر . وتنفس الصعداء كلما استطعت . ومرّن جسمك بعض التمرين الرياضي الخفيف في منزلك . واغسل جسمك بماء اضيف اليهِ الخردل فانهُ من احسن مقويات الاعصاب

وان كنت تظنُّ ان جميع متاعب العالمين ملقاة على عاتقك ففكّر في الذين يشهدون ميادين الحرب تنجلِ عنك الغيابة وتبت اقدر على اتمام ما يطلب منك

تعلّم الابتسام فانهُ اصحّ العادات في عرفي واكثرهن عدوى

عش عيشة منتظمة معتدلة وابتعد عن التطرف

وعندي ان كثيراً من الاسقام الشائعة الآن يزول باتباع القواعد المتقدمة »

الكلف والنمش

الكلف والنمش نقط بيض وسود وصفر او بقع تقع في الجلد تخالف لونهُ . منها ما هو خلقي ومنها ما هو مكتسب بتلويح الشمس

ومن الناس من يصيب الكلف وجههُ وعنقهُ حالما يتعرض للشمس وخصوصاً السيدات ثم يزول باسرع مما ظهر . ومنهم من لا يسهل تلويحهُ وظهور الكلف على وجههِ ولكن اذا ظهر تعذرت ازالتهُ

والكلف في معظم الحالات نتيجة فعل الشمس في بعض خلايا الجلد فانهُ يجعل الخلايا تفرز مادة ملونة تبقى فيها مدة طويلة او قصيرة وربما تعذرت ازالتها كما تقدم . والعادة ان تحاول النمشاء ستر نمشها بادوات « التوالت » او معالجتهُ بالزيوت والادهان التي تكثر الاعلانات عنها . ولكن خير نصيحة لها ان لا تفعل شيئاً من ذلك كلهِ فان النمش ان كان من الصنف المستعصي كالخلقي وبعض المكتسب فلا يزيلهُ علاج والاَّ فانهُ يزول من نفسهِ على مرّ الايام

على انهُ كثيراً ما يعرو وجه الحسناء بقع سمراء تعزى الى السوداء او الى بعض الوان الطعام كالباذنجان وهذه يسميها كلفاً لا نمشاً . وقد رأينا تعالج بمزيج من مذوب السليماني وزلال البيض فتزول بالدهن عند النوم كلّ يوم ويجب ان يكون مذوب السليماني خفيفاً فيهِ قمحة من السليماني لكل الف قمحة من الماء

تغطية الاطفال ليلاً

من اعظم ما يشغل بال الامهات في تربية اطفالهنّ نبذ الاغطية التي يغطون بها ليلاً سواء كانت لحفاً او حرامات او ملاءات وتعرضهم بذلك لبرد الليل وخصوصاً في فصل

الشتاء · فلذلك تراهن يحرمن لذة النوم لتغطية اطفالهن كلما دفعوا الغطاء عنهم · ومن كانت منهن غنية وكلت ذلك الى الوصائف والمربيات · وفي المدارس يعين الخدم رجالاً او نساء لتغطية الصغار والصغيرات وحراستهم طول الليل · وقد رأينا في احدى المجلات وصفاً لطريقة يغطى بها الاولاد ليلاً فلا يستطيعون دفع الغطاء · ومع الوصف صورة طفل مستلقٍ في سريرهِ مفتوح العينين والغطاء عليهِ ولو كان مغمضهما لرأيت اغطيتهُ مبعثرة ورجليهِ تضربان في الهواء لانهُ انما يدفع الاغطية عنهُ وهو نائم لا وهو مستيقظ

اما الطريقة المشار اليها فخلاصتها ربط الغطاء الفوقاني بجوانب السرير وهي لا تخرج عن حدّ الطرق التي تستعمل عندنا · وقد اخبرتنا امّ انها عمدت الى ربط اغطية طفلها فقطع الربط ومزق جوانب الاغطية · وكان اذا اعياهُ دفع الغطاء عنهُ يعول بالبكاء فيملأ صراخهُ الحيّ ويقلق الاهل والجيران فلا يسكت حتى يكشف تماماً · فاذا نام غطي ثانية بلا ربط ولا تعقيد · فلا سبيل الى تغطية الطفل الاّ ان يقوم عليهِ حارس اوحارسة في الليل ويبقى هذا شأنهُ حتى يربّى على الغطاء ويعتادهُ

فوائد منزلية

تحفظ الزبدة جديدة بوضعها في صحاف نظيفة ووضع شيء من فحم الحطب عليها بعد احمائهِ وغسلهِ جيداً

يزال الوسخ عن الصيني والزجاج والمزهريات والزجاجات بغسلها بخل وملح ممزوجين معاً

تزال لطخ الحبر عن الملابس الملونة من غير ان يفقد لونها بالواسطة الآتية : اجبل شيئاً من الخردل ليكون منهُ كتلة كثيفة ثم انشرهُ على مكان اللطخة واتركهُ عليهِ يوماً كاملاً واغسلهُ بعد ذلك بماء بارد فلا يبقى للحبر من اثر · ويزال الحبر عن الكتان الابيض بتنقيط نقط من الشمع الذائب عليهِ ثم بغسلهِ

اذا أُريد غسل السجّاد الصغير يذاب ٤ اواقي من الصابون الابيض في ٤ اواقي من الماء المغلي حتى اذا برد الماء اضيف اليهِ ٥ اواقي من ماء النشادر و $\frac{1}{2}$ ٢ من السبيرتو ومثلهُ من الغليسرين و ٢ من الاثير او الكلوروفورم · ثم يؤخذ ملء ملعقة صغيرة من هذا المزيج ويضاف الى جردل من الماء الفاتر وتمسح بهِ السجادة بخرقة من الفلانلا والصابون بالطريقة المعتادة · وتمدّ السجادة بعد غسلها على مكان منبسط وتثبت زواياها وجوانبها بدبابيس او مسامير لئلاّ تتكمّش



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

استدراك

ذهب الكاتب الفاضل نجيب افندي شاهين في مقالتهِ النفيسة عن (بعض الامثال والاقوال) الى استنكار قولهم في المثل (مكره اخاك لابطل) وقولهم (اذا عزَّ اخاك فهُن) ثم قال « وربما كان من العرب قوم ينكرون الاسماء الخمسة وإعرابها بالحروف ويلتزمون الالف فيها على كل حال — مهما اختلفت اوجه الكلام والإعراب . ولكنني لم اجد نصًّا صريحًا على وجود هذه اللغة . ولو وجدتُ لذكرتُ كما ذكرت اللغة التي تعرب بها الاسماء الخمسة بالحركات »

والصحيح انها لغة مشهورة في الاب والاخ والحم تعزى الى بني الحرث وخثعم وزبيد وغيرهم وتسمَّى بلغة القصر وهي الزامها الالف في الاحوال الثلاث وتقدير حركة الإعراب على الالف كما تقدَّر في المقصور . وهذه اللغة اشهر من لغة إعرابها بالحركات بعد حذف لامها المسماة بلغة النقص وعليها قول الشاعر

إنَّ أباها وابا أَباها قد بلغا في المجد غايتاها

فقد كان الوجه على اللغة المعروفة ان يقول (وابا أبيها) ولكنهُ جاء بهِ على لغة القصر . والكلام على (غايتاها) خارج عمَّا نحن فيهِ

وبلغة القصر جاء حديث « ما صنع ابا جهل » ومنهُ يعلم خطأُ من لحّن الامام ابا حنيفة في قولهِ « لا قَوَدَ في مثقل ولو ضربهُ بأَبا قُبَيس » ويُخرَّج عليها ايضاً قول العامَّة في مصر (حماهُ وحماها) فانهم يلزمون هذه الكلمة الألف في جميع الاحوال

اما الأَب والأَخ فللعامَّة فيهما ثلاث لغات الاولى لغة قصر ولكن على الواو لا الأَلف ولا وجه لها في العربية تحمل عليهِ في حالتي النصب والجرّ ولكن يفهم من نصوص اللغويين انها جائزة في الكنية اذا اشتهر بها الشخص ولم يكن لهُ اسم معروف · فقد جاء في حديث وائل بن حُجر «من محمد رسول الله الى المهاجر بن ابو اميّة» قال ابن الاثير في النهاية «حقهُ ان يقول ابن ابي امية ولكنهُ لاشتهارهِ بالكنية ولم يكن لهُ اسم معروف غيرهُ لم يجرّ كما قيل عليّ بن ابو طالب»

والثانية بالقصر ايضاً ولكن على الياء وقد اختص بها كتّاب الدواوين فانك لا تكاد ترى من يكتب منهم «حضر فلان وابوهُ او واخوهُ» الأَ ويجعلهُ «وابيهِ او اخيهِ» ولا وجه لها في حالتي الرفع والنصب · وكأنهم رأَبوا باقلامهم عن متابعة العامة في لغة الواو فوقعوا فيما هو ابعد عن الصواب

والثالثة لغة التشديد فيقولون ابّ واخّ بتشديد الباء والخاء وهي لغة عربية صحيحة حكاها ابن مالك في التسهيل وصاحب اللسان في مادة (ابي) · ومما يروى فيها انّ بعض الرؤَساء قال لشهاب الدين القوصيّ انت عندنا مثل الابّ وشدّد الباء فقال لا جرَم انكم تأكلوني · قال الصفديّ في شرح لاميّة العجم «لا يخفى ما في هذا التنديد من اللطف لانّ الأَبّ مشدّد الباء هو المرعي · قال بعضهم هو للدوابّ بمثابة الخبز للاناسيّ ومن يشدّد الباء من الاب الذي هو الوالد ما يكون الأَ دابة» · ولا ريب في ان الصفديّ ذهل عن لغة التشديد المحكية في الاب بمعنى الوالد او لم يقف عليها والأَ لما وضع قائلها هذا الموضع · وقد ردّ عليهِ الدمامينيّ في نزول الغيث فقال «قصد بهذا الكلام الردّ على من شدّد باء الاب المراد بهِ الوالد وفيهِ دليل على قصورهِ فان الامام جمال الدين بن مالك نصّ في التسهيل على ذلك قال في اوائلهِ وقد تشدّد نونهُ [1] وباء اب وخاء اخ · وحكي في الشرح عن الازهريّ ان ذلك لغة وانهُ يقال استأبيت فلاناً بباءين اي اتخذتهُ اباً واذا كان كذلك فلا وجه للانكار على الرئيس الذي شدّد الباء من الاب · قلت ولو قال القوصيّ في جوابهِ لا جرم انكم ترعَوني لكان الطف في التنديد واحسن موقعاً مما قالهُ والله تعالى اعلم» انتهى

احمد تيمور

---

(١) يريد نون هن احد الاسماء الستة

[قصدت بقولي « و يلتزمون الالف فيها على كل حال معها اختلفت اوجه الكلام والاعراب » انهم يعربونها بحرف الالف رفعاً ونصباً وجرّاً فيقولون في اعراب جاء اباك اباك فاعل مرفوع وعلامة رفعهِ الالف . و يقولون في اعراب رأيت اباك اباك مفعول بهِ منصوب وعلامة نصبهِ الالف الخ . اي انهم يعربونها بحرف الالف دون غيرهِ من حروف الاعراب . وقد سمعت بهذه اللغة في غرف المدرسة ولم ارها في كتاب نحو ولذلك قلت « ولكنني لم اجد نصًّا صريحًا على وجود هذه اللغة » . اما اللغة التي يذكرها مناظري الفاضل فليست ما قصدت بدليل قولهِ « وتقدير حركة الاعراب على الالف كما تقدر في المقصور » فالاعراب هنا بالحركات المقدرة على الالف كما في لغة النقص التي اشرت اليها في قولي « كما ذكرت اللغة التي تعرب بها الاسماء الخمسة بالحركات » والتي ذكرها حضرة المناظر

اما استنكار قولهم « مكره اخاك لابطل » و « ذهب الى ابو زيد » فليس مذهبي كما يقول حضرتهُ بل مذهب صاحب البيان والتبيين ومذهب جمهور النحاة السابقين والمعاصرين كما يفهم من قولهِ الوارد في مكانهِ . وغني عن البيان ان القول ما قال ابو عثمان]

ن . ش

ذكرى الاخاء بين معهدين

التعبيز عن شعور طلبة المدرسة العباسية نحو اخوانهم طلبة رأس التين بعد الانفصال

بِمَ التعلل قد كان الذي كانا ... وليس يرحم هذا الحبُّ انسانا
ظلمت قلبي برغمي في محبتكم ... والحب اعظم خلق الله طغيانا
يا قلبُ هذا الذي ما كنتُ احذرهُ ... وكيف يدفع محذورٌ اذا حانا
في ذمة الله وردٌ جل واردهُ ... شربت منهُ وما انفكُّ عطشانا
احبابنا حسبكم هجرانكم وكفى ... ما حُمّل العاشق المضنى وما عانى
بُعداً وسحقاً لدهرٍ ظل يضحكنا ... حينا فلما ضحكنا اليوم ابكانا
يا راحلين وقد شطّ المزار بهم ... وثَمَّ يزالون في الاكباد سكّانا
بالله جودوا بلقياكم لنا كرماً ... فذلك الهجر اضناكم واضنانا
جودوا علينا ولا تنسوا مودتنا ... فالعهد عهدكمُ باقٍ كما كانا

استغفر الله لا من لوعةٍ فترت مذ افترقنا ولا من عاشق خانا
سحرتمونا وقد ملنا اسحركمُ فلا تحولنا إلاَّ منايانا
يا راحلين وقد اذكوا وما علموا بين الضلوعِ غداة البين نيرانا
أليس في الدهر ما يكفي لشقوتنا حتى نلاقي من الاحباب هجرانا
هي الكوارث إن اخنت على عثرٍ تترى عليهِ زرافاتٍ ووحدانا
يا بلبلاً بعدهم غنَّى ليشجينا صهٍ فان غراب البين أشجانا
ما زال ينعب حتى ما اتاح لنا لُبًّا فنفهم منك اليوم الحانا
من سوء حظي انّي عشت في زمنٍ اصار اسعدنا بالعقل اشقانا
ويلي ويا ويح نفسي كيف لذتها فيما اراهُ بعين الحق بهتانا
سقاني الدهر كأساً قد سكرتُ بها فمن يلومُ رعاك الله سكرانا
نفسَ الطموح ذريهِ في سكينتهِ فقد ملأتِ فضاء الارض عدوانا
لم تُبقِ يا نفس اجساداً نهبَ بها اذا دعوتِ وما ابقيتِ اذهانا
يامن أكلتَ اخاك اليومَ عن جشعٍ أسرّك الآنَ أن قد صرتَ شبعانا
ويح التمدين ان كان التمدين ما يفترُّ يشحذ للانسانِ اسنانا
أمعهدَ الامس هل راعتك قسوتهم حتى غدوت على الانسان حنَّانا
آلمتنا بالتنائي ثم صبَّرنا تخفيفك اليوم من آلام جرحانا
كنا وكان لنا دهرٌ نعزُّ بهِ وقد تقضى فلا كُنَّا ولا كانا
اَنندبُ اليومَ حظًّا لا رجاء لهُ أم نندب اليومَ اخوانًا واقرانا
أهل المودة والاخلاص انَّ لنا منكم على الدهرِ انصاراً واعوانا
تضامنوا رغم عادي الدهر واجتمعوا فبالتضامن لو تدرون محيانا
ياذا الوفاق رعاك الله من امل لما دهتنا صروف الدهر عزَّانا
كأنني بالجدود الغر ترمقنا كأنها رضيت من حالنا الآنا
يا دوحة سُقِيَت من ماء رفعتها لأنت افضل دوح الارض أغصانا
انَّا وربك مازلنا كما علموا في المجد ارفع اهل الارض بنيانا
تيهي افتخاراً أيا اهرام عن جذلٍ ان العزيز عزيز كيفما كانا
وحدّثي القوم ان الدهر ما عبثت فينا يداهُ وما حطت لنا شانا

الى السماك الى عُليَا منازلنا نعدو وفي صدرنا السلطان مولانا
يا لابس التاج تاج النيل زد شرفاً فسوف يلبس من جرّاك تيجانا
غداً تسائلنا الايام إنْ غداً هو المروّح مما كان اعيانا

محمد احمد نصر
بالمدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية

القمح ذو السنابل

حضرات الاساتذة اصحاب المقتطف الاغر

قرأت ما جاء في مقتطف نوفمبر الحاضر عن القمح المجذر وكيفية انمائهِ واقول اني رأيت نوعاً من القمح هو اعجب من هذا النوع فقد اراني صديقي الزراعي المجرب حضرة صاحب العزة احمد بك كامل وهبي نوعاً من القمح انبتت منهُ الحبة الواحدة سبع سنابل الى اثنتي عشرة سنبلة في ساق واحدة وقد شاهد هذا النوع كثيرون من اصدقائهِ وفيهم المزارع وغير المزارع فقرروا انهم لم يروا هذا النوع لا في مزارعهم ولا عند غيرهم

اما مقدار التقاوي من هذا النوع فست كيلات في الفدان اي كالمعتاد وطريقة زراعتهِ هي الطريقة المتبعة فلا كلفة فيها ولا مصاريف زائدة كما يلزم لزراعة القمح المجذر او المكنن

فاذا حسبنا ان متوسط ما تنتجهُ الحبة هو تسع سنابل وجب علينا ان نضيف الى هذا القدر مثليهِ ونقول ان متوسط الحبة الواحدة هو ٢٧ سنبلة لان تقاوي الفدان من هذا النوع هو ست كيلات لا كيلتان كتقاوي القمح المجذر واذا اضفنا الى هذا قلة النفقات على الزراعة كان هذا النوع انفع للزارع من سواه

وسنابل هذا النوع ممتلئة ونوع القمح جيد جدّاً وسيكون عند حضرة موجدهِ في هذا العام ما يكفي لزراعة جميع القسم الشتوي من ارضهِ في العام المقبل وفي ذلك العام يكون عند حضرتهِ ما يفيض عن حاجتهِ فيبيع منهُ لمن يريد

اما كيفية انماء هذا النوع او ايجادهِ فلم يقل لي حضرتهُ شيئاً عنها ولا اعتقد انهُ يضن ببيان الكيفية على بني وطنهِ متى تم لهُ ما يريدهُ من نمو هذا النوع

يوسف حمدي يكن

دعوة اللجنة التحضيرية

لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن

The Organising Committee,
The Arabic Literary Association,
35, Fulwood House,
Holborn, London, W. C.

تتشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظركم الى منافع هذا العمل المسطورة بايجاز في اسفل هذا الكتاب آملةً من غيرتكم التعضيد المادي والادبي قدرَ جهدكم حتى اذا اجتمعتْ الاعانات الضامنة للنجاح منكم ومن امثالكم أُبرز المشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملوكية الاسيوية » التي هي من اعظم الهيئات العلمية الباحثة في آداب الشرق . ولا يخفى على حضرتكم المظهر الجليل والفائدة الكبرى من تحقيق هذه الامنية في اكبر عواصم العالم

وقد لاحظنا ان للمعضدين ميولاً مختلفةً ما بين عاملٍ ادبي او علمي او وطني او ديني فلعلكم مدفوعون بعاملٍ او اكثر من هذه العوامل لخدمة آداب اللغة الفصيحة العربية والسعي في نشرها بواسطة هذه الجمعية الدولية التي تعمل اللجنة على تأسيسها وتوطيد دعائمها

هذا ولو ان الظروف الحاضرة الاستثنائية ربما عُدَّت غير ملائمة الاَّ ان فلاح مثل هذا العمل كما تبيَّن لنا بعد درسهِ يستدعي بذل مجهودات كثيرة تستغرق زمناً غير وجيز فمن الصواب اذن عدم التأجيل . فحبذا لو ظفرنا بمؤَازرتكم لنا فجلائلُ الاعمال انما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد

رئيس اللجنة التحضيرية	كاتم سرّ اللجنة
د . س . مرجليوث	احمد زكي ابو شادي

(مقاصد الجمعية)

(١) ان تخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مالية الجمعية

(٢) ان تشجع تعلّم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وان تُنمي في اعضاء الجمعية ملكة الترجمة من و الى العربية وسواها من اللغات حبًّا في الفائدة العامة

(٣) ان تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيا العظمى والمستعربين بها وكذلك بينهم وبين علماء العربية في جميع اقطارها وبين المستعربين في الممالك الاخرى لتبادل المنفعة · انتهى

[المقتطف] نوهنا في مقتطف يوليو بعزم جماعة من الفضلاء والادباء على انشاء هذه الجمعية ثم دارت المكاتبة بيننا وبين حضرة كاتم سر لجنتها الدكتور احمد زكي ابو شادي نزيل لندن فبعث الينا برسالة مسهبة في هذا الموضوع نشرناها في مقتطف سبتمبر الماضي واخيراً جاءنا منهُ البيان الذي نشرناهُ الآن وكتاب مسهب وهذا بعض ما جاء فيهِ

« لو كان المقصود بهذا العمل الذي هو نتيجة تفكيري في مركزنا من عدة وجوه منذ سنة ١٩١٢ قاصراً على شؤُون الادب لآثرتُ قصف قلمي على انفاق وقتي الثمين في مراسلات ودعوات لتعضيدهِ · وكنتُ ولا زلتُ ذا املٍ واسع في نصرة « المقتطف » لوثوقي بان نظرتكم الى الحوادث عميقة ولكن اتضح لي من كتابكم الكريم انكم لم تطلعوا اطلاعاً كافياً على مرامي العمل · فاوجه نظركم اولاً الى خطابي المنشور بعدد مايو من مجلة « رعمسيس » ثم الى رسالة ظهرت فيها بعدد سبتمبر وقد بعثتُ اليها برسالة اخرى اظنها نشرتْ في عدد اكتوبر · كذلك حررتُ « للمنار » كتاباً آخر لعلهُ سيظهر او ظهر في عدد اكتوبر · وبما ان ما كتبتهُ في هذا الباب لا يدور حول فكرة واحدة فحبذا لو عُنيتم بالاطلاع عليهِ كلهِ · وكان في الوسع اطالة الكتابة ولكني آثرتُ التكرار لما في ذلك من اعداد الافكار للاختمار بهذا الموضوع ودوام تنبيهها اليهِ حتى اذا ازف الوقت الصالح للانفاذ قريباً او بعيداً لم يفتنا النجاح · فلا عبرة بطول الدور التحضيري واستبعد ان يطول اذا آزرتنا الصحافة العربية

« يُعاب علينا الاقدام منذ الآن على هذا العمل الكبير وتُنسى الاسباب الخطيرة التي الجأتنا اليهِ الجاءً حتى اني لما حاولتُ اقناع المجتمعين في حفلة نادي الجمعية الاسيوية بأصوبية التأجيل عورضتُ معارضة شديدة واحتدَّ من تُعرف فيهِ الرزانة والعلم فقال لن تكون لنا ولا لاهلنا كرامة اذا لم تكفنا وتكفهم الحوادث للنظر الى مزايا مثل هذا العمل المحتم انفاذهُ · وحسبي ان اقول انَّ العمل وان لم تكن لهُ صبغة سياسية الا انهُ منتظر منهُ ان يخدمنا خدمة قومية كبيرة زيادة على فائدتهِ التهذيبية التي لستم بحاجةٍ الى بيانها · والحكمة والمصلحة تقضي بتكرار الكتابة ورعاية العمل حتى يتيسر تحقيقهُ لان الافكار متى اقتنعت بصواب مشروع

لم تعصها الايدي في مساعدتهِ · وارى في الصحافة الانجليزية هـذه الروح الطيبة روح الثبات وتجنب خلق الاعذار في عدم المساعدة للرأي العام · فلا تزال تعلن عن اي عمل صالح يخدم انجلترا مهما كان نوعهُ بكل وسائل الاعلان الادبي حتى يبلغ اشدَّهُ · وهذه هي عين الخطة الحكيمة التي يجب ان نتبعها صحافتنا · واذا كنتُ قد كتبتُ اكثر من مرة اليكم في هذا الموضوع فذلك لانَّ المسألة هامة وليس هذا التعبير من مبتدعاتي بل انهُ ترجمان عواطف الكثيرين من اهل العربية هنا الشاعرين بحرج مركزنا · والمقتطف في وسعهِ اذا أراد ان يقصر الدور التحضيري شهوراً · ولا شك عندي في انَّ بقية المجلات العربية لن تدخر وسعاً حينئذٍ في الاقتداء بهِ » انتهى

ونحن لم نطَّلع على ما نشر في المجلات العربيَّة ولا وصول لنا اليها الآن ولكن لا يسعنا الأ الاعجاب بهمة الدكتور ابي شادي وهمة اخوانهِ واصدقائهِ القائمين بهذا العمل الجليل واقدامهم عليهِ في احرج الاوقات · ولا شبهة عندنا في فائدة هذه الجمعية وفائدة اتصالها بالجمعية الاسوية الملكية · وقد لا يكون الزمان مساعداً لانشائهـا الآن ولكننا نثق ان القائمين بهذا العمل دققوا البحث والتنقيب فوجدوا ما يشجعهم على الاقدام عليهِ فليتحفوا المقتطف وسائر المجلات والصحف العربية ببعض ادلتهم وبما يطلبونهُ من الذين ينتظر منهم الاشتراك المادي في هذه الجمعية فلا ندَّخر وسعاً في نشر الدعوة اليهـا وتأييدها بكل ما في امكاننا

ولا يخفى ان الذين يسهل عليهم مساعدتها بالمال الكثير لان ثروتهم واسعة هم في الغالب من غير طلاب العلم ومن الذين لا تقبل الجمعيات العلمية ان تعدهم بين اعضائها · والذين ينتظر ان تنظمهم الجمعيات العلمية بين اعضائها هم في الغالب من الذين يعسر عليهم مساعدتها بالمال · فهل قسم منشئو هذه الجمعية الناس قسمين مثلاً قسم الحامين او المؤيدين Patrons وقسم الاعضاء العاملين فيدخل في القسم الاول كثيرون من الامراء والوزراء والاغنياء ويساعدون الجمعية اما بهبات كبيرة يهبونها اياها دفعة واحدة او يكتتبون بمال سنوي · ويدخل في القسم الثاني رجال العلم والادب الذين ينتظر منهم ان يشتغلوا بمواضيع الجمعية وهؤلاء يفرض عليهم اشتراك سنوي طفيف · او نحو ذلك من التدابير التي يجب الاقرار عليها للعمل بها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائله فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) المغنطيسية الارضية

الزقازيق . فهيم افندي حلمي . هل قوة المغنطيسية الارضية واحدة على سطح الارض باجمعهِ ام تختلف باختلاف البعد عن قطبي المغنطيس

ج . تختلف واختلافها يكاد ينطبق على البعد عن الاقطاب المغنطيسية . وتعلم مواقع هذه الاقطاب من انحراف الابرة المغنطيسية ونعلم قوتها من مقدار هبوط احد قطبي الابرة الى اسفل . ففي مصر مثلاً تكاد الابرة الآن تتجه الى الشمال والجنوب تماماً فان قطبها الشمالي مائل الى الغرب درجة و٥٧ دقيقة فقط وقد كان ميلها اكثر من ذلك منذ ثلاثين سنة . وهبوط الابرة هنا نحو ٤١ درجة واذا تقدمنا شمالاً بشرق الى بحر الخزر صار ميل الابرة شرقاً ٥ درجات وهبوطها ٦٠ درجة واذا سرنا من هناك شمالاً حتى بلغنا الدرجة ٧٠ من الطول الشرقي و ٧٠ من العرض الشمالي صار هبوط الابرة ٨٠ درجة اي نكون قد دنونا من قطب مغنطيسي . ونجد قطباً مغنطيسياً مثل هذا في شمالي اميركا الشمالية وقرب قطب الارض الجنوبي مما يلي استراليا

(٢) النوم على الجانب الايسر

ومنهُ . هل يفيد النوم صحياً على الجانب الايسر مثل النوم على الجانب الايمن

ج . المرجح ان النوم على الجانب الايمن انفع وقد ابنا ذلك في نبذة نشرناها في الصفحة ٣٦٧ من المجلد السادس من المقتطف الصادر منذ ٣٥ سنة حيث قلنا « ان الاوضاع الغالبة في النوم ان ينام الانسان على ظهرهِ او على جانبهِ الايسر او على جانبهِ الايمن وخيرها الاخير وشرها الاول لانهُ اذا نام على ظهرهِ بعد ان اكل كثيراً ثقّلت معدتهُ وامعاؤُهُ على الشريان الكبير الذي يتوزع منهُ الدم على الجسد فضيقت مجراهُ قليلاً او كثيراً . . . . واذا نام على جانبهِ الايسر كان فم معدتهِ الى الاعلى فلا يسهل خروج الطعام منها الى الامعاء كما اذا نام على جانبهِ الايمن » . ولكن العادة تجعل الجسم يألف ما يعتادهُ

وتعدّلهُ فيقل ضررهُ او يزول فاننا نعرف شخصاً لا ينام الاَّ على ظهره وهو لا يشكو من سوء الهضم ولا من تعب في المعدة ولا من احلام وكابوس

(٣) معرفة العرض بواسطة الشمس

ومنهُ ما كيفية معرفة عرض مكان بواسطة الشمس

ج · يلزم لذلك ان نعرف ميل الشمس اي بُعدها عن خط الاستواء السماوي مقيساً على الهاجرة المارة بها ونعرف وقت طلوعها او غروبها

ولنفرض زاوية متم العرض تعدل ا والميل يعدل ب ووقت طلوع الشمس ت فاذاً

$$\text{تم ا} = \frac{\frac{1}{2}\text{ ق} \times \text{جـ ت}}{\text{مم ب}}$$ اي نظير مماس العرض

يعدل نصف القطر مضروباً في جيب وقت طلوع الشمس مقسوماً على مماس ميل الشمس

(٤) ثدي الرجل

الاسكندرية · ابرهيم افندي راشد · ما فائدة وجود الثدي في صدر الرجل

ج · لا فائدة لهُ الآن · ويقال انهُ عضو اثري اي انهُ كان كبيراً يفرز لبناً قبلما اتسع الفرق بين الرجل والمرأة او بين الذكر والانثى ثم صغر على توالي الزمن بقلة استعمالهِ وقلة الحاجة اليهِ حتى صار اثريًّا كما صغرت اعضاء اخرى لقلة استعمالها وصارت اثرية

(٥) الغاية من الاهرام

ومنهُ · ما الفائدة التي بني لاجلها الاهرام على هذه المتانة

ج · بنيت الاهرام ليكون كل هرم منها مدفناً للملك الذي بناهُ او لهُ ولزوجتهِ · وكان قدماء المصريين يحرصون الحرص الشديد على جثثهم بعد موتهم فبعضهم بنى لها هذه المباني العظيمة لكي تحفظ فيها وبعضهم حفر لها قبوراً عميقة في الصخر واحتال في تعميقها وتشعبها حتى يتعذر الوصول الى الجثة اما لانهم كانوا يعتقدون ان النفس تتردد اليها بعد الموت او انها تعود اليها بعد زمن قصر او طال

(٦) النجوم والنمل

ومنهُ · ما هو ادق صنعاً النجوم والكواكب ام النملة وما يشابهها من الهوام

ج · يظهر من النظر في الموجودات انها ترتقي من البسيط الى المركب ومن الجماد الى الحي والكواكب على عظمها يكاد تركيبها يكون بسيطاً جدًّا كالصخور والاتربة والمياه والاهوية واما الحيوانات فمركبة تركيباً كثير التعقيد وفي بنائها من الدقة والاحكام ما لا مثيل لهُ في كل عالم الجماد

(٧) ازالة اثر الجدري

مصر · ادوار افندي جورجي · هل من طريقة لازالة اثر الجدري او بعضهِ

ج · اذا كان الاثر صغيراً قليل الغور

فيحتمل ان يزول مع الزمن . والاكثار من فرك الجلد حولهُ يسهل زوالهُ واما اذا كان كبيراً غائراً فلا يزول الاَّ بعملية جراحية ولكن قد تبقى منهُ ندب اوضح من اثر الجدري

(٨) تنقيط الياء المتطرفة

ومنهُ . لما كنت طالباً في سورية كان المدرسون يشددون علينا في تنقيط الياء المتطرفة ولما قدمت مصر والتحقت بمدارسها الفيت المدرسين ينهون الطلاب عن تنقيطها. وفي بدء دخولي المدارس المصرية كنت انقطها تبعاً لما تعودتهُ في سورية ولكن حضرات الاساتذة كانوا يعدون ذلك خطأً فاحشاً وقد لاحظت ايضاً ان الياء المتطرفة منقطة في جميع كتب السوريين سواءٌ في ذلك المطبوعة في سورية او في مصر وعلى نقيض ذلك كتب المصريين فما هو سبب هذا الاختلاف واللغة واحدة واي الامرين اصح

ج . اقدم ما عندنا من الكتب العربية المعروف تاريخ خطهِ بالدقة كتاب لباب الآداب للامير اسامة بن منقذ فانهُ خطَّ سنة ٥٧٧ للهجرة والياء المتطرفة فيهِ منقوطة غالباً —ولو كانت الفاً مقصورة—وغير منقوطة نادراً وهاكم بعض ابيات منهُ وقد نقطنا المنقوط من ياءاتهِ

وما زلت تقصيني وتغرى بي الردي
وتهجرني حتى مرنت على الهجرِ
وتقطع اسبابي وتنسى مودتي
فكيف تري يا مالكي بالهوي صبري
فاصبحت لا ادرى ايأساً تصبّري
على الهجر ام حد التصبر لا ادري

فترون ان اكثر الياءات منقوط واكثر الالفات المقصورة غير منقوط وخط الكتاب من اجمل خطوط عصرهِ . وكتاب المصابيح للبغوي وتاريخ كتابتهِ سنة ٦٩٤ للهجرة واكثر ياءاتهِ غير منقوط مثال ذلك:

« قال النبي صلَّى الله عليهِ وسلم فوَالذى نفس محمد بيدهِ لو يرون مكانهُ ويسمعون كلامهُ لذهلوا عن ميتهم وبكوا على انفسهم حتى اذا حمل الميت على نعشهِ رفرفت روحهُ فوق النعش وهو ينادى يا اهلى ويا ولدي لا تلعبنَّ بكم الدنيا كما لعبت بي » . وقد توضع نقطتا الياء في حجرها

وعندنا نسخة من عهد الامام علي الى مالك بن الاشتر وقد كتبت الى السلطان بايزيد العثماني سنة ٨٥٨ للهجرة بخط من اجمل الخطوط التي وقع عليها نظرنا و ياءاتها كلها مهملة الاَّ ما ندر مع انها مضبوطة بالشكل الكامل ولكن الياء المعجمة توضع تحتها شرطة صغيرة مائلة قليلاً الى اليمين والياء المعقوفة الى الوراء تنقط دائماً ولو كانت الفاً مقصورة بصورة الياء وهذا وجدناهُ ايضاً في ورقة بخط فارسي قديم لا نعلم تاريخها

وكتاب الاطوار الاربعينية وهو بخط اسلامبولي جميل جداً وتاريخ كتابه ١٠٤٥ وياءاتهُ كلها مهملة

ونسخة قديمة جداً من شرح فصول ابقراط لابن ابي صادق من اطباء القرن الخامس دخلت في ملك ابن الهمام الحنفي سنة ٨٥٩ ولعلها كتبت قبل ذلك وياءاتها تنقط تارة وتهمل اخرى كقولهِ «قال ابقراط اوجاع العين يحلها شرب الشراب الصرف او الحمام والتكميد او فصد العرق او شرب الدواء. التفسير هذه التدابير ليست تتبع وجعاً بعينهِ للعين ولا في وقت بعينهِ حتى ان للمعالج ان اشتهى ان يفصد العليل فصدهُ وان اشتهى ان يدخلهُ الحمام او يسقيهُ شراباً يفعل ذلك بل انما ينفع اوجاعاً مختلفة في اوقات مختلفة ... قال ابقراط اذا اصاب المطحول اختلاف دم فطال بهِ حدث بهِ استسقاء او زلق الامعاء . التفسير المطحول هو الذي في طحالهِ صلابة مزمنة ومتى حدث بهِ اختلاف الدم فذلك محمود حسن حسب ما حكم بهِ ابقراط»

واذا مدت ياء في الى الامام لم تنقط واذا مدت الى الوراء نقطت والغالب ان الياء المعجمة تنقط والمهملة لا تنقط كاصطلاح مطابع بيروت

وفي دار الكتب السلطانية مصاحف كثيرة قديمة تنقط ياءاتها تارة ولا تنقط اخرى ومنها مصحف كتب سنة ٧٧٦ ياءاتهُ منقوطة غالباً وسنبحث في هذه المصاحف بحثاً مدققاً ونبين ما هو الغالب فيها بالاستقراء

نأتي الآن الى اقدم المطبوعات العربية ففي قانون ابن سينا المطبوع برومية سنة ١٥٩٣ تنقط الياء دائماً

وفي تحرير اصول اقليدس لنصير الدين الطوسي الذي طبع ذلك الوقت او قبلهُ ببضع سنوات كل الياءات منقوطة

وقاموس الفيروز بادي المطبوع طبع حجر في مدينة بمبي سنة ١٢٥٩ بالشكل الكامل ياءاتهُ كلها غير منقوطة ولكن الياء اللينة يوضع تحتها شرطة واقفة والمرتدة الى الوراء تنقط غالباً والمقصورة فوقها فتحة واقفة غالباً

وفي كتاب الحيوان الذي ترجمهُ فارس الشدياق عن الانكليزية وطبع في مالطة سنة ١٨٤١ الياءات كلها مهملة

وكتاب الاغاني الذي تم طبعهُ في مطبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هجرية الياءات كلها مهملة

والخلاصة ان الكتّاب اختلفوا من قديم الزمان في تنقيط هذا الحرف وبعضهم حاول امن اللبس بين الياء والالف المقصورة بوضع شرطة تحت الياء وشرطة فوق الالف المقصورة والظاهر انهُ لما نقلت المطبعة الاميركية الى بيروت ووُضعت لها حروف جديدة اعتمد الذين تولوا امرها على ان

يفرقوا بين الياء والالف المقصورة فرقاداءً فاختاروا تنقيط الاولى واهمال الثانية ولو استشارونا لاشرنا بذلك

(٩) ترجمة كلمات زراعية

دكرنس . م . ف مهندس زراعي . بماذا نترجم الالفاظ الانكليزية التالية :

Sterilisation of the Soil. Exhaustion of the Soil. Deterioration of the Soil. Texture of the Soil.

ج . يحسن ان نترجم الاولى تعقيم التربة . والثانية انهاك التربة . والثالثة فساد التربة او انحطاطها . والرابعة قوام التربة او تماسك اجزائها

(١٠) معنى هذه الكلمات

ومنهُ . نرجو افادتنا عما تدل عليهِ هذه الالفاظ

ج . يراد بتعقيم التربة معالجة التربة بما يميت ما يضرُّها من المكروبات وانواع الفطر كالحرارة وغاز بي كبرتيد الكربون . وبانهاك التربة تكرار زرعها من غير تسبيخ حتى تضعف و يقل محصولها . و بفساد التربة زوال خصبها لاسباب أخرى غير الزرع كما اذا دخلتها الاملاح او بطل صرفها . و بقوام التربة كون دقائقها شديدة التماسك لكثرة الطفال فيها أو قليلة التماسك لكثرة الرمل فيها او نحو ذلك

(١١) البرفير

شبراخيت . احمد افندي الصرَّاف . ما معنى البرفير وما ضبط التلفظ بها

ج . البِرْفير بياء وفاء مكسورتين أو الفِرْفير كلمة معربة يونانيتها بُرْفورا معناها اللون الارجواني اي الاحمر الضارب الى الزرقة وتطلق على الثياب التي تصبغ بهِ . وكان الفينيقيون من أهالي صور وصيداء يستخرجون صبغ البرفير او الارجوان من حلازين كبيرة تكثر في البحر هناك . وكان امام الباب الجنوبي من مدينة صيداء تلة كبيرة مؤلفة كلها من اصداف هذه الحلازين رأيناها منذ ٤٦ سنة ثم جمعنا بعض الحلازين من البحر واستخرجنا الصبغ منها

(١٢) الدومينيون

ومنهُ . قرأت في جريدة محلية تحت عنوان الدومينيون والحرب انهُ اصبح تأليف وزارة جامعة في غاليا الجديدة الجنوبية امراً مفعولاً . فمن هم الدومينيون وما هي غاليا الجديدة الجنوبية

ج . معنى الدومنيون المُلك أي ما يمتلك ومنهُ كلمة الدومين أي املاك الميري ويراد بها هنا بلاد استراليا . وغاليا الجديدة الجنوبية قسم منها واسمها بالانكليزية نيو سَوْث ويلس . وويلس اسم الجانب من انكلترا ويسمى بالفرنسوية غال ومنهُ لقب ولي عهد الانكليز برنس أوف ويلس بالانكليزية وبرنس دي غال بالفرنسوية . ومعنى نيو جديد ومعنى سوث جنوب . فترجم المترجم هاتين الكلمتين الاخيرتين بكلمتين عربيتين والكلمة الثالثة

بلفظة فرنسوية ولعل النص الذي ترجم عنهُ كان فرنسوياً

ونقسم البلاد التابعة لانكلترا الآن الى اقسام وهي اولاً امبراطورية الهند . ثانياً الدومنيون مثل كندا واستراليا . ثالثاً المستعمرات مثل مالطة وعدن . رابعاً البلدان التي وضعت عليها الحماية الانكليزية مثل مصر

(١٣) كتب في حال المرأة

مصر . محمود افندي احمد . ما هي الكتب الانكليزية التي يستطيع الطالب ان يدرس فيها تاريخ المرأة ومنشأ الزواج واصل الطلاق ونحو ذلك مما يختص بالمرأة في حالتها الاجتماعية

ج . ليس عندنا من هذه الكتب الانكليزية الأ كتاب الفيلسوف هربرت سبنسر في علم الاجتماع Principles of Sociology وهو ثلاثة مجلدات كبيرة تحوي نحو ٢٢٠٠ صفحة . وكتاب لورد افبري (السر جون لبوك) اصل العمران Origin of Civilisation وفيهما كليهما كلام واف في هذا الموضوع

(١٤) بطرية مصباح الجيب

الاسكندرية . محمود افندي زيد . توجد فوانيس للجيب مكوّنة من بطاريتين صغيرتين داخل علبة صفيح مكسوة قماشاً ولها بلورة محدبة في غطائها . فعند فقدان قوة البطارية اذبنا ملح الامونياك ووضعنا في البطريتين بعض نقط منهُ فلم تفد وبحثنا عن شكل هذه البطاريات لابدالها بغيرها فلم نجد فنرجو ان تخبرونا عن تركيبها وسبيل اصلاحها

يظهر لنا ان هذه البطرية من النوع الجاف . والبطريات الجافَّة على انواع فمنها ما يصنع من الجبس واكسيد الزنك وكلوريد الزنك الذي في قوام العجين . وهذه البطرية كثيرة الاستعمال في الاعمال الطبية . ومنها ما يصنع من فحم الحطب والبلمباجين واكسيد المنغنيس الاول والجير المطفي والزرنيخ ومزيج من الغلوكس والدكسترين . تمزج هذه المواد معاً وترطب بمذوب كلوريد الامونيوم وكلوريد الصوديوم وبي كلوريد الزيبق والحامض الهيدروكلوريك . فترون من ذلك ان عمل هذه البطريات صعب جداً فاذا بطل فعلها فلا تستطيعون اصلاحها . والعادة ان يشتري صاحبها غيرها اذا بطل فعلها

(١٥) متى وجدت الكتابة العربية

الفيوم . جرجي افندي خلف . في اي عهد وجدت الكتابة العربية عند العرب

ج . اقدم كتابة عربية رأيناها تاريخها سنة ٨٧ للهجرة ولا نظن انهُ توجد الآن كتابة بحروف عربية اقدم منها ولا نعلم نوع الحروف العربية التي كتب بها العرب قبل ذلك

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر ديسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٢	٣	٥٥	صباحاً
البدر	٩	٢	٤٤	مساء
الربع الاخير	١٧	٨	٦	"
الهلال	٢٤	١٠	٣١	"
الربع الاول	٣١	٢	٧	"
القمر في الاوج	١٣	١٠	٣٨	"
" " الحضيض	٢٦	٢	٣٠	صباحاً

السيارات

عطارد . لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب مساء في آخره

الزهرة . تكون كوكب صباح الشهر كلهُ

المريخ . يكون كوكب مساء " "

المشتري . يشرق نحو الساعة ٢ صباحاً

زحل . يغرب نحو الساعة ٨ مساء

العلم والحرب

ان الحرب على اشتداد اوارها وتفاقم امرها لم تشغل الناس عن العلم وشؤونهِ . فكل يوم لنا اختراع وكل يوم لنا اكتشاف وكل يوم نشاهد اثراً علميًّا جديداً او نسمع بعزمة في سبيل العلم . فقد جاء من اركانجل الثغر الرومي المشهور ان جمعيتها المنوطة بدرس اقاليم روسيا الشمالية قامت تفتش عن بعثتين علميتين قصدتا الاصقاع القطبية للاكتشاف ثم لم يسمع عنهما شيء . الواحدة بعثة برآسة رجل اسمهُ روسانوف خرجت منذ بضع سنوات للاكتشاف وكان آخر ما سمع عنها سنة ١٩١٢ وكانت في طريقها الى بحر كارا . والثانية مرّت في بوغاز يوغور سنة ١٩١٢ وآخر ما سمع عنها انها تركت سفينتها سنة ١٩١٤ في الدرجة ٨٣ من العرض الشمالي و ٦٣ من الطول الشرقي . وقد قامت الجمعية المذكورة بجمع ٢٥٠٠ جنيه تعطى جوائز للذين يخبرونها بما جرى للبعثتين . والمظنون انهُ لا بدّ ان تكونا قد هلكتا

هذا في روسيا . اما في انكلترا فان الرجل الذي لهُ من الحرب اعظم شاغل وهو لويد جورج وزير الحربية خطب بالامس خطبة نعى فيها على سامعيهِ خلوّ غياض وايلس بلدهِ من الهزار المشهور بغنائهِ فقامت الصحف تتناقش في هذا الموضوع العلميّ

وتكثر من اللغط والصخب فيهِ فاسفرت مناقشتها عن ان هذا الطائر جعل في الثلاثين سنة الاخيرة يهاجر الى انحاء البلاد الغربية حتى لم يُرَ في انحائها الشرقية مدة طويلة

وربما كان اعجب من هذا وذاك اشتغال رجال الميادين بالشؤون العلمية وسط المعمعان « بين طعن القنا وخفق البنود » فقد كتب ضابط انكليزي من فرنسا الى احدى الصحف العلمية يقول في ١٧ اكتوبر يقول « رأينا قوس قزح قمريًا في اتابل عرضهُ عرض قوس قزح شمسي ولكننا لم نتبيَّن فيهِ ألوانًا بل كان لونهُ اغبر قاتمًا » . ولا نكاد نتصفح مجلة علمية الأَ قرأنا فيها ان هذا الضابط او ذاك الجندي يبحث مع اعمال الميدان الحربية في طبيعة تربتهِ وجوّهِ ونباتهِ وحيوانهِ ومائهِ وآثارهِ وما شاكل ذلك . ولا عجب فكثيرون بين الجنود والضباط من رجال العلم وقد انتظموا في سلك الجيش لخدمة بلادهم . وان انشاء الصحف في الخنادق وقد كتبنا فيهِ مطولاً في عدد ماضٍ لمن اعظم الشواهد على ما نحن بصددهِ

قيمة اكتشاف اميركا

حسب بعضهم قيمة اكتشاف كولمبس لاميركا الشمالية وبالتالي لاميركا الجنوبية فقدروهُ بست مئة الف جنيه كل يوم من سنة اكتشافهِ اولاً اي سنة ١٤٩٢ الى هذا اليوم فالمجموع نحو ٩٣ الف مليون جنيه . فاذا حسبنا ان متوسط ما تنفقهُ الدول المتحاربة في هذه الحرب ٣٠ مليون جنيه في اليوم فانها تنفق هذا المبلغ الهائل في ٨ ½ سنة . هذا اذا فرضنا ان الحرب تدوم تلك المدة كلها واغضينا عن ابواب الخسارة الاخرى التي تجرها الحرب كخسارة السفن وشحنها . والكساد الذي يصيب الاعمال والاشغال المختلفة من صناعية وتجارية . وخسارة النفوس وهذا مما لا يقدر بمال ولكن اذا قدرناهُ كما تقدرهُ المحاكم عادة وقدرنا ابواب الخسارة الاخرى رجح المجموع في نحو ثماني سنوات على جميع ما كسبهُ الناس من اكتشاف اميركا مدة نحو اربعة قرون . وهذا غاية الاسراف ان ينفق الانسان في يوم ما كسبهُ في ٥٠ يومًا

علة الشيب الفجائي

من اغرب المظاهر التي حار الانسان في تعليلها صيرورة الشعر الاسود ابيض فجأة اجابة لداعي الخوف او الغضب او الحزن او غيرها من الشهوات القوية . فقد زعموا ان رأس ماري انتوانت ملكة فرنسا اشتعل شيبًا في ليلة واحدة اي الليلة التي سبقت مقتلها . والمحققون ينكرون هذا الزعم ولكن هناك حوادث محققة لا يمكن انكارها شاهدها الاطباء وشهدوا بصحتها . منها حادثة

جندي كان مقيماً في بعض خنادق الارجون بفرنسا فنسف خندقهُ بلغم طوّح بهِ في الهواء ثم دفن تحت الانقاض . فلما انتشل وجد اصمّ فنقل الى المستشفى وبينا كان فيهِ رأى نفسهُ في مرآة واذا بفودهِ الايسر تعلوهُ بقع من الشعر الابيض لا شعرة سوداء بينها . وظهر من التحقيق ان الجانب الايسر من رأسهِ ترضض كثيراً بالانفجار وانهيال التراب عليهِ . ولما كان شعرهُ قد ابيض في بعض هذا الجانب فقط استنتج الاطباء ان رضوضهُ كانت علة شيبهِ الفجائي ولكنهم لم يستطيعوا البتّ في هذه المسئلة

نقول ومن المحتمل ان الجروح التي تصيب الراس تترك الشعر النابت في موضع التئامها ابيض بدليل ان الدَّبَر او العقور التي تصيب ظهور الدواب تترك الشعر مكانها ابيض غالباً بعد اندمالها . هذا سبب من اسباب الشيب الباكر ولكن اسباب الشيب الفجائي لا تزال مجهولة

علماء الانكليز وعلماء الالمان

الشائع الراسخ في الاذهان ان اكثر العلماء من الالمان لكن الاستاذ فريزر هرس كتب الآن في مجلة ناتشر مبيناً فساد هذا الزعم ومثبتاً ان اكثر العلماء هم من الانكليز وحلفائهم لا من الالمان وعدّد منهم الفيلسوف اسحق نيوتن مكتشف الجاذبية العامَّة ووليم هارفي مكتشف دورة الدم وبريستلي مكتشف الاكسجين ورذرفورد مكتشف غاز النيتروجين ودلتون واضع اصول علم الكيمياء وفاراداي واضع اساس المغنطيسية الكهربائية ودافي مثبت كون المعادن القلوية عناصر . ومنهم ايضاً بويل وكفنديش ووط وستفنصن ولسلي وهتن وليل وكلهم من كبار المكتشفين . ومنهم نبير وهرتشل وادمس وكلارك مكسول وكلفن وهم من كبار الرياضيين . وقال ان ابناء الانكليزية هم الذين اخترعوا الآلة البخارية والتلغراف الكهربائي والتلفون والفونوغراف والبيسكل والاروبلان . ولحلفائهم من الايطاليين والفرنسويين النصيب الوافر من الاختراع والاكتشاف فان منهم استاشيوس وملبيجيوس وبيوزلي وسبلنزاني وغلفني وفولطه وافوغادرو ولافوازيه ولابلاس ولاغرانج ومونغلفيه وكيفيه ولامارك وكلود برنار وشفرل وباستور . وكل هؤلاء من الذين يجب ان تكتب اسماؤهم على جبين الدهر بحروف ذهبية كبيرة . ونحن لا نبخس ما لعلماء الالمان من الفضل مثل ماير وهلمهلتز وارلخ ولكن الالمان يجحدون فضل علمائنا تعمداً ولا يذكرونهم في كتبهم وبلغ من اغماطهم لفضل الفضلاء ان قال احد اساتذتهم بالامس انهُ يجب على طيَّاريهم ان يطرحوا قنابلهم على قبر نيوتن وفراداي وشكسبير مع انهم كانوا يدعون قبل ذلك ان شكسبير الماني لا انكليزي

الآلة البخارية الشمسية

لقد خطر لكثيرين استخدام حرارة الشمس لتسخين الماء وادارة الآلات البخارية بهِ ورأى كثيرون من اهالي القاهرة منذ بضع سنوات آلات بخارية في المعادي تدار بحرارة الشمس وترفع الماء من النيل . لكن السطوح الزجاجية التي تجمع حرارة الشمس لتسخين الماء كانت واسعة جدًّا لا يحتمل ان احداً يقيم مثلها في اطيانهِ لاستخدامها في رفع ماء الري بدل الفحم او البترول . وقد حسب بعضهم ان حرارة الشمس التي تنصبُّ يوميًّا على صحراء طولها ثمانية آلاف ميل وعرضها ميل واحد تكفي لادارة ٢٢مليونًا وثلثمائة الف آلة بخارية شمسية قوة كل آلة منها مئة حصان . ولكن كيف توقى سطوح هذه الآلات من الغبار في تلك الصحاري ومن الرمال التي تسفيها الرياح . ثم ان الحصان الواحد البخاري يلزم لهُ سطح من الزجاج سعتهُ مئة قدم مربعة فآلة قوتها عشرون حصانًا يلزم لها سطح طولهُ مئة قدم وعرضهُ عشرون قدماً على الاقل وهي لا تدور الاَّ وقت اشتداد حرارة الشمس من الساعة العاشرة صباحًا الى الثالثة او الرابعة بعد الظهر . والآلات البخارية يجب ان تكون مهيأة للادارة كل ساعة من ساعات النهار ومن ساعات الليل ايضاً

بنيامين كد

توفي في اكتوبر الماضي بنيامين كد الكاتب الانكليزي الاجتماعي المشهور وهو في الثامنة والخمسين من عمرهِ . فقد كتب كتبًا معروفة وانشأ مقالات جمة في الفلسفة الاجتماعية على نظام مبتكر لم يسبق اليهِ واول كتبهِ واشهرها كتاب « النشوء الاجتماعي » صدر سنة ١٨٩٤ والاساس الذي بناهُ عليهِ هو ان الدين ليس عدوَّ العلم وتنوير الاذهان بل هو بالضد من ذلك فان مبادئهُ الادبية كانت من اعظم عوامل الارتقاء الاجتماعي وهو مرتبط كلَّ الارتباط بذلك الجزء من فطرتنا الذي ينسب اليهِ كلُّ ارتقاء اجتماعي حديث والذي يرسم لنا خطة تقدمنا المستقبلة . ولذلك ذهب الى ان ارتقاء المجتمع والمدنية الحديثة ليس سببهُ ارتقاء المدارك وتقدم العلم بل استمرار عمل المعتقدات الدينية . ومن اشهر مقالاتهِ مقالة في الطبعة العاشرة من الانسيكلوبيديا البريطانية موضوعها تطبيق مذهب النشوء على المذهب الاجتماعي . ومقالة في الطبعة الحادية عشرة (الاخيرة) منها في الاجتماع . وفي سنة ١٩٠٨ التي في جامعة اكسفرد الخطبة السنوية التي تخطب تذكاراً لسبنسر وموضوعها « الفردية وما بعدها »

تعقيم الجروح

احدث الطرق لتعقيم الجروح طريقة الدكتور كرل الاميركي وخلاصتها فتح الجرح الى أعمق مكان منهُ ووضع انابيب من اللستك فيهِ وربطها بنسيج سلكي ثم يغسل الجرح بمحاول من مضادات الفساد كل ساعتين بواسطة الانابيب وتغيير اربطة الجرح مرة في اليوم . وقد خطب الدكتور شرمان الاميركي في الجمعية الطبية الملكية بلندن شارحاً هذه الطريقة ومما قال ان نتيجة تعقيم الجروح بها مدهشة وان الجرح يصبح خالياً من كل فساد في ايام قليلة . اما المحاول الذي يستعملهُ الدكتور كرل فهو محاول داكنس وقد اختير دون مئتي محاول اخرى جربت تمام التجربة وهو موءلف من كلوريد الجير وكربونات الصودا وبيكربونات الصودا ممزوجة معاً بالماء العادي على نسب مخصوصة . ويقال ان معالجة الجروح بهذه الطريقة تعجّل شفاءها كثيراً

آثار اسوج

وجد في بعض بلاد اسوج نقوش قديمة على الصخور تمثل رجالاً ونساء واولاداً وجنوداً حاملين تروساً وخيلاً وحيوانين من ذوات الاربع مزخرفي الرأسين ولكن لا يبين ما هو نوعهما

فناء الحيتان

كتب عالم في احدى الصحف العلمية الانكليزية مقالة بعنوان «الاوقيانوس مراعينا المستقبلة» يحتجُّ فيها على كثرة صيد الحيتان الكبيرة في جميع بحور العالم ويقول لا بدَّ ان يجيءَ يوم يصبح فيهِ اعتماد الانسان فيما يأكل من اللحم على الحيتان الكبيرة وذلك حينما تتعذَّر تربية الماشية لتعذُّر المراعي على اثر اكتظاظ الارض بالسكان

وقد علقت مجلة نانشر على ذلك قولها : ونحن وان كنا نخالف الكاتب في رأيهِ هذا نوافقهُ على وجوب الاقلال من صيد الحوت لاسباب اخرى كثيرة لا تقل شأناً عن السبب الذي قدمهُ . فلا بد من التعجيل في سن القوانين التي تقيد صيد الحوت والأَعدَّ في بعض البحور بين الحيوانات البائدة

المدافع والحيوانات

ظهر بالبحث ان الارانب وهي موصوفة بشدة الخوف لزمت اوجرتها في ميادين الحرب دون سائر الحيوانات البرية كالدب والخنزير البرّي وكلب الماء والغزال على انواعهِ . وان الطيور التي لم يرعها شبوب نار الحرب فبقيت حيث كانت هي البومة والصقر والغراب وغيرها من الحيوانات آكلة اللحوم

فولاذ لا يصدأ

اخترع في انكلترا نوع من الفولاذ (الصلب) لا يصدأ ولا يتغير لونهُ بمس الحوامض لهُ او أي صنف من اصناف الطعام ويعزى ذلك فيهِ الى مزج الحديد الذي يصنع منهُ بمعدن الكروم على نسبة ١٢ او ١٣ في المئة . اما الكربون فيهِ فلا يزيد متوسطهُ على ربع الى ثلث في المئة اي ان نسبتهُ واطئة فلا يمكن ان يكون سبب هذه الخاصة . وهذا الفولاذ اغلى من الاصناف المعروفة ولكن بقاء لونهِ لامعاً غير متغير يوازن هذا الغلاء ويرجح عليهِ

السمك المنير

بين معروضات المتحف الاميركي نموذج لسمكة منيرة تقطن اعماق البحار حيث الظلام حالك فتهتدي بالنور المنبثق منها . والناظر الى النموذج المصنوع لتمثيلها يرى على جانبي السمكة نقطاً منتظمة الابعاد وعلى قمة راسها بقعة كبيرة فهذه النقط وهذه البقعة ترى منيرة في السمكة الحيَّة . وقد صنعوا النقط في النموذج من ازرار زجاجية وبقعة الراس من جلاتين مصبوغ والازرار تتصل بجوف السمكة بانابيب . فاذا ارادوا تمثيل السمكة حية اوصلوا بها مجرى كهربائيًا فترى منيرة من جانبيها ومن رأسها

شفاء صمم الحرب

يعود كثيرون من الجنود وقد فقدوا سمعهم لشدَّة الاصوات التي دخلت آذانهم . وقد عهدت الحكومة الفرنسوية الى الدكتور ماراج في معالجة هؤلاء الصم فجعل يعالجهم باسماعهم بعض الحروف باصوات قوية حادَّة من آلة تنطق بها كذلك فلا يمضي اسبوعان على مَن اعتراهُ الصمم الحربي حتى يعود سمعهُ اليهِ . ويقال ان ٦٨ في المئة من الذين يعالجون كذلك يشفون ويعودون الى ميادين القتال

معادن نروج

اكتشف حديثًا في بعض انحاء نروج منجم كبير فيهِ كثير من المعادن منها الفضة والبزموت ويقال ان فيهِ ذهبًا ايضًا . وفي الصيف الماضي اكتشف بعضهم معدن فحم حجري في احدى جزر نروج وظهر لهم بعد البحث انهُ اوسع كثيراً مما كانوا يظنون

بلون تسبلن الجديد

انزل الانكليز بلونًا من بلونات تسبلن الجديدة سالمًا فوجدوا ان طولهُ ٦٨٠ قدمًا وقوة آلاتهِ ١٥٠٠ حصان وسعتهُ مليونا قدم مكعبة ويستطيع رجل واحد ان يتحكم في ادارة كل آلاتهِ وفيهِ تسع بنادق آلية

اكبر المدافع البحرية

كانت المدافع الكبرى التي صنعها الانكليز حديثاً وسلحوا بها بوارجهم الكبرى قطر فوهة المدفع منها ١٥ بوصة . وقد ثبت الآن انهم صنعوا مدافع اكبر منها جداً قطر فوهة المدفع منها ١٨ بوصة (نحو ٤٥ سنتمتراً) وثقلهُ ١٥٠ طنًّا وثقل قنبلتهِ ٣٠٠٠ ليبرة وسلحوا بوارجهم الجديدة بهذه المدافع الضخمة والمرجح ان هذه المدافع تصيب البوارج التي تسدَّد اليها وتخرقها ولو كانت على ١٥ ميلاً منها

تذكار الاستاذ رمزي

تألفت لجنة في لندن برآسة لورد ريلي لاقامة تذكار للاستاذ السر وليم رمزي وقد اجتمعت في ٣١ اكتوبر الماضي فاقترح المستر بيز مدير البريد العام ان يجمع مال يستخدم في ترقية تعليم الكيمياء والبحث الكيماوي تذكاراً للسر وليم رمزي وان تشترك كل الامم في ذلك فوافق الحضور على هذا الاقتراح

اطول الكباري

عزمت مدينة سان فرنسسكو باميركا على بناء كبري (جسر) يكون اطول ما بني من نوعهِ حتى الآن فان طولهُ سيبلغ خمسة اميال ونصف ميل ونفقات بنائهِ ستبلغ ٢٢ مليون ريال ويكون في قسمهِ الاوسط ست عشرة قنطرة او فتحة سعة كلٍّ منها ٢٥٠ قدماً ويكون في سطحهِ طبقتانِ في العليا منهما ثلاث سكك للمارة وفي السفلى اربع طرق لسكك الحديد

ميتة غريبة

كان رجل اميركي يصيد السمك بصنارتهِ من احدى السواقي والصنارة معلقة بقضيب حديد كما هي العادة هناك وهو خائض في الماء . وفيما هو يرفع القضيب علق طرفهُ باسلاك التلغراف فوقهُ فصعق ومات لساعتهِ . وليست غرابة هذه الميتة في اختفاء سببها فانهُ معروف وهو مرور تيار كهربائي قوتهُ ٢٠ الف فلط في جسمهِ وساعد على تتميم الدائرة وجود الرجل في الماء والماء موصل جيد للكهربائية كما هو معروف . وانما غرابتها في كونها مفردة في بابها اذ لم يسمع قبلها بحادثة مثلها

مناطق النجاة

احدث التحسينات في المناطق التي يلبسها ركاب السفن عند اصابة سفنهم بسوءٍ انهم يعلقون بها مصباحاً كهربائياً موضوعاً في صندوق شفاف لا ينفذهُ الماء فتسهل بذلك رؤية لابسي المناطق ليلاً ويسهل انقاذهم من الغرق

سبب زرقة البحر

الغالب ان يقال ان لون البحر ازرق وان بعض السبب في زرقتهِ انعكاس وجه السماء الصافي عنهُ . اما البعض الآخر فهو شدة ملوحتهِ . ففي البحار الاستوائية حيث يشتدُّ الحرُّ وبالتالي يكثر التبخر وتشتدُّ ملوحة الماء تجد البحر ازرق او ضاربًا الى الزرقة . واما في البحار الباردة فتجدهُ ضاربًا الى الخضرة

جيولوجية الصين

استدعت الحكومة الصينية عالمًا من علماء الجيولوجيا الاسوجيين لكي يبحث في بلادها بحثًا جيولوجيًّا وضمت اليهِ شابًّا صينيًا درس علم الجيولوجيا وغرضها معرفة ما في بلادها من المعادن المختلفة وكل ما يمكن التوسُّل بهِ الى استخراجها

التطعيم الواقي من التيفويد

ظهرت الحمى التيفويدية في الجيش البريطاني في فرنسا فاصيب بها ١٤١٢ نفسًا فتوفي ٥ في المئة من الذين كانوا مطعمين بالطعم الواقي من التيفويد و٢٣ في المئة من الذين لم يكونوا مطعمين بهِ وتوفي بالباراتيفويد واحد وثمن في المئة من المطعمين واربعة وثلثين في المئة من غير المطعمين

الاقتصاد في الورق

بلغ من اقتصاد احدى شركات سكك الحديد الاميركيـة في الورق على اثر غلائهِ انها صنعت «ظروفًا» خصوصية للكتب والرسائل التي تتداولها دوائرها المختلفة . ووجه هذه الظروف مقسوم بخطوط متقاطعة الى اثني عشر مربعًا تكتب فيها العناوين المختلفة كلما انتقلت المراسلات من دائرة الى دائرة . وقد اقتصدت الشركة بهذه الطريقة في السنتين الماضيتين ٣٢٥٣٠٠٠ ظرف ثمنها ٣٧٠ جنيهًا . وهو اقتصاد قليل ولكنهُ دليل على مبلغ ما عند القوم من الحيلة التجارية التي هي اساس النجاح في العمل

صناعة الاوتوموبيل

يؤْخذ من بعض الاحصاءات ان عدد مركبات الاوتوموبيل في اميركا كان ٤٨٠٠٠ سنة ١٩٠٦ فاصبح ٢٢٤٥٦٦٤ في آخر سنة ١٩١٥ اي زاد نحو ٤٧ ضعفًا في اقل من عشر سنوات

خطوط جديدة في المريخ

لما كان المريخ في الاستقبال الاخير شاهد راصدوهُ في مرصد لول الاميركي خطوطًا جديدة فيهِ اصغر حجمًا من ترعهِ المشهورة

وفاة بكتريولوجي شهير

توفي في مدينة بريسلو بالمانيا الاستاذ البرت نيسر المشهور بمباحثهِ العلمية في الامراض الزهرية . على ان اشهر ما اشتهر بهِ اكتشافهُ سنة ١٨٧٩ لمكروبات الداء المعروف باسم الزنقة او التعقيبة . وقد سهل اكتشافهُ معالجة الداء كثيراً وتشخيصهُ ومنعهُ . وهو اول من استعمل البروتارجول في معالجتهِ . ونيسر يهودي مثل ارليخ ومتشنيكوف

قتل الخيل بالغاز

العادة انهُ اذا هرم الفرس او كسر عظم من عظامهِ او جرح جرحاً بالغاً كثير الالم حتى امست حياتهُ عبئاً ثقيلاً عليهِ ان يرمى بالرصاص انقاذاً لهُ من الالم بدعوى ان هذه الميتة اهون الميتات واسرعها . ولكن رأى الاميركيون بالتجربة ان الموت باستنشاق غاز النور اهون من هذه الطريقة فشرعوا يستعملونها عند ارادة قتل الخيل وذلك انهم يضعون الفرس في مكان ضيق ويضعون امامهُ العلف ويطلقون الغاز من انبوبة تحتهُ فيموت ميتة لا نزع فيها ولا الم

تسخين الماء بالكهربائية

اخترعت في اميركا آلة صغيرة لتسخين كميات قليلة من الماء عند الحاجة وهي مؤلفة من انبوبة معدنية طولها ٧ بوصات فاذا أُريد تسخين بعض الماء في كاس وصلت الانبوبة بمجرى كهربائي من طرفها ثم غمس الطرف الآخر في الماء فلا يمضي الاَّ القليل حتى يسخن الماء واذا تركت الانبوبة فيهِ غلى في لحظة من الزمان

اعمق مكان في البحر

اعمق مكان في البحر قيس حتى الآن يبلغ عمقهُ ٥٢٦٩ قامة او ٣١٦١٤ قدماً وهو اعلى من اعلى قنة في جبال حملايا التي هي اعلى جبال الدنيا . وموقع هذا المكان في الاوقيانوس الباسيفيكي على ٧٥ ميلاً جنوبي جزيرة اسمها جوام . ومتوسط عمق البحر ٢١٠٠ قامة او ١٢٦٠٠ قدم

اسرع مطبعة

اتمت جريدة نيويورك هرالد المشهورة تركيب مطبعة تطبع ٦٥ الف نسخة في الساعة والنسخ تخرج منها اما مطوية على ٨ صفحات او ١٦ صفحة او ٣٢

اصلاح خطأ

ورد في الصورة التي صدر بها هذا الجزء انها من مقتطف دسمبر والصواب انها لمقتطف نوفمبر وقد تركت سهواً من بهذا الجزء

فهرس الجزء السادس من المجلد التاسع والاربعين

صفحة

